إقرأ
و
ارقَ

الكَنْز الدّفين

في

أَخبار السّابقين

ثابت ذيب

اقرأْ..

وارقَ...

ٱلْكَنْزُ ٱلدَّفِينُ فِي أَخْبَاْرِ ٱلسَّابِقِينَ

ثَابِت ذِيب

مُقَدِّمَة

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَلَّمَ الْقُرْآنَ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ، عَلَّمَهُ الْبَيَانَ، قَصَّ عَلَيْنَا الْقَصَصَ، وَبِخَيْرِهَا لَنَا خَصَّ، وَأَرْشَدَنَا فَقَالَ:
﴿فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ الأعراف: ١٧٦

وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى نَبِيِّنَا، وَرَسُولِنَا، وَقُدْوَتِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، وَعَلَى مَن تَبِعَهُ بِإِحْسَانٍ، وَسَارَ فِي طَرِيقِ الْإِيمَانِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

لَمَّا كَانَ الْمِثَالُ يُضْرَبُ لِيَفْهَمَ النَّاسُ الْحَدِيثَ، وَيَعُوا مَا غَابَ مِنَ التَّفَاصِيلِ، وَأَشْكَلَ مِنَ الْحَوَادِثِ،
وَلِأَنَّ الْمِثَالَ يَعْلَقُ فِي عَقْلِ السَّامِعِ أَكْثَرَ مِنَ الْكَلَامِ —— فَقَدْ ضَرَبَ اللَّهُ الْأَمْثَالَ، وَقَصَّ الْقَصَصَ.

فَبَدَأَ بِآدَمَ وَالْمَلَائِكَةِ قَبْلَ الْخَلْقِ، وَمَرَّ عَلَى قَصَصِ الْأُمَمِ، وَانْتَهَى بِذِكْرِ حَالِ أَهْلِ الْآخِرَةِ.
فَأَقَامَ الْمِثَالَ مُقَابِلَ الْحَالِ، لِتَتَّضِحَ الصُّورَةُ، وَيُدْرَكَ الْمَآلُ.

وَمَا كَانَ مَا قُصَّ عَلَيْنَا فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ بِحَدِيثٍ يُفْتَرَى،
بَلْ هُوَ بَيَانُ حَقٍّ، وَحَدِيثُ صِدْقٍ، لِيُدْرِكَ النَّاسُ سُنَنَ اللَّهِ فِي الْحَيَاةِ،

– فَمَنْ لَمْ يَفْهَمِ الْحَدِيثَ، فَلْيَفْهَمِ الْحَدَثَ،
– وَمَنْ لَمْ يَعِ الْقَوْلَ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى الْفِعْلِ،
– وَمَنْ لَمْ يَفْقَهِ الْمَعْنَى، رَآهُ بِعَيْنَيْهِ فِي الْمَبْنَى.

وَهَذَا نَبِيُّنَا ﷺ، وَاتِّبَاعًا لِنَهْجِ الْقُرْآنِ فِي إِقَامَةِ الْمِثَالِ أَمَامَ الْحَالِ،
قَصَّ الْقَصَصَ، وَذَكَرَ الْأَخْبَارَ...

فَكَانَ مِنْ ذَلِكَ النَّبَإِ مَا رُوِيَ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ خَبَّابِ بْنِ الْأَرَتِّ رضي الله عنه قَالَ:
شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ، فَقُلْنَا:

أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا؟ أَلَا تَدْعُو لَنَا؟
فَقَالَ:

**"قَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ يُؤْخَذُ الرَّجُلُ، فَيُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ، فَيُجْعَلُ فِيهَا،
ثُمَّ يُؤْتَى بِالْمِنْشَارِ، فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ، فَيُجْعَلُ نِصْفَيْنِ،
وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ وَعَظْمِهِ،
مَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ،
وَاللَّهِ لَيُتِمَّنَّ اللَّهُ هَذَا الْأَمْرَ، حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ،
لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ وَالذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ."** *رواه البخاري*

فَأَقَامَ الْمِثَالَ، لِيَعْرِفَ صَاحِبُ الْحَالِ مَا عَلَيْهِ، وَيُدْرِكَ مَا لَهُ.

وَتَعْقِيبًا عَلَى قِصَّةِ يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ، فَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ،
فَلَمَّا خُتِمَتِ السُّورَةُ، خُتِمَتْ بِقَوْلِهِ تَعَالَى:

**﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ
وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ، وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ، وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾** *يوسف: ١١١*

**نَسْأَلُ اللَّهَ الْعَلِيَّ الْقَدِيرَ أَنْ يَجْعَلَنَا مِنْ:
﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ، أُوْلَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ، وَأُوْلَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾**
الزمر: ١٨

وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا تَذَكَّرُوا، وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُ اللَّهِ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا.

**وَتَقَبَّلَ اللَّهُ مِنَّا صَالِحَ الْأَعْمَالِ، وَوَقَانَا مِنْ خَطَلِ الْقَوْلِ، وَزَلَلِ اللِّسَانِ،
هُوَ رَبُّنَا، عَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا، وَبِهِ نَسْتَعِينُ.**

م. عُمَر زَيْد الْكَيْلَانِي

تَمْهِيد

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَاءَ، وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ، وَهَدَى ٱلْإِنسَانَ، وَأَقَامَ ٱلسُّنَنَ فِي ٱلْكَوْنِ وَٱلْحَيَاةِ، وَقَصَّ عَلَيْنَا قَصَصَ ٱلْأَوَّلِينَ، وَنَبَّأَ ٱلسَّابِقِينَ، وَضَرَبَ ٱلْأَمْثَالَ، وَبَيَّنَ ٱلْأَشْبَاهَ، فَقَالَ:

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ، وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ، وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ، وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ الرَّعْد: 7

- فَمَنْ لَمْ يَتَّعِظْ بِٱلْقَوْلِ، فَلْيَتَّعِظْ بِمَثَلٍ سَبَقَهُ،
- وَمَنْ لَمْ يَنْتَفِعْ بِٱلْعِبَارَةِ، فَلْيَنْظُرْ لِخَبَرِ غَيْرِهِ،
- وَمَنْ لَمْ يَفْهَمِ ٱلْكَلَامَ، فَلْيَسْتَمِعْ لِلْقِصَّةِ.

وَٱتِّبَاعًا لِمَنْهَجِ ٱلْقُرْآنِ فِي ٱلْبَيَانِ، وَذِكْرِ ٱلْقِصَّةِ لِلْعِبْرَةِ وَٱلِاعْتِبَارِ، فَقَدْ جَمَعْتُ فِي دَفَّتَيَّ هَذَا ٱلْكِتَابِ مِنْ قَصَصِ ٱلْأَوَّلِينَ، وَأَحَادِيثِ ٱلسَّابِقِينَ، مَا يُغْنِي عَنْ كَثِيرٍ مِنَ ٱلْكَلَامِ، وَيُفِيدُ ٱلْأَفْهَامَ، وَيَكْشِفُ مَكْنُونَ ٱلْمَعَانِي فِي مِثَالٍ جَلِيٍّ.

لِنَرْتَقِيَ بِأَفْهَامِنَا وَأَعْمَالِنَا، وَنَتَشَبَّهَ بِٱلصَّالِحِينَ مِنْ قَبْلِنَا،

فَتَشَبَّهُوا إِنْ لَمْ تَكُونُوا مِثْلَهُمْ
إِنَّ ٱلتَّشَبُّهَ بِٱلْكِرَامِ فَلَاحُ

وَقَدْ جَمَعْتُ فِيهِ مِنَ ٱلْفُصُولِ وَٱلْمَشَاهِدِ مَا يَرْقَى بِٱلْقَارِئِ، وَيَعْبُرُ بِهِ مِنْ ضَبَابِ ٱلرُّؤْيَةِ إِلَىٰ وُضُوحِ ٱلْمَقْصُودِ، وَمِنْ ضَعِيفِ ٱلنِّيَّةِ إِلَىٰ شَدِيدِ ٱلسَّوِيَّةِ.

فَمَنْ رَأَى ٱلْمَعْنَىٰ فِي غَيْرِهِ وَٱتَّعَظَ، فَقَدْ أَمِنَ مِنَ ٱلِاتِّعَاظِ بِنَفْسِهِ – وَٱلْعِيَاذُ بِاللَّهِ–
فَٱلْعَاقِلُ مَنِ ٱتَّعَظَ بِغَيْرِهِ، وَٱلشَّقِيُّ مَنِ ٱتَّعَظَ بِنَفْسِهِ.

وَحَرَصْتُ فِي هَذَا ٱلْكِتَابِ عَلَىٰ جَمْعِ مَا يُعِينُ ٱلْوَاعِظَ وَٱلْمُعَلِّمَ، وَيَرْتَقِي بِخِطَابِ ٱلدَّاعِيَةِ؛ دُونَ إِطْنَابٍ مُمِلٍّ، وَلَا إِيجَازٍ مُخِلٍّ، رَاجِيًا مِنَ ٱللَّهِ أَنْ يَسْتَفِيدَ مِنْهُ ٱلْقُرَّاءُ وَٱلْوُعَّاظُ وَٱلدُّعَاةُ.

وَٱلكِتابُ يَحْتَوِي عَلَىٰ مَوَاعِظَ وَقِصَصٍ مِنَ ٱلسَّلَفِ ٱلصَّالِحِ، تُعَدُّ زَادًا لِكُلِّ مُسْلِمٍ، وَمَادَّةً لِكُلِّ وَاعِظٍ، وَكَنْزًا فِي بَيْتِ كُلِّ مُؤْمِنٍ، تُذَكِّرُهُ وَتُرْشِدُهُ وَتُعِينُهُ، وَتَكُونُ لَهُ نِعْمَ ٱلزَّادِ لِيَوْمِ ٱلْمِيعَادِ.

وَكَانَ هَذَا ٱلْكِتَابُ عَلَىٰ **فُصُولٍ وَأَبْوَابٍ**، لِيَسْهُلَ عَلَى ٱلْقَارِئِ ٱلْبَحْثُ، وَحَتَّىٰ تَكُونَ ٱلْقِصَّةُ مُقَامَةً لِمَوْضُوعِهَا، لَا لِمُجَرَّدِ ٱلسَّرْدِ وَٱلْحَدِيثِ.

الفصلُ الأوَّلُ:

مَشَاهِدُ فِي سُلَّمِ الطَّاعَةِ

الفصلُ الثَّانِي:

حَولَ بَعضِ أَسْمَاءِ اللهِ الحُسنى المزْدَوِجَةِ وَتَطْبِيقُهَا فِي الحَيَاةِ.

مُلْحَقٌ خاصّ: خُلاصَةٌ وَافِيَةٌ فِي تَوْظِيفِ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى

الفصلُ الثَّالِث:

فِي مَكَارِمِ الأَخْلَاقِ وَجَمِيلِ الآدَابِ

الفصلُ الرَّابع:

فِي الأُسْرَةِ وَالْمَرْأَةِ وَالمِيرَاثِ وَشُؤُونِ الزَّوَاجِ...

الفصلُ الخَامِس:

فِي مَجْمُوعَةٌ مِن أَحْكَامِ الصَّلَاةِ

الفصلُ السَّادِس:

قَصَصٌ وَآثَارٌ فِي مُنَاسَبَاتٍ مُتَنَوِّعَةٍ

فِي الأَيّامِ العَشْرِ مِن ذِي الحِجَّةِ، وَالحَجِّ، وَعَرَفَةَ، وَالأَضَاحِي،

كَلَامٌ فِي رَمَضَانَ وَشَعْبَانَ، الهجرةِ، الإسراءِ والمعراج .... إلخ

ثَابِت ذِيب

اللَّهُ هُوَ مَقْصُودُ الْكُلِّ،
وَالطَّرِيقُ إِلَيْهِ وَاحِدٌ،
مُقَيَّدٌ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

الفصلُ الأوَّلُ: مَشَاهِدُ فِي سُلَّمِ الطَّاعَةِ

كَـنْزُ "لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ"

أُسِرَ **ابنُ عَوفِ بنِ مالكٍ الأَشْجَعِيِّ** على يدِ المشركين،
فجاء **عَوفٌ** إلى النبيِّ ﷺ يَشكو أمرَه، قائلًا:
"يا رسولَ الله، إنَّ العدوَّ قد أسروا ابني، وجَزِعَتْ أُمُّه، فما تأمرني؟ إنّا في شِدَّةٍ".

فأجابه النبيُّ ﷺ بكلماتٍ من نورٍ:
"اتَّقِ اللهَ واصبِرْ، وآمُرُكَ وإيَّاها أن تُكثِرَا من قولِ: لا حولَ ولا قُوَّةَ إلَّا باللهِ". رواه البيهقيُّ

عاد **عَوفٌ** إلى بيته، وأخبرَ زوجتَه بوصيَّةِ النبيِّ ﷺ،
فقالت مؤمنةً مطمئنَّةً" :**نِعْمَ ما أَمَرَنا به"**.
فأخذا يُكثِران من الذِّكر" :**لا حولَ ولا قُوَّةَ إلَّا بالله"**.

وما هي إلَّا أيّامٌ...
حَتّى غَفَلَ العدوُّ عن الابن، فانحلَّت قُيودُه دون أن يَفُكَّها أحد،
فخرج من بينهم سالمًا، وساقَ اللهُ له غنمًا فهَداه بها إلى الطريق،
فجاء بها إلى أبيه قائلًا:
"يا أبتِ، إنَّ العدوَّ شَدُّوا وِثاقي، فكنتُ كلَّما استيقظتُ وجدتُ القَيْدَ قد انحلَّ،
فخرجتُ، وأرسلَ اللهُ لي غنمًا فهَدَيْتُها إليكم"! رواه البيهقيُّ، شُعَبُ الإيمان، مرجعٌ سابق.

هذه القِصَّةُ تَذْكيرٌ عميقٌ ببَرَكةِ التَّقوى،
حين يَلْجَأُ الوالدانِ إلى اللهِ، ويُكثِرانِ من التَّوكُّلِ والدُّعاء:
"لا حولَ ولا قُوَّةَ إلَّا بالله".

إنَّها نِداءٌ للصَّحوةِ واليقظةِ مِن غَفلةِ التعلُّقِ بالأسبابِ وحدَها،
وأوهامِ القُوَّةِ الذَّاتيَّة، لتعودَ القلوبُ إلى الحقيقةِ الكبرى:
أنَّه **"لا حولَ ولا قُوَّةَ إلَّا بالله"**.
وأنَّه لا يكونُ في هذا الكونِ إلَّا ما أرادَ اللهُ.

قال تعالى: ﴿ **ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ * وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ** ﴾ *الأعلى: ٢-٣*

وهو الذي بيدهِ مَلَكوتُ كلِّ شيءٍ.

لا خالِقَ إلَّا الله، ولا رازِقَ إلَّا الله، ولا مُحيِيَ إلَّا الله.....

واللهُ باقٍ لا يَزُول، وهو القويُّ الذي بيدِهِ مقاليدُ السَّماواتِ والأرض.

فإذا عرَفتَ ذلك، عرَفتَ أنَّه: "**لا حولَ ولا قُوَّةَ إلَّا بالله**".
وإذا عرَفتَ ذلك، فإنَّك لا تَسْأَلُ البشر، بل تَسْأَلُ ربَّك:

﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** ﴾ الفاتحة: ٥
فالاستِعانةُ خادمةٌ للعبادة.

وإنْ لم تَعلَم أنَّه "**لا حولَ ولا قُوَّةَ إلَّا بالله**"، فأنتَ ما زلتَ في غَفلتِك...

فلابُدَّ أوَّلًا من اليَقظة، حتّى تُبصِرَ وتعلَمَ، أنَّ كلَّ ما حولَنا إنَّما هو مِن إخراجِ ربِّنا.

مُلخَّصُ اليَقظةِ في كلمةٍ واحدة: "لا حولَ ولا قُوَّةَ إلَّا بالله".

عن **ابنِ عبَّاسٍ** رضيَ الله عنه قال:
قال رسولُ اللهِ ﷺ:
"**مَن كثُرَتْ هُمومُه وغُمومُه، فليُكثِرْ من قولِ: لا حولَ ولا قُوَّةَ إلَّا بالله**". *الطبرانيُّ وأبو يعلى*

وثبت في **الصحيحين**: أنَّ "**لا حولَ ولا قُوَّةَ إلَّا بالله** "هي:
"**كَنزٌ مِن كُنوزِ الجَنَّة**". *رواه البخاري ومسلم*

فهل يَحزنُ أو يَغتمُّ مَن كان معه كَنزٌ من كُنوزِ الجنَّة؟!

بُكَاءُ الفُضَيْلِ بنِ عِيَاضٍ وَرُؤْيَةُ النِّعَمِ

دَخَلَ أَحَدُهُم عَلَى **الفُضَيْلِ بنِ عِيَاضٍ** رضيَ اللهُ عنه، فَوَجَدَهُ يَبْكِي،
فَسَأَلَهُ:
"ما يُبْكِيكَ يا أَبَا عَلِيٍّ؟ أَأَصَابَكَ مَكْرُوهٌ؟"

فَأَجَابَ الفُضَيْلُ:
"لَا وَاللهِ، مَا أَصَابَنِي شَيْءٌ، وَلَكِنْ نَظَرْتُ إِلَى نِعْمَةِ اللهِ عَلَيَّ، وَأَنَا أَعْصِيهِ بِهَا، فَخَشِيتُ أَنْ يَسْلُبَنِي إِيَّاهَا قَبْلَ أَنْ أَتُوبَ".
ثُمَّ قَالَ:
"وَاللهِ، مَا أَحَدٌ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ نِعْمَةً، فَعَرَفَهَا، ثُمَّ لَمْ يَعْرِفِ الْمُنْعِمَ بِهَا، إِلَّا كَانَ فِيهَا هَلَاكُهُ". حِلْيَةُ الأَوْلِيَاءِ

فَلَا بُدَّ مِنَ اليَقَظَةِ،
وأَوَّلُ مَا يُوقِظُكَ: أَنْ تَلْتَفِتَ إِلَى النِّعَمِ الَّتِي تَغْمُرُكَ كُلَّ لَحْظَةٍ.

فَلَيْسَتِ النِّعْمَةُ فِي الأَكْلِ أَوِ الشُّرْبِ فَقَطْ،
وَلَا العَيْنِ فقَطْ، وَلَا العِلْمِ فقَطْ، وَلَا العُمْرِ فَقَطْ،
بَلْ لَا بُدَّ أَنْ تُقَدِّرَ مَعْنَى النِّعْمَةِ حَقَّ قَدْرِهَا.

اِبْدَأْ بِالنَّظَرِ إِلَى النِّعَمِ الَّتِي تُحِيطُ بِكَ، وَاعْتَبِرْ بِأَهْلِ البَلَاءِ،
كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:
"انْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ، فَهُوَ أَجْدَرُ أَلَّا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ". رَوَاهُ مُسْلِم

وَهِيَ نِعَمٌ كَثِيرَةٌ، قَدْ لَا تَلْتَفِتُ إِلَيْهَا، وَهِيَ نِعْمَةٌ كُبْرَى:
﴿ **وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا** ﴾. إبراهيم: ٣٤
وَمُلَاحَظَتُكَ لِلنِّعْمَةِ مَعَ اليَأْسِ مِنْ عَدِّهَا،
إِنَّمَا لِيُوصِلَكَ إِلَى مَعْرِفَةِ المنْعِمِ، وَإِلَى العِلْمِ بِالتَّقْصِيرِ فِي حَقِّهَا.

فَيَنْبَغِي أَنْ تَقُولَ: "**الحَمْدُ للهِ عَلَى كُلِّ نِعْمَةٍ**".

مَرَّ **ابنُ عُمَرَ** رضيَ اللهُ عنه عَلَى رَجُلٍ مَرِيضٍ،
فَسَأَلَهُ عَنْ حَالِهِ، فَقَالَ: "**ابْتُلِيتُ بِالصِّحَّةِ**".
فَاسْتَغْرَبَ **ابنُ عُمَرَ**، وَقَالَ" :**وَكَيْفَ ذَلِكَ؟**"

فَقَالَ الرَّجُلُ: "**كُنْتُ فِي صِحَّةٍ وَلَمْ أَشْكُرِ اللهَ عَلَيْهَا، وَالآنَ بَعْدَمَا ابْتُلِيتُ فَهِمْتُ قِيمَتَهَا**".
فَقَالَ **ابنُ عُمَرَ**:
"**إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ النِّعَمِ أَنْ تَكُونَ فِي صِحَّةٍ، وَلَكِنْ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ أَنْ تَعْرِفَ مَنْ أَنْعَمَ عَلَيْكَ، وَتَسْعَى فِي رِضَاهُ**". حِلْيَةُ الأَوْلِيَاء

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:
"**مَا مِنْ عَبْدٍ يُنْعِمُ اللهُ عَلَيْهِ نِعْمَةً، فَيَحْمَدُ اللهَ، إِلَّا كَانَ الحَمْدُ أَفْضَلَ مِنْهَا، وَإِنَّ النِّعْمَةَ إِذَا نَفَرَتْ مِنْ أَهْلِ بَيْتٍ تَكَادُ لَا تَرْجِعُ إِلَيْهِم**". رَوَاهُ البَيْهَقِي

هَذَا الحَدِيثُ دَعْوَةٌ مُسْتَمِرَّةٌ لِلشُّكْرِ، وَالاعْتِرَافِ بِفَضْلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.
فَيَنْبَغِي أَنْ تَقُولَ: "**الحَمْدُ للهِ عَلَى كُلِّ نِعْمَةٍ** ".
وَلَكِنَّكَ سَتَجِدُ فِي كِتَابِ اللهِ:
﴿ **وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً** ﴾ لقمان: ٢٠

إِذًا، سَنَظَلُّ نَقُولُ:
"**الحَمْدُ للهِ، الحَمْدُ للهِ** "...لَنْ نَنْتَهِي،
وَفِي النِّهَايَةِ، فَإِنَّ الحَمْدَ نِعْمَةٌ تَسْتَلْزِمُ الحَمْدَ،
بِأَنْ وَفَّقَكَ سُبْحَانَهُ، فَجَعَلَكَ تَحْمَدُ،
فَكُلَّمَا حَمِدْتَ، تَجِدْ نَفْسَكَ مَدِينًا بِنَفْسِ الحَمْدِ،
فَتَشْعُرُ بِالحَيَاءِ، وَبِالعَجْزِ، وَبِالتَّقْصِيرِ فِي الحَمْدِ:

" **سُبْحَانَكَ لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ** ". رَوَاهُ مُسْلِم

التدَرُّجُ فِي تَحْرِيمِ الخَمْرِ... وَالتَّشْمِيرُ عَنْ سَاعِدِ الجِدِّ

فِي **المَدِينَةِ**، كَانَتِ **الخَمْرُ** أَمْرًا مَأْلُوفًا، تُشْرَبُ وَتُبَاعُ بِلَا تَحْرِيمٍ صَرِيحٍ،
حَتَّى تَنَاوَلَهَا بَعْضُ الصَّحَابَةِ رضيَ اللهُ عَنْهُم فِي بَدَايَةِ الدَّعْوَةِ.
وَلَكِنَّ اللهَ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – **بِلُطْفِهِ وَرَحْمَتِهِ**، مَهَّدَ طَرِيقَ التَّحْرِيمِ **تَدْرِيجِيًّا**،
لِيَفْتَحَ لِلْقَلْبِ بَابَ التَّغْيِيرِ **بِدُونِ عُنْفٍ أَوِ اضْطِرَابٍ**.

المَرْحَلَةُ الأُولَى مِنَ التَّمْهِيدِ:

نَزَلَ قَوْلُ اللهِ تَعَالَى:
﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾
البقرة: ٢١٩

فَتَأَثَّرَ بَعْضُ الصَّحَابَةِ، وَبَدَؤُوا يَتْرُكُونَ الخَمْرَ شَيْئًا فَشَيْئًا.

المَرْحَلَةُ الثَّانِيَةُ:

نَزَلَ قَوْلُ اللهِ تَعَالَى:
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَىٰ ﴾ *النساء: ٤٣*

فَصَارُوا يَجْتَنِبُونَ شُرْبَهَا فِي أَوْقَاتِ الصَّلَاةِ، **تَعْظِيمًا لِلْعِبَادَةِ وَطَهَارَتِهَا**.

المَرْحَلَةُ الأَخِيرَةُ وَالحُكْمُ القَاطِعُ:

قَالَ تَعَالَى: **﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾** *المائدة: ٩٠*
فَاسْتَجَابَ الصَّحَابَةُ عَلَى الفَوْرِ،
وَأَرَاقُوا الخَمْرَ، وَكَسَرُوا أَوَانِيهَا،
حَتَّى **سَالَتْ طُرُقُ المَدِينَةِ بِالخَمْرِ**.

قَالَ أَنَسٌ رضيَ اللهُ عَنْهُ:

كُنْتُ أَسْقِي **أَبَا عُبَيْدَةَ، وَأَبَا طَلْحَةَ، وَأُبَيَّ بنَ كَعْبٍ،**
فَجاءَ رَجُلٌ، فَقَالَ: إِنَّ الخَمْرَ قَدْ حُرِّمَتْ،
فَقَالَ **أَبُو طَلْحَةَ** :قُمْ يَا أَنَسُ، **فَاكْسِرْهَا** .رَوَاهُ البُخَارِي

فَهِمَّةُ التَّغْيِيرِ **تَبْدَأُ مِنَ القَلْبِ،**
وَمَنْ أَرَادَ السَّيْرَ إِلَى اللهِ، فَلَا بُدَّ لَهُ **مِنَ التَّشْمِيرِ عَنْ سَاعِدِ الجِدِّ،**
وَالِاسْتِعْدَادِ لِتَرْكِ المعَاصِي.

وَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ عِنْدَهُ هِمَّةٌ مِنَ القَلْبِ،
فَالنَّفْسُ كَ **الطِّفْلِ:**

"إِنْ تُهْمِلْهُ شَبَّ عَلَى حُبِّ الرَّضَاعَةِ، وَإِنْ تُفْطِمْهُ يَنْفَطِمِ" البوصيري – البُرْدَة

فَلَا تُدَلِّلْ نَفْسَكَ،
بَلِ افْطِمْهَا عَنْ هَوَاهَا،
وَاصْرِفْهَا عَنْ شَهَوَاتِهَا،
لِتَكُونَ ذَلِكَ الإِنْسَانِ المصْلِحِ، الإِنْسَانِ الطَّيِّبِ،
الَّذِي أَوْجَدَهُ هَذَا الدِّينُ العَظِيمُ.

•فمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُوَفَّقَ لِلْقِيَامِ بِالوَاجِبَاتِ، فَلْيَبْدَأْ **بِتَرْكِ المُحَرَّمَاتِ.**
•وَمَنْ **ابْتَعَدَ عَنِ المكْرُوهَاتِ،** فُتِحَ لَهُ بَابُ الخَيْرَاتِ.
•وَمَنْ **زَهِدَ فِي بَعْضِ المُبَاحَاتِ** رَغْبَةً فِي رِضَا اللهِ، وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ **مِنَ البَرَكَاتِ** مَا لَا يَتَصَوَّرُهُ العَقْلُ.
وَإِنْ **تَرَكْتَ أُذْنَكَ** لِمَا حَرَّمَهُ اللهُ، سَمِعْتَ **نِدَاءَ الحَقِّ.**

سِبَاقٌ مَعَ الزَّمَنِ فِي طَاعَةِ اللهِ

قَالَ **مُوسَى التَّبُوذَكِيُّ**:

"وَاللهِ، لَوْ قُلْتُ لَكُمْ: إِنِّي **مَا رَأَيْتُ حَمَّادَ بنَ سَلَمَةَ ضَاحِكًا قَطُّ**، لَكُنْتُ صَادِقًا...

مَا كَانَ لَهُ وَقْتٌ لِلضَّحِكِ"!

فَكَانَ مَشْغُولًا دَائِمًا بَيْنَ:

الحَدِيثِ، وَالقِرَاءَةِ، وَالتَّسْبِيحِ، وَالصَّلَاةِ...

قَسَّمَ نَهَارَهُ كَأَنَّهُ فِي **سِبَاقٍ مَعَ الزَّمَنِ**،

لَا يُضَيِّعُ **لَحْظَةً** مِنْ عُمْرِهِ إِلَّا فِيمَا يُقَرِّبُهُ إِلَى اللهِ.

فَقَالَ لَهُ **يُونُسُ المُؤَدِّبُ**:

"قُلْ لِي بِاللهِ عَلَيْكَ، عَلَى مَاذَا تَظُنُّ أَنْ يَمُوتَ رَجُلٌ هَذَا حَالُهُ؟"

فَأَجَابَ نَفْسَهُ:

"مَنْ **عَاشَ عَلَى شَيْءٍ، مَاتَ عَلَيْهِ**".

فَمَاتَ **حَمَّادُ بنُ سَلَمَةَ فِي الصَّلَاةِ، فِي المَسْجِدِ**، فِي أَحَبِّ المَوَاضِعِ إِلَى اللهِ. *سِيَرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ*

قَالَ تَعَالَى:

﴿ **فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ** ﴾

﴿ **وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ** ﴾ *الشَّرْح: ٧-٨*

قَالَ **مُجَاهِدٌ** فِي تَفْسِيرِهَا:

"فَإِذَا فَرَغْتَ **مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا وَأَشْغَالِهَا**، فَانْصَبْ فِي العِبَادَةِ:

الصَّلَاةِ، وَالتَّهَجُّدِ، وَقِرَاءَةِ القُرْآنِ...

وَكُنْ **نَشِيطًا، فَارِغَ البَالِ**، وَاجْعَلْ **نِيَّتَكَ وَرَغْبَتَكَ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ**". *تَفْسِيرُ الطَّبَرِي*

فالعَبْدُ كُلَّمَا أَدَامَ **صِلَتَهُ بِرَبِّهِ**، ازْدَادَ **خَيْرًا وَقُرْبًا**.

لِهَذَا، لَا يَجُوزُ أَنْ يَدَعَ **لَحْظَةً تَمُرُّ** دُونَ أَدَاءِ **قُرْبَةٍ** أَوْ **طَاعَةٍ**.
فَالعُمْرُ **وَاحِدٌ**، وَالزَّمَنُ **لَا يَعُودُ**.

إِنَّ **فِعْلَ الوَاجِبَاتِ وَتَرْكَ المُحَرَّمَاتِ** وَحْدَهُ لَا يَمْلَأُ وَقْتَ المسْلِمِ،
بَلْ عَلَيْهِ أَنْ يَمْلَأَ فَرَاغَهُ **بِمَا نَدَبَ إِلَيْهِ الشَّرْعُ** مِنْ نَوَافِلَ وَتَطَوُّعَاتٍ.

كَانَ **صَمْتُ رَسُولِ اللهِ** ﷺ فِكْرًا، وَنُطْقُهُ **ذِكْرًا**. الطَّبَقَاتُ الكُبْرَى

فبَادِرْ إِلَى **الأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ**، وَاسْتَثْمِرْ كُلَّ لَحْظَةٍ **قَبْلَ أَنْ يُفَاجِئَكَ المَوْتُ**.
فَمَنْ **جَهِلَ قِيمَةَ عُمْرِهِ** اليَوْمَ، سَيَفْهَمْ **قَدْرَهُ عِندَ الاِحْتِضَارِ**،
وَلَكِنْ **بَعْدَ فَوَاتِ الأَوَانِ**...

قَالَ تَعَالَى:
﴿ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ المنافقون: ١١

قَالَ الشَّاعِرُ **حَافِظُ إِبْرَاهِيمَ**:
"دقَّاتُ قَلْبِ المَرْءِ قَائِلَةٌ لَهُ   إِنَّ الحَيَاةَ دَقَائِقٌ وَثَوَانِ"

قَالَ ﷺ:
"نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ:
الصِّحَّةُ وَالفَرَاغُ". رَوَاهُ البُخَارِي

وَقَالَ **ابْنُ مَسْعُودٍ** رضيَ اللهُ عَنْهُ:
"مَا نَدِمْتُ عَلَى شَيْءٍ نَدَمِي عَلَى يَوْمٍ غَرَبَتْ شَمْسُهُ، نَقَصَ فِيهِ أَجَلِي، وَلَمْ يَزِدْ فِيهِ عَمَلِي". ابْنُ أَبِي الدُّنْيا

فمَنْ عَاشَ عَلَى الطَّاعَةِ، مَاتَ عَلَيْهَا، وَبُعِثَ عَلَيْهَا، وَأُكْرِمَ عِندَ اللهِ بِهَا.

دَعْوَةٌ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ

كَانَتْ هُنَاكَ **كَنِيسَةٌ** اسْمُهَا **عَيْنُ التَّمْرِ** فِي **بَادِيَةِ الْعِرَاقِ**،
فَلَمَّا فَتَحَهَا **خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ** رضيَ اللهُ عنه سَنَةَ **١٢هـ**،
وَجَدَ فِيهَا **أَرْبَعِينَ غُلَامًا** يَتَعَلَّمُونَ **الْإِنْجِيلَ**،
اسْتِعْدَادًا **لِنَشْرِ النَّصْرَانِيَّةِ فِي الشَّرْقِ** *ابن كثير، الذهبي*

وَكَانَ مِنْ بَيْنِ هَؤُلَاءِ الْغِلْمَانِ :**سِيرِين**، وَ**يَسَار**، وَ**نُصَيْر**.

- **فأسلم الأوّل، وأَنْجَبَ:**

مُحَمَّدَ بْنَ سِيرِين، من **كبار أئمة التابعين** في الحديث والفقه وتفسير الرؤى

- **وأَسْلَمَ الثَّانِي، وأَنْجَبَ:**

إِسْحَاقَ بْنَ يَسَار، والد **مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاق**، أوّل من جَمَع **السِّيرَةَ النَّبَوِيَّة**.

- **وأما الثالث، نصير، فأسلم وأنجب:**

مُوسَى بْنَ نُصَيْر، فاتح **الأندلس وشمال أفريقيا**.

هَذَا هُوَ نَتَاجُ الْإِسْلَامِ: الرَّحْمَةُ، وَالدَّعْوَةُ إِلَى اللهِ **بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ**، كَمَا أَمَرَ اللهُ تَعَالَى:

﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾ *النحل: ١٢٥*

فَمَاذَا لَوْ أَنَّ خَالِدًا رضي الله عنه **هَدَمَ الْكَنِيسَةَ، وَقَتَلَ مَنْ فِيهَا؟!**
لَكُنَّا فَقَدْنَا **ثَلَاثَةً** مِنْ **أَعْلَامِ الْأُمَّةِ!**
إِنَّ الْبَشَرِيَّةَ جَمِيعًا، فِي نَظَرِ أَهْلِ الإِيمَانِ، هِيَ **أُمَّةُ مُحَمَّدٍ** ﷺ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى
:**﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾** *الأنبياء: ١٠٧*

وَقَدْ بَلَغَ **تَعْدَادُهَا الْيَوْمَ** نَحْوَ **ثَمَانِيَةِ مِلْيَارَاتٍ، اسْتَجَابَ مِنْهُمْ** نَحْوُ **مِلْيَارٍ**،
وَبَقِيَ **الْبَاقُونَ أَمَانَةً وَمَسْؤُولِيَّةً** فِي أَعْنَاقِ الْمُسْلِمِينَ.

عَنْ **أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ** رضيَ الله عنه قَالَ: كَانَ غُلَامٌ **يَهُودِيٌّ** يَخْدِمُ النَّبِيَّ ﷺ، فَمَرِضَ،
فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُهُ، فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَقَالَ لَهُ :أَسْلِمْ،
فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ، فَقَالَ لَهُ :أَطِعْ أَبَا الْقَاسِمِ،
فَأَسْلَمَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ :الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ" *صحيح البخاري*

قَالَ بَعْضُ الصَّالِحِينَ: "أَهْلُ الدَّعْوَةِ إِلَى اللهِ **نَظَرُوا بِنُورِ اللهِ،**
وَعَطَفُوا عَلَى **أَهْلِ الْمَعَاصِي،**
مَقَتُوا أَعْمَالَهُمْ، وَأَحَبُّوا أَنْ يُزِيلُوهُمْ بِالْمَوْعِظَةِ عَنْ فِعَالِهِم،
وَأَشْفَقُوا عَلَى أَبْدَانِهِمْ مِنَ النَّارِ". *ابن الجوزي*

قال الله تعالى:
﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ *فصلت: ٣٣*

وعَنْ أَنَسٍ رضيَ اللهُ عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ:

"أَلَا أُخْبِرُكُمْ **بِأَقْوَامٍ** لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءٍ وَلَا شُهَدَاء،
يَغْبِطُهُمُ الأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ **يَوْمَ الْقِيَامَةِ** بِمَنَازِلِهِمْ مِنَ اللهِ، عَلَى **مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ،** يُعْرَفُونَ".
فَقَالُوا: مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟
فَقَالَ ﷺ: "**الَّذِينَ يُحَبِّبُونَ عِبَادَ اللهِ إِلَى اللهِ، وَيُحَبِّبُونَ اللهَ إِلَى عِبَادِهِ، وَيَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ نُصْحًا**".

قُلْتُ: هَذَا يُحَبِّبُ اللهَ إِلَى عِبَادِهِ، فَكَيْفَ يُحَبِّبُونَ عِبَادَ اللهِ إِلَى اللهِ؟
قَالَ ﷺ:

"**يَأْمُرُونَهُمْ بِمَا يُحِبُّ اللهُ، وَيَنْهَوْنَهُمْ عَمَّا يَكْرَهُ اللهُ، فَإِذَا أَطَاعُوهُمْ أَحَبَّهُمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ**". *الطبراني*

دَرْسٌ فِي التَّوَاضُعِ وَٱلرَّحْمَةِ

عَنْ ٱلنَّبِيِّ ﷺ قَالَ:
"كَانَ رَجُلَانِ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مُتَآخِينِ،
أَحَدُهُمَا يُذْنِبُ، وَٱلْآخَرُ مُجْتَهِدٌ فِي ٱلْعِبَادَةِ.
وَكَانَ لَا يَزَالُ ٱلْمُجْتَهِدُ يَرَى ٱلْآخَرَ عَلَى ٱلذَّنْبِ، فَيَقُولُ: أَقْصِرْ.

فَوَجَدَهُ يَوْمًا عَلَى ذَنْبٍ، فَقَالَ لَهُ: أَقْصِرْ.
فَقَالَ ٱلْمُذْنِبُ: خَلِّنِي وَرَبِّي، أَبُعِثْتَ عَلَيَّ رَقِيبًا؟
فَقَالَ ٱلْعَابِدُ: "**وَٱللَّهِ لَا يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكَ، أَوْ لَا يُدْخِلُكَ ٱللَّهُ ٱلْجَنَّةَ.**"

فَقُبِضَتْ أَرْوَاحُهُمَا، فَٱجْتَمَعَا عِنْدَ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ،
فَقَالَ ٱللَّهُ لِلْمُجْتَهِدِ:
أَكُنْتَ بِي عَالِمًا؟ أَوْ كُنْتَ عَلَى مَا فِي يَدِي قَادِرًا؟
وَقَالَ لِلْمُذْنِبِ:
"**ٱذْهَبْ، فَٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي.**"
وَقَالَ لِلآخَرِ:
"**خُذُوهُ إِلَى ٱلنَّارِ.**" أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ

هَذَا ٱلْعَابِدُ كَانَ مُلْتَزِمًا، حَرِيصًا عَلَى ٱلطَّاعَةِ،
لَكِنَّهُ تَعَالَى عَلَى أَخِيهِ وَتَجَاوَزَ حَدَّهُ.
بَدَأَ بِٱلنَّصِيحَةِ، وَهَذَا أَمْرٌ طَيِّبٌ،
لَكِنْ مَعَ تَكْرَارِ ٱلْمَوْقِفِ، ٱزْدَرَى ٱلْمُذْنِبَ، وَتَجَاوَزَ بِٱللِّسَانِ،
حَتَّى أَقْسَمَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَنْ يَغْفِرَ لَهُ، وَكَأَنَّهُ يَتَكَلَّمُ بِٱسْمِ ٱللَّهِ!
وَنَسِيَ أَنَّ: ٱلْمَغْفِرَةَ وَٱلْجَنَّةَ بِيَدِ ٱللَّهِ وَحْدَهُ.
وَلَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَقْطَعَ بِمَصِيرِ إِنْسَانٍ،

فَرُبَّمَا فِي قَلْبِهِ خَيْرٌ لَا يَرَاهُ ٱلنَّاسُ،
وَرُبَّمَا تَابَ وَنَدِمَ، وَٱللَّهُ مُطَّلِعٌ عَلَى ٱلْقُلُوبِ.

قَالَ رَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ:
"لَنْ يُدْخِلَ أَحَدًا مِنْكُمُ عَمَلُهُ ٱلْجَنَّةَ."
قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ ٱللَّهِ؟
قَالَ:
"وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ." *رَوَاهُ ٱلْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ*

فَٱلْعَمَلُ لَيْسَ ثَمَنًا لِلْجَنَّةِ،
وَإِنَّمَا هُوَ وَسِيلَةٌ يُرْجَى بِهَا ٱلرَّحْمَةُ.

فَلَا تَغْتَرَّ بِطَاعَتِكَ. وَلَا تَيْأَسْ مِنْ رَحْمَةِ ٱللَّهِ. وَلَا تَحْكُم عَلَى أَحَدٍ.

بَلْ: ٱدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ.
وَبَدَلَ أَنْ تَقُولَ: "فُلَانٌ فِي ٱلنَّارِ"،
قُلْ: "ٱللَّهُ يَهْدِيهِ وَيَهْدِينَا جَمِيعًا.

ٱلْقِصَّةُ وَرَدَتْ فِي صَحِيحِ ٱلْأَحَادِيثِ

صُحْبَةُ الصَّالِحِينَ: مَدْرَسَةُ الْقَلْبِ وَالتَّرْبِيَةِ الرُّوحِيَّةِ

ذَاتَ يَوْمٍ، الْتَقَى أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بِصَاحِبِهِ حَنْظَلَةَ الْأُسَيْدِيِّ، فَسَأَلَهُ:
"كَيْفَ حَالُكَ يَا حَنْظَلَةُ؟"

فَأَجَابَهُ وَهُوَ مَهْمُومٌ: "نَافَقَ حَنْظَلَةُ"!

دُهِشَ أَبُو بَكْرٍ وَقَالَ: "سُبْحَانَ اللهِ! مَا تَقُولُ؟"!

فَشَرَحَ حَنْظَلَةُ:

"نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يُذَكِّرُنَا بِالْجَنَّةِ وَالنَّارِ، حَتَّى كَأَنَّنَا نَرَاهَا رَأْيَ الْعَيْنِ،

فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِهِ، عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضِّيَاعَاتِ،*(أي الدنيا)* **فَنَسِينَا كَثِيرًا**"...

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

"وَاللهِ، إِنَّا لَنَلْقَى مِثْلَ هَذَا"!

فَانْطَلَقَا مَعًا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ حَنْظَلَةُ:

"نَافَقَ حَنْظَلَةُ يَا رَسُولَ اللهِ"!

فَقَالَ لَهُ ﷺ: "وَمَا ذَاكَ؟"

فَأَعَادَ عَلَيْهِ كَلَامَهُ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ:

"**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي وَفِي الذِّكْرِ**، لَصَافَحَتْكُمُ الْمَلَائِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ،

وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ: سَاعَةً وَسَاعَةً، سَاعَةً وَسَاعَةً، سَاعَةً وَسَاعَةً". صَحِيحُ مُسْلِم

فَالنَّفْسُ بِطَبْعِهَا تَتَأَثَّرُ بِمَنْ حَوْلَهَا، فَـ:

- عِشْ مَعَ التُّجَّارِ، تَمَنَّيْتَ أَنْ تَكُونَ تَاجِرًا،
- عِشْ مَعَ الصَّالِحِينَ، تَحِنَّ إِلَى الصَّلَاحِ،
- عِشْ مَعَ أَهْلِ الْفِسْقِ، أَلِفْتَ مَا هُمْ عَلَيْهِ وَاسْتَثْقَلْتَ الطَّاعَةَ.

الصُّحْبَةُ لَيْسَتْ مُجَرَّدَ عَلَاقَةٍ اجْتِمَاعِيَّةٍ،

بَلْ هِيَ مَدْرَسَةٌ تَرْبَوِيَّةٌ رُوحِيَّةٌ تَصُوغُ الْقَلْبَ، وَتُهَذِّبُ النَّفْسَ.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ** ﴾ التَّوْبَة: ١١٩

عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ:

"دَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ:

يَا ابْنَ مَسْعُودٍ فَقُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ —— قَالَهَا ثَلَاثًا——

ثُمَّ قَالَ ﷺ: أَتَدْرِي أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ؟

قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ

فَقَالَ ﷺ:" **أَفْضَلُ النَّاسِ، أَفْضَلُهُمْ عَمَلًا إِذَا فَقِهُوا فِي دِينِهِمْ**".

وَلَا يَتِمُّ ذَلِكَ إِلَّا بِصُحْبَةِ الْعُلَمَاءِ الزُّهَّادِ، وَالصَّالِحِينَ،

لِتَتَأَدَّبَ النَّفْسُ بِآدَابِهِمْ، وَتَتَشَبَّهَ بِأَخْلَاقِهِمْ، وَتَسْتَمِدَّ مِنْ هِمَمِهِمْ. ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ

فَإِنَّ النَّفْسَ :لَا تَتَأَثَّرُ بِشَيْءٍ كَالصُّحْبَةِ، وَلَا تَتْرُكُ الْمَعَاصِيَ إِلَّا بِرِفْقَةِ أَهْلِ الصَّلَاحِ، وَلَا تَسْتَقِيمُ عَلَى الطَّاعَةِ إِلَّا إِذَا أَحَاطَتْ نَفْسَهَا بِالْمُؤْمِنِينَ الصَّادِقِينَ.

قَالَ تَعَالَى:

﴿ **وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ** ﴾ الْكَهْف: ٢٨

فاخْتَرْ لِنَفْسِكَ صُحْبَةً تُذَكِّرُكَ بِاللهِ إِذَا نَسِيتَ،

وَتُعِينُكَ إِنْ ضَعُفْتَ،

وَتُحِبُّكَ لِلهِ، إِنْ قَصَّرْتَ.

مَن نَخْتَارُ أَنْ نَكُونَ؟

رَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ:
"لَمْ يَتكَلَّمْ فِي الْمَهْدِ إِلَّا ثَلَاثَةٌ..."
وفيه:
ٱمْرَأَةٌ كَانَتْ تُرْضِعُ ٱبْنَهَا، فَمَرَّ بِهَا رَجُلٌ ذُو مَظْهَرٍ حَسَنٍ وَرُكُوبٍ فَاخِرٍ،
فَقَالَتِ الْأُمُّ: ٱللَّهُمَّ ٱجْعَلِ ٱبْنِي مِثْلَهُ،
فَتَرَكَ ٱلطِّفْلُ ثَدْيَ أُمِّهِ، وَقَالَ: ٱللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ.
ثُمَّ مَرَّتْ أَمَةٌ تُرْمَى بِٱلْحِجَارَةِ،
فَقَالَتِ الْأُمُّ: ٱللَّهُمَّ لَا تَجْعَلِ ٱبْنِي مِثْلَهَا،
فَقَالَ ٱلطِّفْلُ: ٱللَّهُمَّ ٱجْعَلْنِي مِثْلَهَا.
فَعَجِبَتِ الْأُمُّ وَسَأَلَتْهُ،
فَقَالَ ٱلطِّفْلُ:
ذَاكَ (ٱلرَّاكِبُ) جَبَّارٌ مِنَ ٱلْجَبَابِرَةِ، مُتَكَبِّرٌ وَظَالِمٌ،
وَهَذِهِ (ٱلْجَارِيَةُ) يُقَالُ عَنْهَا زُورًا: زَنَتْ وَسَرَقَتْ، وَإِنَّمَا هِيَ تَقُولُ:
"حَسْبِيَ ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ." *أخرجه البخاري ومسلم*

فَلَا تَنْخَدِعْ بِالْمَظَاهِرِ، فَلَيْسَ كُلُّ مَنْ يَبْدُو نَبِيلًا عِندَ النَّاسِ، هُوَ نَبِيلٌ عِندَ ٱللَّهِ.
وَلَيْسَ كُلُّ مَنْ يُدَانُ فِي ٱلدُّنْيَا مُذْنِبًا عِندَ ٱللَّهِ،
فَٱللَّهُ وَحْدَهُ يَعْلَمُ ٱلْقُلُوبَ وَٱلنِّيَّاتِ.

وَرُوِيَ عَنِ ٱلنَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ مَرَّ بِرَجُلٍ يَقْرَأُ **سُورَةَ ٱلْكَهْفِ،**
فَلَمَّا رَآهُ ٱلرَّجُلُ سَكَتَ،
فَقَالَ ٱلنَّبِيُّ ﷺ:
"هَذَا ٱلْمَجْلِسُ ٱلَّذِي أُمِرْتُ أَنْ أَصْبِرَ نَفْسِي مَعَهُمْ." *رواه مسلم*

وَذَلِكَ إِشَارَةٌ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى:

﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِٱلْغَدَاةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ *سورة الكهف: ٢٨*

وَفِي مَوقِفٍ آخَر:

مَرَّ رَجُلٌ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ﷺ،

فَقَالَ لِرَجُلٍ عِندَهُ (وَهُوَ مِنَ ٱلصَّحَابَةِ): "مَا رَأْيُكَ فِي هَذَا؟"

فَقَالَ: رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِ ٱلنَّاسِ، وَٱللَّهِ، إِنْ خَطَبَ يُزَوَّجْ، وَإِنْ شَفَعَ يُشَفَّعْ.

فَسَكَتَ ٱلنَّبِيُّ ﷺ.

ثُمَّ مَرَّ رَجُلٌ آخَرُ مِنْ فُقَرَاءِ ٱلْمُسْلِمِينَ، فَقَالَ: مَا رَأْيُكَ فِي هَذَا؟

فَقَالَ: هَذَا رَجُلٌ، وَٱللَّهِ، إِنْ خَطَبَ لَا يُزَوَّجْ، وَإِنْ شَفَعَ لَا يُشَفَّعْ، وَإِنْ قَالَ لَا يُسْمَعْ لِقَوْلِهِ.

فَقَالَ ٱلنَّبِيُّ ﷺ: «هَذَا خَيْرٌ مِنْ مِلْءِ ٱلْأَرْضِ مِثْلَ ذَاكَ." *رواه البخاري ومسلم*

وَقَالَ ﷺ لِعَائِشَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا:

"يَا عَائِشَةُ، أَحِبِّي ٱلْمَسَاكِينَ، وَقَرِّبِيهِمْ؛ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُقَرِّبُكِ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ." *رواه البخاري ومسلم*

هُمْ القَوْمُ لا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ

رُوِيَ عَنِ الشَّيْخِ ابْنِ عُثَيْمِينَ رَحِمَهُ اللهُ، أَنَّهُ كَانَ يُلْقِي دَرْسًا، ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَى أَحَدِ الْحَاضِرِينَ وَسَأَلَهُ:

"مَاذَا كُنْتُ أَقُولُ؟"

فَقَالَ الرَّجُلُ" :**لَا أَدْرِي**".

فَقَالَ الشَّيْخُ مُسْتَنْكِرًا" :**وَلِمَاذَا تَحْضُرُ إِذًا؟**"

فَقَالَ الرَّجُلُ بِصِدْقٍ:

"**لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ**: **هُمْ الْقَوْمُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ**".

فَبَكَى ابْنُ عُثَيْمِينَ، وَقَالَ:

"أَرَدْنَا أَنْ نُعَلِّمَهُ، فَتَعَلَّمْنَا مِنْهُ"!

هِيَ **مَجَالِسُ الذِّكْرِ**، مَنْ جَالَسَ أَهْلَهَا نَالَهُ الخَيْرُ مَعَهُمْ، وَإِنْ كَانَ مُقَصِّرًا!

هُمْ الْقَوْمُ الَّذِينَ قَالَ اللهُ فِيهِمْ:

"**أُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ**".

فَيَقُولُ أَحَدُ الْمَلَائِكَةِ:

"**رَبِّ، إِنَّ فِيهِمْ عَبْدًا خَطَّاءً، إِنَّمَا مَرَّ فَجَلَسَ مَعَهُمْ**".

فيقول الجبّار:

"**وَلَهُ غَفَرْتُ، هُمْ القَوْمُ لا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ**". حديث قدسي

وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال:

"**إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً سَيَّاحًا، يَتَتَبَّعُونَ مَجَالِسَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوهَا حَفُّوهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ حَتَّى يَبْلُغُوا السَّمَاءَ الدُّنْيَا**".

ثُمَّ يَصْعَدُونَ، فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ — وَهُوَ أَعْلَمُ:—

"**مَا يَقُولُ عِبَادِي؟**"

فَيَقُولُونَ: "**يُسَبِّحُونكَ، وَيُهَلِّلُونكَ، وَيُحْمِدُونَكَ، وَيُمَجِّدُونَكَ**".
فَيَقُولُ: " **أُشْهِدُكُمْ أَنِيّ قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ**". *صحيح البخاري*

ما أَعْظَمَ هذِهِ المَجَالِسَ!
إِنَّهَا رَوْضَةٌ مِن رِيَاضِ الجَنَّةِ، وَجَنَّةُ اللهِ فِي أَرْضِهِ.

وَفِي حَدِيثِ النَّبِيِّ ﷺ الَّذِي رَوَاهُ **الإِمَامُ مُسْلِمٌ**:
"**بَيْنَمَا النَّبِيُّ ﷺ فِي المَسْجِدِ، إِذْ دَخَلَ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ**:

- فأمّا أَحَدُهُم: فَرَأَى فُرْجَةً فَجَلَسَ فِيهَا،
- وَأَمَّا الثَّانِي: فَجَلَسَ خَلْفَ الحَلْقَةِ،
- وَأَمَّا الثَّالِثُ: فَأَعْرَضَ وَمَضَى".

فَلَمَّا فَرَغَ النبي ﷺ، قَالَ:
"**أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنِ النَّفَرِ الثَّلَاثَةِ؟**

- أَمَّا الأَوَّلُ: فَآوَى إِلَى اللَّهِ، فَآوَاهُ اللَّهُ،
- وَأَمَّا الثَّانِي: فَاسْتَحْيَا، فَاسْتَحْيَا اللَّهُ مِنْهُ،
- وَأَمَّا الثَّالِثُ: فَأَعْرَضَ، فَأَعْرَضَ اللَّهُ عَنْهُ ".

والمقصود والله أعلم: .
أَعْرَضَ عَنْ عَمَلِ البِرِّ فَأَعْرَضَ اللَّهُ عَنْهُ بِالثَّوَابِ.

فهذه المجالس جَنَّةُ اللَّهِ في أرضه، والذِّكْرُ نَعِيمُهَا،
فلا تَحْرِمْ نَفْسَكَ مِنَ الجُلُوسِ إِلَيْهِمْ، وَلَوْ كُنْتَ عَابِرَ سَبِيلٍ...

فَكَمْ مِنْ عَبْدٍ جَلَسَ فِي المجْلِسِ وَقَدْ أَثْقَلَتْهُ الذُّنُوبُ،
فَغُفِرَتْ لَهُ بِبَرَكَةِ القَوْمِ.

سَبِيلُ النَّجَاةِ مِنَ الْفِتَنِ

كان النَّاسُ يَسألونَ النَّبيَّ ﷺ عنِ الخَيْرِ،
وأمَّا حُذَيْفَةُ بنُ اليَمَانِ رضيَ اللهُ عنهُ، فكانَ يَسألهُ عنِ الشَّرِّ.

يقولُ: "**كانَ النَّاسُ يَسألونَ رسولَ اللهِ ﷺ عنِ الخَيْرِ،
وكنتُ أسألهُ عنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أنْ يُدْرِكَنِي**". *صحيح البخاري*

وذلكَ حتَّى لا أكونَ في الفِتَنِ حَائِرًا، لا أدري أينَ الحَقُّ.
لأنَّ الفِتَنَ لا تأتي مُعْلِنَةً عن نَفْسِهَا بأنَّها فِتْنَةٌ،
بل تأتي في ثِيَابِ الخَيْرِ، وتتكَلَّمُ بِلِسَانِ العَدْلِ،
وتَتَلَوَّنُ بألوانِ الخِداعِ، حتَّى يُفْتَنَ بها مَنْ لا يسألُ اللهَ الثَّبَاتَ.

ومَنْ أَبْصَرَهَا، فلا يَكونُ إلَّا **بِنُورِ اللهِ**.

قال السَّلَفُ:
"**وإنَّما الفَقِيهُ مَنْ عَرَفَ الفِتْنَةَ حِينَ تَأْتِي، لا حِينَ تَنْقَضِي**". *ابنُ القَيِّم*

فإذا أَدْبَرَتْ عنِ النَّاسِ، عَرَفَهَا الجَمِيعُ، ولَكِنْ بَعْدَ **فَوَاتِ الأَوَانِ**.

في مَجْلِسٍ من أعظَمِ المَجَالِسِ، جَلَسَ الصَّحَابَةُ حولَ النَّبِيِّ ﷺ،
جَاءَهُم **رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ،**
لا يُرَى عليهِ أَثَرُ السَّفَرِ، ولم يَعْرِفْهُ أحدٌ.

جَلَسَ إلى النبي ﷺ بأدبٍ، وأسندَ رُكْبَتَيْهِ إلى رُكْبَتَيْهِ،
ووَضَعَ يَدَيْهِ على فَخِذَيْهِ، ثم بدأ يسألُهُ عن:
الإسْلَامِ، والإيمَانِ، والإحْسَانِ، والسَّاعَةِ وأَمَارَاتِهَا، وَالفِتَنِ.
وكانَ النَّبيُّ ﷺ يُجِيبُه، وهوَ يُصَدِّقُه.
ثمَّ قالَ ﷺ في النِّهايةِ: **هَذَا جِبْرِيلُ، أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ**". *صحيح مسلم*

هذا الحديثُ العَظِيمُ، الذي جُمِعَتْ فيه **مَرَاتِبُ الدِّينِ الثَّلاثُ،**
حتى نَعْبُرَ الفِتَنَ بثَبَاتٍ، سُمِّيَ" :**أُمَّ السُّنَّةِ"،**
كما سُمِّيَتْ سورةُ الفاتِحَةِ : **"أُمُّ القُرْآنِ".** السُّيُوطِي

هذا الترتيبُ النَّبَوِيُّ لم يَكُنْ عبثًا: الإسلامُ :الاستِقَامَةُ الظَّاهِرَةُ، وتهذيبُ الجَوَارِحِ (اللِّسَان، الفَرْج، الأَعْضَاء). **الإيمانُ** :تَقْوِيَةُ القَلْبِ باليَقِينِ والصِّدْقِ. **الإحسانُ** :أن تَعْبُدَ اللهَ كأنَّكَ تَرَاهُ، فتشرقَ الرُّوحُ، وتمتلئَ خَشْيَةً ومُرَاقَبَةً.

وهذا التدرُّجُ هو **سرُّ الثَّبَاتِ** في زَمَنِ الفِتَنِ والتِّيهِ. فالفتنُ تُكْشَفُ **بِالْبَصِيرَةِ،** ولا تُجْتَازُ إلَّا بمَنْ تَعَلَّمَ دِينَهُ بهذا **النَّهْجِ الرَّبَّانِيّ.**

وَمِمَّا يُوصِي بِهِ ٱلصَّالِحُونَ عِنْدَ تَشَعُّبِ ٱلْأُمُورِ، وَتَشَتُّتِ ٱلذِّهْنِ، وَغَفْلَةِ ٱلْقَلْبِ،
وُجُوبُ خَلْعِ ٱلْعَادَاتِ ٱلْأَرْبَعِ، حَتَّى لَا يَأْتِيَهُ مِنَ ٱلْفِتَنِ مَا تَزِلُّ بِهِ ٱلْقَدَمُ:

كَثْرَةُ ٱلْكَلَامِ، قَالَ ﷺ: "وَهَلْ يَكُبُّ ٱلنَّاسَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ، إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟ رواه الترمذي

وَكَثْرَةُ ٱلنَّوْمِ، وَقِلَّةُ ٱلنَّوْمِ تُعِينُكَ عَلَىٰ ٱلذِّكْرِ، وَعَلَىٰ ٱلطَّاعَةِ، وَعَلَىٰ ٱلْتِمَاسِ ٱلْأَوْقَاتِ ٱلْمُبَارَكَةِ.

وَكَثْرَةُ ٱلطَّعَامِ، فَمَنْ أَكَلَ كَثِيرًا، نَامَ كَثِيرًا، فَخَسِرَ كَثِيرًا.
فقَالَ ﷺ:
"حَسْبُ ٱبْنِ آدَمَ لُقَيْمَاتٍ يُقِمْنَ صُلْبَهُ"، "رواه الترمذي"

وَكَثْرَةُ ٱلْأَنَامِ (ٱلْخُلْطَةُ مَعَ ٱلنَّاسِ)، تَكُونُ بِ ٱلِاعْتِكَافِ، وَبِ ٱلِاقْتِصَارِ عَلَىٰ صُحْبَةِ ٱلصَّالِحِينَ،

لِلسَّلَامَةِ مِنْ فِتَنِ ٱلْخَلْقِ، وَٱسْتِمْدَادِ ٱلرُّوحِ بِصُحْبَةِ أَهْلِ ٱلذِّكْرِ.

التَّوْبَةُ بَدَايَةُ الرِّحْلَةِ

عَنْ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ:
"**أَذْنَبَ عَبْدٌ ذَنْبًا، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي،** فَقَالَ اللهُ تَعَالَى:
أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ".
ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ،
فَقَالَ: "أَي رَبِّ، اغْفِرْ لِي ذَنْبِي".
فَقَالَ اللهُ تَعَالَى:
"**عَبْدِي أَذْنَبَ ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ**".
ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ، وَقَالَ: "أَي رَبِّ، اغْفِرْ لِي ذَنْبِي".
فَقَالَ اللهُ تَعَالَى:
"**اعْمَلْ مَا شِئْتَ، فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ**". *رواه البخاري*

قَالَ عَبْدُ الْأَعْلَى:
لَا أَدْرِي أَقَالَ فِي الثَّالِثَةِ أَوِ الرَّابِعَةِ: "اعْمَلْ مَا شِئْتَ".

وَهَذِهِ الْعِبَارَةُ تُقَالُ فِي حَالِ الْغَضَبِ، وَفِي حَالِ التَّلَطُّفِ وَالتَّرْحَابِ،
وَلَيْسَ الْمَقْصُودُ مِنْهَا الْحَثَّ عَلَى الْفِعْلِ، بَلْ هِيَ إِعْلَانٌ لِلرَّحْمَةِ وَالْمَغْفِرَةِ الشَّامِلَةِ.

التَّوْبَةُ مِنَ الذَّنْبِ هِيَ الْخُطْوَةُ الْأُولَى نَحْوَ اللهِ،
فَالْعَبْدُ لَا بُدَّ أَنْ يَنْخَلِعَ مِنْ ذُنُوبِهِ،
وَيَنْتَقِلَ بِهِمَّةٍ وَنَشَاطٍ مِنْ دَائِرَةِ الْمَعْصِيَةِ إِلَى دَائِرَةِ الطَّاعَةِ.

فِي بَدَايَةِ التَّوْبَةِ:

- عَظِّمِ الذَّنْبَ فِي نَفْسِكَ.
- انْدَمْ عَلَيْهِ بِصِدْقٍ.
- اعْتَذِرْ إِلَى اللهِ بِقَلْبٍ خَاشِعٍ.
- أَقْلِعْ عَنِ الذَّنْبِ دُونَ تَرَدُّدٍ.

وَفِي نِهَايَةِ التَّوْبَةِ:

انسَ أَنَّكَ فَعَلْتَ الذَّنْبَ، لَا بِمَعْنَى نِسْيَانِهِ كَحَدَثٍ،
وَلَكِنْ بِمَعْنَى أَلَّا تَبْقَى أَسِيرًا لَهُ، فَيَثْقُلَ عَلَيْكَ قَلْبُكَ، وَيَقُودَكَ إِلَى الْيَأْسِ.
هَذَا يُسَاعِدُكَ عَلَى الْمَضِيِّ قُدُمًا، وَيَجْعَلُكَ أَكْثَرَ حِرْصًا عَلَى نَقَاءِ صَفْحَتِكَ.

وَاعْلَمْ أَنَّ الِابْتِعَادَ عَنِ الْمَعْصِيَةِ وَالِالْتِزَامَ بِالطَّاعَةِ أُمُورٌ سَهْلَةٌ،
لَكِنَّ الْمَطْلُوبَ الْأَكْبَرَ أَنْ تَتُوبَ مِمَّا سِوَى اللهِ تَعَالَى ، وَهُوَ أَنْ تَتَخَلَّصَ مِنْ التَعَلُّقِ بِالدُّنْيَا،
وَأَنْ تُخْرِجَهَا مِنْ قَلْبِكَ، فَتَكُونَ فِي مَرْتَبَةِ **التَّوْبَةِ مِمَّا سِوَى اللهِ.**

وَمِنْ دُعَاءِ الصَّالِحِينَ:

"اللَّهُمَّ اجْعَلِ الدُّنْيَا فِي أَيْدِينَا، وَلَا تَجْعَلْهَا فِي قُلُوبِنَا".

وَعَلَامَةُ ذَلِكَ أَنْ لَا تَفْرَحَ بِالْمَوْجُودِ،
وَلَا تَحْزَنْ عَلَى الْمَفْقُودِ، فَتَسْتَوِيَ عِنْدَكَ حَالَةُ الْعَطَاءِ وَالْمَنْعِ،
فَيَصِلَ قَلْبُكَ إِلَى دَرَجَةِ الرِّضَا وَالتَّسْلِيمِ.

قَالَ تَعَالَى:

﴿ **أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ** ﴾ يونس: ٦٢
فَهُمْ لَا يَحْزَنُونَ عَلَى مَا فَاتَ، وَلَا يَخَافُونَ مِمَّا هُوَ آتٍ،
فَالرِّضَا وَالتَّسْلِيمُ يَنْتُجُ مِنَ التَّوْبَةِ عَمَّا سِوَى اللهِ تَعَالَى.

قِصَّةُ أُخُوَّةِ الإيمَانِ وَرَحْمَةِ التَّوْبَةِ

آخَى رَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْنَ رَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ، وَآخَرَ مِنْ ثَقِيفٍ، فَكَانَا أَخَوَيْنِ فِي اللهِ.

خَرَجَ الثَّقَفِيُّ مُجَاهِدًا فِي سَبِيلِ اللهِ، تَارِكًا أَهْلَهُ فِي أَمَانَةِ أَخِيهِ الأَنْصَارِيِّ، الَّذِي وَثِقَ بِهِ وَاطْمَأَنَّ إِلَى خُلُقِهِ وَدِينِهِ.

وَذَاتَ يَوْمٍ، اشْتَرَى الأَنْصَارِيُّ لَحْمًا لِأَهْلِ أَخِيهِ، وَأَحْسَنَ إِلَيْهِمْ،

لَكِنَّهُ وَقَعَ فِي لَحْظَةِ ضَعْفٍ، إِذْ تَبِعَ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ أَخِيهِ فِي خُفْيَةٍ،

وَلَمْ يَتَحَكَّمْ فِي نَفْسِهِ، فَأَمْسَكَ يَدَهَا، وَقَبَّلَهَا.

فَمَا إِنْ أَدْرَكَ فِعْلَتَهُ، حَتَّى شَعَرَ بِخِيَانَةِ الأَمَانَةِ، وَزَلَّتْ قَدَمُهُ.

لَمْ يَجِدْ سِوَى أَنْ يَضَعَ التُّرَابَ عَلَى رَأْسِهِ،

وَيَخْرُجَ هَائِمًا بَيْنَ الْجِبَالِ، يَبْكِي، وَيَتُوبُ، وَيَسْتَغْفِرُ،

هَارِبًا مِنَ النَّاسِ، وَمِنْ نَفْسِهِ، لَا يَرَى لِنَفْسِهِ وَجْهًا بَعْدَ هَذَا الذَّنْبِ.

عِنْدَمَا عَادَ الثَّقَفِيُّ مِنَ الْغَزْوِ، لَمْ يَجِدْ أَخَاهُ فِي اسْتِقْبَالِهِ.

فَسَأَلَ زَوْجَتَهُ، فَقَالَتْ بِمَرَارَةٍ:

"لَا أَكْثَرَ اللهُ فِي الْإِخْوَانِ مِثْلَهُ"!

ثُمَّ أَخْبَرَتْهُ بِالْقِصَّةِ...

فَانْطَلَقَ الثَّقَفِيُّ يَبْحَثُ عَنْ أَخِيهِ حَتَّى وَجَدَهُ،

مُتَنَقِّلًا بَيْنَ الشِّعَابِ، بِوَجْهٍ غَائِرٍ، وَثَوْبٍ مُغْبَرٍّ، وَقَلْبٍ مُنْكَسِرٍ.

أَخَذَهُ بِيَدِهِ، وَجَاءَ بِهِ إِلَى أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، طَالِبًا لَهُ التَّوْبَةَ وَالطُّمَأْنِينَةَ.

فَقَالَ الأَنْصَارِيُّ: "هَلَكْتُ! قَدْ خُنْتُ الأَمَانَةَ..." فَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَّةَ.

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

"**وَيْحَكَ! أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ اللهَ يَغَارُ لِلْغَازِي مَا لَا يَغَارُ لِلْمُقِيمِ؟**"!

ثُمَّ ذَهَبَا إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فَقَالَ مِثْلَ مَا قَالَ أَبُو بَكْرٍ.

وَأَخِيرًا، دَخَلُوا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَحَدَّثُوهُ بِالْخَبَرِ.

فَلَمْ يُعَنِّفْ، وَلَمْ يُفْضَحْ، وَلَمْ يُقَنِّطْ أَحَدًا...

بَلْ نَزَلَ الْقُرْآنُ رَحْمَةً، وَلُطْفًا، وَمَغْفِرَةً، يَشْهَدُ بِأَنَّ بَابَ التَّوْبَةِ لَا يُغْلَقُ، وَأَنَّ الذَّنْبَ، مَهْمَا عَظُمَ، لَا يَحْجُبُ الْعَبْدَ عَنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِنْ عَادَ وَتَابَ.

قَالَ تَعَالَى:

﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾. آل عمران: ١٣٥

فَلَيْسَ الْعَارُ فِي السُّقُوطِ، بَلْ فِي الإِصْرَارِ عَلَى الذَّنْبِ.

وَلَيْسَ الْهَلَاكُ فِي الْوُقُوعِ فِي الْمَعْصِيَةِ، بَلْ فِي الإِعْرَاضِ عَنِ التَّوْبَةِ وَالرُّجُوعِ إِلَى اللهِ.

فَالَّذِي يُذْنِبُ، يَكُونُ حَالُهُ عَلَى حَالَتَيْنِ:

إِمَّا أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ أَنَّ مَا فَعَلَهُ ذَنْبٌ: فَهُوَ جَاهِلٌ.

وَإِمَّا أَنَّهُ يَسْتَهِينُ بِهِ: فَهُوَ فَاجِرٌ.

وَكِلَاهُمَا نَقْصٌ فِي الدِّينِ.

لِهَذَا عَلَّمَنَا النَّبِيُّ ﷺ هَذَا الدُّعَاءَ الْجَامِعَ:

"اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي، وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي جِدِّي وَهَزْلِي، وَخَطَئِي وَعَمْدِي، وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي." رَوَاهُ مُسْلِمٌ

فَاحْمَدِ اللهَ إِذْ وَفَّقَكَ لِمَعْرِفَةِ ذَنْبِكَ، لِكَيْ تَتُوبَ إِلَيْهِ، وَتَعُودَ إِلَى طَرِيقِهِ.

كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَقُولُ" :**رَحِمَ اللهُ امْرَأً أَهْدَى إِلَيَّ عُيُوبِي.**"

وَيَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ:

"أَلَا وَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ تَسُوؤُهُ سَيِّئَتُهُ، وَتُسِرُّهُ حَسَنَتُهُ، فَهُوَ مُؤْمِنٌ". رَوَاهُ أَحْمَدُ

فَالْفَرَحُ بِالذَّنْبِ أَعْظَمُ مِنَ الذَّنْبِ، وَالْغَفْلَةُ عَنِ التَّوْبَةِ أَشَدُّ مِنَ الْمَعْصِيَةِ.

وَاعْلَمْ أَنَّ بَابَ رَحْمَةِ اللهِ مَفْتُوحٌ لَا يُغْلَقُ أَبَدًا،

فَأَقْبِلْ، تَجِدْ رَبًّا غَفُورًا، تَوَّابًا، كَرِيمًا.

الصِّدقُ مَعَ اللهِ: بَدْءِ التَّوْبَةِ الصَّادِقَةِ

عِنْدَمَا تَخَلَّفَ الصَّحَابِيُّ الجَلِيلُ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ عَنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ، مِنْ غَيْرِ عُذْرٍ شَرْعِيٍّ، وَكَانَتْ تِلْكَ الغَزْوَةُ مِنْ أَشَدِّ الغَزَوَاتِ، وَلَمْ يُؤْذَنْ لِأَحَدٍ بِالتَّخَلُّفِ عَنْهَا إِلَّا لِمَن كَانَ لَهُ عُذْرٌ مَشْرُوعٌ.

وَبَعْدَ رُجُوعِ النَّبِيِّ ﷺ، **جَاءَ المُنَافِقُونَ يَعْتَذِرُونَ بِالكَذِبِ،**

فَقَبِلَ النَّبِيُّ ﷺ أَعْذَارَهُمْ ظَاهِرًا، وَوَكَّلَ سَرَائِرَهُمْ إِلَى اللهِ تَعَالَى.

أَمَّا كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ، فَكَانَ مِنَ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ صَدَقُوا وَاعْتَرَفُوا بِتَقْصِيرِهِمْ، وَلَمْ يَخْتَلِقْ عُذْرًا يُبَرِّرُ غِيَابَهُ.

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

"**أَمَّا هذَا فَقَدْ صَدَقَ، فَقُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللهُ فِيكَ**". رَوَاهُ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ

ثُمَّ أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ النَّاسَ بِهِجْرَةِ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةِ، فَلَمْ يُكَلِّمْهُم أَحَدٌ، وَاسْتَمَرَّ ذَلِكَ خَمْسِينَ لَيْلَةً، حَتَّى تَابَ اللهُ عَلَيْهِمْ.

فَالصِّدْقُ مَعَ اللهِ، وَالاعْتِرَافُ بِالذَّنْبِ وَالتَّقْصِيرِ، وَالِابْتِعَادُ عَنِ التَّبْرِيرِ،

هِيَ طَرِيقٌ إِلَى التَّوْبَةِ وَالمَغْفِرَةِ.

"**فَلَا صَغِيرَةَ مَعَ الإِصْرَارِ، وَلَا كَبِيرَةَ مَعَ الاسْتِغْفَارِ**".

فَإِذَا فَعَلْتَ ذَنْبًا، يَجِبُ أَنْ تَشْعُرَ أَنَّكَ وَقَعْتَ فِي مَصِيبَةٍ عَظِيمَةٍ، فَلَا تَنْظُرْ إِلَى صِغْرِهِ، بَلِ انْظُرْ إِلَى عَظَمَةِ مَن عَصَيْتَ.

قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ:

"لَا تَنْظُرْ إِلَى صِغْرِ الذَّنْبِ، وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى عَظَمَةِ مَن عَصَيْتَ".

وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِّ فِي وَصْفِ التَّقَى:

خَلِّ الذُّنُوبَ صَغِيرَهَا وَكَبِيرَهَا ذَاكَ التُّقَى

وَاصْنَعْ كَمَاشٍ فَوْقَ أَرْضِ الشَّوْكِ يَحْذَرُ مَا يَرَى

لَا تَحْقِرَنَّ صَغِيرَةً إِنَّ الجِبَالَ مِنَ الحَصَى

ولقد حذّرَ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ الاسْتِهَانَةِ بِالذُّنُوبِ الصَّغِيرَةِ

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

"إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ؛ فَإِنَّهُنَّ يَجْتَمِعْنَ عَلَى الرَّجُلِ حَتَّى يُهْلِكْنَهُ". رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالطَّبَرَانِيُّ

فلَا يَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يَأْخُذَهُ العَجَبُ أَوِ الغُرُورُ فَيَسْتَسْهِلَ الذُّنُوبَ وَيَسْتَصْغِرَهَا، فَهِيَ وَإِنْ بَدَتْ صَغِيرَةً، تَتَرَاكَمُ حَتَّى تُهْلِكَهُ.

فَمَن تَابَ فَقَدْ ظَفَرَ وَنَجَا، وَمَن لَمْ يَتُبْ فَهُوَ مِنَ الخَاسِرِينَ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى:

﴿ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ سورة الحجرات: ١١

شِبْرٌ إِلَى اللهِ
قِصَّةُ التَّائِبِ الَّذِي قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ

رَوَى النَّبِيُّ ﷺ:

"إِنَّ رَجُلًا قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ، فَدُلَّ عَلَى رَاهِبٍ، فَأَتَاهُ، فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: لَا، فَقَتَلَهُ، فَتَمَّ بِهِ الْمِائَةُ"...

رواه البُخَارِيُّ وَمُسْلِم

رَجُلٌ ابْتَدَأَ أُولَى خُطَاهُ فِي الدَّمِ، فَقَتَلَ نَفْسًا بَرِيئَةً...
ثُمَّ مَضَى فِي الظُّلْمَةِ حَتَّى بَلَغَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ قَتِيلًا!
وَرَغْمَ كُلِّ هَذَا السَّوَادِ، بَقِيَ فِي قَلْبِهِ بَقِيَّةٌ مِنْ نُورٍ،
سُؤَالٌ وَاحِدٌ يَشُقُّ طَرِيقَهُ عَبْرَ الظُّلْمَةِ:
"هَلْ لِي مِنْ تَوْبَةٍ؟"

سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ، فَدُلَّ عَلَى رَاهِبٍ لَا عِلْمَ عِنْدَهُ، فَقَالَ لَهُ:
"لَا تَوْبَةَ لَكَ".
فَمَا كَانَ مِنَ الرَّجُلِ إِلَّا أَنْ قَتَلَهُ... وَأَكْمَلَ بِهِ الْمِئَةَ!

وَهَكَذَا، فُتْيَا الْجَاهِلِ تَقْتُلُ وَلَا تُحْيِي.
لَكِنَّهُ لَمْ يُغْلِقِ الْبَابَ، لَمْ يَيْأَسْ، بَلْ بَحَثَ مِنْ جَدِيدٍ...
فَدُلَّ عَلَى عَالِمٍ فَقِيهٍ رَبَّانِيٍّ، فَقَالَ لَهُ بِكُلِّ طُمَأْنِينَةٍ وَيَقِينٍ:
"نَعَمْ، وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ؟
وَلَكِنَّكَ بِأَرْضِ سَوْءٍ، فَاخْرُجْ إِلَى أَرْضِ كَذَا وَكَذَا، فَإِنَّ بِهَا قَوْمًا يَعْبُدُونَ اللهَ، فَاعْبُدِ اللهَ مَعَهُمْ".

وَهُنَا عَيْنُ النَّصِيحَةِ:
فالِابْتِعَادُ عَنِ الْبِيئَةِ الْفَاسِدَةِ، وَاجْتِنَابُ أَهْلِ الشَّرِّ، أَمْرٌ لَازِمٌ لِلتَّوْبَةِ الصَّادِقَةِ.
قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ" :**لَا تَصْحَبِ الْفَاجِرَ، فَتَتَعَلَّمَ مِنْ فُجُورِهِ**".

فَانْطَلَقَ الرَّجُلُ فِي رِحْلَتِهِ الْمُبَارَكَةِ، يَسِيرُ بِقَلْبٍ مُشْتَاقٍ،
قَدِ امْتَلَأَ بِنَدَمٍ صَادِقٍ، وَعَزْمٍ جَدِيدٍ.

لَكِنَّهُ **مَاتَ فِي الطَّرِيقِ ...**فِي مُنْتَصَفِ الرِّحْلَةِ...
فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ **مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ.**

فَأَمَرَ اللهُ أَنْ يُقَاسَ مَا بَيْنَ الْقَرْيَتَيْنِ، فَوَجَدُوهُ أَقْرَبَ **بِشِبْرٍ** إِلَى قَرْيَةِ الصَّالِحِينَ،
فَغَفَرَ اللهُ لَهُ، وَأَخَذَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ.

وَفِي رِوَايَةٍ: **فَأَوْحَى اللهُ إِلَى هَذِهِ (قَرْيَةِ الْفَسَادِ): أَنْ تَبَاعَدِي،**
وَإِلَى هَذِهِ (قَرْيَةِ الصَّلَاحِ): أَنْ تَقَرَّبِي،
وَقَالَ: قِيسُوا مَا بَيْنَهُمَا،
فَوَجَدُوهُ أَدْنَى إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ،
فَغَفَرَ لَهُ ". "رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ"

فَرَغْمَ كُلِّ الذُّنُوبِ وَالدِّمَاءِ، مَا أَغْلَقَ اللهُ عَلَيْهِ بَابَ التَّوْبَةِ.
فَاللهُ لَا يَنْظُرُ إِلَى **مَاضِيكَ،** بَلْ إِلَى **قَلْبِكَ** وَ**صِدْقِ نِيَّتِكَ** وَ**سَعْيِكَ الْحَقِيقِيِّ** لِلرُّجُوعِ إِلَيْهِ.

"التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ".
فَلَا تَجْعَلِ الذَّنْبَ يَحْمِلُكَ إِلَى الْيَأْسِ، وَلَا تَجْعَلْ مَاضِيَكَ قَيْدًا يَمْنَعُكَ مِنَ النُّهُوضِ.
انسَ الذَّنْبَ لَا اسْتِخْفَافًا، بَلْ تَحَرُّرًا، لِتُوَاصِلَ السَّيْرَ إِلَى اللهِ.

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِيمَا يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّهِ:
"يَا ابْنَ آدَمَ، لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ، ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي، غَفَرْتُ لَكَ، وَلَا أُبَالِي".
"رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَهْ"

وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ **قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ**
إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ ﴾ الزُّمَر: ٥٣

مُحَاسَبَةُ النَّفْسِ... سِرُّ صَلَاحِ القُلُوبِ

كَانَ الصَّحَابَةُ الكِرَامُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَهْلَ مُحَاسَبَةٍ وَمُرَاقَبَةٍ لأَنْفُسِهِمْ قَبْلَ أَنْ يُحَاسَبُوا، مِنْهُمْ:

•أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

كَانَ يَضَعُ حَصَاةً فِي فَمِهِ أَحْيَانًا حَتَّى لَا يَتَكَلَّمَ بِمَا لَا يُرْضِي اللهَ، وَيَقُولُ:

"يَا لَيْتَنِي كُنْتُ شَجَرَةً تُعْضَدُ (*أَيْ تُقْطَعُ*) ، وَلَا أُبْعَثُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَلَا أُحَاسَبُ". *رَوَاهُ ابْنُ عَبَّاسٍ*

•عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

كَانَ يَبْكِي وَيَقُولُ:

"وَيْلَكَ يَا عُمَرُ! إِنْ لَمْ يَغْفِرْ لَكَ رَبُّكَ"!

وَكَانَ يُكَرِّرُ عَلَى المِنْبَرِ:

"حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا، وَزِنُوا أَعْمَالَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُوزَنَ عَلَيْكُمْ ". *الطَّبَقَاتِ الكُبْرَى*

•عَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

كَانَ يَمُرُّ عَلَى أَصْحَابِهِ قَائِلًا:

"تَعَالَوْا نُؤْمِنْ سَاعَةً"

فَيَجْلِسُونَ لَيْسَ لِلْحَدِيثِ، بَلْ لِمُحَاسَبَةِ النَّفْسِ:

هَلِ اقْتَرَبْنَا مِنَ اللهِ؟ هَلْ سَلِمَ القَلْبُ مِنَ الغَفْلَةِ؟ *الطَّبَقَاتِ الكُبْرَى*

•عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

كَانَ يَبْكِي حَتَّى تَبْتَلَّ لِحْيَتُهُ، وَيَقُولُ:

"القَبْرُ أَوَّلُ مَنَازِلِ الآخِرَةِ".

يُحَاوِلُ أَنْ يُحَاسِبَ نَفْسَهُ كَأَنَّهَا عَلَى حَافَّةِ القَبْرِ دَائِمًا. *سِيَرِ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ*

•سَلْمَانُ الفَارِسِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: كَانَ يَكْتُبُ كُلَّ مَسَاءٍ فِي دَفْتَرِهِ:

مَاذَا فَعَلْتَ اليَوْمَ يَا سَلْمَانُ؟ وَيْحَكَ يَا سَلْمَانُ! مَاذَا تَقُولُ لِرَبِّكَ؟" *الطَّبَقَاتِ الكُبْرَى*

قَالَ تَعَالَى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ، وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ﴾ سُورَةُ الحَشْرِ: ١٨

فَالغَدُ قَرِيبٌ، وَالحِسَابُ أَقْرَبُ مِمَّا نَتصَوَّرُ.

مِفْتَاحُ المحَاسَبَةِ أَنْ تَسْأَلَ نَفْسَكَ دَائِمًا:

مَاذَا سَأَقُولُ لِلَّهِ غَدًا؟

فَافْتَحْ بَصِيرَتَكَ لِتَرَى النِّعْمَةَ مِنَ اللهِ، وَتَرَى الخَطِيئَةَ مِنْكَ.

- إِنْ وَجَدْتَ طَاعَةً، فَاشْكُرِ اللهَ،
- وَإِنْ وَجَدْتَ ذَنْبًا، فَاسْتَغْفِرْ وَتُبْ.

وَلَكِنَّ المُصِيبَةَ الكُبْرَى أَنْ تَنْسَى نَفْسَكَ، وَتُرَاقِبَ غَيْرَكَ.

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

"يُبْصِرُ أَحَدُكُمُ القَذَاةَ فِي عَيْنِ أَخِيهِ، وَيَنْسَى الجِذْعَ فِي عَيْنِهِ". البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ

فَلَا تُعَيِّرْ، وَلَا تَتَكَبَّرْ، فَمَنْ عَيَّرَ أَخَاهُ بِذَنْبٍ، لَمْ يَمُتْ حَتَّى يَعْمَلَهُ.

اللَّهُمَّ سَلِّمْ، وَسَلِّمْ.

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

"الكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ، وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ المَوْتِ، وَالعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا، وَتَمَنَّى عَلَى اللهِ الأَمَانِيَّ". رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ

مَقَامُ الإِحْسَانِ: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ

كَانَ **عُمَرُ بْنُ عَبْدِ العَزِيزِ** –أَمِيرُ المؤْمِنِينَ – جَالِسًا لَيْلَةً يَكْتُبُ رَسَائِلَ لِلْمُسْلِمِينَ عَلَى ضَوْءِ السِّرَاجِ،
فَدَخَلَ عَلَيْهِ **ابْنُهُ**، وَقَالَ لَهُ شَيْئًا مِنْ أَمْرِهِ الخَاصِّ،
فَأَطْفَأَ **عُمَرُ** السِّرَاجَ!
فَاسْتَغْرَبَ الابْنُ وَسَأَلَ:
"لِمَاذَا أَطْفَأْتَهُ؟"
فَأَجَابَهُ عُمَرُ:
"هَذَا الزَّيْتُ مِنْ **مَالِ الْمُسْلِمِينَ**، وَلَا يَجُوزُ أَنْ أَسْتَخْدِمَهُ فِي أَمْرٍ شَخْصِيٍّ"! سِيَرِ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ
هَذَا هُوَ **مَقَامُ الإِحْسَانِ**:
أَنْ تَخْشَى اللهَ فِي هَمْسَةٍ، فِي نَظْرَةٍ، فِي قَطْرَةِ زَيْتٍ، وَفِي أَدَقِّ الأُمُورِ.

كَانَ **حَسَّانُ بْنُ أَبِي سِنَانٍ**، إِذَا خَلَا بِنَفْسِهِ، وَأَغْلَقَ عَلَيْهِ بَابَهُ،
نَادَى قَلْبَهُ:
"أَلَيْسَ اللهُ يَرَانِي؟"
ثُمَّ يَقُومُ يَبْكِي، وَيُصَلِّي، كَأَنَّ القِيَامَةَ قَدْ قَامَتْ. سِيَرِ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:
"الإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ". رَوَاهُ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ

الإِحْسَانُ هُوَ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ فِي كُلِّ أَحْوَالِكَ:
- فِي صَلَاتِكَ،
- فِي سِرِّكَ،
- فِي مُعَامَلَاتِكَ،
- فِي قَلْبِكَ.

أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ **لَيْسَتْ رُؤْيَةً حَقِيقِيَّةً**،
وَإِنَّمَا هِيَ **رُؤْيَةٌ تَمْثِيلِيَّةٌ، كَأَنَّكَ تَرَى**،

فَهُوَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى **لَا يُرَى فِي الدُّنْيَا بِالأَبْصَارِ،**
إِنَّمَا تُقْبِلُ عَلَيْهِ القُلُوبُ.

وَمَعْنَى الحَدِيثِ:
رَاقِبْ نَفْسَكَ تَمَامَ المرَاقَبَةِ المسْتَمِرَّةِ، وَلَا تَنْسَاهُ أَبَدًا،
لِدَرَجَةِ أَنَّ **سَيِّدَنَا عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كَانَ يُرَاقِبُ نَفْسَهُ بِالأَنْفَاسِ،
فَلَا يَدْخُلُ نَفَسٌ إِلَّا وَهُوَ يَتَأَمَّلُ، وَيَتَدَبَّرُ، وَيَسْتَحْضِرُ عَظَمَةَ اللهِ،
وَلَا يُؤَمِّلُ أَنْ يَخْرُجَ هَذَا النَّفَسُ.... وَلَا يَخْرُجُ نَفَسٌ وَيَأْمُلُ أَنْ يَدْخُلَ،
أَيْ أَنَّهُ **يَنْتَظِرُ الموْتَ دَائِمًا وَبِصِفَةٍ مُسْتَمِرَّةٍ.**

وَالمقْصُودُ :**مَقَامُ المرَاقَبَةِ.**

ثُمَّ تَأْتِي **مَرْتَبَةٌ أُخْرَى:**
فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ، فَهُوَ يَرَاكَ،
وَهَذِهِ **مَرْتَبَةٌ أَقَلُّ** مِنَ المرْتَبَةِ الأُولَى،
فَإِنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَكُونَ دَائِمَ الذِّكْرِ لَهُ عَلَى هَذِهِ المرْتَبَةِ العَالِيَةِ،
الَّتِي وَصَلَ إِلَيْهَا **عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** وَأَوْلِيَاءُ اللهِ الصَّالِحُونَ.

فَاعْلَمْ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ **يَرَاكَ**، وَيَعْلَمُ سِرَّكَ وَنَجْوَاكَ،
فَاسْتَحْ مِنْ نَظَرِهِ، وَأَحْسِنْ عَمَلَكَ، وَأَصْلِحْ نِيَّتَكَ.

قَالَ تَعَالَى:
﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾. سُورَةُ ق: ١٦

هَذِهِ الحَقِيقَةُ يَجِبُ أَنْ تَتَحَوَّلَ إِلَى **إِدْرَاكٍ دَائِمٍ** فِي قُلُوبِنَا:
أَنَّ **اللهَ تَعَالَى أَقْرَبُ إِلَيْنَا مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ،**
فَاتَّقِ اللهَ، وَخَفْهُ.

الذِّكْرُ سَبِيلُ الإِحْسَانِ وَحَيَاةُ القَلْبِ

كَانَ **أَبُو هُرَيْرَةَ** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مِنْ أَكْثَرِ الصَّحَابَةِ ذِكْرًا لِلَّهِ، وَكَانَ يَقُولُ:
"إِنِّي لَأَمْشِي فِي الطَّرِيقِ، وَأَنَا أَذْكُرُ اللهَ، وَأَعُدُّ فِي نَفْسِي تَسْبِيحًا". البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ
أَيْ: حَتَّى وَأَنَا سَاكِتٌ، فَإِنَّ قَلْبِي لَا يَزَالُ يُسَبِّحُ اللهَ.
فَالذِّكْرُ لَا يَنْفَصِلُ عَنِ القَلْبِ، بَلْ يَمْلَؤُهُ إِيمَانًا وَحُضُورًا دَائِمًا.

وَكَانَ التَّابِعِيُّ الجَلِيلُ **سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ** كَثِيرَ الذِّكْرِ، يَخْتِمُ القُرْآنَ فِي **لَيْلَتَيْنِ**، حَتَّى قَالَ عَنْهُ **الإِمَامُ أَحْمَدُ**:
"مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَخْوَفَ مِنَ اللهِ مِنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ". الإِمَامُ أَحْمَدُ

وَعِنْدَ قَتْلِهِ عَلَى يَدِ **الحَجَّاجِ**، كَانَ **يَذْكُرُ اللهَ** حَتَّى وَهُوَ يُسَاقُ إِلَى المَوْتِ،
فَمَا تَغَيَّرَ لَوْنُهُ، وَلَا اضْطَرَبَ قَلْبُهُ، بَلْ بَقِيَ ثَابِتًا **ذَاكِرًا**.
ثُمَّ دَعَا عَلَى الحَجَّاجِ قَائِلًا:
"اللَّهُمَّ لَا تُسَلِّطِ الحَجَّاجَ عَلَى أَحَدٍ بَعْدِي" .ابْنُ كَثِيرٍ

فَلَمْ يَعِشِ الحَجَّاجُ بَعْدَهُ إِلَّا **خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا**، وَكَانَ يَهْذِي وَهُوَ يَحْتَضِرُ، وَيُرَدِّدُ:
"مَا لِي وَلِسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ؟! مَا لِي وَلِسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ؟"!

وَأَمَّا **شَيْخُ الإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ**، فَكَانَ يَقُولُ:
"إِنَّ فِي الدُّنْيَا جَنَّةً، مَنْ لَمْ يَدْخُلْهَا لَمْ يَدْخُلْ جَنَّةَ الآخِرَةِ".
وَكَانَ يَقُولُ أَيْضًا: إِنِّي لَأَخْرُجُ إِلَى السُّوقِ، فَمَا أَرَى إِلَّا اللهَ". وَرَدَ فِي كُتُبِهِ وَفَتَاوَاهُ

فَكُلَّمَا أَكْثَرْتَ مِنَ الذِّكْرِ:
زَادَ **حُضُورُ قَلْبِكَ**، وَازْدَادَ **خُشُوعُكَ**، وَاقْتَرَبْتَ مِنْ **مَقَامِ الإِحْسَانِ**.

وَقَدْ **سُئِلَ النَّبِيُّ** ﷺ عَنِ" **المُفَرِّدُونَ**"، فَقَالَ:
"الذَّاكِرُونَ اللهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتُ". رَوَاهُ النَّسَائِيُّ

أَيْ: الَّذِينَ **سَبَقُوا غَيْرَهُمْ** إِلَى المَنَازِلِ العَالِيَةِ،
فَصَارُوا **يَرَوْنَ اللهَ فِي كُلِّ شَيْءٍ**، وَيَرَوْنَ لَهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ **آيَةً** تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ الوَاحِدُ الأَحَدُ.

وَإِنْ قُلْتَ لِأَحَدِهِمْ: "اذْكُرِ اللهَ"! أَجَابَكَ" :**مَتَى نَسِيتُهُ حَتَّى أَذْكُرَهُ؟**"!

فَذِكْرُهُمْ لِلَّهِ لَيْسَ **تَذَكُّرًا عَابِرًا** يَمُرُّ عَلَى العَقْلِ، بَلْ **تَعَبُّدٌ وَمُنَاجَاةٌ**.

إِنَّهُمْ يَقُولُونَ:
لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، سُبْحَانَ اللهِ، حَسْبُنَا اللهُ، إِنَّا لِلَّهِ، مَا شَاءَ اللهُ
لَيْسَ **بِأَلْسِنَتِهِمْ فَقَطْ**، وَلَا **بِأَفْهَامِهِمْ فَقَطْ**، بَلْ **يَعِيشُونَهَا فِي كُلِّ لَحْظَةٍ**.

فَكُلُّ عَيْشٍ لَهُمْ هُوَ ذِكْرٌ:
حَتَّى فِي طَعَامِهِمْ، يَقْصِدُونَ بِهِ التَّقَوِّيَ عَلَى العِبَادَةِ،
فَيَأْكُلُونَ **بِاسْمِ اللهِ**، وَيَحْمَدُونَهُ أَنْ رَزَقَهُمْ **مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ وَلَا قُوَّةٍ**.

كُلُّ **عَادَاتِهِمْ** وَ**أَحْوَالِهِمْ** مُعَلَّقَةٌ بِاللهِ، **مُتَوَكِّلَةٌ عَلَيْهِ وَحْدَهُ**.

قَالَ **ابْنُ عَبَّاسٍ** رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا:
"لَمْ يَجْعَلِ اللهُ لِلذِّكْرِ حَدًّا يُنْتَهَى إِلَيْهِ، وَلَمْ يُعْذِرْ أَحَدًا فِي تَرْكِهِ إِلَّا **مَغْلُوبًا عَلَى عَقْلِهِ**، وَأَمَرَ بِهِ فِي كُلِّ الأَحْوَالِ، فَقَالَ": ﴿ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ﴾ النِّسَاء: ١٠٣

فَالذِّكْرُ يُحْيِي القَلْبَ، وَيُحَفِّزُ الجَوَارِحَ عَلَى الطَّاعَةِ.
فَلَوْ ذَكَرُوا اللهَ فِي القَلْبِ حَقًّا،
لَأَطَاعُوهُ، وَلَأَحَبُّوهُ، وَلَخَافُوهُ، وَلَخَشَعُوا لَهُ، وَلَتَجَافَتْ جُنُوبُهُمْ عَنِ المَضَاجِعِ، وَلَأَفْلَحُوا.

فَإِنَّ **الذِّكْرَ القَلِيلَ لَا يَكْفِي قَلْبًا** تَتَنَازَعُهُ الغَفْلَةُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ،
فَلَابُدَّ مِنْ **كَثْرَةِ الذِّكْرِ، وَاسْتِدَامَتِهِ**، حَتَّى **يَحْيَا بِهِ القَلْبُ**،
وَتُصْبِحَ مِنَ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ **قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ**،
فَتَكُونَ فِي **حَالِ ذِكْرٍ دَائِمٍ**.

وَصِيَّةُ النَّبِيِّ ﷺ لِلشَّيْخِ الْكَبِيرِ

جاءَ رَجُلٌ إلى النَّبِيِّ ﷺ، **وقد أَثْقَلَتْهُ السِّنُونُ**، وأَرْهَقَتْهُ كَثْرَةُ التَّكَالِيفِ، فَقال:
"يا رَسُولَ اللهِ، إنَّ شَرَائِعَ الإسْلَامِ قد كَثُرَتْ عَلَيَّ، وأَنَا شَيْخٌ كَبِيرٌ، فَأَخْبِرْنِي بِوَصِيَّةٍ أَتَشَبَّثُ بِهَا، لا تَفْلِتُ مِنْ يَدِي، ولا يَضِيعُ بِهَا عُمْرِي".
فَأَجَابَهُ النَّبِيُّ ﷺ بِكَلِمَاتٍ يَسِيرَاتٍ، لَكِنَّهَا مِنْ أَوْسَعِ أَبْوَابِ الْخَيْرِ:
"لا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللهِ ". *الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ*

هيَ عِبَادَةٌ لا تَحْتَاجُ جُهْدًا بَدَنِيًّا، ولا وَقْتًا طَوِيلًا، ولا مَالًا كَثِيرًا،
فَقَطْ قَلْبٌ حَاضِرٌ، وِلِسَانٌ لا يَجِفُّ مِنَ التَّسْبِيحِ وَالتَّحْمِيدِ وَالتَّهْلِيلِ وَالتَّكْبِيرِ،
فِي كُلِّ حَالٍ: فِي الْمَرَضِ، فِي السَّفَرِ، عَلَى الْفِرَاشِ، أَوْ بَيْنَ النَّاسِ...
اجْعَلْ لِسَانَكَ رَطْبًا، وَسَيَبْقَى قَلْبُكَ حَيًّا.

ما أَسْهَلَ هَذَا الزَّادَ، وَمَا أَعْظَمَهُ فِي زَمَنٍ ضَاقَ فِيهِ الْوَقْتُ، وَقَلَّ فِيهِ الْمَالُ، وَتَقَلَّصَ فِيهِ الأَمَانُ.

وَمِنْ وَصَايَا الْعَارِفِينَ لِلشَّيْخِ الْكَبِيرِ:
مَن أَرَادَ أَنْ يَسْتَدْرِكَ مَا فَاتَهُ، فَلْيُكْثِرْ مِنَ الأَذْكَارِ الْجَامِعَةِ،
فَإِنَّهَا تُطِيلُ الْعُمْرَ الْقَصِيرَ، وَتُثَقِّلُ الْمِيزَانَ، مِثْلَ قَوْلِهِ ﷺ:
"سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، عَدَدَ خَلْقِهِ، وَرِضَا نَفْسِهِ، وَزِنَةَ عَرْشِهِ، وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ ". رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

وَإِنْ فَاتَكَ كَثْرَةُ الصِّيَامِ وَالْقِيَامِ، فَلا بَأْسَ، فَأَكْثِرْ مِنَ الصَّلَاةِ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ،
فَإِنَّكَ لَوْ قَضَيْتَ عُمْرَكَ فِي الطَّاعَةِ، ثُمَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْكَ صَلاَةً وَاحِدَةً، لَرَجَحَتْ عَلَى كُلِّ مَا عَمِلْتَ.
الصَّلَاةُ مِنَ اللهِ: رَحْمَةٌ، وَبَرَكَةٌ، وَمَغْفِرَةٌ.
أَنْتَ تُصَلِّي عَلَى قَدْرِ وُسْعِكَ، وَهُوَ يُصَلِّي عَلَيْكَ عَلَى قَدْرِ رُبُوبِيَّتِهِ.

وَاسْمَعُوا قَوْلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ:
"أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ، وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ،
وَأَزْكَاها عِنْدَ مَلِيكِكُمْ،

وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ إِعْطَاءِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ،
وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ، وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ؟"
قالوا: بَلَى
قال ﷺ:" **ذِكْرُ اللهِ تَعَالَى"** *رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ*

هَذَا الْحَدِيثُ يَدُلُّ أَوَّلًا عَلَى أَنَّ :**الثَّوَابَ لا يَرْتَبِطُ دَائِمًا بِالْمَشَقَّةِ،**
فَالذِّكْرُ عَمَلٌ يَسِيرٌ عَلَى الْجَوَارِحِ، عَظِيمٌ فِي الْمِيزَانِ.
وَيَدُلُّ ثَانِيًا عَلَى أَنَّ **ذِكْرَ اللهِ مِنْ أَعْظَمِ الأَعْمَالِ شَرَفًا،**
يَفُوقُ الْجِهَادَ وَالصَّدَقَةَ فِي الأَجْرِ عِندَ اللهِ.

فَكَيْفَ نُهْمِلُ كَلِمَاتٍ يَسِيرَةً مِثْلَ:
"سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ"
وَالَّتِي تُثَقِّلُ الْمِيزَانَ، وَيَذْكُرُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ قَائِلَهَا بِخَيْرٍ فِي الْمَلَإِ الأَعْلَى وَسَطَ مَلَائِكَتِهِ وَصَفْوَةِ خَلْقِهِ؟!

قال تعالى:
﴿ **فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ** ﴾ *سورة البقرة: ١٥٢*

فَمَا أَسْهَلَ الْعَمَلَ، وَمَا أَوْسَعَ الرَّحْمَةَ، وَمَا أَكْرَمَ الرَّبَّ!

الدَّلِيلُ علَى وُجُودِ اللهِ

سُئِلَ أَعْرَابِيٌّ عَنِ **الدَّلِيلِ عَلَى وُجُودِ اللهِ**،
فَقَالَ **بِدَهْشَةٍ وَإِجْلَالٍ**:

"يَا سُبْحَانَ اللهِ!
إِنَّ **الْبَعَرَ** يَدُلُّ عَلَى **الْبَعِيرِ**،
وَإِنَّ **أَثَرَ الْقَدَمِ** يَدُلُّ عَلَى **الْمَسِيرِ**،
فَ**سَمَاءٌ ذَاتُ أَبْرَاجٍ**،
وَأَرْضٌ ذَاتُ فِجَاجٍ،
وَبِحَارٌ ذَاتُ أَمْوَاجٍ،
أَلَا يَدُلُّ هَذَا كُلُّهُ عَلَى **وُجُودِ اللَّطِيفِ الْخَبِيرِ؟"!**

وَقَالَ أَحَدُ الصَّالِحِينَ رَحِمَهُ اللهُ:
"وَإِذَا قِيلَ لَكَ: **بِمَ عَرَفْتَ رَبَّكَ؟**
فَقُلْ: أَعْرِفُهُ **بِآيَاتِهِ وَمَخْلُوقَاتِهِ.**
وَمِنْ آيَاتِهِ: **اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ،**
وَمِنْ مَخْلُوقَاتِهِ: **السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَمَنْ فِيهِنَّ،**
وَالْأَرَضُونَ السَّبْعُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَمَا بَيْنَهُمَا".

قَالَ تَعَالَى:
﴿ **الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً**
وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ
فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ *البقرة: الآية ٢٢*

قَالَ بَعْضُ الْأُدَبَاءِ تَعْلِيقًا عَلَى هَذِهِ الآيَةِ:
"إِذَا تَأَمَّلْتَ هَذَا الْعَالَمَ، وَجَدْتَهُ **كَبَيْتٍ مُعَدٍّ** فِيهِ كُلُّ مَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ:

- **فَالسَّمَاءُ** مَرْفُوعَةٌ **كَسَقْفِ الْبَيْتِ،**
- **وَالْأَرْضُ** مَمْدُودَةٌ **كَبِسَاطِهِ،**
- **وَالنُّجُومُ** مُنِيرَةٌ **كَمَصَابِيحَ،**
- **وَالْإِنْسَانُ كَصَاحِبِ الْبَيْتِ** المتَصَرِّفِ فِيهِ.

وَفِي هَذَا **دَلَالَةٌ وَاضِحَةٌ** عَلَى أَنَّ الْعَالَمَ **مَخْلُوقٌ بِتَدْبِيرٍ كَامِلٍ،**
وَتَقْدِيرٍ شَامِلٍ، وَحِكْمَةٍ بَالِغَةٍ، وَقُدْرَةٍ غَيْرِ مُتَنَاهِيَةٍ.

وَلَقَدْ لَفَتَ اللهُ سُبْحَانَهُ **الْأَنْظَارَ** كَثِيرًا إِلَى **التَّفَكُّرِ وَالتَّدَبُّرِ** فِي خَلْقِهِ، فَقَالَ تَعَالَى:
﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ
وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ *آل عمران: الآية ١٩١*

فَهُمْ يَذْكُرُونَهُ فِي كُلِّ حَالٍ:
قَائِمِينَ، وَقَاعِدِينَ، وَهُمْ عَلَى جُنُوبِهِمْ،
وَلَا يَكْتَفُونَ بِالذِّكْرِ، بَلْ **يَزِيدُونَ عَلَيْهِ بِالتَّفَكُّرِ وَالتَّدَبُّرِ** فِي الْكَوْنِ،
لِيَعِيشُوا **عَظَمَةَ اللهِ** فِي قُلُوبِهِمْ،
فَتَسِيلَ الدُّمُوعُ **مِنْ خَشْيَتِهِ وَقُدْرَتِهِ،**
وَيَرْفَعُونَ الأَكُفَّ قَائِلِينَ:

﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا، سُبْحَانَكَ، فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ *آل عمران: الآية ١٩١*

وَقَالَ **الحَسَنُ البَصْرِيُّ** رَحِمَهُ اللهُ:
"تَفَكُّرُ سَاعَةٍ خَيْرٌ مِنْ قِيَامِ لَيْلَةٍ".

فَضْلُ حِفْظِ القُرْآنِ

بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ سَرِيَّةً مِنْ أَصْحَابِهِ، وَكَانُوا جَمَاعَةً كَثِيرَة،
فَأَرَادَ أَنْ يَخْتَارَ لَهُمْ أَمِيرًا،
فَبَدَأَ يَسْأَلُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ:
"مَا مَعَكَ مِنَ القُرْآنِ يَا فُلَان؟"

حَتَّى جَاءَ إِلَى شَابٍّ مِنْهُمْ، وَهُوَ **أَصْغَرُهُمْ سِنًّا،**
فَقَالَ لَهُ:
"مَا مَعَكَ مِنَ القُرْآنِ؟"
فَأَجَابَهُ:
"مَعِي كَذَا وَكَذَا، وَسُورَةُ البَقَرَةِ".

فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ مُسْتَغْرِبًا:
"أَمَعَكَ سُورَةُ البَقَرَةِ؟"!
قَالَ: "نَعَمْ".
فَقَالَ لَهُ ﷺ:
"اذْهَبْ، فَأَنْتَ أَمِيرُهُمْ".

فَهَكَذَا جَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ إِتْقَانَ القُرْآنِ مِعْيَارًا لِلْقِيَادَةِ،
لَا السِّنُّ، وَلَا الجَاهُ، بَلْ مَا يَحْمِلُهُ القَلْبُ مِنْ نُورِ كَلَامِ اللهِ.

وَيَوْمَ القِيَامَةِ، يُقَالُ **لِصَاحِبِ القُرْآنِ** —أَيْ: الَّذِي لَازَمَهُ **حِفْظًا وَتِلَاوَةً وَتَدَبُّرًا وَعَمَلًا:**
"اقْرَأْ وَارْقَ"، فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِندَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَؤُهَا".
ثُمَّ يُقَالُ لَهُ:
"اقْبِضْ".

فَيَقْبِضُ، فَإِذَا فِي يَدِهِ اليُمْنَى" :**الخُلْدُ**"،

وَفِي يَدِهِ اليُسْرَى" :**النَّعِيمُ**." رَوَاهُ التِّرْمِذِي

فَيَرْتَقِي فِي الدَّرَجَاتِ **دَرَجَةً بَعْدَ دَرَجَةٍ**، حَتَّى يَنْتَهِيَ مَا مَعَهُ مِنَ القُرْآنِ.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

"عَدَدُ دَرَجَاتِ الجَنَّةِ عَدَدُ آيِ القُرْآنِ،

فَمَنْ دَخَلَ الجَنَّةَ مِنْ أَهْلِ القُرْآنِ فَلَيْسَ فَوْقَهُ دَرَجَةٌ". رَوَاهُ أَحْمَد

كُلُّ آيَةٍ تَحْفَظُهَا، وَتُرَتِّلُهَا، وَتَعْمَلُ بِهَا...

هِيَ **دَرَجَةٌ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ**.

فَأَهْلُ القُرْآنِ هُم **أَهْلُ اللهِ وَخَاصَّتُهُ،**

هُمُ **السَّابِقُونَ إِلَى الفِرْدَوْسِ،**

الرُّفَقَاءُ فِي أَعْلَى المَنَازِلِ،

لَا أَحَدَ فَوْقَهُمْ دَرَجَةً.

فَهُوَ لَيْسَ كِتَابًا يُقْرَأُ فَقَط،

بَلْ **دَسْتُورُ حَيَاةٍ، وَرَفِيقُ دَرْبٍ، وَسِرُّ الثَّبَاتِ** عَلَى الطَّاعَةِ وَالاسْتِقَامَةِ.

قَالَ تَعَالَى:

﴿ **قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ القُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا** ﴾

﴿**وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ** ﴾. النحل: ١٠٢

الذي تَعَلَّمَ القُرْآنَ ثُمَّ هَجَرَهُ

رَأَى **رَسُولُ اللهِ** ﷺ فِي مَنَامِهِ مَشْهَدًا يُفَطِّرُ القَلْبَ...

جَاءَهُ **مَلَكَانِ**، فَأَخَذَا بِيَدِهِ، حَتَّى مَرَّا عَلَى **رَجُلٍ مُضْطَجِعٍ**، مُسْتَلْقٍ عَلَى **قَفَاهُ**،
وَعِندَ رَأْسِهِ **رَجُلٌ قَائِمٌ**، بِيَدِهِ **حَجَرٌ ثَقِيلٌ**،
يَضْرِبُ بِهِ **رَأْسَ المُضْطَجِعِ** حَتَّى يَتَشَقَّقَ، فَيَتَهَشَّمَ الرَّأْسُ،
ثُمَّ يَتَدَحْرَجُ الحَجَرُ بَعِيدًا...
فَيَذْهَبُ الرَّجُلُ لِيَأْتِيَ بِهِ، فَيَعُودُ الرَّأْسُ كَمَا كَان،
فَيَعُودُ إِلَيْهِ، فَيَضْرِبُهُ ثَانِيَةً، وَثَالِثَةً، وَهَكَذَا...

فَقَالَ ﷺ:

"مَنْ هَذَا؟"

فَقَالَا:

"هَذَا رَجُلٌ عَلَّمَهُ اللهُ القُرْآنَ، فَنَامَ عَنْهُ بِاللَّيْلِ، وَلَمْ يَعْمَلْ بِهِ فِي النَّهَارِ، فَيُفْعَلُ بِهِ مَا رَأَيْتَ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ". *رَوَاهُ البُخَارِي*

فَالقُرْآنُ لَيسَ لِلزِّينَةِ... بَلْ لِلهِدَايَةِ وَالعَمَلِ.

قَالَ ﷺ:

"مَا آمَنَ بِالقُرْآنِ مَنْ اسْتَحَلَّ مَحَارِمَهُ". *رَوَاهُ التِّرْمِذِي*

فَالقُرْآنُ لَمْ يُنَزَّلْ لِيُعَلَّقَ، أَوْ يُزَخْرَف،
وَإِنَّمَا لِيُعْمَلَ بِهِ:
يُحَرَّمَ حَرَامُه، وَيُحَلَّلَ حَلَالُه،
يُقْرَأَ **بِتَدَبُّرٍ**، وَيُتَّبَعَ **بِإِخْلَاصٍ**.

فَمَنْ قَرَأَ القُرْآنَ وَلَمْ يَنْهَهُ، فَمَا قَرَأَهُ حَقًّا.

قَالَ ﷺ:

"اقْرَأِ القُرْآنَ مَا نَهَاكَ، فَإِذَا لَمْ يَنْهَكَ فَلَسْتَ تَقْرَأُهُ". *أَخْرَجَهُ الطَّبَرِي*

وَفِي أَثْنَاءِ القِرَاءَةِ:

إِذَا مَرَرْتَ بِآيَةٍ فِيهَا **تَسْبِيحٌ** :فَسَبِّحْ.

وَإِنْ كَانَتْ **دُعَاءً** :فَادْعُ.

وَإِنْ كَانَتْ **رَجَاءً** :فَاسْأَلْ.

وَإِنْ كَانَتْ **تَخْوِيفًا** :فَاسْتَعِذْ.

قُلْ مِنْ قَلْبِكَ وَلِسَانِكَ:

"سُبْحَانَ اللهِ"

"اللَّهُمَّ ارْحَمْنَا"

"نَعُوذُ بِكَ يَا رَبّ"

"اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا"

هَذَا هُوَ **هَدْيُ نَبِيِّكَ** ﷺ، وَهَكَذَا كَانَ **الصَّحَابَةُ** رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ.

فَاجْعَلْ لَكَ وِرْدًا يَوْمِيًّا مَعَ القُرْآنِ، لَا تَتَخَلَّفْ عَنْهُ،

وَلَا تُقَدِّمْ عَلَيْهِ شَيْئًا مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا،

وَاحْذَرْ أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ **شُدِخَ رَأْسُهُ** لِأَنَّهُ نَسِيَ مَا عَلَّمَهُ اللهُ**!**

وصلُّوا بالليلِ والناسُ نِيام... تَدخُلوا الجنةَ بسلام

في مَوقِفٍ عَظيمٍ ومُؤثِّرٍ، يَروِيهِ الصَّحابيُّ الجَليلُ عبدُ اللهِ بنُ سَلَامٍ رضيَ اللهُ عنه، وكانَ مِن أَحبارِ اليَهُودِ وعُلمائِهم، مِمَّن عَرَفُوا أوصافَ النَّبيِّ ﷺ في كُتُبِهم.

فلمَّا بَلَغَ النَّبيُّ ﷺ المدينةَ مُهاجِرًا،

خَرَجَ عبدُ اللهِ يتحقَّقُ مِن وجهِهِ، ويتأمَّلُ، ويتحرَّى علاماتِ النُّبوَّةِ.

قال عبدُ اللهِ:

"فلمَّا رَأَيْتُ وجهَهُ، عَلِمتُ أنَّ وجهَهُ ليسَ بوجهِ كذَّابٍ".

وكان أوَّلَ ما سَمِعَهُ مِن النَّبيِّ ﷺ حينَ دَخَلَ المدينةَ يُخاطِبُ النَّاسَ:

"يا أيُّها النَّاسُ، أَفْشُوا السَّلامَ، وأَطعِمُوا الطَّعامَ، وصِلُوا الأرحامَ، وصَلُّوا باللَّيلِ والنَّاسُ نِيامٌ، تَدخُلُوا الجَنَّةَ بِسَلامٍ ". *رواه الترمذي.*

فَدَخَلَ الإيمانُ قَلبَهُ مِن فَورِهِ، وأَعلَنَ إسلامَهُ، وكانَ مِن خِيارِ الصَّحابةِ.

رَوَت عائشةُ رضيَ اللهُ عنها أنَّها رَأَت النَّبيَّ ﷺ يُصلِّي حتَّى تَفطَّرت قَدماهُ،

فقالت لهُ:

"يا رَسُولَ اللهِ، لِمَ تَصنَعُ هذا، وقد غُفِرَ لَكَ ما تَقدَّمَ مِن ذَنبِكَ وما تَأَخَّرَ؟"

فقال ﷺ:

"أفَلَا أَكُونُ عَبدًا شَكُورًا؟ " *البخاري ومسلم.*

فقيامُ اللَّيلِ... هو طَريقُ الشُّكرِ والشَّرَفِ.

وكانَ عُمرُ بنُ الخطَّابِ رضيَ اللهُ عنه يُقِيمُ اللَّيلَ،

فلمَّا نَصَحَهُ ابنُهُ بالنَّومِ، قال:

"إن نِمتُ اللَّيلَ ضَيَّعتُ نَفسي، وإن نِمتُ النَّهارَ، ضَيَّعتُ رَعِيَّتي".

وكانَ الصَّحابةُ رِضوانُ اللهِ عليهم يَقومونَ اللَّيلَ حينَ يَنامُ النَّاسُ،

يُناجونَ ربَّهُم في ظُلمَةِ اللَّيلِ،

ويَسأَلونَ الجَنَّةَ بدَمعَةٍ، ودُعاءٍ، ورَكعةٍ.

قال تعالى:

﴿ **تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ** يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾
﴿ **فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم** مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ *السجدة: ١٦–١٧*

وقالَ جبريلُ عليهِ السَّلامُ للنَّبيِّ ﷺ:

"يا محمَّدُ، واعلَمْ أنَّ شَرَفَ المُؤمنِ قِيامُهُ باللَّيلِ ". *رواه الحاكم.*

أَيَّ أَنَّهُ بِقِيَامِهِ اللَّيْلَ يَنَالُ الشَّرَفَ وَالدَّرَجَاتِ الْعُلَى.

ومَن تَرَكَهُ، يُقالُ لهُ يومَ القِيامةِ:

"شَغَلتَ نفسَكَ عنَّا، فَشَغلناكَ عن عِبادَتِنا "! *مرويٌّ بمعناهُ في آثارٍ مُتعدِّدةٍ.*

قال تعالى:

﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ** ﴾ *التوبة: ١١١*

فَهَلْ رَأَيْتَ عَبدًا يُشْتَرَى لِيَأْكُلَ ويَنام؟

وفي مَشهَدٍ مِن يَومِ القِيامةِ،

قالَ رسولُ اللهِ ﷺ:

"إذا جَمَعَ اللهُ الأوَّلينَ والآخِرينَ يومَ القِيامةِ، جاءَ مُنادٍ يُنادي بصَوتٍ يَسمَعُهُ الخَلائِقُ:
سَيعلَمُ أهلُ الجمعِ اليومَ مَن أَولَى بالكَرمِ،
ثم يُنادِي: لِيَقُمْ الَّذينَ كانت تَتجافَى جُنُوبُهُم عنِ المضاجِعِ،
فَيَقُومونَ، فيُسَرَّحُونَ إلى الجَنَّةِ ". *رواه الطبراني.*

الزُّهدُ الشرعي... لا اعتزالَ ولا انقِطاع

اقْتَرَبَ عُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ بِقَلْبٍ مُتَشَوِّقٍ لِلْعِبَادَةِ، وَقَالَ:
"يَا رَسُولَ اللهِ، أَتَأْذَنُ لِي فِي التَّرَهُّبِ؟"
أَي: أَنْ يَعْتَزِلَ الدُّنْيَا وَيَتَفَرَّغَ لِلتَّقَشُّفِ وَالْعِبَادَةِ، كَمَا يَفْعَلُ الرُّهْبَانُ فِي الدِّيَانَاتِ الأُخْرَى.

فَالصَّحَابَةَ، رَغْمَ شِدَّةِ وَرَعِهِمْ، كَانُوا يَسْأَلُونَ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ الْعَمَلِ قَبْلَ الْإِقْدَامِ عَلَيْهِ،
لَعَلَّهُ يَكُونُ مِمَّا يُحِبُّهُ اللهُ، أَوْ مِمَّا لَا يَرْضَاهُ...
أَهُوَ وَاجِبٌ؟ أَمْ حَرَامٌ؟ أَمْ مَكْرُوهٌ؟ أَمْ مَنْدُوبٌ؟ أَمْ مُبَاحٌ؟

فَالْقَاعِدَةُ الشَّرْعِيَّةُ:
الْأَصْلُ فِي الْأَفْعَالِ: التَّقَيُّدُ بِالْحُكْمِ الشَّرْعِيِّ، لَا بِالْهَوَى وَلَا بِالْمَيْلِ الشَّخْصِيِّ.

فَلَمْ يَعْتَرِضِ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى نِيَّةِ عُثْمَانَ فِي الزُّهْدِ،
وَلَكِنَّهُ وَجَّهَ الزُّهْدَ إِلَى الطَّرِيقِ الشَّرْعِيِّ الصَّحِيحِ، فَقَالَ لَهُ:
"**إِنَّ تَرَهُّبَ أُمَّتِي: الْجُلُوسُ فِي الْمَسَاجِدِ لِانْتِظَارِ الصَّلَاةِ** ". *رواه أبو داود وأحمد*

فَالزُّهْدُ الْحَقِيقِيُّ لَيْسَ بِاعْتِزَالِ النَّاسِ وَالِانْقِطَاعِ عَنِ الْحَيَاةِ،
بَلْ فِي رَبْطِ الْقَلْبِ بِالْآخِرَةِ،
وَفِي أَدَاءِ الْوَاجِبَاتِ عَلَى أَكْمَلِ وَجْهٍ.

الزَّاهِدُ الْحَقُّ... لَا يَهْرُبُ مِنَ الدُّنْيَا، بَلْ يَضَعُهَا فِي يَدِهِ، لَا فِي قَلْبِهِ.

الزَّاهِدُ الشَّرْعِيُّ هُوَ مَنْ يَفْهَمُ الدُّنْيَا فَهْمًا صَحِيحًا:

فَيَتَعَامَلُ مَعَهَا كَوَسِيلَةٍ لَا غَايَةٍ،
وَيَنَالُ الْآخِرَةَ بِالسَّعْيِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ،
لَا تَمْلِكُهُ الدُّنْيَا، وَلَا تُلْهِيهِ عَنْ آخِرَتِهِ،
لَا تَغْلِبُهُ شَهْوَةٌ، وَلَا تَسَيْطِرُ عَلَيْهِ شُبْهَةٌ، وَلَا يَجْرِفُهُ الطَّمَعُ.

فَهُوَ حِينَ يَكُونُ **بَطَلَ جِهَادٍ**، يَكُونُ أَيْضًا **حَلِيفَ مِحْرَابٍ**.
وَحِينَ يَكُونُ غَنِيًّا، يَكُونُ **مُتَوَاضِعًا**.
وَإِذَا تَوَلَّى **مَنْصِبًا**، تَوَلَّاهُ **بِأَمَانَةٍ وَعَدْلٍ**.

وَأَهَمُّ صِفَاتِ الزَّاهِدِ الصَّادِقِ:

عَبْدٌ خَاشِعٌ فِي صَلَاتِهِ
مُعْرِضٌ عَنِ اللَّغْوِ
مُؤَدٍّ لِزَكَاتِهِ
غَاضٌّ لِبَصَرِهِ
حَافِظٌ لِلْأَمَانَةِ
وَفِيٌّ بِعَهْدِهِ
مُجَاهِدٌ فِي سَبِيلِ اللهِ
لَا يُؤْذِي الْمُسْلِمِينَ **بِلِسَانِهِ** أَوْ **يَدِهِ**

فالْعِبَادَةُ لَيْسَتْ فَقَطْ جُلُوسًا فِي الْمَسْجِدِ وَتَسْبِيحًا...
إِنَّمَا هِيَ :**مِنْهَاجُ حَيَاةٍ، وَشُعُورٌ عَمِيقٌ بِالْمَسْؤُولِيَّةِ** تِجَاهَ النَّفْسِ وَالنَّاسِ.

وَاعْلَمْ أَنَّ الزُّهْدَ الْحَقِيقِيَّ هُوَ فِي **الطَّاعَةِ وَالِالْتِزَامِ**، لَا فِي **الْجَهْلِ أَوِ الِانْزِوَاءِ**.
فَمَنْ أَرَادَ الزُّهْدَ، **فَلْيَكُنْ قَلْبُهُ زَاهِدًا، لَا بَدَنُهُ مُعْتَزِلًا**.

شِفَاءُ العَيِّ السُّؤَالُ

فِي حَادِثَةٍ مُؤْلِمَةٍ وَقَعَتْ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ،
خَرَجَ الصَّحَابَةُ فِي سَفَرٍ، فَأَصَابَ أَحَدَهُمْ حَجَرٌ، فَشَجَّهُ فِي رَأْسِهِ،
ثُمَّ احْتَلَمَ، فَسَأَلَ رِفَاقَهُ" :**هَلْ تَجِدُونَ لِي رُخْصَةً فِي التَّيَمُّمِ؟**"
فَأَجَابُوهُ — بِلا عِلْمٍ" :— **مَا نَجِدُ لَكَ رُخْصَةً وَأَنْتَ تَقْدِرُ عَلَى الْمَاءِ**".
فَاغْتَسَلَ الرَّجُلُ، فَمَاتَ.
فَلَمَّا أَخْبَرُوا النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ غَاضِبًا:
"**قَتَلُوهُ قَتَلَهُمُ اللهُ! أَلَا سَأَلُوا إِذْ لَمْ يَعْلَمُوا؟! فَإِنَّمَا شِفَاءُ العَيِّ السُّؤَالُ**"!
ثُمَّ قَالَ ﷺ" :**إِنَّمَا كَانَ يَكْفِيهِ أَنْ يَتَيَمَّمَ،**
أَوْ يَعْصِبَ عَلَى جُرْحِهِ، ثُمَّ يَمْسَحَ عَلَيْهِ،
وَيَغْسِلَ سَائِرَ جَسَدِهِ ". *رواه أبو داود والدَّارَقُطْنِي.*

فَالْعَيُّ هُوَ الْجَهْلُ، وَلَا يُعَالَجُ إِلَّا بِالسُّؤَالِ،
فَكَمْ مِنْ نَفْسٍ هَلَكَتْ، وَكَمْ مِنْ حَقٍّ ضَاعَ،
بِسَبَبِ الْخَجَلِ مِنْ طَلَبِ الْحَقِّ،
أَوْ لِفَتْوَى بِغَيْرِ عِلْمٍ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ **فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ** ﴾ *النحل: ٤٣*
فَالشَّرِيعَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ قَدْ أَحَاطَتْ بِجَمِيعِ أَفْعَالِ الْإِنْسَانِ إِحَاطَةً تَامَّةً شَامِلَةً،
قَالَ تَعَالَى: ﴿ **وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ** ﴾ *النحل:٨٩*

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:
"**الْحَلَالُ بَيِّنٌ، وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ** ". *متفقٌ عليه*

كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يُخْطِئُونَ فِي فَهْمِ "**الْأُمُورِ الْمُشْتَبِهَاتِ**"،
فَيَظُنُّونَ أَنَّهَا أَشْيَاءُ لَيْسَ لَهَا حُكْمٌ شَرْعِيٌّ وَاضِحٌ،
وَكَأَنَّهَا مَنْطِقَةٌ رَمَادِيَّةٌ تَتَرَدَّدُ بَيْنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ. وَهَذَا غَيْرُ صَحِيحٍ.

الْأُمُورُ الْمُشْتَبِهَاتُ لَهَا حُكْمٌ شَرْعِيٌّ مُحَدَّدٌ، وَلَكِنْ لَا يَعْرِفُهُ "كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ."
أَمَّا أَهْلُ الْعِلْمِ وَالِاخْتِصَاصِ، فَيَعْلَمُونَ أَحْكَامَهَا بِدَلِيلِهَا.

وَمِنَ الْأَمْثِلَةِ عَلَى الْأُمُورِ الْمُشْتَبِهَاتِ:
- الْبُنُوكُ الْإِسْلَامِيَّةُ
- التَّعَامُلُ فِي الْأَسْهُمِ
- الْبَيْعُ بِالتَّقْسِيطِ
- بَعْضُ أَحْكَامِ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ

فَهِيَ لَيْسَتْ غَامِضَةً، لَكِنَّهَا تَحْتَاجُ إِلَى **عِلْمٍ**.
قَالَ تَعَالَى: ﴿ **وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ** ﴾ *النحل: ٨٩*

وَقَالَ ﷺ" :**فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ فَقَدِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ"**...
أَي: مَنْ عَرَفَ حُكْمَ اللهِ فِي تِلْكَ الْمَسَائِلِ، وَالْتَزَمَ بِهِ، فَقَدْ حَمَى دِينَهُ وَسُمْعَتَهُ.
أَمَّا مَنْ تَجَاهَلَ الْحُكْمَ الشَّرْعِيَّ، فَهُوَ كَمَنْ يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى (الْمِنْطَقَةِ الْمَحْمِيَّةِ)، وَقَدْ يَقَعُ فِيهِ دُونَ أَنْ يَدْرِي، تَمَامًا كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:
"كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يَقَعَ فِيهِ".

فَالدِّينُ لَيْسَ تَخْمِينًا أَوِ اجْتِهَادًا شَخْصِيًّا، بَلْ عِلْمٌ يُؤْخَذُ مِنْ أَهْلِهِ.

إِلَى مَن تَلْجَأُ حِينَ تَخَافُ؟

دَخَلَ **الحُصَيْنُ الخُزَاعِيُّ** —وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا مِنْ سَادَةِ العَرَبِ— مَكَّةَ، فَجَلَسَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ بِلُطْفٍ وَهِيبَةٍ، يَسْأَلُهُ بِحِكْمَةِ المرَبِّي:

"يَا أَبَا عِمْرَانَ، كَمْ إِلَهًا تَعْبُدُ؟"

قَالَ الحُصَيْنُ:
"أَعْبُدُ سَبْعَةً: سِتَّةً فِي الأَرْضِ، وَواحِدًا فِي السَّمَاءِ".

فَقَالَ لَهُ ﷺ بِهُدُوءِ الحَكِيمِ:
"فَأَيُّهُمْ تَعُدُّ لِرَغْبَتِكَ وَرَهْبَتِكَ؟"
أَي: لِمَن تَلْجَأُ عِنْدَ الشِّدَّةِ، وَتَطْلُبُ الرِّزْقَ، وَتَخَافُ إِنْ خُذِلْتَ؟

قَالَ الحُصَيْنُ صَادِقًا:
"الَّذِي فِي السَّمَاءِ".

عِنْدَهَا، ابْتَسَمَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ وَقَالَ:
"يَسْتَجِيبُ لَكَ وَحْدَهُ، وَتُشْرِكُهُمْ مَعَهُ؟
اِتْرُكِ السِّتَّةَ، وَاعْبُدِ الَّذِي فِي السَّمَاءِ". رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالطَّبَرَانِيُّ

بُهِتَ الحُصَيْنُ، وَسَكَنَ، وَأَيْقَنَ أَنَّ هَذَا الَّذِي يُخَاطِبُهُ لَيْسَ رَجُلًا عَادِيًّا، بَلْ عَقْلٌ فَوْقَ العُقُولِ، وَرَحْمَةٌ تَهْدِي العُقُولَ إِلَى فِطْرَتِهَا.

ثُمَّ قَالَ بِهُدُوءِ المنْقَادِ:
"عَلِّمْنِي".

فَشَرَحَ لَهُ ﷺ مَعْنَى التَّوْحِيدِ، وَالإِسْلَامِ،
فَأَسْلَمَ الحُصَيْنُ مِنْ فَوْرِهِ، وَنَطَقَ بِالشَّهَادَتَيْنِ!

لِأَنَّ **التَّوْحِيدَ** هُوَ الأَصْلُ الَّذِي تُبْنَى عَلَيْهِ القُلُوبُ.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

"كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يَهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ". البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ

وَمَا هِيَ الفِطْرَةُ؟

هِيَ:

- أَنَّ الخَالِقَ وَاحِدٌ
- أَنَّ الرَّازِقَ وَاحِدٌ
- أَنَّ المعِزَّ وَالمذِلَّ وَاحِدٌ
- أَنَّ الَّذِي أَضْحَكَ وَأَبْكَى، وَأَمَاتَ وَأَحْيَا ... هُوَ وَاحِدٌ

هَذَا هُوَ **التَّوْحِيدُ**، فَمَنِ التَفَتَ إِلَى غَيْرِهِ... فَقَدْ غَفَلَ عَنِ الأَصْلِ، وَجَعَلَ لِلَّهِ **نِدًّا**.

سُئِلَ ﷺ:

"أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ؟"

فَقَالَ:

"أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ". رَوَاهُ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ

لا إِلٰهَ إِلَّا اللَّهُ: أَثْقَلُ كَلِمَةٍ فِي مِيزَانِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ

عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:
**"إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُفْرَضُ عَلَيْهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ سِجِلًّا، كُلُّ سِجِلٍّ مِنْهَا طَوِيلٌ كَمَدِّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يُسْأَلُ هَذَا الرَّجُلُ:
أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَكَ كِتَابِي؟"**

فَيَقُولُ" :**لَا يَا رَبِّ**".

فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ" :**أَفَلَكَ عُذْرٌ؟**"

فَيَقُولُ الرَّجُلُ" :**لَا يَا رَبِّ**".

فَيَقُولُ اللَّهُ" :**بَلَى، إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً**".

ثُمَّ يُخْرِجُ لَهُ بَطَاقَةً صَغِيرَةً مَكْتُوبٌ عَلَيْهَا:
"أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ".

فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى:
"احْضِرْ مِيزَانَكَ الَّذِي يَزِنُ لَكَ سِجِلَّاتِكَ الَّتِي بِهَا عَمَلُكَ السَّيِّئُ، وَضَعْ فِيهِ هَذِهِ الْبِطَاقَةَ".

فَيَتَعَجَّبُ الرَّجُلُ مِنْ خِفَّةِ هَذِهِ الْبِطَاقَةِ وَصِغَرِهَا مُقَارَنَةً بِعِظَمِ السِّجِلَّاتِ الَّتِي نُشِرَتْ لَهُ،

فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ" :**فَإِنَّكَ لَا تُظْلَمُ**".

ثُمَّ تُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كَفَّةٍ، وَالْبِطَاقَةُ فِي كَفَّةٍ، فَتَرْتَفِعُ السِّجِلَّاتُ وَتَنْخَفِضُ الْبِطَاقَةُ،
لِأَنَّ لَا شَيْءَ يَثْقُلُ فِي الْمِيزَانِ مَعَ اسْمِ اللَّهِ تَعَالَى .رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَه

وَعَنْ **مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:
"كُنْتُ رَدِيفَ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى حِمَارٍ، فَقَالَ لِي: يَا مُعَاذُ، هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ، وَمَا حَقُّ العِبَادِ عَلَى اللَّهِ؟"

فَقُلْتُ" :**اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ**".

فَقَالَ:
"فَإِنَّ حَقَّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقُّ العِبَادِ عَلَى اللَّهِ أَلَّا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا". رَوَاهُ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ

لِأَهْلِ التَّوْحِيدِ... لِأَهْلِ "**لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ** "الأَمَانُ عِنْدَ اللَّهِ.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
"لَيْسَ عَلَى أَهْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهِ وَحْشَةٌ فِي الْمَوْتِ،
وَلَا فِي الْقُبُورِ، وَلَا فِي النُّشُورِ،
وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِمْ عِنْدَ الصَّيْحَةِ،
يَنْفُضُونَ رُؤُوسَهُمْ مِنَ التُّرَابِ،
وَيَقُولُونَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحُزْنَ، إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ".رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ

وَمِنَ الْبَشَائِرِ الْعَظِيمَةِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
"مَنْ قَالَ: لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ، مُخْلِصًا مِنْ قَلْبِهِ، دَخَلَ الْجَنَّةَ".رَوَاهُ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ

فَحَقًّا، أَفْضَلُ الذِّكْرِ" :**لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ"**
وَأَفْضَلُ الدُّعَاءِ" :**الْحَمْدُ لِلَّهِ**".رَوَاهُ ابْنُ مَاجَه

رَجُلٌ فِي قَصْرِ الطُّغْيَان

فِي زَمَنِ **فِرْعَوْنَ**، حَيْثُ الطُّغْيَانُ يَحْكُمُ بِالْحَدِيدِ وَالنَّارِ، عَاشَ رَجُلٌ فِي قَصْرِهِ، مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، يَرَاهُ النَّاسُ جُزْءًا مِنَ الْحَاشِيَةِ، لَكِنَّهُ فِي دَاخِلِهِ كَانَ عَبْدًا لِلَّهِ وَحْدَهُ، مُؤْمِنًا، مُوقِنًا، **يَكْتُمُ إِيمَانَهُ خَوْفًا مِنْ بَطْشِ الطَّاغِيَةِ**.

فَلَيْسَ كُلُّ مَنْ عَاشَ بَيْنَ الظَّالِمِينَ هُوَ مِنْهُمْ.
وَالْقُلُوبُ الصَّادِقَةُ لَا تَخْفَى، وَلَا تَكْذِبُ عَلَى رَبِّهَا.

كَانَ يَسْمَعُ هَمَسَاتِ الْغَدْرِ، وَيَرَى نَوَايَا الْقَتْلِ تُحَاكُ لِنَبِيِّ اللَّهِ مُوسَىٰ ﷺ. وَذَاتَ لَحْظَةٍ، لَمْ يَقْدِرْ عَلَى الصَّمْتِ أَكْثَرَ.

فَوَقَفَ فِي وَسَطِ الْمَجْلِسِ، وَقَالَ بِكُلِّ شَجَاعَةٍ وَيَقِينٍ:
﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ ﴾. غافر: ٢٨

سَكَتَ الْجَمِيعُ...
كَيْفَ لِرَجُلٍ مِنْ خَاصَّةِ فِرْعَوْنَ أَنْ يَنْطِقَ بِهَذَا؟
لَكِنَّهُمْ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ قَلْبَهُ مُمْتَلِئٌ بِالْإِيمَانِ وَالْخَوْفِ عَلَىٰ قَوْمِهِ، وَرَغْمَ ظُلْمِهِمْ، فَهُوَ لَا يُرِيدُ لَهُمْ الْهَلَاكَ، وَلَا يُضْمِرُ لَهُمْ الشَّرَّ.
فالرَّائِدُ لَا يَكْذِبُ أَهْلَهُ.

لَمْ يَصْرُخْ، لَمْ يَهَدِّدْ، لَمْ يَشْتُمْ...
بَلْ كَانَ صَادِقًا، حَكِيمًا، مُخْلِصًا، يُخَاطِبُهُمْ بِعَقْلٍ وَقَلْبٍ:
﴿ **يَٰقَوْمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ** ﴾
﴿**مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ** ﴾ غافر: ٣٠-٣١

فَالْحِكْمَةُ فِي الدَّعْوَةِ لَيْسَتْ جُبْنًا، وَلَيْسَتْ طَيْشًا، بَلْ هِيَ ذَكَاءٌ وَرَحْمَةٌ.

وَلَمْ يَذْكُرِ الْقُرْآنُ اسْمَهُ...
لَكِنْ خُلِّدَ مَوْقِفُهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ،
كَأَحَدِ أَشْجَعِ مَنْ نَطَقُوا بِالْحَقِّ فِي وَجْهِ الطُّغْيَانِ.

إِنَّهَا سُنَّةُ الْأَخْيَارِ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ:
لَا يُعِينُونَ ظَالِمًا.
لَا يَقِفُونَ إِلَىٰ جَانِبِ الْبَاطِلِ.
لَا يَخْشَوْنَ فِي اللَّهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ.

عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ:
"وَمَن مَشَىٰ مَعَ ظَالِمٍ لِيُعِينَهُ عَلَىٰ ظُلْمِهِ، أَزَلَّ اللَّهُ قَدَمَيْهِ عَلَى الصِّرَاطِ يَوْمَ تَزِلُّ فِيهِ الْأَقْدَامُ". رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالطَّبَرَانِيُّ

وَمِنْ أَصَرَّ عَلَىٰ الْوُقُوفِ فِي طَرِيقِ الْجَبَابِرَةِ، نَاطِقًا بِالْحَقِّ، لَا يَخْشَىٰ سِوَى اللَّهِ، فَقَدْ دَخَلَ فِي صَفِّ أَعْظَمِ الشُّهَدَاءِ.

قَالَ ﷺ:
"سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ،
وَرَجُلٌ قَامَ إِلَىٰ إِمَامٍ جَائِرٍ فَأَمَرَهُ وَنَهَاهُ، فَقَتَلَهُ". رَوَاهُ الْحَاكِمُ

أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ وَمِحْنَةُ الْقُرْآنِ

فِي عَهْدِ الْخَلِيفَةِ الْعَبَّاسِيِّ الْمَأْمُونِ، ثُمَّ الْمُعْتَصِمِ وَالْوَاثِقِ،
نَشَأَتْ فِتْنَةٌ كُبْرَىٰ، لَمْ تَكُنْ سِيَاسِيَّةً أَوْ دُنْيَوِيَّةً، بَلْ فِتْنَةً فِي أَصْلِ الدِّينِ...

قَالَ بَعْضُ عُلَمَاءِ السُّلْطَانِ: إِنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ!
أَيْ أَنَّهُ لَيْسَ أَزَلِيًّا، بَلْ نَاسَبَ زَمَنَهُ فَقَطْ، مِمَّا يُفْتَحُ بِهِ الْبَابُ لِتَعْطِيلِ أَحْكَامِهِ وَتَحْرِيفِ رِسَالَتِهِ.

وَكَانَتْ هَذِهِ الْعَقِيدَةُ مِنْ مَقُولَاتِ الْمُعْتَزِلَةِ الَّتِي تَبَنَّاهَا الْخُلَفَاءُ فِي ذَلِكَ الْعَصْرِ، وَفَرَضُوهَا عَلَى الْأُمَّةِ بِالْقُوَّةِ.

وَكَانَ عَلَى الْعُلَمَاءِ أَنْ يَخْتَارُوا:
– إِمَّا السُّكُوتَ خَوْفًا،
– أَوِ الْمُوَافَقَةَ تَقِيَّةً،
– أَوِ الثَّبَاتَ وَالدِّفَاعَ عَنِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، مَهْمَا كَلَّفَهُمْ الثَّمَنُ.

وَهُنَا بَرَزَ نَجْمُ الإِمَامِ الْجَلِيلِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، شَيْخِ السُّنَّةِ، حَامِلِ لِوَاءِ الْعَقِيدَةِ،
فَقَالَ بِمِلْءِ يَقِينِهِ: "الْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ، غَيْرُ مَخْلُوقٍ". ذَكَرَهَا ابْنُ كَثِيرٍ وَالذَّهَبِيُّ

لَكِنَّ السُّلْطَانَ لَمْ يُعْجِبْهُ ذَلِكَ...
فَجَاءَهُ الْجُنُودُ، وَقَيَّدُوهُ بِالسَّلَاسِلِ،
وَسَاقُوهُ آلَافَ الْكِيلُومِتْرَاتِ مِنْ بَغْدَادَ إِلَىٰ خِرَاسَانَ، حَيْثُ كَانَ الْخَلِيفَةُ غَازِيًا،
لِيُجْبَرَ عَلَى النُّطْقِ بِمَا يُخَالِفُ عَقِيدَتَهُ.

وَفِي الطَّرِيقِ، قِيلَ لَهُ:
"يَا أَحْمَدُ، الْخَلِيفَةُ أَقْسَمَ لِيَقْتُلَنَّكَ إِنْ لَمْ تُوَافِقْهُ".
فَأَجَابَ بِجَلَدِ الْمُؤْمِنِينَ:
"إِنْ مَاتَ أَحْمَدُ، مَاتَ عَلَى الْإِسْلَامِ".

لَكِنَّ الْمُفَاجَأَةَ...
مَاتَ الْمَأْمُونُ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهِ أَحْمَدُ.

فَظَنَّ النَّاسُ أَنَّ الْبَلَاءَ قَدْ زَالَ...
إِلَّا أَنَّ الْبَلَاءَ كَانَ أَشَدَّ.

جَاءَ الْمُعْتَصِمُ...
فَأَمَرَ بِجَلْدِ الإِمَامِ عَلَنِيًّا أَمَامَ النَّاسِ،
ضَرَبُوهُ بِالسِّيَاطِ حَتَّى أُغْمِيَ عَلَيْهِ،
وَكَانَ النَّاسُ تَبْكِي، وَهُوَ لَا يَزِيدُ عَلَىٰ قَوْلِهِ:
"اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي، فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ". *مِنْ دُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ*

سَنَتَانِ فِي السِّجْنِ
جَلْدٌ وَابْتِلَاءٌ وَتَهْدِيدٌ
لَكِنَّهُ ثَبَتَ... ثَبَتَ لِأَنَّهُ كَانَ عَلَى الْحَقِّ.

ثَبَّتَهُ اللَّهُ بِدِفَاعِهِ عَنْ كِتَابِهِ، فَرَفَعَ اللَّهُ ذِكْرَهُ، وَأَبْقَىٰ أَثَرَهُ.

فَالإِقْبَالُ عَلَى الْقُرْآنِ أَكْبَرُ عَوْنٍ عَلَى الثَّبَاتِ.

قَالَ تَعَالَىٰ:
﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ *النحل: ١٠٢*

إِنَّ مِنِ اتَّصَلَ بِالْقُرْآنِ، فَقَدِ اتَّصَلَ بِالْحَقِّ الَّذِي لَا يَزُولُ، وَعَلِقَ بِاللَّهِ الَّذِي لَا يَخْذِلُ.

شَهِيدُ الدَّعْوَةِ وَالصَّبْرِ عَلَى الأَذَى

وَقَفَ **عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيُّ** بَيْنَ يَدَيِ النَّبِيِّ ﷺ قَائِلًا:

"ابْعَثْنِي إِلَى قَوْمِي أَدْعُوهُمْ إِلَى الإِسْلَامِ".

فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ:

"**إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَقْتُلُوكَ**".

فَأَجَابَهُ بِثِقَةٍ عَلِيَّةٍ:

"لَوْ وُجِدُونِي نَائِمًا مَا أَيْقَظُونِي".

مَضَى عُرْوَةُ إِلَى قَوْمِهِ، فَدَعَاهُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ:

"**يَا مَعْشَرَ ثَقِيفَ، أَسْلِمُوا تَسْلَمُوا**".

لَكِنْ نَصِيبَهُ كَانَ سَهْمًا أَصَابَهُ شَهِيدًا.

فَلَمَّا بَلَغَ الْخَبَرُ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ عَنْهُ:

"هذَا مِثْلُهُ كَمَثَلِ صَاحِبِ يَسْ".

وَصَاحِبُ يَسْ:

رَمْزُ الإِخْلَاصِ فِي الدَّعْوَةِ، وَصَاحِبُ يَاسِينَ الَّذِي خَلَّدَ الْقُرْآنُ مَوْقِفَهُ الْخَالِدَ

فِي سُورَةِ يَسْ دُونَ أَنْ يَذْكُرَ اسْمَهُ،

إِذْ جَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى،

لِيَقُومَ بِوَاجِبِهِ فِي الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَلَمْ يَرْضَ لِنَفْسِهِ أَنْ يَكُونَ مُتَفَرِّجًا عَلَى تَكْذِيبِ الرُّسُلِ، قَالَ :

﴿ **يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ** ﴾

﴿ **اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ** ﴾ يس: ٢٠-٢١

وَلَكِنَّ هذِهِ النَّصَائِحَ الْغَالِيَةَ الْحَكِيمَةَ مِنَ الرَّجُلِ الصَّالِحِ لِقَوْمِهِ،

لَمْ تُصَادِفْ أُذُنًا وَاعِيَةً، بَلْ إِنَّ سِيَاقَ الْقِصَّةِ بَعْدَ ذَلِكَ لِيُوحِي بِأَنَّ قَوْمَهُ قَتَلُوهُ،

فَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ لِهذَا الرَّجُلِ الصَّالِحِ عِنْدَ مَوْتِهِ مُبَشِّرَةً لَهُ:

﴿ **قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ**﴾

﴿**بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ**﴾. يس: ٢٦-٢٧

فَلَوْ أَنَّ قَوْمَهُ اِطَّلَعُوا عَلَى مَا حَصَلَ عَلَيْهِ مِنْ ثَوَابٍ وَنَعِيمٍ مُقِيمٍ، لَقَادَهُمْ ذَلِكَ إِلَى اتِّبَاعِ الرُّسُلِ.

فَرَحِمَهُ اللهُ وَرَضِيَ عَنْهُ، **فَلَقَدْ كَانَ عُرْوَةُ، وَصَاحِبُ يَسْ،** وَغَيْرُهُم مِنَ الدُّعَاةِ، أَشْخَاصًا حَرِيصِينَ عَلَى هِدَايَةِ النَّاسِ، يُحِبُّونَهُمْ وَيَرْغَبُونَ فِي صَلَاحِهِمْ، وَيَخْشَوْنَ عَلَيْهِمْ مِنْ نَارِ اللهِ.

قَالَ تَعَالَى:

﴿ **وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ** ﴾ فصلت: ٣٣

هذَا هُوَ حَالُ الدَّاعِينَ إِلَى اللَّهِ:

عَمَلٌ صَالِحٌ،

وَقَوْلٌ حَسَنٌ،

وَنِيَّةٌ خَالِصَةٌ،

وَصَبْرٌ عَلَى البَلَاءِ،

مُتَوَكِّلِينَ عَلَى اللهِ،

رَاجِينَ رَحْمَتَهُ،

وَوَاثِقِينَ بِأَنَّ الأَجْرَ عَظِيمٌ.

قِصَّةُ المَاشِطَةِ
"ثَبَاتٌ فِي وَجْهِ الظُّلْمِ وَإِيمَانٌ لَا يَنْكَسِرُ"

رُوِيَ أَنَّ **امْرَأَةً صَالِحَةً** كَانَتْ تَعِيشُ فِي قَصْرِ فِرْعَوْنَ، وَكَانَتْ تُعْرَفُ بِالْمَاشِطَةِ،
لِأَنَّ عَمَلَهَا كَانَ تَمْشِيطَ شَعْرِ بَنَاتِ فِرْعَوْنَ وَتَرْبِيَتَهُنَّ.
كَانَتْ مُتَزَوِّجَةً مِنْ رَجُلٍ قَرِيبٍ مِنْ فِرْعَوْنَ،
لَكِنَّ لَمَّا أَعْلَنَ إِسْلَامَهُ، أَمَرَ فِرْعَوْنُ بِقَتْلِهِ.
فَأَخْفَتِ المَاشِطَةُ إِسْلَامَهَا لِتَبْقَى فِي القَصْرِ وَتُنْفِقَ عَلَى أَوْلَادِهَا،
وَهِيَ مُحْتَسِبَةٌ الأَجْرَ عِنْدَ اللهِ.

فِي يَوْمٍ مِنَ الأَيَّامِ،
وَبَيْنَمَا تُمَشِّطُ شَعْرَ ابْنَةِ فِرْعَوْنَ، سَقَطَ المِشْطُ مِنْ يَدِهَا.
فَقَالَتْ دُونَ تَفْكِيرٍ: "**بِسْمِ اللهِ**".
تَعَجَّبَتِ البِنْتُ وَقَالَتْ: "اللهُ؟ أَبِي؟"!
فَرَدَّتِ الماشِطَةُ بِقُوَّةِ إِيمَانٍ:
"كَلَّا، بَلِ اللهُ رَبِّي وَرَبُّكِ وَرَبُّ أَبِيكِ"!

أَخْبَرَتِ البِنْتُ أَبَاهَا، فَغَضِبَ فِرْعَوْنُ غَضَبًا شَدِيدًا،
وَأَمَرَ بِإِحْضَارِ الماشِطَةِ وَسَأَلَهَا: "مَن رَبُّكِ؟"
قَالَتْ بِثَبَاتٍ: "**رَبِّي وَرَبُّكَ اللهُ**".
هَدَّدَهَا فِرْعَوْنُ بِالسِّجْنِ وَالتَّعْذِيبِ إِنْ لَمْ تَرْجِعْ عَنْ دِينِهَا،
لَكِنَّهَا رَفَضَتْ بِكُلِّ شَجَاعَةٍ.

أَمَرَ فِرْعَوْنُ بِقِدْرِ نُحَاسٍ مَمْلُوءٍ زَيْتًا مُغْلِيًّا،
ثُمَّ أَمَرَ أَنْ تُلْقَى الماشِطَةُ وَأَبْنَاؤُهَا فِيهِ وَاحِدًا تِلْوَ الآخَرِ.
كَانَ الأَطْفَالُ يَبْكُونَ وَيَتَوَسَّلُونَ،
حَتَّى جَاءَ دَوْرُ ابْنِهَا الرَّضِيعِ،
فَتَرَدَّدَتِ الأُمُّ لَحْظَةً،

فَأَنْطَقَ اللهُ الرَّضِيعَ وَقَالَ:
"يَا أَمَاهُ، اصْبِرِي، فَإِنَّكِ عَلَى الحَقِّ".

قَالَتِ الماشِطَةُ لِفِرْعَوْنَ: "**لِي إِلَيْكَ حَاجَةٌ**".
قَالَ: "وَمَا هِيَ؟"
قَالَتْ:
"أَنْ تُجْمَعَ عِظَامِي وَعِظَامَ أَوْلَادِي فِي قَبْرٍ وَاحِدٍ".
فَوَافَقَ فِرْعَوْنُ، ثُمَّ أُلْقُوا جَمِيعًا فِي الزَّيْتِ.

فَكَرَّمَهَا اللهُ فِي السَّمَاءِ،
قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:
"**لَمَّا كَانَتِ اللَّيْلَةُ الَّتِي أُسْرِيَ بِي فِيهَا، أَتَتْ عَلَيَّ رَائِحَةٌ طَيِّبَةٌ،**
فَقُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ، مَا هَذِهِ الرَّائِحَةُ الطَّيِّبَةُ؟
قَالَ: هَذِهِ رَائِحَةُ المَاشِطَةِ ابْنَةِ فِرْعَوْنَ وَأَوْلَادِهَا". رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالْبَيْهَقِيُّ

فَالثَّبَاتُ عَلَى الدِّينِ أَعْظَمُ أَنْوَاعِ الجِهَادِ، **وَلَيْسَ كُلُّ جِهَادٍ بِالسِّلَاحِ**، بَلْ بِالصَّبْرِ وَالثِّقَةِ بِاللهِ.

فَمَنْ صَبَرَ فِي سَبِيلِ اللهِ، كَرَّمَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، قَالَ تَعَالَى:
﴿ **إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ** ﴾. الزمر: ١٠

قِصَّةُ رَحْمَةِ النَّبِيِّ ﷺ فِي مُوَاسَاةِ الحُزَنَى

كانَ النَّبِيُّ ﷺ **إذا جلَسَ**، يَجتَمِعُ حَولَهُ نَفرٌ مِن أَصحابِهِ، يَنهَلونَ مِن هَديِهِ وَذِكرِهِ.
وَكانَ بَينَهُم رَجُلٌ يُحِبُّ ابنَهُ الصَّغيرَ حُبًّا جَمًّا، يُحضِرُهُ مَعهُ في مَجلِسِ النَّبِيِّ ﷺ.
فيأتِي الغُلامُ مِن خَلفِ النَّبِيِّ، فيُقعَدُ بَينَ يَدَيهِ، يَضمُّهُ بِحَنانٍ وَيُلاعِبُهُ،
فَتشرِقُ بَسمَةُ الطُّفولَةِ عَلَى مُحَيّا المِجلِسِ، وَتُزهِرُ القُلوبُ فَرَحًا.

وذاتَ يَومٍ، فُجِعَ ذلِكَ الرَّجُلُ بِمُصيبةٍ عَظيمةٍ. ماتَ الغُلامُ، وَغابَ الأَبُ عَن مَجلِسِ النَّبِيِّ ﷺ، وَقد أَثقَلَ الحُزنُ قَلبَهُ وَغَشاهُ.

فَلَما افتَقَدَ النَّبِيُّ ﷺ غِيابَهُ، سَأَلَ:
"ما لِي لا أَرى فُلانًا؟"

فأخبَروهُ:
"يا رَسولَ اللهِ، اِبنُهُ الَّذي كُنتَ تَراهُ بَينَ يَدَيكَ قَد ماتَ".

خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ يَبحَثُ عَن الرَّجُلِ، حتَّى لَقِيَهُ، وَسَأَلَهُ عَن وَلَدِهِ، وَكانت مَلامِحُهُ تَحكي وَجعًا لا يَحتاجُ إلى كَلِماتٍ.

فَبَدَأَ النَّبِيُّ ﷺ يُعَزّيهِ بِلُطْفٍ وَحِكمَةٍ، وَقالَ لَهُ:
"يا فُلانُ، أَيُّهُما أَحبُّ إِلَيكَ: أَن تُمتِعَ بِهِ في حَياتِك، أَم أَن تَأتِي يَومَ القِيامَةِ إِلى بابٍ مِن أَبوابِ الجَنَّةِ، **فَتَجِدَهُ قَد سَبَقَكَ إِلَيهِ، فَيَفتَحُهُ لَكَ؟**"

فَأَجابَ الرَّجُلُ:
"يا رَسولَ اللهِ، بَل أَن يَسبِقَني إِلى بابِ الجَنَّةِ فَيَفتَحُ لي، هُوَ أَحبُّ إِلَيَّ".

فَقالَ النَّبِيُّ ﷺ:
"فَذاكَ لَكَ". مُسند أحمد

وَمِن رَحْمَةِ اللهِ تَعالى بِأُولئِكَ الصِّغارِ الَّذينَ فارَقُوا الحَياةَ قَبلَ أَهالِيهِم، أَن يُقالَ لَهُم:
"أُدخُلو الجَنَّةَ".

لِعَدَمِ حُصولِ الإِثمِ مِنْهُم، فيَرِدُّونَ قائِلِينَ:
"حَتّى يَدخلَ آباؤُنا".

فَيُقالُ لَهُم:
"**أُدخُلو الجَنَّةَ أَنتُم وَآباؤُكُم**". *رَواهُ مُسلِم*

إنَّ القُلوبَ الَّتي كَسَرَتْها الدُّنيا، يُجَبِّرُها اللهُ بِبابٍ مِن أَبوابِ الجَنَّةِ تُفتَحُ لَها بِفَضلِهِم.

وَكَذلِكَ السِّقطُ، وَهو الجَنينُ الَّذي وُلِدَ مَيِّتًا أَو ماتَ بَعدَ وِلادَتِهِ بِقَليلٍ، لَهُ مَقامٌ عِندَ اللهِ، وَيُسنُّ لِوالِدَيْهِ الدُّعاءُ:
"**اللَّهُمَّ اجعَلْهُ لَنا سَلفًا وَفرطًا وَذَخرًا**" *الفَتاوى لابنِ تَيمِيَّة*

أَي: أَجرًا يَتَقَدَّمُنا، وَثَوابًا يَلحَقُنا، وَكَنزًا مَحفوظًا لا يَضِيعُ.

فِي يَومِ القِيامَةِ، يُلاقِي الوالِدين، يَتَشبَّثُ بِمَلابِسِهِما وَلا يَترُكُهُما حتّى يَدخِلَهُما اللهُ الجَنَّةَ مَعهُ.

فَحينَ يُنتزَعُ الغالِي مِن قَلبِكَ، وَيَرتَفِعُ إِلى السَّماء، يُفتَحُ لَكَ بِهِ بابٌ مِن الأَجرِ لا يُغلَقُ، وَتُعَوَّضُ نَفسَكَ بِرَحمَةِ اللهِ وَفَضلِهِ.

فالصَّبرُ عَلَى الفَقدِ، وَالأَمَلُ فِي لِقاءِ الأَحبَّةِ فِي دارِ السَّلامِ، هُوَ أَسمى ما يُواسي بِهِ القَلبُ المَجروحُ.

صبرُ أمِّ سليمٍ وحِكمةُ النبيِّ ﷺ في مُواساتِها

مَرِضَ **وَلَدُ أُمِّ سليمٍ** حتّى تُوُفِّيَ، وكانَتْ هِيَ صابِرَةً مُحتَسِبَةً، تَحمِلُ أَلَمَ الفَقْدِ بِصَبْرٍ عَظيمٍ وإيمانٍ راسِخٍ.

أمّا زَوْجُها أَبُو طَلْحَةَ، فكانَ يُحِبُّ الطِّفْلَ حُبًّا شَديدًا، وعِندما عادَ مِن سَفَرِهِ، لَم تُخبِرْهُ الخَبَرَ الموجِعَ، بَل هَيَّأَتْ لَهُ الطَّعامَ، وتَجَمَّلَتْ لِتَكونَ لَهُ عَوْنًا وَسَندًا في لَحظَتِهِ.

فَلَمّا طابَتْ نَفسُهُ وسَأَلَها:
"كَيْفَ الغُلامُ؟"

أَجابتْ بِهُدوءٍ:
"هُوَ أَهدَأُ ما يَكونُ". *تُلمِّح بذلك إلى وفاته بلطفٍ وهدوء.*

فَفَهِمَ أَبُو طَلْحَةَ مِن كَلامِها أَنَّهُ بِخيرٍ، وَلَم تُرِدْ أَن تُصَدِّمَهُ بِحَقيقَةِ الفَقْدِ في ذلكَ الوَقتِ.

وفي صَباحِ اليَومِ التالي، أَخبَرَتْهُ بِما حَدَثَ، فَغَضِبَ كَيْفَ لَم تُعلِمْهُ مِن قَبْلُ، ثُمَّ تَوَجَّهَ إِلى النَّبِيِّ ﷺ، يَقصُّ عَلَيهِ ما كانَ.

فَقالَ النَّبِيُّ ﷺ، مُعجَبًا بِصَبْرِها وَجَمالِ تَعبيرِها:
"بارَكَ اللهُ لَكُما في لَيلَتِكُما".

وكانَ مِن بَرَكَةِ تِلْكَ اللَّيلَةِ أَن رَزَقَهُما اللهُ غُلامًا آخَرَ، عاشَ وَكَثُرَ نَسلُهُ، وكانَ مِنْهُم مَن حَمَلَ العِلمَ وَالقُرآنَ. *(رواه البُخاريُّ وَمُسلِمٌ)*

وفي رِوايةٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ حِينَ سَأَلَ أُمَّ سَلِيمٍ:
"أَتُحِبِّينه؟"

قالَتْ:
"نَعَمْ".

فقالَ ﷺ:

"فَإنَّ لَكِ بِهِ أجرًا". *مُسلِمٌ*

ولَنا في أُمَّهاتِ الشُّهَداءِ في فِلَسطينَ خَيْرُ مِثالٍ حَيٍّ على حَقِيقَةِ الصَّبْرِ وَالرِّضا، فَقَد مَرَّ النَّبيُّ ﷺ على امْرَأَةٍ تبكي عَلَى قَبْرِ وَلَدِها، فَقَالَ لَها:

"**اتَّقِي اللهَ وَاصبِرِي**".

فَرَدَّتْ عَلَيهِ بِمُرارَةٍ:

"**إليكَ عَنِّي، فَإِنَّكَ لَمْ تُصِبْ بِمُصيبَتِي**".

ولَم تَعرِفْهُ في البِدايةِ، لَكِنَّها بَعدَ أَن عَرَفَتْهُ ذَهَبَتْ إلى بَيتِهِ لِتَعتَذِرَ، فَقَالَ لَها ﷺ:

"**إنَّما الصَّبرُ عِندَ الصَّدمةِ الأُولى**". *البخاري ومسلم*

أَي أَنَّ الصَّبرَ الحَقِيقِيَّ وَالمحمودَ الَّذي يُؤجَرُ عَلَيهِ الإنسانُ يَكونُ عِندَ بَدْءِ المصيبةِ، حِينَ تَكونُ الصَّدمةُ أَعظَمَ وَأَشدَّ.

أَمّا بَعدَ الصَّدمةِ الأُولى وَمُرورِ الأَيّامِ، فَيَستَطيعُ كُلُّ إنسانٍ أَن يَصبِرَ وَيَنسى، وَحالُ المؤمِنِ عِندَ المصيبةِ أَن يَقولَ كما وَرَدَ في الحَديثِ الشَّريفِ:

"**إنَّا لِلَّهِ وَإنَّا إلَيهِ رَاجِعُونَ، اللَّهُمَّ أجرْنِي في مُصيبتِي وَأخْلفْ لي خَيرًا مِنْها**". *البُخَارِيُّ وَمُسلِمٌ*

قالَ سَعِيدُ بنُ جُبَيْرٍ: لَمْ تُعْطَ هذِهِ الكَلِماتُ نَبِيًّا قَبْلَ نَبِيِّنَا،

وَلَوْ عَرَفَهَا يَعْقُوبُ لَمَا قَالَ: **يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ**.

فَمَن قالَ ذلكَ بِصدقٍ وَأداءٍ، عَوَّضَهُ اللهُ خَيرًا، وَأَجَرَهُ في مُصيبتِهِ.

نموذجٌ في الرِّضا والتَّسليم في البلاءِ

رُوِيَ أنَّ مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ،

أَصَابَهُ شَلَلٌ فِي نِصْفِ وَجْهِهِ أَثْنَاءَ أَدَاءِ الحَجِّ،

بَعْدَمَا نَظَرَ فِي بِئْرٍ قَدِيمَةٍ، فَشَعَرَ بِضَعْفٍ فِي جَسَدِهِ.

عَادَ إِلَى دَارِهِ فِي مَكَّةَ، وَأَغْلَقَ بَابَهُ،

وَغَطَّى الجَانِبَ المصَابَ مِنْ وَجْهِهِ بِعِمَامَةٍ سَوْدَاءَ،

ثُمَّ دَعَا النَّاسَ إِلَيْهِ لِيَخْطُبَ فِيهِم،

لَا لِيَشْكُوَ أَوْ يَتَأَلَّمَ، بَلْ لِيُعَلِّمَهُم دَرْسًا فِي القَنَاعَةِ وَالرِّضَا.

قَالَ مُعَاوِيَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

"ابْنُ آدَمَ لَا يَخْلُو مِنْ بَلَاءٍ:

إِمَّا مُبْتَلًى يُؤْجَرُ،

أَوْ مُذْنِبٌ يُعَاقَبُ،

أَوْ مُخْطِئٌ يُذَكَّرُ لِيَعُودَ.

وَإِنْ كُنْتُ مُبْتَلًى، فَقَدِ ابْتُلِيَ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي،

وَإِنْ كُنْتُ مُعَاقَبًا، فَلَطَالَمَا أَذْنَبْتُ،

وَإِنْ مَرِضَ جُزْءٌ مِنِّي، فَكَمْ مِنْ أَجْزَاءٍ سَلِيمَةٍ أَحْمَدُ اللهَ عَلَيْهَا!

وَلَوْ كَانَ الأَمْرُ بِيَدِي، لَمَا طَلَبْتُ مِنْ رَبِّي أَكْثَرَ مِمَّا أَعْطَانِي،

وَقَدْ بَلَغْتُ بِضْعًا وَسِتِّينَ سَنَةً، فَرَحِمَ اللهُ مَنْ دَعَا لِي بِالعَافِيَةِ." (الذَّهَبِي)

هَذَا هُوَ الرِّضَا الحَقِيقِي،

حِينَ يُصَابُ المرْءُ فَلَا يَتَسَخَّط،

بَلْ يَرَى البَلَاءَ تَرْبِيَةً وَرَحْمَةً،

وَيَرَى النِّعْمَةَ فِيمَا بَقِيَ، لَا فِيمَا فُقِد،

وَيَرَى الفَضْلَ فِيمَا أَعْطَاهُ اللهُ، لَا فِيمَا مَنَعَ.

فَأَسَاسُ العَلَاقَةِ بَيْنَكَ وَبَيْنَ رَبِّكَ ... هُوَ الرِّضَا وَالتَّسْلِيمُ...
فَالرَّبُّ سُبْحَانَهُ **يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَفْعَلُ مَا يُرِيدُ** ،
لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ، وَلَا رَادَّ لِقَضَائِهِ، وَلَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ،
وَهُوَ أَعْدَلُ الحَاكِمِينَ، لَا يَظْلِمُ أَحَدًا.
قَالَ تَعَالَى: ﴿ **وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ** ﴾ *(البقرة: ٢١٦)*

وَرَدَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَدْعُو فَيَقُولُ:
"**وَأَسْأَلُكَ الرِّضَا بَعْدَ القَضَاءِ**".

وَقَدْ أَجْمَعَ العُلَمَاءُ أَنَّ السَّخَطَ عَلَى قَضَاءِ اللهِ حَرَامٌ،
وَدَلِيلُ ذَلِكَ قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ:
"**إِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ**." *(رَوَاهُ التِّرْمِذِي)*

فَالرِّضَا وَالسُّخْطُ مِنْ أَفْعَالِ العَبْدِ،
وَلِذَلِكَ يُثَابُ عَلَى الرِّضَا، وَيُعَاقَبُ عَلَى السُّخْطِ،
أَمَّا القَضَاءُ نَفْسُهُ فَلَيْسَ مِنْ فِعْلِهِ، فَلَا يُحَاسَبُ عَلَيْهِ،
وَلَكِنْ يُحَاسَبُ عَلَى مَوْقِفِهِ مِنْهُ.
قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ **وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى** ﴾. *(النجم: ٣٩)*

قِصَّةُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ: رِضَا اللهِ فِي فَقْرِ الدُّنْيَا

بَيْنَمَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ جالِسًا، وَكَانَ إِلَى جَانِبِهِ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، يَلُفُّ عَبَاءَتَهُ عَلَى صَدْرِهِ بِشَيْءٍ مِنَ الْخِلَالِ، دَلَالَةً عَلَى شِدَّةِ فَقْرِهِ،

نَزَلَ عَلَيْهِ الْمَلَكُ **جِبْرِيلُ** عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَأَخْبَرَهُ قَائِلًا:

"يَا مُحَمَّدُ، مَا لِي أَرَى أَبَا بَكْرٍ عَلَيْهِ عَبَاءَةٌ قَدْ خَلَّهَا عَلَى صَدْرِهِ بِخِلَالٍ؟"

فَأَجَابَهُ النَّبِيُّ ﷺ:

"يَا جِبْرِيلُ، أَنْفَقَ مَالَهُ قَبْلَ الْفَتْحِ عَلَيَّ".

فَقَالَ جِبْرِيلُ:

"فَأَقْرِئْهُ مِنَ اللهِ السَّلَامَ، وَقُلْ لَهُ: يَقُولُ لَكَ رَبُّكَ: أَرَاضٍ أَنْتَ عَنِّي فِي فَقْرِكَ هَذَا، أَمْ سَاخِطٌ؟"

فَالْتَفَتَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى أَبِي بَكْرٍ، وَقَالَ لَهُ:

"هَذَا جِبْرِيلُ يُقْرِئُكَ مِنَ اللهِ السَّلَامَ، وَيَقُولُ لَكَ رَبُّكَ: أَرَاضٍ أَنْتَ عَنِّي فِي فَقْرِكَ هَذَا، أَمْ سَاخِطٌ؟"

فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَقَالَ:

"عَلَى رَبِّي أَغْضَبُ؟ أَنَا عَنْ رَبِّي رَاضٍ، أَنَا عَنْ رَبِّي رَاضٍ". *رواه ابن هشام في "السِّيرَةِ النَّبَوِيَّة*

هَذَا هُوَ حَالُ أَوْلِيَاءِ اللهِ الَّذِينَ أَحَبَّهُم رَبُّهُمْ، فَمَلَأَ قُلُوبَهُمْ بِحُبِّهِ،
فَصَارُوا فِي دُنْيَاهُمْ لَا يَهَابُونَ الْفَقْرَ، وَلَا يَخْشَوْنَ ضِيقَ الْعَيْشِ،
لِأَنَّهُمْ مُسْتَقِرُّونَ فِي رَحْمَةِ اللهِ، وَمُرْتَاحُونَ لِذِكْرِهِ.

لَمَّا نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى:

﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴾
﴿ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴾ *الفجر ٢٨،٢٧*

قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:
"إِنَّ هَذَا حَسَنٌ".
فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ:
"أَمَا إِنَّ الْمَلَكَ سَيَقُولُ لَكَ هَذَا عِنْدَ الْمَوْتِ".

النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ:

هِيَ النَّفْسُ الْآمِنَةُ مِنَ الْخَوْفِ أَوِ الْحُزْنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ،
بِسَبَبِ إِيمَانِهَا الصَّادِقِ، وَعَمَلِهَا الصَّالِحِ.

يَقُولُ اللهُ تَعَالَى – عَلَى لِسَانِ مَلَائِكَتِهِ – إِكْرَامًا لِلْمُؤْمِنِينَ عِنْدَ وَفَاتِهِمْ،
أَوْ عِنْدَ تَمَامِ حِسَابِهِمْ:
"يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْآمِنَةُ، الْمُطْمَئِنَّةُ، النَّاعِمَةُ بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ،
ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً بِمَا أَعْطَاكِ، مَرْضِيًّا عَنْكِ بِسَبَبِ إِيمَانِكِ وَعَمَلِكِ".

ثُمَّ يَقُولُ لَهَا رَبُّهَا:
﴿ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴾
﴿ وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴾ الفجر ٣٠،٢٩

أَيّ: انضَمي إلى رَكْبِ عِبادي الصَّالِحِينَ الَّذِينَ رَضِيَ اللَّهُ عنْهُمْ،
وادْخُلي جَنَّتِي الَّتي هَيَّأْتُها لَهُمْ ليَهْنَأُوا فيها بالنَّعيمِ المقِيمِ والخُلودِ الأبَدِيِّ.
رُوِيَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ لِرَجُلٍ:
"قُلْ:
اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ نَفْسًا بِكَ مُطْمَئِنَّةً،
تُؤْمِنُ بِلِقَائِكَ،
وَتَرْضَى بِقَضَائِكَ،
وَتَقْنَعُ بِعَطَائِكَ". رواه الطبراني

الحبُّ في الله... علاقةُ القلبِ بالطَّاعةِ

قالَ أَحَدُ الصَّالِحِينَ:

كُنتُ إِذَا رَأَيْتُ صَاحِبِي مُقْبِلًا عَلَى الطَّاعَةِ، امْتَلَأَ قَلْبِي لَهُ حُبًّا، وَإِنْ فَتَرَ عَنِ الطَّاعَةِ، فَتَرَ قَلْبِي عَنْهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ أَشْعُرَ.

فَلَمَّا قِيلَ لَهُ: أَتُبْغِضُهُ؟

أَجَابَ: لَا وَاللَّهِ، وَلَكِنَّ الْقُلُوبَ بِيَدِ اللهِ، وَقَدْ أَحْبَبْتُهُ لِطَاعَتِهِ، فَلَمَّا فَتَرَ، ضَعُفَ حُبِّي لَهُ.

إِنَّ الْحُبَّ فِي اللهِ لَا يُصْطَنَعُ وَلَا يُفْرَضُ، إِنَّمَا يُلْقَى فِي الْقُلُوبِ مَعَ الْإِيمَانِ، وَيَضْعُفُ بِضَعْفِ الطَّاعَةِ، وَيَقْوَى بِقُوَّةِ الْقُرْبِ مِنَ اللهِ.

- **الْحُبُّ فِي اللهِ** :أَنْ تُحِبَّ الْعَبْدَ بِسَبَبِ إِيمَانِهِ وَطَاعَتِهِ، وَنِيَّتِهِ الصَّادِقَةِ.
- **الْبُغْضُ فِي اللهِ** :أَنْ تَبْغَضَ الْعَبْدَ بِسَبَبِ كُفْرِهِ أَوْ مَعْصِيَتِهِ.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

"أَوْثَقُ عُرَى الْإِيمَانِ: الْحُبُّ فِي اللهِ، وَالْبُغْضُ فِي اللهِ". رَوَاهُ مُسْلِمٌ

وَقَالَ ﷺ:

"إِنَّ اللهَ تَعَالَى يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ:

أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلَالِي؟ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي". الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ

فَهُمْ مُتَحَابُّونَ ابْتِغَاءَ وَجْهِهِ الْكَرِيمِ، لَا لِغَرَضٍ دُنْيَوِيٍّ أَوْ كَسْبٍ مَادِّيٍّ أَوْ مَصْلَحَةٍ.

فَهَذَا يَأْمُرُ هَذَا بِالْخَيْرِ، يَتَعَاوَنَانِ عَلَى الطَّاعَاتِ وَإِبْدَاءِ النَّصِيحَةِ.

وَقَدْ وَصَفَ النَّبِيُّ ﷺ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ تَحَابُّوا فِي اللهِ بِأَنَّ:

"وُجُوهَهُمْ نُورٌ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، يَفْرَحُ لَهُمُ النَّبِيُّونَ وَالشُّهَدَاءُ ".رَوَاهُ مُسْلِمٌ

لِمَا لَهُمْ مِنَ الْفَضْلِ وَالْمَنْزِلَةِ.

فَأَسَاسُ الْعَلَاقَاتِ قَائِمٌ عَلَى الْحُبِّ وَالرَّحْمَةِ.

•**أَسَاسُ الْعَلَاقَةِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ** هُوَ الْكَرَمُ الْقَائِمُ عَلَى الْحُبِّ فِي اللهِ،

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

"**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا** ". رَوَاهُ مُسْلِمٌ

•**وَأَمَّا بَيْنَكَ وَبَيْنَ النَّاسِ عُمُومًا**، فَأَسَاسُ الْعَلَاقَةِ هُوَ الرَّحْمَةُ،

قَالَ ﷺ:

"**الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ**". رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ

وَقَالَ أَيْضاً:

"**وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ**" رواهُ التِّرْمِذِيُّ

وَانْظُرْ دَائِمًا أَنَّ جَمِيعَ الْخَلْقِ أَفْضَلُ مِنْكَ، وَخَلِّ حَظَّكَ مَهْمَا قَدَّمُوكَ – وَرَا.

فَنَظْرَةُ التَوَاضُعِ وَالرَحْمَةِ تَفْتَحُ الْقُلُوبَ.

قِصَّةُ خَوْلَةَ بِنْتِ ثَعْلَبَةَ: دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ الَّتِي لَا تُرَدُّ

قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا:
"سُبْحَانَ اللهِ! مَا أَعْظَمَ مَنْ وَسِعَ سَمْعُهُ كُلَّ شَيْءٍ"! *البخاري ومسلم*

لَقَدْ جَاءَتْ **خَوْلَةُ بِنْتُ ثَعْلَبَةَ** تَشْتَكِي حَالَهَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ،
وَكَانَتْ تَقِفُ بِجِوَارِهِ تُحَدِّثُهُ، وَأَنَا فِي نَاحِيَةٍ مِنَ الْبَيْتِ، لَا أَسْمَعُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ،
وَمَعَ ذَلِكَ سَمِعَ **اللهُ** شَكْوَاهَا مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ.

كَانَتْ تَقُولُ:
"يَا رَسُولَ اللهِ، لَقَدْ أَفْنَيْتُ شَبَابِي مَعَهُ، وَتَحَمَّلْتُ آلَامَ الْحَمْلِ وَالْوِلَادَةِ، حَتَّى إِذَا كَبِرْتُ وَتَوَقَّفَ الْإِنْجَابُ قَالَ لِي: أَنْتِ عَلَيَّ كَظَهْرِ أُمِّي"!

هَذِهِ الْعِبَارَةُ كَانَتْ تُقَالُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَتْ تُعْرَفُ بِاسْمِ **الظِّهَارِ**،
يَقْصِدُ بِهَا الرَّجُلُ أَنْ يَجْعَلَ زَوْجَتَهُ مُحَرَّمَةً عَلَيْهِ كَمَا تَحْرُمُ عَلَيْهِ أُمُّهُ،
فَلَا يُعَامِلُهَا كَزَوْجَةٍ، وَلَا يُطَلِّقُهَا لِيُزَوِّجَهَا غَيْرُهُ،
فَتَبْقَى **مُعَلَّقَةً** بَيْنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، وَهَذَا مِنَ الظُّلْمِ الَّذِي نَهَى اللهُ عَنْهُ.

ثُمَّ رَفَعَتْ خَوْلَةُ يَدَهَا إِلَى السَّمَاءِ وَقَالَتْ:
"اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْكُو إِلَيْكَ".

وَمَا هِيَ إِلَّا لَحَظَاتٌ حَتَّى نَزَلَ **جِبْرِيلُ** عَلَيْهِ السَّلَامُ بِهَذِهِ الْآيَةِ:

﴿ **قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ** ﴾ سورة المجادلة: ١ "ابن كثير"

خُلِّدَتْ شَكْوَاهَا فِي كِتَابِ اللهِ، لِتَكُونَ عِبْرَةً لِكُلِّ مَظْلُومٍ أَنَّ **اللهَ لَا يَغْفَلُ عَنْ أَحَدٍ**.

فَمِنْ أَعْظَمِ الْأُمُورِ الَّتِي تَفْتِكُ بِالظَّالِمِ فَتْكًا عَظِيمًا:
دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ، تِلْكَ الدَّعْوَةُ الَّتِي تُرْفَعُ فَوْقَ الْغَمَامِ، فَيَقُولُ لَهَا الرَّبُّ جَلَّ وَعَلَا:

"عِزَّتِي وَجَلَالِي لَأَنْصُرَنَّكِ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ". رواه البخاري ومسلم

دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ،
خَاصَّةً إِذَا كَانَتْ فِي اللَّيْلِ فَهِيَ أَشَدُّ وَقْعًا،
وَلِذَلِكَ وَصَفَهَا أَهْلُ الْعِلْمِ بِـ" **سِهَامِ اللَّيْلِ**"،
قَالُوا" :**فَإِنَّهَا سِهَامٌ لَا تُخْطِئُ، وَلَهَا مَوْعِدٌ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ**".

فَالْمَظْلُومُ... لَا يَضِيعُ مِنْ حَقِّهِ شَيْءٌ.
إِمَّا أَنْ يُؤَدَّى لَهُ فِي الدُّنْيَا، وَإِمَّا أَنْ يَأْخُذَهُ كَامِلًا **يَوْمَ الْقِيَامَةِ،**
كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

"لَتُؤَدَّنَّ الْحُقُوقُ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ".رواه مسلم

وَقَالَ تَعَالَى:
﴿ **وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا** ﴾ . طه: ١١١

فَاحْذَرْ أَنْ تَظْلِمَ أَخَاكَ فِي **مَالٍ، أَوْ عِرْضٍ، أَوْ كَلِمَةٍ.**
وَاحْتَرِسْ مِنْ **دَعْوَةِ الْمَظْلُومِ،** فَإِنَّهَا لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ **اللهِ حِجَابٌ.**

التَّوَكُّلُ وَالزَّادُ: حِكْمَةُ أَهْلِ الْيَمَنِ وَعَبْدِ اللهِ بْنِ الْمُبَارَكِ

كَانَ أُنَاسٌ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ يَحُجُّونَ وَيَعْتَمِرُونَ **بِغَيْرِ زَادٍ**، يَقُولُونَ:
"إِنَّا مُتَوَكِّلُونَ".

فَإِذَا بَلَغُوا مَكَّةَ، سَأَلُوا النَّاسَ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ.

فَالتَّوَكُّلُ عَلَى اللهِ يَعْنِي الإِيمَانَ بِأَنَّ هُنَاكَ قُوَّةً وَرَاءَ الإِنسَانِ تُسَاعِدُهُ عَلَى تَحْقِيقِ طَلَبَاتِهِ، وَهِيَ **اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، وَلَكِن:

لَيْسَ مِنَ الإِيمَانِ، وَلَا مِنَ الْعَقْلِ، وَلَا مِنَ التَّوَكُّلِ أَنْ يَنْتَظِرَ الإِنسَانُ شِبَعًا دُونَ أَكْلٍ،
أَوْ نَجَاحًا دُونَ جُهْدٍ،
أَوْ ثَوَابًا دُونَ عَمَلٍ صَالِحٍ. " ابن كثير والطبري"

لِذَلِكَ أَنْزَلَ اللهُ فِيهِمْ قَوْلَهُ تَعَالَى:
﴿ **وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ** ﴾ سورة البقرة: ١٩٧

وَالزَّادُ :زَادُ الدُّنْيَا وَزَادُ الْآخِرَةِ

•**زَادُ الدُّنْيَا** :هُوَ مَا يُخَلِّصُكَ مِنْ عَذَابٍ مُؤَقَّتٍ، يُنْقِذُكَ مِنْ جُوعٍ أَوْ عَطَشٍ، مَرَضٍ أَوْ فَقْرٍ، لَكِنَّهُ زَادٌ لَا يَصْمُدُ **بَعْدَ الْقَبْرِ**.

•**زَادُ الْآخِرَةِ** :زَادُ الْقَلْبِ، **النِّيَّةُ، وَالتَّقْوَى**، وَهُوَ الَّذِي يُنْقِذُكَ مِنْ عَذَابٍ دَائِمٍ وَنَدَمٍ لَا يَنْقَطِعُ.

فَالنِّيَّةُ الصَّالِحَةُ وَحْدَهَا **لَا تُغْنِي** عَنِ الِاسْتِعْدَادِ وَالْعَمَلِ،
فَمَنْ أَرَادَ **النَّجَاةَ فِي الْمَسِيرَيْنِ**، فَلْيَجْمَعْ بَيْنَ **الزَّادَيْنِ**.

خَرَجَ **عَبْدُ اللهِ بْنُ الْمُبَارَكِ** يَوْمًا إِلَى الْحَجِّ، مُعِدًّا الْعُدَّةَ وَزَادًا وَفِيرًا، يُنْفِقُ مِنْهُ عَلَى رُفَقَائِهِ فِي الطَّرِيقِ.

وَفِي الطَّرِيقِ، رَأَى **امْرَأَةً** تَتَسَلَّلُ إِلَى **مَزْبَلَةٍ**، تَلْتَقِطُ **طَائِرًا مَيِّتًا**.

فَأَرْسَلَ غُلَامَهُ لِيَرَى مَا تَفْعَلُ، فَرَجَعَ وَقَالَ:
"غَسَلَتْهُ وَطَبَخَتْهُ".

طَرَقَ عَبْدُ اللهِ بَابَهَا وَسَأَلَهَا عَنْ حَالِهَا، فَكَانَتْ **أَرْمَلَةً وَلَهَا أَيْتَامٌ، وَلَيْسَ لَهَا مَالٌ**.

فَانْصَرَفَ **عَبْدُ اللهِ بْنُ الْمُبَارَكِ**، وَحَوَّلَ نَفَقَاتِ **حَجِّهِ وَزَادِهِ** إِلَيْهَا وَإِلَى أَطْفَالِهَا، وَقَالَ:

"هَذَا أَفْضَلُ مِنْ حَجٍّ تَطَوَّعْتُ بِهِ".

وَعَادَ إِلَى بَيْتِهِ، وَلَمْ يَحُجَّ **تِلْكَ السَّنَةَ**. *الذهبي حلية الأولياء*

إِنَّ الطَّرِيقَ طَوِيلٌ، وَمَنْ أَرَادَ **النَّجَاةَ فِي الدَّارَيْنِ**، فَلْيَجْمَعْ بَيْنَ الزَّادَيْنِ:

• **زَادُ الدُّنْيَا**: الِاسْتِعْدَادُ، وَالْعَمَلُ، وَالِاحْتِيَاطُ.

• **وَزَادُ الْآخِرَةِ**: الإِيمَانُ، وَالنِّيَّةُ الصَّالِحَةُ، وَالتَّقْوَى.

فَالتَّوَكُّلُ الصَّحِيحُ هُوَ:
الْعَمَلُ مَعَ الِاعْتِمَادِ عَلَى اللهِ، لَا الْكَسَلُ مَعَ انْتِظَارِ الْمُعْجِزَاتِ.

تَحْرِيمُ الرِّبَا وَقِصَّةُ بَنِي الْمُغِيرَةِ وَثَقِيفٍ

كَانَ بَنُو الْمُغِيرَةِ قَدْ أَعْطَوْا ثَقِيفًا أَمْوَالًا بِالرِّبَا، فَلَمَّا فَتَحَ النَّبِيُّ ﷺ مَكَّةَ، وَأُعْلِنَ إِبْطَالُ الرِّبَا، جَاءَ الْفَرِيقَانِ إِلَى عَتَّابِ بْنِ أُسَيْدٍ، وَكَانَ وَالِيَ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى مَكَّةَ.

فَقَالَ بَنُو الْمُغِيرَةِ مُسْتَنْكِرِينَ:

"مَا جَعَلَنَا أَشْقَى النَّاسِ بِالرِّبَا، وُضِعَ عَنِ النَّاسِ غَيْرُنَا"!

فَكَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ: نَحْنُ الْأَكْثَرُ تَضَرُّرًا مِنْ تَحْرِيمِ الرِّبَا.

وَقَالَ بَنُو عَمْرٍو:

"لَقَدْ صُولِحْنَا عَلَى أَنْ لَنَا رِبَانَا"!

أَيْ: اتَّفَقْنَا مِنْ قَبْلُ عَلَى أَخْذِ الزِّيَادَةِ.

فَكَتَبَ عَتَّابٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَجَاءَ الْجَوَابُ مِنَ اللهِ تَعَالَى:

﴿ **فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ** ﴾. *البقرة: ٢٧٩،*

فَلَمَّا سَمِعَ بَنُو عَمْرٍو هَذَا، عَلِمُوا أَنَّهُمْ لَا طَاقَةَ لَهُمْ بِحَرْبِ اللهِ وَرَسُولِهِ، فَقَبِلُوا بِالْأَمْرِ، وَعَلِمُوا أَنَّ لَهُمْ رُءُوسَ أَمْوَالِهِمْ فَقَطْ، لَا يَظْلِمُونَ وَلَا يُظْلَمُونَ.

كَانَ هَذَا مَوْقِفًا يُجَسِّدُ الْوَرَعَ وَالتَّسْلِيمَ لِحُكْمِ اللهِ، وَالْحِرْصَ عَلَى الْحَلَالِ وَالِابْتِعَادِ عَنِ الشُّبُهَاتِ. *ابن كثير*

وَهَذَا الْمَعْنَى تَجَلَّى فِي مَوْقِفِ الْفُضَيْلِ بْنِ عِيَاضٍ،

حِينَ جَاءَهُ رَجُلٌ مِنَ التُّجَّارِ،

فَقَالَ:

"يَا أَبَا عَلِيٍّ، إِنِّي أَبِيعُ الْبِضَاعَةَ فَأَرْبَحُ فِيهَا الدِّرْهَمَ وَالدِّرْهَمَيْنِ وَرُبَّمَا الْعَشَرَةَ، وَلَكِنْ قَدْ يَمُرُّ عَلَيَّ بَعْضُ الْبَيْعِ لَا أَعْلَمُ: أَهُوَ رِبًا أَمْ لَا؟"

فَأَجَابَهُ الْفُضَيْلُ بِنَوْعٍ مِنَ الْحَزْمِ وَالْوَرَعِ:

"إِذَا شَكَكْتَ فِي دِرْهَمٍ، فَاتْرُكْهُ،

فَإِنَّ تَرْكَكَ دِرْهَمًا أَهْوَنُ مِنْ أَنْ تَقِفَ بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَفِي عُنُقِكَ رِبًا"!

فَقَالَ الرَّجُلُ:

"وَلَكِنِ النَّاسُ يَبِيعُونَ وَيَشْتَرُونَ، وَلَا يَتَحَرَّجُونَ".

فَرَدَّ الْفُضَيْلُ قَائِلًا:

"هُمْ لَا يَقِفُونَ بَيْنَ يَدَيِ اللهِ عَنْكَ.

يَا هَذَا، النَّجَاةَ النَّجَاةَ! فَإِنَّ الْأَمْرَ جِدٌّ، وَلَا يَصْلُحُ فِي هَذَا الْأَمْرِ إِلَّا الْوَرَعُ".

فَخَرَجَ التَّاجِرُ، وَقَالَ:

"وَاللهِ لَا أَبِيعُ بَعْدَهَا شَيْئًا حَتَّى أَعْلَمَ حِلَّهُ، وَلَوْ فَاتَنِي الْمَالُ كُلُّهُ". حلية الأولياء

عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ:

"لَعَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ آكِلَ الرِّبَا، وَمُوكِلَهُ، وَشَاهِدَيْهِ، وَكَاتِبَهُ، وَقَالَ: هُمْ سَوَاءٌ ". رَوَاهُ مُسْلِمٌ

وَقَالَ اللهُ تَعَالَى:

﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾. البقرة: ٢٧٥

فَالْمُرَابُونَ لَا يَقُومُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا كَالْمَصْرُوعِ، يَقُومُ قِيَامًا مُنْكَرًا مُفْزِعًا،

بِسَبَبِ ظُلْمِهِمْ وَأَكْلِهِمْ لِلرِّبَا.

وَجُمْهُورُ الْمُفَسِّرِينَ أَنَّ هَذَا الْعِقَابَ يَكُونُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَ يُبْعَثُونَ.

وَبَعْضُهُمْ يَرَى: أَنَّ التَّخَبُّطَ وَالْقَلَقَ يُصِيبُهُمْ فِي الدُّنْيَا أَيْضًا،

بِسَبَبِ الطَّمَعِ، وَوَسَاوِسِ الْحِفَاظِ عَلَى الْمَالِ، وَجَمْعِهِ بِغَيْرِ حَقٍّ.

فَالْمُعَامَلَةُ بِالرِّبَا تَجْلِبُ الْفَوْضَى لِلنَّفْسِ فِي الدُّنْيَا، وَالْعَذَابَ فِي الْآخِرَةِ.

﴿ فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ، وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ ﴾ البقرة: ٢٧٥

مَحَبَّةُ اللهِ تَعَالَى وَاتِّبَاعُ النَّبِيِّ ﷺ: مِيزَانُ الحُبِّ الإِلَهِيِّ الصَّحِيحُ

وَقَفَ النَّبِيُّ ﷺ فِي المَسْجِدِ الحَرَامِ، يَنْظُرُ إِلَى أَصْنَامِ قُرَيْشٍ الَّتِي زَيَّنُوهَا، ثُمَّ أَقْبَلُوا يَسْجُدُونَ لَهَا!
فَتَوَجَّهَ إِلَيْهِم ﷺ بِلِسَانِ الحُجَّةِ وَالبَلَاغِ، وَقَالَ:
"يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، لَقَدْ خَالَفْتُمْ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ،
وَلَقَدْ كَانَا عَلَى الإِسْلَامِ، عَلَى التَّوْحِيدِ الخَالِصِ"!

فَأَجَابَ المشْرِكُونَ بِتَبْرِيرٍ بَاهِتٍ:
"يَا مُحَمَّدُ، إِنَّمَا نَعْبُدُ هَذِهِ حُبًّا لِلَّهِ، لِتُقَرِّبَنَا إِلَى اللهِ زُلْفَى"!
فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى رَدَّهُ الحَقَّ لِيُقِيمَ مِيزَانَ الحُبِّ الإِلَهِيِّ عَلَى أُسُسِهِ الصَّحِيحَةِ، فَقَالَ:
﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ** ﴾ آلِ عِمْرَانَ: ٣١

فَقَدْ دَلَّتْ هَذِهِ الآيَةُ الكَرِيمَةُ عَلَى أَنَّ مَنْ ادَّعَى مَحَبَّةَ اللهِ تَعَالَى،
وَلَمْ يَتَّبِعْ هَدْيَ النَّبِيِّ ﷺ، فَهُوَ كَاذِبٌ فِي دَعْوَاهُ.

وَقَالَ بَعْضُ السَّلَفِ:
"مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَعْلَمَ مَا لَهُ عِنْدَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَلْيَنْظُرْ مَا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عِنْدَهُ،
فَإِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يُنْزِلُ العَبْدَ مِنْهُ حَيْثُ أَنْزَلَ العَبْدُ نَفْسَهُ".

وَاللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَقُولُ:

- ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ** ﴾ البَقَرَة: ٢٢٢
- ﴿ **فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ** ﴾ آلِ عِمْرَانَ: ٧٦
- ﴿ **وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ** ﴾ آلِ عِمْرَانَ: ١٤٦
- ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ المائِدَة: ١٣
- ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ** ﴾ آلِ عِمْرَانَ: ١٥٩
- ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ** ﴾ المائِدَة: ٤٢
- ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ** ﴾ الصَّف: ٤

هَؤُلَاءِ هُم مَحْبُوبُو اللهِ، فَطُوبَى لِمَنْ أَحَبَّهُ اللهُ!
فَاجْتَهِدْ أَنْ تَكُونَ مِنْ هَؤُلَاءِ، فَإِنَّ مَحَبَّةَ اللهِ أَعْظَمُ مَقَامٍ وَأَسْمَى غَايَةٍ.

وَقَالَ بَعْضُ الحُكَمَاءِ:
"لَيْسَ الشَّأْنُ أَنْ تُحِبَّ، إِنَّمَا الشَّأْنُ أَنْ تُحَبَّ".
فَالمَقَامُ الرَّفِيعُ: أَنْ يُحِبَّكَ اللهُ، وَإِذَا أَحَبَّكَ، نَادَى جِبْرِيلُ:
"إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلَانًا، فَأَحِبَّهُ"، فَيُحِبُّكَ أَهْلُ السَّمَاءِ،
ثُمَّ يُوضَعُ لَكَ القَبُولُ فِي الأَرْضِ.

فَمَحَبَّةُ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إِنَّمَا تَتَأَتَّى بِإِخْلَاصِ العِبَادَةِ لِلَّهِ،
وَالوُقُوفِ عِنْدَ حُدُودِهِ، وَالاسْتِجَابَةِ لِتَعَالِيمِ رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ،

وَهَلْ أَيْقَظَكَ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ إِلَّا لِأَنَّهُ يُحِبُّكَ؟

رُوِيَ أَنَّ امْرَأَةً صَالِحَةً كَانَتْ تَخْدِمُ فِي بَيْتِ إِحْدَى الأُسَرِ، وَكَانَ لَهَا حَظٌّ مِنَ القِيَامِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ.
ذَاتَ لَيْلَةٍ، سَمِعَهَا سَيِّدُ الدَّارِ وَهِيَ سَاجِدَةٌ تُنَاجِي رَبَّهَا وَتَقُولُ:
"اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِحُبِّكَ لِي، أَنْ تُكْرِمَنِي بِمَزِيدٍ مِنَ التُّقَى"...
فَلَمَّا أَتَمَّتْ صَلَاتَهَا، قَالَ لَهَا سَيِّدُهَا مُتَعَجِّبًا:
"مِنْ أَيْنَ لَكِ أَنَّ اللهَ يُحِبُّكِ؟! هَلَا قُلْتِ: أَسْأَلُكَ بِحُبِّي لَكَ؟"
فَقَالَتْ بِثِقَةِ العَارِفِينَ:
"يَا سَيِّدِي، لَوْلَا حُبُّهُ لِي، مَا أَيْقَظَنِي فِي هَذِهِ السَّاعَةِ،
وَلَوْلَا حُبُّهُ لِي، مَا أَوْقَفَنِي بَيْنَ يَدَيْهِ،
وَلَوْلَا حُبُّهُ لِي، مَا أَنْطَقَنِي بِهَذِهِ النَّجْوَى". حلية الأولياء

فالطَّاعَةُ هِبَةٌ، وَالِاسْتِقَامَةَ كَرَامَةٌ، لَا يَمْنَحُهَا اللهُ إِلَّا لِمَن أَحَبَّ.

فَأَعْظَمُ الكَرَامَةِ... أَنْ يُكْرِمَكَ اللهُ بِالدِّينِ.
قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ رضي اللهُ عنه:
"**إِنَّ اللهَ يُعْطِي الدُّنْيَا مَن يُحِبُّ وَمَن لَا يُحِبُّ،**
وَلَا يُعْطِي الدِّينَ إِلَّا لِمَن أَحَبَّ،
فَمَن أَعْطَاهُ اللهُ الدِّينَ، فَقَدْ أَحَبَّهُ." رَوَاهُ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ

وَلِذَلِكَ قَالَ بَعْضُ الحُكَمَاءِ:
"لَيْسَ الشَّأْنُ أَنْ تُحِبَّ، إِنَّمَا الشَّأْنُ أَنْ تُحَبَّ".

وَكُلُّ مَن ادَّعَى مَحَبَّةَ اللهِ وَهُوَ مُعْرِضٌ عَنْ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، فَهُوَ كَاذِبٌ فِي دَعْوَاهُ،
قَالَ الشَّاعِرُ الصُّوفِيُّ:

تَعْصِي الإِلَهَ وَأَنْتَ تُظْهِرُ حُبَّهُ
هَذَا لَعَمْرِي فِي القِيَاسِ بَدِيعُ

لَوْ كَانَ حُبُّكَ صَادِقًا لَأَطَعْتَهُ
إِنَّ المحِبَّ لِمَن يُحِبُّ مُطِيعُ

وَقَدْ خَتَمَ اللهُ هَذَا المعْنَى فِي كِتَابِهِ العَزِيزِ:
﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ *آل عِمْرَان: ٣١*

- كُلُّ رَكْعَةٍ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ، هِيَ نِدَاءُ حُبٍّ مِنَ السَّمَاءِ.
- كُلُّ دَمْعَةٍ خَاشِعَةٍ، عَلاَمَةُ مَحَبَّةٍ.

وَإِذَا جُمِعَ النَّاسُ يَوْمَ القِيَامَةِ، نَادَى مُنَادٍ:
"سَيَعْلَمُ أَهْلُ الجَمْعِ اليَوْمَ مَن أُولَى بِالْكَرَمِ"!
ثُمَّ يُنَادَى:
"لِيَقُمْ الَّذِينَ كَانَتْ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ المَضَاجِعِ..."
فَيَقُومُونَ، فَيُسْرَحُونَ إِلَى الجَنَّةِ. *صحيح مسلم*

فَكُلُّ اسْتِقَامَةٍ عَلَى أَمْرِ اللهِ، هِيَ الكَرَامَةُ الحَقِيقِيَّةُ الَّتِي يُنَادَى بِهَا العَبْدُ فِي الآخِرَةِ:
"قُومُوا إِلَى الجَنَّةِ... هَذَا جَزَاءُ مَن أَحَبَّهُمُ اللهُ"!

قِصَّةُ الرَّجُلَيْنِ فِي نزَاعِ الأَرْضِ وَعِبْرَةُ اليَمِينِ الكاذِبَةِ

جاءَ رَجُلٌ مِنْ **حَضْرَموتَ ورَجُلٌ مِن كِنْدَةَ** إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، يَدَّعِي كُلٌّ مِنْهُمَا حَقًّا فِي أَرْضٍ:

قالَ الحَضْرَمِيُّ:

"يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ هَذَا قَدْ غَلَبَنِي عَلَى أَرْضٍ لِي كانَتْ لِأَبِي".

فقالَ الكِنْدِيُّ:

"هيَ أَرْضٌ فِي يَدِي، أَزْرَعُها، لَيْسَ لَهُ فِيهَا حَقٌّ".

فقالَ النبيُّ ﷺ لِلحَضْرَمِيِّ:

"أَلَكَ بَيِّنَةٌ؟"

فقالَ:

"لا".

فأمرَه النبيُّ ﷺ:

"فَلَكَ يَمِينُكَ".

فقالَ الحَضْرَمِيُّ:

"**يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ الرَّجُلَ فاجِرٌ لا يُبَالِي عَلَى ما يَحْلِفُ عَلَيْهِ**"!

فقالَ النبيُّ ﷺ:

"لَيْسَ لَكَ مِنْهُ إِلَّا ذَلِكَ". *رواه البخاري ومسلم*

فلما أقبلَ الكِنْدِيُّ ليحلفَ ليأخُذَ الأَرْضَ زورًا، قال النبيُّ ﷺ:

"**أَمَّا لَئِنْ حَلَفَ عَلَى مالِهِ لِيَأْكُلَهُ ظُلْمًا، لَيَلْقِيَنَّ اللَّهَ وَهُوَ عَنْهُ مُعْرِضٌ**".

وفي رواية:

"**لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَان**". *رواه مسلم*

قيلَ إنَّ الرَّجُلَ كانَ امرؤَ القَيْسِ بْنَ عابِسٍ الكِنْدِيِّ،

فلما سمع وعيدَ النبيِّ ﷺ، ونزلتِ الآيةُ الكريمةُ:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾. *سورة آل عمران: ٧٧*

توقَّف عن الحلفِ زورًا، واعترفَ بالحَقِّ، ورَدَّ الأَرْضَ لِصاحِبِها، خَوْفًا من لقاءِ اللهِ عليهِ غَضْبانًا.

كانَ السَّلَفُ الصَّالِحُ يخافونَ مِنَ اليَمِينِ الكاذِبَةِ أَكْثَرَ مِنْ خَوْفِهِمْ مِنَ السَّرِقَةِ، حتّى قيلَ عن بَعْضِهِمْ: "**واللهِ لا أَحْلِفُ وَلَوْ كُنْتُ صادِقًا، فَكَيْفَ إنْ كُنْتُ كاذِبًا؟**"

لأنَّ جَزاءَ مَن يَقْسِمُ زورًا عَظِيمٌ:

- لا حَظَّ لَهُ وَلا نَصِيبَ مِن رَحْمَةِ اللهِ فِي الآخِرَةِ.
- لا يُكَلِّمُهُ اللهُ وَلا يَنْظُرُ إِلَيْهِ.
- لا يُطَهِّرُهُ وَلا يَمَدِّحُهُ.
- وَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الآخِرَةِ.

فالْيَمِينُ الكاذِبَةُ ظُلْمٌ مُزْدَوِجٌ:

كِذْبٌ عَلَى اللهِ، وَظُلْمٌ لِعِبادِهِ بِأَخْذِ حَقٍّ لَيْسَ لَهُ.

قالَ سعيدُ بْنُ جُبَيْرٍ رضي اللهُ عنه:

"**اليَمِينُ الغَمُّوسُ، هِيَ الَّتِي تُكْسِبُ مالًا أَو تُسْقِطُ حَقًّا، وَهِيَ مِنَ الكَبائِرِ، وَلَا كَفّارَةَ لَهَا إِلَّا التَّوْبَةُ**". *أخرجه عبد الرزاق في مصنفه*

فلا خَيْرَ فِي مالٍ يُنتَزَعُ بِغَيْرِ حَقٍّ.

فَضْلُ خَيْرِيَّةِ أُمَّةِ الإِسْلَامِ وَضَرُورَةُ الثَّبَاتِ عَلَى الأَرْكَانِ الثَّلَاثَةِ

رُوِيَ عَنْ **عِكْرِمَةَ** وَ**مُقَاتِلٍ**، قَالَا:

دَخَلَ مَالِكُ بْنُ الصَّيْفِ وَوَهْبُ بْنُ يَهُوذَا مِنَ الْيَهُودِ فِي مُنَاظَرَةٍ مَعَ بَعْضِ الصَّحَابَةِ، فَقَالَا لَهُمْ:

"دِينُنَا خَيْرٌ مِمَّا أَنْتُمْ عَلَيْهِ، وَنَحْنُ أَفْضَلُ مِنْكُمْ".

فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى رَدًّا عَلَى مُفَاخَرَتِهِمْ وَتَكَبُّرِهِمْ هَذِهِ الآيَةَ الْمُبَارَكَةَ:

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ، تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ،

وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ، وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ *آل عمران: ١١٠*

وَمَعْنَى "**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ** :"أَيْ وُجِدْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ، وَهَذِهِ الْخَيْرِيَّةُ تَبْقَى وَتَسْتَمِرُّ

مَا دَامَتْ قَائِمَةً عَلَى هَذِهِ الْأَرْكَانِ الثَّلَاثَةِ:

- **الأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ**
- **النَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ**
- **الإِيمَانُ الصَّادِقُ بِاللَّهِ تَعَالَى**

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُحَذِّرًا:

"وَاللَّهِ لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ، وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَلَتَأْخُذُنَّ عَلَى يَدِ الظَّالِمِ،

وَلَتُؤْطِرُنَّهُ عَلَى الْحَقِّ أُطْرًا، وَلَتَحْمِلُنَّهُ عَلَى اتِّبَاعِ الْحَقِّ حَمْلًا،

أَوْ لَيَضْرِبَنَّ اللَّهُ بِقُلُوبِ بَعْضِكُمْ عَلَى بَعْضٍ، ثُمَّ يَلْعَنَكُمْ كَمَا لَعَنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ،

كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ، لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) ".*رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، وَالتِّرْمِذِيُّ*

وَرَوَى **قَتَادَةُ** أَنَّ **عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،**

لَمَّا رَأَى بَعْضَ النَّاسِ يَتَرَاخَوْنَ فِي أَدَاءِ مَا عَلَيْهِمْ، وَخَاصَّةً فِي **الْحَجِّ،**

قَرَأَ عَلَيْهِمْ هَذِهِ الْآيَةَ:

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ *آل عمران: ١١٠*

ثُمَّ قَالَ لَهُمْ:

"مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَكُونَ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ، فَلْيُؤَدِّ شَرْطَ اللَّهِ فِيهَا".

وَمِنْ **خَيْرِيَّةِ هَذِهِ الأُمَّةِ** أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَهَا **أُمَّةَ الشَّهَادَةِ عَلَى النَّاسِ**، وَ**رَفَعَ مَنْزِلَتَهَا** بَيْنَ سَائِرِ الأُمَمِ، **وَجَعَلَهَا أُمَّةً وَسَطًا** فِي الْعَقِيدَةِ وَالسُّلُوكِ وَالْعَدْلِ

لِتَكُونَ شَاهِدَةً عَلَى الْخَلْقِ جَمِيعًا، فَقَالَ سُبْحَانَهُ:

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ، وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ *البقرة: ١٤٣*

وَفِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الْعَظِيمِ، يُدْعَى **نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ**،

فَيُقَالُ لَهُ" :**هَلْ بَلَّغْتَ قَوْمَكَ؟**" فَيُجِيبُ" :**نَعَمْ، يَا رَبِّ**".

فَيُقَالُ لِقَوْمِهِ" :**هَلْ بَلَّغَكُمْ نُوحٌ؟**" فَيَقُولُونَ" :**مَا أَتَانَا مِنْ نَذِيرٍ**"!

فَيُقَالُ لِنُوحٍ" :**مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟**" فَيَقُولُ" :**مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ**".

فَتُدْعَى أُمَّةُ **مُحَمَّدٍ** ﷺ لِتَشْهَدَ بِأَنَّ نُوحًا قَدْ بَلَّغَ رِسَالَتَهُ . *تفسير ابن كثير، والصحيحين*

إِنَّ هَذَا التَّكْرِيمَ الْعَظِيمَ يَحْمِلُ **مَسْؤُولِيَّةً ضَخْمَةً**،

بَلْ **أَمَانَةً** تَقْتَضِي الِالْتِزَامَ بِالْحَقِّ، وَالدَّعْوَةَ إِلَيْهِ، وَالتَّمَسُّكَ بِالْهُدَى.

فَ"خَيْرُ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ" لِأَنَّهَا **تَحْمِلُ مِشْعَلَ الهِدَايَةِ**، وَ**تَشْهَدُ عَلَى الأُمَمِ، وَرَسُولُهَا شَاهِدٌ عَلَيْهَا**

فَلْتَكُنْ عَلَى قَدَرِ هَذِهِ **الشَّهَادَةِ:**

- **قَائِمَةً بِالْحَقِّ**
- **دَاعِيَةً إِلَى الْخَيْرِ**
- **ثَابِتَةً عَلَى الصِّرَاطِ**

الصَّبْرُ عَلَى أَذَى الْأَعْدَاءِ وَثَبَاتُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى دِينِهِمْ

رُوِيَ عَنْ مُقَاتِلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ سَلَامٍ، الصَّحَابِيَّ الْجَلِيلَ،
الَّذِي كَانَ مِنْ أَعْلَامِ عُلَمَاءِ الْيَهُودِ قَبْلَ إِسْلَامِهِ،
قَدْ تَعَرَّضَ لِحِقْدٍ وَحَسَدٍ شَدِيدٍ مِنْ قِبَلِ رُؤُوسِ الْيَهُودِ،
فَكَانُوا يَرْمُونَهُ وَأَصْحَابَهُ بِالْأَذَى وَالشَّتَائِمِ وَالطَّعْنِ فِي عَقِيدَتِهِمْ الْجَدِيدَةِ.

فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى طَمْأَنِينَةً لِقُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْمَوَاقِفِ، بِقَوْلِهِ:
﴿ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًىۖ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴾ *آل عمران: ١١١*

إِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ تَحْمِلُ فِي طَيَّاتِهَا بَشَارَةً عَظِيمَةً لِكُلِّ مُؤْمِنٍ:

•أَذَاهُمْ لَكُمْ لَيْسَ إِلَّا أَذًى كَلَامِيًّا أَوْ مَعْنَوِيًّا،
لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَمَسَّ جَوْهَرَ عَقِيدَتِكُمْ،
وَلَا يَقْطَعَ رِزْقَكُمْ، وَلَا يُطْفِئَ نُورَ هِدَايَتِكُمْ.

﴿ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴾ *آل عمران: ١١١*

وَهَكَذَا كَانَ الشَّأْنُ فِي قِتَالِ الْمُسْلِمِينَ الْأَوَّلِينَ،
فَلَقَدْ قَاتَلُوا الْيَهُودَ، وَوَاجَهُوا جُمُوعَ الرُّومِ،
فَكَانَ النَّصْرُ الْمُؤَزَّرُ حَلِيفَهُمْ،
رَغْمَ قِلَّةِ عَدَدِهِمْ، وَكَثْرَةِ أَعْدَائِهِمْ، وَضَعْفِ عُدَّتِهِمْ.

لَكِنَّ الَّذِي تَغَيَّرَ... لَيْسَ الْعَدُوُّ،
بَلْ تَغَيَّرَتْ أَحْوَالُ الْمُسْلِمِينَ فِي هَذَا الْعَصْرِ!

فَرَّطُوا فِي دِينِهِمْ
ضَيَّعُوا الصَّلَاةَ
اتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ

تَمَزَّقُوا شِيعًا وَأَحْزَابًا
وَأَعْرَضُوا عَنِ الْأَسْبَابِ الَّتِي شَرَعَهَا اللهُ لِنَيْلِ النَّصْرِ
وَلَمْ يُحْسِنُوا الشُّعُورَ بِالْمَسْؤُولِيَّةِ.

فَالْخُصُومُ لَمْ يَنْتَصِرُوا بِسُمُوِّهِمْ أَوْ رِفْعَةِ أَخْلَاقِهِمْ،
بَلْ – وَاللَّهِ – بِتَخَاذُلِنَا وَبُعْدِنَا عَنْ مَنْهَجِ رَبِّنَا.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:
﴿ وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ ﴾ الشورى: ٣٠

وَإِنْ عَادَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى رَبِّهِمْ، وَتَمَسَّكُوا بِدِينِهِمْ،
فَإِنَّ اللَّهَ سَيُعِيدُ إِلَيْهِمْ عِزَّتَهُمْ وَكَرَامَتَهُمْ،
كَمَا وَعَدَ سُبْحَانَهُ:
﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ الحج: ٤٠

فَإِنْ تَمَسَّكْتَ بِدِينِكَ فِي بِيئَةٍ تُحَارِبُ التَّدَيُّنَ،
فَثِقْ بِأَنَّ اللَّهَ يَقُولُ لَكَ: ﴿ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى ﴾ آل عمران: ١١١

وَإِنْ آذُوكَ بِكَلَامٍ، أَوْ سُخْرِيَةٍ، أَوْ اتِّهَامٍ،
فَهَذَا هُوَ الأَذَى الَّذِي وُعِدْتَ بِهِ،
وَلَيْسَ الضَّرَرُ الْحَقِيقِيُّ.

قِصَّةُ سَعادَةِ إِبْراهِيمَ بْنِ أَدْهَمَ وولايَتِهِ للهِ

كانَ إِبْراهِيمُ بْنُ أَدْهَمَ رَحِمَهُ اللهُ **أَمِيرًا غَنِيًّا فِي بَلْخَ**، يَمْلِكُ المالَ والخَدَمَ والجَاهَ، لَكِنَّهُ **لَمْ يَجِدْ سَعادَةَ القَلْبِ وَلا راحَةَ النَّفْسِ.**

فَما إِنْ ناداهُ النِّداءُ الإِلهيُّ فِي قَلْبِهِ:

"يا إِبْراهِيمُ، أَلِهَذا خُلِقْتَ؟"!

حَتَّى أَثَّرَ ذٰلِكَ فِيهِ كَثِيرًا، وَعادَ إِلَى قَصْرِهِ **حَزِينًا مَهْمُومًا،** ثُمَّ قَامَ مِنْ نَوْمِهِ لَيْلًا، **فَخَلَعَ ثِيابَ المُلُوكِ، وَارْتَدَى ثِيابَ الزُّهّادِ،** وَخَرَجَ مِنْ بَلْخَ قاصِدًا **بَيْتَ اللهِ الحَرامِ** طالِبًا **التَّوْبَةَ وَالرِّضا مِنَ اللهِ.**

تَرَكَ المُلْكَ وَالرّاحَةَ وَالقُصُورَ، وَأَقْبَلَ عَلَى اللهِ، فَكانَ بَعْدَ ذٰلِكَ مِنْ **كِبارِ الزُّهّادِ، وَالْوُعّاظِ، وَالدُّعاةِ إِلَى اللهِ، وَالْعارِفِينَ بِهِ.**

تَرَكَ الدُّنْيا بِكامِلِها للهِ.
وَاتَّقى اللهَ بِتَرْكِ المَعاصِي وَالتَّرَفِ، وَسَلَكَ طَرِيقَ الزُّهْدِ وَالطّاعَةِ.

فَنالَ **السَّعادَةَ الحَقِيقِيَّةَ،** الَّتِي **لا تُشْتَرَى بِالمَالِ، وَلا تُنالُ بِالجاهِ،** وَالَّتِي **لَمْ يَجِدْها حِينَ كانَ أَمِيرًا غَنِيًّا.**

وكانَ كثيرًا ما يقول:

"لَوْ عَلِمَ المُلُوكُ وَأَبْناءُ المُلُوكِ ما نَحْنُ فِيهِ مِنْ نَعِيمٍ، لَقاتَلُونا عَلَيْهِ بِالسُّيُوفِ". الزُّهْدُ لابْنِ المبارَك،

يَعْنِي :**نَعِيمَ القُرْبِ مِنَ اللهِ، وَلَذَّةَ العِبادَةِ، وَحَلاوَةَ التَّوَكُّلِ.**

فَالحَلاوَةُ وَالسَّعادَةُ هُما مِنَ الصِّفاتِ المميِّزَةِ **لِأَوْلِياءِ اللهِ.**

يَعيشونَ فِي **حَلاوَةٍ دِينِيَّةٍ** بِسَبَبِ قُرْبِهِمْ مِنَ اللهِ، وَحُبِّهِمْ لَهُ، وَامْتِثالِهِمْ لِأَوامِرِهِ.

وَهٰذِهِ الحَلاوَةُ **تَظْهَرُ فِي قُلُوبِهِمْ وَأَفْعالِهِمْ،** وَتَمْنَحُهُمْ **سَعادَةً دائِمَةً لا يَشْعُرُ بِها غَيْرُهُمْ.**

قالَ تعالى:

"أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ. الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ. لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ، لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ، ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ". يونس: ٦٢-٦٤

فَهٰذِهِ الآياتُ جاءَتْ لِتُقَرِّرَ، أَنَّ **أَوْلِياءَ اللهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ فِي الآخِرَةِ**، وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ عَلَى مَا فَاتَهُمْ فِي الدُّنْيا.

وَوَصَفَ اللهُ أَوْلِياءَهُ بِوَصْفَيْنِ:

الإِيمانِ وَالتَّقْوَى، وقالَ:
"الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ"

وَكُلُّ مَنْ ادَّعَى الوِلايَةَ وَالمَحَبَّةَ دُونَ هَذَيْنِ الوَصْفَيْنِ، فَهُوَ كاذِبٌ فِي دَعْواهُ.

ويضافُ **وَصْفٌ ثالِثٌ: الإِكْثارُ مِنَ النَّوافِلِ.**

قالَ رسولُ اللهِ ﷺ فِيمَا يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّهِ:

"مَن عادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَما تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَما يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ"... رواه البخاري،

فالوَلِيُّ:
هوَ المؤمِنُ التَّقِيُّ الَّذِي أَدَّى الفَرائِضَ وَاجْتَنَبَ المحارِمَ وَأَكْثَرَ مِنَ النَّوافِلِ

وَبِذٰلِكَ، فَكُلُّ مُؤمِنٍ تَقِيٍّ فَهُوَ لِلَّهِ وَلِيٌّ.
وَهٰذَا يَعْنِي أَنَّ **البَابَ مَفْتُوحٌ لِكُلِّ مَنْ يُرِيدُ الوُصُولَ إِلَى هٰذِهِ المَنْزِلَةِ العَلِيَّةِ.**

رَحْمَةُ اللهِ وَحِكْمَتُهُ يَوْمَ أُحُدٍ

لَمَّا اشْتَدَّتِ الْكُرُوبُ فِي مَعْرَكَةِ أُحُدٍ،
وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَرَى أَمَامَهُ قَادَةَ الْكُفْرِ الَّذِينَ آذَوْهُ وَأُوذِيَ أَصْحَابُهُ مِنْهُمْ،
مِثْلَ: أَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ، وَصَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ، وَسُهَيْلَ بْنِ عَمْرٍو، وَالْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ،
أَخَذَ ﷺ يَدْعُو عَلَيْهِمْ فِي لَحْظَةِ أَلَمٍ وَغَضَبٍ بَشَرٍ شَدِيدٍ.

فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:
﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ *آل عمران: ١٢٨*

أَي: لَيْسَ لَكَ – يَا مُحَمَّدُ – الْحُكْمُ فِي هَؤُلَاءِ،
فَقَدْ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فَيَدْخُلُونَ فِي الْإِسْلَامِ،
وَقَدْ يُعَذِّبُهُمْ إِنْ أَصَرُّوا عَلَى الْكُفْرِ وَالظُّلْمِ،
فَالْأَمْرُ كُلُّهُ بِيَدِ اللَّهِ وَحْدَهُ.

وَكَانَتِ النَّتِيجَةُ أَعْظَمَ مِمَّا يُتَوَقَّعُ:

- **أَبُو سُفْيَان** :أَسْلَمَ قَبْلَ فَتْحِ مَكَّةَ، وَكَانَ لَهُ مَوَاقِفُ عَظِيمَةٌ بَعْدَ إِسْلَامِهِ، وَصَارَ مِنَ الصَّحَابَةِ.
- **صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ** :أَسْلَمَ بَعْدَ غَزْوَةِ حُنَيْنٍ، وَأَكْرَمَهُ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى قَالَ:
"مَا طَابَتْ نَفْسِي بِالْإِسْلَامِ حَتَّى دَخَلْتُ فِيهِ."
- **سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو** :خَطِيبُ قُرَيْشٍ، صَارَ مِنْ دُعَاةِ الْإِسْلَامِ، وَكَانَ حَسَنَ الْبَلَاغَةِ.
- **الْحَارِثُ بْنُ هِشَامٍ** :أَسْلَمَ وَجَاهَدَ، وَاسْتُشْهِدَ فِي مَعْرَكَةِ الْيَرْمُوكِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ.

سُبْحَانَ اللَّهِ...
مَنْ دَعَا عَلَيْهِمُ النَّبِيُّ ﷺ فِي لَحْظَةِ أَلَمٍ، صَارُوا مِنْ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ فِيمَا بَعْدُ.

فَهَذِهِ رَحْمَةُ اللَّهِ الَّتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ.
﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ *البقرة: ٢١٦*

فَمَا نَرَاهُ شَرًّا قَدْ يَكُونُ فِيهِ الْخَيْرُ كُلُّهُ،
وَمَا تَخْتَارُهُ قُلُوبُنَا الطَّيِّبَةُ قَدْ لَا يُوَافِقُ حِكْمَةَ اللَّهِ،
فَلْتَكُنْ ثِقَتُنَا بِاللَّهِ، وَرَجَاؤُنَا فِي حِكْمَتِهِ، وَتَسْلِيمُنَا لِتَقْدِيرِهِ.

وَقَدْ يَخْطُرُ فِي النَّفْسِ أَحْيَانًا أَسْئِلَةٌ أَوْ وَسَاوِسُ عَنِ الْقَدَرِ وَالْحِكْمَةِ،
فَنَخَافُ مِنْهَا، **فَنَسْتَغْفِرُ وَنَتَعَوَّذُ، وَهَذَا – وَاللَّهِ – مِنْ كَمَالِ الْإِيمَانِ.**

رَوَى مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:
أَنَّ نَاسًا جَاءُوا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالُوا:
يَا رَسُولَ اللَّهِ، **نَجِدُ فِي أَنْفُسِنَا مَا يَتَعَاظَمُ أَحَدُنَا أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ.**
فَقَالَ ﷺ: **"أَوَقَدْ وَجَدْتُمُوهُ؟"**
قَالُوا: نَعَمْ.
قَالَ" :**ذَاكَ صَرِيحُ الْإِيمَانِ."**

أَي: وُجُودُ الْوَسْوَسَةِ مَعَ كَرَاهِيَتِهَا وَعَدَمِ التَّعْبِيرِ عَنْهَا،
هُوَ دَلِيلٌ عَلَى الْإِيمَانِ الصَّادِقِ، لَا عَلَى نَقْصِهِ.

وَيَزِيدُ الْأَمْرَ بَيَانًا مَا رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بِسَنَدٍ حَسَنٍ:
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
"لَوْ أَنَّ اللَّهَ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَاوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ، لَعَذَّبَهُمْ غَيْرَ ظَالِمٍ لَهُمْ،
وَلَوْ رَحِمَهُمْ، كَانَتْ رَحْمَتُهُ خَيْرًا لَهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ".

فَهَكَذَا هُوَ كَمَالُ الْإِيمَانِ:
لَيْسَ فِي خُلُوِّ الْقَلْبِ مِنَ الْوَسَاوِسِ، بَلْ فِي مُقَاوَمَتِهَا، وَحُسْنِ الظَّنِّ بِاللَّهِ،
وَالْقَوْلِ بِثَبَاتٍ:" آمَنْتُ بِاللَّهِ، ثُمَّ اسْتَقِمْ ". رواه مسلم

بُشْرَى الشُّهَدَاءِ فِي الْجَنَّةِ
مَقَامُ الشَّهِيدِ عِنْدَ اللَّهِ: أَحْيَاءٌ لَا يُبْكُونَ بَلْ يُغْبَطُونَ

رَوَى ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:
"لَمَّا أُصِيبَ إِخْوَانُكُمْ بِأُحُدٍ، جَعَلَ اللَّهُ أَرْوَاحَهُمْ فِي أَجْوَافِ طَيْرٍ خُضْرٍ، تَرِدُ أَنْهَارَ الْجَنَّةِ، وَتَأْكُلُ مِنْ ثِمَارِهَا، وَتَأْوِي إِلَى قَنَادِيلَ مِنْ ذَهَبٍ مُعَلَّقَةٍ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ "...*رَوَاهُ مُسْلِمٌ*

فَلَمَّا نَالُوا مَا نَالُوا مِنَ النَّعِيمِ وَالرَّاحَةِ، قَالُوا:
"مَن يُبَلِّغُ إِخْوَانَنَا عَنَّا أَنَّنَا فِي الْجَنَّةِ نُرْزَقُ، لِئَلَّا يَزْهَدُوا فِي الْجِهَادِ، وَلَا يَنْكِصُوا فِي الْحَرْبِ؟"

فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى:
"أَنَا أُبَلِّغُهُمْ عَنْكُمْ".

فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ آيَةً تَتَلَأْلَأُ بِالْعِزَاءِ وَالطُّمَأْنِينَةِ:
﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًاۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ *آل عمران: ١٦٩*

أَحْيَاءٌ لَا نَشْعُرُ بِهِمْ... وَلَكِنَّهُمْ فِي نَعِيمٍ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:
﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴾ *البقرة: ١٥٤*

أَيْ: هُمْ أَحْيَاءٌ بِحَيَاةٍ بَرْزَخِيَّةٍ لَا تَشْبَهُ حَيَاةَ أَهْلِ الدُّنْيَا،
لَا نَرَاهَا، وَلَا نَلْمِسُهَا، وَلَكِنَّهَا **حَقٌّ كَمَا أَخْبَرَنَا اللَّهُ بِهَا.**

هُمْ فِي نَعِيمٍ مُقِيمٍ...فِي الْجَنَّةِ يَطِيرُونَ، وَيَتَنَعَّمُونَ، وَتَحْتَ الْعَرْشِ يَسْكُنُونَ.

لَا يُبْكَوْنَ لِفَقْدِهِمْ، بَلْ يُغْبَطُونَ عَلَى مَا نَالُوا مِنْ كَرَامَةٍ وَشَرَفٍ.
وَرُغْمَ نَيْلِهِمْ لِلنَّعِيمِ، لَمْ يَنْسَوْا مَن تَرَكُوهُمْ خَلْفَهُمْ،
فَسَأَلُوا اللَّهَ أَنْ يُبَلِّغَ إِخْوَانَهُمْ أَنَّهُمْ فِي رِزْقٍ وَنَعِيمٍ،
حَتَّى لَا يَضْعُفُوا وَلَا يَتَرَاجَعُوا.

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

"مَا مِنْ أَحَدٍ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يُحِبُّ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا، وَلَهُ مَا عَلَى الْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ،

إِلَّا الشَّهِيدُ؛ فَإِنَّهُ يَتَمَنَّى أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا، فَيُقْتَلَ عَشَرَ مَرَّاتٍ، لِمَا يَرَىٰ مِنَ الْكَرَامَةِ ". مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ

وَلِأَنَّ مَقَامَ الشَّهِيدِ عِنْدَ اللَّهِ أَعْظَمُ مِنْ دُعَائِنَا لَهُ،

وَلِأَنَّ دَمَهُ شَهَادَةٌ لَا تُغْسَلُ،

فَإِنَّ **الصَّلَاةَ عَلَيْهِ لَيْسَتْ وَاجِبَةً وَلَا مُسْتَحَبَّةً**، وَإِنَّمَا **جَائِزَةٌ فَقَطْ.**

- **لَا يُغْسَلُ الشَّهِيدُ.**
- **وَلَا تُنْزَعُ عَنْهُ ثِيَابُهُ.**
- **وَيُدْفَنُ بِدَمِهِ، وَثِيَابِهِ، وَشَهَادَتِهِ.**

"فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ أَمْوَاتًا..." بَلْ هُمْ أَحْيَاءٌ.

حِكْمَةُ اللهِ فِي امْتِحَانِ الْمُؤْمِنِينَ

قَالَتِ الْيَهُودُ مُسْتَنكِرَةً:
تَزْعُمُ يَا مُحَمَّدُ أَنَّ مَن خَالَفَكَ فَهُوَ فِي النَّارِ، وَاللَّهُ عَلَيْهِ غَضْبَانٌ،
وَأَنَّ مَن اتَّبَعَكَ عَلَى دِينِكَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَاللَّهُ عَنْهُ رَاضٍ،
فَأَخْبِرْنَا بِمَن يُؤْمِنُ بِكَ وَمَن لَا يُؤْمِنُ؟

وَكَانَ هَذَا التَّعَجُّبُ مِنْهُمْ رَدًّا عَلَى قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ:
"عُرِضَتْ عَلَيَّ أُمَّتِي فِي صُوَرِهَا، كَمَا عُرِضَتْ عَلَى آدَمَ،
وَأُعْلِمَتْ مَن يُؤْمِنُ بِي وَمَن يَكْفُرُ." رَوَاهُ مُسْلِمٌ

وَأَمَّا الْمُنَافِقُونَ، فَقَدْ تَهَكَّمُوا وَقَالُوا:
يَزْعُمُ مُحَمَّدٌ أَنَّهُ يَعْلَمُ مَن يُؤْمِنُ بِهِ وَمَن يَكْفُرُ،
وَنَحْنُ مَعَهُ وَلَا يَعْرِفُنَا!

أَمَّا الْمُؤْمِنُونَ الصَّادِقُونَ، فَطَلَبُوا مِن نَبِيِّهِم ﷺ عَلَامَةً تُفَرِّقُ بَيْنَ الْمُؤْمِنِ وَالْمُنَافِقِ،
لِيَطْمَئِنُّوا إِلَى صِدْقِ إِيمَانِهِمْ، فَأَنزَلَ اللَّهُ تَعَالَى قَوْلَهُ:
﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾. آل عمران: ١٧٩

فَلَيْسَ مِنْ سُنَّةِ اللهِ أَنْ يُطْلِعَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْغَيْبِ،
بَلْ يُمَيِّزُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ، وَالْمُنَافِقَ مِنَ الصَّادِقِ،
عَنْ طَرِيقِ الِابْتِلَاءِ وَالِامْتِحَانِ.

وَقَدِ ابْتَلَى اللَّهُ عِبَادَهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ، وَمِنْهَا غَزْوَةُ الْخَنْدَقِ، حَيْثُ بَلَغَ الْخَوْفُ وَالضِّيقُ مَبْلَغَهُ:
﴿وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ﴾ الأحزاب: ١٠

حَتَّى قِيلَ: فِي زَمَنِ الْقَلَقِ... تَذَكَّرِ الْخَنْدَقَ.

قَالَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ رَحِمَهُ اللَّهُ:
"النَّاسُ مَا دَامُوا فِي عَافِيَةٍ فَهُمْ مَسْتُورُونَ، فَإِذَا نَزَلَ بِهِمُ الْبَلَاءُ صَارُوا إِلَى حَقَائِقِهِمْ؛ صَارَ الْمُؤْمِنُ إِلَى إِيمَانِهِ، وَصَارَ الْمُنَافِقُ إِلَى نِفَاقِهِ".

وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ:
"الِابْتِلَاءُ بِالشَّرِّ أَمْرٌ مَفْهُومٌ: لِيُكْشَفَ مَدَى صَبْرِ الْعَبْدِ، وَثِقَتُهُ بِرَبِّهِ، وَرَجَاؤُهُ فِي رَحْمَتِهِ.
لَكِنَّ الِابْتِلَاءَ بِالْخَيْرِ أَشَدُّ وَطْأَةً".

فَكَمْ مِنَ النَّاسِ صَبَرُوا عَلَى الْمَرَضِ، لَكِنْ لَمْ يَصْبِرُوا عَلَى الصِّحَّةِ!

وَكَمْ مِنْ قُلُوبٍ ثَبَتَتْ فِي الْفَقْرِ، وَذَلَّتْ فِي الثَّرَاءِ!

فَالشَّرُّ يُحَفِّزُ الْأَعْصَابَ لِلْمُوَاجَهَةِ،
أَمَّا الرَّخَاءُ، فَيُرْخِي الْأَعْصَابَ، وَيُضْعِفُ الْإِرَادَةَ، وَيُغْوِي النُّفُوسَ.

وَعَلَى أَيَّةِ حَالٍ فَكُلُّنَا مُبْتَلُونَ:
إِمَّا مَحَبَّةٌ مِنَ اللَّهِ، أَوْ رَفْعَةٌ فِي الدَّرَجَاتِ، أَوْ كَفٌّ لِذُنُوبٍ وَخَطَايَا.

فَالْبَلَاءُ لَيْسَ دَوْمًا غَضَبًا، بَلْ قَدْ يَكُونُ لُطْفًا وَرَحْمَةً.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
"عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ! إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ،
وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ:
إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ،
وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ." رَوَاهُ مُسْلِمٌ

مَن قَاتَلَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ... وَكَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ!

فِي الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ **قُزْمَانُ**.
قَاتَلَ فِي غَزْوَةِ أُحُدٍ قِتَالًا ضَارِيًّا، لَا يُنْسَاهُ مَن حَضَرَ الْمَعْرَكَةَ.
رَآهُ الصَّحَابَةُ يَضْرِبُ الصُّفُوفَ،
وَيُجَهِّزُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ، وَيَحْمِلُ لِوَاءً مِنَ الشَّجَاعَةِ لَا يُضَاهَى.
حَتَّى قَالُوا: "مَا أَجْزَى مِنَّا الْيَوْمَ أَحَدٌ مِثْلَ مَا أَجْزَى **قُزْمَانُ**"**!**
بَلْ قَالَ بَعْضُهُمْ: "هُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ"**!**

وَلَكِن...
كَانَ النَّبِيُّ ﷺ قَدْ قَالَ فِيهِ قَبْلَهَا:
"هُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ**!**" مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ

فَلَمَّا انْتَهَتِ الْمَعْرَكَةُ، وَكَانَ **قُزْمَانُ** قَدْ جُرِحَ جُرُوحًا شَدِيدَةً،
جَاءُوا يُصَبِّرُونَهُ وَقَالُوا:
—أَبْشِرْ يَا **قُزْمَانُ**، لَقَدْ أَبْلَيْتَ بَلَاءً حَسَنًا**!**

فَقَالَ قَوْلَتَهُ الَّتِي كَشَفَتِ السِّرَّ:
"بِمَاذَا أُبَشَّرُ؟!
وَاللَّهِ مَا قَاتَلْتُ إِلَّا عَنْ أَحْسَابِ قَوْمِي،
وَلَوْلَا ذَلِكَ... مَا قَاتَلْتُ"!

ثُمَّ لَمْ يَصْبِرْ عَلَى أَلَمِ الْجُرُوحِ،
فَأَخَذَ سَيْفَهُ... وَانْتَحَرَ.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
"إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ،
وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ." مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ

قُزْمَانُ قَاتَلَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ... وَلَكِنَّهُ لَمْ يُقَاتِلْ لِأَجْلِ اللَّهِ.
كَانَ فِعْلُهُ ظَاهِرُهُ الْجِهَادُ، وَبَاطِنُهُ حَمِيَّةٌ.

وَهذَا يُخْبِرُنَا أَنَّ الْأَعْمَالَ لَيْسَتْ بِمَظَاهِرِهَا، بَلْ بِنِيَّاتِهَا.

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ المائدة: ٢٧

وَضِدُّ هذَا تَمَامًا...

ذَاكَ الرَّجُلُ الَّذِي قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ،
رَجُلٌ سَفَّاكٌ لِلدِّمَاءِ، لَا يُرْجَى لَهُ نَجَاةٌ،
لَكِنَّهُ تَابَ... ثُمَّ هَاجَرَ إِلَى أَرْضِ الصَّالِحِينَ،
وَمَاتَ فِي الطَّرِيقِ.

فَقَالَ اللَّهُ: "قِيسُوا مَا بَيْنَ الْأَرْضَيْنِ، فَأَلْحِقُوهُ بِالْأَقْرَبِ لَهُمَا".
فَكَانَ أَقْرَبَ إِلَى أَرْضِ التَّوْبَةِ... فَدَخَلَ الْجَنَّةَ! رَوَاهُ مُسْلِمٌ

فَلَا تَغْتَرَّ... وَلَا تَحْكُمْ
فَقَدْ تَرَى رَجُلًا مُنْغَمِسًا فِي الدُّنْيَا... فَتَحْتَقِرَهُ،
ثُمَّ إِذَا خَلَوْتَ بِقَلْبِهِ، وَجَدْتَهُ يَشْتَاقُ إِلَى اللَّهِ.

وَقَدْ تَرَى آخَرَ عَلَيْهِ سِيمَا الصَّالِحِينَ،
وَإِذَا اقْتَرَبْتَ مِنْهُ، وَجَدْتَهُ حَرِيصًا عَلَى زُخْرُفِ الْحَيَاةِ،
يَعْبُدُ صُورَتَهُ أَمَامَ النَّاسِ أَكْثَرَ مِمَّا يَعْبُدُ رَبَّهُ.

الْمَظَاهِرُ خَادِعَةٌ، وَالْقُلُوبُ وَحْدَهَا تُوْزَنُ عِنْدَ اللَّهِ.
قَالَ ﷺ:
إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَلَا إِلَى أَجْسَادِكُمْ،
وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ." رَوَاهُ مُسْلِمٌ

قِصَّةُ حِسَابِ ثَلَاثَةٍ مِنَ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ أَوَّلَ النَّاسِ حِسَابًا وَسُؤَالًا عَن أَفْعَالِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَةٌ:

الأَوَّلُ :رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ فَأُتِيَ بِهِ، فَعَرَّفَهُ اللَّهُ نِعَمَهُ، فَعَرَفَهَا،
وَالظَّاهِرُ أَنَّ الْمَرَادَ بِالنِّعَمِ هُنَا هِيَ النِّعَمُ الْمُتَعَلِّقَةُ بِالْجِهَادِ؛
مِثْلُ تَيْسِيرِ أَسْبَابِ الْجِهَادِ، وَصِحَّةِ جَسَدِهِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ.

فَقَالَ لَهُ اللَّهُ تَعَالَى:
"فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟"

قَالَ: "قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ".

فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى:
"كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِيُقَالَ جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ".

ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ.

الثَّانِي :رَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ الشَّرْعِيَّ وَعَلَّمَ النَّاسَ، وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ، فَعَرَّفَهُ اللَّهُ نِعَمَهُ، فَعَرَفَهَا،

قَالَ لَهُ اللَّهُ تَعَالَى:
"فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟"

قَالَ: "تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ، وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ".

فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى:
"كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ عَلِيمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ".

فَلَيْسَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ أَجْرٌ، ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ.

الثَّالِثُ :رَجُلٌ كَثَّرَ اللَّهُ مَالَهُ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كَالنُّقُودِ وَالْمَتَاعِ وَالْعَقَارِ وَالْمَوَاشِي،
فَسُئِلَ: "مَا عَمِلْتَ فِيهَا؟"

أُتِيَ بِهِ، فَعَرَّفَهُ اللَّهُ نِعَمَهُ، فَعَرَفَهَا،

قَالَ: "مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ".

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:
"كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ هُوَ جَوَّادٌ، فَقَدْ قِيلَ".

ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ، ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ. صحيح الجامع

فَالناسُ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَا يَنْقُصُونَ شَيْئًا مِنْ نَتَائِجِ جُهُودِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ،
حَتَّى وَلَوْ كَانَتْ جُهُودًا بِلَا إِخْلَاصٍ وَلَا إِيمَانٍ، **يَقُولُ تَعَالَى:**

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ هود: ١٥

أَمَّا فِي الْآخِرَةِ، فَإِنَّ الْأَعْمَالَ الَّتِي لَمْ تَكُنْ صَادِقَةً خَالِصَةً لِلَّهِ تُصْبِحُ بِلَا قِيمَةٍ وَلَا فَائِدَةٍ، قَالَ تَعَالَى:

﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا﴾ الْفُرْقَانِ: ٢٣

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ:
سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ رَجُلٍ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يُصِلُ الرَّحِمَ وَيُطْعِمُ الْمِسْكِينَ،
هَلْ يَنْفَعُهُ ذَلِكَ؟
فَقَالَ: "لَا يَنْفَعُهُ، لِأَنَّهُ لَمْ يَدْعُ اللَّهَ يَوْمًا أَنْ يَغْفِرَ لَهُ خَطِيئَتَهُ يَوْمَ الدِّينِ"،
أَي أَنَّ نِيَّتَهُ لَمْ تَكُنْ خَالِصَةً لِلَّهِ.

فَالْأَعْمَالُ وَإِنْ بَدَتْ حَسَنَةً، فَإِنْ لَمْ تُخْتَمْ بِالتَّوْبَةِ وَالنِّيَّةِ الْخَالِصَةِ فَهِيَ كَالْهَبَاءِ مِنْثُورًا.

النِّيَّةُ وَأَثَرُهَا فِي قَبُولِ الْأَعْمَالِ: قِصَّةُ مُهَاجِرِ أُمِّ الْقَيْسِ

قِيلَ: إِنَّ رَجُلًا أَحَبَّ امْرَأَةً مِن مَكَّةَ،
فَاشْتَرَطَتْ عَلَيْهِ أَنْ يُهَاجِرَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي الْمَدِينَةِ،
فَهَاجَرَ فِعْلًا لِيَتَزَوَّجَهَا، فَسُمِّيَ بَيْنَ النَّاسِ "مُهَاجِرُ أُمِّ الْقَيْسِ"،
لِأَنَّهُ لَمْ يُهَاجِرْ لِلَّهِ، بَلْ مِنْ أَجْلِ امْرَأَةٍ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فِي حَدِيثٍ عَظِيمٍ يُعَدُّ أَصْلًا مِن أُصُولِ الإِسْلَامِ:
"إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى،
فَمَن كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ،
وَمَن كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوِ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا
فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ) ".رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ

وَرَغْمَ أَنَّ نِيَّةَ الرَّجُلِ فِي هِجْرَتِهِ كَانَتْ دُنْيَوِيَّةً (مِنْ أَجْلِ امْرَأَةٍ أَرَادَ الزَّوَاجَ مِنْهَا)،
إِلَّا أَنَّ فِعْلَهُ لَمْ يَكُنْ حَرَامًا، وَلَا زَوَاجُهُ بَاطِلًا،
بَلِ الَّذِي فَاتَهُ هُوَ أَجْرُ الْهِجْرَةِ التَّعَبُّدِيَّةِ الَّتِي يُبْتَغَى بِهَا وَجْهُ اللهِ وَرَسُولِهِ.
وَقَدْ حَسُنَ إِسْلَامُهُ بَعْدَ ذَلِكَ، كَمَا يُرْوَى،
فَدَخَلَ فِي طَاعَةِ اللهِ، وَأَخْلَصَ نِيَّتَهُ فِيمَا بَعْدَ،
وَهَذَا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ تَعَالَى الَّتِي تَفْتَحُ بَابَ التَّوْبَةِ وَالإِخْلَاصِ بَعْدَ التَّقْصِيرِ.

وللْهِجْرَةِ مَرَاتِبُ بِحَسَبِ النِّيَّةِ:

هِجْرَةٌ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ:
فَهِيَ طَاهِرَةٌ، خَالِصَةٌ، مَأْجُورَةٌ، تُحْتَسَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ أَعْظَمِ الْقُرُبَاتِ .

هِجْرَةٌ لِمَصْلَحَةٍ دُنْيَوِيَّةٍ مَبَاحَةٍ:
كَالْهِجْرَةِ لِلتِّجَارَةِ، أَوِ لِلزَّوَاجِ، فَهَذِهِ هِجْرَةٌ جَائِزَةٌ، لَكِنَّهَا لَا تَحْمِلُ أَجْرَ الْهِجْرَةِ التَّعَبُّدِيَّةِ، لأَنَّ النِّيَّةَ لَمْ تَكُنْ لِلَّهِ.

هِجْرَةٌ لِمَعْصِيَةٍ أَوْ مُحَرَّمٍ:

فَهَذِهِ هِجْرَةٌ آثِمَةٌ، مَرْدُودَةٌ، لَا يُقْبَلُ مَعَهَا الْعَمَلُ، وَإِنْ ظَهَرَ نَافِعًا فِي الدُّنْيَا.

وَقَدْ تَخْتَلِطُ النِّيَّاتُ فِي قَلْبِ الإِنْسَانِ،
كَمَا فِي مَنْ يَزُورُ الْمَسْجِدَ الْأَقْصَى مِثْلًا، بِنِيَّةِ الصَّلَاةِ وَالتَّقَرُّبِ،
لَكِنَّهُ أَيْضًا يَقْصِدُ السِّيَاحَةَ أَوِ التِّجَارَةَ،
فِي هَذِهِ الْحَالَةِ: تُقَدَّرُ النِّيَّةُ بِحَسَبِ الْغَالِبِ فِيهَا،
وَيَكُونُ الْجَزَاءُ عَلَى مَا رَجَحَ مِنَ الْمَقَاصِدِ. الاِجْتِهَادُ الْفِقْهِيّ

فَالنِّيَّةُ الصَّادِقَةُ تَرْفَعُ الْعَمَلَ الْعَادِيَّ إِلَى مَقَامِ الْعِبَادَةِ،
لِذَا يَجِبُ عَلَى الْمُؤْمِنِ أَنْ يُعَوِّدَ نَفْسَهُ عَلَى اسْتِحْضَارِ النِّيَّةِ فِي كُلِّ شَأْنٍ مِنْ شُؤُونِ الْحَيَاةِ،
فَمَا يُفْعَلُ لِوَجْهِ اللهِ، يُصْبِحُ عِبَادَةً تُحْتَسَبُ عِنْدَهُ.

ومن ذَلِكَ:

- مَنْ يَأْكُلُ بِنِيَّةِ التَّقَوِّي عَلَى الطَّاعَةِ،
- وَمَنْ يَنَامُ بِنِيَّةِ الاسْتِرَاحَةِ لِلْقِيَامِ،
- وَمَنْ يُجَامِعُ زَوْجَهُ بِنِيَّةِ الْعِفَّةِ وَحِفْظِ الْفَرْجِ،

فَكُلُّهَا تُصْبِحُ أَعْمَالًا يُثَابُ عَلَيْهَا. رِوَايَاتُ أَهْلِ الْعِلْمِ

أَمَّا مَنْ يَعْمَلُ بِلَا نِيَّةٍ خَالِصَةٍ، فَإِنَّ حَتَّى أَفضَلُ الْأَعْمَالِ قَدْ لَا تُقْبَلُ مِنْهُ، قَالَ اللهُ تَعَالَى:
﴿ **وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا** ﴾ الْفُرْقَانُ: ٢٣

فَالْأَعْمَالُ بِلَا إِخْلَاصٍ، تَذْهَبُ أَدْرَاجَ الرِّيَاحِ، وَلَا تَنْفَعُ صَاحِبَهَا.
فَالنِّيَّةُ هِيَ أَسَاسُ الْقَبُولِ وَالْجَزَاءِ،
مَهْمَا بَدَا ظَاهِرُ الْعَمَلِ عَظِيمًا أَوْ حَسَنًا .

دَارُ الْعُبُورِ.. زَهْدُ أَبِي ذَرٍّ فِي مُتَاعِ الدُّنْيَا

دَخَلَ رَجُلٌ عَلَى الصَّحَابِيِّ الجَلِيلِ **أَبِي ذَرٍّ الغِفَارِيِّ** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فَإِذَا بِهِ يُقَلِّبُ بَصَرَهُ فِي الْبَيْتِ، فَلَا يَرَى شَيْئًا مِنْ مُتَاعِ الدُّنْيَا أَوْ أَثَاثٍ فَخْمٍ.

فَقَالَ لَهُ مُتَعَجِّبًا:

"**يَا أَبَا ذَرٍّ، مَا أَرَى فِي بَيْتِكَ مُتَاعًا وَلَا أَثَاثًا**"!

فَأَجَابَهُ أَبُو ذَرٍّ بِصَفَاءِ قَلْبٍ:

"إِنَّ لَنَا بَيْتًا نُوَجِّهُ إِلَيْهِ صَالِحَ مُتَاعِنَا".

فَسَأَلَهُ الرَّجُلُ:

"إِنَّهُ لَا بُدَّ لَكَ مِنْ مُتَاعٍ وَأَثَاثٍ مَا دُمْتَ هُنَا".

فَرَدَّ أَبُو ذَرٍّ بِثَبَاتٍ وَوَعْيٍ:

"**إِنَّ صَاحِبَ الْمَنْزِلِ لَا يَدَعُنَا فِيه**" . ابن كثير

يَعْنِي أَنَّ الْمَوْتَ آتٍ لَا مَحَالَةَ، وَلَنْ نَبْقَى مُقِيمِينَ فِي هَذِهِ الدُّورِ. فَلِمَاذَا نُشْغِلُ قُلُوبَنَا بِالأَشْيَاءِ الْفَانِيَةِ؟

أَبُو ذَرٍّ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُ– رَأَى الدُّنْيَا كَمَا هِيَ حَقًّا، **دَارُ عُبُورٍ لَا دَارَ فَرَحٍ وَسُرُورٍ**.
لَمْ يَتَعَلَّقْ بِهَا، وَلَمْ يَجْعَلْهَا غَايَتَهُ، فَزَهَدَ فِيهَا، حَتَّى ضَاقَ بَيْتُهُ وَاتَّسَعَ صَدْرُهُ.

وَقَدْ حَذَّرَنَا النَّبِيُّ ﷺ مِنَ الانْشِغَالِ بِالدُّنْيَا فَقَالَ:

"**كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ**". رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ

فَالْغَرِيبُ لَا يَتَّخِذُ الدَّارَ مَوْطِنًا، وَلَا يَرَاهَا وَطَنًا دَائِمًا، بَلْ هِيَ مَحَطَّةٌ مُؤَقَّتَةٌ يَمُرُّ بِهَا، لَا يَثِقُ بِالْبَقَاءِ فِيهَا، وَلَا يَغْتَرُّ بِزِينَتِهَا.

وَحِكْمَةُ الْغُرْبَةِ:

- أَنَّ الْغَرِيبَ قَلِيلُ الْحَسَدِ، قَلِيلُ الْعَدَاوَةِ، لِأَنَّهُ لَا يَتَعَلَّقُ بِالنَّاسِ تَعَلُّقًا دَائِمًا.

•وَالْغَرِيبُ قَلِيلُ الْأَمْلَاكِ وَالْعِيَالِ الَّتِي قَدْ تَشْغَلُهُ عَنِ الْخَالِقِ.
•وَتَعَلُّقَاتُ **عَابِرِ السَّبِيلِ** أَقَلُّ مِنْ تَعَلُّقِ الْغَرِيبِ.

كَانَ ابْنُ عُمَرَ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُ– يَقُولُ:
"**إِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الْمَسَاءَ**". رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ

فَالدُّنْيَا لَيْسَتْ وَطَنًا وَلَا دَارَ إِقَامَةٍ دَائِمَةٍ.

وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:–
"**النَّاسُ نِيامٌ، فَإِذَا ماتُوا انتبَهُوا**". أَبُو نَعِيمٍ فِي "حِلْيَةِ الْأَوْلِيَاءِ"

أَي أَنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ غَافِلُونَ عَمَّا يَنْفَعُهُمْ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، ثُمَّ بَعْدَ الْمَوْتِ يَعْرِفُونَ فَيَنْدَمُونَ، فِي حَالِ سَكَرَاتِ الْمَوْتِ، وَبَعْدَ أَنْ يُدْفَنَ يَنْدَمُ، يَقُولُ: يَا لَيْتَنِي أَدَّيْتُ مَا فُرِضَ عَلَيَّ، وَاجْتَنَبْتُ مَا حَرَّمَ اللهُ عَلَيَّ.

قَالَ تَعَالَى:
﴿ **حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ** ﴾
﴿ **لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ** ﴾
﴿ **كَلَّآ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا** ﴾. المؤمنون: ٩٩-١٠٠

يُرِيدُ فُرْصَةً... مَهْلَةً.

لَكِنْ، هَيْهَاتَ.

"كَلَّآ إِنَّهَا **كَلِمَةٌ** هُوَ قَآئِلُهَا"
هُوَ مَنْ نَطَقَ بِهَا، لَكِنَّهَا لَا تُسْمَعُ إِلَّا بَعْدَ فَوَاتِ الأَوَانِ.
لِأَنَّهَا اعْتِذَارٌ مُتَأَخِّرٌ، وَتَوْبَةٌ فِي زَمَنِ الغَرْغَرَةِ.
وَقَدْ أَقْسَمَ اللَّهُ بَعْدَمَا لَا يَكُنْ رَجْعَةٌ.

السَّابِقُونَ إِلَى الْخَيْرِ..

فِي سَاعَةِ الشِّدَّةِ وَالِاسْتِعْدَادِ لِغَزْوَةِ تَبُوكَ، نَادَى النَّبِيُّ ﷺ النَّاسَ بِالصَّدَقَةِ،
رَغْمَ أَنَّ الْوَقْتَ كَانَ عَسِيرًا عَلَى الْجَمِيعِ.

فَقَدْ تَفَتَّحَ قَلْبُ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَقَالَ فِي نَفْسِهِ:
"الْيَوْمَ أُسَابِقُ أَبَا بَكْرٍ.... إِنْ سَبَقْتُهُ يَوْمًا"!
أَيِ الْيَوْمَ سَأُحَاوِلُ أَنْ أَكُونَ أَسْبَقَ مِنْهُ إِلَى الْخَيْرِ، رَغْمَ صُعُوبَةِ ذَلِكَ!.

فَجَاءَ بِنِصْفِ مَالِهِ وَقَالَ:
"يَا رَسُولَ اللهِ، هَذَا نِصْفُ مَالِي، تَرَكْتُ مِثْلَهُ لِأَهْلِي".
فَأُعْجِبَ النَّبِيُّ ﷺ بِإِيثَارِهِ.

ثُمَّ جَاءَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، يَحْمِلُ مَالًا كَثِيرًا،
فَسَأَلَهُ النَّبِيُّ ﷺ: **" مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ يَا أَبَا بَكْرٍ؟"**
فَأَجَابَهُ بِكُلِّ يَقِينٍ وَرِضًا:
"أَبْقَيْتُ لَهُمْ اللهَ وَرَسُولَهُ ". رواه الترمذي

فَقَالَ عُمَرُ بَعْدَهَا: **"لَا أُسَابِقُكَ إِلَى شَيْءٍ بَعْدَ الْيَوْمِ أَبَدًا يَا أَبَا بَكْرٍ".**

قَالَ اللهُ تَعَالَى:

﴿ وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً، فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ، وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ، وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ، أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ الواقعة: ٧-١١

قَوْمٌ عَنْ يَمِينِ الْعَرْشِ... وَقَوْمٌ عَنْ يَسَارِهِ... وَسَابِقُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ!

فَأَمَّا أَصْحَابُ الْيَمِينِ،
فَهُمْ الَّذِينَ يُؤْتُونَ كُتُبَهُمْ بِأَيْمَانِهِمْ، وَهُمْ جُمْهُورُ أَهْلِ الْجَنَّةِ،
نَجَّاهُمُ اللهُ بِرَحْمَتِهِ وَأَدْخَلَهُمْ فَسِيحَ جَنَّاتِهِ.

وَأَمَّا أَصْحَابُ الشِّمَالِ،

فَهُمْ الَّذِينَ يُؤْتُونَ كُتُبَهُمْ بِشِمَالِهِمْ، وَهُمْ عَامَّةُ أَهْلِ النَّارِ، نَسْأَلُ اللهَ الْعَافِيَةَ.

لَكِنَّ فَوْقَ هَؤُلَاءِ جَمِيعًا:

طَائِفَةٌ سَابِقُونَ بَيْنَ يَدَيِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ،

وَهُمْ أَحْظَى وَأَقْرَبُ مَكَانًا وَرِفْعَةً عِنْدَ اللهِ.

فِيهِمُ الرُّسُلُ، وَالْأَنْبِيَاءُ، وَالصِّدِّيقُونَ، وَالشُّهَدَاءُ،

وَفِيهِمْ مَنْ بَادَرَ وَسَابَقَ إِلَى الْخَيْرِ، وَلَمْ يَنْتَظِرْ.

وَقَدْ وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ فِي تَفْسِيرِ:

"وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ:"

"هُمْ الَّذِينَ يَسْبِقُونَ أَهْلَ الْجَنَّةِ إِلَى الْجَنَّةِ". رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ

وَمِنْ صِفَاتِهِمْ كَمَا رُوِيَ فِي الْأَثَرِ:

إِذَا أُعْطُوا الْحَقَّ قَبِلُوهُ، وَإِذَا سُئِلُوا بذَلوا، وَإِذَا حَكَمُوا لِلنَّاسِ حَكَمُوا كَحُكْمِهِمْ لِأَنْفُسِهِمْ.

قَالَ تَعَالَى:

﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ الْحَدِيدُ: ٢١

فَهَنِيئًا لِمَنْ بَادَرَ بِالْخَيْرَاتِ... وَهَنِيئًا لِمَنْ سَارَعَ فِي الطَّاعَاتِ،

فَلَمْ يَنْتَظِرِ الْمَرَضَ، وَلَا الشَّيْخُوخَةَ، وَلَا رَمَضَانَ، بَلْ بَدَأَ الآنَ.

سَابِقِ الْيَوْمَ... لِتُحْشَرَ مَعَ السَّابِقِينَ غَدًا.

النِّيَّةُ مِيزَانُ الْأَعْمَالِ... وَالْجِهَادُ لَيْسَ سِلاَحًا فَقَطْ!

مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ وَأَصْحَابُهُ عَلَى **رَجُلٍ قَوِيٍّ**، يَعْمَلُ بِنَشَاطٍ وَجِدٍّ،
فَقَالَ الصَّحَابَةُ:
"لَوْ كَانَ هَذَا فِي سَبِيلِ اللهِ"!

فَأَرَادَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يُوَسِّعَ مَفْهُومَ الْجِهَادِ، وَيُبَيِّنَ أَنَّ النِّيَّةَ هِيَ الْمِعْيَارُ الْحَقِيقِيُّ فِي تَقْيِيمِ الْأَعْمَالِ، فَقَالَ:

"إِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى أَوْلَادٍ صِغَارٍ، فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ،
وَإِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى أَبَوَيْنِ شَيْخَيْنِ كَبِيرَيْنِ، فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ،
وَإِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى نَفْسِهِ يَعِفُّهَا، فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ،
وَإِنْ كَانَ خَرَجَ رِيَاءً وَمُفَاخَرَةً، فَهُوَ فِي سَبِيلِ الشَّيْطَانِ". *رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ*

فَالنِّيَّةُ هِيَ الَّتِي تَرْفَعُ الْعَمَلَ الْعَادِيَّ إِلَى مَرَاتِبِ الْجِهَادِ،
وَمَنْ حَفِظَ دِينَهُ وَأَمَانَتَهُ فِي عَمَلِهِ وَكَسْبِهِ، فَهُوَ فِي جِهَادٍ دَائِمٍ.

قَالَ ﷺ:
"**الْعَامِلُ إِذَا اسْتُعْمِلَ، فَأَخَذَ الْحَقَّ وَأَعْطَى الْحَقَّ،**
لَمْ يَزَلْ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى بَيْتِهِ". *رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ*

فَلَيْسَ كُلُّ مُجَاهِدٍ يَحْمِلُ سَيْفًا...
بَلْ قَدْ يَكُونُ الْمُجَاهِدُ مُوَظَّفًا أَمِينًا، أَوْ أَبًا يَسْعَى لِرِزْقِ أَوْلَادِهِ،
أَوْ تَاجِرًا صَادِقًا لَا يَغُشُّ وَلَا يَخُونُ.

وَرُوِيَ أَنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ اسْتَعْمَلَ رَجُلًا عَلَى بَيْتِ الْمَالِ،
فَلَمَّا عَزَلَهُ وَجَدَ عِنْدَهُ مَالًا زَائِدًا عَنْ رَاتِبِهِ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ:
"إِنْ رَأَيْتَهُ لِي فَارْدُدْهُ، وَإِنْ لَمْ تَرَهْ لِي فَارْدُدْهُ إِلَى بَيْتِ الْمَالِ".

فَرَدَّ الرَّجُلُ الْمَالَ، وَقَالَ:
"بَلْ أَرَاهُ لِبَيْتِ الْمَالِ".

فَلَمَّا قَرَأَ عُمَرُ الْكِتَابَ قَالَ:
"**رَحِمَ اللهُ فُلَانًا، أَدَّى الْأَمَانَةَ،** وَلَمْ يَخُنْ كَمَا يَخُونُ النَّاسُ،
هَذَا وَاللهِ مِنَ الْمُجَاهِدِينَ فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ"**!**

فَهَذَا الرَّجُلُ لَمْ يَكُنْ عَلَى ثَغْرِ الْقِتَالِ، بَلْ عَلَى ثَغْرِ الْمَالِ،
فَحَفِظَ دِينَهُ وَأَمَانَتَهُ، **فَرَآهُ عُمَرُ مُجَاهِدًا**.

الْجِهَادُ الْحَقُّ أَنْ تُخْلِصَ لِلَّهِ حَيْثُمَا كُنْتَ:
فِي مَكْتَبِكَ، فِي مَتْجَرِكَ، فِي بَيْتِكَ، عَلَى مِنْبَرِكَ، فِي مَصْنَعِكَ...

فَكُلُّ عَمَلٍ تَرْفَعُهُ النِّيَّةُ إِلَى اللهِ، هُوَ جِهَادٌ وَسَبِيلٌ لِرِضَاهُ.

التَّوَكُّلُ لَيْسَ تَوَاكُلًا... بَلْ عَمَلٌ وَثِقَةٌ!

دَخَلَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الْمَسْجِدَ، فَرَأَى جَمَاعَةً مِنَ الرِّجَالِ جَالِسِينَ، فَقَالَ:

"مَنْ أَنْتُمْ؟"

قَالُوا: "نَحْنُ الْمُتَوَكِّلُونَ".

فَقَالَ عُمَرُ:

"بَلْ أَنْتُمُ الْمُتَأَكِّلُونَ! إِنَّمَا الْمُتَوَكِّلُ رَجُلٌ أَلْقَى حَبَّهُ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ تَوَكَّلَ عَلَى اللهِ".

التَّوَكُّلُ لَا يَعْنِي تَرْكَ الْعَمَلِ وَانْتِظَارَ الرِّزْقِ بِلَا سَعْيٍ،
بَلْ هُوَ الِاعْتِمَادُ عَلَى اللهِ بَعْدَ الْأَخْذِ بِالأَسْبَابِ، وَالْعَمَلُ بِجِدٍّ ثُمَّ التَّفْوِيضُ إِلَى اللهِ.
أَمَّا تَرْكُ الْعَمَلِ وَادِّعَاءُ التَّوَكُّلِ فَهُوَ تَوَاكُلٌ مَذْمُومٌ.

سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ:

"أَيُّ الْكَسْبِ أَفْضَلُ؟"

قَالَ:

"عَمَلُ الرَّجُلِ بِيَدِهِ، وَكُلُّ بَيْعٍ مَبْرُورٍ". رَوَاهُ أَحْمَدُ

وَقَالَ ﷺ:

"إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ الْمُحْتَرِفَ". رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ

أَنْبِيَاءُ اللهِ... قُدْوَةٌ فِي الْعَمَلِ وَالْكَسْبِ الْحَلَالِ:

لَمْ يَكُنِ الْعَمَلُ عَيْبًا وَلَا نَقْصًا فِي حَقِّ الْأَنْبِيَاءِ، بَلْ كَانُوا جَمِيعًا أَصْحَابَ مِهَنٍ وَأَعْمَالٍ:

- آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَوَّلُ مَنْ حَرَثَ الْأَرْضَ وَزَرَعَهَا.
- نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ: نَجَّارٌ، صَنَعَ السَّفِينَةَ بِيَدِهِ.
- إِدْرِيسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَوَّلُ مَنْ خَاطَ الثِّيَابَ بِالإِبْرَةِ.
- إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: تَاجِرٌ وَبَنَّاءٌ، بَنَى الْكَعْبَةَ مَعَ إِسْمَاعِيلَ.
- مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: رَاعٍ لِلْغَنَمِ فِي مَدْيَنَ.

•دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: حَدَّادٌ، كَانَ يَصْنَعُ الدُّرُوعَ وَيَبِيعُهَا.

•سُلَيْمَانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: بَنَّاءٌ، وَمُدِيرٌ لِلْمَشْرُوعَاتِ الْكُبْرَى.

•عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: طَبِيبٌ يُعَالِجُ النَّاسَ بِإِذْنِ اللهِ.

•مُحَمَّدٌ ﷺ: رَاعٍ لِلْغَنَمِ فِي صِغَرِهِ، وَتَاجِرٌ أَمِينٌ قَبْلَ الْبَعْثَةِ.

كَانُوا صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمْ قُدْوَةً فِي التَّوَاضُعِ وَالْكَسْبِ الْحَلَالِ وَالْعَمَلِ الْجَادِّ.

فالتَّوَكُّلُ: عَمَلٌ ودُعَاءٌ وثِقَةٌ بِاللهِ.

والتَّوَاكُلُ: كَسَلٌ وَتَبْرِيرٌ بِاسْمِ الدِّينِ.

الْخُشُوعُ: مِنْ تَرَفِ الْمَدِينَةِ إِلَى قَلْبٍ يَخْشَعُ لِذِكْرِ اللهِ... أَلَمْ يَأْنِ؟

لَمَّا كَثُرَ الْمِزَاحُ وَالضَّحِكُ فِي أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ لَمَّا تَرَفُّوا بِالْمَدِينَةِ،
أَنزَلَ اللهُ قَوْلَهُ تَعَالَى:
"أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ" الحديد، ١٦

قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:
"لَمَّا نَزَلَتْ، صَارَ بَعْضُنَا يَنْظُرُ إِلَى بَعْضٍ وَيَقُولُ: مَا أَحْدَثْنَا؟ أَي شَيْءٌ صَنَعْنَا؟" رواه الحاكم

فَقَالَ ﷺ لِأَصْحَابِهِ:
"إِنَّ اللهَ يَسْتَبْطِئُكُمْ بِالْخُشُوعِ".

ثُمَّ قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ:
"مَا كَانَ بَيْنَ إِسْلَامِنَا وَبَيْنَ أَنْ عَاتَبَنَا اللهُ بِهَذِهِ الْآيَةِ إِلَّا أَرْبَعُ سِنِينٍ".
فَقَالُوا عِنْدَ ذَلِكَ: "خَشَعْنَا".

فَكَانَ هَذَا الْمَوْقِفُ بِمَثَابَةِ سَهْمٍ أَصَابَ قُلُوبَهُمْ، فَعَادُوا إِلَى حَالِهِمِ الْأَوَّلِ مِنَ الْخَشْيَةِ وَالْجِدِّ.

وَلَا يَزَالُ تَأْثِيرُ هَذِهِ الْآيَةِ بَاقِيًا عَلَى مَرِّ الْعُصُورِ،
وَكَأَنَّهَا تُتْلَى الْيَوْمَ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ وَتَهُزُّ الْقُلُوبَ الْغَافِلَةَ.

رُوِيَ أَنَّ الْفُضَيْلَ بْنَ عِيَاضٍ فِي شَبَابِهِ كَانَ قَاطِعَ طَرِيقٍ،
يُخِيفُ النَّاسَ، وَيَسْلُبُ أَمْوَالَهُمْ، وَكَانَ مَشْهُورًا بِشِدَّتِهِ.

وَفِي إِحْدَى اللَّيَالِي، وَهُوَ يَتَسَلَّقُ جِدَارًا لِيَدْخُلَ عَلَى امْرَأَةٍ،
سَمِعَ رَجُلًا يَقْرَأُ:
"أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ"... الحديد: ١٦

فَقَالَ:
"بَلَى يَا رَبِّ، قَدْ آنَ، قَدْ آنَ".

فَنَزَلَ مِنَ الْجِدَارِ، وَتَرَكَ مَا كَانَ عَلَيْهِ،
وَصَارَ بَعْدَهَا مِنْ كِبَارِ الْعِبَادِ وَالزُّهَّادِ وَالْعُلَمَاءِ.

وَكَمْ مِنْ قَلْبٍ غَافِلٍ رَجَعَ بِهَذِهِ الْآيَةِ؟

إِنَّهَا سُؤَالٌ حَيٌّ يُخَاطِبُ الْقَلْبَ مُبَاشَرَةً، دُونَ وَسَائِطَ، دُونَ وَعْظٍ طَوِيلٍ:
"**أَلَمْ يَأْنِ**؟ "أَيْ: أَلَيْسَ الْوَقْتُ قَدْ حَانَ؟

- يَا مَنِ ابْتَعَدْتَ عَنِ الْقُرْآنِ،
- يَا مَنِ ضَعُفْتَ فِي صَلَاتِكَ،
- يَا مَن تَبَلَّدَ إِحْسَاسُكَ،

"**أَلَمْ يَأْنِ**؟"

العَافِيَةُ .. خَيْرُ مَا يُسْأَلُ اللهُ بِهِ

جاءَ العَبَّاسُ بنُ عَبْدِ المطَّلِبِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ،
فقالَ:
"يَا رَسُولَ اللهِ، عَلِّمْنِي كَيْفَ أَسْأَلُ اللهَ، وَمَاذَا أَطْلُبُ مِنْهُ، وَمَاذَا أَدْعُو بِهِ؟"

فقالَ ﷺ لِلْعَبَّاسِ:
"سَلِ اللهَ العَافِيَةَ".

والعَافِيَةُ هِيَ :**السَّلَامَةُ مِنْ كُلِّ شَرٍّ وَمَرَضٍ وَبَلَاءٍ**.

مَكَثَ العَبَّاسُ أَيَّامًا، ثُمَّ عَادَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ مَرَّةً أُخْرَى،
وَقَالَ:
"يَا رَسُولَ اللهِ، عَلِّمْنِي شَيْئًا أَسْأَلُهُ اللهَ".
فقالَ ﷺ:
"يَا عَبَّاسُ، يَا عَمَّ رَسُولِ اللهِ، سَلِ اللهَ العَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ". صحيح الترمذي

أي :**اطْلُبْ مِنَ اللهِ العَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ**؛
فالعَافِيَةُ هِيَ النَّجَاةُ وَالفَلَاحُ فِي الدَّارَيْنِ،
وَهِيَ السَّلَامَةُ فِي:
- الدِّينِ مِنَ الفِتَنِ،
- وَالبَدَنِ مِنَ الأَسْقَام،
- وَالأَهْلِ وَالمالِ مِنَ الابْتِلَاءَات.

فَهِيَ بِمَثَابَةِ دِرْعِ اللهِ عَنِ العَبْدِ.

وقالَ رَجُلٌ لِلْحَسَنِ البَصْرِيِّ:
"أَظُنُّ أَنِّي ما سَأَلْتُهَا قَطُّ".
فقالَ الحَسَنُ:

"ذَلِكَ لِأَنَّكَ كُنْتَ فِي عَافِيَةٍ، فَنَسِيتَهَا،
فَلَا يَعْرِفُ النَّاسُ فَضْلَ العَافِيَةِ إِلَّا إِذَا ذَاقُوا مَرَارَةَ البَلَاءِ". حلية الأولياء

وَعِنْدَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:
"الدُّعَاءُ لَا يُرَدُّ بَيْنَ الأَذَانِ وَالإِقَامَةِ".

سُئِلَ:
"فَمَاذَا نَقُولُ يَا رَسُولَ اللهِ؟"

فقالَ ﷺ:
"سَلُوا اللهَ العَفْوَ وَالعَافِيَةَ،
فَإِنَّ أَحَدًا لَمْ يُعْطَ بَعْدَ اليَقِينِ خَيْرًا مِنَ العَافِيَةِ". رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ

وَقَالَ أَحَدُ الصَّالِحِينَ:
"يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ،
تَكُونُ العَافِيَةُ فِيهِ عَلَى عَشَرَةِ أَجْزَاءٍ:
تِسْعَةٌ مِنْهَا فِي اعْتِزَالِ النَّاسِ،
وَالعَاشِرَةُ فِي الصَّمْتِ".

فَاحْذَرْ مُجَالَسَةَ غَيْرِ المتَّقِينَ،
فَقَدْ تَحْمِلُكَ إِلَى الغِيبَةِ، وَتُفْقِدُكَ **دِرْعَ اللهِ** عَنْكَ.

فالعَافِيَةُ **دِرْعُ اللهِ** الَّذِي يَحْفَظُكَ مِنْ شُرُورِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ،
وَخَيْرُ مَا يَسْأَلُ بِهِ العَبْدُ رَبَّهُ،
فَاجْعَلْهَا **دُعَاءَكَ الدَّائِمَ.**

سِرُّ كَفِّ الهُمُومِ وَرَفْعِ الدُّيُونِ

جاءَ رَجُلٌ مِنَ الصَّحَابَةِ، يُدْعَى **أُبَيُّ بنُ كَعْبٍ** رضيَ اللهُ عنه،
إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ:
"يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي أُكْثِرُ الصَّلَاةَ عَلَيْكَ، فَكَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلَاتِي؟"

قَالَ لَهُ ﷺ: **"مَا شِئْتَ"**.

قَالَ: **"الرُّبُعُ؟**
قَالَ ﷺ: **"مَا شِئْتَ، وَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ"**.

قَالَ: **النِّصْفُ؟**
قَالَ ﷺ: **"مَا شِئْتَ، وَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ"**.

قَالَ: **الثُّلُثَيْنِ؟**
قَالَ ﷺ: **"مَا شِئْتَ، وَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ"**.

قَالَ:
أَجْعَلُ لَكَ صَلَاتِي كُلَّهَا؟
أي :**أَجْعَلُ دُعَائِي كُلَّهُ صَلَاةً عَلَيْكَ؟**
فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ:
"إِذَنْ تُكْفَى هَمَّكَ، وَيُغْفَرْ لَكَ ذَنْبُكَ". رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ

وقالَ **الإِمَامُ الشَّوْكَانِيُّ** رحمهُ اللهُ:
"فَمَنْ كَفَاهُ اللهُ هَمَّهُ، فَقَدْ سَلِمَ مِنْ محَنِ الدُّنْيَا،
وَمَنْ غَفَرَ اللهُ لَهُ ذَنْبَهُ، فَقَدْ نَجَا مِنْ أَهْوَالِ الآخِرَةِ". شرح الجامع

وقال ﷺ:

"اجْعَلُونِي فِي وَسَطِ الدُّعَاءِ، وَفِي أَوَّلِهِ، وَفِي آخِرِهِ،
فَلَا يُطْلَبُ شَيْءٌ إِلَّا وَمَعَهُ ذِكْرِي". *رَوَاهُ النَّسَائِيُّ*

وقالَ **الإِمَامُ الشَّافِعِيُّ** رحمهُ اللهُ:

"الصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ دُعَاءٌ لَا يُرَدُّ". *مجموع الفتاوى*

وقَدْ رُوِيَ عَنْ رَجُلٍ كَانَ فِي الحَرَمِ،
لَا يَكَادُ يَرْفَعُ يَدَيْهِ فِي دُعَاءٍ إِلَّا وَيُسْتَجَابُ لَهُ،
فَسَأَلُوهُ عَنْ سِرِّهِ، فَقَالَ:

"مَا دَعَوْتُ دَعْوَةً إِلَّا بَدَأْتُ بِالصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَخَتَمْتُهَا بِهَا،
وَقُلْتُ: إِنَّ اللهَ كَرِيمٌ، لَا يَرُدُّ بَيْنَ كَرِيمَتَيْنِ".

فَهُوَ يَدْعُو اللهَ بَيْنَ دُعَائَيْنِ مُسْتَجَابَيْنِ،
وَاللهُ أَكْرَمُ مِنْ أَنْ يَقْبَلَ الأُولَى وَالأَخِيرَةَ، وَيَتْرُكَ مَا بَيْنَهُمَا.

وَرَوَى **الإِمَامُ ابْنُ الجَوْزِيِّ** عَنْ جَارِهِ الصَّالِحِ، قَالَ:

"كَانَتْ لِي حَاجَةٌ شَدِيدَةٌ،
فَقَرَأْتُ أَنَّ الصَّلَاةَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ مِنْ مَفَاتِيحِ تَفْرِيجِ الكُرُبِ،
فَصَارَتْ وِرْدِي كُلَّ يَوْمٍ، وَمَا مَضَى أُسْبُوعٌ حَتَّى قُضِيَتْ حَاجَتِي،
وَمُنْذُ ذَلِكَ اليَوْمِ، لَمْ أَتْرُكْهَا". *زاد المعاد*

فَأَسْعَدُ النَّاسِ، مَنْ وَفَّقَهُ اللهُ لِدَوَامِ الصَّلَاةِ عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ،
فَإِنَّهَا:

سِلَاحُكَ الفَتَّاكُ ضِدَّ الهُمُومِ، وَشِفَاءٌ لِلأَوْجَاعِ،
وَطُمَأْنِينَةٌ لِلْقُلُوبِ، وَمِفْتَاحٌ لِلْفَرَجِ.

الصَّدَقَةُ: أَوْسَعُ مِنَ المَالِ، وَأَشْمَلُ مِنَ العَطَاءِ

كانَ الصَّحَابَةُ رضيَ اللهُ عنهم،
لِشِدَّةِ حِرْصِهِمْ عَلَى الأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، وَقُوَّةِ رَغْبَتِهِمْ فِي الخَيْرِ،
يَحْزَنُونَ عَلَى مَا يَتَعَذَّرُ عَلَيْهِمْ فِعْلُهُ مِنَ الخَيْرِ مِمَّا يَقْدِرُ عَلَيْهِ غَيْرُهُمْ.

فَكَانَ الفُقَرَاءُ يَحْزَنُونَ عَلَى فَوَاتِ الصَّدَقَةِ بِالأَمْوَالِ الَّتِي يَقْدِرُ عَلَيْهَا الأَغْنِيَاءُ.

رُوِيَ أَنَّ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ قَالُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ:
"يَا رَسُولَ اللهِ، ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالأُجُورِ؛
يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَيَتَصَدَّقُونَ بِفُضُولِ أَمْوَالِهِمْ".

فَقَالَ ﷺ:
"أَوَلَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللهُ لَكُمْ مَا تَصَّدَّقُونَ؟
إِنَّ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةً،
وَكُلِّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةً، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنْ مُنْكَرٍ صَدَقَةٌ،
وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ". رَوَاهُ مُسْلِم

قَالُوا: **"يَا رَسُولَ اللهِ، أَيَأْتِي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ، وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ؟"**

قَالَ ﷺ:
"أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ، أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وِزْرٌ؟
فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الحَلَالِ، كَانَ لَهُ أَجْرٌ". رَوَاهُ مُسْلِم

قَالَ الإِمَامُ النَّوَوِيُّ رحمهُ الله:
"فَلِلصَّدَقَةِ مَعْنًى أَعَمُّ وَأَشْمَلُ مِنْ إِعْطَاءِ المَالِ تَقَرُّبًا إِلَى اللهِ،
وَهَذَا المَعْنَى الشَّامِلُ يَجْعَلُ الدِّينَ كُلَّهُ تَصَدُّقًا مِنَ العَبْدِ،
فَكُلُّ مَا يُثَابُ عَلَيْهِ المُؤْمِنُ فَهُوَ صَدَقَةٌ". شَرْحُ صَحِيحِ مُسْلِم

وقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "**كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ**". البُخَارِيُّ وَمُسْلِم

وَقَالَ أَحَدُ الصَّحَابَةِ:

"يَا رَسُولَ اللهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ ضَعُفْتُ عَنْ بَعْضِ العَمَلِ؟"

قَالَ ﷺ:

"تَكُفُّ شَرَّكَ عَنِ النَّاسِ، فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ مِنْكَ عَلَى نَفْسِكَ". البُخَارِيُّ وَمُسْلِم

وفي روايةٍ أُخرى:

"فَتُعِينُ الصَّانِعَ، أَوْ تَصْنَعُ لِأَخْرَقَ".

أي: تُسَاعِدُ الحِرَفِيَّ أَوِ العَامِلَ الَّذِي يُحْسِنُ عَمَلَهُ،

أَوْ تَعْمَلُ أَوْ تَصْنَعُ شَيْئًا لِمَنْ لَا يُحْسِنُ الصُّنْعَ.

فَإِيَّاكَ أَنْ تَغْلَطَ وَتَقُولَ:

"مَنْ عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمٍ بِيَوْمٍ، كَيْفَ يَتَصَدَّقُ؟"

قَالَ اللهُ تَعَالَى:

﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ﴾ الطَّلَاق: ٧

فَكُلُّ عَمَلٍ نَافِعٍ فِيهِ نِيَّةُ الخَيْرِ، هُوَ نَوْعٌ مِنَ الصَّدَقَةِ.

قِصَّةُ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا وَذِكْرُ النَّوْمِ العَظِيمُ

شَعَرَتْ فَاطِمَةُ الزَّهْرَاءُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا بِآثَارِ التَّعَبِ فِي يَدَيْهَا مِن طَحْنِ الحُبُوبِ وَخِدْمَةِ البَيْتِ،
فَذَهَبَتْ إِلَى بَيْتِ النَّبِيِّ ﷺ تَسْأَلُهُ خَادِمًا يُعِينُهَا،
لَكِنَّهَا لَمْ تَجِدْهُ.

فَلَمَّا عَادَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى بَيْتِهِ، أَخْبَرَهُ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بِمَا كَانَ،
فَجَاءَ إِلَيْهِمَا وَقَدِ اضْطَجَعَا لِيَنَامَا،
فَجَلَسَ النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَهُمَا فِي لُطْفٍ وَحَنَانٍ، وَقَالَ:
"أَلَا أَدُلُّكُمَا عَلَى مَا هُوَ خَيْرٌ لَكُمَا مِن خَادِمٍ؟"

ثُمَّ عَلَّمَهُمَا ذِكْرًا عَظِيمًا يُقَالُ عِندَ النَّوْمِ، فَقَالَ ﷺ:
"فَتُكَبِّرَا أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ مَرَّةً،
وَتُسَبِّحَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ مَرَّةً،
وَتَحْمَدَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ،
فَأَجْرُ هَذَا الذِّكْرِ خَيْرٌ لَكُمَا مِن خَادِمٍ". البُخَارِيُّ وَمُسْلِم

فَالتَّسْبِيحُ عِندَ النَّوْمِ يُخَفِّفُ الآلَامَ،
وَيُلَطِّفُ المَشَاقَّ العِظَامَ،
فَمَنْ وَاظَبَ عَلَى هَذَا الذِّكْرِ عِندَ النَّوْمِ،
لَمْ يُصِبْهُ إِعْيَاءٌ.

وَرُوِيَ عَنْ رَجُلٍ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَشْكُو إِلَيْهِ مَا يَلْقَى مِنَ المَشَقَّةِ وَالتَّعَبِ،
فَقَالَ:
"يَا رَسُولَ اللهِ، كَثُرَتْ عَلَيَّ الأَعْمَالُ وَالهُمُومُ، فَمَا لِي طَاقَةٌ بِكُلِّ هَذَا؟"

فَأَجَابَهُ النَّبِيُّ ﷺ بِكَلِمَاتٍ قَلِيلَةٍ، لَكِنَّهَا مَلِيئَةٌ بِالنُّورِ وَالطَّاقَةِ:
"احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَلَا تَعْجَزْ". رَوَاهُ مُسْلِم

فَأَرْشَدَ النَّبِيُّ ﷺ هَذَا الرَّجُلَ إِلَى ثَلَاثَةِ أُمُورٍ تَخْتَصِرُ طَرِيقَ الرَّاحَةِ:

١. **الحِرْصُ عَلَى مَا يَنْفَعُهُ**:
فَلَا يُشَتِّتْ نَفْسَهُ فِيمَا لَا يَعُودُ عَلَيْهِ بِخَيْرٍ.

٢. **الاسْتِعَانَةُ بِاللهِ**:
وَهِيَ المِفْتَاحُ الأَعْظَمُ لِكُلِّ رَاحَةٍ فِي الدُّنْيَا.

٣. **تَرْكُ العَجْزِ**:
أَيْ لَا يَسْتَسْلِمُ لِلْكَسَلِ، وَلَا يَدَعُ الهَمَّ يُشِلُّ حَرَكَتَهُ.

فَكَأَنَّمَا عَلَّمَهُ ﷺ أَنَّ **القُوَّةَ** لَا تَكُونُ فِي كَثْرَةِ الأَيْدِي،
وَلَا فِي وَفْرَةِ الخَدَمِ،
وَإِنَّمَا فِي:

- اتِّصَالِ القَلْبِ بِاللهِ،
- وَالقِيَامِ بِمَا يُمْكِنُهُ،
- وَتَرْكِ مَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ،
- **مِنْ غَيْرِ سَخَطٍ وَلَا جَزَعٍ**.

الإِخْلَاصُ وَتَخْلِيصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ

رُوِيَ أَنَّ رَجُلًا قَالَ:
يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أَقِفُ الْمَوَاقِفَ أُرِيدُ وَجْهَ اللَّهِ، وَأُحِبُّ أَنْ يُرَى مَوْطِنِي (أَي: يُعْرَفَ خَبَرِي).
فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ شَيْئًا، حَتَّى نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى:
﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ الكهف: ١١٠

وَرَوَى الإِمَامُ أَحْمَدُ عَن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ:
"دَخَلَ الْجَنَّةَ رَجُلٌ فِي ذُبَابٍ، وَدَخَلَ النَّارَ رَجُلٌ فِي ذُبَابٍ".
قَالُوا: كَيْفَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟
قَالَ:
"مَرَّ رَجُلَانِ عَلَى قَوْمٍ لَهُمْ صَنَمٌ، لَا يَجُوزُهُ أَحَدٌ حَتَّى يُقَرِّبَ لَهُ شَيْئًا،
فَقَالُوا لِأَحَدِهِمَا: قَرِّبْ.
قَالَ: لَيْسَ عِنْدِي شَيْءٌ أُقَرِّبُ.
قَالُوا: قَرِّبْ وَلَوْ ذُبَابًا.
فَقَرَّبَ ذُبَابًا، فَخَلَّوْا سَبِيلَهُ، فَدَخَلَ النَّارَ.
وَقَالُوا لِلْآخَرِ: قَرِّبْ.
قَالَ: مَا كُنْتُ لِأُقَرِّبَ لِأَحَدٍ شَيْئًا دُونَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.
فَضَرَبُوا عُنُقَهُ، فَدَخَلَ الْجَنَّةَ". الإمام أحمد

فَأَهْلُ الْإِيمَانِ يُقَدِّمُونَ الْمَوْتَ قَتْلًا وَذَبْحًا عَلَى أَنْ يُشْرِكُوا بِاللَّهِ، وَلَوْ بِتَقْرِيبِ ذُبَابَةٍ لِصَنَمٍ.
فَالإِخْلَاصُ لَا يَعْرِفُ التَّنَازُلَ، وَلَا يَقْبَلُ الْمُسَاوَمَةَ.

وَأَسَاسُ الشِّرْكِ:
أَنْ تَعْتَقِدَ فِي شَيْءٍ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ أَنَّهُ يَنْفَعُ أَوْ يَضُرُّ مِنْ دُونِ اللَّهِ،
فَتَجْعَلَهُ نِدًّا لِلَّهِ، وَهُوَ لَا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا،
فَمَا بَالُكَ أَنْ يُدَبِّرَ أَمْرَ غَيْرِهِ!

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

"إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ: الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ".

قَالُوا: وَمَا الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟

قَالَ:

"الرِّيَاءُ، يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَوْمَ تُجْزَى الْعِبَادُ بِأَعْمَالِهِمْ:
"اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاؤُونَ بِأَعْمَالِكُمْ فِي الدُّنْيَا،
فَانْظُرُوا: هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً؟" رواه الإمام أحمد

وَقَدْ قِيلَ:

فِعْلُ الْعَمَلِ لِأَجْلِ النَّاسِ شِرْكٌ، وَتَرْكُ الْعَمَلِ لِأَجْلِهِمْ رِيَاءٌ،
فَالإِخْلَاصُ أَنْ يُعَافِيَكَ اللَّهُ مِنْ كِلَيْهِمَا.

فَلَا تُبَالِ إِنْ زَادَ قَدْرُكَ عِنْدَ النَّاسِ أَوْ قَلَّ،
وَلَا تُحِبَّ أَنْ يَطَّلِعُوا عَلَى صَالِحِ عَمَلِكَ، كَمَا لَا تَكْرَهْ أَنْ يَطَّلِعُوا عَلَى سَيِّئِهِ،
وَأَنْ تَسْتَوِيَ أَعْمَالُكَ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ،
لَا تَنْتَظِرْ مَدْحًا مِنْ أَحَدٍ، وَلَا حَمْدًا مِنْ بَشَرٍ،
وَأَنْ تُخْرِجَ الْخَلْقَ مِنْ مَقْصُودِ عَمَلِكَ، وَتُخْلِصَهُ لِلَّهِ وَحْدَهُ.
فلا تُرِدْ بِعَمَلِكَ غَيْرَ اللَّهِ، وَلَا تَخَفْ عَلَى عَمَلٍ لَا يَرَاهُ النَّاسُ، إِنْ كَانَ اللَّهُ يَرَاهُ.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

"أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ". رواه البخاري

يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا!

لَمَّا حَمَلَتْ **مَرْيَمُ** بِعِيسَىٰ عَلَيْهِمَا السَّلَام، خَافَتْ مِنَ الفَضِيحَةِ، وَاشْتَدَّ بِهَا الهَمُّ، فَتَبَاعَدَتْ عَنِ النَّاسِ مَكَانًا قَصِيًّا، جِهَةَ **بَيْتِ لَحْمٍ**، كَمَا أَخْبَرَ اللهُ تَعَالَى:

﴿ **فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا** ﴾: مريم: ٢٢

فَلَمَّا أَحَسَّتْ بِقُرْبِ الوِلَادَةِ، وَأَلْجَأَهَا **المُخَاضُ** إِلَى **جِذْعِ نَخْلَةٍ** لِتَتَّكِئَ عَلَيْهِ، اعْتَرَاهَا مِنَ الهَمِّ وَالحُزْنِ مَا اعْتَرَاهَا، فَقَالَتْ فِي لَحْظَةٍ مُوْجِعَةٍ:

﴿ **يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا** ﴾مريم: ٢٣

كَلِمَاتٌ خَرَجَتْ مِنْ قَلْبٍ خَائِفٍ، حَيَاءً مِنَ النَّاسِ، وَخَشْيَةً مِنْ أَنْ يُبْتَلَوْا بِسَبَبِهَا فِي دِينِهِم، فَيَقَعُوا فِي لَوْمِهَا أَوْ سُوءِ الظَّنِّ بِهَا، فَتَكُونَ سَبَبًا فِي إِثْمِهِم.

وَقَدْ قَالَ العُلَمَاءُ:
إِنَّ تَمَنِّيَ المَوْتِ فِي مِثْلِ هَذَا الحَالِ لَا يُذَمُّ، لِأَنَّهُ يَتَعَلَّقُ بِأَمْرٍ دِينِيٍّ، لَا دُنْيَوِيٍّ.
أَمَّا مَنْ تَمَنَّى المَوْتَ لِفَقْرٍ أَوْ مَرَضٍ أَوْ شِدَّةٍ مِنْ شَدَائِدِ الدُّنْيَا، **فَهُوَ مَنْهِيٌّ عَنْهُ.**
فَإِنْ ضَاقَ العَبْدُ ذَرْعًا، فَلْيَدْعُ بِهَذَا الدُّعَاءِ المَأْثُورِ:

"اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مَا كَانَتِ الحَيَاةُ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتِ الوَفَاةُ خَيْرًا لِي". رواه البخاري

وَفِي لَحْظَةِ الوَضْعِ، نَادَاهَا ابْنُهَا **عِيسَىٰ** عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ تَحْتِهَا، وَكَانَ قَدْ وُلِدَ، فَطَمْأَنَ قَلْبَهَا المَكْلُومَ، وَقَالَ:

﴿ **فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا** ﴾
﴿ **وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا** ﴾
﴿ **فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا** ﴾ مريم: ٢٤–٢٦

فَقَدْ أَجْرَى اللهُ لَهَا **جَدْوَلَ مَاءٍ عَذْبٍ**، وَسَاقَ إِلَيْهَا **رُطَبًا جَنِيًّا**، وَطَلَبَ مِنْهَا أَنْ تَهُزَّ جِذْعَ النَّخْلَةِ، **رَغْمَ قُدْرَتِهِ سُبْحَانَهُ أَنْ يُسْقِطَ الرُّطَبَ دُونَ هَزٍّ**، لِيُعَلِّمَ العِبَادَ أَنَّ:

الأَخْذَ بِالأَسْبَابِ لَا يُنَافِي التَّوَكُّلَ.
وَالعَمَلَ وَاجِبٌ فِي طَلَبِ الرِّزْقِ، وَلَوْ كَانَتِ الحَالُ حَالَ كَرْبٍ شَدِيدٍ.

وَقَدِ اسْتَنْبَطَ العُلَمَاءُ مِنْ هَذِهِ الآيَةِ أَيْضًا أَنَّ:

"خَيْرَ مَا تَأْكُلُهُ النُّفَسَاءُ بَعْدَ الوِلَادَةِ: الرُّطَبُ".
قَالُوا: "لَوْ كَانَ هُنَاكَ مَا هُوَ أَنْفَعُ لِمَرْيَمَ مِنَ الرُّطَبِ، لَأَطْعَمَهَا اللهُ إِيَّاهُ".

فَهُوَ **غِذَاءٌ مُبَارَكٌ**، يَجْمَعُ بَيْنَ **الحَلَاوَةِ وَالطَّاقَةِ وَاللُّطْفِ**، فِيهِ غِذَاءٌ لِلْبَدَنِ، وَطُمَأْنِينَةٌ لِلنَّفْسِ.

فَيَا مَنْ ضَاقَ قَلْبُكَ مِنْ حَمْلِكَ أَوْ بَلَائِكَ،
تَذَكَّرْ مَرْيَمَ حِينَ هَزَّتْ جِذْعَ النَّخْلَةِ وَقَدْ أَنْهَكَهَا المُخَاضُ...
فَمِنْ **تَحْتِهَا** جَاءَ النِّدَاءُ:
"لَا تَحْزَنِي."
وَمِنْ **فَوْقِهَا** تَسَاقَطَتِ الرَّحَمَاتُ:
"كُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا."

قصَّةُ بقرةِ بني إسرائيل

إنَّ **قِصَّةَ بَقَرَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ** تَتَلَخَّصُ فِي أَنَّ رَجُلًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَ **كَثِيرَ الْمَالِ، شَيْخًا كَبِيرًا، لَا وَلَدَ لَهُ،** وَكَانَ لَهُ **بَنُو أَخٍ يَتَمَنَّوْنَ مَوْتَهُ لِيَرِثُوهُ.**

فَعَمَدَ أَحَدُهُمْ إِلَى **قَتْلِهِ فِي اللَّيْلِ، ثُمَّ طَرَحَهُ فِي مَجْمَعِ الطُّرُقِ.**

فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ، **اخْتَلَفُوا فِيهِ، وَتَخَاصَمُوا: مَنْ الْقَاتِلُ؟ وَمَنْ الْجَانِي؟!**

فَجَاءَ **ابْنُ أَخِيهِ الْقَاتِلُ نَفْسُهُ، وَجَعَلَ يَصْرُخُ وَيَتَظَلَّمُ،** يُظْهِرُ الْحُزْنَ وَيَطْلُبُ الْحَقَّ!

فَقَالُوا: مَا لَكُمْ تَخْتَصِمُونَ وَلَا تَأْتُونَ **نَبِيَّ اللَّهِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامِ؟!**

فَجَاءَ إِلَى نَبِيِّ اللَّهِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَشَكَا إِلَيْهِ أَمْرَ عَمِّهِ.

فَلَمْ يَكُنْ عِنْدَ أَحَدٍ **عِلْمٌ بِقَاتِلِهِ،** فَطَلَبُوا مِنْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ يَسْأَلَ رَبَّهُ فِي أَمْرِهِ.

فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ **أَنْ يَأْمُرَهُمْ أَنْ يَذْبَحُوا بَقَرَةً.**

وَلَوْ أَنَّهُمْ ذَبَحُوا أَيَّ بَقَرَةٍ لَاكْتَفَوْا، وَلَكِنَّهُمْ تَشَدَّدُوا، فَسَأَلُوا عَنْ صِفَتِهَا، ثُمَّ لَوْنِهَا، ثُمَّ سِنِّهَا... **فَشَدَّدُوا، فَشَدَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ.**

حَتَّى قِيلَ: إِنَّهُمْ لَمْ يَجِدُوا الْبَقَرَةَ الْمَطْلُوبَةَ، إِلَّا عِنْدَ **رَجُلٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، كَانَ بَارًّا بِأُمِّهِ.**

فَطَلَبُوهَا مِنْهُ، فَأَبَى، **حَتَّى أَعْطَوْهُ عَشَرَةَ أَضْعَافِ ثَمَنِهَا،** فَبَاعَهَا لَهُمْ.

فَجَاءُوا بِالْبَقَرَةِ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَأَمَرَهُمْ بِذَبْحِهَا، **فَذَبَحُوهَا وَهُمْ يَتَرَدَّدُونَ!**

ثُمَّ أَمَرَهُمْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ **أَنْ يَضْرِبُوا الْقَتِيلَ بِبَعْضِ هَذِهِ الْبَقَرَةِ.**

قِيلَ: بِلَحْمِ فَخِذِهَا، وَقِيلَ: بِالْعَظْمِ الَّذِي يَلِي الْغُضْرُوفَ.

فَلَمَّا فَعَلُوا، **أَحْيَاهُ اللَّهُ تَعَالَى،** فَقَالَ لَهُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ:

مَنْ قَتَلَكَ؟

قَالَ :**قَتَلَنِي ابْنُ أَخِي! وَعَرَّفَهُ، ثُمَّ عَادَ مَيِّتًا كَمَا كَانَ.** ابن كثير والطبري

لَقَدْ كَانَ فِي ذَلِكُمْ آيَةٌ عَظِيمَةٌ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ، وَفِيهَا عِبْرَةٌ لَنَا كَذَلِكَ...

فَالتَّشَدُّدُ غَيْرُ مَحْمُودٍ، لِأَنَّهُ يُضَيِّقُ عَلَى النَّفْسِ، وَيَجْلِبُ الْمَشَقَّةَ، **وَالْمَشَقَّةُ غَيْرُ مَحْمُودَةٍ فِي دِينِ اللَّهِ.**

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

"**مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ، وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ**." رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ

وَقَدْ أَمَرَهُمُ اللَّهُ – تَعَالَى – بِذَبْحِ بَقَرَةٍ دُونَ غَيْرِهَا مِنَ الْحَيَوَانَاتِ؛ **لِأَنَّهَا مِنْ جِنْسِ مَا عَبَدُوهُ وَهُوَ الْعِجْلُ**.

فَكَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ يَقُولُ لَهُمْ: **إِنَّ هَذَا الْبَقَرَ الَّذِي يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ فِي الْبَلَادَةِ، لَا يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ مَعْبُودًا مِنْ دُونِ اللَّهِ**، وَإِنَّمَا يَصْلُحُ لِلْحَرْثِ وَالسَّقْيِ وَالْعَمَلِ وَالذَّبْحِ.

التَّوْبَةُ الثَّقِيلَةُ وَالتَّوْبَةُ الرَّحِيمَةُ

جاءَ مُوسى عليه السلام إلى قَوْمِهِ بِالبَرَاهِينِ السَّاطِعَةِ وَالْمُعْجِزَاتِ الْبَيِّنَةِ،
لَكِنَّ الْقُلُوبَ الَّتِي لَمْ تُطَهَّرْ بَعْدُ مِنْ شَوَائِبِ الْجَهْلِ وَالتَّعَلُّقِ بِالدُّنْيَا،
وَقَعَتْ فِي شَرَكٍ عَظِيمٍ...

فَمَا إِنْ فَارَقَهُمْ لِمُنَاجَاةِ رَبِّهِ حَتَّى عَبَدُوا الْعِجْلَ وَاتَّخَذُوهُ إِلَهًا!

قَالَ لَهُمْ مُوسى عليه السلام مُوَبِّخًا وَمُشِيرًا إِلَى هَوْلِ الْخَطِيئَةِ:
﴿يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ *البقرة: ٥٤*

لَمْ تَكُنِ التَّوْبَةُ مُجَرَّدَ نَدَمٍ، بَلْ أَمَرَهُمُ اللَّهُ أَنْ يَقْتُلُوا مَنْ عَبَدَ الْعِجْلَ عَلَى يَدِ مَنْ لَمْ يَعْبُدْهُ.

فَخَرَجَ بَنُو إِسْرَائِيلَ، رِجَالًا وَنِسَاءً، إِلَى الصَّحْرَاءِ، وَتَضَارَبُوا بِالسُّيُوفِ، وَتَطَاعَنُوا بِالْخَنَاجِرِ، وَالدِّمَاءُ تَسِيلُ بَيْنَهُمْ.

وَمُوسى عليه السلام وَاقِفٌ يَرْفَعُ يَدَيْهِ دَاعِيًا،
حَتَّى أَتَاهُ بَعْضُهُمْ يَشُدُّ عَلَى عُضْدَيْهِ قَائِلًا:
"يَا نَبِيَّ اللَّهِ، ادعُ لَنَا..." وَأَخَذُوا بِعْضِيدَيْهِ يَشُدُّونَ يَدَيْهِ.

فَلَمْ يَزَلْ أَمْرُهُمْ عَلَى ذَلِكَ،
حَتَّى إِذَا قَبِلَ اللَّهُ تَوْبَتَهُمْ،
فَقَبَضَ أَيْدِي بَعْضِهِمْ عَنْ بَعْضٍ فَأَلْقَوْا السِّلَاحَ.

وَحَزِنَ مُوسَى وَبَنُو إِسْرَائِيلَ لِلَّذِي كَانَ مِنَ الْقَتْلِ فِيهِمْ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ:
"يَا مُوسَى، لَا تَحْزَنْ...
مَنْ قُتِلَ مِنْهُمْ فَهُوَ عِنْدِي حَيٌّ يُرْزَقُ،
وَمَنْ بَقِيَ، فَقَدْ قُبِلَتْ تَوْبَتُهُ".

فَفَرِحَ مُوسى عليه السلام، وَسُرَّ بَنُو إِسْرَائِيلَ، بَعْدَ أَنْ أُرْهِقُوا بِالتَّوْبَةِ الدَّامِيَةِ وَالتَّكْلِيفِ الشَّاقِّ.

هَكَذَا كَانَتْ تَكَالِيفُ بَنِي إِسْرَائِيلَ...
دِمَاءٌ وَتَحْرِيمَاتٌ وَتَشْدِيدَاتٌ،
لِأَنَّهُمْ جَحَدُوا، وَتَعَنَّتُوا، وَعَصَوْا.

أَمَّا أُمَّةُ مُحَمَّدٍ ﷺ،
فَقَدْ جَاءَتْ رَحْمَةً مُهْدَاةً، وَشَرِيعَةً مَيِّسَرَةً،
فَكَانَ مِنْ قَوَاعِدِهَا:
"الْمَشَقَّةُ تَجْلُبُ التَّيْسِيرَ"

بَلْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
"لَوْلَا أَنَّ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي، لأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ" *رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ*

- كَانَتِ التَّوْبَةُ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ تَقْتُلُ النَّفْسَ،
- وَصَارَتْ فِي أُمَّةِ الْإِسْلَامِ تُحْيِي الْقَلْبَ بِدَمْعَةٍ، وَكَلِمَةِ "أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ."

قال تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ *آل عمران: ١٣٥*

وقَالَ تَعَالَىٰ:
﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ *الحج: ٧٨*

وَقَالَ تَعَالَىٰ:
﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ *البقرة: ١٨٥*

قِصَّةُ رَجُلٍ صَالِحٍ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ

كانَ رَجُلٌ صَالِحٌ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ، مِنْ قَرْيَةٍ تُسَمَّى ضَرَوَانَ، تَبْعُدُ حَوَالَيْ سِتَّةِ أَمْيَالٍ عَنْ صَنْعَاءَ.

وَكَانَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، يَمْتَلِكُ جَنَّةً زَاخِرَةً بِالثِّمَارِ، **يَسِيرُ فِيهَا بِسِيرَةٍ حَسَنَةٍ.**

كَانَ يَدَّخِرُ مِنْ ثِمَارِهَا مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ لِاسْتِمْرَارِ زِرَاعَتِهَا، وَيَدَّخِرُ لِعِيَالِهِ قُوتَ سَنَتِهِمْ، وَيَتَصَدَّقُ بِالْفَاضِلِ مِنْهَا عَلَى الْفُقَرَاءِ وَالْمُحْتَاجِينَ.

فَلَمَّا مَاتَ، وَرِثَتْهُ أَوْلَادُهُ، فَقَالُوا:

"لَقَدْ كَانَ أَبُونَا أَحْمَقَ، إِذْ كَانَ يَصْرِفُ مِنْ هَذِهِ الجَنَّةِ شَيْئًا لِلْفُقَرَاءِ. وَلَوْ مَنَعْنَاهُمْ، لَتَوَفَّرَ لَنَا أَكْثَرُ".

كَمَا قَالَ تَعَالَى:

﴿إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ، وَلَا يَسْتَثْنُونَ﴾ *سورة القلم: ١٧*

فَعَزَمُوا عَلَى قَطْفِ الثِّمَارِ فِي الصَّبَاحِ الْبَاكِرِ، حَتَّى لَا يَرَاهُمُ الْفُقَرَاءُ، وَلَا يَتْرُكُوا لَهُمْ شَيْئًا.

فَعُوقِبُوا بِنَقِيضِ قَصْدِهِمْ، فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ، فَأَذْهَبَ اللَّهُ مَا بِأَيْدِيهِمْ: رَأْسَ الْمَالِ وَالرِّبْحِ.

وَلَمْ يُحَدِّدِ اللَّهُ نَوْعَ هَذَا الطَّائِفِ الَّذِي أَحَاطَهَا مِنْ كُلِّ جَانِبٍ.

فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ، أَيْ: كَالزَّرْعِ الْمَحْصُودِ الْهَالِكِ.

حَتَّى إِنَّهُمْ حِينَ رَأَوْهَا عَلَى هَذِهِ الْحَالِ، **ظَنُّوا أَنَّهُمْ ضَلُّوا عَنِ الطَّرِيقِ وَتَاهُوا!**

فَنَدِمُوا عَلَى عَدَمِ قَبُولِ نَصِيحَةِ أَخٍ لَهُمْ أَعْدَلَ مِنْهُمْ، وَنَهَاهُمْ عَنِ التَّشَدُّدِ وَالْبُخْلِ، وَدَعَوُا اللَّهَ صَادِقِينَ:

﴿عَسَىٰ رَبُّنَا أَنْ يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ﴾ *سورة القلم: ٣٢*

قَالَ مُجَاهِدٌ رَحِمَهُ اللَّهُ: "فَأَبْدَلَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى خَيْرًا مِنْهَا ". *الطبري وابن كثير*

فَعَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَكُونَ شَاكِرًا لِلَّهِ عَلَى نِعَمِهِ،

فَيُنْفِقَ وَيُزَكِّيَ، حَتَّى لَا يَمْحَقَهَا اللَّهُ عَنْهُ،

فَالنِّعْمَةُ إِذَا نَفَرَتْ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ، تَكَادُ لَا تَرْجِعُ إِلَيْهِمْ.

وَأَنَّ الْعَزْمَ وَقُوَّةَ الْقَصْدِ مِمَّا يُؤَاخَذُ بِهِ الْإِنْسَانُ،
فَهُمْ عَزَمُوا عَلَى فِعْلِ أَمْرٍ قَبِيحٍ، فَعُوقِبُوا قَبْلَ أَنْ يَفْعَلُوهُ.

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:
"**مَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا، كَتَبَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً.**" رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ

فَلْنُكْثِرْ مِنْ نَوَايَا الْخَيْرِ، وَلْنَحْرِصْ عَلَى الْعَمَلِ الصَّالِحِ،
فَإِنَّ اللَّهَ يُثِيبُ الْعَبْدَ عَلَى نِيَّتِهِ.

جَنَّتَا سَبَإٍ... وَالنِّعَمُ حِينَ تُكْفَر

كَانَتْ لِأَهْلِ **سَبَإٍ** فِي **اليَمَنِ** بَسَاتِينُ وَجَنَّاتٌ وَافِرَةٌ، تُحِيطُ بِبَلْدَتِهِمْ **مِنَ اليَمِينِ وَالشِّمَالِ**، كَمَا وَصَفَهَا اللهُ تَعَالَى:

﴿ **لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ** ﴾ سَبَأ: ١٥

كَانَتْ أَرَاضِيهِمْ مُدْهِشَةً بِجَمَالِهَا، مُثْمِرَةً بِخَيْرَاتِهَا، حَتَّى رُوِيَ أَنَّ **المَرْأَةَ كَانَتْ تَمْشِي وَالمِكْتَلُ عَلَى رَأْسِهَا**، أَيِ السَّلَّةُ الكَبِيرَةُ، **فَيُمْتَلِئُ تِلْقَائِيًّا مِنَ الثِّمَارِ** دُونَ أَنْ تَمُدَّ يَدًا، أَوْ تَبْذُلَ جُهْدًا!

إِنَّهَا **نِعَمٌ عَظِيمَةٌ**، **بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ**، وَرِزْقٌ سَهْلٌ، وَرَبٌّ رَحِيمٌ،
وَلِهَذَا جَاءَهُم **نِدَاءٌ كَرِيمٌ**:

عَلَى أَلْسِنَةِ رُسُلِهِ، وَعَلَى أَلْسِنَةِ عِبَادِهِ الصَّالِحِينَ:

﴿ **كُلُواْ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُواْ لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ** ﴾ سَبَأ: ١٥

يَا سُبْحَانَ الله!
بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ، وَرَبٌّ غَفُورٌ!
فَهَلْ يُطْلَبُ أَكْثَرُ مِنْ هَذَا؟

﴿ **فَأَعْرَضُواْ** ﴾
نَعَمْ، أَعْرَضُوا عَنِ الشُّكْرِ، وَعَن طَاعَةِ المُنْعِمِ، **وَبَطِرُوا العَافِيَةَ، وَمَلُّوا الرَّاحَةَ**، حَتَّى قَالُوا:

﴿ **رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا** ﴾ سَبَأ: ١٩

أَيْ :**اجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ القُرَى المُبَارَكَةِ الَّتِي نُسَافِرُ لَهَا صَحَارَى بَعِيدَةً**، وَمَفَاوِزَ مُوحِشَةً، بَدَلَ تِلْكَ القُرَى العَامِرَةِ المُتَقَارِبَةِ،
وَكَأَنَّهُمْ ضَجِرُوا مِنَ السُّهُولَةِ، وَطَلَبُوا المَشَقَّةَ!

وَهَذِهِ **طَبِيعَةُ الإِنسَانِ** إِذَا أُشْرِبَ الجُحُودَ، فَطَلَبُوا النَّكَدَ وَالتَّعَبَ،
كَمَا طَلَبَ **بَنُو إِسْرَائِيلَ "البَصَلَ وَالثُّومَ** "بَعْدَ أَنْ أُطْعِمُوا **"المَنَّ وَالسَّلْوَى."**

فَجَاءَ الرَّدُّ الإِلَهِيُّ سَرِيعًا:

﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ ﴾
أَيْ :**سَيْلًا جَارِفًا كَاسِحًا،** اجْتَاحَ أَرَاضِيَهِمْ، وَاقْتَلَعَ جَنَّاتِهِمْ، وَأَفْسَدَ خَيْرَاتِهِمْ،
فَانْتَهَتْ جَنَّاتُهُمْ... وَصَارُوا عِبْرَةً.

﴿ فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ ﴾
أَيْ: يُتَحَدَّثُ عَنْهُمْ، وَيُضْرَبُ بِهِمُ المَثَلُ.

﴿ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ﴾[سبأ: ١٩]

فَلَا يَكَادُ يُعْرَفُ لَهُمْ **مَوْطِنٌ**، وَلَا يُجْمَعُ لَهُمْ **شَتَاتٌ.**

وَهَكَذَا هِيَ سُنَّةُ اللهِ فِي خَلْقِهِ:

- **مَنْ شَكَرَ النِّعْمَةَ، زَادَهُ اللهُ خَيْرًا.**
- **وَمَنْ كَفَرَهَا أَوْ بَطِرَهَا، حُرِمَ مِنْهَا، وَعُوقِبَ بِفَقْدِهَا.**

قَالَ تَعَالَى: ﴿ **وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ** ﴾[إبراهيم: ٧]

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ **مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا** ﴾[النساء: ١٤٧]

فَلَا تَطْلُبِ التَّعَبَ إِنْ رَزَقَكَ اللهُ الرَّاحَةَ،
وَلَا تَمَلَّ النِّعْمَةَ فَتُحْرَم،

سَجْدَةُ شُكْرٍ.

سِلاحُ التَّتارِ القَديمُ، وَخَطَرُ الهَلاكِ الجَديدُ

لَمَ تَعرِفْ **بِلادُ المُسلِمينَ** المخدِّراتِ،
حَتّى جاءَها التَّتارُ مِن أقاصي الشَّرقِ،
يَحمِلونَ معهم **خَرابَ النُّفوسِ** قبلَ خَرابِ البُلدانِ.

مَرّوا في طريقِهم بِبَغدادَ، ثمّ اتّجَهوا نحو **بِلادِ الشّامِ**،
وكانوا بارِعينَ في **الحَربِ النَّفسيّةِ**،
يَستَخدِمونَ كلَّ أساليبِ التَّخويفِ والتَّرويعِ.

ومِن أعجَبِ ما استَعملوهُ في مَكرِهم:
أنّهُم كانوا يُرسِلون **رَسائلَ مُرعِبةً** لأعدائِهم،
يَقولونَ فيها:

"نحنُ مِنَ الجِنِّ، ونستطيعُ أن نَفعَلَ بكُم كذا وكذا... فاستَسلِموا"**!**

لكن **لَم يَكتَفوا بالكَلِمات!**
بل أرسلوا معَ تلك الرَّسائلِ **المُخدِّراتِ** :مِن الحَشيشِ والأفيونِ،
يُروِّجُها جواسيسُهم بينَ **صُفوفِ الجُيوشِ**،
فإذا دَبَّ الضَّعفُ والوَهنُ في صفوفِ المسلمين،
انقضّوا عليهم وأبادوهُم.

وهكذا دَخَلوا **بَغدادَ خَرابًا**، واستباحوا الدِّيارَ،
ومَضَوا إلى الشّامِ يظُنّونَها **لُقمَةً سائِغَةً**.

لكن ...**وَقَفَ لَهُم رَجُلٌ مِن رِجالِ اللهِ**:
السُّلطانُ سَيفُ الدِّينِ قُطُز –*رحِمَهُ اللهُ*.

- **رَفَضَ الخُضوعَ،**
- **قَتَلَ رسولَ هُولاكو** قبلَ أن يُتِمَّ قِراءةَ كِتابِهِ المهينِ،
- **حَذَّرَ مِنَ المُخدّراتِ أشدَّ التَّحذيرِ،**
- **وأقامَ الحدَّ على مَن رَوَّجَها أو تَعاطاها.**

ثم قال:

"واعلموا أنَّ النَّصرَ مِن عندِ اللهِ، لا يُؤتى بِشارِبِ خَمرٍ، ولا مُتَخدِّرٍ خانَ الأمانة"!

وبهذا **الوَعيِ والإيمانِ**، وبالعَزمِ والتوكُّلِ على اللهِ،
انتصرَ على التَّتارِ في **مَعرَكةِ عينِ جالوتَ،**
وأعادَ للمُسلِمين **عِزَّهُم وكَرامَتَهُم.**

فيا أيُّها المسلِمُ!
اعلَم أنَّ المُخدّراتِ سُمٌّ قاتِلٌ،
لا يَختَلِفُ عن السِّهامِ القاتِلَةِ، بل أشدُّ!
تُفسِدُ العَقلَ، وتَقتُلُ الضَّميرَ، وتُذِلُّ صاحِبَها في الدُّنيا والآخِرَةِ.

وقد قال النَّبيُّ ﷺ:

"مَن شَرِبَ الخَمرَ في الدُّنيا، لَم يَشرَبها في الآخِرَةِ، إلّا أن يَتوبَ ". *النسائي*

وفي الحديث:
"**مَن شَرِبَ المُسكِرَ سَقاهُ اللهُ مِن طِينَةِ الخَبالِ**".
قيل: وما طينةُ الخبالِ؟
قال:
"عَرَقُ أهلِ النّارِ أو عُصارَةُ أهلِ النّارِ —— "أي :**القَيحُ والدَّمُ!** *رواه مسلم*

الخمرُ مفتاحُ كلِّ شرٍّ

رُوِيَ أَنَّ رَجُلًا تَقِيًّا صَالِحًا أُرِيدَ بِهِ السُّوءُ، فَخُيِّرَ بَيْنَ ثَلَاثِ فَوَاحِشَ:
إِمَّا أَنْ يَزْنِيَ،
أَوْ يَقْتُلَ نَفْسًا،
أَوْ يَشْرَبَ الْخَمْرَ.
فَقَالَ فِي نَفْسِهِ:
"الزِّنَى فَاحِشَةٌ عَظِيمَةٌ، وَالْقَتْلُ جَرِيمَةٌ كُبْرَى،
أَمَّا شُرْبُ الْخَمْرِ فَهُوَ أَهْوَنُ الثَّلَاثَةِ".
فَشَرِبَ الْخَمْرَ...
فَلَمَّا دَارَتْ فِي رَأْسِهِ، فَقَدَ عَقْلَهُ،
فَزَنَى، وَقَتَلَ النَّفْسَ أَيْضًا!
فَكَانَتِ الْخَمْرَةُ سَبَبَ هَلَاكِهِ، وَسُبُلَ الشَّيْطَانِ بِهَلَاكِ قَلْبِهِ وَدِينِهِ. أبو داود ،من حديث عثمان

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ:
أَوْصَانِي خَلِيلِي ﷺ أَنْ لَا تُشْرِكَ بِاللَّهِ شَيْئًا، وَإِنْ قُطِّعْتَ أَوْ حُرِّقْتَ،
وَأَنْ لَا تَتْرُكَ صَلَاةً مَكْتُوبَةً مُتَعَمِّدًا،
فَمَنْ تَرَكَهَا مُتَعَمِّدًا فَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُ الذِّمَّةُ،
وَأَنْ لَا تَشْرَبَ الْخَمْرَ، فَإِنَّهَا مِفْتَاحُ كُلِّ شَرٍّ. رواه ابن ماجه

فَالْخَمْرُ تُذْهِبُ الْعَقْلَ،
وَإِذَا غَابَ الْعَقْلُ، انْكَشَفَتِ الْأَسْتَارُ، وَسَهُلَ فِعْلُ الْكَبَائِرِ،
فَلَا يُبَالِي صَاحِبُهَا بَعْدَهَا بِزِنًا، وَلَا قَتْلٍ، وَلَا فَاحِشَةٍ.
قَالَ تَعَالَى:

﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾، المائدة: ٩٠

بَلْ لَعَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي حَدِيثٍ وَاحِدٍ عَشَرَةً مِنْ أَهْلِ الْخَمْرِ، فَقَالَ:

"لعن اللهُ الخمر، وشاربَها، وساقيَها، وبائعَها، ومبتاعَها، وعاصرَها، ومعتصرَها، وحاملَها، والمحمولةَ إليه، وآكلَ ثمنِها". رواه الترمذي

وَرَغْمَ هَذَا الْوَعِيدِ،
فَقَدِ انْتَشَرَتِ الْخُمُورُ فِي بَعْضِ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ، وَاعْتَادَ النَّاسُ رُؤْيَةَ حَانَاتِهَا،
كَأَنَّهَا أَمْرٌ مَأْلُوفٌ!
نَسْأَلُ اللَّهَ السَّلَامَةَ وَالْعَافِيَةَ...
وَلَكِنْ بَابُ التَّوْبَةِ لَا يُغْلَقُ،

رُوِيَ أَنَّ شَابًّا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَبَدَ اللَّهَ عِشْرِينَ سَنَةً،
ثُمَّ عَصَى اللَّهَ عِشْرِينَ سَنَةً،
ثُمَّ نَدِمَ وَقَالَ:
"إِلَهِي! أَطَعْتُكَ عِشْرِينَ سَنَةً، ثُمَّ عَصَيْتُكَ عِشْرِينَ سَنَةً،
فَإِنْ رَجَعْتُ إِلَيْكَ، أَتَقْبَلُنِي؟

فسمع هاتفًا يقول:
"أطعْتَنا فشكَرْناك،
وعصيتَنا فأمهلْناك،
وإنْ رجعْتَ إلينا قبِلْناك"!. احياء علوم الدين "إبراهيم حقي"

فهكذا ربُّنا الكريم، لا يُغلق بابَهُ في وجه من تاب، بل يُحبُّ التائبين.

قال ﷺ:
"من زلَّ، فليتب، ولا يتمادَ في الهلكة". رواه الطبراني

واحذر أن تستصغر الذنب، فكم من ذنبٍ جرّ خلفه المهالك!

أَقْرِضْ رَبَّكَ... تُؤْتَ أَجْرَكَ

كان غلامٌ يَتِيمٌ يُرِيدُ أَن يَبْنِيَ سُورًا حَوْلَ بُسْتَانِهِ،

لَكِنَّ نَخْلَةً لِرَجُلٍ مِنَ الصَّحَابَةِ اعْتَرَضَتْ طَرِيقَ السُّورِ.

جَاءَ الْيَتِيمُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَشْكُو أَمْرَهُ،

فَطَلَبَ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ الرَّجُلِ أَنْ يَتَنَازَلَ عَنِ النَّخْلَةِ، فَأَبَى.

فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ:

"هَبْهَا لِلْيَتِيمِ"، فَأَبَى.

فَعَرَضَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ:

"نَخْلَةٌ فِي الْجَنَّةِ بَدِيلًا عَنْهَا"، فَأَبَى!

وَهُنَا، رَقَّ قَلْبُ الصَّحَابِي أَبِي الدَّحْدَاحِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ:

"أَوَ إِنَّ اللَّهَ يُرِيدُ مِنَّا الْقَرْضَ؟"

فَأَجَابَهُ ﷺ: "نَعَمْ، يَا أَبَا الدَّحْدَاحِ".

فَقَالَ أَبِي الدَّحْدَاحُ:

"أَرِنِي يَدَكَ، يَا رَسُولَ اللَّهِ"!

فَنَاوَلَهُ النَّبِيُّ ﷺ يَدَهُ، وَقَالَ:

"إِنِّي أَقْرَضْتُ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ حَائِطِي".

وَكَانَ لِذَلِكَ الْحَائِطِ سِتْمِئَةُ نَخْلَةٍ، وَفِيهِ زَوْجَتُهُ وَأَوْلَادُهُ.

فَأَقْبَلَ إِلَى زَوْجَتِهِ وَقَالَ:

"يَا أُمَّ الدَّحْدَاحِ"!

فَقَالَتْ: "لَبَّيْكِ"!

قَالَ لَهَا: "أُخْرُجِي؛ فَقَدْ أَقْرَضْتُهُ رَبِّي"!

فَأَعْطَى الْبُسْتَانَ لِلرَّجُلِ، وَأَخَذَ النَّخْلَةَ، لِيَأْخُذَ بِهَا نَخْلَةً فِي الْجَنَّةِ. رواه أحمد.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴾ الحديد: ١١

فَمَن فَهِمَ الْحِكْمَةَ فِي الصَّدَقَةِ، وَأَنَّهَا مَأْخُوذَةٌ مِنَ الصِّدْقِ بِمَعْنَى صِدْقِ النِّيَّةِ،

وَعَلِمَ أَنَّهُ يَكُونُ بِهَا نُمَاءُ الْمَالِ، "**وَمَا نَقَصَ مَالٌ مِن صَدَقَةٍ**". صحيح مسلم

وَأَنَّ الصَّدَقَةَ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ، وَتَدْفَعُ مِيْتَةَ السُّوءِ،

وَتُطَهِّرُ الذُّنُوبَ وَالْخَطَايَا كَمَا يَطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ. الجامع الصغير

فَمَن عَلِمَ ذَلِكَ بَادَرَ بِالصَّدَقَةِ.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

"**يَقُولُ العَبْدُ: مَالِي، مَالِي،**

وَإِنَّمَا لَهُ مِنْ مَالِهِ ثَلَاثٌ:

مَا أَكَلَ فَأَفْنَى، أَوْ لَبِسَ فَأَبْلَى، أَوْ أَعْطَى فَأَبْقَى،

وَمَا سِوَى ذَلِكَ فَذَاهِبٌ وَتَارِكُهُ لِلْنَّاسِ." رواه مسلم

فَلْتَكُنْ صَدَقَتُكَ قَرْضًا حَسَنًا إِلَى اللَّهِ،

تَعُودُ عَلَيْكَ بِأَجْرٍ كَرِيمٍ وَثَوَابٍ عَظِيمٍ،

وَكُنْ دَائِمًا عَلَى يَقِينٍ أَنَّ الْعَطَاءَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَنْقُصُ الْمَالَ،

بَلْ يَزِيدُهُ بَرَكَةً وَنُمَاءً.

صِدْقُ الإِيمَانِ وَطَلَبُ وَجْهِ الرَّحْمٰنِ

كَانَ بِلَالٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُسْحَبُ عَلَى الرَّمْضَاءِ، وَتُوضَعُ الْحِجَارَةُ الْحَامِيَةُ فَوْقَ صَدْرِهِ، وَيُقَالُ لَهُ:
"**اِرْجِعْ عَنْ دِينِ مُحَمَّدٍ**"!
فَكَانَ يَرُدُّ بِثَبَاتِ الْمُؤْمِنِ الصَّادِقِ:
"أَحَدٌ... أَحَدٌ"...
وَصَلَ الْخَبَرُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَلَمْ يَصْمُتْ، بَلْ سَارَ مُسْرِعًا لِيُفَاوِضَ أُمَيَّةَ بْنَ خَلْفٍ عَلَى فِكَاكِ بِلَالٍ،
فَكَانَ أُمَيَّةُ يُرَاوِغُ وَيَقُولُ سَاخِرًا:
"أَنْتَ أَفْسَدْتَهُ عَلَيْنَا"!
فَأَجَابَهُ الصِّدِّيقُ بِكَمَالِ الْيَقِينِ وَالثِّقَةِ:
"**أَدْفَعُ ثَمَنَهُ خَمْسَ أَوَاقٍ مِنَ الْفِضَّةِ**".
وَكَانَ هَذَا مَبْلَغًا كَبِيرًا جِدًّا فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ، فَوَافَقَ أُمَيَّةُ فَرِحًا بِالْخَلَاصِ، وَقَالَ مُزَاحًا:
"**لَوْ أَعْطَيْتَنِي وَقِيَّةً وَاحِدَةً لَبِعْتُكَ إِيَّاهُ**".
فَرَدَّ عَلَيْهِ أَبُو بَكْرٍ بِكِبْرِيَاءِ الْإِيمَانِ وَقُوَّةِ الْعَقِيدَةِ:
"**وَاللَّهِ، لَوْ طَلَبْتَ مِئَةَ وَقِيَّةٍ لَدَفَعْنَاهَا**"! *سيرة ابن هشام*
لِأَنَّ عِنْدَهُ مِيزَانًا آخَرَ لا يَعْرِفُهُ أُمَيَّةُ، مِيزَانَ الْكَرَامَةِ الْإِيمَانِيَّةِ.
وَلَمْ يَكُنْ هَذَا مَوْقِفًا فَرِيدًا لِأَبِي بَكْرٍ، بَلْ كَانَ يَشْتَرِي الْعَجَائِزَ مِنَ النِّسَاءِ وَالضُّعَفَاءَ مِنَ الْعَبِيدِ إِذَا أَسْلَمُوا، فَيُعْتِقُهُمْ لِلَّهِ تَعَالَى، لَا طَلَبًا لِرَدِّ الْجَمِيلِ، وَلَا خَوْفًا، بَلْ:
"**ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى**".
حَتَّى قَالَ لَهُ أَبُوهُ:
"يَا بُنَيَّ، هَؤُلَاءِ ضُعَفَاءُ، لَا يَنْفَعُونَكَ، فَلَوِ اشْتَرَيْتَ أَقْوِيَاءَ يَدَافِعُونَ عَنْكَ"! *سيرة ابن هشام*
فَرَدَّهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِآيَاتٍ تُتْلَى إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ:
﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى ﴾
﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَى ﴾

﴿**إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى**﴾
﴿**وَلَسَوْفَ يَرْضَى** ﴾. *سورة الليل ٢١،٢٠،١٩،١٨*

فَالْإِنْسَانُ التَّقِيُّ لَا يَفْعَلُ الْخَيْرَاتِ ابْتِغَاءَ رَدِّ الْجَمِيلِ أَوْ مُكَافَأَةٍ مِنَ النَّاسِ،
بَلْ يَفْعَلُهَا لِسَبَبٍ وَاحِدٍ:
تَزْكِيَةُ نَفْسِهِ،
وَطَلَبُ رِضَا اللَّهِ تَعَالَى،
وَالظَّفَرُ بِثَوَابِهِ الْعَظِيمِ.
وَلَا يَشْتَرِي الْقُلُوبَ لِلَّهِ إِلَّا مَن عَرَفَ قِيمَتَهَا عِنْدَ اللَّهِ،
وَلَا يَبْذُلُ الْمَالَ إِلَّا مَن صَدَّقَ وَعْدَهُ لِلَّهِ، وَفَهِمَ حَقِيقَةَ قَوْلِهِ:
"**ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى**".
هَلْ تُعْطِي لِلَّهِ؟ لَا لِشُكْرِ أَحَدٍ، وَلَا رَجَاءَ مُكَافَأَةٍ؟
ذَلِكَ هُوَ طَرِيقُ الْأَتْقَى...
"**وَلَسَوْفَ يَرْضَى**"

فَهْمُ النُّبُوَّةِ الَّذِي يُضِيفُ إِلَى العَدْلِ تَعْمِيرًا

رُوِيَ أَنَّ رَجُلَيْنِ دَخَلَا عَلَى دَاوُودَ عَلَيْهِ السَّلَامُ،

أَحَدُهُمَا صَاحِبُ زَرْعٍ، وَالآخَرُ صَاحِبُ غَنَمٍ.

فَقَالَ صَاحِبُ الزَّرْعِ:

"يَا نَبِيَّ اللهِ، إِنَّ غَنَمَ هذَا قَدْ نَفَشَتْ فِي حَرْثِي لَيْلًا، فَلَمْ تُبْقِ مِنْهُ شَيْئًا".

فَقَضَى دَاوُودُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَنْ يَأْخُذَ صَاحِبُ الزَّرْعِ الغَنَمَ تَعْوِيضًا عَنْ خَسَارَتِهِ.

وَهَذَا عَدْلٌ سَاطِعٌ، عَادِلٌ فِي جَزَائِهِ

لَكِنْ عِنْدَ خُرُوجِهِمَا، مَرَّا عَلَى سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَأَخْبَرَاهُ بِالحُكْمِ،

فَقَالَ سُلَيْمَانُ" :**القَضَاءُ غَيْرُ مَا قَضَى أَبِي".**

ثُمَّ دَخَلَ عَلَى دَاوُودَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَالَ:

"ادْفَعِ الغَنَمَ إِلَى صَاحِبِ الزَّرْعِ، لِيَنْتَفِعَ بِهَا مَا دَامَ الزَّرْعُ تَالِفًا،

وَادْفَعِ الأَرْضَ إِلَى صَاحِبِ الغَنَمِ، لِيَقُومَ عَلَيْهَا وَيَزْرَعَهَا حَتَّى تَعُودَ كَمَا كَانَتْ،

ثُمَّ يَأْخُذَ كُلٌّ مِنْهُمَا مَا كَانَ لَهُ".

فَقَالَ دَاوُودُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعْدَ أَنْ سَمِعَ: "القَضَاءُ مَا قَضَيْتَ يَا سُلَيْمَانُ ". تفسير ابن كثير وغيره

لِأَنَّ دَاوُودَ كَمَا يَقُولُ العُلَمَاءُ:

قَدِ اتَّجَهَ فِي حُكْمِهِ إِلَى مُجَرَّدِ التَّعْوِيضِ لِصَاحِبِ الحَرْثِ، وَهَذَا عَدْلٌ وَفَقَطْ.

أَمَّا حُكْمُ سُلَيْمَانَ فَقَدْ تَضَمَّنَ مَعَ العَدْلِ البِنَاءَ وَالتَّعْمِيرَ،

وَجَعَلَ العَدْلَ دَافِعًا إِلَى البِنَاءِ وَالتَّعْمِيرِ، وَحِفْظَ مَوَارِدِ الأُمَّةِ مِنَ الضَّيَاعِ.

وَهَذَا هُوَ العَدْلُ الحَيُّ الإِيجَابِيُّ،

وَهُوَ فَتْحٌ مِنَ اللهِ وَإِلْهَامٌ يَهْبِهُ مَن يَشَاءُ.

وَلِذَلِكَ قَالَ اللهُ تَعَالَى:

﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ *الأنبياء: ٧٩*

وَسُلَيْمَانُ هُوَ ابْنُ دَاوُودَ، كِلَاهُمَا مِنْ أَنْبِيَاءِ اللهِ سُبْحَانَهُ،

وَيَنْتَهِي نَسَبُهُمَا إِلَى يَعْقُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ،

وَكَانَتْ وَفَاتُهُمَا قَبْلَ مِيلَادِ المسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِأَلْفِ سَنَةٍ تَقْرِيبًا،

وَقَدْ جَمَعَ اللهُ تَعَالَى لَهُمَا بَيْنَ الملِكِ وَالنُّبُوَّةِ.

مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ

قالَ ابنُ كثيرٍ رَحِمَهُ اللهُ:
غابَ أنسُ بنُ النَّضرِ رضيَ اللهُ عنهُ عن يومِ بدرٍ، فلم يَشهَدْ ذلكَ المشهدَ مع رسولِ اللهِ ﷺ، فشَقَّ عليهِ الأمرُ، وقالَ:

"أَوَّلُ مَشهدٍ شَهِدَهُ رسولُ اللهِ ﷺ غِبْتُ عنهُ!
لَئِنْ أرانِيَ اللهُ مَشهدًا مع رسولِ اللهِ ﷺ، لَيَرَيَنَّ اللهُ ما أَصنَعُ"!

وَلَمْ يَقُلْ: "لِيَرِينَّ النَّاسَ مَا أَصْنَعُ"، دَلِيلٌ عَلَى إِخْلَاصِهِ.

وَمِنْ لُطْفِ اللَّهِ بِهِ،
أَن رَزَقَهُ اللَّهُ حَرَصًا صَادِقًا عَلَى الْخَيْرِ،
بِسَبَبِ مَا فَاتَهُ، فَشَهِدَ يَوْمَ أُحُدٍ.

فَلَمَّا التَقَى بِسَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ لَهُ:

"يَا أَبَا عَمْرُو، وَاهًا لِرِيحِ الجَنَّةِ، إِنِّي لَأَجِدُهَا دُونَ أُحُدٍ"!

فَثَبَتَ فِي الْقِتَالِ، وَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ.

فَوُجِدَ فِي جَسَدِهِ بَضْعٌ وَثَمَانُونَ مَا بَيْنَ ضَرْبَةٍ، وَطَعْنَةٍ، وَرَمِيَّةٍ!
وَقَالَتْ أُخْتُهُ:

"فَمَا عَرَفْتُ أَخِي إِلَّا بِبَنَانِهِ."

فأنزل الله تعالى في أنسٍ بنِ النضرِ، وفي أصحابِهِ، رضي الله عنهم:

﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ الأحزاب: ٢٣

وَمَا زَالَتِ الْأُمَّةُ، بِحَمْدِ اللهِ، تُنْجِبُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالًا كَثِيرِينَ،
صَدَقُوا اللَّهَ فِي عُهُودِهِمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ هُوَ مُسْتَمِرٌّ عَلَى الطَّرِيقِ،
يَنْتَظِرُ الشَّهَادَةَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَحَالِ الصَّحَابَةِ
الَّذِينَ نَزَلَتْ فِيهِمْ هَذِهِ الْآيَاتُ وَهُمْ مَا زَالُوا عَلَى قَيْدِ الْحَيَاةِ.

فَإِنَّ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ بَيْعَةً، إِلَى أَنْ يَرِثَ اللَّهُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾ *التوبة: ١١١*

الْمُشْتَرِي هُوَ اللَّهُ،
وَالْبَائِعُ فِيهَا هُوَ الْمُؤْمِنُ،
وَالسِّلْعَةُ هِيَ الْأَنْفُسُ وَالْأَمْوَالُ،
وَالثَّمَنُ هُوَ الْجَنَّةُ.

وَاللَّهُ تَعَالَى يَعْلَمُنَا أَنَّ الرِّجَالَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ هُمُ الَّذِينَ يُصَدِّقُونَ اللَّهَ فِي بَيْعَتِهِمْ،
وَلَيْسَ كُلُّ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالًا.

فَالرَّجُلُ هُوَ الَّذِي أَخْضَعَ نَفْسَهُ لِمَنْهَجِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ،
يُصَدِّقُ فِي عَهْدِهِ مَعَ اللَّهِ وَمَعَ نَفْسِهِ وَمَعَ غَيْرِهِ،
وَيُفِي بِوَعْدِهِ،
يَصْدَعُ بِالْحَقِّ،
وَلَا تُشْغِلُهُ الدُّنْيَا عَنِ الْآخِرَةِ،
وَيَثْبُتُ عَلَى الطَّرِيقِ.

فَطُوبَى لِلرِّجَالِ الَّذِينَ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ،
وَطُوبَى لِلَّذِينَ إِذَا جَاءَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ قَالُوا:
﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ *النساء: ٥٩*

الإيمانُ بالغيبِ، والطاعةُ عندَ الأمرِ

عَن عبدِ اللهِ بنِ عُمَرَ رضيَ اللهُ عنهُما قالَ:

"بينما النَّاسُ في صَلاةِ الصُّبحِ بِقُباءَ، إذ جاءَهُم آتٍ قالَ:

إنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قد أُنزِلَ عليهِ قرآنٌ، وقد أُمرَ أن يَستقبِلَ الكَعبةَ، فاستَقبِلوها ". *البخاري ومسلم*

وكانت وُجوهُهم آنذاكَ إلى الشَّامِ،

فاستداروا نحو الكعبةِ في أثناءِ الصلاةِ، استجابةً لأمرِ اللهِ.

يُقالُ إنَّ ذلك وقعَ في رجبٍ، وقيل: في النصفِ من شعبانَ.

وقد ظلَّ المسلمونَ بعد هجرتهم إلى المدينة يُصلُّون نحو بيتِ المقدسِ مدَّةَ ستةَ عشرَ شهرًا أو سبعةَ عشرَ شهرًا،

حتى نزل الأمر بتحويل القبلة إلى مكةَ المكرمةِ.

وكانت هذه العودةُ إلى الكعبةِ رجوعًا للأصلِ، الذي بناه إبراهيمُ عليه السلام،

وهو أوَّل بيتٍ وُضعَ للناس .ابن كثير وغيرِهِ

وَلقد بيَّنَ اللهُ عزَّ وجلَّ شيئًا من حكمتِه في جَعلِ القبلةِ أولًا بيتَ المقدس، ثم نَسخَ ذلك وجَعلَ القِبلةَ الكعبةَ المشرَّفَةَ، فقالَ عزَّ وجلَّ:

﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ *البقرة: ١٤٣*

لَقَدْ كَانَ هذَا التَّغْيِيرُ ابْتِلَاءً إِلَهِيًّا وَاخْتِبَارًا رَبَّانِيًّا،

كَمَا هِيَ سُنَّةُ اللهِ فِي عِبَادِهِ،

لِيُمَيِّزَ مَنْ يُسْلِمُ لأَمْرِ اللهِ دُونَ تَرَدُّدٍ، وَمَنْ يَتَلَكَأُ أَوْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ.

فَاللَّهُ سُبْحَانَهُ يُمَحِّصُ الصَّفَّ الإِيمَانِيَّ،

وَيُزِيلُ مَا فِيهِ مِنْ شَوَائِبَ،

حَتَّى يُقِيمَ الإِسْلَامَ عَلَى أَكْتَافِ الرِّجَالِ الَّذِينَ لَا تَهُزُّهُمُ الْمِحَنُ، وَلَا تُزَلْزِلُهُمُ الْفِتَنُ.

فَكَانَ هذَا التَّحَوُّلُ عَلَامَةً عَلَى الإِيمَانِ الصَّادِقِ،

فقد جاء في الصحيح:
إنَّ جماعةً من المسلمينَ كانوا يُصلُّونَ الظهرَ أو العصرَ في مسجدِ بني حارثةَ،
فصلَّوا ركعتَين إلى بيتِ المقدس،
ثمَّ أتاهم من يُخبرُهم أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قد استقبلَ الكعبة،
فتحوَّلَ الرجالُ مكانَ النساءِ، والنساءُ مكانَ الرجال،
ثمَّ أتمُّوا السجدتَين الباقيتَين مستقبلينَ الكعبة.

فلمّا بلغَ ذلك النبيَّ ﷺ قالَ:
"**أولئك رجالٌ يؤمنون بالغيب** ". *رواه البخاري ومسلم*

لم يُناقشوا، ولم يتوقّفوا، بلِ امتثلوا على الفور،
فكانوا قدوةً في الطاعة،
ونموذجًا في التسليم.

وصدق الله:
﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾. *النساء: ٦٥*

الشُّكْرُ نَجَاةٌ، وَالْكُفْرُ هَلَاكٌ

قال السُّدِّيُّ:

لَمَّا دَخَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ التِّيهَ، قَالُوا لِمُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

"كَيْفَ لَنَا بِمَا هُوَ هُنَا؟ أَيْنَ الطَّعَامُ؟"

فَأَنْزَلَ اللهُ عَلَيْهِمُ الْمَنَّ، وَكَانَ يَنْزِلُ عَلَىٰ شَجَرَةِ الزَّنْجَبِيلِ،
وَأَنْزَلَ عَلَيْهِمُ السَّلْوَىٰ، وَهُوَ طَائِرٌ يُشْبِهُ السَّمَّانَىٰ،
وَكَانَ يَأْتِي أَحَدَهُمْ، فَيَنْظُرُ إِلَيْهِ، فَإِنْ كَانَ سَمِينًا ذَبَحَهُ، وَإِلَّا تَرَكَهُ.

ثُمَّ قَالُوا: "**هَذَا الطَّعَامُ... فَأَيْنَ الشَّرَابُ؟**"

فَأَمَرَ اللهُ تَعَالَىٰ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ يَضْرِبَ الْحَجَرَ بِعَصَاهُ،
فَضَرَبَهُ، فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا،
فَشَرِبَ كُلُّ سِبْطٍ مِنْ عَيْنٍ.

ثُمَّ قَالُوا: "**هَذَا الشَّرَابُ... فَأَيْنَ الظِّلُّ؟**"

فَأَظَلَّهُمُ اللهُ بِالْغَمَامِ.

ثُمَّ قَالُوا: "**هَذَا الظِّلُّ... فَأَيْنَ اللِّبَاسُ؟**"

فَجَعَلَ اللهُ ثِيَابَهُمْ تَكْبُرُ مَعَهُمْ كَمَا يَكْبُرُ الصَّبِيُّ،
وَلَا تَتَمَزَّقُ، وَلَا تَبْلَىٰ، طِوَالَ مَكْثِهِمْ فِي التِّيهِ!

وَبَعْدَ أَرْبَعِينَ سَنَةً خَرَجُوا مِنَ التِّيهِ مَعَ يُوشَعَ بْنِ نُونٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ،
نَحْوَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ،
فَفَتَحَهَا اللهُ عَلَيْهِمْ عَشِيَّةَ جُمُعَةٍ،
وَقَدْ حُبِسَتِ الشَّمْسُ لَهُمْ قَلِيلًا حَتَّىٰ يَدْخُلُوا.

فَأُمِرُوا أَنْ يَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا،
فَدَخَلُوا يَزْحَفُونَ عَلَىٰ أَسْتَاهِمْ رَافِعِينَ رُءُوسَهُمْ!

وَأُمِرُوا أَنْ يَقُولُوا: "**حِطَّةٌ**"، **أَيْ: احْطُطْ عَنَّا ذُنُوبَنَا وَخَطَايَانَا.**
فَقَالُوا اسْتِهْزَاءً وَسُخْرِيَّةً: "**حِنْطَةٌ فِي شَعِيرَةٍ**"!

هَذَا فِي غَايَةِ مَا يَكُونُ مِنَ الْمُخَالَفَةِ وَالْمُعَانَدَةِ...
فَقَدْ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ أَعْظَمَ النِّعَمِ:
طَعَامٌ بِلَا كَدٍّ، وَشَرَابٌ بِلَا جُهْدٍ، وَظِلٌّ وَرَحْمَةٌ،
وَلِبَاسٌ لَا يَبْلَىٰ،

ثُمَّ أَرْشَدَهُمْ إِلَىٰ قَوْلٍ يُكَفِّرُ سَيِّئَاتِهِمْ وَيَغْفِرُ لَهُمْ،
فَمَا كَانَ مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ اسْتَهْزَءُوا وَسَخِرُوا وَبَدَّلُوا الْقَوْلَ!

فَرَمَتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ مِنَ السَّمَاءِ بِعَذَابٍ،
وَأُصِيبَ بِهِ الَّذِينَ ظَلَمُوا، دُونَ غَيْرِهِمْ...

فَمَنْفَعَةُ الشُّكْرِ تَعُودُ عَلَى الطَّائِعِينَ الشَّاكِرِينَ،
وَمَضَرَّةُ الْكُفْرِ تَعُودُ عَلَى الْجَاحِدِينَ الْكَافِرِينَ.

قال تعالى:
﴿ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ النحل: ١١٢

وَهَذَا تَحْذِيرٌ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ، أَلَّا تَقَعَ فِيمَا وَقَعَتْ فِيهِ الْأُمَمُ السَّابِقَةُ، الَّتِي جَحَدَتْ نِعَمَ اللهِ، فَاسْتَحَقَّتْ عَذَابَهُ.

قال تعالى:
﴿ مَا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴾ النساء: ١٤٧

عُقُوبَةُ التَّحَايُلِ عَلَى أَوَامِرِ اللَّهِ

أَخَذَ اللَّهُ تَعَالَىٰ عَهْدًا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِأَن يَتَفَرَّغُوا لِعِبَادَتِهِ فِي يَوْمِ السَّبْتِ،
فَحَرَّمَ عَلَيْهِمُ الاِصْطِيَادَ فِيهِ اخْتِبَارًا لِوَفَائِهِم بِعُهُودِهِمْ.

لَكِنَّهُمْ لَمْ يَصدِقُوا فِي الاِمْتِحَانِ؛
إِذِ ابْتَلَاهُمُ اللَّهُ بِكَثْرَةِ الْأَسْمَاكِ الَّتِي تَظْهَرُ لَهُمْ يَوْمَ السَّبْتِ دُونَ سَائِرِ الْأَيَّامِ،
تَتَرَاءَىٰ عَلَى السَّاحِلِ، قَرِيبَةِ الْمَأْخَذِ، سَهْلَةِ الاِصْطِيَادِ.

فَقَالُوا فِي مَكْرٍ ظَاهِرٍ:
"**لَوْ حَفَرْنَا حِيَاضًا بِجَوَارِ الْبَحْرِ، تَسِيلُ إِلَيْهَا الْمِيَاهُ بِمَا فِيهَا مِنَ السَّمَكِ فِي يَوْمِ السَّبْتِ، ثُمَّ نَصْطَادَهَا فِي يَوْمِ الْأَحَدِ** "!الأعراف: ١٦٣-١٦٤

وَهَكَذَا يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ جَمَعُوا بَيْنَ اِحْتِرَامِ السَّبْتِ وَصَيْدِ الأَسْمَاكِ.

لَكِنَّهُمْ مَا خَدَعُوا إِلَّا أَنفُسَهُمْ،
فَإِنَّ هَذَا إِنَّمَا هُوَ اْمْتِثَالٌ ظَاهِرٌ لِأَمْرِ اللَّهِ، وَخُرُوجٌ خَفِيٌّ عَنْ حَقِيقَتِهِ.

فَقَامَتْ فِرْقَةٌ نَاصِحَةٌ تَنْهَىٰ عَنْ تَعَدِّي حُدُودِ اللَّهِ وَفُسُوقِ الْقَوْمِ،
وَقَامَتْ فِرْقَةٌ أُخْرَىٰ تَلُومُ النَّاصِحِينَ قَائِلَةً:
"مَا جَدْوَى النُّصْحِ؟ وَقَدْ عَزَّ صَلَاحُهُمْ".

أَمَّا الْأَكْثَرِيَّةُ، فَمَضَتْ فِي حِيَلِهَا، ضَاحِكَةً عَلَىٰ نَفْسِهَا، مَاضِيَةً فِي مَكْرِهَا.

فَكَانَ غَضَبُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ شَدِيدًا، فَمَسَخَهُمْ قِرَدَةً أَذِلَّاءَ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ:
﴿**فَلَمَّا عَتَوْا عَمَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ**﴾)الأعراف: ١٦٦.(

قال مجاهد في تفسير هذه الآية:
"مَسَخَهُمُ اللَّهُ مَسْخًا خُلْقِيًّا وَنَفْسِيًّا، فَصَارُوا كَالْقِرْدَةِ فِي شُرُورِهَا، وَإِفْسَادِهَا، وَتَعَدِّيها" *ابن جرير والطبري*

وَأَمَّا النَّاهُونَ عَنِ السُّوءِ فَنَجَّاهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ،
وَأَمَّا السَّاكِتُونَ اللَّائِمُونَ لِلنَّاصِحِينَ،
فَقَدْ سَكَتَ عَنْهُمْ الْقُرْآنُ، فَنُفَوِّضُ أَمْرَهُمْ إِلَى اللَّهِ.

وَفِي هَذِهِ الْقِصَّةِ عِبْرَةٌ عَظِيمَةٌ لِكُلِّ مَنْ يَتَحَايلُ عَلَىٰ أَوَامِرِ اللَّهِ، مُتَذَرِّعًا بِالْفِقْهِ،
لِيُسْقِطَ الْوَاجِبَاتِ، وَيُحِلَّ الْحَرَامَ، وَيُلْبِسَ الْبَاطِلَ ثَوْبَ الْحَقِّ،
وَيُقَلِّبَ الظَّالِمَ مَظْلُومًا، وَالْمَظْلُومَ ظَالِمًا.

وَلِأَنَّ الْقِرْدَ يَشْبَهُ الْإِنْسَانَ فِي صُورَتِهِ،
وَلِأَنَّ التَّحَايلَ فِي الدِّينِ يَشْبَهُ الدِّينَ بِظَاهِرِهِ،
وَلِهَذَا مَسَخُوا قِرَدَةً يُشْبِهُونَهَا فِي بَعْضِ ظَوَاهِرِهَا جَزَاءً وِفاقاً،
لأَنَّ الْقِرْدَ يَشْبَهُ الْإِنْسَانَ فِي ظَاهِرِهِ، وَيُخَالِفُهُ فِي طَبِيعَتِهِ...
وَكَذَلِكَ الْمُتَحَايلُ فِي الدِّينِ يَشْبَهُ الْمُلْتَزِمَ فِي ظَاهِرِهِ، وَيُخَالِفُهُ فِي قَلْبِهِ.

قال النبي ﷺ:
"لا تَرْتَكِبُوا مَا ارْتَكَبَتِ الْيَهُودُ، وَتَسْتَحِلُّوا مُحَرَّمَاتِ اللَّهِ بِأَدْنَى الحِيلِ "أخرجه ابن بطّة

قُلُوبٌ تَلْبَسُ لِبَاسَ الدِّينِ، وَتُخْفِي فُجُورَهَا خَلْفَ "التَّأْوِيلِ."
أَلْسِنَةٌ تُفْتِي بِالْبَاطِلِ، وَتَلْبِسُ الْحَرَامَ لِبَاسَ الْحَلَالِ.
ظَاهِرٌ فِيهِ الْوَقَارُ، وَبَاطِنٌ يَسْتَخِفُّ بِحُدُودِ الْجَبَّارِ.
فَالطَّاعَةُ صِدْقٌ فِي الْبَاطِنِ وَامْتِثَالٌ فِي الظَّاهِرِ.

خِزْيُ الانْتِقَاءِ مِنَ الدِّينِ

حِينَ نَشَبَتِ الْحَرْبُ بَيْنَ قَبِيلَتَيْ الأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ فِي يَثْرَبَ، اِنْقَسَمَتْ قَبَائِلُ الْيَهُودِ وَانْحَازَتْ كُلُّ طَائِفَةٍ إِلَىٰ طَرَفٍ مِنَ الْمُتَقَاتِلِينَ:

- بَنُو قُرَيْظَةَ تَحَالَفُوا مَعَ الأَوْسِ.
- بَنُو قَيْنُقَاعَ وَبَنُو النَّضِيرِ اِنْضَمُّوا إِلَى الْخَزْرَجِ.

وَصَارَ كُلُّ فَرِيقٍ مِنَ الْيَهُودِ يُقَاتِلُ إِخْوَانَهُ مِنْ بَنِي مِلَّتِهِ، مُتَذَرِّعًا بِالْوَفَاءِ لِحُلَفَائِهِ مِنَ الْعَرَبِ،
حَتَّىٰ إِذَا وَضَعَتِ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا،
أَقْبَلُوا جَمِيعًا يَفْدُونَ الْأَسْرَىٰ مِنْ إِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ قَاتَلُوهُمْ قَبْلَ أَيَّامٍ، فِي مَشْهَدٍ يَفِيضُ بِالتَّنَاقُضِ وَالْمُفَارَقَةِ.

قَالَ مُجَاهِدٌ فِي وَصْفِهِمْ:
"يَقُولُ: إِنْ وَجَدْتُهُ فِي يَدِ غَيْرِكَ فَدَيْتُهُ، وَأَنْتَ تَقْتُلُهُ بِيَدِكَ"!

إِنَّهُ إِيمَانٌ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَكُفْرٌ بِبَعْضٍ، يُطِيعُونَ أَمْرَ اللَّهِ فِي فِدَاءِ الْأَسْرَىٰ،
وَيَكْفُرُونَ بِهِ فِي تَحْرِيمِ سَفْكِ دِمَاءِ إِخْوَانِهِمْ وَإِخْرَاجِهِمْ مِنْ دِيَارِهِمْ. تَفْسِيرُ مُجَاهِدٍ

قَالُوا فِي تَبْرِيرِهِمُ الْبَاهِتِ:
"قَدْ حُرِّمَ عَلَيْنَا قِتَالُهُمْ، وَلَكِنَّا نَسْتَحْيِي أَنْ نَخْذُلَ حُلَفَاءَنَا... وَقَدْ أُمِرْنَا أَنْ نَفْتَدِيَ أَسْرَانَا".

فَجَاءَهُمْ الْوَعِيدُ الْإِلَهِيُّ، فَقَالَ تَعَالَىٰ:
﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ البقرة: ٨٥

فَكَانَ الْخِزْيُ كَمَا وَعَدَ اللَّهُ:

- خِزْيُ بَنِي قُرَيْظَةَ: الْقَتْلُ وَالسَّبْيُ،

- وَخِزْيُ بَنِي النَّضِيرِ: الْجَلَاءُ عَنِ الدِّيَارِ إِلَىٰ أَذْرَعَاتَ وَأَرِيحَا مِنْ أَرْضِ الشَّامِ،
- وَوَرَاءَ ذَلِكَ الْكُلِّ: الذُّلُّ، وَالصِّغَارُ، وَالْهَوَانُ، وَضِيَاعُ الْكَرَامَةِ بَيْنَ النَّاسِ.

وَهَكَذَا سُنَّةُ اللَّهِ فِي كُلِّ أُمَّةٍ تَنْكُصُ عَنْ دِينِهَا،
وَلَا تُنَزِّلُ شَرِيعَتَهَا مَنْزِلَ الْقِيَادَةِ فِي حَيَاتِهَا،
بَلْ تُعَامِلُ الدِّينَ كَقَائِمَةٍ انْتِقَائِيَّةٍ: تَأْخُذُ مِنْهُ مَا يُوَافِقُ هَوَاهَا،
وَتَتْرُكُ مَا يُخَالِفُ مَصَالِحَهَا.

فالْإِيمَانُ لَا يَتَجَزَّأُ، وَمَنْ يُؤْمِنْ بِبَعْضٍ وَيَكْفُرْ بِبَعْضٍ، فَهُوَ فِي زُمْرَةِ الْكَافِرِينَ، الْمُتَوَعَّدِينَ بِالْخِزْيِ فِي الدُّنْيَا وَالْعَذَابِ فِي الْآخِرَةِ.

وَمَا أَكْثَرُ شُبَهِهِمْ فِي زَمَانِنَا!
مَنْ يُفَتِّشُ فِي أَقْوَالِ أَهْلِ الْعِلْمِ عَمَّا يُوَافِقُ هَوَاهُ،
فَإِذَا خَالَفَهُ قَوْلُهُمْ نَبَذَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ،
وَمَنْ يَتَنَقَّلُ بَيْنَ الْفَتَاوَىٰ بَحْثًا عَمَّا يُرْضِي رَغَبَاتِهِ لَا رَبَّهُ!

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ:
"لَيْسَ الشَّأْنُ فِي أَنْ تُرْضِي نَفْسَكَ، وَلَكِنْ أَنْ تُرْضِيَ اللَّهَ،
فَإِنَّكَ إِنْ أَرْضَيْتَ اللَّهَ أَرْضَاكَ، وَإِنْ أَرْضَيْتَ نَفْسَكَ دُونَ اللَّهِ
لَمْ تُرْضِ لا نَفْسَكَ وَلَا رَبَّكَ". مَدَارِجُ السَّالِكِينَ

بين التَّهَوُّرِ والتَّقاعُسِ... يقومُ الإيمانُ

عَنْ أَبِي عُمْرَانَ قَالَ:

فِي يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ الرِّبَاطِ وَالْجِهَادِ، كُنَّا عَلَى أَبْوَابِ "الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ"،

وَالرُّومُ قَدْ صَفُّوا صَفًّا عَظِيمًا.

فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِثْلُهُمْ،

فَإِذَا بِرَجُلٍ مِنَّا يَنْدَفِعُ وَحْدَهُ دَاخِلَ صُفُوفِ الرُّومِ، يَضْرِبُ بِسَيْفِهِ، وَيَخْتَرِقُ الْجَمْعَ!

فَصَاحَ النَّاسُ خَلْفَهُ:

"سُبْحَانَ اللهِ! يُلْقِي بِيَدَيْهِ إِلَى التَّهْلُكَةِ؟"!

فَقَامَ الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ **أَبُو أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيُّ** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ،

وَهُوَ مِنْ أَهْلِ **بَدْرٍ**، وَقَالَ قَوْلَتَهُ الْعَظِيمَةَ:

"إِنَّكُمْ لَتُؤَوِّلُونَ هَذِهِ الْآيَةَ تَأْوِيلًا بَاطِلًا!

إِنَّمَا نَزَلَتْ فِينَا – مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ – لَمَّا أَعَزَّ اللهُ الْإِسْلَامَ،

وَقُلْنَا: قَدْ كَثُرَ نَاصِرُ الدِّينِ، فَلْنَرْجِعْ إِلَى أَمْوَالِنَا الَّتِي ضَاعَتْ، فَلْنَقُمْ فِي مَزَارِعِنَا.

فَأَنْزَلَ اللهُ فِينَا:

﴿ وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ﴾ *البقرة: ١٩٥، ابن كثير وغيره*

فَالتَّهْلُكَةُ: أَنْ نَقْعُدَ عَنِ الْبَذْلِ، وَأَنْ نُحِبَّ الدُّنْيَا وَنَتْرُكَ الْجِهَادَ".

فَلَيْسَ كُلُّ مَا يَبْدُو "خَطَرًا" هُوَ تَهْلُكَةٌ،

وَلَيْسَتْ كُلُّ شَجَاعَةٍ تَهَوُّرًا،

إِنَّمَا **التَّهْلُكَةُ الْحَقِيقِيَّةُ** أَنْ يَرْكَنَ الْمَرْءُ إِلَى الدُّنْيَا وَيَتْرُكَ الْبَذْلَ فِي سَبِيلِ اللهِ.

وَلِذَلِكَ، مَا زَالَ أَبُو أَيُّوبَ فِي أَرْضِ الْجِهَادِ، حَتَّى دُفِنَ فِي **الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ،**

حَيْثُ قَالَ وَهُوَ يُحْتَضَرُ:

"ادْفِنُونِي عِنْدَ أَسْوَارِهَا، لَعَلَّ اللهَ يُبَلِّغُنِي أُمْنِيَتِي أَنْ أُدْفَنَ فِي أَرْضٍ فُتِحَتْ لِلْمُسْلِمِينَ"!

وَإِنْ كَانَتِ الْآيَةُ نَزَلَتْ فِي الصَّحَابَةِ، فَالْعِبْرَةُ بِعُمُومِ اللَّفْظِ لَا بِخُصُوصِ السَّبَبِ،

فَكُلُّ مَنْ أَمْسَكَ يَدَهُ عَنِ الْخَيْرِ،

أَوْ تَقَاعَسَ عَنْ وَاجِبٍ،

أَوْ فَرَّ مِنَ الْعَطَاءِ خَوْفًا عَلَى نَفْسِهِ أَوْ مَالِهِ،

فَقَدْ أَلْقَى بِنَفْسِهِ إِلَى التَّهْلُكَةِ.

لَكِنْ أَيْضًا، لَا يَجُوزُ لِلْمَرْءِ أَنْ يُلْقِيَ بِنَفْسِهِ إِلَى **الْهَلَاكِ الْحَقِيقِيِّ،**

- كَأَنْ يَقْفِزَ مِنْ شَاهِقٍ وَيَقُولَ: "أَتَوَكَّلُ"،
- أَوْ يَبْتَلِعَ السُّمَّ وَيَقُولَ: "أَتَوَكَّلُ"،
- أَوْ يَتَهَوَّرَ فِي قِيَادَةٍ، أَوْ قِتَالٍ، أَوْ قَرَارٍ يُعَرِّضُ حَيَاتَهُ أَوْ حَيَاةَ النَّاسِ لِلْخَطَرِ دُونَ سَبَبٍ مَشْرُوعٍ.

﴿ **وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا** ﴾ النساء: ٢٩

فَالْإِيمَانُ يُوَازِنُ بَيْنَ **الْجُرْأَةِ وَالرَّوِيَّةِ،** بَيْنَ **الْبَذْلِ وَالْحَذَرِ،** بَيْنَ **الشَّجَاعَةِ وَالتَّعَقُّلِ.**

فَلَا تَكُنْ جَبَانًا فَيُطْوَى قَلْبُكَ، وَلَا مُتَهَوِّرًا فَيُطْوَى عُمْرُكَ.

كُنْ عَبْدًا يَفْقَهُ **مُرَادَ رَبِّهِ** فِي قَوْلِهِ:

"وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ"... البقرة: ١٩٥

فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ

فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ، أَوَّلِ مَعْرَكَةٍ فَاصِلَةٍ فِي الإِسْلَامِ، انْتَصَرَ النَّبِيُّ ﷺ وَمَعَهُ صَفْوَةُ الصَّحَابَةِ، وَبَدَأَتْ مَرْحَلَةٌ جَدِيدَةٌ.

فَرِحَ الْمُؤْمِنُونَ بِالنَّصْرِ، وَبَدَأُوا يَتَحَدَّثُونَ عَنِ الْغَنَائِمِ، وَكُلٌّ يُرِيدُ نَصِيبَهُ مِمَّا أَحْرَزَهُ فِي الْمَعْرَكَةِ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَهَا:

"مَن قَتَلَ قَتِيلًا فَلَهُ كَذَا وَكَذَا، وَمَن أَتَىٰ بِأَسِيرٍ فَلَهُ كَذَا وَكَذَا".

فَجَاءَ أَبُو الْيَسَرِ بِأَسِيرَيْنِ وَقَالَ: "يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنْتَ وَعَدْتَنَا".

فَقَامَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مِنَ الأَنْصَارِ، وَقَالَ:

"يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ إِنْ أَعْطَيْتَ هَؤُلَاءِ لَمْ يَبْقَ لِأَصْحَابِكَ شَيْءٌ!
وَإِنَّهُ لَمْ يَمْنَعْنَا مِنْ أَنْ نَأْسِرَ أَوْ نَقْتُلَ، إِلَّا بِقَاؤُنَا لِحِمَايَتِكَ،
خَشْيَةَ أَنْ يَأْتِيَكَ الْعَدُوُّ مِنْ خَلْفِكَ".

فَارْتَفَعَتِ الأَصْوَاتُ، وَاخْتَلَفَتِ النُّفُوسُ، وَتَنَازَعَ الصَّحَابَةُ...

فَإِذَا بِالْقُرْآنِ يَنْزِلُ، لَا لِيَحْكُمَ أَوَّلًا فِي الْغَنَائِمِ، وَلَا لِيُقَرِّرَ الْأَنْصِبَةَ، بَلْ بِشَيْءٍ أَهَمَّ وَأَعْظَمَ:

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ *الأنفال: ١*

أَرْبَعَةٌ قَبْلَ قِسْمَةِ الْغَنَائِمِ:

١. **الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ – فَلَا تَتَنَازَعُوا عَلَيْهَا، فَأَنْتُمْ عِبَادٌ لَا مُلَّاكٌ.**
٢. **فَاتَّقُوا اللَّهَ – لَا تَطْغُوا مِنْ أَجْلِ دُنْيَا فَانِيَةٍ.**
٣. **وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ – لِأَنَّ الْخِلَافَ أَوَّلُ أَسَبَابِ الْهَزِيمَةِ.**
٤. **وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ – فَكُلُّ أَمْرٍ غَيْرُ هَذَا فِتْنَةٌ.**

فلم يأتِ الجوابُ عن الغنائمِ وكيفيّةِ توزيعِها مباشرة، بل جاء بعد **أربعين آية** من هذا السؤال:
﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ﴾.

وإنما الذي جاء أوّلًا هو:

الأمرُ بالتقوى، وإصلاحُ ذاتِ البين، وطاعةُ اللهِ ورسولِه؛

لِيُبَيِّنَ لهم أنَّ **التقاتلَ على الدنيا سببٌ في فسادِ ذاتِ البين.**

وكان رسولُ الله ﷺ يمسحُ على مناكبِ الصحابةِ في الصلاةِ ويقول:

"اسْتَوُوا، ولا تَختَلِفُوا فتَختَلِفَ قلوبُكم". رواه مسلم

وَمِنْ بَصِيرَةِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ:

"إِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ لَمْ تَخْتَلِفْ فِي رَبِّهَا، وَلَا فِي نَبِيِّهَا، وَلَا فِي كِتَابِهَا...

وَإِنَّمَا اخْتَلَفُوا فِي الدِّينَارِ وَالدِّرْهَمِ"!

وَالنَّبِيُّ ﷺ قَالَ:

"سَأَلْتُ رَبِّي ثَلَاثًا:

أَنْ لَا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالسَّنَةِ (الْقَحْطِ) فَأَعْطَانِيها،

وَأَنْ لَا يُهْلِكَها بِالْغَرَقِ فَأَعْطَانِيها،

وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يَجْعَلَ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ، فَمَنَعَنِيها ". رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَالنَّسَائِيُّ وَغَيْرُهُمَا

وهذا هو عذابُ أُمَّةِ الإسلامِ في الدنيا، وقد أكَّدَتْهُ الآيةُ الكريمة:

﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾ الأنعام: ٦٥

أي: يُخَلِّطَكُم فِرَقًا وأحزابًا مختلفةَ الأهواء، كلُّ فِرقةٍ تتَّبعُ إمامًا،

فهم أبَدًا في **جدالٍ وصِراعٍ، وخُصومةٍ ونِزاعٍ،** وابتلاءٍ يُصِيبُ هذا الفريقَ من ذاك.

وذلك أشنعُ ما تُصابُ به الأُمَّة، حين يأكلُ بعضُها بعضًا، فيَزولُ الأمنُ، ويَعُمُّ الفساد.

- **أَوَّلُ خِلَافٍ بَعْدَ بَدْرٍ لَمْ يَكُنْ فِي الْعَقِيدَةِ، بَلْ فِي الدُّنْيَا.**

فِي غَزْوَةِ ذَاتِ السَّلَاسِلِ، بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ جَيْشًا لِنُصْرَةِ عَمْرُو بْنِ الْعَاصِ،
وَأَمَّرَ عَلَيْهِ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ،
وَكَانَ فِي الْجَيْشِ: أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَكِبَارُ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ.
فَلَمَّا وَصَلَ الْجَيْشُ إِلَىٰ مَوْقِعِ عَمْرُو، قَالَ لَهُ" :**أَنَا الْأَمِيرُ**".
فَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ فِي أَدَبٍ" :**بَلْ أَنَا الْأَمِيرُ**".
وَأَبُو عُبَيْدَةَ – بِاتِّفَاقِ الْأُمَّةِ – أَفْضَلُ مِنْ عَمْرُو بْنِ الْعَاصِ، وَلَكِنَّ...
تَذَكَّرَ تِلْكَ الْكَلِمَةَ الَّتِي قَالَهَا لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ" :**تَطَاوَعَا وَلَا تَخْتَلِفَا**".
فَقَالَ لِأَخِيهِ عَمْرُو" :**نَعَمْ، أَنْتَ الْأَمِيرُ**".
ثُمَّ نَزَلَ تَحْتَ رَايَتِهِ فِي طَاعَةٍ وَتَوَاضُعٍ لَا يُرَاهَا إِلَّا مَنْ عَرَفَ مَقَامَ الصَّحْبَةِ.

فَانْدَهَشَ عَمْرُو، وَقَالَ فِي نَفْسِهِ:
"**أَنَا خَيْرُ النَّاسِ! أَنَا أَحَبُّ النَّاسِ إِلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ**"!
فَلَمَّا عَادَ، دَخَلَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، يُرِيدُ أَنْ يَسْمَعَ مِنْ فَمِهِ مَا يُسَرُّ قَلْبَهُ،
فَقَالَ" :**يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيْكَ؟**"
فَقَالَ ﷺ دُونَ تَرَدُّدٍ" :**عَائِشَةُ**".
فَقَالَ عَمْرُو" :**لَسْتُ أَسْأَلُ عَنِ النِّسَاءِ**"!
—وَكَأَنَّهُ يَقُولُ: أَعْطِنِي تَرْتِيبَ الرِّجَالِ، وَأَنَا وَاثِقٌ أَنِّي فِي الْقِمَّةِ—
فَقَالَ ﷺ" :**أَبُوهَا**".
قَالَ" :**ثُمَّ مَنْ؟**"
قَالَ" :**عُمَرُ**".
قَالَ" :**ثُمَّ مَنْ؟**"
فَعَدَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رِجَالًا آخَرِينَ، وَلَمْ يَذْكُرْ عَمْرُو إِلَّا فِي الذَّيْلِ...
فَتَوَاضَعَ عَمْرُو، وَسَكَنَ.
فَقَدْ عَلِمَ أَنَّ الْمَحَبَّةَ النَّبَوِيَّةَ لَيْسَتْ بِالْمَنَاصِبِ، بَلْ بِالْقُلُوبِ.

وَفِي هَذِهِ الْقِصَّةِ إِشَارَاتٌ عَظِيمَةٌ:

•أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَا يُجَامِلُ فِي مَحَبَّتِهِ، بَلْ يُعْلِنُهَا جَهْرًا، فَيُفَضِّلُ عَائِشَةَ، ثُمَّ أَبَاهَا، ثُمَّ عُمَرَ، بِلَا مَدَارَاةٍ وَلَا تَقِيَّةٍ.

•أَنَّ الصَّحَابَةَ الْكِبَارَ كَأَبِي عُبَيْدَةَ يَتَنَازَلُونَ عَنِ الْقِيَادَةِ طَاعَةً لِلَّهِ وَرَسُولِهِ.

•أَنَّ عَمْرُو بْنَ الْعَاصِ، رَغْمَ فَطْنَتِهِ وَدَهَائِهِ، قَبِلَ التَّرْتِيبَ النَّبَوِيَّ دُونَ اعْتِرَاضٍ.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

"لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي،

فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا،

مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ – "!صحيح البخاري–

فَصَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ هُمْ أَعْلَامُ الْهِدَايَةِ وَمَصَابِيحُ الظَّلَامِ،

لَا يَبْلُغُ فَضْلَهُمْ تَابِعٌ، وَلَا يُقَارَنُ بِهِمْ مَنْ جَاءَ بَعْدَهُمْ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنْ مَنْ يُحِبُّ أَصْحَابَ نَبِيِّكَ ﷺ، وَيَتَّبِعُهُمْ بِإِحْسَانٍ،

وَيُذِيبُ عَنْهُمْ بِلِسَانِهِ وَقَلْبِهِ،

اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا مَحَبَّتَهُمْ وَاتِّبَاعَ هَدْيِهِمْ،

وَامْلَأْ قُلُوبَنَا تَعْظِيمًا لِأَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ، وَأَبِي عُبَيْدَةَ، وَعُثْمَانَ، وَعَلِيٍّ،

وَسَائِرِ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ.

حينَ نَزَلَتِ الآيَةُ... فَتَفَجَّرَتِ النُّفُوسُ بِالْعَطَاءِ

عن **أنسِ بنِ مالكٍ** رضيَ اللهُ عنه قال:

كانَ **أبو طَلْحَةَ الأنصاريُّ** أكثرَ الأنصارِ مالًا بالمدينة، وكانَ أحبَّ أموالِهِ إليه **بَيْرُحَاءَ**، وكانت مُستقبِلةً المسجد، وكانَ رسولُ اللهِ ﷺ يدخلُها ويشربُ من ماءٍ فيها طيِّبٍ.

قال أنس:

فلمّا نزلت هذه الآية:

﴿ **لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ** ﴾ آل عمران: ٩٢

قامَ أبو طلحةَ إلى رسولِ اللهِ ﷺ فقال:

"يا رسولَ الله، إنَّ اللهَ تعالى يقولُ في كتابِه:

﴿ **لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ** ﴾

وإنَّ أحبَّ أموالي إليّ **بَيْرُحَاءُ**، وإنَّها صدقةٌ لله، أرجو بِرَّها وذُخْرَها عندَ الله، فاجعلْها يا رسولَ الله حيثُ شئت".

فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ:

بَخٍ بَخٍ! ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ،
وقد سمعتُ ما قلتَ فيها،
وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الْأَقْرَبِينَ.
فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: أَفْعَلُ يَا رَسُولَ اللهِ.
فَقَسَّمَهَا أَبُو طَلْحَةَ فِي أَقَارِبِهِ وَبَنِي عَمِّهِ.
فَالصَّدَقَةُ عَلَى الْمِسْكِينِ صَدَقَةٌ، وَعَلَى ذِي الرَّحِمِ: صَدَقَةٌ وَصِلَةٌ،
كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ.

قَالَ عَطَاءٌ رَحِمَهُ اللهُ: ﴿ **لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ** ﴾

أَيْ: شَرَفَ الدِّينِ وَالتَّقْوَى،

حَتَّى تَتَصَدَّقُوا وَأَنْتُمْ أَصِحَّاءُ أَشِحَّاءُ.

وَلَا يَظُنَّ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا أَعْطَاهُمُ اللهُ مِنْ نِعَمٍ وَأَمْوَالٍ،

أَنَّ بُخْلَهُمْ فِيهِ خَيْرٌ لَهُمْ،

كَلَّا، بَلْ إِنَّ بُخْلَهُمْ هَذَا فِيهِ شَرٌّ عَظِيمٌ لَهُمْ.

قَالَ تَعَالَى:

﴿ **سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ** ﴾ *آل عمران: ١٨٠*

أَيْ: سَتُجْعَلُ أَمْوَالُهُمْ أَطْوَاقًا حَوْلَ رِقَابِهِمْ، وَأَغْلَالًا حَوْلَ أَجْسَادِهِمْ،

فَيُعَذَّبُونَ عَذَابًا أَلِيمًا بِحَمْلِهَا.

وَيَقُولُ سُبْحَانَهُ:

﴿ **الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ،**

وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا، وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ *البقرة: ٢٦٨*

فمن نُصَدِّق؟ ومن نُطِيع؟

مَنِ **استجابَ لوعدِ الشيطان ...قَبَضَ يدَهُ!**

ومَن **صدَّقَ وعدَ الرّحمن ...بَسَطَهَا، وربِحَ "بَيْرُحَاءَ" الآخرة!**

مَقَامٌ رَفِيعٌ، وَأَجْرٌ لَا يَنْقَطِعُ

رُوِيَ أنَّ **عبدَ اللهِ بنَ المبارك** –وهو مرابطٌ ب**طرطوس** –
كتبَ إلى صديقهِ **العابدِ الزاهدِ الفضيلِ بنِ عِياض**، وكان معتَكفًا بالحرم، فقال له:

يا عَابِدَ الحَرَمَيْنِ لوْ أَبْصَرْتَنَا
لَعَلِمْتَ أَنَّكَ فِي العِبَادَةِ تَلْعَبُ

مَنْ كَانَ يُخْضِبُ خَدَّهُ بِدُمُوعِهِ
فَنُحُورُنَا بِدِمَائِنَا تَتَخَضَّبُ

أوْ كَانَ يُتْعِبُ خَيْلَهُ فِي بَاطِلٍ
فَخُيُولُنَا يَوْمَ الصَّبِيحَةِ تَتْعَبُ

رِيحُ العَبِيرِ لَكُمْ وَنَحْنُ عَبِيرُنَا
رَهْجُ السَّنَابِكِ وَالغُبَارُ الأَطْيَبُ

وَلَقَدْ أَتَانَا مِنْ مَقَالِ نَبِيِّنَا
قَوْلٌ صَحِيحٌ صَادِقٌ لَا يُكْذَبُ

لَا يَسْتَوِي وَغُبَارُ خَيْلِ اللَّهِ فِي
أَنْفِ امْرِئٍ وَدُخَانُ نَارٍ تَلْهَبُ

هَذَا كِتَابُ اللَّهِ يَنْطِقُ بَيْنَنَا
لَيْسَ الشَّهِيدُ بِمَيِّتٍ لَا يُكْذَبُ

فلما قرأ **الفضيل** هذه الأبيات، **بَكَى**، وقال:

"صَدَقَ عبدُ الله".

لم يكن عبدُ الله يحتقرُ عبادةَ الفضيل،
ولكنَّه أراد له أن **يُشَارِكَهُ فَضْلَ الجِهَاد،**
ويَذُوقَ **لذَّةَ الرِّبَاطِ** في سبيلِ الله.

فلقد كان كثيرٌ من **السَّلَفِ الصَّالِحِ** يُرَابِطُونَ في سبيلِ اللهِ **نِصْفَ العَامِ،**
ويَطْلُبُونَ قُوتَهُم **بالنِّصْفِ الآخَرِ،**
لِمَا عَلِمُوا مِن **عَظِيمِ أَجْرِهِ،** وَرَفِيعِ مَنْزِلَتِهِ.

قال رسولُ الله ﷺ: "**رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا**" *رواه البخاري*

وفي **صَحيحِ مُسلم:**

"رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ،
وَإِنْ مَاتَ جَرَى عَلَيْهِ عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُهُ،
وَأُجْرِيَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ، وَأَمِنَ الْفَتَّانَ."

ولذلكَ كانَ **الأَخْيَارُ** لا ينقَطِعُونَ عن **الرِّبَاطِ.**

قال اللهُ تعالى:

﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ *المائدة: ٥٤*

هِدَايَةٌ نَزَلَتْ عَلَى قَلْبٍ صَادِقٍ مِنَ الْيَمَنِ

قَدِمَ **ضِمَادُ بْنُ ثَعْلَبَةَ الأَزْدِيُّ** مِنَ الْيَمَنِ إِلَى **مَكَّةَ**،
وَكَانَ مِنْ **عُقَلَاءِ الْعَرَبِ**، يُعَالِجُ النَّاسَ **بِالرُّقْيَةِ** مِنَ **الْجُنُونِ وَالْمَسِّ**،
وَكَانَ **اللَّهُ** قَدْ جَعَلَ عَلَى يَدَيْهِ الشِّفَاءَ **لِمَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ**.

وفي أحد **أَزِقَّةِ مَكَّةَ**، رَأَى **النَّبِيَّ** ﷺ يَمْشِي، وَيَتْبَعُهُ **غِلْمَانٌ سُفَهَاءُ** يُؤْذُونَهُ،
فَظَنَّ **ضِمَادُ** أَنَّ بِهِ شَيْئًا مِنَ **الْجُنُونِ**،
فَقَالَ فِي نَفْسِهِ:

"لَوْ أَنِّي أَتَيْتُ هَذَا الرَّجُلَ فَرَقَيْتُهُ، لَعَلَّ اللَّهَ يَشْفِيهِ عَلَى يَدَيَّ"!

فَسَأَلَ عَنْهُ، فَقِيلَ لَهُ:
"إِنَّهُ **مُحَمَّدٌ**".

وَكَانَ قَدْ سَمِعَ بِهِ مِنْ قَبْلُ، فَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ وَقَالَ **بِنِيَّةٍ صَادِقَةٍ**:

"**يَا مُحَمَّدُ**، إِنِّي أُعَالِجُ مِنَ الْجُنُونِ، وَإِنَّ اللَّهَ يَشْفِي عَلَى يَدَيَّ مَنْ شَاءَ، **فَهَلْ لَكَ؟**"

فَنَظَرَ إِلَيْهِ **رَسُولُ اللَّهِ** ﷺ، وَرَأَى فِيهِ قَلْبًا مَفْتُوحًا لِلْخَيْرِ،
فَاسْتَغَلَّ الْفُرْصَةَ، وَقَالَ لَهُ:

"إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ،
وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا،
مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ،
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ،
وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ... أَمَّا بَعْدُ". *سير أعلام النبلاء*

وهَذَا نَصُّ ما عرفت فيما بعد بخُطْبَةِ الْحَاجَةِ، *مُسْلِمٍ وَأَبُو دَاوُد*

فَانْبَهَرَ **ضِمَادٌ**، وَقَالَ:

"**أَعِدْ عَلَيَّ**"!

فَأَعَادَهَا **النَّبِيُّ** ﷺ، مَرَّةً... ثُمَّ ثَانِيَةً... ثُمَّ ثَالِثَةً.

حَتَّى قَالَ **ضِمَادٌ**، مَبْهُورًا:

"**وَاللَّهِ، لَقَدْ سَمِعْتُ الْكُهَّانَ، وَسَمِعْتُ السَّحَرَةَ، وَسَمِعْتُ الشُّعَرَاءَ،**
وَقَرَأْتُ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَالزَّبُورَ،
فَمَا سَمِعْتُ مِثْلَ هَذَا الْكَلَامِ قَطُّ"!

ثُمَّ مَدَّ يَدَهُ، وَقَالَ:

"**أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.**
هَاتِ يَدَكَ، لِأُبَايِعَكَ عَلَى الْإِسْلَامِ".

فَبَايَعَهُ **النَّبِيُّ** ﷺ، ثُمَّ قَالَ لَهُ:

"**وَعَلَى قَوْمِكَ؟**"

فَأَجَابَ **ضِمَادٌ**:

"**نَعَمْ، عَلَيَّ وَعَلَى قَوْمِي**". رَوَاهُ ابْنُ هِشَامٍ

فَهَكَذَا، كَانَتِ الْبَرَكَةُ كُلُّهَا فِي كَلِمَاتٍ مُبَارَكَةٍ،

كَلِمَاتٌ **تَهْدِي الْعُقُولَ**، وَتَفْتَحُ **الْقُلُوبَ**،
وَتُبَارِكُ **اللِّقَاءَ**، وَتَسْتَجْلِبُ **الْمَغْفِرَةَ وَالْهِدَايَةَ**.
فَسَلُوهُ بِهَا الْبَرَكَةَ وَالْهِدَايَةَ، وَالِاسْتِعَاذَةَ وَالْمَغْفِرَةَ.

حينَ اشترى اللَّهوَ... فباعَ نفسَهُ!

كانَ **النَّضْرُ بنُ الحارثِ** من **رِجَالِ قُرَيْشٍ**، كثيرَ الأسفارِ، خالطَ الفُرْسَ والرُّومَ،
وقرأَ **كُتُبَ اليَهُودِ وَالنَّصَارَى**، فلقّبوهُ بـ **شَيْطَانِ قُرَيْشٍ**، *ابن هشام*
أو بلغةِ العصرِ :**مُثَقَّفِ قُرَيْشٍ!**

لكنَّهُ **لَمْ يُرِدْ** أن يهتديَ بالعلمِ، بل جعلَهُ **سِلاحًا ضدَّ الحقِّ**.

فإذا جلسَ النبيُّ ﷺ في المسجدِ يُعلِّمُ الناسَ الوحيَ،
انتظرَ حتّى يغادرَ، ثمَّ جلسَ مكانَهُ، وقال:

"**هَلُمُّوا أُحَدِّثْكُم أحسنَ من حديثِ محمَّدٍ**"!
ويقصُّ عليهم **أساطيرَ كِسرى وقَيْصَر**، وأخبارَ الأكاسرةِ.

واشترى **مُغَنِّيَةً فاجِرَة**، فإذا سمعَ بأحدٍ يميلُ إلى الإسلامِ،
أرسلَها إليهِ تقول:

"**أطعِميهِ، واسقِيهِ، وغنِّيهِ، وتفحَّشي إن شئتِ!**
فهذا خيرٌ ممَّا يدعوكِ إليهِ محمدٌ من صيامٍ وصلاةٍ وجهاد"! التاريخ والسِّيَر، *الطبري*

فأنزلَ اللهُ فيه قولَهُ تعالى:

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ *لقمان: ٦*

فما لبثَ أن جاء **يومُ بدرٍ**...
فكان من **صَرْعَى الضَّلالِ** الذين هلكوا، وخَلّدَ اللهُ اسمَهُ في كتابِه...
عِبْرَةً لكلِّ من يَصُدُّ عن الحقِّ باللهوِ.

هذه الآيةُ استدلَّ بها العلماءُ على **كراهةِ الغناءِ،**
وتحريمِهِ
إنْ دعا إلى **المجونِ والغزلِ والفجور.**

أمَّا ما خلا من ذلك، من **الحداءِ والتنشيطِ في العملِ،**
كما فعلَ الصحابةُ في **حفرِ الخندقِ،** أو ما كان في **العيدِ والفَرَحِ،**
فهو **مُبَاحٌ** في القَدرِ المشروعِ.

فالأمرُ **يَدُورُ** مع **المعنى والمَقصِد،**
لا مع **النغمةِ والصَّوْتِ.**

قال العلماءُ:

"حُكمُ الاستماعِ إلى الأغاني، من حُكمِ الغناءِ نفسه:
فما كان مُحرَّمًا، فاستماعُهُ حرامٌ،
وما كان مباحًا، فاستماعُهُ مباحٌ،
ولكنَّ الإكثارَ مِنهُ ومِنْ كلِّ لهوٍ، غيرُ محمودٍ". *فتاوى اللجنة الدائمة*

قال بعضُ العارفين:
إنْ تَرَكْتَ أُذْنَكَ لِمَا حَرَّمَهُ اللهُ، سَمِعْتَ نِدَاءَ الحَقِّ.

فيكون قلبُك أصفى، وسمعُك أزكى، وفهمُك أعمقَ لما يُرضي الله.

فالسَّمعُ بابٌ إلى القلب، ومفتاحٌ للهداية أو الغواية،
﴿ **إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا** ﴾ *الإسراء: ٣٦*

ثَلاثَةٌ فِي الغَارِ: إِخْلَاصٌ أَنْقَذَهُم مِنَ الهَلَاكِ

يَروِي النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ **ثَلَاثَةَ رِجَالٍ** مِمَّنْ كَانَ قَبْلَنَا خَرَجُوا فِي سَفَرٍ، فَأَدْرَكَهُمُ الْمَطَرُ، فَدَخَلُوا **غَارًا فِي جَبَلٍ** لِيَبِيتُوا فِيهِ. فَانْحَدَرَتْ **صَخْرَةٌ** مِنَ الْجَبَلِ فَسَدَّتْ عَلَيْهِم **بَابَ الْغَارِ**، فَحُبِسُوا دَاخِلَهُ، لَا يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ.

فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: "**ٱدْعُوا اللَّهَ بِأَفْضَلِ عَمَلٍ عَمِلْتُمُوهُ**".

فَقَالَ الْأَوَّلُ:

اللَّهُمَّ، كَانَتْ لِي **بِنْتُ عَمٍّ**، وَكَانَتْ **أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيَّ**،
فَرَاوَدْتُهَا عَنْ نَفْسِهَا، فَامْتَنَعَتْ،
حَتَّى أَصَابَتْهَا حَاجَةٌ، فَجَاءَتْ تَطْلُبُنِي.
فَعَرَضْتُ عَلَيْهَا الْمَالَ **عَلَىٰ أَنْ تُمَكِّنَنِي مِنْ نَفْسِهَا**،
فَلَمَّا اقْتَرَبْتُ مِنْهَا، قَالَتْ لِي: **ٱتَّقِ اللَّهَ، وَلَا تُفَضَّ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ"!**

فَقُمْتُ عَنْهَا خَوْفًا مِنْكَ، وَتَرَكْتُ الْمَالَ لَهَا.

اللَّهُمَّ، إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَٰلِكَ **ٱبْتِغَاءَ وَجْهِكَ**، فَٱفْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ.

فَٱنْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ شَيْئًا، وَلَٰكِنْ لَا يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ.

وَقَالَ الثَّانِي:

اللَّهُمَّ، كَانَ لِي **وَالِدَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ**،
وَكُنْتُ لَا أُقَدِّمُ عَلَيْهِمَا أَحَدًا،
فَإِذَا أَتَيْتُ لَهُمَا بِالْحَلِيبِ، فَوَجَدْتُهُمَا نَائِمَيْنِ،
وَقَفْتُ عِنْدَ رَأْسَيْهِمَا حَتَّىٰ يَسْتَيْقِظَا،
وَلَمْ أُقَدِّمْهُ لِأَهْلِ بَيْتِي قَبْلَهُمَا.

اللَّهُمَّ، إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَٰلِكَ **رَجَاءَ رَحْمَتِكَ**، فَٱفْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ.

فَٱنْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ زِيَادَةً، وَلَٰكِنْ لَا يَزَالُونَ مَحْبُوسِينَ.

وَقَالَ الثَّالِث:

اللَّهُمَّ، إِنِّي **ٱسْتَأْجَرْتُ أُجَرَاءَ** يَعْمَلُونَ لِي،
فَأَعْطَيْتُهُمْ أُجُورَهُمْ، إِلَّا **وَاحِدًا مِنْهُمْ** تَرَكَ أَجْرَهُ وَٱنْصَرَفَ.

فَثَمَّرْتُ لَهُ أَجْرَهُ حَتَّىٰ كَثُرَ مَالُهُ: مِنْ **بَقَرٍ، وَغَنَمٍ، وَإِبِلٍ، وَرَقِيقٍ.**

فَلَمَّا جَاءَ يَطْلُبُ أَجْرَهُ، قُلْتُ لَهُ: **خُذْ كُلَّ مَا تَرَى، فَهُوَ أَجْرُكَ**".
فَأَخَذَهُ **وَلَمْ يَتْرُكْ مِنْهُ شَيْئًا.**
اللَّهُمَّ، إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَٰلِكَ **ٱبْتِغَاءَ وَجْهِكَ**، فَٱفْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ.

فَٱنْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ، وَخَرَجُوا يَمْشُونَ سَالِمِينَ. (الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ)
وَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى **فَضْلِ الإِخْلَاصِ وَالعَمَلِ الصَّالِحِ** فِي النَّجَاةِ مِنَ الْمِحَنِ

وَفِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ: "تَعَرَّفْ إِلَى اللَّهِ فِي الرَّخَاءِ، يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ".
وَلِذَا قِيلَ: **إِنَّ الْعَمَلَ الصَّالِحَ يَرْفَعُ صَاحِبَهُ إِذَا عَثَرَ.**

قَالَ ﷺ: **مَنْ ٱسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَكُونَ لَهُ خَبِيئَةٌ مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ، فَلْيَفْعَلْ**". (رَوَاهُ مُسْلِمٌ)
وَقَدْ قِيلَ: "صَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ السُّوءِ".

فَلْيَجْتَهِدِ العَبْدُ، وَيَحْرِصْ **عَلَىٰ خَصْلَةٍ مِنْ صَالِحِ عَمَلِهِ،**
يُخْلِصُ فِيهَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ،
وَيَدَّخِرُهَا **لِيَوْمِ فَاقَتِهِ وَفَقْرِهِ**، وَيَسْتُرُهَا عَنْ خَلْقِ اللَّهِ،
لِكَيْ يَصِلَ إِلَيْهِ **نَفْعُهَا، وَهُوَ أَحْوَجُ مَا يَكُونُ إِلَيْهَا.**

رِحْلَةُ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي طَلَبِ العِلْمِ

خَطَبَ **مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ** فِي **بَنِي إِسْرَائِيلَ** يَوْمًا، فَسُئِلَ:
أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ؟
قَالَ :**أَنَا.**
فَعَاتَبَهُ اللَّهُ تَعَالَى، لِأَنَّهُ **لَمْ يَرُدَّ العِلْمَ إِلَى اللَّهِ**، فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِ:
"**إِنَّ لِي عَبْدًا عِنْدَ مَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ**".

فَمَا تَرَدَّدَ **مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ**، بَلْ عَزَمَ عَلَى الرَّحِيلِ **مَهْمَا طَالَتِ الْمُدَّةُ** أَوِ اشْتَدَّتِ الْمَشَقَّةُ،
وَقَالَ لِفَتَاهُ **يُوشَعَ بْنَ نُونٍ**:
﴿ **لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا** ﴾الكهف: ٦٠

فَحَمَلَ مَعَهُ **حُوتًا مَشْوِيًّا**، وَقِيلَ لَهُ: مَتَىٰ فَقَدْتَ الحُوتَ،
فَٱعْلَمْ أَنَّ فِي ذَٰلِكَ الْمَكَانِ العَبْدَ الصَّالِحَ".

وَكَانَ عِلْمُ **الخَضِرِ** يَتَعَلَّقُ **بِبَعْضِ الغَيْبِ** وَمَعْرِفَةِ البَوَاطِنِ،
وَكَانَ عِلْمُ **مُوسَىٰ** يَتَعَلَّقُ **بِالظَّوَاهِرِ** مِنَ الأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ، وَالقَضَاءِ بِظَاهِرِهَا.

عِنْدَ الصَّخْرَةِ بِ **مَجْمَعِ البَحْرَيْنِ،** عَادَتِ الحَيَاةُ **لِلْحُوتِ المَشْوِيّ،**
فَقَفَزَ فِي البَحْرِ، وَأَخَذَ طَرِيقَهُ، فَكَانَ هَذَا الطَّرِيقُ **مِثْلَ السَّرَبِ**، أَيِ **النَّفَقِ فِي الأَرْضِ**،
بِحَيْثُ يَسِيرُ الحُوتُ فِيهِ وَأَثَرُهُ وَاضِحٌ فِي الْمَاءِ.

فَلَمَّا طَلَبَ **مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ** مِنْ فَتَاهُ أَنْ يُحْضِرَ مَا يَأْكُلُونَ مِنَ الحُوتِ،
بَعْدَ أَنْ لَقِيَا مَا لَقِيَا مِنَ التَّعَبِ،
فَقَالَ الفَتَىٰ:"**لَقَدْ نَسِيتُ أَنْ أَذْكُرَ لَكَ مَا شَاهَدْتُهُ مِنْ أُمُورٍ عَجِيبَةٍ وَأَنَا عِندَ الصَّخْرَةِ،**
فَقَدْ عَادَتْ لِلْحُوتِ الحَيَاةُ، ثُمَّ قَفَزَ فِي البَحْرِ.
وَمَا أَنْسَانِي ذِكْرَهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ".

صَحَّ أَنَّهُ ﷺ قَالَ:
لَمْ يَجِدْ مُوسَىٰ شَيْئًا مِنَ التَّعَبِ حَتَّىٰ جَاوَزَ المَكَانَ الَّذِي أُمِرَ بِهِ".

فَرَجَعَ مُوسَىٰ وَفَتَاهُ إِلَىٰ ذَلِكَ المَوْضِعِ،
حَتَّىٰ **ٱلْتَقَيَا بِالْعَبْدِ الصَّالِحِ، الخَضِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ،**
فَبَدَأَتْ رِحْلَةُ **مُوسَىٰ فِي التَّعَلُّمِ،**
وَبَيَّنَ اللَّهُ تَعَالَىٰ فِيهَا **دُرُوسًا فِي الصَّبْرِ، وَالتَّوَاضُعِ، وَالعِلْمِ، وَالقَدَرِ.**

قالَ تعالى: ﴿ **وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا** ﴾ طه: ١١٤
وَجَاءَ فِي الحَدِيثِ أَنَّ **رَسُولَ اللهِ** ﷺ قَالَ:
الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ، مَلْعُونٌ مَا فِيهَا، إِلَّا ذِكْرَ اللَّهِ وَمَا وَالَاهُ، وَعَالِمًا وَمُتَعَلِّمًا". رَوَاهُ التِّرْمِذِي

هَذَا الحَدِيثُ يُبَيِّنُ أَنَّ **الخَيْرَ كُلَّ الخَيْرِ** فِي هَذِهِ الأَرْبَعَةِ:
ذِكْرُ اللَّهِ، وَمَا يَتَّصِلُ بِهِ، وَالعَالِمُ، وَالمُتَعَلِّمُ.
وَأَمَّا مَا سِوَى ذَلِكَ، فَلَا خَيْرَ فِيهِ.

وَالمَقْصُودُ هُنَا هُوَ **العِلْمُ الشَّرْعِيُّ،**
الَّذِي بِهِ يُعْرَفُ الحَلَالُ وَالحَرَامُ، وَتُضْبَطُ الأَحْكَامُ، وَتُهَذَّبُ النُّفُوسُ.

فَلَسْنَا نُرِيدُ أَنْ **تَكْثُرَ الشَّهَادَاتُ** وَتَرْتَفِعَ المعَدَّلَاتُ وَالدَّرَجَاتُ،
وَيُقَابِلُهَا **هُبُوطٌ فِي الدِّينِ وَالأَخْلَاقِ،**
بل العِلْمُ **مَعَ الإِيمَانِ،** لأَنَّهُ رِفْعَةٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ.

قالَ تَعالى:
﴿ **يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ** ﴾ المجادلة: ١١

دَلِيلٌ حَيٌّ عَلَى البَعْثِ وَاليَقِينِ بِالسَّاعَةِ

بَعْدَ أَنْ أَنَامَ اللَّهُ أَصْحَابَ الكَهْفِ تِلْكَ المدَّةَ الطَّوِيلَةَ،
بَعَثَهُمْ لِيَطَّلِعَ النَّاسُ عَلَيْهِمْ،
لِيَعْلَمَ هَؤُلَاءِ النَّاسُ عَن طَرِيقِ المشَاهَدَةِ أَنَّ **وَعْدَ اللَّهِ بِالبَعْثِ حَقٌّ وَصِدْقٌ،**
وَلِيَعْلَمُوا أَيْضًا أَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ **لَا رَيْبَ فِيهَا، وَلَا شَكَّ فِي حُصُولِهَا.**

فَإِنَّ مَن شَاهَدَ أَهْلَ الكَهْفِ، وَعَرَفَ أَحْوَالَهُمْ،
أَيْقَنَ بِأَنَّ مَنْ كَانَ قَادِرًا عَلَى **إِنَامَتِهِمْ تِلْكَ المُدَّةَ الطَّوِيلَةَ،**
ثُمَّ عَلَى **بَعْثِهِمْ بَعْدَ ذٰلِكَ،** فَهُوَ قَادِرٌ عَلَى **إِعَادَةِ الحَيَاةِ إِلَى المَوْتَى،**
وَعَلَى **بَعْثِ النَّاسِ** يَوْمَ القِيَامَةِ **لِلْحِسَابِ وَالجَزَاءِ.**

وَقَدْ ذُكِرَتْ فِي كَيْفِيَّةِ **إِطْلَاعِ النَّاسِ عَلَيْهِمْ** رِوَايَاتٌ، مُلَخَّصُهَا:

أَنَّ **زَمِيلَهُمْ** الَّذِي أَرْسَلُوهُ **بِالدَّرَاهِمِ إِلَى السُّوقِ** لِيَشْتَرِيَ لَهُم طَعَامًا،
عِنْدَمَا وَصَلَ إِلَى **سُوقِ المَدِينَةِ،** عَمَدَ إِلَى رَجُلٍ مِنَ البَاعَةِ،
فَدَفَعَ إِلَيْهِ مَا مَعَهُ مِن نُقُودٍ لِيَأْخُذَ فِي مُقَابِلِهَا طَعَامًا.

فَلَمَّا رَأَى البَائِعُ النُّقُودَ **أَنْكَرَهَا،** لِأَنَّهَا **مَصْنُوعَةٌ** مُنْذُ **زَمَنٍ بَعِيدٍ،**
وَأَخَذَ يُطْلِعُ عَلَيْهَا بَقِيَّةَ التُّجَّارِ،
فَقَالُوا لَهُ: أَيْنَ وَجَدْتَ هٰذِهِ الدَّرَاهِمَ؟

فَقَالَ لَهُم :**بِعْتُ بِهَا أَمْسِ شَيْئًا مِنَ التَّمْرِ،** وَأَنَا مِن أَهْلِ هٰذِهِ المدِينَةِ،
وَقَدْ خَرَجْتُ أَنَا وَزُمَلَائِي **إِلَى الكَهْفِ خَوْفًا** مِن إِيذَاءِ **المُشْرِكِينَ لَنَا.**
فَأَخَذُوهُ إِلَى **مَلِكِهِم،** وَقَصُّوا عَلَيْهِ قِصَّتَهُمْ
فَسُرَّ المِلِكُ بِهٰذَا، وَذَهَبَ مَعَهُمْ إِلَى الكَهْفِ **لِيَرَى بَقِيَّةَ زُمَلَائِهِم،**
فَلَمَّا رَآهُمْ **سَلَّمَ عَلَيْهِم.**

فَصَارُوا يَتَنَازَعُونَ فِي شَأْنِهِم،
فَمِنْهُم مَنْ يَقُولُ: إِنَّهُمْ وُجِدُوا فِي زَمَنٍ كَذَا،
وَمِنْهُم مَنْ يَقُولُ :**إِنَّهُمْ مَكَثُوا فِي كَهْفِهِم كَذَا سَنَةً**،
وَمِنْهُم مَنْ يَقُولُ :**نَبْنِي حَوْلَهُمْ بِنَاءً كَالسُّورِ** مَثَلًا يَسْتُرُهُمْ،
لِأَنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يُجْزِمُوا أَنَّهُمْ أَمْوَاتٌ أَوْ لَيْسَ لَهُمْ **بَعْثٌ آخَر**.

وَاسْتَقَرَّ الرَّأْيُ لِأَصْحَابِ **ذَوِي الكَلِمَةِ النَّافِذَةِ** عَلَىٰ أَنْ **يَبْنُوا مَعْبَدًا** تَبَرُّكًا بِهِم.

قَالَ ﷺ: "**أَلَا وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِم مَسَاجِدَ، فَإِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذٰلِكَ**". *رَوَاهُ البُخَارِي وَمُسْلِم*

فَاللَّهُ قَادِرٌ عَلَى البَعْثِ، وَعَلَىٰ إِحْيَاءِ النَّاسِ مِنْ قُبُورِهِم،
وَإِعَادَتِهِم لِلْحَيَاةِ مَرَّةً أُخْرَىٰ **لِلْحِسَابِ وَالجَزَاءِ**.
قَالَ تَعَالَى:﴿ **بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ** ﴾ *القِيَامَة: ٤*

وَلَوْ أَنَّنَا إِذَا مِتْنَا تُرِكْنَا، لَكَانَ المَوْتُ رَاحَةَ كُلِّ حَيِّ
وَلَكِنَّنَا إِذَا مِتْنَا بُعِثْنَا، وَنُسْأَلُ بَعْدَ ذٰلِكَ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ *نُسب إلى الإمام علي بن أبي طالب*

فَهُنَاكَ بَعْدَ المَوْتِ **بَعْثٌ**، وَبَعْدَ البَعْثِ **حَشْرٌ**، وَبَعْدَ الحَشْرِ **مَوْقِفٌ**،
وَبَعْدَ المَوْقِفِ **حِسَابٌ وَمِيزَانٌ وَصُحُفٌ تَتَطَايَرُ**،

وَلَا نَدْرِي: **أَنَأْخُذُهَا بِاليَمِينِ أَمْ بِالشِّمَالِ؟**
أَيَمِيلُ لِسَانُ المِيزَانِ إِلَى الحَسَنَاتِ أَمْ إِلَى السَّيِّئَاتِ؟
أَيَثْقُلُ المِيزَانُ فَنَكُونُ مِن أَصْحَابِ العِيشَةِ الرَّاضِيَةِ؟

أَمْ يَخِفُّ، فَنَكُونُ مِنَ الَّذِينَ:﴿ **أُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ . وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ . نَارٌ حَامِيَةٌ** ﴾*القَارِعَة: ٩-١١*
رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ:
مَا رَأَيْتُ مِثْلَ النَّارِ نَامَ هَارِبُهَا، وَلَا مِثْلَ الجَنَّةِ نَامَ طَالِبُهَا".

القَبْرُ... بِدَايَةُ المَصِيرِ

كَانَ النَّبِيُّ ﷺ ذَاتَ مَرَّةٍ فِي بُسْتَانٍ، وَكَانَ يَرْكَبُ عَلَى بَغْلَةٍ لَهُ،

وَمَعَهُ بَعْضُ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ،

فَمَالَتِ البَغْلَةُ وَنَفَرَتْ بِهِ، فَكَادَتْ تُلْقِيهِ عَن ظَهْرِهَا

مِن شِدَّةِ نُفُورِهَا مِنْ شَيْءٍ خَافَتْ مِنْهُ، وَلَمْ يَعْرِفُوهُ.

فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى تِلْكَ الحَالِ،

ظَهَرَتْ لَهُمْ قُبُورٌ مَعْدُودَةٌ — إِمَّا أَرْبَعَةٌ أَوْ خَمْسَةٌ — فَسَأَلَ ﷺ:

"مَنْ يَعْرِفُ أَصْحَابَ هَذِهِ القُبُورِ؟"

فَقَالَ رَجُلٌ: "أَنَا أَعْرِفُهُمْ".

فَقَالَ لَهُ ﷺ:

"مَتَى مَاتَ هَؤُلَاءِ؟ أَفِي الجَاهِلِيَّةِ أَمْ بَعْدَهَا؟ وَهَلْ مَاتُوا عَلَى الإِيمَانِ أَمِ الشِّرْكِ؟"

فَقَالَ الرَّجُلُ: "مَاتُوا عَلَى الإِشْرَاكِ، وَفِي الجَاهِلِيَّةِ."

فَقَالَ ﷺ:

"إِنَّ هَذِهِ الأُمَّةَ تُبْتَلَى فِي القَبْرِ، أَي: تُخْتَبَرُ، ثُمَّ تُنْعَمُ أَوْ تُعَذَّبُ،

وَلَوْلَا أَنِّي أَخْشَى أَلَّا تُدْفَنُوا مَوْتَاكُمْ، لَدَعَوْتُ اللهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ عَذَابَ القَبْرِ ". رَوَاهُ مُسْلِمٌ

فِي القَبْرِ تَنْكَشِفُ الحَقَائِقُ، وَتَبْدَأُ المُحَاسَبَةُ، فَيَنْقَسِمُ النَّاسُ إِلَى:

- **مُنْعَمٍ: قَبْرُهُ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الجَنَّةِ.**
- **مُعَذَّبٍ: قَبْرُهُ حُفْرَةٌ مِنْ حُفَرِ النَّارِ.**

قَالَ اللهُ تَعَالَى:

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ آل عِمْرَانَ: ١٨٥

وَلَمْ يَقُلْ سُبْحَانَهُ "كُلُّ نَفْسٍ تَمُوتُ"، بَلْ "تَذُوقُ"،

فَالْمَوْتُ مَذَاقٌ يَخْتَلِفُ طَعْمُهُ بِاخْتِلَافِ الحَالِ:

—مُرٌّ لِمَنْ يَنْتَقِلُ إِلَى العَذَابِ...

—حُلْوٌ لِمَنْ يَنْتَقِلُ إِلَى النَّعِيمِ...

وَالْمُؤْمِنُ فِي القَبْرِ... نَعِيمٌ وَرِيحَانٌ

قَالَ اللهُ تَعَالَى:

﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ﴾

﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾

﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾

﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾ الْوَاقِعَةُ: ٨٨–٩٥

هَذَا مَا يَحْدُثُ عِنْدَ نُزُولِهِ فِي قَبْرِهِ، وَعِنْدَ وُقُوفِهِ لِلْحِسَابِ، ثُمَّ حُصُولِهِ عَلَى الجَزَاءِ.

وَلِذَلِكَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

"الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ، فَإِذَا فَارَقَ الدُّنْيَا فَارَقَ السِّجْنَ ". رَوَاهُ مُسْلِمٌ

فَالنَّاسُ فِي الدُّنْيَا نِيَامٌ، وَإِذَا مَاتُوا انْتَبَهُوا.

فَرَحِمَ اللهُ مَنْ عَمِلَ لِسَاعَةِ المَوْتِ، وَأَعَدَّ نَفْسَهُ لِيَوْمِ الرَّحِيلِ.

إِنَّهَا حَقٌّ، فَادْرُسُوهَا، ثُمَّ تَعَلَّمُوهَا

فِي لَحْظَةٍ جَلِيلَةٍ، تَهْتَزُّ لَهَا الأَرْوَاحُ خُشُوعًا وَإِجْلَالًا،
تَخَلَّفَ النَّبِيُّ ﷺ **ذَاتَ فَجْرٍ عَنْ أَصْحَابِهِ،**
فَأُقِيمَتِ الصَّلَاةُ مَعَ اقْتِرَابِ الشَّمْسِ،
فَصَلَّى بِهِم ﷺ صَلَاةً خَفِيفَةً، ثُمَّ التَفَتَ إِلَيْهِم قَائِلًا:
"أَبْقَوْا عَلَى هَيْئَتِكُمْ"
أي: لا تَتَحَرَّكُوا مِنْ أَمَاكِنِكُمْ وَلَا تُغَيِّرُوا صُفُوفَكُمْ...

ثُمَّ قَالَ لَهُمْ ﷺ:
"إِنِّي قُمْتُ مِنَ اللَّيْلِ، فَصَلَّيْتُ مَا قُدِّرَ لِي،
فَنَعَسْتُ فِي صَلَاتِي حَتَّى غَلَبَنِي النَّوْمُ، فَرَأَيْتُ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ"
سُبْحَانَهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ.

وَفِي تِلْكَ **الرُّؤْيَا الجَلِيلَةِ،**
قَالَ لَهُ رَبُّهُ عَزَّ وَجَلَّ:
"يَا مُحَمَّدُ، فِيمَ يَخْتَصِمُ المَلَأُ الأَعْلَى؟"
فَقَالَ ﷺ:
"لَا أَدْرِي، رَبِّ، لَا أَدْرِي، رَبِّ، لَا أَدْرِي، رَبِّ"
كَرَّرَهَا ثَلَاثًا، تَوَاضُعًا وَأَدَبًا مَعَ رَبِّهِ.

ثُمَّ قَالَ ﷺ:
"فَرَأَيْتُهُ وَضَعَ كَفَّهُ بَيْنَ كَتِفَيَّ، حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَهَا بَيْنَ ثَدْيَيَّ،
فَتَجَلَّى لِي كُلُّ شَيْءٍ، وَعَرَفْتُ"...

ثُمَّ سَأَلَهُ رَبُّهُ مُجَدَّدًا: "**فِيمَ يَخْتَصِمُ المَلَأُ الأَعْلَى؟**"

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "**قُلْتُ: فِي الكَفَّارَاتِ،**
أَي: العِبَادَاتِ الَّتِي يَغْفِرُ اللهُ بِهَا الذُّنُوبَ، وَيَمْحُو بِهَا السَّيِّئَاتِ".

قَالَ: مَا هُنَّ؟

قُلْتُ:

- **مَشْيُ الأَقْدَامِ إِلَى الجَمَاعَاتِ**
- **الجُلُوسُ فِي المَسَاجِدِ بَعْدَ الصَّلَاةِ**
- **إِسْبَاغُ الوُضُوءِ فِي المَكْرُوهَاتِ،** أي: في شدّة البرد، مع الإحسان في إتمام الوضوء.

قَالَ: ثُمَّ فِيمَ؟

قُلْتُ :**إِطْعَامُ الطَّعَامِ** (للفقير، والمحتاج، والضيف)، و **لِينُ الكَلَامِ** (واللينُ بالأفعالِ من بابٍ أَولى) و**الصَّلَاةُ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ**

قَالَ: سَلْ. أي :*اطلب حاجتك.*

فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ :**فِعْلَ الخَيْرَاتِ، وَتَرْكَ المُنكَرَاتِ، وَحُبَّ المَسَاكِينِ**
قِيلَ: ومن المساكين من استكانت قلوبهم لله،

- **وَأَنْ تَغْفِرَ لِي وَتَرْحَمَنِي**
- **وَإِذَا أَرَدْتَ فِتْنَةً فِي قَوْمٍ، فَتَوَفَّنِي غَيْرَ مَفْتُونٍ**
- **وَأَسْأَلُكَ حُبَّكَ، وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ، وَحُبَّ عَمَلٍ يُقَرِّبُنِي إِلَى حُبِّكَ**

فَقَالَ ﷺ:
"**إِنَّهَا حَقٌّ، فَادْرُسُوهَا، ثُمَّ تَعَلَّمُوهَا**". أي :*احفظوها، وكرّروها، وتأمّلوا معانيها،*
فَهِيَ مَفَاتِيحُ الجَنَّةِ، وَكَفَّارَاتُ الذُّنُوبِ. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ

قِصَّةُ جُرَيْجَ العَابِدِ... حِينَ يَكُونُ اليَقِينُ بِاللهِ مِفْتَاحَ الفَرَجِ

أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ فِيمَن قَبْلَنَا رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: جُرَيْجٌ

كَانَ رَجُلًا تَاجِرًا، تَتَقَلَّبُ تِجَارَتُهُ بَيْنَ الرِّبْحِ وَالخَسَارَةِ،

فَقَالَ:

"لَأَلْتَمِسَنَّ تِجَارَةً هِيَ خَيْرٌ مِنْ هَذِهِ".

فَبَنَى صَوْمَعَةً، وَتَرَهَّبَ فِيهَا، وَانْقَطَعَ لِلْعِبَادَةِ.

وَبَيْنَمَا هُوَ فِيهَا يَتَعَبَّدُ، جَاءَتْهُ أُمُّهُ تُنَادِيهِ،

وَكَانَ قَدْ دَخَلَ فِي الصَّلَاةِ...

فَقَالَ فِي نَفْسِهِ:

"أُجِيبُهَا أَوْ أُصَلِّي؟"

فَنَادَتْهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمْ يُجِبْهَا.

والأصل عندنا أَنَّ **صَلَاة التَّطَوُّعِ تُقْطَعُ لِإِجَابَةِ الوَالِدَيْنِ،**

أَمَّا الفَرِيضَةُ: فَتُخَفَّفُ، وَيُجَابُ النِّدَاءُ بَعْدَهَا، إِنْ تَحَمَّلَتِ الانْتِظَارَ.

فَقَالَتْ أُمُّهُ:

"اللَّهُمَّ لَا تُمِتْهُ حَتَّى تُرِيَهُ وُجُوهَ المُومِسَاتِ"!

قَالَ ﷺ:

"لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَلَا عَلَى أَوْلَادِكُمْ، وَلَا عَلَى أَمْوَالِكُمْ، لَعَلَّهَا تُوَافِقُ سَاعَةَ اسْتِجَابَةٍ فَيُسْتَجَابَ لَكُمْ) ". رواه مسلم

فَمَضَتِ الأَيَّامُ، وَكَانَ جُرَيْجٌ فِي صَوْمَعَتِهِ،

فَتَعَرَّضَتْ لَهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ جَمَالٍ، فَكَلَّمَتْهُ، فَأَبَى وَأَعْرَضَ،

سَدًّا لِلذَّرَائِعِ، وَغَضًّا لِلْبَصَرِ.

فَذَهَبَتْ إِلَى رَاعٍ، بِتَحْرِيضٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ،
فَمَكَّنَتْهُ مِنْ نَفْسِهَا، فَحَمَلَتْ مِنْهُ،
ثُمَّ وَلَدَتْ غُلَامًا، وَقَالَتْ:
"هُوَ مِنْ جُرَيْجٍ"!

فَجَاءَ القَوْمُ، وَكَسَرُوا صَوْمَعَتَهُ، وَسَبُّوهُ، وَظَلَمُوهُ.

فَلَمْ يُجَادِلْ، بَلْ تَوَضَّأَ وَصَلَّى...
لِيَتَقَوَّى بِاللهِ، وَيَتَوَسَّلَ إِلَيْهِ عِنْدَ البَلَاءِ.

ثُمَّ أَتَى الغُلَامَ وَقَالَ:
"يَا غُلَامُ، مَنْ أَبُوكَ؟"
فَقَالَ" :**أَبِي الرَّاعِي**".

فَانْكَشَفَ الكَذِبُ، وَظَهَرَ الحَقُّ.
فَعَرَضُوا عَلَيْهِ أَنْ يَبْنُوا صَوْمَعَتَهُ مِنْ ذَهَبٍ، فَقَالَ:
"لَا، بَلْ مِنْ طِينٍ".

تَوَاضُعًا مِنْهُ، وَزُهْدًا فِي زُخْرَفَةِ أَمَاكِنِ العِبَادَةِ،
فَبُيُوتُ اللهِ تُبْنَى بِالطِّينِ وَالخُشُوعِ، لَا بِالذَّهَبِ وَالرِّيَاءِ.

فاليَقِينَ بِاللهِ يَصْنَعُ فَرَجًا خَارِقًا لِلْعَادَةِ.
وعِنْدَمَا تَغْلِقُ الأَبْوَابُ، وَتَنْقَطِعُ الأَسْبَابُ، يَأْتِي الفَرَجُ مِنَ العَلِيِّ الوَهَّابِ.

قَالَ تَعَالَى:
﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا﴾ يوسف: ١١٠

النَّسَبُ الَّذِي لَا يَنْقَطِعُ

حِينَ رَكِبَ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ السَّفِينَةَ بِأَمْرِ اللهِ،
وَبَدَأَ الطُّوفَانُ يُطَهِّرُ الأَرْضَ مِنَ الظُّلْمِ وَالْكُفْرِ،
تَخَلَّفَ ابْنُ نُوحٍ عَنْ الرُّكُوبِ، فَأَبَى النَّجَاةَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ،
وَاسْتَنَدَ إِلَى جَبَلٍ ظَنًّا أَنَّهُ يَعْصِمُهُ مِنَ الْمَاءِ.

وَلَكِنْ قُضِيَ الأَمْرُ،
فَغَرِقَ الْكَافِرُونَ وَنَجَا الْمُؤْمِنُونَ.

وَفِي لَحْظَةٍ مُؤْلِمَةٍ، تَفِيضُ بِالْعَاطِفَةِ وَالْأَمَلِ،
تَوَجَّهَ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى رَبِّهِ، لَا مُعْتَرِضًا،
بَلْ مُتَضَرِّعًا، مُتَأَدِّبًا، رَاجِيًا، فَقَالَ:
﴿ **رَبِّ إِنَّ ٱبْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ** ﴾ هود: ٤٥

أَي: يَا رَبِّ، هُوَ مِنْ أَهْلِي، وَقَدْ وَعَدْتَنِي بِنَجَاتِهِمْ،
فَأَنَا أَطْمَعُ فِي عَفْوِكَ وَرَحْمَتِكَ، لَا اعْتِرَاضًا عَلَى حُكْمِكَ،
بَلْ رَجَاءً فِي رَحْمَتِكَ الْوَاسِعَةِ.

وَلَمْ يَذْكُرْ صَرَاحَةً نَجَاةَ ابْنِهِ، تَأَدُّبًا مَعَ اللهِ وَحَيَاءً مِنْهُ.

وَلَعَلَّهُ لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ أَنَّ طَلَبَ الرَّحْمَةِ لِلْكَافِرِ مَمْنُوعٌ،
كَمَا حَدَثَ مَعَ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ،
عِنْدَمَا اسْتَغْفَرَ لِعَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ حَتَّى نَزَلَ:
﴿ **مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ** ﴾ التوبة: ١١٣

فَأَجَابَهُ رَبُّهُ بِحِكْمَةٍ بَالِغَةٍ:
﴿ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ﴾ هود: ٤٦

أَي: لَا تَنْظُرْ إِلَى نَسَبِهِ، بَلْ إِلَى عَمَلِهِ وَإِيمَانِهِ،
فَهُوَ كَافِرٌ، قَدْ انْقَطَعَتْ صِلَتُهُ بِكَ مِنْ جِهَةِ الدِّينِ.

الْقُرْبَةُ الْحَقِيقِيَّةُ هِيَ قُرْبَةُ الْإِيمَانِ، لَا الدَّمِ.
فَلَا صِلَةَ بَيْنَ مُؤْمِنٍ وَكَافِرٍ إِلَّا بِرَابِطِ الهِدَايَةِ.

ثُمَّ جَاءَ التَّحْذِيرُ:
﴿ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌۖ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ هود: ٤٦

فَقَالَ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَقَدْ أَدْرَكَ الْمَوْقِفَ الْعَظِيمَ:
﴿ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌۖ
وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ هود٤٧

فَالنَّجَاةُ لَا تُكْتَبُ إِلَّا لِمَنْ أَصْلَحَ عَمَلَهُ، وَحَقَّقَ إِيمَانَهُ، وَسَارَ فِي دَرْبِ الطَّاعَةِ.

فَانْظُرْ:
هَلْ عَمَلُكَ صَالِحٌ؟
هَلْ قَرَابَتُكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ؟
هَلْ قَلْبُكَ مَوْصُولٌ بِاللَّهِ؟

فَذَلِكَ هُوَ النَّسَبُ الَّذِي لَا يَنْقَطِعُ.

فِي أَلْفِ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا،
دَعَا نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَوْمَهُ لَيْلًا وَنَهَارًا، سِرًّا وَجِهَارًا،
فَلَمْ يُؤْمِنْ مَعَهُ فِي النِّهَايَةِ إِلَّا حُفْنَةٌ مِنَ الْمُوَحِّدِينَ.

قَالَ مُجَاهِدٌ: هُمْ أَبْنَاؤُهُ وَنِسَاؤُهُمْ، وَقَلِيلٌ مِنْ غَيْرِ ذُرِّيَّتِهِ،
وَامْرَأَتُهُ لَمْ تَكُنْ مَعَهُمْ، إِذْ خَانَتِ الدَّعْوَةَ بِالْكُفْرِ، لَا بِالْعِرْضِ.

وَرَغْمَ قِلَّةِ الْعَدَدِ وَضَعْفِ الْحَالِ،
إِلَّا أَنَّ هَؤُلَاءِ الْقَلِيلِينَ اسْتَحَقُّوا أَنْ تُقَلَّبَ لَهُمْ سُنَنُ الْكَوْنِ،
فَيَنْزِلَ الطُّوفَانُ، وَتَهْلِكَ الأَرْضُ بِمَن فِيهَا،
لِأَجْلِ حِمَايَةِ الْإِيمَانِ، وَتَطْهِيرِ الأَرْضِ مِنَ الْفَسَادِ.

فَهَذِهِ سُنَّةُ اللهِ، لَا تَتَبَدَّلُ وَلَا تَتَغَيَّرُ:
﴿**وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ**﴾ حَتَّى وَإِنْ طَالَ الصِّرَاعُ، أَوِ اشْتَدَّتِ الْمِحَنُ.

ثُمَّ بَعْدَ النَّجَاةِ، قِيلَ لِنُوحٍ:
﴿**اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ**﴾ هود: ٤٨

وَقِيلَ إِنَّ مَنْ نَجَا مِنْ غَيْرِ ذُرِّيَّتِهِ قَدْ مَاتُوا لَاحِقًا،
فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا ذُرِّيَّتُهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى:
﴿**وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ**﴾ الصافات: ٧٧

قَالَ قَتَادَةُ: النَّاسُ كُلُّهُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ نُوحٍ.

ثُمَّ بَشَّرَهُمْ رَبُّهُمْ:
أَنَّ الأُمَمَ الَّتِي سَتَتَفَرَّعُ مِنْ نَسَلِ نُوحٍ عَلَى قِسْمَيْنِ:

﴿ قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ هود: ٤٨

قِسْمٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالْبَرَكَاتُ، بِسَبَبِ إِيمَانِهِ وَصِدْقِ عَمَلِهِ.
وَقِسْمٌ سَيُمَتِّعُهُ اللهُ بِالدُّنْيَا ثُمَّ يَمَسُّهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ، بِسَبَبِ جُحُودِهِ وَكُفْرِهِ.

فَالْعَاقِلُ مَن يَخْتَارُ مَصِيرَهُ الآنَ،
وَيَجْتَهِدُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْقِسْمِ الْأَوَّلِ،
وَيَفِرُّ مِنَ الثَّانِي فِرَارَ السَّلِيمِ مِنَ الأَسَدِ،

لِأَنَّ التَّلَذُّذَ وَالِاسْتِمْتَاعَ وَعَدَمَ الاسْتِعْدَادِ لِلآخِرَةِ
لَيْسَ مِنْ أَخْلَاقِ مَنْ يَطْلُبُ النَّجَاةَ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى:
﴿وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (هود: ٤٨)

وَاللَّهُ تَعَالَى اسْتَبْدَلَ بِالطُّوفَانِ أَقْوَامًا بِآخَرِينَ،
وَسُنَّةُ الاسْتِبْدَالِ مَاضِيَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ،
حِينَمَا يَعْرِضُ النَّاسُ عَنِ الْحَقِّ،
يَسْتَبْدِلُهُمْ اللهُ بِمَن هُمْ خَيْرٌ مِنْهُمْ،

لِذَلِكَ قَالَ اللهُ:
﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ﴾ النساء: ١٣٣

وَقَالَ تَعَالَى:
﴿إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ الأعراف: ١٢٨

سوقٌ في الجَنَّةِ... لِقاءُ الجَمالِ المُتَجَدِّدِ

كانَ النبيُّ ﷺ يَصِفُ بَعضًا مِن نَعِيمِ الجَنَّةِ، وأَحوالِ أَهْلِها، وَحَياةِ الخُلودِ فيها؛
تَشويقًا إِلَيْها، وَشَحْذًا لِلهِمَمِ نَحوَها البخاريُّ ومسلم
فأَخبَرَ أَنَّ فِي الجَنَّةِ سُوقًا، البخاريُّ ومسلم
أي: مُجتَمَعًا يَلْتَقِي فيهِ أَهْلُها كَما يَلْتَقِي النَّاسُ فِي أَسْوَاقِ الدُّنْيا،
وَلَكِن لا لِحاجَةٍ أَو فُقْدانٍ، فالجَنَّةُ لا نَقْصَ فيها وَلا حِرْمانَ.

بَل يَحْضِرُ أَهْلُ الجَنَّةِ إِلَى هذَا السُّوقِ لِلتَّلاقِي وَالتَّعارُفِ،
وَيُعْرَضُ فيهِ مِن المِشْتَهَياتِ وَالمِسْتَلَذّاتِ، ما تَقِرُّ بِهِ العُيُونُ،
فَمَن اشْتَهى شَيئًا، وَصَلَهُ إِلَيْهِ بِلَا بَيْعٍ وَلا ثَمَنٍ .

وَذلِكَ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ، أي فِي كُلِّ أُسْبوعٍ – على تَقْديرِ الزَّمَنِ –
وَخَصَّ يَوْمَ الجُمُعَةِ لِمَا لَهُ مِن فَضْلٍ،
فَهُوَ فِي الدُّنْيا عِيدُ المِسْلِمِينَ الأُسْبوعِيُّ. حديثٌ صحيح

وفِي الجَنَّةِ لا لَيْلَ فيها وَلا نَهارٌ، وَإِنَّما أَنْوارٌ مُتَوالِيَةٌ،
لا يُخالِطُها ظَلامٌ، وَلا يُقْطَعُها غِيابٌ
وفِي تِلْكَ السُّوقِ تَهُبُّ رِيحُ الشَّمالِ،
وَهيَ مِن أَحَبِّ الرِّيَاحِ إِلَى العَرَبِ، لِأَنَّها رِيحُ المِطَرِ وَالبَرَكَةِ،
فَتُنَشِّرُ المِسْكَ وَالزَّعْفَرَانَ وَسائرَ أَنْواعِ الطِيبِ،
فَتَغْمُرُ وُجوهَهُمْ وَأَجْسادَهُمْ وَثِيابَهُمْ.

فيَرجِعُونَ إِلَى أَهْلِهِم قَدِ ازْدادُوا حُسْنًا وَجَمالًا، فيَقُولُ لَهُم أَهْلُهُمْ – مِن الأَزْواجِ وَالحُورِ العِينِ:–
"واللهِ لَقَدِ ازْدَدْتُمْ بَعْدَنا حُسْنًا وَجَمالًا"!
فيُجيبُونَهُم:
"وَأَنْتُمْ أَيْضًا قَدِ ازْدَدْتُمْ حُسْنًا وَجَمالًا"!

إنَّهُ جَمالٌ مُتَجَدِّدٌ، وَنَعيمٌ مُتَواصِلٌ،
فلا فَناءَ لِبَهْجَةٍ،
وَلا اِنقِضاءَ لِسُرورٍ،
وَفي الحَدِيثِ:
أَنَّ نَعيمَ الجَنَّةِ في زِيادَةٍ لا تَنْقَطِعُ،
وَأَنَّ أَهْلَها يَزْدادُونَ حُسْنًا إِلَى حُسْنٍ، وَجَمالًا إِلَى جَمالٍ. رواه مسلم

قالَ تَعالى:
﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ، فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ ﴾ القمر: ٥٤

إنَّ الجنةَ عَظيمةٌ لِمَن سَعى،
وَالنارُ شديدةٌ لِمَن أعرَض،
قال ﷺ:
"ما رأيتُ مثلَ الجنة، نامَ طالبُها، ولا مثلَ النار، نامَ هاربُها". صحيح الجامع

فَكَيْفَ يَغْفُلُ الطَّالِبُ؟ وَكَيْفَ يَنامُ الهَارِبُ؟

فَالْعَاقِلُ لا يَقَعُ فِي حَبَائِلِ الدُّنْيَا، وَلَا يَغْتَرُّ بِزِينَتِهَا ..
قَالَ بَعضُ السَّلَف:
" مَثَلُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ كَمَثَلِ رَجُلٍ تَزَوَّجَ امْرَأَتَيْنِ،
إِذَا أَرْضَى إِحْدَاهُمَا، أَسْخَطَ الأُخْرَى"!

فمَنْ أَرادَ رِضَى الآخِرَةِ، فَلْيَصْبِرْ عَلَى جَفَاءِ الدُّنْيَا.
وَمَنْ أَرادَ حُسْنَ العَاقِبَةِ، فَلْيَزْهَدْ فِي زَيْفِ الزِّينَةِ.

قصةُ الرَّجُلِ والنَّاقَةِ والمَغْفِرَةِ الرَّبَّانِيَّةِ

يَسْرُدُ النَّبِيُّ ﷺ المثَلَ الَّذِي تَدُورُ أَحْدَاثُهُ فِي صَحْرَاءٍ مُقْفِرَةٍ، لا ماءَ فيها ولا مَرْعَى،
وفي هذَا المِشْهَدِ يَظْهَرُ رَجُلٌ تَبْدُو عَلَيْهِ مَلَامِحُ الإِجْهادِ والتَّعَبِ.

فَطافَ بِبَصَرِهِ يَبْحَثُ عَنْ شَجَرَةٍ تُظِلُّهُ، حَتّى وَجَدَ وَاحِدَةً عَلَى قَارِعَةِ الطَّرِيقِ،
فَاتَّجَهَ نَحْوَهَا وَأَنَاخَ نَاقَتَهُ، ثُمَّ اسْتَلْقى تَحْتَهَا وَأَغْفَى قَلِيلًا.

وَلِأَنَّ الرَّجُلَ لَمْ يُحْكِمْ وَثاقَ نَاقَتِهِ، اِنْسَلَّتْ مِنْهُ وَمَضَتْ فِي سَبِيلِهَا،
فَلَمّا اسْتَيْقَظَ لَمْ يَجِدْهَا، فَفَزِعَ فَزَعًا شَدِيدًا، وَانْطَلَقَ يَجْرِي بَيْنَ الشِّعابِ وَفَوْقَ التِّلَالِ دُونَ جَدْوَى.

وَلَمّا اسْتَيْئَسَ الرَّجُلُ وَأَيْقَنَ بِالْهَلَاكِ، عَادَ إِلَى مَوْضِعِهِ قَانِطَ النَّفْسِ، فَنَامَ فِي مَكَانِهِ يَنْتَظِرُ الْمَوْتَ.

وَلَكِنْ يَا لِلْعَجَبِ!
لَقَدْ أَيْقَظَهُ صَوْتُ نَاقَتِهِ، فَوَجَدَهَا فَوْقَ رَأْسِهِ،
فَفَارَقَهُ اليَأْسُ وَحَلَّ مَكَانَهُ فَرَحٌ شَدِيدٌ كَادَ يُفْقِدُهُ صَوَابَهُ،
حَتّى أَنَّهُ أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ، فَقَالَ:
"اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ".

ثُمَّ يُخْبِرُ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ **فَرَحَ اللهِ بِتَوْبَةِ عِبَادِهِ وَإِقْبالِهِمْ عَلَيْهِ،**
أَشَدُّ وَأَعْظَمُ مِنْ تِلْكَ **الْفَرْحَةِ الَّتِي طغَتْ عَلَى مَشَاعِرِ الرَّجُلِ** الَّذِي وَجَدَ رَاحِلَتَهُ بَعْدَ أَنْ أَيِسَ مِنْهَا.

فَاللَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ الْعَبْدِ الْمُؤْمِنِ مِنْ هَذَا بِرَاحِلَتِهِ وَزَادِهِ. *البخاري ومسلم*

يقول تعالىٰ: ﴿ **وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ *النور: ٣١*

فكلُّنا داخلون في الخطاب.
فلا نملُّ من التوبة إلى الله. ولا نملُّ من مصارحة النفس بالعيوب والتقصير.
ولا نملُّ من الإقلاع بهمةٍ متجددةٍ لربّ العالمين. ولا ننسى الآخرة.

فمَن تابَ بالأمس نقولُ له: إنَّ الآية تُتلى كلَّ يوم،

ف **يجب عليك أن تُجدِّد توبَتك،**

ف **التوبةُ للمؤمنِ هي رياضةُ العُمر.**

فالحجُّ والعمرة، والصلواتُ الخمس، والذكر، وتلاوةُ القرآن، وغيرها،
مُكفِّراتٌ للذُّنوب ما اجتُنِبَت الكبائر.

قال رسول الله ﷺ: "**الصَّلَوَاتُ الخَمْسُ، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ، مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ**".

ومع ذلك، **يجب تجديد التوبة،**
لأنَّك إن ظفرتَ بها فقد أحبَّك الله؛
لقولِه تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ** ﴾ *البقرة: ٢٢٢*

فالحقُّ سبحانه **لم يرضَ أن تكون مُحِبًّا، بل محبوبًا،**
وأين المحبُّ من المحبوب؟!

ف **من تاب ظَفِر،**
ومن لم يتبْ خسر،
قال الله تعالى: ﴿ **وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ** ﴾ *الحجرات: ١١*

قال ﷺ فيما يرويه عن ربه:

"يَا ابْنَ آدَمَ، لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ، ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي، غَفَرْتُ لَكَ وَلَا أُبَالِي.
يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا، ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا، لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً". *رواه البخاري ومسلم*

التَّوْبَةُ فِي وَقْتِ الشِّدَّةِ

أوحى اللهُ تباركَ وتعالى إلى نبيِّهِ موسى وأخيه هارونَ عليهما السَّلامُ بأنَّ دعوتَهُما قد استُجيبَت،
وحانَ وقتُ خَلاصِ بَني إِسْرائيلَ مِن قَبْضَةِ الطُّغيانِ.
أمَرَهُما رَبُّهُما أن يُخْرِجا قَوْمَهُما مِن أَرْضِ مِصْرَ تَحْتَ جُنْحِ الظَّلامِ،
بَعيدًا عن أَعْيُنِ فِرْعَوْنَ وَجُنودِهِ.

فَلَمّا أَحَسَّ فِرْعَوْنُ بِذلِكَ، خَرَجَ هُوَ وَجُنودُهُ عَلى آثارِهِم مُسْرِعين.
فَلَمّا الْتَفَتَ القَوْمُ، فَإِذَا الطَّامَّةُ الكُبْرى وَراءَهُمْ، فَقالُوا: يا مُوسى، هَذا فِرْعَوْنُ وَجُنودُهُ وَراءَنا، وَهَذا البَحْرُ أَمامَنا، فَكَيْفَ الخَلاصُ؟

فَأَوْحَى اللهُ تَبارَكَ وَتَعالى إِلى مُوسى: أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ البَحْرَ، فَضَرَبَهُ،
﴿**فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ**﴾ الشعراء: ٦٣
وَصارَ لِكُلِّ سِبْطٍ طَريقٌ، فَسَلَكُوا فِيهِ.

وَوَصَلَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ مَعَهُ إِلى السّاحِلِ، وَبَنُو إِسْرائيلَ قَدْ خَرَجُوا مِنَ البَحْرِ، وَمَسْلَكُهُمْ باقٍ عَلى حالِهِ، فَدَخَلَهُ فِرْعَوْنُ وَجُنودُهُ.

فَلَمّا دَخَلَ آخِرُهُمْ وَكانَ أَوَّلُهُمْ قَدْ قارَبَ الخُرُوجَ مِنَ البَحْرِ، انْطَبَقَ عَلَيْهِمُ البَحْرُ، وَغَشِيَهُمْ مِنَ اليَمِّ ما غَشِيَهُمْ، وَلَفَّهُمْ تَحْتَ أَمْواجِهِ وَلُجَجِهِ،
حَتّى إِذَا أَدْرَكَهُ الغَرَقُ، وَعَايَنَ الموْتَ، وَأَيْقَنَ أَنَّهُ لا نَجاةَ لَهُ مِنْهُ، قالَ:

﴿**آمَنتُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ**﴾ يونس: ٩٠

وَلَمّا كانَ هَذا القَوْلُ قَدْ جاءَ فِي غَيْرِ أَوانِهِ، رَدَّ اللهُ تَبارَكَ وَتَعالى عَلَى فِرْعَوْنَ بِقَوْلِهِ سُبْحانَهُ:

﴿**آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ**﴾ يونس: ٩١

وَكانَ هَذا الإِيمانُ لا يَنْفَعُ لأَنَّهُ جاءَ عِندَ مُعَايَنَةِ الموْتِ.

وَيَقُولُ تَعَالَى:

﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ *الأنعام: ١٥٨*

وَفِي رِوايَةٍ لِمُسْلِمٍ وَالتِّرْمِذِي، قالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

"ثَلاثٌ إِذَا خَرَجْنَ لا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا: طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَالدَّجَّالُ، وَدَابَّةُ الأَرْضِ".

أَي: عِندَ مَجِيءِ بَعْضِ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ، يَذْهَبُ التَّكْلِيفُ،
فَيُصْبِحُ العَمَلُ أَو الإِيمَانُ عِنْدَ ظُهُورِ هَذِهِ العَلامَاتِ لا قِيمَةَ لَهُ،
لِبُطْلانِ التَّكْلِيفِ فِي ذَلِكَ الوَقْتِ.
فَلا يَنْفَعُ الإِيمَانُ مَنْ لَمْ يَكُنْ مُؤْمِنًا قَبْلَ ظُهُورِهَا،
فَحُكْمُهُ كَحُكْمِ مَنْ آمَنَ أَوْ عَمِلَ عِنْدَ الغَرْغَرَةِ، وَذَلِكَ لا يُفِيدُ شَيْئًا.

وَأَمَّا مَنْ كانَ مُؤْمِنًا قَبْلَ ذَلِكَ، فَإِنْ كانَ مُصْلِحًا فِي عَمَلِهِ، فَهُوَ بِخَيْرٍ عَظِيمٍ،
وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مُصْلِحًا، وَأَرَادَ التَّوْبَةَ حِينَئِذٍ، لَمْ تُقْبَلْ مِنْهُ تَوْبَتُهُ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى:

﴿أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ *الأنعام: ١٥٨*

أَي: لا يُقْبَلُ مِنْهَا العَمَلُ الصَّالِحُ إِذَا لَمْ تَكُنْ عامِلَةً بِهِ قَبْلَ ذَلِكَ.

– مَن لَم يَكُنْ مُؤمِنًا قَبلَ ظُهُورِ تِلكَ الآيَةِ الكُبرى (كَطُلُوعِ الشَّمسِ مِن مَغرِبِهَا)، ثُمَّ آمَنَ بَعدَهَا: لَا يُقبَلُ إِيمَانُهُ، لِأَنَّهُ أَصبَحَ إِيمَانًا اضطِرارِيًّا بَعدَ انكِشَافِ الغَيبِ.

– وَمَن كَانَ مُؤمِنًا بِالقَولِ فَقط، وَلَم يَكُن يَعمَلُ صَالِحًا فِي حَيَاتِهِ، ثُمَّ بَدَأَ يَعمَلُ الصَّالِحَاتِ بَعدَ ظُهُورِ الآيَةِ، فَهَذَا العَمَلُ أَيضًا لَا يُقبَل، لِأَنَّهُ جَاءَ بَعدَ فَوَاتِ الأَوَانِ، وَلَم يَكُن عَمَلًا نَابِعًا مِن الإِيمَانِ الصَّادِقِ فِي زَمَنِ الغَيبِ.

التَّوبَةُ الَّتي رَفَعَتِ العَذَابَ

رُوِيَ أَنَّ قَوْمَ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانُوا فِي نِينَوَى مِنْ أَرْضِ الْمَوْصِلِ بِالْعِرَاقِ،

وَكَانُوا يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ، فَأَرْسَلَ اللَّهُ إِلَيْهِمْ نَبِيَّهُ يُونُسَ بْنَ مَتَّى عَلَيْهِ السَّلَامُ يَدْعُوهُمْ إِلَى التَّوْحِيدِ وَالْإِسْلَامِ.

فَأَبَوْا وَاسْتَكْبَرُوا، وَقِيلَ:

إِنَّهُ أَقَامَ فِيهِمْ يَدْعُوهُمْ تِسْعَ سِنِينَ حَتَّى يَئِسَ مِنْ إِيمَانِهِمْ.

فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ أَنْ يُخْبِرَهُمْ بِأَنَّ الْعَذَابَ آتٍ بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ.

فَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّ اللَّهِ ذَلِكَ، فَقَالُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ:

"هُوَ رَجُلٌ لَا يَكْذِبُ، فَارْقُبُوهُ:

فَإِنْ أَقَامَ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ فَلَا عَلَيْكُمْ،

وَإِنِ ارْتَحَلَ عَنْكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ الْعَذَابَ نَازِلٌ بِكُمْ لَا مَحَالَةَ"!

فَلَمَّا جَاءَ اللَّيْلُ، تَزَوَّدَ يُونُسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَخَرَجَ عَنْهُمْ،

فَلَمَّا أَصْبَحُوا فَلَمْ يَجِدُوهُ، أَيْقَنُوا بِالْعَذَابِ، فَفَزِعُوا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى:

تَابُوا، وَصَدَّقُوا، وَدَعَوْهُ بِإِخْلَاصٍ،

وَفَرَّقُوا بَيْنَ الْأُمَّهَاتِ وَأَوْلَادِهِنَّ مِنَ النَّاسِ وَالْبَهَائِمِ،

وَرَدُّوا الْمَظَالِمَ، فَنَالَهُمُ التَّوْفِيقُ لِلتَّوْبَةِ الصَّادِقَةِ.

وَرَأَوْا الْعَلَامَاتِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى اقْتِرَابِ الْعَذَابِ،

لَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى كَشَفَ عَنْهُمُ الْعَذَابَ بِصِدْقِ تَوْبَتِهِمْ. *ابن كثير وغيره*

قَالَ تَعَالَى:

﴿ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴾

يُونُس: ٩٨

فَاللَّهُ عَلِمَ مِنْ قُلُوبِهِمْ صِدْقَ الْإِيمَانِ،

فَلَمْ يَكُنْ إِيمَانًا اضْطِرَارِيًّا وَقْتَ الْخَوْفِ ثُمَّ كُفْرًا بَعْدَهُ،

بَلْ ثَبَّتَهُمْ عَلَيْهِ وَمَاتُوا مُؤْمِنِينَ.

وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَقْتَ الْهَلَاكِ، دُونَ تَوْبَةٍ سَابِقَةٍ، فَإِيمَانُهُ لَا يُقْبَلُ،
كَمَا فِي شَأْنِ فِرْعَوْنَ لَمَّا قَالَ عِنْدَ الْغَرَقِ:
﴿ آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ يُونُس: ٩١
فَمَا نَفَعَهُ إِيمَانُهُ، لِأَنَّهُ جَاءَ بَعْدَ فَوَاتِ الْأَوَانِ.

أَمَّا نَبِيُّ اللَّهِ يُونُسُ، فَقَدْ خَرَجَ مِنْ قَوْمِهِ غَاضِبًا دُونَ إِذْنِ رَبِّهِ،
فَابْتَلَاهُ اللَّهُ بِأَنْ الْتَقَمَهُ الْحُوتُ، وَحُبِسَ فِي الظُّلُمَاتِ،
فَمَا كَانَ لَهُ مَخْرَجٌ إِلَّا بِذِكْرِ اللَّهِ وَالتَّسْبِيحِ.
قَالَ تَعَالَى:
﴿ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ، لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾. *الصَّافَّات: ١٤٣–١٤٤*

فَأَخْرَجَهُ اللَّهُ وَنَجَّاهُ، وَنَبَذَهُ الْحُوتُ بِالسَّاحِلِ وَهُوَ سَقِيمٌ، ثُمَّ أَرْسَلَهُ مَرَّةً أُخْرَى.

فَالْفَرَجُ لَا يَكُونُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ.
وَالذِّكْرُ مِفْتَاحُ النَّجَاةِ مِنَ الْكُرُوبِ.
وَالتَّوْبَةُ الصَّادِقَةُ تَرْفَعُ الْبَلَاءَ وَالْعَذَابَ، وَلَوْ نَزَلَتْ عَلَامَاتُهُ.

قِصَّةُ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَثِقْلُ الإِيمَانِ

كَانَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ نَحِيفَ الجَسَدِ، دَقِيقَ السَّاقَيْنِ، فَبَيْنَمَا كَانَ يَجْتَنِي السِّوَاكَ مِنْ شَجَرَةِ الأَرَاكِ، ظَهَرَتْ سَاقَاهُ مِنْ بَيْنِ الأَغْصَانِ، فَضَحِكَ بَعْضُ الصَّحَابَةِ مِنْ دِقَّتِهِمَا. عِنْدَهَا غَضِبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَسَأَلَهُمْ: "مِمَّ تَضْحَكُونَ؟"

قَالُوا: "يَا نَبِيَّ اللهِ، مِنْ دِقَّةِ سَاقَيْهِ."

فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

"وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ جَبَلِ أُحُدٍ." رَوَاهُ أَحْمَدُ

فَالمِعْيَارُ الحَقِيقِيُّ عِندَ اللهِ لَيْسَ فِي حَجْمِ الأَجْسَادِ أَوِ المظْهَرِ، بَلْ فِي الإِيمَانِ وَالعَمَلِ الصَّالِحِ. فَمَعَ صِغَرِ الأَجْسَادِ أَوْ ضَعْفِهَا، إِذَا كَانَ القَلْبُ عَامِرًا بِالإِيمَانِ، كَانَ لَهُ ثِقْلٌ عِندَ اللهِ.

وَهَذَا يَتَمَاشَى مَعَ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

"إِنَّ اللهَ لا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ." رَوَاهُ مُسْلِم

وَفِي يَوْمِ القِيَامَةِ، يُقِيمُ اللهُ الموَازِينَ العَادِلَةَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى:

﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾ الأنبياء: ٤٧

وَهَذِهِ الموَازِينُ حَقِيقِيَّةٌ، تُوزَنُ فِيهَا :**الأَقْوَالُ، وَالأَعْمَالُ، وَالسِّجِلَّاتُ، وَالأَشْخَاصُ**:

أَمَّا الأَقْوَالُ، فَأَثْقَلُهَا ذِكْرُ اللهِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

"كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ." رَوَاهُ البُخَارِيُّ وَمُسْلِم

وَأَمَّا الأَعْمَالُ، فَأَثْقَلُهَا حُسْنُ الخُلُقِ، كَمَا قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

"مَا مِنْ شَيْءٍ يُوضَعُ فِي الْمِيزَانِ أَثْقَلُ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ، وَإِنَّ صَاحِبَ حُسْنِ الْخُلُقِ لَيَبْلُغُ بِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ." رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ

وَأَمَّا السِّجِلَّاتُ، فَقَدْ جَاءَ فِي حَدِيثِ البِطَاقَةِ:

أَنَّ رَجُلًا تُنْشَرُ عَلَيْهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ سِجِلًّا مِنَ السَّيِّئَاتِ، كُلُّ سِجِلٍّ مَدُّ الْبَصَرِ، ثُمَّ تُوضَعُ بِطَاقَةٌ فِيهَا:

"أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ"

فَتَرْجَحُ البِطَاقَةُ، وَتَطِيشُ السِّجِلَّاتُ، وَيَقُولُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

»**فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللهِ شَيْءٌ**«. *رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ*

وَأَمَّا الأَشْخَاصُ، فَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

"إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ العَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ القِيَامَةِ، لَا يَزِنُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ." *البُخَارِيُّ وَمُسْلِم.*

ثُمَّ قَالَ:

فَاقْرَؤُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾. *الكهف: ١٠٥*

وَأَمَّا الرَّجُلُ الصَّالِحُ، كَابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فَقَدْ قَالَ فِيهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

"وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ جَبَلِ أُحُدٍ." *رَوَاهُ أَحْمَدُ*

وَهَذَا كُلُّهُ تَأْكِيدٌ لِقَوْلِهِ تَعَالَى:

﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ • وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ • فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ • وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ • نَارٌ حَامِيَةٌ﴾ *القارعة: ٦–١١*

فِي مُوَاجَهَةِ أَعْدَاءِ الإِسْلَامِ عَبْرَ التَّارِيخِ وَإِشْرَاقِ الأَمَلِ

عَانَى النَّبِيُّ ﷺ مِنْ أَعْدَاءِ الدَّعْوَةِ فِي مَوَاقِعَ مُتَفَرِّقَةٍ:
مِنَ اليَهُودِ فِي المَدِينَةِ وَخَيْبَرَ، وَمِنَ المُشْرِكِينَ فِي مَكَّةَ، ثُمَّ جَاءَت مَرْحَلَةُ الفُرْسِ وَالرُّومِ،
وَتَلَتْهَا حَمَلَاتُ الصَّلِيبِيِّينَ وَالتُّتَارِ، وَكُلُّهَا اِنْتَهَتْ كَمَا بَدَأَتْ.

أَمَّا اليَوْمَ، فَقَدْ تَكَالَبَتْ قُوَى العَالَمِ عَلَى الإِسْلَامِ بِكُلِّ صُوَرِ العُنْفِ وَالمَكْرِ، فَكَانَت ثَمَرَةُ ذَلِكَ زَرْعُ الكِيَانِ الصَّهْيُونِيِّ فِي قَلْبِ الأُمَّةِ، لِتَبْقَى مُنْقَسِمَةً عَاجِزَةً عَنِ النُّهُوضِ.

لَكِنَّ كَمَا اِنْتَهَت مَرَاحِلُ سَابِقَةٍ، سَتَنْتَهِي هَذِهِ المَرْحَلَةُ أَيْضًا.

اليَهُودُ عَادُوا لِلْأَرْضِ المُبَارَكَةِ، وَالرُّومُ فِي قُوَّتِهِمْ، وَالفُرْسُ بِثَوْبٍ جَدِيدٍ، وَقَوْمُ لُوطٍ فِي الغَرْبِ، وَأَحْفَادُ أَبِي جَهْلٍ فِي كُلِّ مَكَانٍ... كُلُّهُمْ فِي صَفِّ البَاطِلِ تَحْتَ رَايَةِ الشَّيْطَانِ.

رَغْمَ ضَعْفِ أُمَّتِنَا اليَوْمَ، إِلَّا أَنَّهَا:

- تَمْلِكُ الكِتَابَ الخَاتَمَ،
- تَسْجُدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ،
- لَهَا وَعْدٌ مِنَ اللَّهِ بِالنَّصْرِ،
- وَتَبْذُلُ فِي سَبِيلِهِ الجُهْدَ وَالرُّوحَ.

أُمَّتُنَا لَا تُرِيدُ جَزَاءً، بَلْ تَسْعَى لِإِعْلَاءِ كَلِمَةِ اللَّهِ.
هِيَ الأُمَّةُ الوَحِيدَةُ المُؤَهَّلَةُ لِلْوُقُوفِ فِي وَجْهِ الطُّغْيَانِ،

كَما وَاجَهَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فِرْعَوْنَ بِعَصَاهُ، وَانْتَصَرَ، فَالْحَقُّ مَنْصُورٌ لَا مَحَالَةَ، لَكِنَّ السُّؤَالَ:

هَلْ نَحْنُ أَهْلٌ لِلنَّصْرِ؟
هَلْ نَحْنُ جُنُودٌ فِي فُسْطَاطِ الحَقِّ أَمْ عَائِقُونَ لَهُ؟

التَّوْبَةُ، الصِّدْقُ، الإِخْلَاصُ، وَتَرْكُ الظُّلْمِ وَالغِشِّ وَالاحْتِكَارِ... هِيَ مَفَاتِيحُ النَّصْرِ.

فَكَثِيرُونَ مِمَّنْ يَعِيشُونَ بَيْنَنَا هُمْ تُجَّارُ حَرْبٍ يُعَطِّلُونَ الفَرَجَ.

لَكِنَّ أَمَلَنَا بِاللَّهِ كَبِيرٌ،
سَتَتُوبُ الأُمَّةُ،
وَتَثُورُ،
وَتُحَرِّرُ أَرْضَهَا،
وَتَهْزِمُ أَحْقَادُ المحْتَلِّينَ.

وَسَيَأْتِي اليَوْمُ الَّذِي نَسْمَعُ فِيهِ نِدَاءَ الحَقِّ:
﴿ **وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ۚ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا** ﴾ الإسراء: ٨١

لَا تَقُلْ: كَيْفَ نَنْتَصِرُ؟ بَلْ قُلْ: مَتَى نَسْتَحِقُّ النَّصْرَ؟

يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى:
﴿ **إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ** ﴾ محمد: ٧

وَنَصْرُ اللَّهِ يَكُونُ بِالْتَمَسُّكِ بِأَوَامِرِهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ،
فَالْقَلْبُ الصَّادِقُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ هُمَا الْجَيْشُ الَّذِي لَا يُغْلَبُ، **وَهُمَا أَوَّلُ العُدَّةِ**.

ثُمَّ يَأْتِي الإِعْدَادُ الخَارِجِيُّ الْمُهِمُّ: **دَوْلَةٌ وَجَيْشٌ**،
حَتَّى وَإِنْ كَانُوا قَلِيلِي العَدَدِ، كَمَا نَصَرَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ فِي بَدْرٍ وَهُمْ أَذِلَّةٌ:

﴿ **وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ** ﴾ آل عمران: ١٢٣

وَقَالَ ﷺ:
"لَنْ يُغْلَبَ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا مِنْ قِلَّةٍ. رواه مسلم

فَالْتَمْكِينُ يَبْدَأُ مِنَ الدَّاخِلِ بِالإِيمَانِ وَالنِّيَّةِ،
ثُمَّ بِالسَّعْيِ وَالإِعْدَادِ، وَحِينَئِذٍ يَكُونُ النَّصْرُ وَعْدًا لَا يُخْلَفُ.

الخَاتِمَةُ مِرْآةُ الحَيَاةِ

ذَكَرَ ابْنُ القَيِّمِ – رَحِمَهُ اللهُ – أَنَّ رَجُلاً كَانَ فِي سَكَرَاتِ الموْتِ،
وَقَدِ اشْتَدَّ عَلَيْهِ الأَمْرُ، وَاجْتَمَعَ أَبْنَاؤُهُ حَوْلَهُ يُودِّعُونَهُ، وَيَقُولُونَ لَهُ فِي رَجَاءٍ:
"يَا أَبَانَا، قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ"
فَإِذَا بِهِ لَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِمْ، بَلْ يَأْخُذُ يَشَهِّقُ وَيَصِيحُ، ثُمَّ يَصِيحُ قَائِلًا:
"البُسْتَانُ الفِلَانِي، ازْرَعُوا فِيهِ كَذَا، وَالدُّكَّانُ الفِلَانِي، اقْبِضُوا مِنْهُ كَذَا"...
ثُمَّ ظَلَّ يُرَدِّدُ هَذَا الكَلَامَ حَتَّى مَاتَ.

لَقَدْ كَانَ مَنْشَغِلًا فِي حَيَاتِهِ بِالأَمْوَالِ وَالعَقَارِ وَالتِّجَارَةِ،
فَأَبَت عَلَيْهِ خَاتِمَتُهُ أَنْ تَمُوتَ عَلَى لِسَانِهِ تِلْكَ الانْشِغَالَاتُ،
فَمَا أَلَفَهُ الإِنْسَانُ فِي حَيَاتِهِ، وَمَا اعْتَادَهُ قَلْبُهُ وَلِسَانُهُ،
يَعُودُ إِلَيْهِ وَقْتَ الاحْتِضَارِ، خَيْرًا كَانَ أَمْ شَرًّا.

وَرَوَى ابْنُ القَيِّمِ أَيْضًا عَنْ رَجُلٍ آخَرَ، كَانَ مِنْ مُدْمِنِي شُرْبِ الخَمْرِ،
فَلَمَّا حَضَرَتْهُ الوَفَاةُ، اقْتَرَبَ مِنْهُ أَحَدُهُمْ يُلْقِنُهُ الشَّهَادَةَ وَقَالَ لَهُ:
"يَا فُلَانُ، قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ"
فَتَغَيَّرَ وَجْهُهُ، وَثَقُلَ لِسَانُهُ، ثُمَّ صَاحَ قَائِلًا:
"لَا... اشْرَبْ أَنْتَ، ثُمَّ اسْقِنِي"!
وَبَقِيَ يُكَرِّرُ هَذَا حَتَّى فَاضَتْ رُوحُهُ، **وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ.**

قَالَ مُجَاهِدٌ – رَحِمَهُ اللهُ:–
"مَا مِنْ مَيِّتٍ يَمُوتُ إِلَّا مُثِّلَ لَهُ جُلَسَاؤُهُ الَّذِينَ كَانَ يُجَالِسُهُمْ".

فَلْيَنْظُرِ الْمَرْءُ مِنْ جُلَسَائِهِ، وَمِنْ أَهْلِ حَدِيثِهِ وَهَمِّهِ،
فَقَدْ يُسْتَحْضَرُونَ عِنْدَ مَوْتِهِ وَهُوَ بَيْنَهُمْ فِي أَقْسَى لَحَظَاتِهِ!

فَكَمْ مِنْ عَاصٍ مَاتَ وَهُوَ:

- يَسْرِقُ
- أَوْ يَشْرَبُ الخَمْرَ
- أَوْ يَزْنِي
- أَوْ يُتَابِعُ النَّظَرَ إِلَى الحَرَامِ

حَتَّى مَاتَتْ نَفْسُهُ وَهِيَ مُعَلَّقَةٌ بِالذَّنْبِ، نَسْأَلُ اللَّهَ السَّلَامَةَ.

وَقَدْ صَحَّ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ:

"يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ " رواه مسلم

فَهَا هُوَ رَجُلٌ سَقَطَ عَنْ رَاحِلَتِهِ يَوْمَ عَرَفَةَ، فَقَالَ ﷺ:

"اغْسِلُوهُ بِمَاءٍ وَسِدْرٍ، وَكَفِّنُوهُ، وَلَا تُحَنِّطُوهُ، وَلَا تُخَمِّرُوا رَأْسَهُ،
فَإِنَّهُ يُبْعَثُ يَوْمَ القِيَامَةِ مُلَبِّيًا " البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ

وَرَجُلٌ يُبْعَثُ وَجُرْحُهُ يَشْخَبُ دَمًا، اللَّوْنُ لَوْنُ دَمٍ، وَالرِّيحُ رِيحُ مِسْكٍ ...**إِنَّهُ الشَّهِيدُ.**

وَآخَرُ يُبْعَثُ وَفِي عُنُقِهِ كَأْسُ خَمْرٍ، **إِنَّهُ شَارِبُهَا...**

وَآخَرُ بِعَيْنَيْهِ تُظْلِمَانِ، **نَظَرَ بِهِمَا إِلَى الحَرَامِ...**

فَالْمَرْءُ يُبْعَثُ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ، وَالجَزَاءُ مِنْ جِنْسِ العَمَلِ.

فَهَنِيئًا لِأَهْلِ الطَّاعَةِ وَالِاسْتِقَامَةِ،
فَإِنَّ الخَاتِمَةَ الحَسَنَةَ لَا تَكُونُ صُدْفَةً،
وَإِنَّمَا هِيَ ثَمَرَةُ حَيَاةٍ مُسْتَقِيمَةٍ،
وَنِيَّةٍ صَادِقَةٍ،
وَصُحْبَةٍ صَالِحَةٍ.

حِينَ بَكَتِ العَجُوزُ... وَانْتَفَضَتِ الجُيُوشُ

قَدِمَ المنصورُ مِنْ غَزْوَةٍ مُظَفَّرَةٍ، وَوَافَقَ رُجُوعُهُ عِيدَ الأَضْحَى، وَالنَّاسُ فِي المِصَلَّى يُكَبِّرُونَ وَيُهَلِّلُونَ، يَفْرَحُونَ بِالنَّصْرِ وَالعِيدِ.

وَقَبْلَ أَنْ يَتَرَجَّلَ مِنْ عَلَى صَهْوَةِ جَوَادِهِ، **اعْتَرَضَتْ طَرِيقَهُ امْرَأَةٌ عَجُوزٌ، بِثَوْبِهَا البَالِي وَصَوْتِهَا المُتَكَسِّرِ، قَالَتْ بِقَلْبٍ مَكْسُورٍ:**

"يَا مَنْصُورُ، كُلُّ النَّاسِ مَسْرُورُونَ... إِلَّا أَنَا"!

قَالَ لَهَا المَنْصُورُ: "وَمَا ذَاكِ؟"

قَالَتْ: "وَلَدِي أَسِيرٌ عِنْدَ الصَّلِيبِيِّينَ... فِي حِصْنِ رَبَاحٍ".

فَمَا كَانَ مِنَ المَنْصُورِ إِلَّا أَنْ ثَنَى عَنَانَ فَرَسِهِ، وَنَادَى فِي جَيْشِهِ: "أَلَا يَنْزِلُ أَحَدٌ مِنْ عَلَى فَرَسِهِ"!

ثُمَّ اسْتَدَارَ بِالجَيْشِ مُبَاشَرَةً نَحْوَ حِصْنِ رَبَاحٍ، وَلَمْ يَسْتَرِحْ وَلَمْ يُعِدْ، وَوَاصَلَ القِتَالَ حَتَّى فَتَحَ الحِصْنَ، وَأَطْلَقَ سَرَاحَ الأَسْرَى المسْلِمِينَ، وَمِنْ بَيْنِهِمْ ابْنُ تِلْكَ العَجُوزِ.

هَكَذَا كَانَ قَادَتُنَا... يَسْمَعُونَ صَوْتَ المُسْتَضْعَفِ، وَيَرْفَعُونَ السُّيُوفَ لِأَجْلِهِ.

وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

"كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ "متفق عليه.

أَمَّا اليَوْمَ... فَقَدِ اسْتَدَارَ الزَّمَانُ، وَغَفَتِ القُلُوبُ، وَبَقِيَ الأَسْرَى فِي غَيَابِيبِ السُّجُونِ، لَا جُيُوشٌ تُرْسَلُ، وَلَا قَادَةٌ تُجِيبُ، **وَلَيْسَ لَنَا إِلَّا الدُّعَاءُ.**

وَلَيْسَ الدُّعَاءُ هَيِّنًا فِي مِيزَانِ السَّمَاءِ.

فَهَا هُوَ عَوْفُ بْنُ مَالِكٍ الأَشْجَعِيّ، أُسِرَ ابْنُهُ عِنْدَ المشْرِكِينَ، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ يَشْكُو، فَقَالَ لَهُ:

"اتَّقِ اللهَ وَاصْبِرْ، وَآمُرُكَ وَزَوْجَكَ أَنْ تُكْثِرَا مِنْ قَوْلِ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ."

فَجَعَلَا يُرَدِّدَانِهَا، حَتَّى غَفَلَ العَدُوُّ عَنْ ابْنِهِ، فَسَاقَ غَنَمَهُمْ وَأَتَاهَا لِأَبِيهِ، فَنَزَلَ قَوْلُ اللهِ تَعَالَى:

﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ *الطلاق: ٢-٣*

وَسِيرَةُ الحَبِيبِ ﷺ كُلُّهَا نُصْرَةٌ لِلْمَأْسُورِينَ، وَدُعَاءٌ لِلْمُنْكُوبِينَ، فَقَدْ ثَبَتَ عَنْهُ فِي دُعَاءِ القُنُوتِ عِنْدَ النَّوَازِلِ:

"اللَّهُمَّ أَنْجِ عَيَّاشَ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ،
اللَّهُمَّ أَنْجِ سَلَمَةَ بْنَ هِشَامٍ،
اللَّهُمَّ أَنْجِ الْوَلِيدَ بْنَ الْوَلِيدِ،
اللَّهُمَّ أَنْجِ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ"... صحيح البخاري

فَقَدْ تَكُونُ كَلِمَةٌ صَادِقَةٌ، أَوْ صَرْخَةٌ نَابِعَةٌ مِنْ قَلْبٍ مَكْلُومٍ، سَبَبًا فِي فَكِّ أَسْرَى، أَوْ فَتْحِ حُصُونٍ، أَوْ بَعْثِ الحَيَاةِ فِي أُمَّةٍ أَنْهَكَهَا الحُزْنُ.
إِنَّهُ نِدَاءٌ مِنْ قَلْبِ أُمٍّ وَاحِدَةٍ، خَرَجَ صَادِقًا لَا تُصْنَعُ فِيهِ، فَزَلْزَلَ قُلُوبَ الرِّجَالِ، وَحَرَّكَ فِيهِمْ مَا عَجَزَتْ عَنْ تَحْرِيكِهِ الخُطَبُ وَالخَنَاجِرُ.

فَكَيْفَ حَالُنَا، بِنِسَاءٍ لَمْ تَرَ إِحْدَاهُنَّ ابْنَهَا مُنْذُ عِشْرِينَ عَامًا؟
أَيُّ نَارٍ فِي القَلْبِ لَا تَزَالُ مُشْتَعِلَةً، وَأَيُّ وَجَعٍ هَذَا الَّذِي لَا يَهْدَأُ؟
أَمَا آنَ لِلْقُلُوبِ أَنْ تُبْعَثَ؟ وَلِلرُّجُولَةِ أَنْ تَصْحُو؟

هكذا بَكَتِ الأرضُ لانقطاعِ الوحي

أَوَّلُ ما بُدِئَ به رسولُ اللهِ ﷺ منَ الوحي... الرُّؤْيا الصَّالِحَة،

فكانَ لا يَرَى رُؤْيا إلّا جاءَتْ كَفَلَقِ الصُّبْحِ، صَافِيَةً، جَلِيَّةً، صَادِقَةً.

ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الخَلاءُ، فكانَ يَخْلُو بِنَفْسِهِ فِي غارِ حِرَاء، يَتَحَنَّثُ وَيَتَأَمَّلُ...

وفي إحدى ليالي رمضان، وقد بَلَغَ الأَرْبَعِينَ مِن عُمرِهِ الشَّريف،

أَتَى جِبْرِيلُ عليهِ السلامُ بالنُّورِ العظيمِ.

فقالَ لهُ:

"اقْرَأْ"

فقال ﷺ:

"ما أَنا بِقَارِئٍ"

أي: لا أُحْسِنُ القِرَاءة، ولا أَعْرِفُ الكُتُب.

ثُمَّ ضَمَّهُ المِلَكُ، وَقالَهَا ثَلاثًا، ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْهِ أَوَّلَ آياتِ النُّورِ:

﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ﴾ العَلَق: ١-٣

كانَت كَلِمَةُ "اقْرَأْ" هِيَ أَوَّلُ قَطْرَةٍ فِي بَحرِ الرِّسالة،

كَأَنَّهَا مِفتاحٌ يُفْتَحُ بِهِ بابٌ عظيمٌ اسْمُهُ: "العِلْم"،

رِسالَةٌ سَماوِيَّةٌ تَنْزِلُ على نَبِيٍّ أُمِّيٍّ، لِيُعَلِّمَ بِهَا البَشَرِيَّة،

وَيَمْحُو بِهَا أُمِّيَّةَ القَلْبِ وَالعَقْلِ وَالدِّين.

رَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ مُرْتَجِفًا، وَقَدْ حَمَلَ أَمَانَةً ثَقِيلَةً،

دَخَلَ على خَدِيجَةَ رضي الله عنها يَقُولُ:

"زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي"

فَغَطَّتْهُ حَتَّى هَدَأَ، ثُمَّ أَخَذَتْهُ إلى وَرَقَةَ بْنِ نُوفَلٍ،

فقالَ لهُ:

"هذَا النَّامُوسُ الَّذي كانَ يَنْزِلُ على مُوسى، وَإِنَّكَ لَنَبِيُّ هذِهِ الأُمَّةِ."

وهكذا بَدَأَ النُّورُ، وَبَدَأَتِ الرِّسَالَةُ الَّتي سَتُخْرِجُ النَّاسَ مِنَ الظُّلُماتِ إلى النُّور.

لكن ...**انْظُرْ ماذا حَدَثَ بَعْدَ وَفَاتِهِ ﷺ.**

في موقِفٍ يَقْطُرُ خُشُوعًا وَأَسًى، جَاءَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ رضي الله عنهما يَزورانِ الصَّحابِيَّةَ الجَلِيلَةَ أُمَّ أَيْمَنَ، كَمَا كانَ النَّبِيُّ ﷺ يَزُورها.

فَبِمُجَرَّدِ أَنْ دَخَلا عَلَيْها **بَكَتْ.**

قالَا لها:

"ما يَبْكِيكِ؟ ما عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ"!

فقالَتْ بِكَلِماتٍ أَحْيَتِ الحَنِينَ:

"ما أَبْكِي لأَنِّي لا أَعْلَمُ أَنَّ ما عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ،

وَلَكِنْ أَبْكِي أَنَّ الوَحْيَ قَدْ انْقَطَعَ مِنَ السَّماءِ"!

فَبَكَتْ...

وَبَكَى معها، وَقَدْ هَزَّتْ قُلُوبَهُم كَلِماتُها.

قالوا: وإِنَّما كَرَّرَ سُبحانَه الأمرَ بالقراءةِ، لأَنَّهُ مِنَ المَلَكاتِ الَّتي لا تَرسَخُ في النَّفسِ إِلَّا بالتِّكرارِ والإِعادةِ مَرَّةً فَمَرَّةً.

اقْرَأْ...

لَيْسَتْ فَقَطْ أَمْرًا بِالقِرَاءةِ،

بَلْ هِيَ دَعْوَةٌ لِلنُّهُوضِ، لِلْعِلْمِ، وَلِلْفَهْمِ، وَلِلْبَحْثِ عَنِ اللهِ مِنْ خِلالِ نُورِهِ، وَشَرْعِهِ، وَكَلِمَاتِهِ.

عَبْدُ المالِ أَمْ سَيِّدُه؟
قِصَّةُ الغَنِيِّ الَّذِي بَاعَ قَافِلَتَهُ لِلَّهِ

هاجَرَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ رضي الله عنه من مكةَ إلى المدينةِ لا يَمْلِكُ شَيْئًا...
تَرَكَ تِجَارَتَهُ، وَأَرْضَهُ، وَمَالَهُ، وَبَدَأَ مِنْ جَدِيدٍ.
فَآخَى النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الصَّحَابِيِّ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ رضي الله عنه،
فَقَالَ لَهُ سَعْدٌ – مَحَبَّةً وَكَرَمًا:–
"أُقْسِمُ مَالِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ، وَعِنْدِي زَوْجَتَانِ، فَانْظُرْ أَيُّهُمَا تُعْجِبُكَ أُطْلِقْهَا لَكَ".

لَكِنْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ أَبَى أَنْ يَأْخُذَ مِنْ مَالِ أَخِيهِ، وَقَالَ بِكِبْرِيَاءِ الإِيمَانِ:
"بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي مَالِكَ وَأَهْلِكَ... دُلَّنِي عَلَى السُّوقِ"!

ثُمَّ انطَلَقَ إِلَى السُّوقِ، يَبِيعُ وَيَشْتَرِي، يَتْعَبُ وَيَصْبِرُ، حَتَّى بَارَكَ اللَّهُ لَهُ،
فَصَارَ مِنْ أَغْنَى الصَّحَابَةِ.
وَذَاتَ يَوْمٍ، قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
"يَا ابْنَ عَوْفٍ، إِنَّكَ مِنَ الأَغْنِيَاءِ، وَإِنَّكَ سَتَدْخُلُ الجَنَّةَ حَبْوًا، فَأَقْرِضِ اللَّهَ يُطْلِقْ لَكَ قَدَمَيْكَ"
رَوَاهُ الحَاكِمُ

فَفَهِمَهَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ...
وَفَهِمَ أَنَّ كَثْرَةَ المالِ لَيْسَتْ نِعْمَةً إِلَّا إِذَا كَانَتْ وَسِيلَةً لِلآخِرَةِ.

وَجَاءَ اليَوْمُ المهِيبُ...
دَخَلَتْ إِلَى المدِينَةِ قَافِلَةٌ عَظِيمَةٌ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ،
سَبْعُمِئَةِ بَعِيرٍ، مُحَمَّلَةٍ بِالطَّعَامِ وَالبَضَائِعِ.
اهْتَزَّتِ المدِينَةُ، وَفَرِحَ التُّجَّارُ، وَأَتَوْا لِيَشْتَرُوا.
فَقَالَ لَهُمْ" :**قَدْ عُرِضَ عَلَيَّ أَكْثَرُ"**.
قَالُوا: "مِنْ؟"
قَالَ:

"اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى... وَعَدَنِي بِعَشْرِ حَسَنَاتٍ عَنْ كُلِّ دِرْهَمٍ!
وَأَشْهَدُكُمْ أَنَّ القَافِلَةَ كُلَّهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، لِلْفُقَرَاءِ وَالْمُحْتَاجِينَ"!

لَقَدْ كَانَ سَيِّدَ مَالِهِ، لَا عَبْدَهُ،
يُعْطِي وَلَا يَبْخَلُ، يُحْسِنُ وَلَا يَنْتَظِرُ المُقَابِلَ.

وَقَدْ رَوَى النَّبِيُّ ﷺ هَذَا المَوْقِفَ العَظِيمَ الَّذِي سَنَقِفُ فِيهِ جَمِيعًا، فَقَالَ:
"وَيْلٌ لِلأَغْنِيَاءِ مِنَ الفُقَرَاءِ يَوْمَ القِيَامَةِ،
يَقُولُونَ: يَا رَبِّ، مَنَعُونَا حُقُوقَنَا الَّتِي قَسَمْتَ لَنَا،
فَيَقُولُ اللَّهُ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي، لَأُدَنِّيَنَّكُمْ وَلَأُبْعِدَنَّهُمْ،
وَلَأَصِلَنَّكُمْ وَلَأَقْطَعَنَّهُمْ ". رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ

فَلَا عَاشَ مَن يَأْكُلُ وَحْدَهُ، وَيَنْسَى مَن حَوْلَهُ.
ابْحَثْ عَنْ قَرِيبِكَ.
أَعْطِ مَنْ حَرَمَكَ.
صِلْ مَنْ قَطَعَكَ.
وَأَحْسِنْ إِلَى مَنْ أَسَاءَ إِلَيْكَ.

فَهَذَا هُوَ مَعْنَى الدِّينِ، وَهَذَا هُوَ خُلُقُ النُّبُوَّةِ...
"إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلَاقِ ". رَوَاهُ البُخَارِيُّ

حينَ يَبْتَلِي اللهُ بالنِّعْمَةِ

يَرْوِي النَّبِيُّ ﷺ **حَدِيثًا عَجِيبًا**،
عَنْ ثَلَاثَةٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ،
فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا فِي صُورَةِ بَشَرٍ: أَبْرَصُ، أَقْرَعُ، وَأَعْمَى.
ابْتَلَاهُمُ اللَّهُ، لَا لِيَعْلَمَ، فَهُوَ الْعَلِيمُ، بَلْ لِيُظْهِرَ فِي الْوَاقِعِ وَالْمُشَاهَدِ حَقِيقَةَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ، لِيُقِيمَ الْحُجَّةَ عَلَيْهِمْ.

فَجَاءَ الْمَلَكُ إِلَى الْأَبْرَصِ، فَقَالَ:
"أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟"
قَالَ: "لَوْنٌ حَسَنٌ، وَجِلْدٌ حَسَنٌ، فَقَدْ قَذَرَنِي النَّاسُ".
فَمَسَحَهُ الْمَلَكُ، فَبَرَأَ، فَأُعْطِيَ لَوْنًا جَمِيلًا وَجِلْدًا حَسَنًا.
ثُمَّ قَالَ لَهُ: "فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟"
قَالَ: "الْإِبِلُ." فَأُعْطِيَ نَاقَةً عُشْرَاءَ، وَدُعِيَ لَهُ بِالْبَرَكَةِ.

ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى الْأَقْرَعِ، فَفَعَلَ مَعَهُ مِثْلَ ذَلِكَ، فَأُعْطِيَ الشَّعْرَ الْحَسَنَ وَالْبَقَرَ.

ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى الْأَعْمَى، فَقَالَ لَهُ: "أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟"
قَالَ: "أَنْ يَرُدَّ اللَّهُ إِلَيَّ بَصَرِي، فَأُبْصِرَ بِهِ النَّاسَ".
فَمَسَحَهُ، فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِ بَصَرَهُ.
ثُمَّ قَالَ لَهُ: "فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟"
قَالَ: "الْغَنَمُ." فَأُعْطِيَ شَاةً، وَدُعِيَ لَهُ بِالْبَرَكَةِ.

وَمَرَّتِ الْأَيَّامُ، فَتَحَوَّلَ مَا مَعَهُمْ إِلَى وَادٍ مِنَ الْإِبِلِ، وَوَادٍ مِنَ الْبَقَرِ، وَوَادٍ مِنَ الْغَنَمِ.

ثُمَّ جَاءَهُمُ الْمَلَكُ يَخْتَبِرُهُمْ ثَانِيَةً، لَكِنْ هَذِهِ الْمَرَّةَ فِي هَيْئَةِ فَقِيرٍ مِسْكِينٍ وَابْنِ سَبِيلٍ:
جَاءَ إِلَى الْأَبْرَصِ، وَقَالَ:
"أَسْأَلُكَ بِاللَّهِ الَّذِي أَعْطَاكَ الْجِلْدَ الْحَسَنَ وَاللَّوْنَ الْحَسَنَ وَالْمَالَ، أَنْ تُعْطِيَنِي بَعِيرًا أُكْمِلُ بِهِ سَفَرِي".

فَقَالَ لَهُ: "الْحُقُوقُ كَثِيرَةٌ".
فَقَالَ: "كَأَنِّي أَعْرِفُكَ! أَلَيْسَ كُنْتَ أَبْرَصَ يَقْذُرُكَ النَّاسُ؟"
فَقَالَ: "إِنَّمَا وَرِثْتُ هَذَا الْمَالَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ"!
فَقَالَ الْمَلَكُ: "إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا، فَصَيَّرَكَ اللَّهُ إِلَى مَا كُنْتَ".

ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى الْأَقْرَعِ، فَفَعَلَ مَعَهُ مِثْلَ مَا فَعَلَ مَعَ صَاحِبِهِ، فَأَنْكَرَ، وَجَحَدَ، فَدَعَا عَلَيْهِ كَمَا دَعَا عَلَى الْأَوَّلِ.

ثُمَّ جَاءَ إِلَى الْأَعْمَى، فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لِلْآخَرَيْنِ،
فَقَالَ لَهُ الْأَعْمَى:
"قَدْ كُنْتُ أَعْمَى، فَرَدَّ اللَّهُ إِلَيَّ بَصَرِي، وَكُنْتُ فَقِيرًا، فَأَغْنَانِيَ اللَّهُ، فَخُذْ مَا شِئْتَ، فَوَاللَّهِ لَا أُجْهِدُكَ الْيَوْمَ بِشَيْءٍ أَخَذْتَهُ لِلَّهِ".
فَقَالَ لَهُ الْمَلَكُ: "**أَمْسِكْ مَالَكَ، فَإِنَّمَا ابْتُلِيتُمْ، فَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْكَ، وَسَخِطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ**". *البخاري ومسلم*

فَلَيْسَتْ كُلُّ نِعْمَةٍ دَلِيلَ رِضًا،
فَالْبَلَاءُ فِي الرَّخَاءِ أَصْعَبُ مِنَ الْبَلَاءِ فِي الضِّيقِ.
كَمْ مِنْ عَبْدٍ صَبَرَ عِنْدَ الْفَقْرِ، لَكِنَّهُ جَحَدَ عِنْدَ الْغِنَى،
وَكَمْ مِنْ قَلْبٍ أَخْلَصَ فِي الْمَرَضِ، لَكِنَّهُ تَكَبَّرَ فِي الْعَافِيَةِ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ **وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً** ﴾ *الأنبياء: ٣٥*

فَيَا مَنْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْكَ...لَا تَنْسَ حِينَ كُنْتَ مُحْتَاجًا، وَلَا تُنْكِرْ فَضْلَ اللَّهِ،
وَلَا تَقُلْ: "هَذَا مِنْ كَدِّي وَتَعَبِ يَدِي"،
فَإِنَّ الَّذِي أَعْطَاكَ، قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَسْلُبَ،
فَيُصَيِّرَكَ اللَّهُ إِلَى مَا كُنْتَ.

رُؤْيَا النَّبِيِّ ﷺ... مَشَاهِدٌ مُرْعِبَةٌ مِنْ عَاقِبَةِ الزِّنَا

ذاتَ لَيْلَةٍ، رَأى رَسُولُ اللهِ ﷺ رُؤْيا عَظِيمَةً،
لَيْسَتْ كَكُلِّ الرُّؤى، بَلْ مَشاهِدَ مَرَوِّعَةً مِنْ عَذَابٍ أَعَدَّهُ اللهُ لِمَن عَصاهُ، خَاصَّةً فِي أَعْظَمِ الفَوَاحِشِ: الزِّنا.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:
"رَأَيْتُ فِي مِنَامِي مَلَكَيْنِ، أَتَيَانِي، فَأَخَذَا بِيَدِي، فَانْطَلَقَا بِي،
حَتَّى أَتَيْنَا عَلَى مِثْلِ التَّنُّورِ أَعْلَاهُ ضَيِّقٌ، وَأَسْفَلُهُ وَاسِعٌ
يَتَقَدُّ تَحْتَهُ نَارٌ، فَإِذَا فِيهَا رِجَالٌ وَنِسَاءٌ عُرَاةٌ،
فَإِذَا ارْتَفَعَ اللَّهَبُ، ارْتَفَعُوا حَتَّى كَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا،
فَإِذَا خَمَدَتْ، رَجَعُوا فِيهَا، وَهكَذَا...
فَقُلْتُ: مَن هَؤُلَاءِ؟
قَالَا: هَؤُلَاءِ هُمُ الزُّنَاةُ". *رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ*

مَشْهَدٌ يَهُزُّ الْقَلْبَ: أَجْسَادٌ تَتَعَذَّبُ فِي فِرْنٍ مُتَّقِدٍ، لَا رَاحَةَ، لَا نِهَايَةَ...

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿كَلَّا إِنَّهَا لَظَىٰ * نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ﴾ *المعارج: ١٥-١٦*

وفِي لَيْلَةِ الإِسْرَاءِ وَالمِعْرَاجِ، رَأَى ﷺ مَشْهَدًا آخَرَ:
قَوْمًا يُقْبِلُونَ عَلَى لَحْمٍ عَفِنٍ نَتِنٍ، وَيَتْرُكُونَ لَحْمًا طَيِّبًا مُشَرَّحًا أَمَامَهُمْ!
فَسَأَلَ: "مَن هَؤُلَاءِ؟"
قَالَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ:
"هَؤُلَاءِ الزُّنَاةُ، يَتْرُكُونَ مَا أَحَلَّ اللهُ لَهُمْ، وَيَذْهَبُونَ إِلَى مَا حَرَّمَ". *حَدِيثٌ طَوِيلٌ فِي الإِسْرَاءِ وَالمِعْرَاجِ*

وَرَأَى أَيْضًا نِسَاءً مُعَلَّقَاتٍ مِنْ أَثْدَائِهِنَّ!
فَقَالَ: "مَن هَؤُلَاءِ؟"
قَالَ جِبْرِيلُ:

"هَؤُلَاءِ نِسَاءٌ يُدْخِلْنَ عَلَى أَزْوَاجِهِنَّ أَوْلَادًا لَيْسُوا مِنْهُمْ".
أَي: نِسَاءٌ حَمَلْنَ مِنَ الزِّنَا، وَنَسَبْنَ الْوَلَدَ ظُلْمًا لِغَيْرِ أَبِيهِ...
فَجَمَعْنَ بَيْنَ الْفَاحِشَةِ وَالْكَذِبِ وَالْغَدْرِ!

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿**وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا**﴾ *الإسراء: ٣٢*

الزِّنَا طَرِيقٌ مُظْلِمٌ، فَاحِشٌ، مُهْلِكٌ...
يُهِينُ الْإِنْسَانَ، يُسْقِطُ قَدْرَهُ، يُدَمِّرُ أُسْرَتَهُ، يُلَوِّثُ سُمْعَتَهُ،
وَيُعَرِّضُهُ لِسَخَطِ اللهِ وَنَزْعِ الإِيمَانِ مِنْ قَلْبِهِ.

قَالَ ﷺ:
"لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ". *مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ*

أَي: يُنْزَعُ عَنْهُ الإِيمَانُ لَحْظَةَ ارْتِكَابِ الْفَاحِشَةِ.

بَلْ مِنْ شِدَّةِ بُغْضِ اللهِ لِهَذِهِ الْجَرِيمَةِ،
أَنَّ الْخَمْرَ كَانَتْ مُبَاحَةً فِي أَوَّلِ الإِسْلَامِ ثُمَّ حُرِّمَتْ بِالتَّدَرُّجِ،
أَمَّا الزِّنَا، فَلَمْ يَكُنْ مُبَاحًا فِي أَيِّ مَرْحَلَةٍ مِنْ مَرَاحِلِ الشَّرِيعَةِ.

فَأَيُّ ذَنْبٍ هَذَا؟! وَأَيُّ طَرِيقٍ أَظْلَمُ مِنْ طَرِيقِهِ؟!

فَيَا مَن ابْتُلِيتَ...أَفِقْ قَبْلَ فَوَاتِ الأَوَانِ...
قَبْلَ أَنْ تُشْدَخَ فِي التَّنُّورِ... قَبْلَ أَنْ تُعَلَّقَ مِنْ جَسَدِكَ...
قَبْلَ أَنْ تُسْلَبَ الإِيمَانُ، وَتُكْتَبَ فِي سِجِلِّ الْفَاجِرِينَ

. قَالَ ﷺ:
"الْبِرُّ لَا يَبْلَى، وَالإِثْمُ لَا يُنْسَى، وَالدَّيَّانُ لَا يَمُوتُ،
فَافْعَلْ مَا شِئْتَ، فَكَمَا تُدِينُ تُدَانُ" *رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ*

آكِلُ الرِّبَا... السِّبَاحَةُ فِي نَهْرِ الدَّمِ

فِي لَيْلَةٍ عَظِيمَةٍ، رَأى رَسُولُ اللهِ ﷺ رُؤْيَا مِنْ تِلْكَ الرُّؤَى الَّتِي لَا تُنْسَى...
رُؤْيَا لَيْسَتْ كَسَائِرِ الأَحْلَامِ، بَلْ رِسَالَةٌ مِنَ السَّمَاءِ، وَإِنْذَارٌ لِلْمُغْتَرِّينَ بِالدُّنْيَا.

قَالَ ﷺ: "**أَتَانِي مَلَكَانِ، فَأَخَذَا بِيَدِي، فَانْطَلَقَا بِي**"...
حَتَّى مَرَرْنَا عَلَى نَهْرٍ مِنْ دَمٍ!
وَفِي وَسَطِ النَّهْرِ: رَجُلٌ يَسْبَحُ، يَتَخَبَّطُ فِيهِ.
وَكُلَّمَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ،
وَجَدَ عَلَى طَرَفِ النَّهْرِ رَجُلًا مَعَهُ حَجَرٌ كَبِيرٌ،
فَمَا إِنْ يَقْتَرِبَ السَّابِحُ، حَتَّى يَضْرِبَهُ بِهِ فِي فَمِهِ،
فَيَرْتَدُّ الْمِسْكِينُ إِلَى وَسَطِ النَّهْرِ،
وَيَعُودُ الْمَشْهَدُ... مَرَارًا وَتِكْرَارًا.

قَالَ ﷺ مُتَعَجِّبًا: "**مَنْ هَذَا؟**"!
فَقَالَ الْمَلَكَانِ: "**هَذَا آكِلُ الرِّبَا**". رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ

كُلُّ دِرْهَمٍ رِبًا... كَانَ سِبَاحَةً فِي دَمٍ،
وَكُلُّ لَقْمَةٍ مِنْ حَرَامٍ... كَانَتْ حَجَرًا يَسُدُّ فَمَهُ عَنِ النَّجَاةِ!
وَفِي لَيْلَةِ الإِسْرَاءِ وَالمِعْرَاجِ،
رَأَى ﷺ قَوْمًا بُطُونُهُمْ كَالْبُيُوتِ، لَا يَتَحَرَّكُونَ،
وَكُلَّمَا مَرَّ بِهِمْ آلُ فِرْعَوْنَ فِي عَرْضِهِمْ عَلَى النَّارِ،
دَاسُوهُمْ وَاحْتَقَرُوهُمْ!

قَالَ الْعُلَمَاءُ: هَؤُلَاءِ أَكَلَةُ الرِّبَا.
وَفِي أَرْضِ الْمَحْشَرِ، يَظْهَرُ آكِلُ الرِّبَا:
لَا يَسْتَطِيعُ قِيَامًا، وَلَا يَجْلِسُ قُعُودًا، يَتَخَبَّطُ مِنَ الأَلَمِ وَالنَّدَمِ، قَدِ امْتَلَأَتْ بَطْنُهُ،
وَانْتَفَخَ جَسَدُهُ، فَلَا قَرَارَ لَهُ... وَلَا رَاحَةَ.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

"لَعَنَ اللهُ آكِلَ الرِّبَا، وَمُوكِلَهُ، وَكَاتِبَهُ، وَشَاهِدَيْهِ".

ثُمَّ قَالَ" :**هُمْ سَوَاءٌ"**. *رَوَاهُ مُسْلِمٌ*

وَقَالَ ﷺ:

"دِرْهَمُ رِبًا يَأْكُلُهُ الرَّجُلُ وَهُوَ يَعْلَمُ،

أَشَدُّ عِنْدَ اللهِ مِنْ سِتٍّ وَثَلَاثِينَ زِنْيَةً". *أَحْمَدُ وَالطَّبَرَانِيُّ*

لِأَنَّهُ اعْتِدَاءٌ عَلَى الْمُجْتَمَعِ، وَاسْتِغْلَالٌ لِلْمُحْتَاجِ، وَمُحَارَبَةٌ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ.

قَالَ اللهُ تَعَالَى:

﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ *البقرة: ٢٧٩*

فلَا تَغُرَّنَّكَ الْأَرْبَاحُ، فَإِنَّهَا سَمٌّ فِي الْعَسَلِ!

لَا تُرَبِّ أَبْنَاءَكَ عَلَى مَالٍ حَرَامٍ، فَإِنَّ كُلَّ جَسَدٍ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ، فَالنَّارُ أَوْلَى بِهِ.

قَالَ ﷺ:

"إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا،

وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ"...

ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ، أَشْعَثَ أَغْبَرَ،

يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ: "يَا رَبِّ، يَا رَبِّ"،

"وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَغُذِّيَ بِالْحَرَامِ،

فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟"! *رَوَاهُ مُسْلِمٌ*

فَتُبْ إِلَى اللهِ قَبْلَ فَوَاتِ الْأَوَانِ...نَقِّ مَالَكَ، وأَطْعِمْ أَهْلَكَ مِنَ الْحَلَالِ،

وَإِنْ ضَاقَتِ الدُّنْيَا، فَالْجَنَّةُ أَوْسَعُ.

بَرَكَةُ الاِسْتِغْفَارِ... قِصَّةٌ وَعِبْرَةٌ

يُرْوَى أَنَّ الإِمَامَ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ رَحِمَهُ اللهُ، كَانَ فِي سَفَرٍ،
فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى بَلْدَةٍ غَرِيبَةٍ، أَرَادَ أَنْ يَبِيتَ لَيْلَتَهُ فِي الْمَسْجِدِ،
لَكِنَّ حَارِسَ الْمَسْجِدِ مَنَعَهُ مِنَ الْمَبِيتِ فِيهِ.
فَلَمْ يَجِدِ الإِمَامُ مَكَانًا يَنَامُ فِيهِ...
حَتَّى رَآهُ خَبَّازٌ يَعْمَلُ فِي مَخْبَزِهِ، فَعَرَضَ عَلَيْهِ أَنْ يَبِيتَ عِنْدَهُ، فَقَبِلَ الإِمَامُ.

وَفِي أَثْنَاءِ اللَّيْلِ، لَاحَظَ الإِمَامُ أَحْمَدُ أَمْرًا عَجِيبًا...
رَأَى الْخَبَّازَ يُكْثِرُ مِنَ الاسْتِغْفَارِ أَثْنَاءَ عَمَلِهِ، لَا يَفْتُرُ لِسَانُهُ عَنْ قَوْلِ:
"أَسْتَغْفِرُ اللهَ، أَسْتَغْفِرُ اللهَ"...

فَسَأَلَهُ الإِمَامُ أَحْمَدُ:
"مُنْذُ مَتَى وَأَنْتَ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ؟"!

فَقَالَ الْخَبَّازُ:
"مُنْذُ سَنَوَاتٍ، مَا تَرَكْتُ الاسْتِغْفَارَ فِي عَمَلِي".

ثُمَّ قَالَ بِثِقَةٍ وَيَقِينٍ:
"وَاللهِ مَا دَعَوْتُ دَعْوَةً إِلَّا اسْتُجِيبَ لِي،
إِلَّا دَعْوَةً وَاحِدَةً... أَنْ أَرَى الإِمَامَ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ".

فَابْتَسَمَ الإِمَامُ، وَقَالَ لَهُ بِخُشُوعٍ:
"أَنَا أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، وَاللهِ إِنِّي جُرِرْتُ إِلَيْكَ جَرًّا،
لِأَرَى بَرَكَةَ اسْتِغْفَارِكَ". وَهَكَذَا... كَانَتْ بَرَكَةُ الاسْتِغْفَارِ!
قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **"مَنْ لَزِمَ الاسْتِغْفَارَ، جَعَلَ اللهُ لَهُ مِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجًا،**
وَمِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجًا، وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ". رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ

تُرِيدُ الذُّرِّيَّةَ الصَّالِحَةَ؟

تَرْغَبُ فِي الرِّزْقِ الْوَفِيرِ وَالْمَالِ الْحَلَالِ؟

تَطْمَحُ إِلَى الْخَيْرِ وَالْبَرَكَةِ فِي بَيْتِكَ وَأَهْلِكَ؟ **فَالزَمِ الاسْتِغْفَارَ...**

قَالَ تَعَالَى على لِسانِ نوحٍ عِليهِ السَّلامُ:

"فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا، يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مُدَرَارًا، وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينٍ،وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ، وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا". نوح: ١٠–١٢

تُرِيدُ جَسَدًا سَلِيمًا؟

تَتَمَنَّى قُوَّةً فِي الْبَدَنِ وَنَشَاطًا فِي الْحَيَاةِ؟ **فَالزَمِ الاسْتِغْفَارَ...**

قَالَ تَعَالَى عَلَى لِسَانِ نَبِيِّ اللهِ هُودٍ لِقَوْمِهِ:

"وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ، يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مُدَرَارًا، وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ، وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ". هود: ٥٢

تُرِيدُ رَاحَةَ الْقَلْبِ؟ وانْشِرَاحَ الصَّدْرِ وَرَاحَةَ الْبَالِ؟

وتَخْشَى الْفَقْرَ أَوِ الْخَوْفَ أَوِ الْقَلَقَ؟

فَالِاسْتِغْفَارُ هُوَ الطَّرِيقُ الْآمِنُ لِكُلِّ ذَلِكَ.

قَالَ تَعَالَى:

"وَأَنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ، يُمَتِّعْكُمْ مُتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مَّسْمًى". هود: ٣

اجْعَلِ الاسْتِغْفَارَ زِينَةَ لِسَانِكَ، وَزَادَ قَلْبِكَ، وَنَبْضَ يَوْمِكَ.

فِيهِ بَرَكَةُ الدُّنْيَا، وَنَجَاةُ الْآخِرَةِ.

اسْتَغْفِرُوا اللهَ، اسْتَغْفِرُوا اللهَ، اسْتَغْفِرُوا اللهَ...

قِصَّةُ نَبِيِّ اللهِ يُونُسَ عليهِ السَّلَامِ... وَعِبْرَةُ الدُّعَاءِ فِي الشِّدَّةِ

حِينَ طَالَ عِنَادُ قَوْمِ يُونُسَ عليهِ السَّلَامِ، وَلَمْ يُؤْمِنُوا بِدَعْوَتِهِ،
ضَاقَ بِهِمْ صَدْرُهُ، فَتَرَكَهُمْ غَاضِبًا دُونَ إِذْنٍ مِن رَبِّهِ،
يَقُولُ اللهُ تَعَالَى:
﴿ **وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَّقْدِرَ عَلَيْهِ** ﴾*الأنبياء: ٨٧*
أي: ظَنَّ أَنَّ اللهَ لَنْ يُضَيِّقَ عَلَيْهِ أَوْ يُؤَاخِذَهُ عَلَى مَا فَعَلَ.

وَصَلَ يُونُسُ إِلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ، وَرَكِبَ سَفِينَةً مَعَ قَوْمٍ آخَرِينَ،
لَكِنْ خِلَالَ الإِبْحَارِ، هَاجَ الْبَحْرُ وَاشْتَدَّتِ الْعَاصِفَةُ،
حَتَّى قَالَ رُبَّانُ السَّفِينَةِ:
"عَلَيْنَا أَنْ نُلْقِيَ أَحَدَنَا فِي الْبَحْرِ حَتَّى لَا نَغْرَقَ جَمِيعًا".
فَأَجْرُوا قُرْعَةً، فَوَقَعَتْ عَلَى يُونُسَ عليهِ السَّلَامِ،
فَأَلْقَى بِنَفْسِهِ فِي الْبَحْرِ، فَأَرْسَلَ اللهُ حُوتًا فَابْتَلَعَهُ.
يَقُولُ اللهُ تَعَالَى:
﴿ **فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ** ﴾
﴿ **لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ** ﴾*الصافات: ١٤٣-١٤٤*

وفِي ظُلُمَاتِ الْبَحْرِ وَالْحُوتِ، لَمْ يَجِدْ يُونُسُ إِلَّا الدُّعَاءَ وَالرُّجُوعَ إِلَى اللهِ،
فَقَالَ دُعَاءً خَالِدًا، أَصْبَحَ مِفْتَاحًا لِكُلِّ مَهْمُومٍ وَمَكْرُوبٍ:
"لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ"
قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:
"دُعَاءُ ذِي النُّونِ إِذْ دَعَا وَهُوَ فِي بَطْنِ الْحُوتِ:
لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ،
فَإِنَّهُ لَمْ يَدْعُ بِهَا مُسْلِمٌ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا اسْتَجَابَ اللهُ لَهُ". *التِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ*

والسِرُّ هَذَا الدُّعَاءِ الْعَظِيمِ، واللهُ أَعلَمُ"
لِأَنَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَ ثَلَاثَةِ أَرْكَانٍ عَظِيمَةٍ:

التَّوْحِيدُ: "لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ"
التَّسْبِيحُ: "سُبْحَانَكَ
"الِاعْتِرَافُ بِالذَّنْبِ: "إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ"

فاسْتَجَابَ اللهُ لِيُونُسَ عليهِ السَّلَامِ،
وَأَنْجَاهُ مِنْ بَطْنِ الْحُوتِ، وَأَعَادَهُ إِلَى قَوْمِهِ،
فَلَمَّا عَادَ إِلَيْهِمْ، وَجَدَهُمْ قَدْ آمَنُوا جَمِيعًا!

فَإِذَا ضَاقَتْ بِكَ الدُّنْيَا،
فِي لَحَظَاتِ **الأَلَمِ، وَالغَرَقِ، وَالظَّلَامِ، وَالحَيْرَةِ**...

فَاضْمِرْ حَاجَتَكَ فِي نَفْسِكَ، وَقُلْ كَمَا قَالَ يُونُسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ:
"لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ"

رَدِّدْهَا بِإِخْلَاصٍ، وَاسْتَشْعِرْ ضَعْفَكَ وَحَاجَتَكَ، وَثِقْ أَنَّ **اللَّهَ قَرِيبٌ**.

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ *البقرة: ١٨٦*

"اللَّهُمَّ ٱجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ ٱلْقَلِيلِ"

مَرَّ سَيِّدُنَا عُمَرُ بْنُ ٱلْخَطَّابِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بِرَجُلٍ فِي ٱلسُّوقِ يَدْعُو ٱللَّهَ، يَقُولُ:
"ٱللَّهُمَّ ٱجْعَلْنِي مِنْ عِبَادِكَ ٱلْقَلِيلِ".

فَتَعَجَّبَ عُمَرُ، وَقَالَ لَهُ:
"مِنْ أَيْنَ أَتَيْتَ بِهَذَا ٱلدُّعَاءِ؟"

فَقَالَ ٱلرَّجُلُ: **قَوْلُهُ تَعَالَى:**
﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ سَبَأ: ١٣

فَبَكَى عُمَرُ، وَقَالَ:
"كُلُّ ٱلنَّاسِ أَفْقَهُ مِنْكَ يَا عُمَرُ؛ ٱللَّهُمَّ ٱجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ ٱلْقَلِيلِ". كُتُبِ الزُّهْدِ وَالْمَوَاعِظِ، و مَعْنَاهُ صَحِيحٌ

فِي زَمَنِنَا، قَدْ تُبَرَّرُ ٱلْمَعْصِيَةُ بِٱنْتِشَارِهَا، فَيَقُولُ ٱلْبَعْضُ:
"ٱلنَّاسُ كُلُّهُمْ يَفْعَلُونَ كَذَا"!
وَلَكِنْ، هَلِ ٱلْكَثْرَةُ حُجَّةٌ؟

إِنَّ ٱلْقُرْآنَ ٱلْكَرِيمَ يُعَلِّمُنَا:

﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ هُود: ٤٠

﴿ وَمَا أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ يوسف: ١٠٣

يَسْتَخْدِمُ البَعْضُ كَثْرَةَ انْتِشَارِ المَعْصِيَةِ كَحُجَّةٍ لِلتَّسَاهُلِ،
لَكِنَّ القُرْآنَ يُرْشِدُنَا إِلَى أَنَّ الأَكْثَرِيَّةَ قَدْ تَكُونُ عَلَى ضَلَالٍ أَوْ تَقْصِيرٍ.

وَفِي زَمَانِنَا هَذَا...
تَشْتَدُّ **غُرْبَةُ** المتَمَسِّكِينَ بِدِينِهِم،
فَهُمْ قِلَّةٌ غُرَبَاءُ فِي مُجْتَمَعٍ يَغُطُّ غَطِيطًا فِي **أَخْلَاقِ الجاهِلِيَّةِ.**

بَلْ إِنَّ أَحَدَهُمْ لَوْ فَقَدَ شَيْئًا عَزِيزًا عَلَيْهِ،

وَقِيلَ لَهُ: لَيْسَ مِنْ عِلَاجٍ إِلَّا أَنْ تَذْهَبَ إِلَى **سَاحِرٍ**، لَذَهَبَ!

وَهَذَا فَوْقَ مَا نَرَاهُ مِنْ **رِبًا، وَاخْتِلَاطٍ، وَمُنْكَرَاتٍ شَتَّى...**

وَعَلَى أَيَّةِ حَالٍ،

فَالإِسْلَامُ بَدَأَ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ،

كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

"بَدَأَ الإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ". *رَوَاهُ مُسْلِمٌ*

وَفِي رِوَايَةٍ:

"قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَنِ الْغُرَبَاءُ؟

قَالَ: الَّذِينَ يُصْلِحُونَ إِذَا فَسَدَ النَّاسُ". *رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ وَالآجُرِّي*

الغُرَبَاءُ هُمُ الَّذِينَ يَتَمَسَّكُونَ بِدِينِهِمْ وَسْطَ بَحْرٍ مِنَ الجَهْلِ وَالمعَاصِي،

كَالقَابِضِ عَلَى الجَمْرِ! **فَطُوبَى لَهُمْ** فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ،

لَهُمْ حَيَاةٌ طَيِّبَةٌ، وَجَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ.

فَتَمَسَّكْ بِدِينِكَ وَلَوْ كُنْتَ وَحِيدًا،

وَاصْبِرْ عَلَى الغُرْبَةِ، فَإِنَّ لَكَ عِندَ اللَّهِ **طُوبَى،**

وَادْعُ كَمَا دَعَا الرَّجُلُ الصَّالِحُ:

"اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنْ عِبَادِكَ القَلِيلِ".

ٱلْمُنْتَسِبُ ٱلْحَقِيقِيُّ: نَسَبُ ٱلْإِسْلَامِ وَأَهَمِّيَّتُهُ

أَخْبَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنَّهُ فِي مَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِ بَنِي إِسْرَائِيلَ،
وَقَفَ رَجُلٌ مُعْتَدٌّ بِنَسَبِهِ،
نَادَى بِصَوْتٍ عَالٍ:
"أَنَا فُلَانُ بْنُ فُلَانِ بْنِ فُلَانٍ..."
رَاحَ يَعُدُّ آبَاءَهُ وَاحِدًا تِلْوَ الآخَرِ، حَتَّى بَلَغَ التَّاسِعَ،
ثُمَّ نَظَرَ بِازْدِرَاءٍ إِلَى رَجُلٍ جَالِسٍ إِلَى جِوَارِهِ، وَقَالَ بِسُخْرِيَّةٍ:
"وَمَنْ أَنْتَ؟ لَا أُمَّ لَكَ؟"
أَيْ: مَا قَدْرُكَ؟ مَا قِيمَتُكَ؟ فَأَنْتَ بِلَا نَسَبٍ شَرِيفٍ.
فَرَفَعَ الرَّجُلُ بَصَرَهُ إِلَيْهِ، وَقَالَ بِهُدُوءٍ:
"أَنَا فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ... بْنُ ٱلْإِسْلَامِ."
لَمْ يَحْتَجْ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ.

فَأَوْحَى ٱللَّهُ إِلَى نَبِيِّهِ مُوسَى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ:
"أَمَّا ٱلْمُنْتَسِبُ إِلَى تِسْعَةٍ فِي ٱلنَّارِ، فَهُوَ عَاشِرُهُمْ،
وَأَمَّا ٱلْمُنْتَسِبُ إِلَى ٱثْنَيْنِ فِي ٱلْجَنَّةِ، فَهُوَ ثَالِثُهُمْ." *آثَارِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، تفسير ابن كثير*

وَذَلِكَ لِأَنَّهُ فَخَرَ بِأَبِيهِ ٱلَّذِي رَبَّاهُ عَلَى ٱلْإِسْلَامِ،
وَلَمْ يَفْتَخِرْ بِجَدِّهِ ٱلْكَافِرِ، وَلَمْ يَعْتَرِفْ بِهِ.
كَمَا قَالَ ٱلشَّاعِرُ:

"أَبِي ٱلْإِسْلَامُ لَا أَبَ لِي سِوَاهُ
إِذَا ٱفْتَخَرُوا بِقَيْسٍ أَوْ تَمِيمِ" *حُجْر بن عدي الكندي*

وَٱلْمَرْءُ يُحْشَرُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ،
فَقَدْ سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنِ ٱلرَّجُلِ يُحِبُّ ٱلْقَوْمَ وَلَمَّا يَلْحَقْ بِهِمْ؟

فَقَالَ ﷺ:

"ٱلْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ." رَوَاهُ ٱلْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ

وَقَالَ أَنَسٌ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ:

"فَمَا فَرِحَ ٱلْمُسْلِمُونَ بِشَيْءٍ كَفَرَحِهِمْ بِهَذَا ٱلْحَدِيثِ." رواه مسلم

فَٱلْمَحَبَّةُ ٱلصَّادِقَةُ تُدْخِلُ ٱلْعَبْدَ فِي زُمْرَةِ ٱلْمَحْبُوبِينَ،
وَيُحْشَرُ مَعَهُمْ.
وَٱلْمَطْلُوبُ هُوَ ٱلْمَحَبَّةُ ٱلْإِيمَانِيَّةُ ٱلشَّرْعِيَّةُ:
أَنْ تُحِبَّ ٱلْعَبْدَ بِسَبَبِ إِيمَانِهِ وَطَاعَتِهِ.

فَكَيْفَ إِنْ كَانَ هَؤُلَاءِ ٱلطَّائِعُونَ آبَاءَهُ وَأَجْدَادَهُ؟
فَتَقَرُّ بِهِمْ عَيْنُهُ.

ٱللَّهُمَّ إِنَّا نُحِبُّ مُحَمَّدًا ﷺ، وَأَبَا بَكْرٍ، وَعُمَرَ،
وَنَرْجُو أَنْ نَكُونَ مَعَهُمْ بِحُبِّنَا إِيَّاهُمْ.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

»إِنَّ ٱللَّهَ تَعَالَى أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا،
حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ،
وَلَا يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ«. رَوَاهُ مُسْلِمٌ

ٱلدُّخُولُ إِلَى دُورِ ٱلْجَنَّةِ حَسَبَ ٱلدَّرَجَاتِ

رَأَى ٱلنَّبِيُّ ﷺ فِي مَنَامِهِ مَلَكَيْنِ، أَتَيَاهُ فَأَخَذَا بِيَدِهِ، يَقُودَانِهِ حَتَّى جَاءَا بِهِ إِلَى رَوْضَةٍ خَضْرَاءَ، فِيهَا شَجَرَةٌ عَظِيمَةٌ، وَفِي أَصْلِهَا، وَعِندَ جِذْعِهَا، يَجْلِسُ شَيْخٌ، وَحَوْلَهُ صِبْيَانٌ.

فَسَأَلَ ٱلنَّبِيُّ ﷺ عَنْهُم، فَقِيلَ لَهُ:
"هَذَا إِبْرَاهِيمُ، وَهَؤُلَاءِ أَوْلَادُ ٱلنَّاسِ".
قَالَ ﷺ:
"وَفِي نُسْخَةٍ: وَوُلْدَانُ ٱلنَّاسِ؟"
قِيلَ:
"وَوُلْدَانُ ٱلْمُشْرِكِينَ، وَأَوْلَادُهُم".
فَقَالَ ﷺ:
"فَأَيْنَ أَوْلَادُ ٱلْمُسْلِمِينَ؟"
فَقِيلَ:
"هُمْ مَعَ ٱلْقَوْمِ". رَوَاهُ ٱلْبُخَارِيُّ، وَمُسْلِمٌ

وَٱلْمَقْصُودُ: أَوْلَادُ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُشْرِكِينَ ٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا سِنَّ ٱلتَّكْلِيفِ، وَمَاتُوا عَلَى ٱلْفِطْرَةِ، فَهُمْ مَحْفُوظُونَ عِندَ ٱللَّهِ.

وَكَانَ سَيِّدُنَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ هُوَ مَظْهَرَ ٱلرَّحْمَةِ وَٱلْحَنَانِ حَتَّى بَعْدَ وَفَاتِهِ.

ثُمَّ صَعِدَ ٱلْمَلَكَانِ بِٱلنَّبِيِّ ﷺ فِي ٱلشَّجَرَةِ ٱلَّتِي هِيَ فِي ٱلرَّوْضَةِ ٱلْخَضْرَاءِ، فَأَدْخَلَاهُ دَارًا جَمِيلَةً لَمْ يَرَ قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهَا، وَكَانَ فِيهَا رِجَالٌ شُيُوخٌ، وَشَبَابٌ، وَنِسَاءٌ.

فَسَأَلَ عَنْهَا، فَقِيلَ لَهُ:
"هَذِهِ دَارُ ٱلْعَامَّةِ مِنْ أُمَّتِكَ".

ثُمَّ أُخْرِجَ مِنْهَا، فَصَعِدَا بِهِ إِلَى دَارٍ هِيَ أَحْسَنُ وَأَفْضَلُ، فِيهَا أَيْضًا شُيُوخٌ وَشَبَابٌ. فَقِيلَ لَهُ:
"هَذِهِ دَارُ ٱلشُّهَدَاءِ".

فَٱلْجَنَّةُ دَرَجَاتٌ، بِحَسَبِ ٱلْعَمَلِ، وَٱلتَّقْوَى، وَٱلْجِهَادِ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ.

ثُمَّ قَالَا لَهُ:

"أَنَا جِبْرِيلُ، وَهَذَا مِيكَائِيلُ، فَٱرْفَعْ رَأْسَكَ".

فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَإِذَا فَوْقَهُ مِثْلُ ٱلسَّحَابِ، فَقِيلَ لَهُ:

"هَذَا مَنْزِلُكَ".

فَقَالَ:

"ذَرَانِي أَدْخُلْ مَنْزِلِي".

فَقِيلَ لَهُ:

"إِنَّهُ بَقِيَ لَكَ عُمْرٌ لَمْ تَسْتَكْمِلْهُ، فَلَوِ ٱسْتَكْمَلْتَهُ، أَتَيْتَ مَنْزِلَكَ". رَوَاهُ ٱلْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ

فَلِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ، وَلِكُلِّ نَعِيمٍ مَوْعِدٌ.

قَالَ تَعَالَى:

﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾
ٱلْأَعْرَاف: ١٥٦

فَضْلُ ٱلتَّوَسُّطِ وَٱلِاعْتِدَالِ فِي ٱلْعِبَادَةِ

فِي زَمَنِ ٱلنَّبِيّ ﷺ،
جَاءَ ثَلَاثَةُ رِجَالٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ ٱلنَّبِيِّ ﷺ،
يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ ﷺ،
فَلَمَّا أُخْبِرُوا بِهَا، كَأَنَّهُمْ ٱسْتَغْرَبُوا وَتَقَالُّوهَا، فِي أَقْوَالِهِمْ:

- قَالَ ٱلْأَوَّلُ: "أَمَّا أَنَا فَأُصَلِّي ٱللَّيْلَ أَبَدًا".
- وَقَالَ ٱلثَّانِي: "وَأَنَا أَصُومُ ٱلدَّهْرَ وَلَا أُفْطِرُ".
- وَقَالَ ٱلثَّالِثُ: "وَأَنَا أَعْتَزِلُ ٱلنِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا".

فَلَمَّا بَلَغَ ٱلنَّبِيَّ ﷺ مَا قَالُوهُ، خَطَبَ فِي ٱلنَّاسِ، وَقَالَ:
"أَمَا وَٱللَّهِ، إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ، وَأَتْقَاكُمْ لَهُ،
وَلَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ،
وَأَتَزَوَّجُ ٱلنِّسَاءَ،
فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي". *رواه البخاري ومسلم*

فَٱلْإِسْلَامُ لَا يَدْعُو إِلَى ٱلتَّشَدُّدِ ٱلْمُرْهِقِ،
وَلَا إِلَى ٱلتَّفْرِيطِ وَٱلتَّقْصِيرِ،
بَلْ هُوَ دِينُ ٱلِاعْتِدَالِ وَٱلْيُسْرِ،
وَمِنْ خَصَائِصِهِ رَفْعُ ٱلْحَرَجِ وَٱلتَّيْسِيرُ لِلْمُؤْمِنِينَ.

أمثلة على التيسير:

- تُسْقَطُ بَعْضُ ٱلْفُرُوضِ عَنِ ٱلْعَاجِزِ.
- تَجُوزُ قَضَاءُ ٱلصَّلَاةِ لِلْحَائِضِ وَٱلْمُرْضِعَةِ.
- يَجُوزُ قَصْرُ ٱلصَّلَاةِ لِلْمُسَافِرِ.
- يُبَاحُ أَكْلُ ٱلْمَيْتَةِ لِلْمُضْطَرِّ.
- يُسْمَحُ بِكَشْفِ ٱلْعَوْرَةِ لِلطَّبِيبِ .

•يُجوزُ ٱلْجَمْعُ بَيْنَ ٱلصَّلَوَاتِ فِي ٱلْمَطَرِ.

وَٱلْقَاعِدَةُ ٱلْفِقْهِيَّةُ ٱلْعَظِيمَةُ:

"ٱلْمَشَقَّةُ تَجْلِبُ ٱلتَّيْسِيرَ".

قَالَ ﷺ:

"لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي، لَأَمَرْتُهُمْ بِٱلسِّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ". *رواه البخاري ومسلم*

فَٱلْعِبَادَةُ فِي ٱلْإِسْلَامِ يَجِبُ أَنْ تَكُونَ سَهْلَةً مَيْسُورَةً،
فَلَا نُشَدِّدْ عَلَى ٱلنَّفْسِ حَتَّى ٱلتَّعَبِ وَٱلْإِرْهَاقِ.

وَإِنْ كَانَتْ بَعْضُ ٱلْعِبَادَاتِ تَتَطَلَّبُ مُجَاهَدَةً وَتَحَمُّلًا لِلْمَشَقَّةِ،
فَهِيَ فِي وُسْعِ ٱلْإِنْسَانِ وَقُدْرَتِهِ،
وَسَيُثِيبُنَا ٱللَّهُ عَلَيْهَا أَجْرًا عَظِيمًا.

قَالَ تَعَالَى:

﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ *الزمر: ١٠*

أَبْشِرْ يَا ثَابِتُ، فَإِنَّ لَكَ حُورًا عِينًا

رُوِيَ أَنَّ **ثَابِتَ الْبُنَانِيَّ** رَحِمَهُ اللَّهُ، وَكَانَ مِنْ أَفَاضِلِ التَّابِعِينَ، كَانَ يُكْثِرُ مِنَ الصَّلَاةِ وَالْقِيَامِ وَالصِّيَامِ.
وَقَالَ :**اللَّهُمَّ إِنْ أَعْطَيْتَنِي الْحُورَ الْعِينَ فِي الْجَنَّةِ، فَاجْعَلْهُنَّ يُنَادِينَنِي فِي كُلِّ صَلَاةٍ:**
"أَبْشِرْ يَا ثَابِتُ، فَإِنَّ لَكَ عِندَ اللَّهِ حُورًا عِينًا." *ابن الجوزي*

وَكَانَ إِذَا قَامَ مِنْ نَوْمِهِ لِلتَّهَجُّدِ، يَقُولُ لِنَفْسِهِ:
"قُومِي يَا نَفْسُ، فَوَاللَّهِ لَأُزَاحِمَنَّ عَلَى الْحُورِ الْعِينِ زِحَامًا لَا يُقَالُ فِيهِ: مَرِيضٌ، وَلَا مُتْعَبٌ".
حلية الأولياء

وَقِيلَ عَنْهُ: كَانَ يَبْكِي كَثِيرًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ.
وَإِذَا سَمِعَ آيَاتِ الْجَنَّةِ وَمَا فِيهَا مِنَ النَّعِيمِ، سَكَنَ قَلْبُهُ، وَاشْتَدَّ شَوْقُهُ.

ذُكِرَ عَنْ رَجُلٍ مِنَ السَّلَفِ "قِيلَ هُوَ **أَبُو حَازِمٍ**" أَنَّهُ سَمِعَ قَارِئًا يَتْلُو قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى:
﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ *الرحمن: ٧٠-٧٢*

فَصَاحَ صَيْحَةً، وَقَالَ:
"يَا لَهَا مِنْ مَنْزِلَةٍ! مَنْ لِي بِهَا؟
لَئِنْ نِلْتُهَا، لَأَشْكُرَنَّ اللَّهَ سَاجِدًا، وَلَأَصُومَنَّ الدَّهْرَ، وَلَأُقِيمَنَّ اللَّيْلَ". *ابن الجوزي*

فَبَكَى حَتَّى غُشِيَ عَلَيْهِ.
وَقِيلَ :**مَاتَ مِنْ شِدَّةِ الشَّوْقِ.**

الْحُورُ الْعِينُ هُنَّ نِسَاءُ الْجَنَّةِ، جَعَلَهُنَّ اللَّهُ جَزَاءً لِمَنْ أَطَاعَهُ.
وَكَانَ **السَّلَفُ** يَتَذَكَّرُونَهُنَّ فِي لَيْلِهِمْ وَنَهَارِهِمْ.
وَيَشْتَدُّ شَوْقُهُمْ لِلنَّظَرِ إِلَيْهِنَّ وَمُجَالَسَتِهِنَّ، لَا لِشَهْوَةٍ، وَلَكِنْ طَلَبًا لِمَا وَعَدَ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ الْمُخْلَصِينَ.

قَالَ **الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ** رَحِمَهُ اللَّهُ:
"يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ لَنْ تَنَالَ مَا عِنْدَ اللَّهِ حَتَّى تَتْرُكَ مَا تَهْوَى،
وَلَنْ تَنَالَ الْحُورَ الْعِينِ إِلَّا بِصِدْقِ التَّوْبَةِ وَطُولِ الْمُجَاهَدَةِ". الزهد، أحمد بن حنبل

وَعَنْ **مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ **رَسُولُ اللَّهِ** ﷺ:
"لَا تُؤْذِي امْرَأَةٌ زَوْجَهَا فِي الدُّنْيَا، إِلَّا قَالَتْ زَوْجَتُهُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ:
لَا تُؤْذِيهِ، قَاتَلَكِ اللَّهُ، فَإِنَّمَا هُوَ عِنْدَكِ دَخِيلٌ، يُوشِكُ أَنْ يُفَارِقَكِ إِلَيْنَا". رواه الترمذي

فَهَذِهِ **بُشْرَى عَظِيمَةٌ** لِأَهْلِ الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ.
فَإِنَّ **عَامَّةَ أَهْلِ الْإِسْلَامِ** يَتَزَوَّجُونَ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ **اثْنَتَيْنِ**، كَمَا جَاءَ فِي مَعَانِي الْأَثَرِ.
وَأَمَّا **الشُّهَدَاءُ**، فَلَهُمْ **اثْنَتَانِ وَسَبْعُونَ حُورِيَّةً**، رواه الترمذي فَلِلشَّهِيدِ مَنْزِلَةٌ خَاصَّةٌ.

وَزَوْجَةُ الْمُؤْمِنِ إِذَا دَخَلَتِ الْجَنَّةَ، فَإِنَّهُ **يَتَزَوَّجُهَا**،
فَإِنْ كَانَ يَبْغَضُهَا، **نَزَعَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ**
وَإِنْ دَخَلَتْ هِيَ الْجَنَّةَ وَلَمْ يَدْخُلْ هُوَ، فَإِنَّ اللَّهَ **يَخْلُقُ لَهَا زَوْجًا خَيْرًا**.

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِي حَدِيثِ **الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:
"يُقَالُ: افْرِشُوا لَهُ فِرَاشًا مِنَ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ،
فَيَأْتِيهِ مِنْ رِيحِهَا وَطِيبِهَا وَنَعِيمِهَا". رواه أحمد

السِّحرُ والابتلاءُ الأعظمُ في بابل

كانتْ بابلُ مِن أَكثَرِ بِلادِ الأَرضِ شُهرةً في مُمارَسةِ السِّحرِ،
فقد تَفشّى فيها **السَّحَرةُ**، وتَسلَّطوا على النّاسِ،
واتَّخَذوا **السِّحرَ وسيلةً لتَسخيرِ العَوامِّ**،
وادّعَوا أنَّ ما يقومونَ به **مُعجزاتٌ، وليستْ شَعوذَةً!**
فخَدَعوا الناسَ، ودَفَعوهم لِعبادةِ الأصنامِ والكواكِبِ،
فانتشرَ الفَسادُ، وسادَتِ الخُرافةُ، وضاعَ التَّوحيدُ بينَ الأباطيلِ.

فأنزلَ اللهُ تعالى **هاروتَ وماروتَ،**
وَهُما **مَلَكانِ على الحَقيقةِ**، ابتِلاءً واختبارًا للنّاسِ،
ليُعَلِّما الناسَ السِّحرَ **لا لاستِعمالِه، بل ليفضَحا كذِبَ السَّحَرةِ** الذينَ ادَّعَوا النُّبوّةَ والمعجزاتِ**!**
حتّى يَعلَمَ الناسُ أنَّ هؤلاءِ السَّحَرةَ **إنّما هم أفّاكُونَ**، وَليَعرِفوا **حَقيقةَ السِّحرِ فيَجتَنِبوهُ،**
فإنَّ مَن لَم يَعرِفِ الشَّرَّ، وَقَع فيهِ.

وكانا يقولانِ لكلِّ من أرادَ التَّعلُّم: ﴿ **إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ** ﴾، *البقرة: ١٠٢*
فمن تَعلّمهُ ليُفَرّقَ ويُفسِدَ ويَضُرَّ، **ضلَّ وغَوى،**
ومَن تَعلّمهُ ليَعرِفَ بِهِ الشَّرَّ فيَحذَرَه، **فهوَ على نورٍ وهُدى.**
قال تعالى: ﴿ **فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ** ﴾، *البقرة: ١٠٢*

وقد ذَكرَ اللهُ **أخطرَ صُوَرِ السِّحرِ**، وهي **تفريقُ الرَّجُلِ عن زَوجتِه،**
لأنَّها **تَمسُّ الأُسرةَ، وتُفسِدُ أَوثَقَ رابطةٍ بَشريّة.**
لكنَّ اللهَ طَمأنَ عِبادَهُ بقَولِه:
﴿ **وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ** ﴾، *البقرة: ١٠٢*
فالسَّاحِرُ لا يَملِكُ ضَرًّا ولا نَفعًا، وما يَقعُ من أذاه **إنّما هو بقدرِ اللهِ واختبارِه،**
ولكِنَّ الذي يَضُرُّ الإنسانَ حقًّا: هو **ظَنُّهُ أنَّ السَّاحِرَ أوِ الكاهنَ يَملِكُ له نفعًا أو ضَرًّا،**

أو أنَّ بيدِه **شِفاءً أو فكًّا، أو أنَّه يُحِلُّ "المربوط!"**
فهذا **شِركٌ خَفِيٌّ، يُهلِكُ قلبَ المؤمنِ قبلَ جَسَدِه.**

فاستَعِذْ باللهِ **السَّميعِ العَليم**، وقل ثلاثًا:
"أَعُوذُ بِاللَّهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ"
وقل:"**بِسْمِ اللَّهِ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ، وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**"

فهذه **حُصُونٌ نَبَوِيّةٌ** تَحفَظُكَ من شرِّ السِّحرِ والشَّياطينِ **بإذنِ اللهِ.**
ومَن أَرادَ الاستزادةَ، **فعليهِ بكتابِ: "حِصْنِ المُسلِمِ."**

وفي زمانِنا... ظَهَرَ مَن **يَدَّعي مَعرِفةَ المصيرِ**، ويَزعُمُ أنَّ **بِيَدِهِ مَفاتيحَ الغيبِ،**
يقول تعالى:
﴿ **قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ** ﴾، النمل: ٦٥
الغيبُ بيدِ اللهِ، لا نبيٌّ، ولا مَلَكٌ، ولا وَلِيٌّ يَملِكُه.
فكيفَ بِكَاهِنٍ أَوْ قارِئِ فِنْجانٍ أَوْ بائِعِ أَحْجارٍ؟!
هُمْ يَبْتَزُّونَ النَّاسَ وَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالْبَاطِلِ،
يَدَّعُونَ "فَكَّ السِّحْرِ"، وَ"فَتْحَ النَّصِيبِ"، وَ"تَشْخِيصَ الْمَرَضِ"،
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
"**مَن أَتَى كَاهِنًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ يَوْمًا**". رَوَاهُ مُسْلِمٌ
وَإِن صَدَّقَهُ؟
قَالَ ﷺ: **مَن أَتَى كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ**" . رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
"**مَن تَعَلَّقَ بِشَيْءٍ وُكِلَ إِلَيْهِ.**" رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ.
فَإِنْ تَعَلَّقْتَ بِسَاحِرٍ أَوْ دَجَّالٍ، وُكِلْتَ إِلَيْهِ، وَتُرِكْتَ وَخُذِلْتَ.
وإِنْ عَلَّقْتَ قَلْبَكَ بِاللَّهِ، كَفَاكَ. فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَحْدَهُ.

الفصلُ الثاني:

حَولَ بَعضِ أَسماءِ اللهِ الحُسنى المُزدَوِجَةِ وتَطْبيقُها في الحَياةِ

﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

" الأعراف: ١٨٠"

الدُّعَاءُ بِأَسْمَاءِ اللهِ الْحُسْنَى وَأَثَرُهَا فِي الْعِبَادَةِ

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:

صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَكَّةَ ذَاتَ يَوْمٍ، فَدَعَا اللَّهَ تَعَالَى فَقَالَ:

"يَا اللَّهُ، يَا رَحْمَنُ".

فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ :**انْظُرُوا إِلَى هَذَا الصَّابِئِ، يَنْهَانَا أَنْ نَدْعُوَ إِلَهَيْنِ، وَهُوَ يَدْعُو إِلَهَيْنِ!**

فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى قَوْلَهُ:

﴿ قُلِ ٱدْعُوا ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ *الإسراء: ١١٠*

وَمَعْنَى **"ٱدْعُوا "**هُنَا :*سَمُّوا*.

أَيْ: قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِلنَّاسِ: سَمُّوا الْمَعْبُودَ بِحَقٍّ بِلَفْظِ **"اللَّهِ** "أَوْ بِلَفْظِ **"الرَّحْمَنِ"**، فَأَيًّا مَا سَمَّيْتُمُوهُ، فَقَدْ أَصَبْتُمْ.

فَلَهُ **الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى**، أَيْ: الْأَحْسَنُ مِنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ.

وَمَا دَامَتْ أَسْمَاؤُهُ كُلُّهَا **حُسْنَى**، فَإِنَّ لَفْظَ **"اللَّهِ** "وَلَفْظَ **"الرَّحْمَنِ** "كِلَيْهِمَا حَسَنٌ.

والدُّعَاءُ بِأَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى يَكُونُ بِمَا يُنَاسِبُ الْحَالَ وَالطَّلَبَ،

- فَالدُّعَاءُ بِالرِّزْقِ يَكُونُ بِـ" :**يَا رَزَّاقُ"**،
- وَالدُّعَاءُ بِالتَّوْبَةِ بِـ" :**يَا تَوَّابُ"**،

كَأَنْ تَقُولَ:

"تُبْ عَلَيَّ يَا تَوَّابُ، وَارْزُقْنِي يَا رَزَّاقُ".

قَالَ ﷺ:

"مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ"

أَيْ: مَنْ عَرَفَ مَعَانِيَهَا وَدَلَالَاتِهَا، فَذَكَرَهَا بِلِسَانِهِ، وَتَفَكَّرَ فِي مَدْلُولَاتِهَا.

وَأَكْثَرُ هَذِهِ الْأَسْمَاءِ يُجْزِئُ ذِكْرُهَا مُفْرَدَةً، مِثْلَ:

" •يَا اللَّهُ"

" •**يَا رَحْمَنُ**"

" •**يَا رَزَّاقُ**"

أَمَّا بَعْضُ الْأَسْمَاءِ فَلَا يُسْتَحَبُّ ذِكْرُهَا مُنْفَرِدَةً، تَأَدُّبًا مَعَ اللَّهِ تَعَالَى، مِثْلَ:

•لَا يُقَالُ" :**يَا مُمِيتُ**"، أَوْ "**يَا ضَارُّ** "فَقَطْ،

•بَلْ يُقَالُ" :**يَا مُحْيِي يَا مُمِيتُ**"، وَ"يَا نَافِعُ يَا ضَارُّ"،

تَجَنُّبًا لِمَا قَدْ يُوهِمُ مَعْنًى لَا يَلِيقُ بِجَلَالِهِ.

قَالَ الإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ:

"**أَفْضَلُ الدُّعَاءِ وَأَجْوَبُهُ، مَا تُوُسِّلَ فِيهِ الدَّاعِي إِلَى اللَّهِ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ**".

لِذَلِكَ، لَا بُدَّ أَنْ تَعِيشَ **الْأَسْمَاءَ الْحُسْنَى** لِتَعْرِفَ أَسْرَارَهَا.

وَالدُّعَاءُ بِأَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى، إِنْ كَانَ أَثْنَاءَ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، فَلْيَتَوَقَّفْ عِنْدَهَا، وَيُكَرِّرْهَا، وَيَدْعُ بِهَا فِي كُلِّ حَالٍ.

فَإِنَّ أَسْمَاءَ اللَّهِ **لَيْسَتْ لِلْعِلْمِ فَقَطْ، بَلْ لِلتَّعَبُّدِ، وَالتَّوَجُّهِ، وَالرَّجَاءِ.**

وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لِلْعَبْدِ حَظٌّ مِنَ الدُّعَاءِ إِلَّا **التَّذَلُّلَ، وَالتَّسْبِيحَ، وَالتَّمْجِيدَ**، لَكَفَاهُ ذَلِكَ، **فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُنْكَسِرِينَ بَيْنَ يَدَيْهِ، الْمُسَبِّحِينَ لِاسْمِهِ، الْمُمَجِّدِينَ لِجَلَالِهِ**، حَتَّى يَطْمَئِنَّ الْقَلْبُ، وَيَسْكُنَ الذِّهْنُ.

قَالَ ﷺ: "**مَنْ شَغَلَهُ ذِكْرِي عَنْ مَسْأَلَتِي، أَعْطَيْتُهُ أَفْضَلَ مَا أُعْطِي السَّائِلِينَ** ". *رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ*

وَاعْلَمْ يَقِينًا أَنَّ: "**اسْمَ اللَّهِ، أَعْظَمُ مِنْ كُلِّ سِرٍّ**".

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿**وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ**﴾ *العنكبوت: ٤٥*

ٱلرَّحۡمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ
ٱلدُّعَاءُ بِهَٰذَا ٱلِاسْمِ بِنِيَّةِ: ٱلثَّنَاءِ، وَٱلْحَمْدِ، وَٱلِابْتِدَاءِ

لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ

أَرْسَلَ سَيِّدُنا سُلَيْمانُ عليهِ السَّلامُ كِتابًا إِلىٰ مَلِكَةِ سَبَأٍ، بِلْقِيس،
يَدْعُوها فيهِ إِلىٰ عِبادةِ اللهِ وَحْدَه، وكانَ افْتِتاحُ هذا الكِتابِ بقَوْلِه تَعالىٰ:
﴿ **إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ** ﴾. سورة النمل

فكانَتْ "**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيم** "افْتِتاحَ رِسالةٍ مَلَكِيَّةٍ مِن نَبِيٍّ إِلىٰ مَلِكةٍ.
وَبِهٰذا أَظْهَرَ سُلَيْمانُ عليهِ السَّلامُ أَنَّ القُوَّةَ وَالمُلْكَ لا يُغْنِيانِ عنِ التَّوَكُّلِ على اللهِ،
وَلا عنْ ذِكْرِهِ في البِدايَة.

فَهذا الِافْتِتاحُ لَيْسَ مُجَرَّدَ صِيغَةٍ بَلاغِيَّةٍ،
بَلْ هُوَ إِعْلانٌ واضِحٌ بِأَنَّ المُلْكَ وَالنُّبُوَّةَ وَالقُوَّةَ كُلَّها تَسْتَمِدُّ شَرْعِيَّتَها وَبَرَكَتَها مِنَ اللهِ تَعالىٰ.
فَإِنَّ اسْتِحْضارَ اسْمِ اللهِ في كُلِّ بَدايَةٍ، سَواءٌ في القَوْلِ أَوِ العَمَلِ،
هُوَ مِفْتاحُ التَّوْفيقِ وَسَبَبُ البَرَكَةِ.
وَفي ذِكْرِ "الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ" تَذْكِيرٌ بِجَمالِ صِفاتِ اللهِ،
مِمَّا يُهَيِّئُ النُّفوسَ لِتَقَبُّلِ الدَّعْوَةِ وَيَكْسِرُ حاجِزَ الخَوفِ وَالرَّهْبَةِ.

وَعِنْدَما قَرَأَتْ بِلْقِيسُ الرِّسالةَ، فَهِمَتْ أَنَّ سُلَيْمانَ عليهِ السَّلامُ لا يَعْتَمِدُ على سُطْوَتِهِ،
بَلْ يَسْتَمِدُّ قُوَّتَهُ مِنَ اللهِ.
فَتَأَثَّرَتْ بِذٰلِكَ، وَبَدَأَتْ رِحْلَتَها نَحْوَ الإِسْلامِ،
حَتّىٰ خَتَمَتْها بِكَلِماتِ الإِيمانِ وَالإِخْلاصِ، قَائِلَةً:

﴿ **رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ** ﴾ النمل، ٤٤

جاءَ في الحديثِ القُدُسِيِّ، عنِ النَّبِيِّ ﷺ، فيما يرويهِ عن رَبِّهِ ﷻ، أنَّهُ قالَ:

"قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ،
فَإِذَا قَالَ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، قَالَ اللَّهُ: حَمِدَنِي عَبْدِي،
وَإِذَا قَالَ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، قَالَ اللَّهُ: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي"... رَوَاهُ مُسْلِم

فَكُلَّمَا قُلْتَهَا بِقَلْبٍ حَاضِرٍ، رُفِعَ ذِكْرُكَ عِندَ رَبِّكَ، **وَسُجِّلَ لَكَ ثَنَاءٌ فِي الْمَلَإِ الْأَعْلَى.**

وَجَمِيعُ ٱسْتِعْمَالَاتِ هَذَيْنِ ٱلِاسْمَيْنِ مُقْتَرِنَيْنِ فِي ٱلْقُرْآنِ ٱلْكَرِيمِ،
جَاءَتْ فِي سِيَاقِ ٱلثَّنَاءِ عَلَى اللَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ، مِنْهَا:
﴿تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ فُصِّلَتْ: ٢

فَكَانَ أَعْظَمُ نَفْعٍ مِنَ اللَّهِ عَلَى هَذَا ٱلْعَالَمِ: إِنْزَالُ ٱلْقُرْآنِ،
ٱلنَّاشِئُ عَنْ رَحْمَتِهِ وَلُطْفِهِ بِخَلْقِهِ.

فَأَثْنُوا عَلَى اللَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ،
وَاحْمَدُوهُ، وَمَجِّدُوهُ، وَٱبْدَؤُوا بِهِ فِي كُلِّ أَمْرٍ،
لِنَظَلَّ فِي صِلَةٍ دَائِمَةٍ بِٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ.

لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
"أَعُوذُ بِكَ مِنْكَ، لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ"
رَوَاهُ مُسْلِم.

لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ
لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ

كَرِّرْهَا، وَكُلَّمَا قُلْتَهَا، وَجَدْتَ نَفْسَكَ فِي ظِلِّ رَحْمَتِهِ.

ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَلِيمُ
نِيَّةُ ٱلذِّكْرِ: تَحْسِينُ ٱلنِّيَّةِ، وَتَهْذِيبُ ٱلطَّوِيَّةِ، وَلِطَلَبِ ٱلسِّتْرِ وَٱلتَّوْبَةِ
لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ، ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَلِيمُ

بَشَّرَ سُبْحَانَهُ بِشَارَةً عَظِيمَةً لِكُلِّ مَنْ هَاجَرَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ، فَتَرَكَ وَطَنَهُ وَأَهْلَهُ وَمَالَهُ طَلَبًا لِرِضَا ٱللَّهِ وَنَصْرَةً لِدِينِهِ، فَقَدْ ضَمِنَ ٱللَّهُ لَهُ ٱلْأَجْرَ، سَوَاءٌ مَاتَ فِي سَبِيلِهِ أَوِ ٱسْتُشْهِدَ.

وَقَدْ وَعَدَهُ ٱللَّهُ بِرِزْقٍ حَسَنٍ:

- فِي ٱلدُّنْيَا: رِزْقٌ وَاسِعٌ مُبَارَكٌ.
- وَفِي ٱلْبَرْزَخِ وَيَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ: نَعِيمُ ٱلْجَنَّةِ ٱلْكَامِلُ، رُوحًا وَبَدَنًا.

وَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَخَافَ ٱلْمُهَاجِرُ مِنَ ٱلْفَقْرِ، فَقَدْ تَكَفَّلَ ٱللَّهُ بِرِزْقِهِ، وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّازِقِينَ.

وَقَدْ تَحَقَّقَ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ فِعْلًا، فَٱلْمُهَاجِرُونَ ٱلْأَوَائِلُ تَرَكُوا كُلَّ شَيْءٍ لِلَّهِ، ثُمَّ فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضَ، وَأَغْنَاهُمْ مِن فَضْلِهِ. قَالَ تَعَالَىٰ:

"وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّازِقِينَ " الحج: ٥٨

"لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ " الحج: ٥٩

أَي: هُوَ سُبْحَانَهُ عَلِيمٌ بِنِيَّاتِكُمْ، وَبِمَنْ خَرَجَ مُجَاهِدًا فِي سَبِيلِهِ، وَبِمَنْ خَرَجَ فِي طَلَبِ ٱلدُّنْيَا، وَحَلِيمٌ فَلَا يُعَاجِلُ فِي إِيقَاعِ ٱلْعُقُوبَةِ عَلَى ٱلْعُصَاةِ، بَلْ يَسْتُرُ وَيُؤَخِّرُ.

ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَلِيمُ: عَلِيمٌ بِمَا يُضْمِرُهُ ٱلْعِبَادُ، حَلِيمٌ لَا يُعَاجِلُ بِٱلْعُقُوبَةِ، يَسْتُرُ وَيُنْذِرُ، لَعَلَّهُمْ يَتُوبُونَ.

وَهوَ عَلِيمٌ بِمَا قَدْ يَقَعُ مِنْكُمْ مِنْ ضَرَرٍ فِي ٱلْوَصِيَّةِ، كَأَنْ:

- يُجَاوِزَ ٱلثُّلُثَ،
- أَوْ يُوصِيَ بِدَيْنٍ لَيْسَ عَلَيْهِ،
- أَوْ يَدَّعِيَ أَنَّهُ ٱسْتَرَدَّ دَيْنَهُ وَهُوَ لَمْ يَفْعَلْ،

وَحَلِيمٌ لَا يُعَاجِلُ بِٱلْعُقُوبَةِ، بَلْ يُمْهِلُ لَعَلَّهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ وَيَتُوبُونَ.

قَالَ تَعَالَى:

"مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ ۚ وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ " *النساء: ١٢*

وَهُوَ سُبْحَانَهُ عَلِيمٌ بِمَا فِي قُلُوبِ ٱلرِّجَالِ مِنْ مَيْلٍ إِلَىٰ بَعْضِ ٱلنِّسَاءِ دُونَ بَعْضٍ، وَحَلِيمٌ لَمْ يُعَاجِلْ بِٱلْعُقُوبَةِ، بَلْ أَرْشَدَ وَعَلَّمَ:

"وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا " *الأحزاب: ٥١*

فَيَنْبَغِي عَلَى ٱلْعَبْدِ أَنْ يُرَاقِبَ ٱللَّهَ بِقَلْبِهِ كَمَا يُرَاقِبُهُ بِعَمَلِهِ، فَلَا يُضْمِرَ مَا لَا يُرْضِي ٱللَّهَ، فَإِنْ فَعَلَ، ٱسْتَحَقَّ ٱلْعُقُوبَةَ، لَكِنَّ ٱللَّهَ لَا يُعَامِلُهُ بِهَا؛ لِأَنَّهُ ٱلْحَلِيمُ.

فَإِنْ أَرَدْتَ أَنْ تُعَامَلَ بِٱلْحِلْمِ، فَكُنْ نَقِيَّ ٱلسَّرِيرَةِ، صَادِقَ ٱلنِّيَّةِ.

نَقِّ قَلْبَكَ مِنَ ٱلرِّيَاءِ، وَحَسِّنْ نِيَّتَكَ فِي كُلِّ قَوْلٍ وَفِعْلٍ،

فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ بِهَا قَبْلَ أَنْ تَنْطِقَ.

وَٱسْتَعِنْ بِٱلْعَلِيمِ ٱلْحَلِيمِ عَلَىٰ كُلِّ ذَٰلِكَ.

لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَلِيمُ. "كَرِّرْهَا خُشُوعًا".

ٱلْعَلِيُّ ٱلْحَكِيمُ

ٱلنِّيَّةُ :ٱلتَّوَسُّلُ إِلَى ٱللَّهِ لِطَلَبِ نُورِ ٱلْإِلْهَامِ، وَفَتْحِ ٱلْبَصِيرَةِ، وَرُؤْيَةِ ٱلْخَيْرِ، وَفَهْمِ كَلَامِهِ ٱلْحَكِيمِ

لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْحَكِيمُ

قالت اليهودُ للنبي ﷺ:
"ألا تُكلِّمُ اللهَ وتَنظُرُ إليه إن كنتَ نبيًّا كما كَلَّم موسى ونظر إليه؟ فإنّا لن نؤمن لك حتى تفعل ذلك"!

فقال ﷺ: "**لم ينظر موسى إلى الله**".

فأنزل الله قوله: ﴿**وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ**﴾ الشورى: ٥١

وقد دلت هذه الآية الكريمة على أن **تكليم الله تعالى للبشر** يقع على **ثلاثة أوجه:**

ٱلْإِلْقَاءُ فِي ٱلْقَلْبِ: (إلهامًا أو رؤيا).
ويقع ذلك **يقظةً أو منامًا**، ويشمل **الإلهام** و**الرؤيا الصادقة.**

ٱلْإِسْمَاعُ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ:
كتكليم الله لموسى ﷺ **دون أن يرى المتكلِّم.**

إِرْسَالُ مَلَكٍ:
يُبَلِّغُ النبيَّ كلامَ الله، كما في حديث عائشة رضي الله عنها، أن النبي ﷺ قال:
"**يأتيني أحيانًا مثل صلصلة الجرس... وأحيانًا يتمثَّل ليَ الملَكُ رجلًا فيُكلِّمني**". رواه النسائي

وقال الله تعالى عن القرآن الكريم: ﴿**وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ**﴾. الزخرف: ٤

قال ﷺ: "**فضلُ كلام الله على سائر الكلام كفضلِ الله على خلقه**". رواه الترمذي

فَبَعْدَ ٱنْقِطَاعِ ٱلرِّسَالَاتِ، بَقِيَ بَيْنَ أَيْدِينَا وَحْيَانِ:

- **وَحْيُ ٱلْقُرْآنِ**
- **وَوَحْيُ ٱلرُّؤْيَا ٱلصَّالِحَةِ وَٱلْإِلْهَامِ**

فاستعن بـ**ٱللَّهِ ٱلْعَلِيِّ ٱلْحَكِيمِ،**
ٱلَّذِي يُلْقِي فِي قُلُوبِ أَوْلِيَائِهِ **نُورًا مِّن رُوحِهِ:**
إلهامًا، وفهمًا لكتابه، ورؤيا صادقة...

فَيُصْبِحُونَ بِنُورِهِ يَمْشُونَ، وَبِحِكْمَتِهِ يَنْطِقُونَ، وَبِهِ يَهْتَدُونَ.

فَخُذْ مِنْ وَحْيِ ٱلْقُرْآنِ مَا يُصَوِّبُ طَرِيقَكَ،

إنه "عليٌّ حكيم" من "عليٍّ حكيم!"

وإذا أردتَ **الإلهام**، و**الرؤيا الصالحة**،
فعليك بـ**ٱلْعَلِيّ ٱلْحَكِيمِ**، ليساعدك على فهم كلامه، وتدبّره، والعمل به.

قال تعالى:

﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَاتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِي ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ *غافر: ١٥*

وقال الحسن البصري رحمه الله:
"إذا أردتَ أن يُكَلِّمَكَ الله، فعليكَ بقراءةِ القرآن".

لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْحَكِيمُ
متوسلًا إليه بطلب نور الإلهام، وفتح البصيرة، ورؤية الخير، وفهم كلامه الحكيم.

الْحَيُّ الْقَيُّومُ

ٱلدُّعَاءُ بِهذَا ٱلِاسْمِ بِنِيَّةِ :ٱلِاسْتِغَاثَةِ، وَٱلتَّوْبَةِ، وَإِصْلَاحِ ٱلشَّأْنِ، وَٱلتَّوَكُّلِ عَلَى ٱللَّهِ
لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ

حِينَ قَدِمَ وَفْدُ نَجْرَانَ — وَكَانُوا سِتِّينَ رَاكِبًا، وَفِيهِمْ أَرْبَعَةَ عَشَرَ مِنْ أَشْرَافِهِمْ — عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، جَادَلُوهُ فِي شَأْنِ عِيسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ،

فَقَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ:

"أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ لَا يَكُونُ وَلَدٌ إِلَّا وَهُوَ يُشْبِهُ أَبَاهُ؟"

قَالُوا: بَلَى،

قَالَ" :**أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَبَّنَا حَيٌّ لَا يَمُوتُ، وَأَنَّ عِيسَىٰ قَدْ أَتَىٰ عَلَيْهِ الْفَنَاءُ؟"**

قَالُوا: بَلَى،

قَالَ" :**أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَبَّنَا قَيُّومٌ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ، يَحْفَظُهُ وَيَرْزُقُهُ؟"**

قَالُوا: بَلَى،

قَالَ" :**فَهَلْ يَمْلِكُ عِيسَىٰ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا؟"**

قَالُوا: لَا،

قَالَ" :**فَإِنَّ رَبَّنَا صَوَّرَ عِيسَىٰ فِي الرَّحِمِ كَيْفَ يَشَاءُ"**. *تفسير الطبري، وابن كثير،*

وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ — أَي إِذَا أَهَمَّهُ شَيْءٌ — يَقُولُ:

"يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ، أَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، وَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ".

أخرجه النسائي

أَيْ:

•**أَصْلِحْ لِي أَمْرِي كُلَّهُ** :فِي بَيْتِي، وَأَهْلِي، وَجِيرَانِي، وَأَصْحَابِي، وَعَمَلِي، وَدِرَاسَتِي، وَفِي نَفْسِي، وَقَلْبِي، وَصِحَّتِي، وَسَائِرِ شُؤُونِي.

•**وَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ** :أَي لَا تَتْرُكْنِي لَحْظَةً وَاحِدَةً لِعَجْزِي وَضَعْفِي، بَلْ أَعِنِّي بِقُوَّتِكَ وَقُدْرَتِكَ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ . البَقَرَة: ٢٥٥

•**الْحَيُّ** :هُوَ الْبَاقِي الَّذِي لَهُ الْحَيَاةُ الْكَامِلَةُ الدَّائِمَةُ، الَّتِي لَا يَلْحَقُهَا فَنَاءٌ وَلَا نَقْصٌ.
وَوَصْفُ **الْحَيِّ** يَسْتَلْزِمُ كَمَالَ الصِّفَاتِ: كَالسَّمْعِ، وَالْبَصَرِ، وَالْقُدْرَةِ، وَالْعَظَمَةِ، وَالْبَقَاءِ، وَالدَّوَامِ.
قَالَ تَعَالَى:

﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ . البَقَرَة: ٢٥٥

وَقَالَ:

﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ . غَافِر: ٦٥

•**الْقَيُّومُ** :هُوَ الْقَائِمُ بِنَفْسِهِ، الْمُقِيمُ لِغَيْرِهِ، الْمُدَبِّرُ لِأُمُورِ خَلْقِهِ،
فَهُمْ يَفْتَقِرُونَ إِلَيْهِ فِي كُلِّ شَيْءٍ: فِي الْإِيجَادِ، وَالْإِمْدَادِ، وَالتَّدْبِيرِ.

لِهَذَا قِيلَ: إِنَّهُ اسْمُ اللهِ الْأَعْظَمُ، الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى.
وَمِنْ رَحْمَةِ هَذَا الِاسْمِ الْعَظِيمِ، **أَنَّ مَنْ يَدْعُو اللهَ بِهِ، فَكَأَنَّهُ يَدْعُوهُ بِجَمِيعِ أَسْمَائِهِ،**
فَيُرْجَىٰ بِهِ الْمَغْفِرَةُ، وَتُقْبَلُ بِهِ التَّوْبَةُ.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

"مَنْ قَالَ: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ، وَأَتُوبُ إِلَيْهِ، غُفِرَتْ ذُنُوبُهُ، وَإِنْ كَانَ قَدْ فَرَّ مِنَ الزَّحْفِ". رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَأَبُو دَاوُد.

لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ.

كررها لِلِاسْتِغْفَارِ، وَإِصْلَاحِ ٱلشَّأْنِ، وَطَلَبِ ٱلْفَرَجِ، وَٱلرَّاحَةِ مِنَ ٱلْهَمِّ وَٱلضِّيقِ.

اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ

ٱلدُّعَاءُ بِهَذَا ٱلِاسْمِ بِنِيَّةِ: سَوْقِ ٱلْخَيْرِ، وَدَفْعِ ٱلشَّرِّ بِلِينٍ وَلُطْفٍ
لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ

جَلَسَ لُقْمَانُ يُحَادِثُ ابْنَهُ، وَقَدِ امْتَلَأَ قَلْبُهُ حَنَانًا وَخَوْفًا عَلَيْهِ، فَنَادَاهُ بِلُطْفٍ:
"يَا بُنَيَّ"...

كَانَ ابْنُهُ، كَمَا قِيلَ، كَافِرًا، فَظَلَّ لُقْمَانُ يَعِظُهُ بِرِفْقٍ حَتَّى أَسْلَمَ، وَقِيلَ: بَلْ كَانَ مُسْلِمًا، يُزِيدُهُ أَبُوهُ عِلْمًا وَنُورًا.

قَالَ لَهُ:
"يَا بُنَيَّ، لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ، إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ". لقمان: ١٣

ثُمَّ عَلَّمَهُ مُرَاقَبَةَ اللَّهِ، وَحُسْنَ الْخُلُقِ، وَالِاعْتِدَالَ فِي الْمَشْيِ، وَخَفْضَ الصَّوْتِ،
فَكَانَتْ كُلُّ وَصِيَّةٍ تَبْدَأُ بِنِدَاءِ الْمَحَبَّةِ:
"يَا بُنَيَّ"...

وَمِنْ وَصَايَاهُ مَا حَكَاهُ الْقُرْآنُ:
"يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ". لقمان: ١٦

وَالمعْنَى:
يَا بُنَيَّ، إِنَّ مَا تَفْعَلُهُ مِنْ حَسَنَةٍ أَوْ سَيِّئَةٍ،
سَوَاءٌ أَكَانَ فِي نِهَايَةِ الْقِلَّةِ وَالصِّغَرِ كَمِثْلِ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ،
أَوْ كَانَ شَيْئًا قَلِيلًا مَخْبُوءًا فِي صَخْرَةٍ،
مِنَ الصُّخُورِ الْمُلْقَاةِ فِي فِجَاجِ الْأَرْضِ،
أَوْ كَانَ فِي السَّمَاوَاتِ،
أَوْ فِي الْأَرْضِ،

فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَعْلَمُهُ، وَيُحْضِرُهُ، وَيُجَازِي عَلَيْهِ.

"إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ".لقمان: ١٦

أَيْ: مُحِيطٌ بِجَمِيعِ الْأَشْيَاءِ، جَلِيلِهَا وَحَقِيرِهَا، عَظِيمِهَا وَصَغِيرِهَا.

وَمِنْ لُطْفِهِ:

أَنَّهُ يُرِي عَبْدَهُ عِزَّتَهُ فِي انْتِقَامِهِ،

ثُمَّ يُظْهِرُ لُطْفَهُ بَعْدَ أَنْ أَشْرَفَ الْعَبْدُ عَلَى الْهَلَاكِ.

فَيَلْطُفُ بِعِبَادِهِ،

وَيَسُوقُ لَهُمُ الْخَيْرَ، وَيَدْفَعُ عَنْهُمُ الشَّرَّ،

بِطُرُقٍ لَطِيفَةٍ، لَا تَخْطُرُ لَهُمْ عَلَى بَالٍ،

وَلَا تَرِدُ عَلَى خَاطِرٍ.

"لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ۖ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ " الأنعام: ١٠٣

اللَّطِيفُ بِعِبَادِهِ الصَّالِحِينَ، **الْخَبِيرُ** بِهِمْ وَبِمَا فِيهِ صَلَاحُ أُمُورِهِمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

فَأَكْثِرُوا مِنَ التَّعَلُّقِ بِاللَّطِيفِ الْخَبِيرِ،

لِتَشْعُرُوا بِالْمُرَاقَبَةِ الدَّائِمَةِ لِلَّهِ، وَالْعَمَلِ بِطَاعَتِهِ،

لِيَسُوقَ لَكُمُ الْخَيْرَ بِلُطْفِهِ وَإِحْسَانِهِ، بِلِينٍ وَرِفْقٍ مِنْ طُرُقٍ لَا يَشْعُرُ بِهَا الْعَبْدُ،

وَلَا يَسْعَى فِيهَا، وَلَا تَخْطُرُ لَهُ عَلَى بَالٍ.

فَسُبْحَانَ **اللَّطِيفِ** لِمَا يَشَاءُ، الرَّحِيمِ بِالْمُؤْمِنِينَ:

"أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ". الملك: ١٤

ٱللَّهُمَّ يَا لَطِيفُ يَا خَبِيرُ،

لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ.

الْوَاسِعُ الْعَلِيمُ "١"

ٱلدُّعَاءُ بِهَٰذَا ٱلِٱسْمِ بِنِيَّةٍ: طَلَبِ مُضَاعَفَةِ ٱلْأَجْرِ وَتَكْثِيرِ ٱلْحَسَنَاتِ

لَمَّا حَثَّ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّاسَ حِينَ أَرَادَ الْخُرُوجَ إِلَى غَزْوَةِ تَبُوكَ، جَاءَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بِأَرْبَعَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ، فَقَالَ:

" يَا رَسُولَ اللهِ، كَانَتْ لِي ثَمَانِيَةُ آلَافٍ، فَأَمْسَكْتُ لِنَفْسِي وَلِعِيَالِي أَرْبَعَةَ آلَافٍ، وَأَرْبَعَةَ آلَافٍ أَقْرَضْتُهَا لِرَبِّي.
فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
"بَارَكَ اللهُ لَكَ فِيمَا أَمْسَكْتَ، وَفِيمَا أَعْطَيْتَ. *أخرجه ابن أبي شيبة*

وَجَاءَ عُثْمَانُ بِأَلْفِ دِينَارٍ فِي جَيْشِ الْعُسْرَةِ، فَصَبَّهَا فِي حِجْرِ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،
قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ سَمُرَةَ – رَاوِي الْحَدِيثِ:–
فَرَأَيْتُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُدْخِلُ يَدَهُ فِيهَا وَيُقَلِّبُهَا، وَيَقُولُ:
"مَا ضَرَّ ابْنَ عَفَّانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ الْيَوْمِ، اللَّهُمَّ لَا تَنْسَ هَذَا الْيَوْمَ لِعُثْمَانَ". *أخرجه الترمذي*

وَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ:
رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَافِعًا يَدَيْهِ، يَدْعُو لِعُثْمَانَ وَيَقُولُ:
"يَا رَبِّ عُثْمَانَ، إِنِّي رَضِيتُ عَنْ عُثْمَانَ، فَارْضَ عَنْهُ". *أخرجه ابن عساكر*

فَنَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى:
﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ، فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ، وَاللهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ، وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ *البقرة: ٢٦١*

أَيْ: وَاللهُ تَعَالَى يُضَاعِفُ الثَّوَابَ وَالْجَزَاءَ أَضْعَافًا كَثِيرَةً لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ؛
فَيُعْطِي بَعْضَهُمْ سَبْعَمِائَةِ ضِعْفٍ، وَيُعْطِي بَعْضَهُمْ أَكْثَرَ مِنْ ذَٰلِكَ،
لِأَنَّ الصَّدَقَةَ يَخْتَلِفُ ثَوَابُهَا بِاخْتِلَافِ:

- حَالِ الْمُتَصَدِّقِ،
- وَنِيَّتِهِ،
- وَنَقَاءِ قَلْبِهِ،
- وَمَصْدَرِ مَالِهِ،
- وَمَحَلِّ إِخْرَاجِهَا.

فَمَتَى خَرَجَتْ مِنْهُ بِنِيَّةٍ خَالِصَةٍ، وَقَلْبٍ سَلِيمٍ، وَنَفْسٍ صَافِيَةٍ، وَمِنْ مَالٍ حَلَالٍ، وَوُضِعَتْ فِي مَوْضِعِهَا الْمُنَاسِبِ، كَانَ الْجَزَاءُ عَلَيْهَا أَوْفَرَ، وَالْمُضَاعَفَةُ تَزِيدُ عَلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ.

فَعَطَاءُ اللهِ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لَيْسَ لَهُ حُدُودٌ، وَثَوَابُهُ لَيْسَ لَهُ حِسَابٌ مَعْدُودٌ.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:
"إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ جَعَلَ حَسَنَةَ ابْنِ آدَمَ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ، إِلَّا الصَّوْمَ، فَإِنَّهُ لِي، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ". *رواه البخاري، ومسلم*

وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ

أَيْ: وَاللهُ تَعَالَى عَطَاؤُهُ وَاسِعٌ، وَجُودُهُ عَمِيمٌ، وَفَضْلُهُ كَبِيرٌ،
وَهُوَ – تَعَالَى – عَلِيمٌ بِنِيَّاتِ عِبَادِهِ، وَبِأَقْوَالِهِمْ، وَبِأَفْعَالِهِمْ، وَبِسَائِرِ شُؤُونِهِمْ،
فَيُجَازِي كُلَّ إِنْسَانٍ عَلَى حَسْبِ نِيَّتِهِ وَعَمَلِهِ.

لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْوَاسِعُ ٱلْعَلِيمُ.

كَرِّرْهَا بِنِيَّةِ ٱلْأَجْرِ وَٱلْقُرْبِ.

ٱلْوَاسِعُ ٱلْعَلِيمُ(٢)
ٱلدُّعَاءُ بِهٰذَا ٱلِٱسْمِ بِنِيَّةِ: نَيْلِ مَحَبَّةِ ٱللَّهِ، وَٱلْعِزَّةِ فِي ٱلدِّينِ، وَٱلرِّقَّةِ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ، وَٱلصَّلَابَةِ عَلَى ٱلْحَقِّ.
لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْوَاسِعُ ٱلْعَلِيمُ

يَحْكِي ٱللَّهُ تَعَالَى عَنْ مَكْرِ ٱلْيَهُودِ وَحَسَدِهِمْ لِلنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ، حَيْثُ تَوَاصَوْا فِيمَا بَيْنَهُمْ أَنْ يُظْهِرُوا ٱلْإِسْلَامَ فِي أَوَّلِ ٱلنَّهَارِ، ثُمَّ يَكْفُرُوا فِي آخِرِهِ لِيُشَكِّكُوا ٱلْمُسْلِمِينَ فِي دِينِهِمْ.
كَمَا أَوْصَوْا بِعَدَمِ ٱلِٱعْتِرَافِ بِأَنَّ أَحَدًا يُمْكِنُ أَنْ يُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتُوا مِنَ ٱلْكِتَابِ وَٱلنُّبُوَّةِ، أَوْ أَنْ يُحَاجَّهُمْ أَحَدٌ أَمَامَ ٱللَّهِ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ إِلَّا مَنْ كَانَ عَلَى دِينِهِمْ.

ٱللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَرُدُّ عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ" :**قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ** "آل عمران: ٧٣،
أَيْ ٱلْهِدَايَةُ ٱلْحَقِيقِيَّةُ مِنْ عِنْدِ ٱللَّهِ وَحْدَهُ، وَلَيْسَتْ حِكْرًا عَلَى أَحَدٍ.
ثُمَّ يُوَبِّخُهُمْ عَلَى حَسَدِهِمْ بِقَوْلِهِ" :**أَنْ يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ**" آل عمران: ٧٣،
أَيْ: أَتَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ لِأَنَّ ٱللَّهَ أَنْعَمَ عَلَيْهِمْ كَمَا أَنْعَمَ عَلَيْكُمْ؟

فَيُؤَكِّدُ تَعَالَى أَنَّ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْفَضْلَ لَيْسَا حِكْرًا عَلَى قَوْمٍ دُونَ آخَرِينَ، بَلْ هِيَ مِنْ عَطَايَا ٱللَّهِ لِمَنْ يَشَاءُ.
كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ" :**قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ، وَٱللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ** "آل عمران: ٧٣

فَٱلْهِدَايَةُ لَيْسَتْ حِكْرًا عَلَى أَحَدٍ، وَلَا أَمْرًا مَقْصُورًا عَلَى قَوْمٍ دُونَ قَوْمٍ.
وَإِذَا كَانَتِ ٱلنُّبُوَّةُ قَدْ ظَلَّتْ فَتْرَةً مِنَ ٱلزَّمَانِ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَٱللَّهُ تَعَالَى قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَسْلُبَهَا مِنْهُمْ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَشْكُرُوهُ عَلَيْهَا، وَأَنْ يَجْعَلَهَا فِي مُحَمَّدٍ ٱلْعَرَبِيِّ ﷺ، لِأَنَّهُ أَهْلٌ لَهَا.

فَٱلْعَطَاءُ بِٱلدِّينِ بِيَدِ ٱلْوَاسِعِ ٱلْعَلِيمِ، ٱلَّذِي يَمْنَحُ كَذٰلِكَ ٱلْمَحَبَّةَ، وَٱلصَّلَابَةَ فِي ٱلدِّينِ، وَٱلرِّقَّةَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ. كَمَا قَالَ تَعَالَى:
"يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ، أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ، ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ، وَٱللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ" المائدة: ٥٤

فَٱلْوَاسِعُ ٱلْعَلِيمُ، يُبْدِلُ ٱلْمُدْبِرِينَ عَنْ دِينِهِ بِمَنْ هُمْ أَهْلٌ لِمَحَبَّتِهِ، وَيَهَبُهُمُ ٱلْوَصْفَ ٱلْكَرِيمَ: "**يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ** " وَهِيَ غَايَةُ ٱلرَّجَاءِ.

قُلُوبٌ رَقِيقَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَأَنْفُسٌ عَزِيزَةٌ لَا تَلِينُ لِلطُّغْيَانِ، وَثَبَاتٌ فِي ٱلْحَقِّ، وَمُجَاهَدَةٌ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ، وَصَلَابَةٌ لَا تَهْتَزُّ.
فَهُوَ وَاسِعٌ فِي عَطَائِهِ، عَلِيمٌ بِمَنِ ٱسْتَحَقَّ قُرْبَهُ.

وَلَا شَكَّ أَنَّ ٱرْتِبَاطَ "ٱلْوَاسِعِ" بِـ "ٱلْعَلِيمِ" إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهُ لَا يُدْرِكُ سَعَةَ ٱللَّهِ إِلَّا مَنْ كَانَ عَلَىٰ عِلْمٍ بِٱللَّهِ.

فَمَا مِنْ مُؤْمِنٍ عَلَىٰ وَجْهِ ٱلْأَرْضِ يَتَقَرَّبُ إِلَى ٱللَّهِ بِطَاعَةٍ، إِلَّا أَكْرَمَهُ ٱللَّهُ بِكَرَامَةٍ:
- كَرَامَةُ ٱلتَّأْيِيدِ
- كَرَامَةُ ٱلتَّيْسِيرِ
- كَرَامَةُ ٱلسُّرُورِ
- كَرَامَةُ ٱلْأَمْنِ
- وَغَيْرِهَا مِنَ ٱلْكَرَامَاتِ

لَٰكِنَّ أَعْظَمَ كَرَامَةٍ عَلَى ٱلْإِطْلَاقِ، هِيَ كَرَامَةُ ٱلْعِلْمِ.
قَالَ تَعَالَىٰ" :**وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ، وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا** "*النساء: ١١٣*

فَٱجْعَلْ لَكَ حَظًّا وَافِرًا بِٱلدُّعَاءِ بِٱسْمِ "ٱلْوَاسِعِ ٱلْعَلِيمِ"، يُمْنَحْكَ:
- كَرَامَةُ ٱلْعِلْمِ
- كَرَامَةُ ٱلصَّلَابَةِ فِي ٱلدِّينِ
- كَرَامَةُ ٱلرِّقَّةِ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ

لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْوَاسِعُ ٱلْعَلِيمُ

ٱلْوَاسِعُ ٱلْعَلِيمُ (٣)
ٱلدُّعَاءُ بِهٰذَا ٱلِاسْمِ بِنِيَّةٍ: طَلَبِ ٱلْمُلْكِ وَٱلْإِمَامَةِ وَٱلْبَسْطَةِ فِي ٱلْعِلْمِ وَٱلْعَقْلِ وَٱلصِّحَّةِ وَٱلْقُوَّةِ،
"وَفِي ٱلدُّعَاءِ لِلْمَوْلُودِ ٱلْمُنْتَظَرِ"
لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْوَاسِعُ ٱلْعَلِيمُ

رَوَى ٱلْمُفَسِّرُونَ أَنَّ قَوْمًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانُوا قَدِ ٱنْهَزَمُوا أَمَامَ أَعْدَائِهِمْ هَزِيمَةً مُنْكَرَةً جَعَلَتْهُمْ يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَارَ، تَارِكِينَ دِيَارَهُمْ وَأَبْنَاءَهُمْ.

فَقَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمْ بَعْدَ أَنْ ذَاقُوا مَرَارَةَ ٱلْهَزِيمَةِ:

ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا يَقُودُنَا لِلْقِتَالِ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ.

فَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ، بَعْدَ أَنْ حَذَّرَهُمْ مِنْ عَاقِبَةِ ٱلْجُبْنِ وَٱلْكَذِبِ:

"إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا "﴿البقرة: ٢٤٧﴾

فَٱعْتَرَضُوا عَلَى هٰذَا ٱلِٱخْتِيَارِ، وَنَقَصُوا مِنْ شَأْنِ مَنِ ٱخْتَارَهُ ٱللَّهُ قَائِدًا لَهُمْ، وَلٰكِنَّ نَبِيَّهُمْ سَاقَ لَهُمْ مِنَ ٱلْحُجَجِ مَا يَدُلُّ عَلَى صَلَاحِيَّةِ طَالُوتَ لِهٰذَا ٱلْمَنْصِبِ، فَأَخْرَسَ أَلْسِنَتَهُمْ.

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَى:

"وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ "﴿البقرة: ٢٤٧﴾

أَي: وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ: إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَرْسَلَ إِلَيْكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا، إِجَابَةً لِطَلَبِكُمْ، لِيَقُودَكُمْ لِقِتَالِ عَدُوِّكُمْ كَمَا طَلَبْتُمْ.

قَالَ كُبَرَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ: كَيْفَ يَكُونُ طَالُوتُ مَلِكًا عَلَيْنَا، وَهُوَ لَا يَسْتَحِقُّ ذٰلِكَ؟

لِأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ سِبْطِ ٱلْمُلُوكِ، وَلَا مِنْ بَيْتِ ٱلنُّبُوَّةِ، وَلَمْ يُعْطَ كَثْرَةً فِي ٱلْأَمْوَالِ يَسْتَعِينُ بِهَا فِي مُلْكِهِ.

فَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ؛ لِأَنَّنَا مِنْ سِبْطِ ٱلْمُلُوكِ وَمِنْ بَيْتِ ٱلنُّبُوَّةِ.

"قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ ۚ وَٱللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ "﴿البقرة: ٢٤٧﴾

أَي: إِنَّ ٱللَّهَ تَعَالَى مَنَحَهُ:

•سَعَةً فِي ٱلْعِلْمِ وَٱلْمَعْرِفَةِ وَٱلْعَقْلِ وَٱلْإِحْكَامِ فِي ٱلتَّفْكِيرِ ٱلْمُسْتَقِيمِ لَمْ يُمْنَحْهَا لَكُمْ،

•وَبَسْطَةً فِي ٱلْجِسْمِ، بِأَنْ أَعْطَاهُ جَسَدًا قَوِيًّا ضَخْمًا مُهَابًا.

وَهٰذِهِ ٱلصِّفَاتُ مَا وُجِدَتْ فِي شَخْصٍ إِلَّا وَكَانَ أَهْلًا لِلْقِيَادَةِ وَٱلرِّيَادَةِ.

وَفَضْلًا عَنْ كُلِّ ذٰلِكَ، فَمَالِكُ ٱلْمُلْكِ هُوَ ٱلَّذِي ٱخْتَارَهُ:

"**وَٱللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ** "﴿البقرة: ٢٤٧﴾

أَي: يُعْطِي مُلْكَهُ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، لِحِكْمَةٍ يَعْلَمُهَا.

ثُمَّ أَثْنَاءَ ٱلْمَسِيرِ، ٱبْتَلَاهُمُ ٱللَّهُ بِنَهَرٍ، فَشَرِبَ أَكْثَرُهُمْ وَخَالَفُوا ٱلْأَمْرَ،

وَلَمْ يَبْقَ مَعَ طَالُوتَ إِلَّا قِلَّةٌ مُؤْمِنَةٌ.

هٰذِهِ ٱلْفِئَةُ ٱلْقَلِيلَةُ، رَغْمَ قِلَّةِ عَدَدِهَا، قَاتَلَتْ بِشَجَاعَةٍ وَٱعْتِمَادٍ عَلَى ٱللَّهِ،

فَٱنْتَصَرَتْ عَلَى جَالُوتَ وَجُنُودِهِ ٱلْكَثِيرِينَ.

"**وَٱللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ** "﴿البقرة: ٢٤٧﴾

أَي: وَاسِعُ ٱلْفَضْلِ وَٱلْعَطَاءِ، يَمْنَحُ:

•ٱلْمُلْك

•ٱلْإِمَامَة

•ٱلسَّعَةَ فِي ٱلْعِلْمِ وَٱلْعَقْل

•ٱلتَّفْكِيرَ ٱلْمُسْتَقِيم

•ٱلصِّحَّة

•ٱلْقُوَّة

عَلِيمٌ بِمَنْ يَسْتَحِقُّ ٱلْفَضْلَ فَيَضَعُهُ فِيهِ،

فَٱدْعُوا ٱللَّهَ بِٱلْوَاسِعِ ٱلْعَلِيمِ.

لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْوَاسِعُ ٱلْعَلِيمُ، يَا وَاسِعُ، يَا عَلِيمُ،

لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْوَاسِعُ ٱلْعَلِيمُ. كَرِّرْهَا بِنِيَّةِ ٱلْمُلْكِ وَٱلْبَصِيرَةِ وَٱلصِّحَّةِ.

ٱلْوَاسِعُ ٱلْعَلِيمُ (٤)
ٱلدُّعَاءُ بِهٰذَا ٱلِٱسْمِ بِنِيَّةِ :طَلَبِ ٱلْمَغْفِرَةِ وَٱلْعَطَاءِ، وَمُوَاجَهَةِ وَسْوَاسِ ٱلْفَقْرِ وَٱلْبُخْلِ
لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْوَاسِعُ ٱلْعَلِيمُ

ٱلشَّيْطَانُ يُوهِمُ ٱلْإِنسَانَ أَنَّ ٱلْإِنْفَاقَ يُؤَدِّي إِلَى ٱلْفَقْرِ، وَيَأْمُرُهُ بِٱلْإِمْسَاكِ وَٱلْبُخْلِ، وَيَغُشُّهُ بِٱسْمِ ٱلْحَذَرِ.
قَالَ تَعَالَى:
"ٱلشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَاءِ " *البقرة: ٢٦٨*

وَٱللَّهُ سُبْحَانَهُ:
يَأْمُرُ بِٱلْإِنْفَاقِ وَيَعِدُ ٱلْمُنْفِقِينَ بِٱلْمَغْفِرَةِ وَٱلْفَضْلِ، أَي: غُفْرَانِ ٱلذُّنُوبِ، وَٱلزِّيَادَةِ فِي ٱلْأَجْرِ، وَٱلرِّزْقِ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ. قَالَ تَعَالَى:
"وَٱللَّهُ يَعِدُكُمْ مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًاۗ وَٱللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ" *البقرة: ٢٦٨*

وَيُحَذِّرُنَا ٱلْقُرْآنُ دَائِمًا مِنْ وَسَاوِسِ ٱلشَّيْطَانِ ٱلَّتِي تَبْنِي عَلَى ٱلْخَوْفِ وَٱلتَّشْكِيكِ، وَيَأْمُرُنَا بِٱلْإِنْفَاقِ دُونَ تَرَدُّدٍ، لِأَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ بِٱلْمَغْفِرَةِ وَٱلْفَضْلِ حَقٌّ، وَيَجِبُ أَنْ نَثِقَ فِي سَعَةِ عَطَاءِ ٱللَّهِ، فَهُوَ وَاسِعُ ٱلْفَضْلِ، يَعْلَمُ نِيَّةَ ٱلْعَبْدِ وَصِدْقَ عَطَائِهِ.

رَوَى ٱلتِّرْمِذِيُّ عَنْ عَبْدِ ٱللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ ٱللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
"إِنَّ لِلشَّيْطَانِ لَمَّةً بِٱبْنِ آدَمَ، وَلِلْمَلَكِ لَمَّةً – أَي هِمَّةً وَخَطْرَةً تَقَعُ فِي ٱلْقَلْبِ – فَأَمَّا لَمَّةُ ٱلشَّيْطَانِ فَإِيعَادٌ بِٱلشَّرِّ وَتَكْذِيبٌ بِٱلْحَقِّ، وَأَمَّا لَمَّةُ ٱلْمَلَكِ فَإِيعَادٌ بِٱلْخَيْرِ وَتَصْدِيقٌ بِٱلْحَقِّ، فَمَنْ وَجَدَ ذٰلِكَ فَلْيَعْلَمْ أَنَّهُ مِنَ ٱللَّهِ، وَمَنْ وَجَدَ ٱلْأُخْرَى فَلْيَتَعَوَّذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ"
ثُمَّ قَرَأَ:
"ٱلشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَاءِ " *البقرة: ٢٦٨*

- ٱلشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ ٱلْإِنسَانَ مِنَ ٱلْفَقْرِ إِذَا أَنْفَقَ، وَيُغْرِيهِ بِٱلْبُخْلِ، وَيُغَلِّفُ ذٰلِكَ بِٱلتَّزْيِينِ وَٱلتَّحْذِيرِ.
- وَٱللَّهُ سُبْحَانَهُ يَعِدُ بِٱلْمَغْفِرَةِ وَٱلْفَضْلِ، وَهُوَ وَعْدٌ صَادِقٌ مِنْ رَبٍّ وَاسِعٍ عَلِيمٍ.

فَٱلشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ ٱلرَّجُلَ أَوَّلًا بِٱلْفَقْرِ لِيَتَوَصَّلَ بِهٰذَا إِلَىٰ أَنْ يَأْمُرَهُ بِٱلْبُخْلِ، **وَعَبَّرَ عَنْهُ سُبْحَانَهُ بِٱلْفَحْشَاءِ** وَهٰذِهِ وَسِيلَةٌ خَبِيثَةٌ؛ لِأَنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُجَمِّلَ ٱلْبُخْلَ، وَهُوَ مَذْمُومٌ، إِلَّا بِأَنْ يَسْبِقَ ذٰلِكَ بِتَخْوِيفِ

ٱلْفَقْرِ.

قَالَ تَعَالَىٰ:

"ٱلشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَاءِ "*البقرة: ٢٦٨*

فَمَنْ وَجَدَ فِي نَفْسِهِ شَيْئًا مِّنْ هٰذَا فَلْيَتَعَوَّذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ.

"وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا "*البقرة: ٢٦٨*

أَي: مَغْفِرَةً لِذُنُوبِكُمْ عَلَىٰ مَا تُنْفِقُونَ مِنْ أَمْوَالِكُمْ فِي سَبِيلِهِ، فَفِي ٱلْحَدِيثِ:

"ٱلصَّدَقَةُ تُطْفِئُ ٱلْخَطِيئَةَ "*رواه الترمذي*

وَيَعِدُكُمْ أَيْضًا فَضْلًا، أَي: نَمَاءً وَزِيَادَةً فِي أَمْوَالِكُمْ، فَٱللَّهُ يُبَارِكُ لِلْمُنْفِقِ، وَيُضَاعِفُ لَهُ ٱلْجَزَاءَ.

ثُمَّ خَتَمَ ٱلْآيَةَ بِقَوْلِهِ:

"وَٱللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ "*البقرة: ٢٦٨*

أَي: وَٱللَّهُ وَاسِعُ ٱلْجُودِ وَٱلْعَطَاءِ، عَلِيمٌ بِأَحْوَالِهِمْ، وَبِمَنِ ٱتَّبَعُوا وَسْوَسَةَ ٱلشَّيْطَانِ

وَسَيُجَازِي مَنْ أَطَاعَهُ بِٱلْخَيْرِ، وَمَنْ ٱتَّبَعَ وَسَاوِسَ ٱلشَّيْطَانِ بِٱلشَّرِّ.

لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْوَاسِعُ ٱلْعَلِيمُ

كَرِّرْهَا بِنِيَّةِ مَغْفِرَةِ ٱللَّهِ وَعَطَائِهِ، وَٱلتَّخَلُّصِ مِنْ وَسَاوِسِ ٱلشَّيْطَانِ.

ٱلْوَاسِعُ ٱلْعَلِيمُ (٥)، وَٱلْوَاسِعُ ٱلْحَكِيمُ
ٱلْغِنَىٰ وَٱلتَّيْسِيرُ وَتَغَيُّرُ ٱلْحَالِ إِلَى ٱلْأَفْضَلِ

رُوِيَ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ أَنَّ رَجُلًا شَكَا إِلَيْهِ ٱلْفَقْرَ، فَأَمَرَهُ بِٱلنِّكَاحِ، فَذَهَبَ ٱلرَّجُلُ وَتَزَوَّجَ؛ ثُمَّ جَاءَ إِلَيْهِ مَرَّةً أُخْرَى وَشَكَا إِلَيْهِ ٱلْفَقْرَ، فَأَمَرَهُ بِٱلطَّلَاقِ.

فَلَمَّا سُئِلَ عَنْ ذٰلِكَ، قَالَ:

أَمَرْتُهُ بِٱلنِّكَاحِ لَعَلَّهُ مِنْ أَهْلِ هٰذِهِ ٱلْآيَةِ:

"وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ۚ إِن يَكُونُواْ فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ " النور: ٣٢

وَٱلْأَيَٰمَىٰ: هُمُ ٱلرِّجَالُ وَٱلنِّسَاءُ غَيْرُ ٱلْمُتَزَوِّجِينَ.

وَٱلْآيَةُ دَعْوَةٌ إِلَى ٱلنِّكَاحِ مَعَ ٱلثِّقَةِ فِي فَضْلِ ٱللَّهِ،

فَإِنْ كَانُوا فُقَرَاءَ، أَغْنَاهُمُ ٱللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ،

فَهُوَ سُبْحَانَهُ:

وَاسِعُ ٱلْغِنَىٰ، عَلِيمٌ بِحَاجَةِ كُلِّ سَائِلٍ، وَلَا تَنْفَدُ خَزَائِنُهُ، وَلَا يَضِيقُ عَطَاؤُهُ.

فَمَنْ طَلَبَ ٱلْعَفَافَ، سَتَرَهُ، وَمَنْ ٱبْتَغَى ٱلْحَلَالَ، أَغْنَاهُ مِن فَضْلِهِ،

فَٱسْتَعِنْ بِـ "**ٱلْوَاسِعِ ٱلْعَلِيمِ** "فِي سِتْرِ أَمْرِكَ، وَرِزْقِ قَلْبِكَ، وَإِتْمَامِ حَاجَتِكَ.

لِذَا، يُسْتَعَانُ بِـ ٱلْوَاسِعِ ٱلْعَلِيمِ فِي طَلَبِ:

- ٱلسِّتْرِ
- ٱلْعَفَافِ
- ٱلرِّزْقِ ٱلْوَاسِعِ

ٱلْغِنَىٰ بَعْدَ ٱلطَّلَاقِ

فَلَمَّا لَمْ يَكُنِ ٱلرَّجُلُ مِنْ أَهْلِ تِلْكَ ٱلْآيَةِ، أَمَرَهُ بِٱلطَّلَاقِ، وَقَالَ:

"وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّنْ سَعَتِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا" النساء: ١٣٠

فَٱلتَّفْرِقَةُ بَيْنَ ٱلزَّوْجَيْنِ جَائِزَةٌ إِذَا لَمْ يَكُنْ مِنْهَا بُدٌّ، لِأَنَّ:

ٱلتَّفْرِقَةَ مَعَ ٱلْإِحْسَانِ خَيْرٌ مِنْ مُعَاشَرَةٍ سَيِّئَةٍ

فَقَدْ يُقَيِّضُ ٱللَّهُ لِلرَّجُلِ ٱمْرَأَةً تَقَرُّ بِهَا عَيْنُهُ
وَقَدْ يُوَسِّعُ عَلَى ٱلْمَرْأَةِ بِزَوْجٍ آخَرَ.

فَٱللَّهُ هُوَ:

ٱلْوَاسِعُ ٱلْحَكِيمُ:

يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ فِي إِيجَادِ حَيَاةٍ خَيْرٍ مِمَّا سَبَقَ.

يَفْتَحُ لِلْعَبْدِ أَبْوَابَ ٱلرَّجَاءِ حِينَ تَضِيقُ عَلَيْهِ ٱلدُّنْيَا.

يَمْنَحُهُ آمَالًا كَبِيرَةً فِي وَجْهِ ٱلْمَصَائِبِ وَٱلْعَقَبَاتِ.

فَلَا يَبْقَى لِلْعَبْدِ بَابٌ إِلَّا بَابُ ٱللَّهِ...

ٱلْوَاسِعُ ٱلْحَكِيمُ:

- وَاسِعُ ٱلْغِنَىٰ وَٱلرَّحْمَةِ وَٱلْفَضْلِ
- وَاسِعٌ فِي ٱلتَّيْسِيرِ فِي ٱلدِّينِ، بِتَحْلِيلِ ٱلنِّكَاحِ
- حَكِيمٌ فِي ٱلْإِذْنِ بِٱلسَّرَاحِ، وَفِي جَمِيعِ أَفْعَالِهِ وَأَحْكَامِهِ

فَاسْأَلُوا "ٱلْوَاسِعَ ٱلْحَكِيمَ"

- ٱلْغِنَىٰ
- ٱلتَّيْسِيرَ
- تَغَيُّرَ ٱلْحَالِ إِلَى ٱلْأَفْضَلِ

لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ، ٱلْوَاسِعُ ٱلْحَكِيمُ

ٱلْوَاسِعُ ٱلْعَلِيمُ (٦)
ٱلدُّعَاءُ بِهٰذَا ٱلِاسْمِ بِنِيَّةِ: تَنْزِيهِ ٱللَّهِ عَنِ ٱلْجِهَةِ، وَرَفْعِ ٱلْحَرَجِ فِي ٱلْعِبَادَاتِ
لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْوَاسِعُ ٱلْعَلِيمُ

ٱعْتَدَىٰ عَلَىٰ بَيْتِ ٱلْمَقْدِسِ، طِيطُوسُ ٱلرُّومِيُّ وَبُخْتُنَصَّرُ وَأَعْوَانُهُم،
حَيْثُ خَرَّبُوهُ، وَقَتَلُوا، وَذَبَحُوا ٱلْخَنَازِيرَ فِيهِ، وَمَنَعُوا إِقَامَةَ ٱلْعِبَادَةِ،
فَكَانَ خَرَابًا حَتَّىٰ بَنَاهُ ٱلْمُسْلِمُونَ فِي عَهْدِ عُمَرَ بْنِ ٱلْخَطَّابِ.
وَمِثْلُهُمْ مُشْرِكُو مَكَّةَ، حِينَ مَنَعُوا ٱلنَّبِيَّ ﷺ وَأَصْحَابَهُ مِنْ دُخُولِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ عَامَ ٱلْحُدَيْبِيَةِ،
فَكَانَ مَنْعُهُمْ لِلذِّكْرِ فِيهِ بِمَثَابَةِ سَعْيٍ فِي خَرَابِهِ، وَإِنْ لَمْ يَهْدِمُوهُ.
وَهُوَ جُرْمٌ يَسْتَوْجِبُ ٱلْخِزْيَ فِي ٱلدُّنْيَا بِٱلْعُقُوبَةِ وَٱلذُّلِّ، وَٱلْعَذَابَ فِي ٱلْآخِرَةِ.
فَقَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ مِنْ حَقِّ ٱلْمُسْلِمِينَ أَنْ يُطَهِّرُوا ٱلْمَسَاجِدَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وَأَعْدَاءِ ٱلدِّينِ،
فَلَا يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ.
قَالَ تَعَالَىٰ:
"وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ" *سورة البقرة: ١١٤*

فَٱلْآيَةُ تُدِينُ أَشَدَّ ٱلظُّلْمِ وَهُوَ تَعْطِيلُ ٱلْمَسَاجِدِ، وَمَنْعُ إِقَامَةِ ٱلْعِبَادَةِ فِيهَا.
وَلِأَنَّ ٱلتَّيْسِيرَ وَرَفْعَ ٱلْحَرَجِ هُوَ شِعَارُ ٱلْإِسْلَامِ،
فَقَدْ جَعَلَ سُبْحَانَهُ ٱلْإِذْنَ بِإِقَامَةِ ٱلصَّلَاةِ فِي أَيِّ مَكَانٍ مِنَ ٱلْأَرْضِ
دُونَ أَنْ تَخْتَصَّ بِهَا ٱلْمَسَاجِدُ،
فَهُوَ ٱلْعَلِيمُ بِنِيَّاتِ ٱلْمُصَلِّينَ، وَأَحْوَالِ ٱلْمُتَوَجِّهِينَ،
فَفِي ٱلْحَدِيثِ ٱلشَّرِيفِ:
"جُعِلَتْ لِيَ ٱلْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا". *رواه البخاري، ومسلم*

وَفِي ذَٰلِكَ تَيْسِيرٌ وَسَعَةٌ وَرَفْعٌ لِلْحَرَجِ،
فَلَا ضِيقَ فِي دِينِ ٱلْوَاسِعِ ٱلْعَلِيمِ، وَلَا صُعُوبَةَ عَلَىٰ مَنْ قَصَدَهُ بِصِدْقٍ وَنِيَّةٍ خَالِصَةٍ.
فَدِينُ ٱللَّهِ يُبْنَىٰ عَلَىٰ ٱلتَّيْسِيرِ وَرَفْعِ ٱلْحَرَجِ،

وَٱلْوَاسِعُ ٱلْعَلِيمُ يَعْلَمُ ضَعْفَكَ وَحِرْصَكَ، وَيَسَعُكَ بِرَحْمَتِهِ وَتَفَهُّمِهِ.
فَٱلْقَاعِدَةُ ٱلْفِقْهِيَّةُ:" **ٱلْمَشَقَّةُ تَجْلِبُ ٱلتَّيْسِيرَ** ". *الأشباه والنظائر للسيوطي*

يَقُولُ تَعَالَىٰ:
"**وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**". *سورة البقرة: ١١٥*

وَكَأَنَّ ٱلْآيَةَ تُومِئُ إِلَىٰ أَنَّ سَعْيَ أُولَٰئِكَ ٱلظَّالِمِينَ فِي مَنْعِ ٱلْمَسَاجِدِ مِنْ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَتَخْرِيبِهَا، لَا يَمْنَعُ مِنْ أَدَاءِ ٱلْعِبَادَةِ لِلَّهِ تَعَالَىٰ، لِأَنَّ لَهُ ٱلْمَشْرِقَ وَٱلْمَغْرِبَ وَمَا بَيْنَهُمَا.
فَأَيْنَمَا حَلَّ ٱلْإِنْسَانُ وَتَحَرَّىٰ ٱلْقِبْلَةَ، فَهُنَاكَ جِهَةُ ٱللَّهِ ٱلْمَطْلُوبُ مِنْهُ ٱسْتِقْبَالُهَا، وَٱلَّتِي تَبْرَأُ ذِمَمُكُمْ بِٱسْتِقْبَالِهَا.

إِنَّ ٱللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ

فَكَمَا أَنَّهُ وَاسِعٌ فِي مُلْكِهِ وَرَحْمَتِهِ وَعَطَائِهِ، فَهُوَ وَاسِعٌ فِي تَيْسِيرِهِ عَلَىٰ عِبَادِهِ فِي أَمْرِ ٱلدِّينِ، عَلِيمٌ بِأَعْمَالِهِمْ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ عَمَلُ عَامِلٍ أَيْنَمَا كَانَ وَكَيْفَمَا كَانَ.

يَا وَاسِعُ، يَا عَلِيمُ، وَسِّعْ لِي فِي فَهْمِ دِينِكَ،
وَٱرْفَعْ عَنِّي ٱلْحَيْرَةَ، وَٱفْتَحْ لِي أَبْوَابَ ٱلتَّيْسِيرِ فِي ٱلْعِبَادَةِ،
لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْوَاسِعُ ٱلْعَلِيمُ

كَرِّرْهَا بِتَنْزِيهٍ وَتَسْبِيحٍ، لِيَسَعَ قَلْبَكَ وَيُزِيلَ ٱلْعُسْرَ عَنْكَ.

ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ
ٱلدُّعَاءُ بِهَٰذَا ٱلِٱسْمِ بِنِيَّةِ: "ٱلتَّحْصِينِ"
فِي طَلَبِ ٱلْكِفَايَةِ، وَدَفْعِ ٱلضَّرَرِ، وَإِجَابَةِ ٱلدُّعَاءِ، وَطَلَبِ ٱلرِّزْقِ، وَدَفْعِ وَسَاوِسِ ٱلشَّيْطَانِ
لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ

خَلَقَ ٱللَّهُ مَكَانَ ٱلْكَعْبَةِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ ٱلْأَرْضَ بِأَلْفَيْ سَنَةٍ.
وَكَانَ هٰذَا ٱلْمَكَانُ مِثْلَ نُقْطَةٍ بَيْضَاءَ فَوْقَ ٱلْمَاءِ.
وَبَعْدَمَا أُنْزِلَ آدَمُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إِلَى ٱلْأَرْضِ، شَعَرَ بِٱلْوَحْدَةِ.

فَأَنْزَلَ ٱللَّهُ لَهُ بَيْتًا مِّنَ ٱلْجَنَّةِ. لِيَطُوفَ حَوْلَهُ كَمَا تَطُوفُ ٱلْمَلَائِكَةُ حَوْلَ عَرْشِ ٱللَّهِ.
وَجَعَلَ فِيهِ ٱلْحَجَرَ ٱلْأَسْوَدَ. ٱلَّذِي كَانَ أَبْيَضَ. ثُمَّ تَغَيَّرَ لَوْنُهُ بِسَبَبِ ذُنُوبِ ٱلنَّاسِ.

سَارَ آدَمُ مِنَ ٱلْهِنْدِ إِلَىٰ مَكَّةَ مَاشِيًا بِمُسَاعَدَةِ مَلَكٍ دَلَّهُ عَلَى ٱلطَّرِيقِ.
فَحَجَّ ٱلْبَيْتَ ٤٠ مَرَّةً،

ثُمَّ جَاءَ ٱلطُّوفَانُ، فَرَفَعَ ٱللَّهُ ٱلْبَيْتَ إِلَى ٱلسَّمَاءِ،
وَدَفَنَ جِبْرِيلُ ٱلْحَجَرَ ٱلْأَسْوَدَ فِي جَبَلِ أَبِي قُبَيْسٍ لِحِمَايَتِهِ.

مَرَّتِ ٱلسِّنِينَ وَأَمَرَ ٱللَّهُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أَنْ يَبْنِيَ ٱلْكَعْبَةَ مِنْ جَدِيدٍ.
فَدَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَكَانِهَا. إِمَّا بِرِيحٍ خَاصَّةٍ (ٱلسَّكِينَةِ) أَوْ سَحَابَةٍ أَوْ عَنْ طَرِيقِ جِبْرِيلَ.

فَبَنَاهَا إِبْرَاهِيمُ، وَسَاعَدَهُ ٱبْنُهُ إِسْمَاعِيلُ.
فَكَانَ إِبْرَاهِيمُ يَضَعُ ٱلْحِجَارَةَ، وَإِسْمَاعِيلُ يُنَاوِلُهُ إِيَّاهَا.الطبري وابن كثير...

قَالَ تَعَالَىٰ:
"وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ ۖ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ"البقرة: ١٢٧

فَخَتَمَا دُعَاءَهُمَا بِذِكْرِ ٱسْمَيْنِ مِنْ أَسْمَائِهِ ٱلْحُسْنَىٰ، لِيُؤَكِّدَا أَنَّ رَجَاءَهُمَا فِي ٱسْتِجَابَةِ دُعَائِهِمَا وَثِيقٌ، وَأَنَّ مَا عَمِلَاهُ ٱبْتِغَاءَ مَرْضَاتِهِ جَدِيرٌ بِٱلْقَبُولِ.

وَجَاءَتِ ٱمْرَأَةُ عِمْرَانَ إِلَىٰ رَبِّهَا تَدْعُوهُ بِضَرَاعَةٍ وَخُشُوعٍ:

"رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ" *آل عمران: ٣٥*

"فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ" *يوسف: ٣٤*

"فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ". *البقرة: ١٣٧*

وَقَالَ رَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ:

"مَا مِنْ عَبْدٍ يَقُولُ فِي صَبَاحِ كُلِّ يَوْمٍ وَمَسَاءِ كُلِّ لَيْلَةٍ: بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ ٱسْمِهِ شَيْءٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَاءِ، وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ". *أخرجه أبو داود والترمذي*

"وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ". *الأعراف: ٢٠٠*

"وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ". *العنكبوت: ٦٠*

"لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِۦۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ". *الأنعام: ١١٥*

لَا إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ

لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ .كَرِّرْهَا ، بِنِيَّةِ ٱلتَّحْصِينِ وَٱلدَّفْعِ وَٱلرِّزْقِ وَإِجَابَةِ ٱلدُّعَاءِ.

ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ
ٱلدُّعَاءُ بِهَذَا ٱلِاسْمِ بِنِيَّةِ: إِجَابَةِ ٱلدُّعَاءِ، وَٱلْحِفْظِ، وَمُوَاجَهَةِ ٱلْمَخَاطِرِ
لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ

قَالَ رَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ:
"بَيْنَمَا أَنَا فِي ٱلْحِجْرِ – وَٱلْحِجْرُ هُوَ ٱلْحَائِطُ ٱلْوَاقِعُ شِمَالَ ٱلْكَعْبَةِ ٱلْمُشَرَّفَةِ عَلَىٰ شَكْلِ نِصْفِ دَائِرَةٍ،
وَيُطْلَقُ عَلَيْهِ "ٱلْحَطِيمُ" – بَيْنَا أَنَا فِي ٱلْحِجْرِ بَيْنَ ٱلنَّائِمِ وَٱلْيَقْظَانِ،
إِذْ أَتَانِي آتٍ فَشَقَّ مَا بَيْنَ هَٰذِهِ إِلَىٰ هَٰذِهِ،
فَٱسْتَخْرَجَ قَلْبِي فَغَسَلَهُ ثُمَّ أُعِيدَ،
ثُمَّ أُتِيتُ بِدَابَّةٍ دُونَ ٱلْبَغْلِ وَفَوْقَ ٱلْحِمَارِ، أَبْيَضَ، يُقَالُ لَهُ ٱلْبُرَاقُ، فَحُمِلْتُ عَلَيْهِ". رواه البخاري ومسلم

وَٱسْتِعْمَالُهُ ﷺ ٱلْبُرَاقَ يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ هَٰذَا ٱلْحَادِثَ كَانَ بِٱلرُّوحِ وَٱلْجَسَدِ وَفِي ٱلْيَقَظَةِ، لَا فِي ٱلْمَنَامِ.

قَالَ تَعَالَىٰ:
"سُبْحَانَ ٱلَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَى ٱلَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ". الإسراء: ١

فَطَمْأَنَ نَبِيَّهُ ﷺ فِي رِحْلَةِ ٱلْإِسْرَاءِ وَٱلْمِعْرَاجِ بِٱسْمِهِ "ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ"
لِيُبَيِّنَ لَهُ أَنَّهُ ٱلْحَافِظُ لَهُ فِي ظُلْمَةِ ٱللَّيْلِ، وَفِي هَٰذِهِ ٱلرِّحْلَةِ، وَفِي ٱلْعَوَالِمِ ٱلْعُلْوِيَّةِ،
فَإِنَّ ٱلَّذِي أَسْرَىٰ بِكَ يَسْمَعُ وَيَرَىٰ وَيُجِيبُ دُعَاءَكَ.

فَهُوَ سُبْحَانَهُ لَا يَغِيبُ عَنْ بَصَرِهِ وَسَمْعِهِ شَيْءٌ، قَالَ تَعَالَىٰ:
"أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ" الكهف:٢٦
أَيْ: مَا أَبْصَرَهُ! وَمَا أَسْمَعَهُ!

فَهُوَ سُبْحَانَهُ:
- ٱلسَّمِيعُ لِجَمِيعِ ٱلْأَصْوَاتِ، بِٱخْتِلَافِ ٱللُّغَاتِ، وَتَنَوُّعِ ٱلْحَاجَاتِ.
- سَمِيعٌ لِمَا تَنْطِقُ بِهِ أَلْسِنَتُكُمْ، وَمَا تَطْلُبُونَهُ مِنْهُ سُبْحَانَهُ:

"إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَاءِ" إبراهيم: ٣٩

•لِذَلِكَ تَعَوَّذَ ﷺ مِنْ دُعَاءٍ لَا يُسْمَعُ (أَيْ: لَا يُسْتَجَابُ) .رواه مسلم

وَهُوَ:

•ٱلْبَصِيرُ ٱلَّذِي يَرَىٰ دَبِيبَ ٱلنَّمْلَةِ ٱلسَّوْدَاءِ، فِي ٱللَّيْلَةِ ٱلظُّلْمَاءِ، عَلَى ٱلصَّخْرَةِ ٱلصَّمَّاءِ.

•بَصِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ، مُحِيطٌ بِكُلِّ ذَلِكَ، مُحْصِيهِ عَلَيْكُمْ.

قَالَ ٱلنَّبِيُّ ﷺ:

"إِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، وَلَكِنْ تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا" رواه البخاري ومسلم

وَمَا دُمْتَ تَدْعُو سَمِيعًا بَصِيرًا، فَهُوَ مَعَكَ بِإِحَاطَتِهِ، وَلُطْفِهِ، وَرِعَايَتِهِ.

قَالَ تَعَالَىٰ لِمُوسَىٰ وَهَارُونَ عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ:

"قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ" طه: ٤٦

أَيْ: ٱطْمَئِنَّا.

فَٱلْجَئُوا إِلَى ٱلسَّمِيعِ ٱلْبَصِيرِ لِيُجِيبَ دُعَاءَكُمْ، وَيَحْفَظَكُمْ مِنْ كُلِّ مَكْرُوهٍ، وَتُوَاجِهُوا ٱلْمَخَاطِرَ بِطُمَأْنِينَةٍ مَا دُمْتُمْ بِمَعِيَّةِ ٱلسَّمِيعِ ٱلْبَصِيرِ.

لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ. كَرِّرْهَا.

ٱلْوَاحِدُ ٱلْقَهَّارُ
ٱلدُّعَاءُ بِهٰذَا ٱلِٱسْمِ بِنِيَّةِ: ٱلثِّقَةِ بِٱللَّهِ وَٱلِٱسْتِعَانَةِ عَلَى ٱلْأَرَقِ وَتَشَوُّشِ ٱلْفِكْرِ، وَمِنَ ٱلْقَهْرِ وَٱلظُّلْمِ
لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْوَاحِدُ ٱلْقَهَّارُ

لَقَدْ وَعَدَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلْكَرِيمَ ﷺ بِعَذَابِ ٱلظَّالِمِينَ،

وَأَخْبَرَهُ بِجَانِبٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلَّذِي سَيَحِلُّ بِهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ،

لِيُثَبِّتَ هُوَ وَأَتْبَاعُهُ عَلَى ٱلْحَقِّ،

وَيَكُونُوا وَاثِقِينَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ وَعْدَهُ بِٱلنَّصْرِ عَلَى ٱلْأَعْدَاءِ.

قَالَ تَعَالَى:

"فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ، إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنْتِقَامٍ] "إبراهيم: ٤٧

وَهٰذَا ٱلْأَمْرُ يَقَعُ بِتَمَامِهِ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ، كَمَا قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَى:

"يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ ٱلْوَاحِدِ ٱلْقَهَّارِ "إبراهيم: ٤٨

عَنْ مَسْرُوقٍ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ:

أَنَا أَوَّلُ مَنْ سَأَلَ رَسُولَ ٱللَّهِ ﷺ عَنْ هَذِهِ ٱلْآيَةِ، فَقَالَ:

"لَقَدْ سَأَلْتِنِي عَنْ شَيْءٍ مَا سَأَلَنِي عَنْهُ أَحَدٌ مِّنْ أُمَّتِي، ذَاكَ أَنَّ ٱلنَّاسَ يَوْمَئِذٍ يَكُونُونَ عَلَىٰ جِسْرِ جَهَنَّمَ"رواه مسلم

وَٱلسَّمَاوَاتُ وَٱلْأَرْضُ تُبَدَّلُ وَتُزَالُ، وَيَخْلُقُ ٱللَّهُ أَرْضًا أُخْرَىٰ يَقِفُ ٱلنَّاسُ عَلَيْهَا بَعْدَ عُبُورِ ٱلْجِسْرِ.

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ قَالَ رَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ:

"يُحْشَرُ ٱلنَّاسُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ عَلَىٰ أَرْضٍ بَيْضَاءَ عَفْرَاءَ، كَقُرْصَةِ نَقِيٍّ، لَيْسَ فِيهَا مَعْلَمٌ لِأَحَدٍ"رواه مسلم

قَالَ تَعَالَى:

"وَبَرَزُوا لِلَّهِ ٱلْوَاحِدِ ٱلْقَهَّارِ". إبراهيم: ٤٨

أَيْ خَرَجَ ٱلْخَلَائِقُ مِنْ قُبُورِهِمْ ظَاهِرِينَ لِلَّهِ، ٱلْوَاحِدِ ٱلْأَحَدِ، ٱلَّذِي قَهَرَ كُلَّ شَيْءٍ وَغَلَبَهُ،

وَدَانَتْ لَهُ ٱلرِّقَابُ.

وَكَمَا قَهَرَ ٱلظَّالِمِينَ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ، فَهُوَ قَادِرٌ عَلَىٰ قَهْرِ مَنْ ظَلَمَكَ،

وَعَلَىٰ جَبْرِ كَسْرِكَ، وَرَدِّ حَقِّكَ، وَشِفَاءِ صَدْرِكَ،
لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَاءِ.

لِذٰلِكَ جاءَ فِي حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا:
كَانَ ٱلنَّبِيُّ ﷺ إِذَا تَضَوَّرَ مِنَ ٱللَّيْلِ (أَيْ تَقَلَّبَ مِنَ ٱلْأَرَقِ)، قَالَ:
"لَا إِلَهَ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَاحِدُ ٱلْقَهَّارُ، رَبُّ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا، ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّارُ". الإمام أحمد

فَإِذَا نَزَلَ بِكَ هَمٌّ فِي ٱللَّيْلِ، أَوْ أَرَقٌ، أَوْ ضَاقَ صَدْرُكَ مِنْ ظُلْمٍ أَوْ قَهْرٍ، فَنَادِ بِٱسْمِهِ:
ٱلْوَاحِدُ ٱلْقَهَّارُ، فَهُوَ وَحْدَهُ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰ دَفْعِ مَنْ قَهَرَكَ، وَرَدِّ كَيْدِ مَنْ ظَلَمَكَ،
وَلَمِّ شَتَاتِ فِكْرِكَ، وَبَثِّ ٱلسَّكِينَةِ فِي صَدْرِكَ.
يَا وَاحِدُ يَا قَهَّارُ، عَلَيْكَ بِمَنْ قَهَرَنَا، أَوْ أَزْعَجَنَا، أَوْ كَسَرَ بِخَاطِرِنَا، أَوْ أَرَّقَنَا.
لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ٱلْوَاحِدُ ٱلْقَهَّارُ

ٱلسَّمِيعُ ٱلْقَرِيبُ
ٱلدُّعَاءُ بِهَذَا ٱلِٱسْمِ بِنِيَّةِ: إِجَابَةِ ٱلدُّعَاءِ
لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْقَرِيبُ

لَمَّا تَبَيَّنَ ٱلْحَقُّ بِمَا دَعَا إِلَيْهِ ٱلرَّسُولُ، وَكَانَ ٱلْمُكَذِّبُونَ لَهُ يَرْمُونَهُ بِٱلضَّلَالِ،
أَخْبَرَهُمْ بِٱلْحَقِّ، وَوَضَّحَهُ لَهُمْ، وَبَيَّنَ لَهُمْ عَجْزَهُمْ عَنْ مُقَاوَمَتِهِ،
وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ رَمْيَهُمْ لَهُ بِٱلضَّلَالِ لَيْسَ بِضَائِرٍ ٱلْحَقَّ شَيْئًا، وَلَا دَافِعًا مَا جَاءَ بِهِ.

أَمَرَهُ – سُبْحَانَهُ – أَنْ يُصَارِحَهُمْ بِأَنَّهُ مَسْئُولٌ أَمَامَ ٱللَّهِ عَمَّا يُرْشِدُهُمْ إِلَيْهِ،
وَأَنَّهُمْ لَيْسُوا مَسْئُولِينَ عَنْ هِدَايَتِهِ أَوْ ضَلَالِهِ، يَقُولُ تَعَالَىٰ:
"قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي، وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي، إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ) ".
سبأ: ٥٠

أَيْ: وَقُلْ لَهُمْ – أَيُّهَا ٱلرَّسُولُ ٱلْكَرِيمُ – عَلَىٰ سَبِيلِ ٱلْإِرْشَادِ وَٱلتَّنْبِيهِ،
إِنِّي إِنْ ضَلَلْتُ عَنِ ٱلصِّرَاطِ ٱلْمُسْتَقِيمِ، وَعَنْ ٱتِّبَاعِ ٱلْحَقِّ،
فَإِنَّمَا إِثْمُ ضَلَالِي عَلَىٰ نَفْسِي وَحْدَهَا لَا عَلَيْكُمْ،
وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ إِلَىٰ طَرِيقِ ٱلْحَقِّ وَٱلصَّوَابِ،
فَٱهْتِدَائِي بِسَبَبِ مَا يُوحِيهِ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ إِلَيَّ مِنْ تَوْجِيهَاتٍ حَكِيمَةٍ، وَإِرْشَادَاتٍ قَوِيمَةٍ.

إِنَّهُ سُبْحَانَهُ **سَمِيعٌ** لِمَا أَقُولُ لَكُمْ، **قَرِيبٌ** مِمَّنْ دَعَاهُ وَسَأَلَهُ وَأَطَاعَهُ.

ٱلسَّمِيعُ :ٱلَّذِي يَسْمَعُ كُلَّ ٱلْأَصْوَاتِ، خَفِيَّهَا وَجَلِيَّهَا، هَمَسَاتِ ٱلْقُلُوبِ، وَأَنِينَ ٱلْمُضْطَرِّينَ، وَنِدَاءَاتِ ٱلْمَكْلُومِينَ، لَا تَخْفَىٰ عَلَيْهِ دَعْوَةٌ، وَلَا يَغِيبُ عَنْهُ رَجَاءٌ.

ٱلْقَرِيبُ :ٱلَّذِي لَا يَحْتَاجُ إِلَىٰ وَسَاطَةٍ أَوْ مَسَافَاتٍ، أَقْرَبُ إِلَيْنَا مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ
قَرِيبٌ بِعِلْمِهِ، وَرَحْمَتِهِ، وَقُدْرَتِهِ، وَإِجَابَتِهِ لِدُعَائِنَا.

جَاءَ فِي ٱلصَّحِيحَيْنِ أَنَّ رَسُولَ ٱللَّهِ ﷺ قَالَ:
"إِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، إِنَّمَا تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا مُجِيبًا ". رواه البخاري ومسلم
فَمَنْ كَانَ سَمِيعًا قَرِيبًا كَانَ مُجِيبًا.

قَالَ تَعَالَىٰ:
"فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ، إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ". سورة هود: ٦١

"وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي، فَإِنِّي قَرِيبٌ، أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ، فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي، وَلْيُؤْمِنُوا بِي، لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ". سورة البقرة: ١٨٦

هَٰذَا وَعْدٌ رَبَّانِيٌّ لَا يَتَخَلَّفُ.. فَمَا عَلَى ٱلْعَبْدِ إِلَّا أَنْ يَدْعُوَ بِيَقِينٍ، وَيَلْجَأَ بِقَلْبٍ خَاشِعٍ، وَيُوقِنَ أَنَّهُ يُنَاجِي **سَمِيعًا قَرِيبًا** لَا يَرُدُّ مَنْ دَعَاهُ مُخْلِصًا.

لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْقَرِيبُ.
ٱللَّهُمَّ، ٱجْعَلْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ يَثِقُونَ فِي إِجَابَتِكَ، وَيَعْلَمُونَ أَنَّكَ قَرِيبٌ دَائِمًا مِنَّا.
لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْقَرِيبُ، مَعَ نِيَّةِ ٱلتَّوَكُّلِ عَلَىٰ ٱللَّهِ فِي ٱلِٱسْتِجَابَةِ.

العَلِيمُ الحَكِيمُ
الدُّعَاءُ بِهٰذَا ٱلِٱسْمِ بِنِيَّةِ: ٱلْفَهْمِ وَٱلْإِدْرَاكِ وَٱلْكَشْفِ وَصِدْقِ ٱلْحِسِّ
لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ العَلِيمُ الحَكِيمُ

حين أرادَ اللهُ تعالى أن يُظْهِرَ لِلْمَلَائِكَةِ فَضْلَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ،
وَيُبَيِّنَ كَمَالَ عِلْمِهِ وَحِكْمَتِهِ سُبْحَانَهُ،
عَلَّمَهُ أَسْمَاءَ كُلِّ الأَشْيَاءِ، أَي عَلَّمَهُ الأَلْفَاظَ وَمَعَانِيهَا.
ثُمَّ عَرَضَ هَذِهِ الأَشْيَاءَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ لِيَخْتَبِرَهُمْ، هَلْ يَعْرِفُونَ أَسْمَاءَهَا كَمَا يَعْرِفُهَا آدَمُ؟
فَقَالَ لَهُمْ:
"**أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**". *البقرة: ٣١*
أَي إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِي اعْتِقَادِكُمْ أَنَّكُمْ أَفْضَلُ مِنْ هَذَا الْخَلِيفَةِ الَّذِي سَأَجْعَلُهُ فِي الأَرْضِ، فَأَخْبِرُونِي بِأَسْمَائِهِمْ.
لَكِنَّ الْمَلَائِكَةَ اعْتَرَفُوا بِعَجْزِهِمْ وَقَالُوا:
"**سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ العَلِيمُ الحَكِيمُ**". *البقرة: ٣٢*
أَي نُنَزِّهُكَ يَا رَبَّنَا، فَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ شَيْئًا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا، إِنَّكَ أَنْتَ العَلِيمُ بِكُلِّ شَيْءٍ، الحَكِيمُ فِي أَفْعَالِكَ وَتَقْدِيرِكَ.
وَهَذَا الإِقْرَارُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ جَاءَ بَعْدَ أَنْ تَسَاءَلُوا فِي بَدَايَةِ الْقِصَّةِ:
"**أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ**". *البقرة: ٣٠*
وَكَانُوا يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ أَحَقُّ بِالْخِلَافَةِ لِأَنَّهُمْ يُسَبِّحُونَ وَيُقَدِّسُونَ اللَّهَ. كَمَا أَخْفَى بَعْضُهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلَهُمْ:
"**لَنْ يَخْلُقَ رَبُّنَا خَلْقًا أَعْلَمَ مِنَّا أَوْ أَكْرَمَ**" .
فَجَاءَ هَذَا الْمَشْهَدُ **لِيُؤَكِّدَ أَنَّ اللهَ وَحْدَهُ العَلِيمُ بِكُلِّ شَيْءٍ،**
وَبِمَا أَبْدَوْهُ وَمَا كَتَمُوهُ فِي أَنْفُسِهِمْ،
"**الحَكِيمُ**" فِي إِسْنَادِ الْخِلَافَةِ إِلَى آدَمَ، لِأَنَّهُ تَدْبِيرٌ قَائِمٌ عَلَى حِكْمَةٍ بَالِغَةٍ.
جَاءَ ذِكْرُ هَذَيْنِ الاسْمَيْنِ الْجَلِيلَيْنِ:

"**العَلِيمُ الحَكِيمُ**"مُزْدَوِجَيْنِ فِي الْقُرْآنِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى سِعَةِ عِلْمِهِ وَحِكْمَتِهِ،
خَاصَّةً بِمَا يَتَعَلَّقُ بِالْقُلُوبِ وَالنِّيَّاتِ وَمَا تُخْبِئُهُ النُّفُوسُ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ،

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ **قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا** فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا **إِنَّهُ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ** ﴾ (يوسف: ٨٣)

وَقَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ **وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ** ﴾ (التوبة: ١٥)

وَفِي سِيَاقِ التَّعْلِيمِ وَالتَّوْجِيهِ وَالْكَشْفِ وَصِدْقِ الْحِسِّ .
فَهُوَ سُبْحَانَهُ الَّذِي يَهِبُ الْعِلْمَ وَالْحِكْمَةَ تَفَضُّلًا وَإِحْسَانًا،
جَزَاءً عَلَى صَلَاحِ الْعَمَلِ وَحُسْنِ الْعِبَادَةِ.
قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي مَدْحِ مُوسَى كَمَا مَدَحَ يُوسُفَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ:
"**وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ**". يونس: ٨٤
فَقَدَّمُوا مِنَ الْإِحْسَانِ فِي الْعَمَلِ وَالطَّاعَةِ، مَا يَجْعَلُكُمْ أَهْلًا لِتَنَالُوا عِلْمًا وَحِكْمَةً.
وَسَلُّوا العَلِيمَ الحَكِيمَ عِلْمًا نَفْهَمُ بِهِ الْأُمُورَ، وَنُدْرِكُ الْحَقَائِقَ،
وَنَسِيرُ عَلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ،
وَحِكْمَةً نُصِيبُ بِهَا فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ.
يَا عَلِيمُ يَا حَكِيمُ، فَتِّحْ قَلْبِي لِفَهْمٍ صَادِقٍ، وَرُؤْيَةٍ صَائِبَةٍ.
لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ العَلِيمُ الحَكِيمُ، *كَرِّرْهَا بِتَدَبُّرٍ،* **لِيَنْفُذَ نُورُ ٱلْفَهْمِ إِلَىٰ قَلْبِكَ.**

ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ
ٱلدُّعَاءُ بِهٰذَا ٱلِٱسْمِ بِنِيَّةِ: طَلَبِ ٱلرِّفْعَةِ بِٱلْعِلْمِ وَٱلْفَهْمِ، وَحُسْنِ ٱلْجَزَاءِ
لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ

كَانَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مِنْ أَعْظَمِ ٱلْمُدَافِعِينَ عَنِ ٱلتَّوْحِيدِ،
وَقَدْ وَاجَهَ قَوْمَهُ بِٱلْحُجَّةِ ٱلْقَوِيَّةِ وَٱلْبُرْهَانِ ٱلسَّاطِعِ، فَرَدَّ عَلَيْهِمْ بِذَكَاءٍ وَوُضُوحٍ،
حَتَّى ظَهَرَتْ حُجَّةُ ٱللَّهِ عَلَىٰ لِسَانِهِ وَغَلَبَ بِهَا خُصُومَهُ.
وَلِهَذَا ذَكَرَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ فَضْلَهُ وَنِعَمَهُ عَلَيْهِ فِي قَوْلِهِ:

"وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ" الأنعام: ٨٣

أَبْرَزُ وُجُوهِ ٱلنِّعَمِ ٱلَّتِي أَنْعَمَ ٱللَّهُ بِهَا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ:

ومَعْنَى ٱلْآيَةِ ٱلْكَرِيمَةِ:

ٱلْقَوْلُ: **وَتِلْكَ حُجَّتُنَا** يُشِيرُ إِلَىٰ كُلِّ مَا قَالَهُ إِبْرَاهِيمُ فِي مُنَاظَرَاتِهِ مَعَ قَوْمِهِ
لِيُثْبِتَ أَنَّ ٱللَّهَ وَحْدَهُ هُوَ ٱلْمُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ، وَأَنَّ عِبَادَةَ ٱلْأَصْنَامِ لَا تَقُومُ عَلَىٰ دَلِيلٍ.
أَيْ: تِلْكَ ٱلْحُجَّةُ ٱلْقَاطِعَةُ ٱلَّتِي لَا تُدْحَضُ، جَعَلْنَاهَا فِي يَدِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ،
فَكَانَ بِهَا غَالِبًا فِي حُجَّتِهِ، قَاطِعًا لِأَلْسِنَةِ قَوْمِهِ عَنِ ٱلْجَدَلِ وَٱلْمُخَاصَمَةِ.

"نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ"

فَٱللَّهُ يَرْفَعُ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فِي دَرَجَاتِ ٱلْعِلْمِ وَٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَنْزِلَةِ، وَفْقًا لِحِكْمَتِهِ وَعَدْلِهِ.

"إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ"

أَيْ: أَنَّ ٱللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَكِيمٌ فِي أَفْعَالِهِ، لَا يَضَعُ ٱلْأُمُورَ إِلَّا فِي مَوَاضِعِهَا، عَلِيمٌ بِكُلِّ شَيْءٍ،
يَعْلَمُ مَا فِي ٱلظَّاهِرِ وَٱلْبَاطِنِ، وَمَا تُخْفِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلضَّمَائِرُ.

كَمَا وَرَدَ ٱسْمُ" **ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ** "فِي ٱلْقُرْآنِ فِي سِيَاقِ ٱلْجَزَاءِ وَٱلْعِقَابِ، فَهُوَ سُبْحَانَهُ يُجْزِي ٱلْعِبَادَ
بِأَعْمَالِهِمْ، إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ، وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ.
قَالَ تَعَالَىٰ:

"وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ ۚ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ" الحجر: ٢٥

أَيْ: إِنَّ رَبَّكَ وَحْدَهُ هُوَ ٱلَّذِي يَحْشُرُ ٱلْخَلَائِقَ جَمِيعًا، ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْآخِرِينَ، وَيَجْمَعُهُمْ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ، فَهُوَ ٱلْحَكِيمُ فِي تَدْبِيرِهِ، ٱلْعَلِيمُ بِأَعْمَالِ عِبَادِهِ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مِنْ أَحْوَالِهِمْ شَيْءٌ.

وَيَقُولُ ٱللَّهُ أَيْضًا:

"سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ۚ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ". الأنعام: ١٣٩

أَيْ: سَيُجَازِيهِمْ عَلَىٰ مَا وَصَفُوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ مِنْ كُفْرٍ أَوْ نِفَاقٍ أَوْ صَدٍّ عَنْ سَبِيلِ ٱللَّهِ، لِأَنَّهُ عَلِيمٌ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ، وَحَكِيمٌ فِي إِنْزَالِ ٱلْعُقُوبَةِ أَوِ ٱلثَّوَابِ عَلَيْهِمْ بِعَدْلٍ وَرَحْمَةٍ.

فَمَنْ عَرَفَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ،

أَيْقَنَ أَنَّ ٱلْجَزَاءَ عِنْدَهُ دَقِيقٌ وَعَادِلٌ،

وَأَنَّ ٱلرِّفْعَةَ وَٱلْخَيْرَ وَٱلْعَطَاءَ لَا تَأْتِي عَبَثًا، بَلْ وِفْقَ حِكْمَةٍ وَعِلْمٍ.

فَٱسْتَشْعِرْ أَنَّ كُلَّ فَهْمٍ تُرْزَقُهُ، وَكُلَّ رِفْعَةٍ فِي ٱلْعِلْمِ، وَكُلَّ حِكْمَةٍ تَنْطِقُ بِهَا، هِيَ مِنْ عَطَاءِ ٱلْحَكِيمِ ٱلْعَلِيمِ. وَٱطْلُبْهَا مِنْهُ، إِنَّهُ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ.

فَاسْأَلُوا ٱلْحَكِيمَ ٱلْعَلِيمَ:

- ٱلْجَزَاءَ ٱلْحَسَنَ،
- وَٱلرِّفْعَةَ بِٱلْعِلْمِ،
- وَٱلْفَهْمَ ٱلصَّائِبَ،
- وَٱلْفَضْلَ ٱلْعَظِيمَ،
- وَٱلْعَقْلَ ٱلرَّاسِخَ،

فَهُوَ سُبْحَانَهُ لَا يُعْطِي إِلَّا بِحِكْمَةٍ، وَلَا يَمْنَعُ إِلَّا بِعِلْمٍ.

لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ،

كَرِّرْهَا، وَكُلَّمَا قُلْتَهَا، سَتَجِدْ نَفْسَكَ تَزْدَادُ فَهْمًا، وَتَرْتَقِي بِهِ دَرَجَاتٍ عِنْدَ ٱللَّهِ.

ٱلْحَمِيدُ ٱلْمَجِيدُ

ٱلدُّعَاءُ بِهَذَا ٱلِٱسْمِ بِنِيَّةِ: ٱلصَّلَاةِ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ﷺ بِأَشْرَفِ ٱلصِّيَغِ، فَتُقْضَىٰ بِهَا ٱلْجَوَائِجُ

لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَمِيدُ ٱلْمَجِيدُ

عِنْدَمَا بَشَّرَتِ ٱلْمَلَائِكَةُ سَارَةَ بِأَنَّهَا سَتَلِدُ إِسْحَاقَ، تَعَجَّبَتْ وَقَالَتْ:

"يَا وَيْلَتَىٰ أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ". *هود: ٧٢*

فَرَدَّتِ ٱلْمَلَائِكَةُ عَلَيْهَا بِقَوْلِ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ:

"قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ" *هود: ٧٣*

ٱلْحَمِيدُ: ٱلَّذِي يَسْتَحِقُّ ٱلْحَمْدَ كُلَّهُ.

ٱلْمَجِيدُ: ٱلْكَرِيمُ ٱلْوَاسِعُ ٱلْإِحْسَانِ، لَيْسَ بَعِيدًا مِنْهُ أَنْ يُعْطِيَ ٱلْوَلَدَ لِلْآبَاءِ بَعْدَ ٱلْكِبَرِ وَبُلُوغِ سِنِّ ٱلْيَأْسِ.

وَقَدْ وَرَدَ هَذَانِ ٱلِٱسْمَانِ ٱلْعَظِيمَانِ "ٱلْحَمِيدُ ٱلْمَجِيدُ" مَرَّةً أُخْرَىٰ فِي ٱلصَّلَاةِ ٱلْإِبْرَاهِيمِيَّةِ ٱلَّتِي نُرَدِّدُهَا فِي كُلِّ صَلَاةٍ، حِينَ نَقُولُ:

"ٱللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَعَلَىٰ آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ". *رواه البخاري ومسلم*

وَهَذَا ٱلتَّكْرَارُ لَهُ دَلَالَةٌ، فَكَأَنَّ ٱسْمَ "ٱلْحَمِيدُ ٱلْمَجِيدُ" ٱرْتَبَطَ بِآلِ إِبْرَاهِيمَ،
وَبِمَا أَنْعَمَ ٱللَّهُ بِهِ عَلَيْهِمْ مِنَ ٱلنِّعَمِ ٱلْجَلِيلَةِ، وَأَعْظَمُهَا هِبَةُ ٱلْوَلَدِ فِي سِنٍّ مُتَقَدِّمَةٍ،
بَعْدَ أَنْ ظَنُّوا أَن لَا وَلَدَ لَهُمْ.

وَلَعَلَّ هَذَا هُوَ ٱلسِّرُّ فِي عَظَمَةِ ٱلصَّلَاةِ ٱلْإِبْرَاهِيمِيَّةِ،
فَهِيَ مِنْ أَفْضَلِ صِيَغِ ٱلصَّلَاةِ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ﷺ،
وَيُقَالُ إِنَّهَا سَبَبٌ فِي تَفْرِيجِ ٱلْهُمُومِ، وَقَضَاءِ ٱلْحَاجَاتِ،
وَنَيْلِ ٱلْعَطَايَا، كَمَا نَالَ آلُ إِبْرَاهِيمَ مَا كَانُوا يَرْجُونَهُ.

عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ ٱللَّهِ، إِنِّي أُكْثِرُ ٱلصَّلَاةَ عَلَيْكَ، فَكَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلَاتِي؟

قَالَ: مَا شِئْتَ

قُلْتُ: ٱلرُّبُعَ؟

قَالَ: مَا شِئْتَ، وَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ

قُلْتُ: ٱلنِّصْفَ؟

قَالَ: مَا شِئْتَ، وَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ

قُلْتُ: ٱلثُّلُثَيْنِ؟

قَالَ: مَا شِئْتَ، وَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ

قُلْتُ: أَجْعَلُ صَلَاتِي كُلَّهَا لَكَ؟

قَالَ» :**إِذًا تُكْفَىٰ هَمَّكَ وَيُغْفَرُ لَكَ ذَنْبُكَ.** *رواه الترمذي*

فَأَكْثِرْ مِنَ ٱلصَّلَاةِ وَٱلسَّلَامِ عَلَيْهِ، وَكُلَّمَا زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ،

مَعَ نِيَّةِ قَضَاءِ ٱلْحَوَائِجِ وَتَوْسِيعِ ٱلرِّزْقِ،

مُسْتَشْعِرًا عَظَمَةَ ٱلْحَمِيدِ ٱلْمَجِيدِ، وَاسِعِ ٱلْجُودِ،

وَمُتَذَكِّرًا أَنَّ نَبِيَّكَ مُحَمَّدًا ﷺ هُوَ حَامِلُ لِوَاءِ ٱلْحَمْدِ، ٱلْمُمَجَّدُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ.

ٱللَّهُمَّ ٱجْعَلْنَا مِنْ أَهْلِ ٱلْحَمْدِ وَٱلْمَجْدِ،

ٱللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِ مُحَمَّدٍ،

كَمَا صَلَّيْتَ عَلَىٰ آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ،

وَبَارِكْ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِ مُحَمَّدٍ،

كَمَا بَارَكْتَ عَلَىٰ آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ.

كَرِّرْهَا

وَهَذِهِ ٱلصَّلَاةُ مِنْ أَفْضَلِ ٱلصِّيَغِ وَأَكْمَلِهَا، فَلَا يَخْتَارُ ٱلنَّبِيُّ ﷺ لِنَفْسِهِ إِلَّا ٱلْأَفْضَلَ وَٱلْأَشْرَفَ.

ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ
ٱلدُّعَاءُ بِهَذَا ٱلْإِسْمِ بِنِيَّةِ: إِظْهَارِ ٱلْحَقِّ وَٱلْإِنْصَافِ وَكَشْفِ ٱلْمَظَالِمِ
لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ

أَمَرَ ٱللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ ﷺ أَنْ يَسْأَلَ ٱلْمُشْرِكِينَ:

"قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ؟ "سورة سبأ: ٢٤

لِيُنَبِّهَهُمْ إِلَىٰ أَنَّ ٱللَّهَ وَحْدَهُ هُوَ ٱلَّذِي يَمُدُّهُمْ بِكُلِّ رِزْقِهِمْ، سَوَاءٌ مِنَ ٱلْمَطَرِ أَوِ ٱلنَّبَاتَاتِ أَوِ ٱلْمَعَادِنِ، فَلَا بُدَّ أَنْ يَعْتَرِفُوا بِذَٰلِكَ.

ثُمَّ قَالَ لَهُمْ:

"وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ "سورة سبأ: ٢٤

أَيْ إِنَّ أَحَدَنَا مُهْتَدٍ وَٱلْآخَرُ ضَالٌّ، وَٱلْعَقْلُ وَٱلضَّمِيرُ سَيُبَيِّنُ مَنْ هُوَ عَلَى ٱلْحَقِّ.

بَعْدَهَا أَمَرَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ ﷺ أَنْ يَذْكُرَهُمْ:

"قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ) "سورة سبأ: ٢٥

أَيْ: وَقُلْ لَهُمْ – أَنْتُمْ أَيُّهَا ٱلْمُشْرِكُونَ –

لَا تُسْأَلُونَ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ عَنْ إِجْرَامِنَا فِي حَقِّ أَنْفُسِنَا – إِنْ كُنَّا قَدْ أَجْرَمْنَا وَأَخْطَأْنَا فِي حَقِّهَا –،

وَنَحْنُ أَيْضًا لَا يَسْأَلُنَا ٱللَّهُ – تَعَالَى – عَنْ سَبَبِ بَقَائِكُمْ فِي ٱلْكُفْرِ وَفِي ٱلْأَعْمَالِ ٱلسَّيِّئَةِ،

لِأَنَّنَا قَدْ بَلَّغْنَاكُمْ رِسَالَةَ رَبِّكُمْ – عَزَّ وَجَلَّ –،

وَنَصَحْنَاكُمْ بِٱلْإِقْلَاعِ عَنِ ٱلشِّرْكِ وَٱلْمَعَاصِي.

ثُمَّ أَمَرَهُ – سُبْحَانَهُ – أَنْ يَذْكُرَهُمْ بِيَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ وَمَا فِيهِ مِنْ حِسَابٍ دَقِيقٍ:

"قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ) "سورة سبأ: ٢٦

أَيْ: وَقُلْ لَهُمْ – أَيُّهَا ٱلرَّسُولُ ٱلْكَرِيمُ – إِنَّ ٱللَّهَ – تَبَارَكَ وَتَعَالَى – بِقُدْرَتِهِ س

َ يَجْمَعُنَا وَإِيَّاكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَحْكُمُ بَيْنَنَا جَمِيعًا بِحُكْمِهِ ٱلْعَادِلِ،

وَهُوَ – سُبْحَانَهُ:–

"ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ"

أَيْ: ٱلْحَاكِمُ فِي كُلِّ أَمْرٍ بِٱلْحُكْمِ ٱلْحَقِّ، يَتَبَيَّنُ بِهِ ٱلصَّادِقُ مِنَ ٱلْكَاذِبِ، وَٱلْمُسْتَحِقُّ لِلثَّوَابِ مِنَ ٱلْمُسْتَحِقِّ لِلْعِقَابِ، وَٱلْعَلِيمُ ٱلْمُطَّلِعُ عَلَىٰ جَمِيعِ أَحْوَالِ عِبَادِهِ.

فَمَعْنَىٰ **ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ** :ٱلْقَاضِي بِٱلْحَقِّ، ٱلْعَلِيمُ بِأَحْوَالِ ٱلْخَلْقِ وَمَا فِي صُدُورِهِمْ.

ٱسْمُ" **ٱلْفَتَّاحُ** "يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ ٱللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هُوَ ٱلَّذِي يَفْتَحُ أَبْوَابَ ٱلْحُلُولِ فِي كُلِّ مُشْكِلَةٍ، وَهُوَ ٱلَّذِي يَكْشِفُ ٱلْأَسْرَارَ وَيُظْهِرُ ٱلْحَقَائِقَ.

"**ٱلْعَلِيمُ** "لَا يَجْهَلُ شَيْئًا، لَا فِي ٱلسَّرَائِرِ وَلَا فِي ٱلظَّوَاهِرِ، فَهُوَ يَعْلَمُ نَوَايَا ٱلْقُلُوبِ وَأَسْرَارَ ٱلنُّفُوسِ، وَكُلَّ ٱلظُّرُوفِ ٱلْمُحِيطَةِ بِٱلنَّاسِ.

فَٱطْلُبُوا مِنْهُ ٱلْعَدْلَ وَٱلْإِنْصَافَ فِي كُلِّ ٱلْخِلَافَاتِ، وَٱلْخُصُومَاتِ، وَٱلدَّعَاوَى ٱلْكَاذِبَةِ، وَٱلِٱتِّهَامَاتِ ٱلْبَاطِلَةِ.

فَٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰ كَشْفِ ٱلْحَقِيقَةِ وَتَحْقِيقِ ٱلْعَدَالَةِ بِأَكْمَلِ وَجْهٍ.

ٱللَّهُمَّ يَا فَتَّاحُ يَا عَلِيمُ،
كُنْ لَنَا حَكَمًا عَدْلًا،
وَٱفْتَحْ لَنَا فُتُوحَ ٱلْعَارِفِينَ بِكَ،
لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ.

عَلَّامُ ٱلْغُيُوبِ

ٱلدُّعَاءُ بِهَٰذَا ٱلاَسْمِ، بِنِيَّةِ: دَفْعِ ٱلتُّهَمِ ٱلْبَاطِلَةِ، وَإِظْهَارِ ٱلْحَقِّ، وَدَفْعِ ٱلشُّبُهَاتِ

لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ، عَلَّامُ ٱلْغُيُوبِ

فِي يَوْمٍ تَتَغَيَّرُ فِيهِ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ،
وَتَتَشَقَّقُ السَّمَاءُ عَنِ المَلَائِكَةِ تَنْزِلُ مِن كُلِّ سَمَاءٍ صَفًّا،
يَوْمٍ تُدَكُّ فِيهِ الجِبَالُ دَكًّا، وَيُنسَى الوَلَدُ وَالوَالِدُ،
وَيَذْهَلُ المُرْضِعُ عَمَّا أَرْضَعَتْ،
وَيُسَاقُ الخَلْقُ إِلَى أَرْضِ المَحْشَرِ حَفَاةً عُرَاةً غُرْلًا،
تَحْتَ شَمْسٍ تَدْنُو مِنْهُمْ مِقْدَارَ مِيلٍ،
فَيَغْرَقُ النَّاسُ فِي عَرَقِهِمْ عَلَى قَدَرِ أَعْمَالِهِمْ...
هُنَاكَ، فِي هذَا المَشْهَدِ المهُولِ، تَتَقَاصَرُ الكَلِمَاتُ، وَتَضِيعُ الأَصْوَاتُ،
وَتَخْنُقُ القُلُوبَ الحَسْرَةُ وَالخَوْفُ.
فِي هذَا اليَوْمِ، يَسْأَلُ اللهُ الرُّسُلَ الكِرَامَ
:﴿**يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ قَالُواْ لَا عِلْمَ لَنَآ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ**﴾ *المائدة: ١٠٩*

فَالرُّسُلُ قَالُوا:
نَحْنُ لَا نَعْلَمُ مَا فِي صُدُورِ النَّاسِ، وَلَا مَا أَحْدَثُوا بَعْدَنَا،
إِنَّكَ أَنْتَ عَلِيمٌ بِكُلِّ شَيْءٍ مِمَّا ظَهَرَ وَخَفِيَ.

وَكَذَلِكَ قَالَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي هذَا المَوْقِفِ العَصِيبِ، لِدَرْءِ التُّهْمَةِ عَنْ نَفْسِهِ:
﴿**وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ**﴾. *سورة المائدة: ١١٦*

وَالْمَقْصُودُ:

تَعْلَمُ مَا أَعْلَمُ، وَلَا أَعْلَمُ مَا تَعْلَمُ،
وَتَعْلَمُ مَا فِي غَيْبِي، وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي غَيْبِكَ،
إِنَّكَ أَنْتَ – يَا إِلَهِي – عَلَّامُ الغُيُوبِ بِكُلِّ أَنوَاعِهَا.

فَٱلرُّسُلُ قَدْ لَجَؤُوا إِلَىٰ **عَلَّامِ ٱلْغُيُوبِ** لِإِنْصَافِهِمْ، وَلِدَرْءِ ٱلتُّهْمَةِ عَنْهُمْ.

وَأَمَّا هؤُلَاءِ المنَافِقُونَ، فَقَدْ قَالَ تَعَالَى فِيهِمْ
: ﴿**أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ**﴾. *سورة التوبة: ٧٨*

فَعَلَّامُ ٱلْغُيُوبِ يَعْلَمُ مَا يَتَنَاجَوْنَ بِهِ، وَمَا يُذِيعُونَهُ مِنْ شُبُهَاتٍ،
عَلِيمٌ بِأَحْوَالِهِمْ وَسَيُجَازِيهِمْ عَلَيْهَا.

وقَالَ سُبحانَهُ:

﴿**قُلْ إِنَّ رَبِّى يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ**﴾ *سورة سبأ: ٤٨*

فَلَا يَقِفُ لِلْحَقِّ الَّذِي يُقْذَفُ بِهِ عَلَّامُ الغُيُوبِ أَحَدٌ، وَلَا يَعْتَرِضُهُ مُعْتَرِضٌ.

فَٱلْجَأْ إِلَىٰ عَلَّامِ ٱلْغُيُوبِ؛
فَإِنَّهُ ٱلَّذِي يَعْلَمُ صِدْقَكَ وَلَوْ كَذَّبَكَ ٱلنَّاسُ،
وَإِذَا أَحَاطَتْ بِكَ ٱلشُّبُهَاتُ،
فَثِقْ أَنَّ ٱلْحَقَّ ٱلَّذِي يَقْذِفُهُ رَبُّكَ لَا يَرُدُّهُ أَحَدٌ.
لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ... **عَلَّامُ ٱلْغُيُوبِ.**

ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ
ٱلدُّعَاءُ بِهَذَا ٱلِٱسْمِ بِنِيَّةِ: ٱلْإِنْصَافِ وَإِظْهَارِ ٱلْحَقِّ
لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ

بَعْدَ أَن أَمَرَ – سُبْحَانَهُ – ٱلْمُؤْمِنِينَ بِٱلْعَفْوِ وَٱلصَّفْحِ عَمَّنِ ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَانُ فَخَاضُوا فِي حَدِيثِ ٱلْإِفْكِ، ثُمَّ نَدِمُوا وَتَابُوا،

أَتْبَعَ ذَلِكَ بِبَيَانِ سُوْءِ عَاقِبَةِ ٱلْمُصِرِّينَ عَلَى ٱلْخُبْثِ، ٱلسَّاعِينَ فِي إِشَاعَةِ ٱلْفَاحِشَةِ فِي صُفُوفِ ٱلْجَمَاعَةِ ٱلْإِسْلَامِيَّةِ.

فَالَّذِينَ يُقْذِفُونَ بِٱلزِّنَى ٱلْعَفِيفَاتِ ٱلْغَافِلَاتِ ٱلْمُؤْمِنَاتِ، ٱلَّاتِي لَمْ يَخْطُرْ ذَلِكَ بِقُلُوبِهِنَّ، مَطْرُودُونَ مِنْ رَحْمَةِ ٱللَّهِ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ، وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ.

قَالَ تَعَالَى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَاتِ ٱلْغَافِلَاتِ ٱلْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ *(ٱلنُّورُ: ٢٣)*.

وَفِي هَذِهِ ٱلْآيَةِ دَلِيلٌ **عَلَىٰ كُفْرِ مَن سَبَّ أَوِ ٱتَّهَمَ زَوْجَةً** مِنْ زَوْجَاتِ ٱلنَّبِيِّ ﷺ بِسُوءٍ.

وَذَلِكَ ٱلْعَذَابُ يَنْتَظِرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ، يَوْمَ يَقِفُونَ بَيْنَ يَدَي ٱللَّهِ لِلْحِسَابِ،

﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾. *(ٱلنُّورُ: ٢٤)*

وَقَدْ وَرَدَ فِي ٱلْحَدِيثِ عَنْ رَسُولِ ٱللَّهِ ﷺ:

"إِذَا كَانَ يَوْمُ ٱلْقِيَامَةِ، عُرِفَ ٱلْكَافِرُ بِعَمَلِهِ، فَيَجْحَدُ وَيُخَاصِمُ،

فَيُقَالُ لَهُ:

هَؤُلَاءِ جِيرَانُكَ يَشْهَدُونَ عَلَيْكَ.

فَيَقُولُ: كَذَبُوا.

فَيُقَالُ: أَهْلُكَ وَعَشِيرَتُكَ. فَيَقُولُ: كَذَبُوا.

فَيُقَالُ: ٱحْلِفْ. فَيَحْلِفُونَ،

ثُمَّ يُصْمِتُهُمُ ٱللَّهُ، فَتَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَيْدِيهِمْ وَأَلْسِنَتُهُمْ، ثُمَّ يَدْخُلُهُمُ ٱلنَّارَ." *(رَوَاهُ ٱلْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ)*

وَذَلِكَ هُوَ ٱلْجَزَاءُ ٱلْحَقُّ ٱلْعَادِلُ ٱلَّذِي يَسْتَحِقُّونَهُ
بِسَبَبِ رَمْيِهِمُ ٱلنِّسَاءِ ٱلْمُحْصَنَاتِ ٱلْغَافِلَاتِ ٱلْمُؤْمِنَاتِ بِٱلْفَاحِشَةِ، بِلاَ بَيِّنَةٍ وَلَا تَقْوَىٰ.

قَالَ تَعَالَىٰ:
﴿ **يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ** ﴾ (النُّور: ٢٥)

" ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ"

أَي: ٱلَّذِي يُظْهِرُ مَا أَبْطَنَتْهُ ٱلنُّفُوسُ، وَخَبَّأَتْهُ ٱلضَّمَائِرُ،
ٱلْعَلِيمُ بِٱلسَّرَائِرِ،
وَٱلْقَادِرُ عَلَىٰ مُجَازَاةِ ٱلْمُسِيئِينَ بِعَدْلِهِ، وَٱلْمُحْسِنِينَ بِفَضْلِهِ.

فَكُونُوا دَائِمًا عَلَىٰ ٱلْحَقِّ، فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ
ٱلْمُظْهِرُ لِلْحَقِّ، وَنَاصِرُ صَاحِبِهِ، وَوَلِيُّهُ.
وَٱلْقَاضِيَ بِجَزَائِهِ ٱلْعَادِلِ،
وَسَلُوهُ ٱلْإِنْصَافَ فِي ٱلِٱتِّهَامَاتِ وَٱلْخُصُومَاتِ.
وَكُونُوا دَائِمًا عَلَىٰ ٱلْحَقِّ،
وَٱطْلُبُوا مِنَ ٱللَّهِ أَنْ يُظْهِرَهُ لَكُمْ فِي ٱلْمَوَاضِعِ ٱلْمُلْتَبِسَةِ.

يَا حَقُّ يَا مُبِينُ، لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ.

ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ
ٱلدُّعَاءُ بِهٰذَا ٱلِاسْمِ بِنِيَّةِ: طَلَبِ ٱلْهِدَايَةِ وَٱلثَّبَاتِ، وَحُسْنِ ٱلْخِتَامِ
لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَمِيدُ

ٱلْقُرْآنُ ٱلْكَرِيمُ كِتَابُ ٱلنُّورِ، ٱلَّذِي أَنْقَذَ ٱلْحَائِرِينَ فِي أَمْوَاجِ ٱلظُّلُمَاتِ،
وَأَنَارَ لَهُمْ طَرِيقَ ٱلْهِدَايَةِ إِلَى رَبِّ ٱلسَّمَاوَاتِ.
طُرُقُ ٱلْجَهْلِ وَٱلْكُفْرِ كَثِيرَةٌ، وَطَرِيقُ ٱلْعِلْمِ وَٱلْإِيمَانِ وَاحِدَةٌ،
فَالْحَقُّ وَاحِدٌ، وَٱلْبَاطِلُ مُتَعَدِّدٌ.
فَكَيْفَ لَا يَكُونُ ٱلصِّرَاطُ آمِنًا، وَإِلَى ٱلسَّعَادَةِ مُوَصِّلًا،
وَقَدْ تَكَلَّفَ بِهِ ذُو ٱلْعِزَّةِ وَٱلْجَلَالِ، وَحَمِدَ سَالِكِيهِ، وَوَعَدَهُمْ بِحُسْنِ ٱلْعَاقِبَةِ؟
يَقُولُ تَعَالَى:

"الر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَاتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَاطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ"

إبراهيم: ١

فَهَذَا كِتَابٌ جَلِيلُ ٱلشَّأْنِ، عَظِيمُ ٱلْقَدْرِ، أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ – يَا مُحَمَّدُ – لِكَيْ تُخْرِجَ ٱلنَّاسَ
مِنْ ظُلُمَاتِ ٱلْكُفْرِ وَٱلْجَهَالَةِ وَٱلضَّلَالِ، إِلَى نُورِ ٱلْإِيمَانِ وَٱلْعِلْمِ وَٱلْهِدَايَةِ.
وَهَذَا ٱلْإِخْرَاجُ إِنَّمَا هُوَ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ، وَمَشِيئَتِهِ، وَإِرَادَتِهِ، وَأَمْرِهِ.
إِلَى صِرَاطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ:
أَي: إِلَى طَرِيقِ ٱللَّهِ، ٱلْعَزِيزِ ٱلَّذِي لَا يُغْلَبُ، ٱلْحَمِيدِ ٱلَّذِي يُحْمَدُ فِي كُلِّ حَالٍ،
وَٱلَّذِي يَحْمَدُ سَالِكُ هَذَا ٱلصِّرَاطِ، وَيُوَفِّقُهُمْ لِلْخَيْرَاتِ، وَيَمْحُو عَنْهُمْ ٱلسَّيِّئَاتِ.

وَيُؤَيِّدُ ٱلنَّبِيَّ ﷺ فِي هَذَا ٱلطَّرِيقِ، ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْعِلْمَ،
وَهُمْ أَتْبَاعُهُ ٱلصَّادِقُونَ، وَٱلْمُؤْمِنُونَ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَابِ.
قَالَ تَعَالَى:

"وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ"

سبأ: ٦

فَالْقُرْآنُ يَهْدِي، وَيُثْبِتُ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ، وَيَقُودُ ٱلْقُلُوبَ إِلَى ٱلصِّرَاطِ ٱلْمُسْتَقِيمِ،
صِرَاطِ **ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ**.

ٱلْعَزِيزُ: ٱلَّذِي لَا يُضَامُ مَن لَاذَ بِجَنَابِهِ، وَلَا يُقْهَرُ مَن اِحْتَمَىٰ بِسُلْطَانِهِ، ٱلشَّدِيدُ فِي ٱنتِقَامِهِ، إِذَا أَخَذَ ٱلظَّالِمِينَ لَمْ يُفْلِتْهُمْ.

ٱلْحَمِيدُ: ٱلْمَحْمُودُ فِي جَمِيعِ أَفْعَالِهِ وَأَقْوَالِهِ، فَلَا يَفْعَلُ إِلَّا مَا هُوَ حِكْمَةٌ وَعَدْلٌ وَرَحْمَةٌ.

وَإِنْ كَانَ قَدْ قَدَّرَ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَا قَدَّرَ مِنَ ٱلْبَلَاءِ، كَأَصْحَابِ ٱلْأُخْدُودِ
ٱلَّذِينَ أَحْرَقَهُمُ ٱلْكُفَّارُ بِنِيرَانِهِمْ،
فَإِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ لِحِكْمَةٍ عَلِيَّةٍ، وَإِنْ خَفِيَتْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِنَ ٱلنَّاسِ.

قَالَ تَعَالَى:

"وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ". البروج: ٨

فَهُمْ لَمْ يُذْنِبُوا سِوَىٰ إِيمَانِهِمْ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ. ٱلَّذِي وَعَدَ سَالِكَهُ بِحُسْنِ ٱلْخِتَامِ.

فَكَانَتْ شَهَادَتُهُمْ فِي سَبِيلِهِ خَاتِمَةً حَسَنَةً.

فَقَدِ ٱرْتَبَطَ ٱسْمُهُ ٱلْجَلِيلُ "ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَمِيدُ" فِي مَوَاضِعِ ٱلْقُرْآنِ بِٱلصِّرَاطِ، وَبِحُسْنِ ٱلْخِتَامِ.

يَقُولُ تَعَالَى عَنْ أَهْلِ ٱلْإِيمَانِ عِنْدَ دُخُولِهِمُ ٱلْجَنَّةَ:

"**وَهُدُوا إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ ٱلْحَمِيدِ**". الحج: ٢٤

فَالطَّيِّبُ مِنَ ٱلْقَوْلِ كَقَوْلِهِمْ:

"**ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ**." فاطر: ٣٤

وَهُوَ تَعْبِيرٌ عَنْ حُسْنِ ٱلْخَاتِمَةِ، وَشُكْرٌ لِعَظِيمِ ٱلنِّعْمَةِ، بَعْدَ صَبْرٍ وَيَقِينٍ.

وَقَدْ جَاءَ فِي ٱلْآيَةِ: "صِرَاطِ ٱلْحَمِيدِ" دُونَ ذِكْرِ "ٱلْعَزِيزِ"،
لِأَنَّهُمْ فِي ٱلْجَنَّةِ قَدْ نَالُوا ٱلْعِزَّ وَٱلْكَرَامَةَ، فَلَا يُخَافُ عَلَيْهِمْ بَعْدَ ذَلِكَ بَأْسٌ وَلَا ذُلٌّ.

فَٱطْلُبُوا ٱلْهِدَايَةَ، وَٱرْجُوا حُسْنَ ٱلْخِتَامِ، مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ،
ٱلَّذِي لَا يُضِلُّ مَنِ ٱهْتَدَىٰ، وَلَا يَرُدُّ مَن دَعَاهُ، وَلَا يَنسَىٰ مَن تَابَ إِلَيْهِ بِصِدْقٍ.

يَا عَزِيزُ، يَا حَمِيدُ، ٱجْعَلْنِي مِنَ ٱلسَّالِكِينَ صِرَاطَكَ، ٱلْمَحْفُوظِينَ فِي خِتَامِهِمْ.

كَرِّرْ فِي خَلْوَتِكَ: لَا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَمِيدُ.

الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ
نِيَّةِ الذِّكْرِ :رَجَاءُ الْخَيْرِ فِي تَبَدُّلِ الْوُجُوهِ وَالْأَشْخَاصِ وَالْأَحْوَالِ
لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ:

قُلْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ أَتَىٰ عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟

قَالَ ﷺ: لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكَ مَا لَقِيتُ،

وَكَانَ أَشَدُّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ،

إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلِ بْنِ عَبْدِ كَلَالٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَىٰ مَا أَرَدْتُ،

فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَىٰ وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ.

ثُمَّ رَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا سَحَابَةٌ قَدْ أَظَلَّتْنِي،

فَنَظَرْتُ، فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ،

فَنَادَانِي، فَقَالَ:

إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ،

وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ".

فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ، فَسَلَّمَ عَلَيَّ،

ثُمَّ قَالَ: "يَا مُحَمَّدُ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبَيْنِ (وَهُمَا جَبَلَا مَكَّةَ)، فَافْعَلْ".

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

"بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ، لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا". رواه البخاري

فَقَدْ أَمَرَهُ سُبْحَانَهُ بِالصَّفْحِ الْجَمِيلِ عَنْ أَعْدَائِهِ،

وَمِنْ شَأْنِ الَّذِي يَصْفَحُ عَنْ غَيْرِهِ، أَنْ يَكُونَ أَقْوَى وَأَعَزَّ مِنْ هٰذَا الْغَيْرِ

فَكَأَنَّهُ، سُبْحَانَهُ، يَقُولُ لَهُ:

اصْفَحْ عَنْهُمْ، فَعَمَّا قَرِيبٍ سَتَكُونُ لَكَ الْكَلِمَةُ الْعُلْيَا عَلَيْهِمْ.

قَالَ تَعَالَىٰ:

"فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ، إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ". الحجر: ٨٥-٨٦

وَالـ"**خَلَّاقُ**": كَثِيرُ الخَلْقِ، وَ"**الْعَلِيمُ**": شَامِلُ الْعِلْمِ.

أَيْ: إِنَّ رَبَّكَ أَيُّهَا الرَّسُولُ الْكَرِيمُ، الَّذِي رَبَّاكَ بِرِعَايَتِهِ وَعِنَايَتِهِ،وَاخْتَارَكَ لِحَمْلِ رِسَالَتِهِ،
هُوَ سُبْحَانَهُ الْخَلَّاقُ لَكَ وَلَهُمْ وَلِكُلِّ شَيْءٍ فِي هٰذَا الْوُجُودِ،
الْعَلِيمُ بِأَحْوَالِكَ وَبِأَحْوَالِهِمْ، وَبِمَا يَصْلُحُ لَكَ وَلَهُمْ وَلِكُلِّ الْكَائِنَاتِ.

فَمَصْلَحَةُ النَّبِيِّ ﷺ فِي الصَّفْحِ هِيَ مِنْ كَمَالِ أَخْلَاقِهِ،
وَمَصْلَحَتُهُمْ فِي الصَّفْحِ، رَجَاءُ إِيمَانِهِمْ،
فَاللَّهُ الْخَلَّاقُ لَكُمْ وَلَهُمْ وَلِنَفْسِكَ وَأَنْفُسِهِمْ، الْعَلِيمُ بِمَا يَأْتِيهِ كُلٌّ مِنْكُمْ.

وَفِي وَصْفِهِ بِـ"الْخَلَّاقِ الْعَلِيمِ" بَشَارَةٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ،
بِأَنَّ اللَّهَ يَخْلُقُ مِنْ أُولَئِكَ مَنْ يَكُونُونَ أَوْلِيَاءَ لِلنَّبِيِّ ﷺ،
وَهُمُ الَّذِينَ آمَنُوا بَعْدَ نُزُولِ هٰذِهِ الْآيَةِ، وَالَّذِينَ وُلِدُوا بَعْدَهَا،
كَقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ:
"**لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُخْرِجَ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُهُ**". رواه البخاري

فَهُوَ جَلَّ جَلَالُهُ يَخْلُقُ مِنْ أَصْلَابِ الظَّالِمِينَ أَوْلِيَاءَ،
وَيُبَدِّلُ الْقُلُوبَ بَعْدَ جُمُودٍ، وَيُغَيِّرُ أَحْوَالًا كُنْتَ تَظُنُّهَا لَا تَتَغَيَّرُ!
بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ". يس: ٨١

فَيَخْلُقُ أَحْوَالًا جَدِيدَةً – خَاصَّةً وَعَامَّةً – وَأَخْلَاقًا جَدِيدَةً وَوُجُوهًا جَدِيدَةً، ثُمَّ لَا يَكُونُونَ أَمْثَالَهُمْ.
يَخْلُقُ لَكَ فَرَجًا مِنْ حَيْثُ لَا تَحْتَسِبُ،
وَيَخْلُقُ فِي قَلْبِ خَصْمِكَ وُدًّا بَعْدَ أَنْ مَلَأَهُ عَدَاءً،
وَيَخْلُقُ فِي الْأُمَّةِ صَحْوَةً بَعْدَ سُبَاتٍ.

فَسَلُوا "**الْخَلَّاقَ الْعَلِيمَ**" الَّذِي لَا يَسْتَعْصِي عَلَيْهِ شَيْءٌ
تَغْيِيرَ الْأَحْوَالِ الشَّخْصِيَّةِ وَالْعَامَّةِ، وَخَلْقَ أَوْضَاعٍ جَدِيدَةٍ، وَأُنَاسٍ جُدُدٍ، لَا يَكُونُونَ أَمْثَالَهُمْ.
اللَّهُمَّ يَا خَلَّاقُ، يَا عَلِيمُ، غَيِّرْ أَحْوَالَنَا إِلَىٰ أَحْسَنِ الْأَحْوَالِ، وَأَقْدَارَنَا إِلَىٰ أَجْمَلِ الْأَقْدَارِ.

الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ
الدُّعَاءُ بِهَذَا الاَسْمِ بِنِيَّةِ: طَلَبِ الْفَرَجِ
لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ

ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَعَا عَلَىٰ قُرَيْشٍ لَمَّا اشْتَدَّ أَذَاهُمْ لَهُ، فَقَالَ:
عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:
قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:
"اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَيْهِمْ بِسَبْعٍ كَسَبْعِ يُوسُفَ".
أَيْ: سَبْعِ سِنِينَ مِنَ الْقَحْطِ.
فَأَصَابَهُمْ قَحْطٌ شَدِيدٌ حَتَّىٰ أَكَلُوا الْعِظَامَ، وَالْمَيْتَةَ، وَالْجُلُودَ.
ثُمَّ جَاءَ أَبُو سُفْيَانَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَطْلُبُ مِنْهُ أَنْ يَدْعُوَ اللَّهَ أَنْ يُنْزِلَ الْمَطَرَ، لِأَنَّ النَّاسَ هَلَكُوا.
فَدَعَا لَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ، رَغْمَ أَذَاهُمْ، وَهٰذَا مِنْ كَمَالِ رَحْمَتِهِ ﷺ. **رواه البخاري ومسلم**

يَقُولُ تَعَالَىٰ:
"وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ ۚ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ" الشورى: الآية ٢٨

أَيْ: وَهُوَ سُبْحَانَهُ الَّذِي يُنَزِّلُ الْمَطَرَ عَلَىٰ عِبَادِهِ، مِنْ بَعْدِ أَنْ انْتَظَرُوهُ فَتْرَةً طَوِيلَةً حَتَّىٰ ظَهَرَتْ عَلَىٰ مَلَامِحِهِمْ عَلَامَاتُ الْيَأْسِ، وَبَدَأَتْ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ أَمَارَاتُ الْقُنُوطِ.
وَسَكَتَتْ أَلْسِنَتُهُمْ عَنِ الدُّعَاءِ، فَجَاءَ الْغَيْثُ فَجْأَةً، فِي لَحْظَةٍ لَمْ يَكُونُوا يَتَوَقَّعُونَهَا.

"**وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ** "أَيْ: يُنَزِّلُ الْأَمْطَارَ بَعْدَ يَأْسِ النَّاسِ مِنْ نُزُولِهَا، وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ عَلَيْهِمْ عَنْ طَرِيقِ مَا يَنْتُجُ عَنْ هٰذِهِ الْأَمْطَارِ مِنْ خَيْرَاتٍ وَبَرَكَاتٍ وَأَرْزَاقٍ.
"**وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ** "أَيْ: وَهُوَ سُبْحَانَهُ **الْوَلِيُّ** :أَيِ الَّذِي يَتَوَلَّىٰ عِبَادَهُ بِرَحْمَتِهِ وَإِحْسَانِهِ، وَيَتَوَلَّىٰ عِبَادَهُ بِأَنْوَاعِ التَّدْبِيرِ،
الْحَمِيدُ أَيْ: الْمَحْمُودُ عَلَىٰ فِعْلِهِ، حَيْثُ أَنْزَلَ عَلَىٰ عِبَادِهِ الْغَيْثَ بَعْدَ أَنْ يَئِسُوا مِنْهُ.

وَالتَّعْبِيرُ بِقَوْلِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ" :**وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ**"
يُشْعِرُ بِقُرْبِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مِنْ عِبَادِهِ، وَبِوُجُوبِ شُكْرِهِ عَلَىٰ مَا أَعْطَىٰ بَعْدَ الْمَنْعِ، وَعَلَىٰ مَا فَرَّجَ بَعْدَ الضِّيقِ.

فَالْفَرَجُ قَدْ يَأْتِي فِي اللَّحَظَاتِ الَّتِي نَعْتَقِدُ فِيهَا أَنَّ الْأَبْوَابَ قَدْ أُغْلِقَتْ،
وَالتَّعْبِيرُ بِالْغَيْثِ يُشْعِرُ بِالْغَوْثِ وَالنَّجْدَةِ بَعْدَ انْقِطَاعِ الرَّجَاءِ.

فَاللَّهُ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يُغَيِّرَ الْأَحْوَالَ، وَأَنْ يُبَدِّلَ الضِّيقَ فَرَجًا، وَالْخَوْفَ أَمْنًا، وَالْيَأْسَ رَجَاءً.
وَالْغَيْثُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ لَيْسَ مَطَرًا عَادِيًّا، بَلْ هُوَ رَمْزٌ لِلرَّحْمَةِ الْإِلَهِيَّةِ الَّتِي تَنْزِلُ عِنْدَ الضِّيقِ وَالْحَاجَةِ.

أَكْثِرْ مِنْ قَوْلِكَ: لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ،
اجْعَلْ لَنَا مِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجًا، وَمِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجًا.

ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ
حُسْنُ ٱلْخَاتِمَةِ بِنَيْلِ ٱلرِّضَا وَٱلْجَنَّةِ

كَانَتْ أُمُّنَا، ٱلسَّيِّدَةُ عَائِشَةُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا وَأَرْضَاهَا،
قَائِمَةً تُصَلِّي، وَتُرَدِّدُ هٰذِهِ ٱلْآيَةَ ٱلْكَرِيمَةَ:
"فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ"
"إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ". ٱلطُّور: ٢٧–٢٨
وَتَبْكِي...

فَغَدَا عَلَيْهَا ٱبْنُ أُخْتِهَا، فَرَآهَا كَمَا هِيَ، تُرَدِّدُ نَفْسَ ٱلْآيَةِ وَنَفْسَ ٱلْبُكَاءِ،
فَٱنْتَظَرَ... حَتَّىٰ مَلَّ ٱلِٱنْتِظَارَ، ثُمَّ رَجَعَ،
فَإِذَا هِيَ كَمَا تَرَكَهَا، عَلَىٰ حَالِهَا: خُشُوعٌ وَتَرْدِيدٌ وَبُكَاءٌ.
وَرُوِيَ عَنْهَا أَنَّهَا كَانَتْ تُكْثِرُ مِنْ تَرْدَادِ ٱسْمِ ٱللَّهِ:
"ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ"،
حَتَّىٰ تَوَفَّاهَا ٱللَّهُ عَلَىٰ هٰذِهِ ٱلْحَالِ.

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ عَلَىٰ لِسَانِ عِبَادِهِ ٱلْفَائِزِينَ بِٱلْجَنَّةِ:
"فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ"
"إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ" ٱلطُّور: ٢٧–٢٨

أَيْ: كُنَّا فِي ٱلدُّنْيَا نُقْبِلُ عَلَيْهِ، نَدْعُوهُ وَنَرْجُوهُ،
فَٱسْتَجَابَ لَنَا بِرَحْمَتِهِ، وَمَنَّ عَلَيْنَا بِمَغْفِرَتِهِ وَرِضْوَانِهِ،
وَوَقَانَا حَرَّ نَارِ ٱلسَّمُومِ، تِلْكَ ٱلَّتِي تَنْفُذُ إِلَى ٱلْعِظَامِ وَٱلْمَسَامِّ
كَأَنَّهَا رِيحٌ حَارَّةٌ تُسَمِّمُ ٱلْأَجْسَادَ وَتُفْنِيهَا.

فَمِنْ بَرِّهِ وَرَحْمَتِهِ: أَنَالَهُمْ رِضَاهُ، وَأَدْخَلَهُمُ ٱلْجَنَّةَ،
وَوَقَاهُمْ سَخَطَهُ وَٱلنَّارَ.

فَٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ

هُوَ ٱلْمُحْسِنُ ٱلْكَرِيمُ، ٱلرَّقِيقُ بِعِبَادِهِ،

ٱلَّذِي يَصْدُقُ فِي وَعْدِهِ، وَيُحْسِنُ عَطَاءَهُ،

كَمَا يُقَالُ" :**بَرَّ فُلَانٌ فِي يَمِينِهِ** "أَيْ: صَدَقَ وَأَحْسَنَ فِيهَا.

فَٱدْعُوا ٱللَّهَ ٱلْبَرَّ ٱلرَّحِيمَ،

لِتَنَالُوا رِضَاهُ وَٱلْجَنَّةَ، وَتُحْسِنُوا ٱلْخَاتِمَةَ.

فَمِفْتَاحُ ٱلنَّجَاةِ: دُعَاءٌ صَادِقٌ، وَعَمَلٌ صَالِحٌ، وَتَعَلُّقٌ بِٱلْبَرِّ ٱلرَّحِيمِ.

كَرِّرْ: لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ، مَعَ ٱسْتِحْضَارِ رَجَاءِ ٱلرِّضَا وَٱلْجَنَّةِ.

ٱلْعَزِيزُ ٱلْمُقْتَدِرُ
الدُّعَاءُ بِهَٰذِهِ ٱلْأَسْمَاءِ بِنِيَّةِ: طَلَبِ ٱلثَّبَاتِ وَحُسْنِ ٱلْخِتَامِ وَمَعِيَّةِ ٱللَّهِ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ

لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ، ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمَلِكُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْمُقْتَدِرُ

لَقَدْ جَاءَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَآلِهِ ٱلْكَثِيرُ مِنَ ٱلْإِنذَارَاتِ وَٱلتَّهْدِيدَاتِ
عَلَىٰ لِسَانِ نَبِيِّ ٱللَّهِ مُوسَىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ،
وَلَٰكِنَّهُمْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ، بَلْ كَذَّبُوا وَتَمَادَوْا.
قَالَ تَعَالَىٰ:
"كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ". (ٱلْقَمَر: ٤٢)

أَي: فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذًا شَدِيدًا لَمْ يُبْقِ مِنْهُمْ أَحَدًا،
أَهْلَكْنَاهُمْ جَمِيعًا لِأَنَّ هَٰذَا ٱلْأَخْذَ صَادِرٌ عَن
ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْمُقْتَدِرِ،
ٱلَّذِي لَا يُغْلِبُهُ غَالِبٌ، وَلَا يَعْجِزُهُ شَيْءٌ.

وَوَصْفُهُ سُبْحَانَهُ نَفسَهُ بِٱلْعِزَّةِ وَٱلِٱقْتِدَارِ هُنَا
هُوَ رَدٌّ قَاطِعٌ عَلَىٰ غُرُورِ فِرْعَوْنَ وَطُغْيَانِهِ وَتَجَبُّرِهِ،
فَقَدْ بَلَغَ بِهِ ٱلْكِبْرُ أَن قَالَ:
"أَنَا رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ"

فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ،

وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿ **فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ** ﴾، (المعارج: ٤٠)
فَنَحْنُ قَادِرُونَ عَلَىٰ نَصْرِكَ وَقَهْرِ أَعْدَائِكَ، وَإِظْهَارِ دِينِكَ.**فاثبُتْ على ما أَنتَ عليه.**
فَهُوَ سُبْحَانَهُ صَاحِبُ ٱلْعِزَّةِ وَٱلْقُدْرَةِ ٱلْمُطْلَقَةِ،

وَتَعظُمُ هَذِهِ ٱلصِّفَاتُ إِذَا أُضِيفَ إِلَيْهَا ٱلْمُلكُ وَٱلرَّحْمَةُ.

فَفِي بُشْرَىٰ ٱلْمُتَّقِينَ:

﴿ **إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ، فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ** ﴾، (القمر: ٥٤-٥٥)

مَقَامُ شَرَفٍ وَكَرَامَةٍ، عِنْدَ مَلِكٍ يَمْلِكُ كُلَّ شَيْءٍ، وَيَقْدِرُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ، وَيُجْزِي ٱلصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ جَنَّاتٍ وَنَعِيمًا مُقِيمًا.

قَالَ تَعَالَىٰ:

"**فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ**" ثُمَّ تَلَتْهَا ٱلسُّورَةُ بِفَاتِحَتِهَا: "**ٱلرَّحْمَٰنُ**"

أَي أَنَّ عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلصَّالِحِينَ،
مُقَرَّبُونَ عِنْدَ مَلِكٍ عَظِيمٍ مُقْتَدِرٍ، هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ،
رَحْمَتُهُ تَسْبِقُ عَذَابَهُ، وَمُلْكُهُ لَا يُضَاهَىٰ.

فَقَدْ وَصَفَهُ سُبْحَانَهُ بِـ"مَلِيكٍ" وَهِيَ أَبْلَغُ مِنْ "مَلِكٍ" أَوْ "مَالِكٍ"،
وَوَصَفَهُ بِـ"مُقْتَدِرٍ" وَهِيَ أَبْلَغُ مِنْ "قَادِرٍ"،
فَزِيَادَةُ ٱلْمَبْنَىٰ تَدُلُّ عَلَىٰ زِيَادَةِ ٱلْمَعْنَىٰ،
وَكُلُّ ذَٰلِكَ تَعْظِيمٌ وَتَهْوِيلٌ لِجَلَالِ ٱللَّهِ وَعَظِيمِ سُلْطَانِهِ.

فَٱطْمَئِنَّ لِمَنْ تَلُوذُ بِهِ،
وَٱسْتَعِنْ بِمَنْ لَا يَعْجِزُهُ شَيْءٌ،
وَطْمَعًا فِيمَا عِنْدَهُ:
عَظِّمْهُ كَمَا يَنْبَغِي، وَٱخْضَعْ لَهُ كَمَا يَجِبُ، وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ حَقَّ ٱلتَّوَكُّلِ.

فَسَبِّحُوا، وَعَظِّمُوا، وَتَوَكَّلُوا، وَمَجِّدُوا، وَسَلُّوا رِضَا ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلْمَلِكِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْمُقْتَدِرِ، طَمَعًا فِي "**مَقْعَدِ صِدْقٍ** "عِنْدَهُ.

لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ:
ٱلرَّحْمَٰنُ، ٱلْمَلِكُ، ٱلْعَزِيزُ، ٱلْمُقْتَدِرُ.

ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ

نِيَّةُ ٱلذِّكْرِ :تَحْسِينُ ٱلنِّيَّةِ، وَنَيْلُ ٱلْفَهْمِ وَٱلْبَصِيرَةِ، وَٱلْأُسْلُوبِ ٱلْأَمْثَلِ فِي ٱلتَّعَامُلِ.

لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ، ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ.

كَانَ رَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ يَزُورُ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، وَيَمْكُثُ عِندَهَا، وَيَشْرَبُ عِندَهَا عَسَلًا، فَغَارَتْ بَعْضُ نِسَائِهِ، وَٱتَّفَقَتْ عَائِشَةُ وَحَفْصَةُ عَلَىٰ أَنْ تَقُولَ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ لَهُ إِذَا دَخَلَ عَلَيْهَا:

"إِنِّي أَجِدُ مِنْكَ رِيحَ مَغَافِيرَ، أَأَكَلْتَ مَغَافِيرَ؟"

(وَٱلْمَغَافِيرُ: صَمْغٌ لَهُ طَعْمٌ طَيِّبٌ، لَكِنْ رَائِحَتُهُ غَيْرُ مُسْتَسَاغَةٍ) صحيح البخاري

فَلَمَّا دَخَلَ ٱلنَّبِيُّ ﷺ عَلَىٰ إِحْدَاهُنَّ وَقَالَتْ لَهُ ذٰلِكَ، أَجَابَ:

"بَلْ شَرِبْتُ عَسَلًا عِنْدَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ، وَلَنْ أَعُودَ لَهُ" صحيح البخاري

فَأَنْزَلَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ قَوْلَهُ:

﴿ يَا أَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ سورة التحريم: ١

وَقَالَ سُبْحَانَهُ فِي شَأْنِ هَذِهِ ٱلْحَادِثَةِ:

﴿ وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا، فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ، عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ، فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هَٰذَا، قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾. سورة التحريم: ٣

فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَىٰ مَا وَرَدَ فِي ٱلتَّفْسِيرِ أَنَّ ٱلنَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِحَفْصَةَ" :**لَا تُخْبِرِي بِذٰلِكَ أَحَدًا"**، وَقَدْ أَخْبَرَتْ، فَأَظْهَرَ ٱللَّهُ لِنَبِيِّهِ مَا أُفْشِيَ مِنَ ٱلسِّرِّ.

وَقَالَ تَعَالَىٰ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ:

﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ ۚ إِن يُرِيدَآ إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴾. سورة النساء: ٣٥

وَهٰذَا فِيهِ تَأْكِيدٌ لِٱسْمَيْهِ تَعَالَىٰ :**ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ**، ٱلَّذِي يَعْلَمُ ٱلنِّيَّاتِ، وَيُوَفِّقُ مَنْ صَدَقَ فِي طَلَبِ ٱلإِصْلَاحِ.

فَإِنْ أَرَدْتَ فَهْمًا نَافِعًا، وَقَلْبًا نَقِيًّا، وَتَعَامُلًا حَكِيمًا،
فَٱلْجَأْ إِلَى **ٱلْعَلِيمِ ٱلْخَبِيرِ**، وَٱسْأَلْهُ أَنْ يُرِيَكَ ٱلْأُمُورَ بِنُورِهِ، لَا بِبَصَرِكَ.

ٱللَّهُمَّ يَا عَلِيمُ، يَا خَبِيرُ،
ٱرْزُقْنِي فِطْنَةً فِي ٱلْقَوْلِ، وَصِدْقًا فِي ٱلنِّيَّةِ، وَحُسْنَ تَصَرُّفٍ يُرْضِيكَ.
لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ.
كَرِّرْهَا خَاشِعًا.

ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ

ٱلدُّعَاءُ بِهَذَا ٱلِاسْمِ بِنِيَّةِ: طَلَبِ ٱلْعِلْمِ، وَٱلْفَتْحِ، وَٱلْفَهْمِ فِي ٱلْقُرْآنِ ٱلْكَرِيمِ.

لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ.

ٱللَّهُمَّ زِدْنِي إِيمَانًا وَفِقْهًا وَيَقِينًا وَعِلْمًا

أَنْزَلَ ٱللَّهُ ٱلْقُرْآنَ ٱلْكَرِيمَ بِلُغَةِ ٱلْعَرَبِ لِيَكُونَ وَاضِحًا وَمَفْهُومًا لَهُمْ، مَعَ تَنْوِيعٍ فِي أَسَالِيبِ ٱلْوَعِيدِ لِلتَّذْكِيرِ وَٱلتَّخْوِيفِ.

ٱلْهَدَفُ مِنْ ذَٰلِكَ هُوَ تَحْقِيقُ ٱلتَّقْوَىٰ، وَتَرْكُ أَثَرٍ فِي ٱلنُّفُوسِ يَمْنَعُ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلْوُقُوعِ فِي ٱلْمَعَاصِي، وَيَحُثُّهُمْ عَلَى ٱلِٱعْتِبَارِ بِمَا حَدَثَ لِلْأُمَمِ ٱلسَّابِقَةِ.

فَٱلْقُرْآنُ بِأُسْلُوبِهِ ٱلْمُتَنَوِّعِ يَبْقَىٰ هِدَايَةً وَاضِحَةً وَمُعْجِزَةً خَالِدَةً.

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ **وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا * فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ** ﴾. طه: ١١٣–١١٤

أَيْ: فَجَلَّ وَعَظُمَ شَأْنُ ٱللَّهِ –سُبْحَانَهُ– عَنْ إِلْحَادِ ٱلْمُلْحِدِينَ وَإِشْرَاكِ ٱلْمُشْرِكِينَ، فَهُوَ وَحْدَهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْمُتَصَرِّفُ فِي شُؤُونِ خَلْقِهِ، وَهُوَ وَحْدَهُ ٱلْحَقُّ، وَوَعْدُهُ حَقٌّ، وَوَعِيدُهُ حَقٌّ، وَكُلُّ شَيْءٍ مِنْهُ حَقٌّ.

كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ:

﴿ **أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ** ﴾. المؤمنون: ١١٥

وَيُعَلِّمُنَا ٱلْقُرْآنُ ٱلْحِكْمَةَ فِي ٱلتَّدَرُّجِ وَٱلِٱسْتِيعَابِ، لِذَٰلِكَ أَمَرَ ٱللَّهُ نَبِيَّهُ ﷺ بِعَدَمِ ٱلتَّعَجُّلِ فِي قِرَاءَةِ ٱلْوَحْيِ:

﴿ **وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُ** ﴾. طه: ١١٤

وَكَانَ ﷺ يَسْتَمِعُ لِلْقُرْآنِ مَعَ جِبْرِيلَ، وَيَقْرَأُ مَعَهُ بِتُؤَدَةٍ وَحِرْصٍ، وَهُوَ أُسْلُوبٌ يَتَعَلَّمُ مِنْهُ كُلُّ طَالِبِ عِلْمٍ أَهَمِّيَّةَ ٱلتَّرَيُّثِ وَٱلتَّدَبُّرِ، وَأَنَّ ٱلْعِلْمَ لَا يُكْتَسَبُ فِي عَجَلَةٍ بَلْ بِتَأَمُّلٍ وَصَبْرٍ.

﴿ **وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا** ﴾. طه: ١١٤

فَكَانَ ٱلنَّبِيُّ ﷺ يَدْعُو وَيَطْلُبُ ٱلْعِلْمَ وَٱلتَّفَقُّهَ بِقَوْلِهِ:
"ٱللَّهُمَّ ٱنْفَعْنِي بِمَا عَلَّمْتَنِي، وَعَلِّمْنِي مَا يَنْفَعُنِي، وَزِدْنِي عِلْمًا". رواه الترمذي

وَكَانَ يَطْلُبُ زِيَادَةَ ٱلْإِيمَانِ وَٱلْيَقِينِ مَعَ ٱلْعِلْمِ، لِيُدْرِكَ ٱلْمُؤْمِنُ أَهَمِّيَّةَ ٱلْجَمْعِ بَيْنَ ٱلْمَعْرِفَةِ وَٱلْعَمَلِ، إِذْ أَنَّ ٱلْعِلْمَ وَحْدَهُ لَا يَكْفِي دُونَ إِيمَانٍ رَاسِخٍ.

فَٱلْقُرْآنُ هُوَ دُسْتُورُ ٱلْحَيَاةِ، يَهْدِي ٱلنَّاسَ إِلَى ٱلطَّرِيقِ ٱلْمُسْتَقِيمِ، وَيَحُثُّهُمْ عَلَى ٱلتَّأَمُّلِ فِي مَآلَاتِ ٱلْأُمُورِ، وَيَدْعُوهُمْ لِلرُّجُوعِ إِلَى ٱللَّهِ، وَٱلتَّقْوَىٰ، وَٱلِٱبْتِعَادِ عَنْ أَسْبَابِ ٱلْهَلَاكِ وَٱلضَّلَالِ.

وَٱلْقُرْآنُ نَزَلَ مِنْ عِندِ ٱلْمَلِكِ ٱلْحَقِّ، فَلَا يُفْهَمُ إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَلَا يُفْتَحُ مُغْلَقُهُ إِلَّا بِمَشِيئَتِهِ.

فَمَنْ أَرَادَ ٱلْفَهْمَ، فَلْيَقْرَعْ بَابَ ٱلْمَلِكِ بِٱلدُّعَاءِ، وَلْيَطْلُبْ مِنَ ٱلْحَقِّ ٱلْعِلْمَ وَٱلْهُدَىٰ.

فَٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ يَمْنَحُ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ نُورَ ٱلْفَهْمِ وَٱلْفَتْحِ فِي آيَاتِهِ.

وَلِذَٰلِكَ عَلَّمَ نَبِيَّهُ ﷺ أَنْ يَقُولَ:
"رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا". طه: ١١٤
وَلَمْ يُؤْمَرْ بِٱلِٱسْتِزَادَةِ مِنْ شَيْءٍ سِوَاهُ.

ٱللَّهُمَّ يَا مَلِكُ، يَا حَقُّ،
فَتَعَالَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ، لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ، رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ. المؤمنون: ١١٦
لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ.

ٱلْغَنِيُّ ٱلْكَرِيمُ
ٱلدُّعَاءُ بِهَذَا ٱلاِسْمِ بِنِيَّةِ: طَلَبُ كَرَامَةِ ٱلْعِلْمِ
لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْكَرِيمُ

طَلَبَ سُلَيْمَانُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مِنْ قَادَتِهِ أَنْ يَأْتُوهُ بِعَرْشِ سَبَأَ قَبْلَ أَنْ تَصِلَ مُسْلِمَةً.
قَالَ جِنِّيٌّ قَوِيٌّ: "أَنَا أُحْضِرُهُ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ، وَأَنَا قَوِيٌّ وَأَمِينٌ". *تفسير الطبري*

وَقَالَ ٱلَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَابِ:
"أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ".
فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا قَالَ: "هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي، لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ، وَمَن شَكَرَ فَلِنَفْسِهِ، وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ". *النمل ٤٠، تفسير القرطبي*

قَالُوا: ٱلرَّجُلُ هُوَ آصَفُ بْنُ بَرْخِيَا، مِنْ صُلَحَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَزِيرُ سُلَيْمَانَ، وَآتَاهُ ٱللَّهُ عِلْمًا. كَانَ يَعْرِفُ ٱسْمَ ٱللَّهِ ٱلْأَعْظَمَ، ٱلَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ أَعْطَى. *تفسير ابن كثير*

وَٱخْتَلَفُوا فِي دُعَائِهِ، فَقِيلَ: "يَا ذَا ٱلْجَلَالِ وَٱلْإِكْرَامِ"، وَقِيلَ: "يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ."
وَرُوِيَ أَنَّهُ قَالَ:
"يَا إِلَٰهَنَا وَإِلَٰهَ كُلِّ شَيْءٍ إِلَٰهًا وَاحِدًا، لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنْتَ، ائْتِنِي بِعَرْشِهَا". *رواه الزهري*

فَلَمَّا رَآى الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ السَّرِيرَ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ،
خَرَجَ مِنْ فَضْلِ نَفْسِهِ وَرَجَعَ إِلَىٰ فَضْلِ رَبِّهِ
وَرَأَىٰ أَنَّ الْحَوْلَ وَالْقُوَّةَ لِلَّهِ تَعَالَىٰ:
قَالَ هَٰذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي."
فَهُوَ صَاحِبُ الْفَضْلِ الْوَاسِعِ، الَّذِي يُعِينُ عِبَادَهُ عَلَىٰ مَا يَطْلُبُونَ.

هَذِهِ الْقِصَّةُ دَلِيلٌ عَلَىٰ شَرَفِ الْعِلْمِ، وَعَلَىٰ تَغَلُّبِ الْعِلْمِ عَلَىٰ الْقُوَّةِ.
فَاطْلُبُوا كَرَامَةَ الْعِلْمِ مِنَ الْغَنِيِّ الْكَرِيمِ فَكُلُّ الْعِلْمِ عِندَهُ، كَرِيمٌ عَلَىٰ مَنْ سَأَلَهُ.

ٱللَّهُمَّ يَا غَنِيُّ يَا كَرِيمُ،

هَبْ لِي عِلْمًا نَافِعًا وَكَرَامَةً فِي ٱلْعِلْمِ.

ٱجْعَلْنِي مِنْ أَهْلِ ٱلْعِلْمِ، ٱلَّذِينَ تَكْرِمُهُمْ.

وَلَا تَحْرِمْنِي فَضْلَكَ وَرَحْمَتَكَ.

وَٱجْعَلْنِي مِنَ ٱلْغَنِيِّينَ بِكَ.

يَا غَنِيُّ يَا كَرِيمُ،

ٱللَّهُمَّ يَا غَنِيُّ يَا كَرِيمُ،

لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْكَرِيمُ.

كَرِّرْهَا خَاشِعًا.

ٱلْغَفُورُ ٱلشَّكُورُ
ٱلنِّيَّةُ: لِطَلَبِ ٱلْمَغْفِرَةِ وَٱلْعَطَاءِ، وَتَبْدِيلِ ٱلْأَحْزَانِ أَفْرَاحًا
لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلشَّكُورُ

ٱلَّذِينَ أَوْرَثَهُمُ ٱللَّهُ كِتَابَهُ، لَهُمْ جَنَّاتُ إِقَامَةٍ دَائِمَةٍ، يُحَلَّوْنَ فِيهَا بِٱلْأَسَاوِرِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱللُّؤْلُؤِ، وَلِبَاسُهُمُ ٱلْمُعْتَادُ فِي ٱلْجَنَّةِ حَرِيرٌ، أَيْ: ثِيَابٌ رَقِيقَةٌ نَاعِمَةٌ فَاخِرَةٌ.

وَقَالُوا حِينَ دَخَلُوا ٱلْجَنَّةَ:

"وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ " *فاطر: ٣٤*

وَهَذَا يَشْمَلُ كُلَّ حُزْنٍ، فَلَا حُزْنَ يَعْرِضُ لَهُمْ بِسَبَبِ نَقْصٍ فِي جَمَالِهِمْ، وَلَا فِي طَعَامِهِمْ وَشَرَابِهِمْ، وَلَا فِي لَذَّاتِهِمْ، وَلَا فِي أَجْسَادِهِمْ، وَلَا فِي دَوَامِ لُبْثِهِمْ، فَهُمْ فِي نَعِيمٍ لَا يَرَوْنَ لَهُ نِهَايَةً، وَلَا يَشْعُرُونَ فِيهِ بِنَقْصٍ وَلَا كَدَرٍ.

"إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ " *فاطر: ٣٤*

أَيْ: وَاسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ لِعِبَادِهِ، شَكُورٌ كَثِيرُ ٱلْعَطَاءِ لِلْمُطِيعِينَ، يُجَازِيهِمْ بِٱلْخَيْرَاتِ ٱلْوَفِيرَةِ مُقَابِلَ أَعْمَالٍ قَلِيلَةٍ، وَيُبَدِّلُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ.

فَاسْأَلُوا ٱللَّهَ ٱلْغَفُورَ ٱلشَّكُورَ أَنْ يُبَدِّلَ أَحْزَانَكُمْ أَفْرَاحًا، وَهُمُومَكُمْ طُمَأْنِينَةً، وَأَنْ يَجْعَلَكُمْ مِنْ أَهْلِ ٱلْجَنَّةِ وَوَرَثَةِ ٱلْكِتَابِ.

لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ، ٱلْغَفُورُ ٱلشَّكُورُ.

وَقَدْ مَدَحَ ٱللَّهُ سُبْحَانَهُ ٱلْمُكْثِرِينَ مِنْ تِلَاوَةِ كِتَابِهِ وَٱلْمُحَافِظِينَ عَلَىٰ أَدَاءِ فَرَائِضِهِ، فَقَالَ تَعَالَىٰ:

"إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا ٱلصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ". *فاطر: ٢٩*

أَيْ: إِنَّ ٱلَّذِينَ يُدَاوِمُونَ عَلَىٰ قِرَاءَةِ ٱلْقُرْآنِ ٱلْكَرِيمِ بِتَدَبُّرٍ لِمَعَانِيهِ وَعَمَلٍ بِتَوْجِيهَاتِهِ،

وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَاةَ بِخُشُوعٍ وَإِخْلَاصٍ فِي أَوْقَاتِهَا،

وَيُنْفِقُونَ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ سِرًّا وَعَلَانِيَةً،

هَٰؤُلَاءِ يَرْجُونَ تِجَارَةً رَابِحَةً لَا كَسَادَ فِيهَا.
فَهُمْ قَدْ جَمَعُوا فِي طَاعَتِهِمْ بَيْنَ ٱلذِّكْرِ، وَٱلْعِبَادَاتِ ٱلْبَدَنِيَّةِ، وَٱلْعِبَادَاتِ ٱلْمَالِيَّةِ.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَىٰ:
"لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ) "فاطر: ٣٠
أَيْ: لِيُوَفِّيَهُمْ جَزَاءَ أَعْمَالِهِمْ، وَيَزِيدَهُم مِّنْ فَضْلِهِ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَىٰ قَلْبِ بَشَرٍ.

قَالَ ٱبْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما:
"يَغْفِرُ ٱلْعَظِيمَ مِنْ ذُنُوبِهِمْ، وَيَشْكُرُ ٱلْيَسِيرَ مِنْ أَعْمَالِهِمْ، كَثِيرُ ٱلْعَطَاءِ لِمَنْ يُطِيعُهُ". تفسير ابن كثير عند الآية

فَٱلْغَفُورُ: مَنْ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ ٱلْكَبِيرَةَ،
أَمَّا ٱلْغَفَّارُ: فَهُوَ مَنْ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ ٱلْكَثِيرَةَ.

وَيَقُولُ تَعَالَىٰ:
"وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ " الشورى: ٢٣

فَسَلُوا ٱللَّهَ ٱلْغَفُورَ ٱلشَّكُورَ ٱلْمَغْفِرَةَ وَٱلْعَطَاءَ،
وَتَخَلَّقُوا مَعَ ٱلنَّاسِ بِهَٰذِهِ ٱلصِّفَةِ،
وَقَدِّمُوا مِنَ ٱلْحَسَنَاتِ وَإِنْ قَلَّتْ،
وَٱشْكُرُوهُ وَٱطْلُبُوا مَغْفِرَتَهُ، لِتَنَالُوا ٱلسَّعَادَةَ، وَٱلْفَرَحَ، وَٱلْجَزَاءَ ٱلْعَظِيمَ.

لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ، ٱلْغَفُورُ ٱلشَّكُورُ.

ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ
ٱلدُّعَاءُ بِهَذَا ٱلِٱسْمِ بِنِيَّةِ: طَلَبِ ٱلْمَغْفِرَةِ لِنَيْلِ ٱلرَّحْمَةِ
لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ

عَنْ ٱبْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا:
أَنَّ نَاسًا مِنْ أَهْلِ ٱلشِّرْكِ قَدْ قَتَلُوا فَأَكْثَرُوا، وَزَنَوْا فَأَكْثَرُوا،
فَأَتَوْا ٱلنَّبِيَّ ﷺ وَقَالُوا:
"إِنَّ ٱلَّذِي تَقُولُ وَتَدْعُو إِلَيْهِ لَحَسَنٌ، فَلَوْ تُخْبِرُنَا أَنَّ لِمَا عَمِلْنَا كَفَّارَةً."
فَنَزَلَ قَوْلُ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ:
﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾. الفُرْقَان: ٦٨
ثُمَّ نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ:
﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾. الزُّمَر: ٥٣ ، الطبري في"تفسيره

فَمَغْفِرَتُهُ تُطَهِّرُ ٱلْقَلْبَ، وَرَحْمَتُهُ تَفْتَحُ أَبْوَابَ ٱلْأَمَلِ، وَتَجْعَلُ لِلتَّائِبِ مَفْرَقَ طَرِيقٍ نَحْوَ ٱلنُّورِ.

قَالَ عَبْدُ ٱللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ وَغَيْرُهُ:
هَذِهِ أَرْجَىٰ آيَةٍ فِي كِتَابِ ٱللَّهِ، وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ:
﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾. ابن أبي حاتم، والطبراني

فَقَدْ وَعَدَ ٱللَّهُ بِمَحْوِ ٱلذُّنُوبِ جَمِيعَهَا لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْعُصَاةِ،
ثُمَّ خَتَمَ ٱلْآيَةَ بِوَصْفِهِ:
﴿إِنَّهُ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾
أَيْ: ٱلْوَاسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ وَٱلرَّحْمَةِ.

وَفِي هَذَا دَلَالَةٌ عَظِيمَةٌ عَلَىٰ سَعَةِ رَحْمَةِ ٱللَّهِ وَفَضْلِهِ،
وَأَنَّهُ لَا يُقْنَطُ أَحَدٌ مِنْ رَحْمَتِهِ مَهْمَا عَظُمَتْ ذُنُوبُهُ،
مَا دَامَ قَدْ تَابَ وَرَجَعَ إِلَى ٱللَّهِ صَادِقًا مُخْلِصًا.

فَمَنْ تَابَ إِلَيْهِ، قَبِلَ تَوْبَتَهُ تَفَضُّلًا وَكَرَمًا،
فَنَحْنُ بَشَرٌ، لَا نَخْلُو مِنْ تَقْصِيرٍ، وَلَسْنَا بِمَعْصُومِينَ،
وَحُقُوقُ ٱللَّهِ أَعْظَمُ مِنْ أَنْ نُؤَدِّيَهَا كَامِلَةً،
وَنِعَمُهُ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ نُحْصِيَ شُكْرَهَا،
بَلْ حَتَّىٰ بَعْدَ أَدَاءِ ٱلطَّاعَةِ، أَمَرَنَا بِٱلِٱسْتِغْفَارِ،

قَالَ تَعَالَىٰ فِي ٱلْحَجِّ:
﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُوا ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾. الحج: ٢٩

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ:
كَانَ رَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ إِذَا ٱنْصَرَفَ مِنْ صَلَاتِهِ ٱسْتَغْفَرَ ثَلَاثًا. رواه مسلم

وَقَالَ لِأَبِي بَكْرٍ ٱلصِّدِّيقِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ حِينَ سَأَلَهُ دُعَاءً يَقُولُهُ فِي صَلَاتِهِ:
"قُلِ: ٱللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، وَلَا يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَٱغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِّنْ عِندِكَ، وَٱرْحَمْنِي، إِنَّكَ أَنْتَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ". رواه البخاري

فَهُوَ سُبْحَانَهُ رَحِيمٌ، وَلِذَٰلِكَ يَغْفِرُ،
فَٱلْمَغْفِرَةُ سَلَامَةٌ، وَٱلرَّحْمَةُ غَنِيمَةٌ.

فَتَعَلَّقُوا بِٱلْغَفُورِ ٱلرَّحِيمِ، وَٱطْلُبُوا مَغْفِرَتَهُ تَنَالُوا رَحْمَتَهُ.
لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ.

ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ
ٱلدُّعَاءُ بِهٰذَا ٱلِاسْمِ بِنِيَّةِ: ٱلتَّوْبَةِ لِنَيْلِ ٱلرَّحْمَةِ وَٱلْمَحَبَّةِ
لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ

قَالَ رَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ:

"إِنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ آدَمَ رَجُلًا طُوَالًا كَثِيرَ شَعْرِ ٱلرَّأْسِ، كَأَنَّهُ نَخْلَةٌ سَحُوقٌ،

فَلَمَّا ذَاقَ ٱلشَّجَرَةَ سَقَطَ عَنْهُ لِبَاسُهُ، فَأَوَّلُ مَا بَدَا مِنْهُ عَوْرَتُهُ،

فَلَمَّا نَظَرَ إِلَىٰ عَوْرَتِهِ جَعَلَ يَشْتَدُّ فِي ٱلْجَنَّةِ، فَأَخَذَتْ شَعْرَهُ شَجَرَةٌ، فَنَازَعَهَا،

فَنَادَاهُ ٱلرَّحْمٰنُ: يَا آدَمُ، مِنِّي تَفِرُّ؟

فَلَمَّا سَمِعَ كَلَامَ ٱلرَّحْمٰنِ قَالَ: يَا رَبِّ، لَا وَلٰكِنْ ٱسْتِحْيَاءً". رواه مسلم

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾. سورة البقرة: ٣٧

أَيْ: تَلَقَّىٰ آدَمُ كَلِمَاتٍ أَلْهَمَهُ ٱللَّهُ إِيَّاهَا تَوْبَةً وَٱسْتِغْفَارًا، وَهِيَ:

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَاسِرِينَ﴾. سورة الأعراف: ٢٣

فَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ، وَغَفَرَ لَهُ ذَنْبَهُ، إِنَّهُ تَعَالَىٰ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ.

- ٱلتَّوَّابُ: بِصِيغَةِ "فَعَّالٍ" لِلإِشْعَارِ بِأَنَّهُ كَثِيرُ ٱلْقَبُولِ لِلتَّوْبَةِ مِنْ عِبَادِهِ، وَأَنَّهُ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ:
  - وَلَوْ بَعْدَ عَظِيمِ ٱلذَّنْبِ.
  - وَلَوْ تَكَرَّرَتِ ٱلْمَعْصِيَةُ ثُمَّ أَعْقَبَهَا صِدْقُ ٱلتَّوْبَةِ.

- وَ"ٱلرَّحِيمُ": قَرَنَهَا بِـ"ٱلتَّوَّابِ" لِيُهَيِّجَ عِبَادَهُ عَلَى ٱلتَّوْبَةِ، وَيُطَمْئِنَهُمْ أَنَّ رَحْمَتَهُ سَتَغْمُرُهُمْ بَعْدَ رُجُوعِهِمْ إِلَيْهِ.

فَهُوَ ٱلَّذِي يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ مِنْ عِبَادِهِ،

وَعِنْدَهُ مَزِيدُ فَضْلٍ، أَنَّهُ رَحِيمٌ بِهِمْ إِنْ هُمْ أَنَابُوا.

عَنْ ٱبْنِ عُمَرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ:
"إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّ لِرَسُولِ ٱللَّهِ ﷺ فِي ٱلْمَجْلِسِ ٱلْوَاحِدِ مِائَةَ مَرَّةٍ: رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ". أبو داود وَهُوَ ﷺ مَنْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ.

فَأَكْثِرُوا مِنَ ٱلتَّوْبَةِ لِتَدْخُلُوا فِي رَحْمَتِهِ.
فَٱطْلُبُوا ٱلْمَغْفِرَةَ وَٱلتَّوْبَةَ بِٱسْمِ "ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ"، لِأَنَّ ٱلتَّوْبَةَ:

- جُزْءٌ مِنْ رَحْمَتِهِ.
- سَبَبٌ فِي مَحَبَّتِهِ:

"إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ". سورة البقرة: ٢٢٢

وَتَخَلَّقُوا بِهَذَا ٱلِٱسْمِ فِي مُعَامَلَتِكُمْ لِلنَّاسِ، فَكَمَا فِي ٱلْحَدِيثِ:
"لَا يَرْحَمُ ٱللَّهُ مَنْ لَا يَرْحَمُ ٱلنَّاسَ" رواه البخاري

فَأَكْثِرُوا مِنْ طَلَبِ ٱلتَّوْبَةِ بِٱسْمِ ٱلتَّوَّابِ ٱلرَّحِيمِ لِتَدْخُلُوا فِي رَحْمَتِهِ،
وَلَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ، ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ.

رَبِّ ٱغْفِرْ لِي، وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ.
لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ، كَرِّرْهَا بِٱلْخُشُوعِ، لِيَسْتَقِرَّ نُورُ ٱلرَّحْمَةِ فِي قَلْبِكَ.

ٱلتَّوَّابُ ٱلْحَكِيمُ
ٱلدُّعَاءُ بِهٰذَا ٱلِٱسْمِ بِنِيَّةِ: طَلَبِ ٱلْمَغْفِرَةِ وَٱلسَّتْرِ
لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلْحَكِيمُ

ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ زَوْجَاتِهِمْ بِٱلزِّنَا وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ عَلَىٰ ٱتِّهَامِهِمْ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ، **فَعَلَى ٱلْوَاحِدِ مِنْهُمْ:**
أَنْ يَشْهَدَ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ أَمَامَ ٱلْقَاضِي قَائِلًا:
"أَشْهَدُ بِٱللَّهِ أَنِّي لَصَادِقٌ فِيمَا رَمَيْتُهَا بِهِ مِنَ ٱلزِّنَا."
ثُمَّ فِي ٱلشَّهَادَةِ ٱلْخَامِسَةِ، يَقُولُ:
"أَنَّ لَعْنَةَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ ٱلْكَاذِبِينَ." *انظر: سورة النور، الآيات ٦–١٠*

ثُمَّ بَيَّنَ ٱللَّهُ — سُبْحَانَهُ — مَا يَجِبُ عَلَى ٱلْمَرْأَةِ لِدَرْءِ ٱلْعَذَابِ عَنْهَا وَتَبْرِئَةِ نَفْسِهَا مِمَّا ٱتَّهَمَهَا بِهِ زَوْجُهَا:
﴿وَيَدْرَأُ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِٱللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ ٱلْكَاذِبِينَ﴾
﴿وَٱلْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ ٱلصَّادِقِينَ﴾

ثُمَّ خَتَمَ ٱلْآيَةَ بِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ:
﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾. *النور: ١٠*

وَٱلْمَعْنَىٰ:
وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ، أَيُّهَا ٱلْمُؤْمِنُونَ، لَحَصَلَتْ لَكُمُ ٱلْفَضِيحَةُ وَٱلْحَرَجُ ٱلشَّدِيدُ فِي مِثْلِ هَذِهِ ٱلْقَضَايَا ٱلشَّائِكَةِ.

كَمَا قَالَ ٱلْقُشَيْرِيُّ:
"لَبَقِيتُمْ فِي هَذِهِ ٱلْمُعْضِلَةِ، وَلَمْ تَهْتَدُوا إِلَى ٱلْخُرُوجِ مِنْ هَذِهِ ٱلْحَالَةِ ٱلْمُشْكِلَةِ."

وَلٰكِنَّهُ سُبْحَانَهُ شَرَعَ هَذِهِ ٱلْأَحْكَامَ سَتْرًا لِلزَّوْجَيْنِ وَتَخْفِيفًا عَلَيْهِمَا، وَحَثَّهُمَا عَلَى ٱلتَّوْبَةِ ٱلصَّادِقَةِ ٱلنَّصُوحِ.

"**وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ** :"أَيْ: كَثِيرُ ٱلْقَبُولِ لِتَوْبَةِ ٱلتَّائِبِينَ، حَكِيمٌ فِي كُلِّ مَا شَرَعَ لِعِبَادِهِ.

فَٱلْخَطَأُ وَٱلتَّقْصِيرُ فِي ٱلْحَيَاةِ لَيْسَ نِهَايَةَ ٱلطَّرِيقِ، بَلْ بَابٌ مَفْتُوحٌ لِلتَّوْبَةِ وَٱلرُّجُوعِ.
وَهَكَذَا كَانَتْ شَرَائِعُ ٱللَّهِ، سَتْرٌ وَتَخْفِيفٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ،
يَدْعُوهُمْ دَائِمًا إِلَى ٱلتَّوْبَةِ، وَيَغْفِرُ لَهُمْ ذُنُوبَهُمْ بِصِدْقِ ٱلرُّجُوعِ.

فَسَبِّحُوا وَمَجِّدُوا ٱللَّهَ
وَٱسْأَلُوا "ٱلتَّوَّابَ ٱلْحَكِيمَ:"
ٱلْمَغْفِرَةَ
وٱلسَّتْرَ
وٱلْحِكْمَةَ فِي ٱلْقَوْلِ وَٱلْعَمَلِ

كرِّرِ ٱلدُّعَاءَ نَادِمًا وَرَاجِيًا: **لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلْحَكِيمُ.**

ٱلْغَفُورُ ٱلْحَلِيمُ
ٱلدُّعَاءُ بِهٰذَا ٱلِاسْمِ طَمَعًا بِحِلْمِهِ وَمَغْفِرَتِهِ
لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ، ٱلْغَفُورُ ٱلْحَلِيمُ

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ:

قَالَ رَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ:

"فَوَٱللَّهِ لَا تَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ إِلَّا أَخْبَرْتُكُمْ بِهِ مَا دُمْتُ فِي مَقَامِي هٰذَا". رواه البخاري ومسلم

فَقَالَ رَجُلٌ: أَيْنَ مَدْخَلِي يَا رَسُولَ ٱللَّهِ؟

قَالَ ﷺ: "ٱلنَّارُ".

ثُمَّ قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ بْنُ حُذَافَةَ، وَكَانَ يُقَالُ لَهُ: لَيْسَ ٱبْنَ أَبِيهِ،

فَقَالَ: يَا رَسُولَ ٱللَّهِ، مَنْ أَبِي؟

فَقَالَ ﷺ: "أَبُوكَ حُذَافَةُ". رواه البخاري

فَأَظْهَرَ ٱللَّهُ صِدْقَ نَبِيِّهِ، وَكَانَ هٰذَا فِي مَقَامِ هَيْبَةٍ، وَمَعَ ذٰلِكَ لَمْ يُعَجِّلِ ٱللَّهُ بِٱلْعُقُوبَةِ، بَلْ صَبَرَ، وَسَتَرَ، وَأَمْهَلَ.

وَهٰذَا مِنْ حِلْمِ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ وَعَظِيمِ سِتْرِهِ.

وَرَوَى ٱلدَّارَقُطْنِيُّ وَٱلتِّرْمِذِيُّ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ:

لَمَّا نَزَلَتِ ٱلْآيَةُ:

﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾. آل عمران: ٩٧

قَالُوا: يَا رَسُولَ ٱللَّهِ، أَفِي كُلِّ عَامٍ؟

فَسَكَتَ ﷺ، ثُمَّ أَعَادُوا ٱلسُّؤَالَ،

فَقَالَ ﷺ: "لَا، وَلَوْ قُلْتُ نَعَمْ لَوَجَبَتْ". رواه الترمذي والدارقطني

ثُمَّ نَزَلَتِ ٱلْآيَةُ:

﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ...﴾

إِلَىٰ قَوْلِهِ:

﴿ ...عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ ٱلْمَائِدَة: ١٠١

أَيْ: مِنْ وَاسِعِ حِلْمِهِ وَمَغْفِرَتِهِ، لَمْ يُؤَاخِذْكُمْ بِمَا فَرَّطَ مِنْكُمْ مِنَ ٱلْأَسْئِلَةِ أَوِ ٱلْأَقْوَالِ، بَلْ عَفَا، وَسَتَرَ، وَلَمْ يُعَجِّلِ ٱلْعُقُوبَةَ.

وَمِنْ حِلْمِهِ:
قَالَ تَعَالَىٰ:
﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ
وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ ٱلْبَقَرَة: ٢٢٥
فَٱللَّغْوُ مِنَ ٱلْحَلِفِ —كَقَوْلِنَا: "لَا وَٱللَّهِ" أَوْ "بَلَى وَٱللَّهِ" مِنْ غَيْرِ نِيَّةٍ—
لَا يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ بِهِ مِنْ وَاسِعِ حِلْمِهِ وَعَفْوِهِ.

فَٱللَّهُ غَفُورٌ لِذُنُوبِ عِبَادِهِ، حَلِيمٌ لَا يُعَاجِلُهُمْ بِٱلْعُقُوبَةِ.
بَلْ يُمْهِلُهُمْ حِلْمًا، وَيَفْتَحُ لَهُمْ بَابَ ٱلتَّوْبَةِ وَٱلرَّجَاءِ.
وَصَدَقَ ٱللَّهُ إِذْ يَقُولُ:
﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ﴾. فَاطِر: ٤٥

فَتَعَرَّضُوا لِمَغْفِرَتِهِ وَإِحْسَانِهِ وَرَحْمَتِهِ وَرِضْوَانِهِ، مَحَبَّةً لَهُ، وَحَيَاءً مِّنْهُ لِعَظِيمِ حِلْمِهِ، وَخَوْفًا مِّنْهُ دُونَ ٱسْتِهَانَةٍ.

ٱللَّهُمَّ إِنِّيٓ أَسْأَلُكَ حِلْمَكَ وَعَفْوَكَ،
ٱغْفِرْ لِي وَتَجَاوَزْ عَنْ تَقْصِيرِي،
وَٱرْزُقْنِي ٱلْحِلْمَ فِي مُعَامَلَتِي مَعَ ٱلْآخَرِينَ.
إِنَّكَ أَنْتَ ٱلْغَفُورُ ٱلْحَلِيمُ.
لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ، ٱلْغَفُورُ ٱلْحَلِيمُ.
كَرِّرْهَا طَمَعًا بِحِلْمِهِ وَمَغْفِرَتِهِ.

ٱلْحَلِيمُ ٱلْغَفُورُ
ٱلدُّعَاءُ بِهَذَا ٱلِٱسْمِ بِنِيَّةِ: ٱلتَّعْظِيمِ وَٱلثَّنَاءِ وَٱلتَّسْبِيحِ عَلَىٰ تَقْصِيرِنَا فِي ذِكْرِهِ
لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَلِيمُ ٱلْغَفُورُ
سُبْحَانَ ٱلْحَلِيمِ ٱلْغَفُورِ

قِيلَ: إِنَّ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضَ كَادَتْ أَنْ تَزُولَ مِنْ شِدَّةِ مَا يَفْعَلُهُ ٱلْكُفَّارُ مِنْ مَعَاصٍ،
فَهَمَّتْ بِمَا هَمَّتْ بِهِ مِنْ عُقُوبَةِ ٱللَّهِ لَهُمْ،
فَأَمْسَكَهُمَا ٱللَّهُ تَعَالَىٰ عَنِ ٱلزَّوَالِ بِحِلْمِهِ وَغُفْرَانِهِ، وَلَيْسَ بِٱسْتِحْقَاقِنَا.

وَلَمْ يُعَاجِلْهُمْ بِٱلْعُقُوبَةِ، وَلَا زَالَتِ ٱلشَّمْسُ تَشْرُقُ، وَٱلسَّمَاءُ لَمْ تَسْقُطْ، وَٱلْأَرْضُ لَمْ تَنْخَسِفْ،
كُلُّ ذَٰلِكَ بِفَضْلِ حِلْمِهِ، لَا لِعَجْزٍ عَنْهُمْ.
فَمَنْ ذَا ٱلَّذِي يَمْلِكُ أَنْ يُمْسِكَ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضَ؟
مَنْ ٱلَّذِي يَمْنَعُ زَوَالَهُمَا غَيْرُ مَنْ خَلَقَهُمَا؟

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنْ بَعْدِهِ ۚ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا**﴾. فاطر: ٤١

أي: هُوَ ٱلَّذِي يَمْنَعُ زَوَالَ ٱلْكَوْنِ بِحِلْمِهِ،
وَهُوَ ٱلَّذِي يُمْهِلُ ٱلْمُقَصِّرِينَ رَجَاءَ رُجُوعِهِمْ،
وَهُوَ ٱلْغَفُورُ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا،
كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿**وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ**﴾. طه: ٨٢

وَٱلتَّسْبِيحُ... عِمَادُ هَٰذَا ٱلْكَوْنِ
فَكَمَا أَنَّ ٱلْقُدْرَةَ تُمْسِكُ ٱلسَّمَاوَاتِ، فَإِنَّ تَسْبِيحَ ٱلْخَلْقِ لِلَّهِ أَيْضًا سَبَبٌ فِي بَقَائِهَا،
قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿**وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ**﴾.

و"ٱلتَّسْبِيحُ" مَأْخُوذٌ مِنْ "ٱلسَّبْحِ"، وَهُوَ ٱلسُّرْعَةُ فِي ٱلسَّيْرِ بِٱلْمَاءِ أَوِ ٱلْهَوَاءِ،
فَٱلْمُسَبِّحُ لِلَّهِ هُوَ مَنْ يُسَارِعُ وَيَسْتَمِرُّ فِي تَنْزِيهِ رَبِّهِ،
بِلَا ٱنْقِطَاعٍ، وَلَا فُتُورٍ، حَتَّىٰ لَا يَتَعَثَّرَ كَمَا يَتَعَثَّرُ ٱلسَّابِحُ إِنْ تَوَقَّفَ.

فَلْيَكُنْ تَسْبِيحُنَا ٱسْتِمْرَارًا فِي ٱلطَّاعَةِ، وَسُرْعَةً فِي ٱلرُّجُوعِ، وَحَيَاءً مِنَ ٱلْحَلِيمِ ٱلْغَفُورِ.
سُبْحَانَ ٱلْحَلِيمِ ٱلْغَفُورِ.

قَالَ تَعَالَىٰ:
﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَاوَاتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾. *الإسراء: ٤٤*

كُلُّ مَا فِي ٱلْكَوْنِ مِنْ سَمَاءٍ وَأَرْضٍ، وَمَنْ فِيهِمَا مِنْ مَخْلُوقَاتٍ ظَاهِرَةٍ وَخَفِيَّةٍ، عَاقِلَةٍ وَغَيْرِ عَاقِلَةٍ، يُسَبِّحُ بِحَمْدِ ٱللَّهِ، ويُنَزِّهُهُ عَنْ كُلِّ نَقْصٍ، وَيُعَظِّمُهُ حَقَّ تَعْظِيمِهِ،

وَلٰكِن... نَحْنُ ٱلْبَشَرَ لَا نَفْقَهُ تَسْبِيحَهُمْ!
وَلٰكِنَّ ٱللَّهَ يَسْمَعُهَا وَيَعْلَمُهَا، فَهُوَ ٱلْخَالِقُ،
﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾. *الملك: ١٤*

فَسَبِّحْ بِٱسْمِ ٱلْحَلِيمِ ٱلْغَفُورِ،
سَبِّحْ لِتَلْتَحِقَ بِرَكْبِ ٱلْمُسَبِّحِينَ،
سَبِّحْ حَيَاءً مِنْ حِلْمِهِ،
وَطَمَعًا فِي مَغْفِرَتِهِ.

وَرَدِّدْ عِنْدَ ٱلتَّوْبَةِ، أَوْ عِنْدَ تَذَكُّرِ ٱلتَّقْصِيرِ:
لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَلِيمُ ٱلْغَفُورُ،
سُبْحَانَ ٱلْحَلِيمِ ٱلْغَفُورِ

ٱلْعَفُوُّ ٱلْغَفُورُ
ٱلدُّعَاءُ بِهَذَا ٱلِاسْمِ بِنِيَّةِ: ٱلتَّيْسِيرِ فِي ٱلْعِبَادَةِ، وَمَحْوِ ٱلذُّنُوبِ
لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَفُوُّ ٱلْغَفُورُ

فِي مَشْهَدٍ جَلِيلٍ مِنْ رَحْمَةِ ٱللَّهِ بِعِبَادِهِ، نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ:

﴿ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾. سورة الحج: ٦٠

فِي مَوْقِفٍ حَرِجٍ، قَاتَلَ ٱلصَّحَابَةُ مُشْرِكِينَ فِي ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ دِفَاعًا عَنْ أَنْفُسِهِمْ، ثُمَّ نَدِمُوا عَلَىٰ ذَٰلِكَ، رَغْمَ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْمَظْلُومُونَ، فَوَاسَاهُمُ ٱللَّهُ وَنَزَلَتْ هَٰذِهِ ٱلْآيَةُ.

وَلِمَاذَا خَتَمَهَا بِـ: "إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ"؟

لِأَنَّهُ:

- يَعْفُو: فَلَا يُؤَاخِذُهُمْ عَلَىٰ مَا وَقَعَ مِنْهُمْ تَأَوُّلًا أَوِ ٱجْتِهَادًا، بَلْ يَمْحُوهُ.
- وَيَغْفِرُ: فَيَسْتُرُ وَلَا يُفْضِحُ، فَلَا يُذَكِّرُهُمْ بِهِ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ.

وَٱلْعَفُوُّ وَٱلْغَفُورُ... ٱسْمَانِ كَثِيرًا مَا يُقْرِنُ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَا فِي مَوَاضِعِ ٱلتَّيْسِيرِ وَٱلرَّحْمَةِ وَٱلضَّعْفِ ٱلْبَشَرِيِّ.

فِي ٱلظِّهَارِ:

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ٱلَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾. سورة المجادلة: ٢

فَٱلْعَفُوُّ ٱلْغَفُورُ فَتَحَ بَابَ ٱلتَّوْبَةِ وَٱلتَّكْفِيرِ، فَلَمْ يَجْعَلِ ٱلْحُكْمَ فِيهِ قَطِيعَةً أَوْ عُنْفًا، بَلْ رُخْصَةً وَكَفَّارَةً فِيهَا تَخْفِيفٌ وَرَحْمَةٌ. وَمُرَادُ ٱللَّهِ مِنْ هَٰذَا ٱلْحُكْمِ ٱلتَّوْسِعَةُ عَلَى ٱلنَّاسِ، لَا ٱلْإِغْلَاقُ بِٱلْعُقُوبَةِ.

وَفِي ٱلتَّيَمُّمِ حِينَ تَعَذَّرَ ٱلْوُضُوءُ:

﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾. سورة النساء: ٤٣

وَهَٰذَا تَيْسِيرٌ مِّنَ ٱللَّهِ لِعِبَادِهِ، فَشَرَعَ لَهُمُ ٱلطَّهَارَةَ ٱلْبَدِيلَةَ عِنْدَ ٱلْعَجْزِ، رَحْمَةً بِهِمْ، لِأَنَّهُ عَفُوٌّ غَفُورٌ.

مَا ٱلْفَرْقُ بَيْنَ ٱلْعَفْوِ وَٱلْمَغْفِرَةِ؟

قَالَ أَهْلُ ٱلْعِلْمِ —كَمَا فِي ٱلْإِتْحَافَاتِ ٱلسَّنِيَّةِ:

- ٱلْمَغْفِرَةُ: سَتْرُ ٱلذَّنْبِ وَعَدَمُ مُؤَاخَذَةِ صَاحِبِهِ بِهِ.
- ٱلْعَفْوُ: أَبْلَغُ مِنَ ٱلْمَغْفِرَةِ، فَهُوَ مَحْوُ ٱلذَّنْبِ مِنَ ٱلْأَصْلِ وَكَأَن لَّمْ يَكُنْ!
  - يَمْحُوهُ مِنَ ٱلصَّحَائِفِ.
  - لَا يُذَكِّرُ بِهِ يَوْمَ ٱلْعَرْضِ.
  - وَيُبَدِّلُهُ حَسَنَاتٍ.

قَالَ ٱلْحَسَنُ ٱلْبَصْرِيُّ:

"لَوِ ٱسْتُؤْمِنَ عَلَىٰ ذَنْبٍ مِّنْ ذُنُوبِ ٱلْمُؤْمِنِ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ، مَا وَجَدَهُ، قَدْ غَيَّبَهُ ٱلْعَفْوُ ٱلْإِلٰهِيُّ". ٱلْإِتْحَافَاتِ ٱلسَّنِيَّةِ

فَتَعَلَّقُوا بِٱلْعَفُوِّ ٱلْغَفُورِ...

طَلَبًا لِلْمَغْفِرَةِ، وَٱلتَّيْسِيرِ فِي ٱلْعِبَادَاتِ، وَمَحْوِ ٱلذُّنُوبِ.

ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ، ٱلرَّحِيمُ ٱلْوَدُودُ

ٱلدُّعَاءُ بِهَذَا ٱلِٱسْمِ بِنِيَّةٍ: طَلَبِ ٱلْمَغْفِرَةِ لِنَيْلِ مَحَبَّةِ ٱللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ،
وَمَحَبَّةِ ٱلنَّاسِ، وَٱلْقَبُولِ فِي ٱلْأَرْضِ

لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ

لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْوَدُودُ

قَالَ رَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ:

"إِنَّ ٱللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَقَالَ: يَا جِبْرِيلُ، إِنِّي أُحِبُّ فُلَانًا فَأَحْبِبْهُ. فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي أَهْلِ ٱلسَّمَاءِ: إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ ٱلسَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ ٱلْقَبُولُ فِي ٱلْأَرْضِ.

وَإِنَّ ٱللَّهَ إِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَقَالَ: يَا جِبْرِيلُ، إِنِّي أُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضْهُ. فَيُبْغِضُهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي أَهْلِ ٱلسَّمَاءِ: إِنَّ ٱللَّهَ يُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضُوهُ، فَيُبْغِضُهُ أَهْلُ ٱلسَّمَاءِ، ثُمَّ تُوضَعُ لَهُ ٱلْبُغْضَاءُ فِي ٱلْأَرْضِ". رَوَاهُ مُسْلِم

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿وَٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٞ وَدُودٞ﴾. هُود: ٩٠

أَيْ:

ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ مِنَ ٱلذُّنُوبِ، وَتُوبُوا إِلَيْهِ تَوْبَةً نَصُوحًا.

فَرَبُّكُمْ **رَحِيمٌ** :وَاسِعُ ٱلرَّحْمَةِ لِمَنْ تَابَ.

وَدُودٌ :كَثِيرُ ٱلْوُدِّ وَٱلْمَحَبَّةِ لِعِبَادِهِ ٱلطَّائِعِينَ.

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾. ٱلْبَقَرَة: ٢٢٢

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ﴾. ٱلْبُرُوج: ١٤

قَالَ ٱبْنُ عَبَّاسٍ: ٱلْوَدُودُ هُوَ ٱلْحَبِيبُ.

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وُدًّا﴾. مريم: ٩٦

أَيْ: سَيَجْعَلُ لَهُمْ مَحَبَّةً وَمَوَدَّةً فِي ٱلْقُلُوبِ، وَذِكْرًا حَسَنًا فِي ٱلْأَرْضِ.

فَهُوَ كَثِيرُ ٱلْوُدِّ لِأَهْلِ ٱلذُّنُوبِ إِذَا تَابُواْ.

فَتَعَلَّقُواْ بِٱلرَّحِيمِ ٱلْوَدُودِ

وَٱطْلُبُواْ **مَغْفِرَةَ ٱلْوَدُودِ**، فَهُوَ:

يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ مَهْمَا عَظُمَتْ.

وَيُحِبُّ ٱلتَّائِبِينَ وَيَضَعُ لَهُمُ ٱلْقَبُولَ فِي ٱلْأَرْضِ.

فَٱسْأَلُوا ٱلْوَدُودَ ٱلرَّحْمَةَ وَٱلْمَغْفِرَةَ...

لِتَنَالُوا مَحَبَّةَ ٱللَّهِ وَمَحَبَّةَ ٱلنَّاسِ.

لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ

لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْوَدُودُ

تكْرَارُ: لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ

مَعَ ٱسْتِحْضَارِ نِيَّةِ ٱلْمَغْفِرَةِ وَٱلْمَحَبَّةِ وَٱلْقَبُولِ.

ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ
ٱلنِّيَّةُ: لِطَلَبِ ٱلْمَغْفِرَةِ وَٱلتَّوْفِيقِ لِحُسْنِ ٱلْعَمَلِ
لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ

يُبَيِّنُ ٱللَّهُ تَعَالَى أَنَّ ٱخْتِلَافَ ٱلْأَلْوَانِ لَا يَقْتَصِرُ فَقَطْ عَلَى ٱلْجِبَالِ،
بَلْ يَشْمَلُ ٱلنَّاسَ وَٱلْحَيَوَانَاتِ وَٱلْأَنْعَامَ أَيْضًا،
فَهُمْ كَذَلِكَ يَخْتَلِفُونَ فِي أَلْوَانِهِمْ كَمَا تَخْتَلِفُ أَلْوَانُ ٱلْجِبَالِ.
وَكَمَا أَنَّ فِي ٱلْجِبَالِ تَدَرُّجَاتٍ وَأَلْوَانًا مُخْتَلِفَةً،
فَكَذَلِكَ فِي ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَابِّ وَٱلْأَنْعَامِ تَنَوُّعٌ وَٱخْتِلَافٌ فِي ٱلْأَلْوَانِ،
وَهَذَا ٱلتَّنَوُّعُ فِي ٱلْمَخْلُوقَاتِ مِنْ أَعْظَمِ دَلَائِلِ قُدْرَةِ ٱللَّهِ وَعَجِيبِ صُنْعِهِ.
وَٱلنَّاسُ كَذَلِكَ يَتَفَاوَتُونَ فِي ٱلْخَشْيَةِ مِنَ ٱللَّهِ عَلَى دَرَجَاتٍ
.حَيْثُ يُوَضِّحُ ٱللَّهُ مَن هُمْ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِخَشْيَةِ ٱللَّهِ، قَالَ تَعَالَى:
"وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَابِّ وَٱلْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَاءُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ " *فاطر: ٢٨*

وَعَنِ ٱلنَّبِيِّ ﷺ قَالَ:
"أَنَا أَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَتْقَاكُمْ لِلَّهِ، وَأَعْلَمَكُمْ بِهِ " *رواه البخاري*

"**إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ**"، وَهَذَا هُوَ سَبَبُ ٱلْخَشْيَةِ،
أَيْ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ يُعَاقِبُ عَلَى ٱلْمَعْصِيَةِ، وَيَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ لِمَنْ تَابَ مِنْ عِبَادِهِ تَوْبَةً نَصُوحًا.
عَنْ ٱبْنِ مَسْعُودٍ، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ" :لَيْسَ ٱلْعِلْمُ عَنْ كَثْرَةِ ٱلْحَدِيثِ،
وَلَكِنَّ ٱلْعِلْمَ عَنْ كَثْرَةِ ٱلْخَشْيَةِ.
فَٱلْعَالِمُ بِٱللَّهِ وَبِأَمْرِ ٱللَّهِ: هُوَ ٱلَّذِي يَخْشَى ٱللَّهَ وَيَعْلَمُ ٱلْحُدُودَ وَٱلْفَرَائِضَ،
فَٱلْعِلْمُ ٱلَّذِي يُفْضِي إِلَى ٱلْخَشْيَةِ، هُوَ ٱلْعِلْمُ ٱلْمَرْضِيُّ.

قَالَ ٱبْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ:
"لَيْسَ ٱلْعِلْمُ عَنْ كَثْرَةِ ٱلْحَدِيثِ، وَلَكِنَّ ٱلْعِلْمَ عَنْ كَثْرَةِ ٱلْخَشْيَةِ " *رواه ابن أبي شيبة*

وَقَالَ تَعَالَى:

"ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ " *الملك: ٢*

فَٱلْخَشْيَةُ تَنْبُعُ مِنْ عِلْمٍ بِعِزَّةِ ٱللَّهِ، وَٱلرَّجَاءُ يَتَعَلَّقُ بِغُفْرَانِهِ.
وَٱلْمُؤْمِنُ ٱلصَّادِقُ يَسْعَى فِي أَحْسَنِ ٱلْأَعْمَالِ، خَوْفًا وَرَجَاءً.

فَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلَّذِي لَا يُغْلَبُ، وَٱلْغَفُورُ ٱلَّذِي يَغْفِرُ لِمَنْ شَاءَ. قَالَ تَعَالَى:

"وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَى" *طه: ٨٢*

فَٱسْأَلُوا ٱلْعَزِيزَ ٱلْغَفُورَ ٱلْمَغْفِرَةَ، وَٱجْتَهِدُوا فِي حُسْنِ ٱلْعَمَلِ.

تَكْرَارٌ بِخُشُوعٍ وَتَدَبُّرٍ:

يَا عَزِيزُ، يَا غَفُورُ، لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ .

.

ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ
ٱلدُّعَاءُ بِهَذَا ٱلِاسْمِ بِنِيَّةِ: ٱلتَّعْظِيمِ، وَٱلتَّوْبَةِ، وَدَفْعِ ٱلْعِقَابِ، وَإِيصَالِ ٱلْخَيْرِ
لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ

رُوِيَ عَنْ عُمَرَ بْنِ ٱلْخَطَّابِ – رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ – أَنَّهُ ٱفْتَقَدَ رَجُلًا ذَا بَأْسٍ شَدِيدٍ مِنْ أَهْلِ ٱلشَّامِ، فَلَمَّا سَأَلَ عَنْهُ، قِيلَ لَهُ: "تَتَابَعَ فِي هَٰذَا ٱلشَّرَابِ".

فَقَالَ عُمَرُ لِكَاتِبِهِ:

"ٱكْتُبْ: مِنْ عُمَرَ بْنِ ٱلْخَطَّابِ إِلَى فُلَانٍ، سَلَامٌ عَلَيْكَ، وَأَنَا أَحْمَدُ ٱللَّهَ إِلَيْكَ ٱلَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ،

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حم. تَنْزِيلُ ٱلْكِتَابِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ... إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ .[غافر: ١–٣]".

ثُمَّ خَتَمَ ٱلْكِتَابَ، وَقَالَ لِرَسُولِهِ:

"لَا تُدْفِعْهُ إِلَيْهِ حَتَّى تَجِدَهُ صَاحِيًا".

ثُمَّ أَمَرَ مَنْ عِندَهُ أَنْ يَدْعُوا لَهُ بِٱلتَّوْبَةِ.

فَلَمَّا وَصَلَ ٱلْكِتَابُ إِلَى ٱلرَّجُلِ، جَعَلَ يَقْرَؤُهُ وَيَقُولُ:

"قَدْ وَعَدَنِيَ ٱللَّهُ أَنْ يَغْفِرَ لِي، وَحَذَّرَنِي عِقَابَهُ".

فَلَمْ يَبْرَحْ يُرَدِّدُهَا حَتَّى بَكَى، ثُمَّ نَزَعَ عَنِ ٱلذَّنْبِ، فَأَحْسَنَ ٱلنَّزْعَ، وَحَسُنَتْ تَوْبَتُهُ.

فَلَمَّا بَلَغَ عُمَرَ ذَٰلِكَ قَالَ:

"هَكَذَا فَٱصْنَعُوا، إِذَا رَأَيْتُمْ أَحَدَكُمْ قَدْ زَلَّ زَلَّتَهُ، فَسَدِّدُوهُ، وَٱدْعُوا ٱللَّهَ لَهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِ، وَلَا تَكُونُوا أَعْوَانًا لِلشَّيْطَانِ عَلَيْهِ" [ابن كثير]

يَقُولُ تَعَالَى: "**تَنْزِيلُ ٱلْكِتَابِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ** "[غافر: ٢]

"**ٱلْعَزِيزُ** :"ٱلَّذِي قَهَرَ بِعِزَّتِهِ كُلَّ مَخْلُوقٍ،

"**ٱلْعَلِيمُ** :"بِكُلِّ شَيْءٍ، ٱلْمُطَّلِعُ عَلَى أَحْوَالِ خَلْقِهِ، دُونَ أَنْ يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْهَا [الطبري]،

فَٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ مُنَزِّلُ ٱلْقُرْآنِ، هُوَ ٱلْخَالِقُ، قَالَ تَعَالَى:

"وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ "[الزخرف: ٩]

وَهُوَ ٱلْمُقَدِّرُ لِنِظَامِ ٱلْكَوْنِ:

"**فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيم**" الأنعام: ٩٦

"**وَٱلشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ)** "يس: ٣٨

وَهُوَ ٱلْقَاضِي بِحُكْمِهِ ٱلْعَادِلِ:

"**إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُم بِحُكْمِهِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ** "النمل: ٧٨

وَجَمِيعُ ٱلْآيَاتِ ٱلَّتِي وَرَدَ فِيهَا ٱسْمُ "**ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ** "جاءَتْ فِي ثَنَاءٍ عَلَى رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ.

وَكَانَ مِمَّا يَقْرَؤُهُ رَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ فِي ٱلْيَوْمِ وَٱللَّيْلَةِ:

"**حم. تَنْزِيلُ ٱلْكِتَابِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ. غَافِرِ ٱلذَّنْبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِي ٱلطَّوْلِ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ)** "غافر: ١–٣.(

فَٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ: يَغْفِرُ ٱلذَّنْبَ، وَيَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ، وَيُعَاقِبُ عَلَى ٱلْمَعْصِيَةِ، وَيُوصِلُ ٱلْخَيْرَ.

وَكَانَ ٱلْعَارِفُونَ بِٱللَّهِ يُوصِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا:

- إِذَا قَرَأْتَ" :**غَافِرِ ٱلذَّنْبِ** "فَقُلْ: يَا غَافِرَ ٱلذَّنْبِ، ٱغْفِرْ لِي ذَنْبِي
- وَإِذَا قُلْتَ" :**وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ** "فَقُلْ: يَا قَابِلَ ٱلتَّوْبِ، ٱقْبَلْ تَوْبَتِي
- وَإِذَا قُلْتَ" :**شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ** "فَقُلْ: يَا شَدِيدَ ٱلْعِقَابِ، لَا تُعَاقِبْنِي
- وَكُلُّ مَا قَصُرَتْ عَنْهُ يَدُكَ وَأُمْنِيَتُكَ، فَإِنَّ "**ذِي ٱلطَّوْلِ** "يُوصِلُهَا لَكَ، ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ.

فَمَجِّدُوا، وَٱحْمَدُوا، وَأَثْنُوا عَلَى عَظَمَةِ خَلْقِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ.

وَٱسْأَلُوهُ :ٱلْمَغْفِرَةَ، وَٱلتَّوْبَةَ، وَٱلْجَزَاءَ ٱلْحَسَنَ، وَمِنَ ٱلْخَيْرِ مَا تُرِيدُونَ.

لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ،

"**حم. تَنْزِيلُ ٱلْكِتَابِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ. غَافِرِ ٱلذَّنْبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِي ٱلطَّوْلِ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ**". كرّرها

ٱلرَّؤُوفُ ٱلرَّحِيمُ

ٱلدُّعَاءُ بِهٰذَا ٱلِٱسْمِ بِنِيَّةِ: تَطْهِيرِ ٱلْقَلْبِ مِنَ ٱلْحِقْدِ وَٱلضَّغِينَةِ، وَٱلتَّعَلُّقِ بِرَحْمَةِ ٱللَّهِ وَرَأْفَتِهِ.

لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّءُوفُ ٱلرَّحِيمُ

مِنْ كَمَالِ ٱلْإِيمَانِ أَنْ يَتَحَابَّ ٱلْمُسْلِمُونَ وَيَتَعَاوَنُوا، وَيَحْرِصَ كُلٌّ مِّنْهُمْ عَلَى نَفْعِ ٱلْآخَرِينَ.

وَإِنْ لَمْ تَكُنْ مِنَ ٱلصَّحَابَةِ، فَٱدْعُ ٱللَّهَ أَنْ يَجْمَعَكَ مَعَهُمْ فِي مَغْفِرَتِهِ وَرِضْوَانِهِ.

وَٱحْتِرَامُ ٱلصَّحَابَةِ

وَاجِبٌ شَرْعًا وَعَقْلًا، وَقَدْ أَجْمَعَ ٱلسَّلَفُ عَلَى تَعْظِيمِ مَنْزِلَتِهِمْ وَبَيَانِ فَضْلِهِمْ.

ٱلْإِيمَانُ

يَرْبِطُ أَوَّلَ ٱلْأُمَّةِ بِآخِرِهَا، بِٱلدُّعَاءِ وَٱلْمَوَدَّةِ ٱلَّتِي تَتَجَاوَزُ ٱلزَّمَانَ وَٱلْمَكَانَ.

وَٱلْحَسَدُ وَٱلْبَغْضَاءُ

تُفْسِدَانِ ٱلْقَلْبَ وَتُضْعِفَانِ ٱلْإِيمَانَ، وَمَنْ حَمَلَ فِي قَلْبِهِ بُغْضًا لِأَحَدٍ مِّنَ ٱلصَّحَابَةِ فَقَدْ خَسِرَ.

وَقَدْ مَدَحَ ٱللَّهُ – سُبْحَانَهُ – كُلَّ مَنْ سَارَ عَلَى نَهْجِ ٱلْمُهَاجِرِينَ وَٱلْأَنْصَارِ فِي قُوَّةِ ٱلْإِيمَانِ، وَطَهَارَةِ ٱلْقَلْبِ، وَسَمَاحَةِ ٱلنَّفْسِ.

وَأَمَرَنَا ٱللَّهُ أَلَّا يَكُونَ فِي قُلُوبِنَا حِقْدٌ عَلَى أَحَدٍ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَ تَعَالَى:

"وَٱلَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوف رَّحِيمٌ". الحشر: ١٠

فَٱلْجَؤُوا إِلَى **"ٱلرَّؤُوفِ ٱلرَّحِيمِ"**

لِتُطَهِّرُوا قُلُوبَكُمْ مِنَ ٱلْحِقْدِ وَٱلضَّغِينَةِ، وَتَتَعَلَّقُوا بِرَحْمَتِهِ وَرَأْفَتِهِ.

قَالَ تَعَالَى:

"إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوف رَّحِيم " البقرة: ١٤٣

فَكُلُّ مَا وَهَبَهُ لِعِبَادِهِ مِنْ خَيْرٍ، أَوْ دَفَعَهُ عَنْهُم مِّنْ سُوءٍ، فَهُوَ مِنْ رَأْفَتِهِ بِهِمْ.

وَلَمَّا كَانَ ٱلنَّبِيُّ ﷺ شَدِيدَ ٱلْحِرْصِ عَلَى إِيصَالِ ٱلْخَيْرِ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَصَفَهُ ٱللَّهُ بِقَوْلِهِ:
"بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوف رَّحِيم" *التوبة: ١٢٨*

وَمِن رَحْمَتِهِ سُبْحَانَهُ: أَنَّهُ لَا يَشُقُّ عَلَى عِبَادِهِ.
ولَا يُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا، فَهُوَ لَا يُهْمِلُ سَعْيَ عَابِدٍ،
وَلَا يُضَيِّعُ دَمْعَةَ خُشُوعٍ، كَمَا فِي قَوْلِهِ:
"وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوف رَّحِيم". *البقرة: ١٤٣*

وَمِن رَحْمَتِهِ:
أَنَّهُ مَنَّ عَلَيْهِمْ بِٱلتَّوْبَةِ، وَقَبِلَهَا مِنْهُمْ، وَثَبَّتَهُمْ عَلَيْهَا، فَقَالَ:
"مِّنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيق مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْۚ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوف رَّحِيم ". *التوبة: ١١٧*

وَسَخَّرَ لَهُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ، وَمَا فِي ٱلْبَحْرِ، وَأَمْسَكَ ٱلسَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَيْهِمْ، وَسَخَّرَ لَهُمُ ٱلْأَنْعَامَ، فَقَالَ:
"إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوف رَّحِيم ". *النحل: ٧*

وَلَمْ يُعَاجِلْهُم بِٱلْعُقُوبَةِ، بَلْ أَمْهَلَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَتُوبُونَ، فَقَالَ:
"أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّف فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوف رَّحِيم ". النحل: ٤٧

لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّؤُوفُ ٱلرَّحِيمُ.
ٱللَّهُمَّ يَا رَءُوفُ، يَا رَحِيمُ،
طَهِّرْ قُلُوبَنَا مِنَ ٱلْحِقْدِ وَٱلضَّغِينَةِ،
وَٱرْزُقْنَا رَحْمَتَكَ وَرَأْفَتَكَ،
وَلَا تَتْرُكْ فِي قُلُوبِنَا إِلَّا ٱلْحُبَّ وَٱلْإِيمَانَ،
لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّءُوفُ ٱلرَّحِيمُ.
كَرِّرْهَا بِنِيَّةِ ٱلتَّزْكِيَةِ، وَٱلرِّقَّةِ، وَٱلْإِيمَانِ.

ٱلشَّاكِرُ ٱلْعَلِيمُ

ٱلدُّعَاءُ بِهٰذَا ٱلاِسْمِ بِنِيَّةِ: طَلَبِ ٱلْجَزَاءِ ٱلْعَظِيمِ عَلَى ٱلطَّاعَةِ، وَطَلَبًا لِلْإِيمَانِ وَٱلْأَمَانِ.

لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ، ٱلشَّاكِرُ ٱلْعَلِيمُ.

إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ — وَهُمَا جَبَلَانِ صَغِيرَانِ قُرْبَ ٱلْكَعْبَةِ مِنْ جِهَةِ ٱلشَّرْقِ
وهما مِنْ مَعَالِمِ دِينِ ٱللَّهِ ٱلظَّاهِرَةِ ٱلَّتِي تَعَبَّدَ ٱللَّهُ عِبَادَهُ بِٱلسَّعْيِ بَيْنَهُمَا،
فَمَنْ قَصَدَ ٱلْكَعْبَةَ حَاجًّا أَوْ مُعْتَمِرًا، فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَلَا حَرَجَ فِي أَنْ يَسْعَىٰ بَيْنَهُمَا،
بَلْ يَجِبُ عَلَيْهِ ذَٰلِكَ.

قال تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾. البقرة: ١٥٨

وَمَنْ فَعَلَ ٱلطَّاعَاتِ طَوَاعِيَةً مِنْ نَفْسِهِ، مُخْلِصًا بِهَا لِلَّهِ تَعَالَىٰ،
فَإِنَّ ٱللَّهَ تَعَالَىٰ شَاكِرٌ يُثِيبُ عَلَى ٱلْقَلِيلِ بِٱلْكَثِيرِ،
عَلِيمٌ بِأَعْمَالِ عِبَادِهِ، فَلَا يُضِيعُهَا، وَلَا يَبْخَسُ أَحَدًا مِثْقَالَ ذَرَّةٍ. تفسير السعدي

فَٱلطَّاعَةُ مَقْبُولَةٌ عِندَ ٱللَّهِ، وَوَاقِعَةٌ مَوْقِعَ ٱلْقَبُولِ فِي أَقْصَى ٱلدَّرَجَاتِ.

إِنَّ مَنْ تَعَلَّقَ بِـ "ٱلشَّاكِرِ ٱلْعَلِيمِ" نَالَ ٱلْجَزَاءَ ٱلْعَظِيمَ عَلَى ٱلطَّاعَةِ، وَحَقَّقَ ٱلْإِيمَانَ وَٱلْأَمَانَ.

قال تعالى:

﴿ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴾. النساء: ١٤٧

لَا شَكَّ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ لَا يَفْعَلُ بِكُمْ شَيْئًا مِنَ ٱلْعَذَابِ
مَا دَامَ ٱلشُّكْرُ وَٱلْإِيمَانُ وَاقِعَيْنِ مِنْكُمْ، وَقَدَّمَ ٱلشُّكْرَ عَلَى ٱلْإِيمَانِ،
لِأَنَّ ٱلشُّكْرَ سَبَبٌ فِي ٱلْإِيمَانِ، ٱبْنُ ٱلْقَيِّمِ

إِذِ ٱلْإِنسَانُ عِنْدَمَا يَرَىٰ نِعَمَ ٱللَّهِ، وَيَتَفَكَّرُ فِيهَا وَيُقَدِّرُهَا حَقَّ قَدْرِهَا،
يَسُوقُهُ ذَٰلِكَ إِلَى ٱلْإِيمَانِ ٱلْحَقِّ،

فَٱلشُّكْرُ يُؤَدِّي إِلَى ٱلْإِيمَانِ،
وَمَتَىٰ رَسَخَ وَٱسْتَقَرَّ فِي ٱلْقَلْبِ ٱرْتَفَعَ بِصَاحِبِهِ إِلَىٰ أَسْمَىٰ أَلْوَانِ ٱلشُّكْرِ وَأَعْظَمِهَا.

فَمَنْ شَكَرَ وَآمَنَ، أَمِنَ مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ.

"وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا" النساء: ١٤٧

أَي: وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا لِعِبَادِهِ عَلَىٰ طَاعَتِهِمْ، أَي مُثِيبَهُمْ وَمُجَازِيهِمُ ٱلْجَزَاءَ ٱلْحَسَنَ عَلَىٰ طَاعَتِهِمْ، عَلِيمًا بِجَمِيعِ أَقْوَالِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ، وَسَيُجَازِي كُلَّ إِنسَانٍ بِمَا يَسْتَحِقُّهُ.

لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ، ٱلشَّاكِرُ ٱلْعَلِيمُ.
﴿ **وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ** ﴾. سبأ: ١٣

لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ، ٱلشَّاكِرُ ٱلْعَلِيمُ.
كَرِّرْهَا بِنِيَّةِ ٱلْقَبُولِ وَٱلْإِخْلَاصِ وَٱلْأَمَانِ.

ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ
ٱلدُّعَاءُ بِهَٰذَا ٱلِاسْمِ بِنِيَّةِ: ٱلتَّعْظِيمِ، وَلِنُصْرَةِ ٱلْمَظْلُومِ، وَإِزَالَةِ ٱلْخَوْفِ وَٱلْفَزَعِ.
لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ.

يقول تعالى:

"**ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ ٱلْبَاطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ**". الحج: ٦٢

أي: ذلك الذي ذَكَرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلْآيَاتِ ٱلسَّابِقَةِ مِن نَصْرٍ لِلْمَظْلُومِ،

وَمِنْ إِدْخَالِ ٱللَّيْلِ فِي ٱلنَّهَارِ وَإِدْخَالِ ٱلنَّهَارِ فِي ٱللَّيْلِ،

وَمَا فِي هَذَا ٱلْكَوْنِ مِن مَخْلُوقَاتٍ،

سَبَبُهُ أَنَّ ٱللَّهَ – تَعَالَىٰ – هُوَ ٱلْإِلَهُ ٱلْحَقُّ ٱلَّذِي يَجِبُ أَنْ تَعْنُوَ لَهُ ٱلْوُجُوهُ:

"**وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ**". الحج: ٦٢

فَٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ نَاصِرٌ لِلْمَظْلُومِ،

بِيَدِهِ مَلْكُوتُ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ،

ٱلْعَالِي عَلَى جَمِيعِ ٱلْكَائِنَاتِ بِقُدْرَتِهِ،

ٱلْكَبِيرُ أَي: ٱلْعَظِيمُ ٱلَّذِي لَا يُدَانِيهِ فِي عَظَمَتِهِ أَحَدٌ.

فَهَلْ هُنَاكَ آلِهَةٌ سِوَى ٱللَّهِ ٱلْعَلِيِّ ٱلْكَبِيرِ ٱسْتَحَقَّتِ ٱلْعِبَادَةَ؟

فَٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ نَاصِرٌ لِلْمَظْلُومِ،

لِذَلِكَ فَقَدْ حَذَّرَ ٱلرِّجَالَ تَحْذِيرًا شَدِيدًا مِن ظُلْمِ ٱلنِسَاءِ،

فَإِنَّ ٱللَّهَ ٱلْعَلِيَّ ٱلْكَبِيرَ وَلِيُّهُنَّ،

وَهُوَ مُنْتَقِمٌ مِنْ مَنْ ظَلَمَهُنَّ وَبَغَىٰ عَلَيْهِنَّ،

قَالَ تَعَالَىٰ:

"**فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا**". النساء: ٣٤

وَنَاصِرُ ٱلْمَظْلُومِ يَزِيلُ ٱلْخَوْفَ وَٱلْفَزَعَ مِنَ ٱلْقُلُوبِ،

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ **وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ** – أَي: أُزِيلَ ٱلْخَوْفُ عَنْ

قُلُوبِ ٱلشَّافِعِينَ وَٱلْمَشْفُوعِ لَهُمْ، وَٱسْتَبْشَرَ ٱلنَّاسُ.- **قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْۖ قَالُواْ ٱلْحَقَّۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ** ﴾ (سَبَأ: ٢٣).

فَإِنْ رَأَيْتَ فِي نَفْسِكَ أَوْ فِي غَيْرِكَ كِبْرًا وَعُلُوًّا، أَوْ ظُلْمًا وَتَطَاوُلًا، فَقُلْ:
"**يَا عَلِيُّ يَا كَبِيرُ**."
قَالَ رَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ:
"**إِنَّ ٱللَّهَ أَوْحَىٰ إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا، حَتَّىٰ لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَىٰ أَحَدٍ، وَلَا يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَىٰ أَحَدٍ**". رواه مسلم
فَكَبِّرُوا، وَمَجِّدُوا، وَعَظِّمُوا، وَٱثْنُوا عَلَى ٱلْعَلِيِّ ٱلْكَبِيرِ نَاصِرِ ٱلْمَظْلُومِينَ،
وَمُدْخِلِ ٱلْأَمْنِ وَٱلْفَرَحِ فِي قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ.
لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ.
يَا عَلِيُّ يَا كَبِيرُ، ٱرْفَعْ قَدْرِي عِندَكَ،
وَٱمْلَأْ قَلْبِي سَكِينَةً وَطُمَأْنِينَةً،
وَٱجْعَلْنِي فِي حِمَايَتِكَ.
لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ. *كررها*

ٱلْعَفُوُّ ٱلْقَدِيرُ

ٱلدُّعَاءُ بِهَذَا ٱلِٱسْمِ بِنِيَّةِ: طَلَبِ ٱلْعَوْنِ عَلَىٰ فِعْلِ ٱلْخَيْرَاتِ، وَٱلتَّجَاوُزِ عَنِ ٱلْخَطَايَا.

لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَفُوُّ ٱلْقَدِيرُ

وَرَدَ فِي ٱلْأَثَرِ:

أَنَّ حَمَلَةَ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ ٱللَّهَ، فَيَقُولُ بَعْضُهُمْ:

"سُبْحَانَكَ عَلَىٰ حِلْمِكَ بَعْدَ عِلْمِكَ"،

وَيَقُولُ بَعْضُهُمْ:

"سُبْحَانَكَ عَلَىٰ عَفْوِكَ بَعْدَ قُدْرَتِكَ " *أخرجه ابن أبي شيبة*

وَفِي ٱلْحَدِيثِ ٱلصَّحِيحِ:

"مَا نَقَصَ مَالٌ مِن صَدَقَةٍ، وَلَا زَادَ ٱللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا، وَمَن تَوَاضَعَ لِلَّهِ رَفَعَهُ ٱللَّهُ." رواه مسلم

قَالَ تَعَالَىٰ:

"إِن تُبْدُواْ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا". *ٱلنِّسَاء: ١٤٩*

أَي:

إِنْ تُظْهِرُوا – أَيُّهَا ٱلنَّاسُ – خَيْرًا مِن طَاعَةٍ، وَبِرٍّ، وَقَوْلٍ حَسَنٍ، وَفِعْلٍ حَسَنٍ، أَوْ تُخْفُوهُ،

أَي تَعْمَلُوا هَذَا ٱلْخَيْرَ سِرًّا، أَوْ تَعْفُوا عَن سُوءٍ، أَي تَصْفَحُوا عَمَّنْ أَسَاءَ إِلَيْكُمْ؛

فَإِنَّ ٱللَّهَ – تَعَالَىٰ – يُكَافِئُكُمْ مُكَافَأَةً حَسَنَةً، وَيَتَجَاوَزُ عَن خَطَايَاكُمْ.

فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا

أَيْ يَعْفُو عَنْكُمْ سُبْحَانَهُ مَعَ ٱلْقُدْرَةِ عَلَيْكُمْ؛ لِأَنَّكُمْ فَعَلْتُمْ ٱلْخَيْرَ جَهْرًا وَخُفْيَةً،

وَعَفَوْتُمْ عَنِ ٱلنَّاسِ رَغْمَ ٱسْتِطَاعَتِكُمْ ٱلِٱنْتِقَامَ،

فَإِنَّ ٱللَّهَ سَيُجَازِيكُمْ بِأَنْ يَعْفُوَ عَنْكُمْ مَعَ قُدْرَتِهِ عَلَىٰ مُحَاسَبَتِكُمْ،

فَكُونُوا رُحَمَاءَ لِيَرْحَمَكُمْ ٱللَّهُ، وَسَامِحُوا يُسَامِحْكُمْ؛

فَٱجْعَلُوا هَذِهِ ٱلْأَخْلَاقَ نَهْجًا لَكُمْ، لِتَنَالُوا مَحَبَّةَ ٱللَّهِ وَرِضَاهُ.

وَٱلْعَفْوُ فِي حَقِّ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ:
هُوَ إِزَالَةُ ءَاثَارِ ٱلذُّنُوبِ بِٱلْكُلِّيَّةِ، فَيَمْحُوهَا مِن دِوَانِ ٱلْكِرَامِ ٱلْكَاتِبِينَ،
وَلَا يُطَالِبُ بِهَا يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ، وَيُنسِيهَا مِن قُلُوبِهِمْ، لِئَلَّا يَخْجَلُوا عِنْدَ تَذْكِيرِهَا،
وَيُثْبِتَ مَكَانَ كُلِّ سَيِّئَةٍ حَسَنَةً.

أَيْ:
يَعْفُو عَنْكُمْ سُبْحَانَهُ مَعَ ٱلْقُدْرَةِ عَلَيْكُمْ، لِأَنَّكُمْ فَعَلْتُمْ ٱلْخَيْرَ جَهْرًا وَخُفْيَةً،
وَعَفَوْتُمْ عِنْدَ ٱلْقُدْرَةِ عَلَىٰ ٱلْأَخْذِ بِحَقِّكُمْ.
فَٱقْتَدُوا بِهَٰذِهِ ٱلصِّفَاتِ ٱلْحَمِيدَةِ، لِتَنَالُوا مَحَبَّةَ ٱللَّهِ وَرِضَاهُ.

فَٱلْآيَةُ ٱلْكَرِيمَةُ تَدْعُو ٱلنَّاسَ إِلَىٰ ٱلْإِكْثَارِ مِن فِعْلِ ٱلْخَيْرِ، سِرًّا أَوْ جَهْرًا،
كَمَا تَدْعُو إِلَىٰ ٱلْعَفْوِ عَنِ ٱلْمُسِيئِينَ، لِيُقَابِلَكُمُ ٱللَّهُ بِٱلْعَفْوِ.

فَٱسْتَحْضِرُوا هَذَا ٱلِٱسْمَ، وَتَخَلَّقُوا بِـ"ٱلْعَفُوِّ ٱلْقَدِيرِ"،
لِيُعِينَكُمْ عَلَىٰ فِعْلِ ٱلْخَيْرَاتِ، وَٱلصَّفْحِ عَنْ عِبَادِ ٱللَّهِ،
وَلِيَتَجَاوَزَ عَنْ تَقْصِيرِكُمْ فِي فِعْلِ ٱلْخَيْرَاتِ، وَعَمَّا بَدَرَ مِنْكُمْ مِنْ إِسَاءَاتٍ.

رَوَىٰ ٱبْنُ ٱلْمُبَارَكِ قَالَ: حَدَّثَنِي مَنْ سَمِعَ ٱلْحَسَنَ يَقُولُ:
"إِذَا جَثَتِ ٱلْأُمَمُ بَيْنَ يَدَي رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ، نُودِي: لِيَقُمْ مَنْ أَجْرُهُ عَلَى ٱللَّهِ، فَلَا يَقُومُ إِلَّا مَنْ عَفَا فِي ٱلدُّنْيَا". الزهد، لابن المبارك

وَيُصَدِّقُ هَذَا ٱلْحَدِيثَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ:
"فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى ٱللَّهِ" ٱلشُّورىٰ: ٤٠

يَا عَفُوُّ يَا قَدِيرُ، ٱجْعَلْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ يَعْفُونَ وَيَغْفِرُونَ، كَمَا تُحِبُّ وَتَرْضَىٰ.
لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَفُوُّ ٱلْقَدِيرُ.
كَرِّرْهَا بِيَقِينٍ، وَٱسْأَلْ بِهَا عَفْوًا وَقُوَّةً لَا تَنْقَطِعُ.
لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَفُوُّ ٱلْقَدِيرُ.

ٱلْخَبِيرُ ٱلْبَصِيرُ

الدُّعَاءُ بِهٰذَا ٱلِٱسْمِ بِنِيَّةِ: ٱلرِّضَا وَٱلتَّسْلِيمِ وَحُسْنِ ٱلظَّنِّ بِتَدْبِيرِهِ سُبْحَانَهُ

لَا إِلٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْخَبِيرُ ٱلْبَصِيرُ

جَاءَ فِي ٱلْحَدِيثِ:

"**إِنَّ مِنْ عِبَادِي مَنْ لَا يُصْلِحُهُ إِلَّا ٱلْفَقْرُ، وَلَوْ أَغْنَيْتُهُ لَأَفْسَدْتُ عَلَيْهِ دِينَهُ،**

وَإِنَّ مِنْ عِبَادِي مَنْ لَا يُصْلِحُهُ إِلَّا ٱلْغِنَىٰ، وَلَوْ أَفْقَرْتُهُ لَأَفْسَدْتُ عَلَيْهِ دِينَهُ". *رواه أبو نعيم*

وَقَدْ يَكُونُ ٱلْغِنَىٰ فِي حَقِّ بَعْضِ ٱلنَّاسِ ٱسْتِدْرَاجًا، وَٱلْفَقْرُ عُقُوبَةً.

قَالَ تَعَالَىٰ:

"**إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا** ". *الإسراء: ٣٠*

أَيْ: إِنَّ رَبَّكَ – أَيُّهَا ٱلْإِنسَانُ – يُوَسِّعُ ٱلرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ،

وَيُضَيِّقُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ خَلْقِهِ، فَكُلُّ شَيْءٍ يَسِيرُ وَفْقَ حِكْمَتِهِ وَمَشِيئَتِهِ،

وَهُوَ سُبْحَانَهُ عَلِيمٌ بِبَوَاطِنِ ٱلنَّاسِ وَظَوَاهِرِهِمْ،

لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِّنْ أَحْوَالِهِمْ،

وَلَا يُعْطِي أَوْ يَمْنَعُ إِلَّا لِحِكْمَةٍ يَعْلَمُهَا وَحْدَهُ.

فَهُوَ تَعَالَىٰ يَعْلَمُ مَا يَئُولُ إِلَيْهِ حَالُهُمْ،

فَيُقَدِّرُ لَهُمْ مَا هُوَ أَصْلَحُ لَهُمْ،

فَيُفْقِرُ وَيُغْنِي، وَيَمْنَعُ وَيُعْطِي، وَيَقْبِضُ وَيَبْسُطُ،

كَمَا تُوجِبُهُ ٱلْحِكْمَةُ ٱلرَّبَّانِيَّةُ.

"**وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ** ". *الشورى: ٢٧*

فَلَوْ أَغْنَاهُمْ جَمِيعًا لَبَغَوْا، وَلَوْ أَفْقَرَهُمْ لَهَلَكُوا.

فَإِنْ بَسَطَ رِزْقَكَ فَهُوَ لِحِكْمَةٍ، وَإِنْ ضَيَّقَهُ، فَهُوَ لِحِكْمَةٍ.

وَمِنْ خِبْرَتِهِ وَبَصِيرَتِهِ أَنَّهُ يُوحِي إِلَىٰ رَسُولِ كُلِّ أُمَّةٍ مَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي زَمَانِهَا،

قَالَ تَعَالَىٰ:

"وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ هُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرُۢ بَصِيرٞ"
فاطر: ٣١

فَسُبْحَانَ ٱلْخَبِيرِ ٱلْبَصِيرِ بِمَصَالِحِ ٱلْعِبَادِ وَأَحْوَالِهِمْ وَبِتَقْدِيرِ أُمُورِهِمْ.

وَهُوَ سُبْحَانَهُ عَلِيمٌ بِمَنْ يَسْتَحِقُّ ٱلْإِنْعَامَ وَٱلْهِدَايَةَ،
وَمَنْ يَسْتَحِقُّ ٱلشَّقَاءَ وَٱلضَّلَالَ.
قَالَ تَعَالَىٰ:
"قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا " *الإسراء: ٩٦*
فَهُوَ سُبْحَانَهُ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ،
مُحِيطٌ عِلْمًا بِكُلِّ مَا يُقَدِّمُهُ ٱلنَّاسُ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ.
قَالَ تَعَالَىٰ:
"وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِنۢ بَعۡدِ نُوحٖۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا" *الإسراء: ١٧*

ٱللَّهُمَّ يَا خَبِيرُ، يَا بَصِيرُ،
ٱجْعَلْنِي مِمَّنْ رَضُوا بِحُكْمِكَ، وَسَلَّمُوا لِأَمْرِكَ،
وَلَا تَجْعَلْنِي مِمَّنْ يَعْتَرِضُ عَلَىٰ تَقْدِيرِكَ،

وَرَدِّدْ عِنْدَ ٱلْحَيْرَةِ، أَوِ ٱلْقَلَقِ، أَوْ ضِيقِ ٱلرِّزْقِ: **لَا إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْخَبِيرُ ٱلْبَصِيرُ.**

ٱلْقَوِيُّ ٱلْعَزِيزُ
ٱلدُّعَاءُ بِهَذَا ٱلاَسْمِ بِنِيَّةِ: طَلَبِ ٱلرِّزْقِ وَٱلنَّصْرِ وَٱلْقُوَّةِ وَٱلتَّأْيِيدِ
لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْعَزِيزُ

عِنْدَمَا فَتَحَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الْمُسْلِمِينَ بَعْضَ الْبِلَادِ، كَبِدَايَةِ فَتْحِ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ،
ازْدَادَ يَقِينُ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ اللَّهَ سَيَفْتَحُ عَلَيْهِمْ أَرْضَ فَارِسَ وَالرُّومِ،
أَكْبَرِ وَأَقْوَى إِمْبِرَاطُورِيَّتَيْنِ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ.

فَقَالُوا:

"إِنَّا لَنَرْجُو أَنْ يَفْتَحَ اللَّهُ لَنَا فَارِسَ وَالرُّومَ"
أَيْ: طَمِعُوا فِي اسْتِمْرَارِ النَّصْرِ، وَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، لَا بِقُوَّتِهِمْ.
وَلَكِنْ بَعْضُ الْمُنَافِقِينَ اعْتَرَضُوا سَاخِرِينَ، وَقَالُوا –كَمَا جَاءَ فِي الْأَثَرِ:

"أَتَظُنُّونَ الرُّومَ وَفَارِسَ كَبَعْضِ الْقُرَى الَّتِي غَلَبْتُمْ عَلَيْهَا؟"!
"وَاللَّهِ إِنَّهُمْ لَأَكْثَرُ عَدَدًا وَأَشَدُّ بَطْشًا"! *الطبري وابن كثير*

فَلَمَّا تَقَوَّلَ الْمُنَافِقُونَ مَا تَقَوَّلُوا، نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ:

كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ". *المجادلة: ٢١*

وَفِي ذَلِكَ تَثْبِيتٌ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَرَدٌّ عَلَىٰ أَقَاوِيلِ الْمُنَافِقِينَ، وَتَأْكِيدٌ أَنَّ نَصْرَ اللَّهِ آتٍ،
وَإِنْ تَأَخَّرَ ظَاهِرًا، فَسُنَّةُ اللَّهِ أَنْ يَكُونَ النَّصْرُ فِي ٱلنِّهَايَةِ حَلِيفًا لِأَوْلِيَائِهِ،
وَفِي ٱلْوَقْتِ ٱلَّذِي عَلِمَهُ وَأَرَادَهُ، **فَهُوَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْعَزِيزُ.**

وَإِنْ غُلِبَ ٱلْمُسْلِمُونَ فِي وَاقِعَةٍ مِّنَ ٱلْوَاقِعَاتِ، أَوْ فِي زَمَنٍ مِّنَ ٱلْأَزْمِنَةِ،
فَإِنَّ ٱلْغَلَبَةَ فِي ٱلنِّهَايَةِ سَتَكُونُ لِلْإِسْلَامِ وَٱلْمُسْلِمِينَ، بِوَعْدٍ مِّنَ ٱلْقَوِيِّ ٱلْعَزِيزِ.
وَهِيَ سُنَّةٌ مِّنْ سُنَنِهِ – تَعَالَى – ٱلَّتِي لَا تَتَخَلَّفُ،
أَنَّ ٱلنَّصْرَ سَيَكُونُ حَلِيفًا لِأَوْلِيَائِهِ، فِي ٱلْوَقْتِ ٱلَّذِي عَلِمَهُ وَأَرَادَهُ.

قَالَ تَعَالَىٰ:

"مَا قَدَرُوا ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ". الحج: ٧٤

أَيْ: كَامِلُ ٱلْقُوَّةِ، كَامِلُ ٱلْعِزَّةِ، وَمِنْ كَمَالِ قُوَّتِهِ وَعِزَّتِهِ أَنَّ نَوَاصِيَ ٱلْخَلْقِ بِيَدِهِ، يَرْزُقُهُمْ وَيَلْطُفُ بِهِمْ،

"ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْعَزِيزُ". الشورى: ١٩

وَمِنْ قُوَّتِهِ وَعِزَّتِهِ:

أَنَّهُ أَهْلَكَ ٱلْأُمَمَ ٱلطَّاغِيَةَ بِشَيْءٍ يَسِيرٍ مِّنْ عَذَابِهِ، وَنَجَّى ٱلرُّسُلَ وَأَتْبَاعَهُمْ،

"فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْعَزِيزُ". هود: ٦٦

فَهُوَ قَادِرٌ عَلَىٰ نَصْرَةِ دِينِهِ، وَعَلَىٰ نَصْرَةِ مَن يَنْصُرُهُ،

"وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ". الحج: ٤٠

قَالَ ٱبْنُ عَبَّاسٍ:

يَنْصُرُونَهُ وَلَا يُبْصِرُونَهُ، أَوْ يَكْفِيهِمُ ٱلْقِتَالُ.

فَسَبِّحُوا وَمَجِّدُوا وَعَظِّمُوا، وَٱطْلُبُوا ٱلرِّزْقَ وَٱلنَّصْرَ وَٱلْقُوَّةَ وَٱلتَّأْيِيدَ وَٱلْغَلَبَةَ مِنْ:

ٱلْقَوِيِّ ٱلْعَزِيزِ

لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ، ٱلْقَوِيُّ ٱلْعَزِيزُ

ذِكر القويّ العزيز يكفيك، ويؤيدك، ويقوّيك

كرِّر: **لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْعَزِيزُ"**

.

ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ

الدُّعَاءُ بِهٰذَا ٱلِٱسْمِ بِنِيَّةٍ: طَلَبُ ٱلتَّجَاوُزِ عَنِ ٱلتَّقْصِيرِ فِي طَاعَتِهِ وَشُكْرِهِ، وَفِي عَدَمِ بَذْلِ ٱلْجَيِّدِ وَٱلنَّفِيسِ فِي سَبِيلِهِ.

لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ

كَانَ ٱلْأَنْصَارُ — رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ — إِذَا جَاءَ مَوْسِمُ قَطْفِ ٱلتَّمْرِ،
يُخْرِجُونَ بَعْضَ ٱلتَّمْرِ (ٱلْبُسْرِ) مِنْ نَخِيلِهِمْ وَيُعَلِّقُونَهُ فِي مَسْجِدِ ٱلنَّبِيِّ ﷺ بَيْنَ عَمُودَيْنِ،
لِيَأْكُلَ مِنْهُ فُقَرَاءُ ٱلْمُهَاجِرِينَ.
لَكِنْ بَعْضُ ٱلنَّاسِ كَانُوا يَضَعُونَ ٱلتَّمْرَ ٱلرَّدِيءَ (ٱلْحَشَفَ) مَعَ ٱلتَّمْرِ ٱلْجَيِّدِ، و
يَظُنُّونَ أَنَّ هٰذَا يَكْفِي، فَنَزَلَتِ ٱلْآيَةُ تُنْكِرُ عَلَيْهِمْ ذٰلِكَ:

﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُوا ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلَّا أَن تُغْمِضُوا فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوا أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ البقرة: ٢٦٧

وَٱلْمَعْنَى: أَنَّ ٱللَّهَ — سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى — يَأْمُرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنْ يُنْفِقُوا مِنْ أَفْضَلِ أَمْوَالِهِمْ،
مِنَ ٱلْمَالِ ٱلطَّيِّبِ ٱلَّذِي يُحِبُّونَهُ، وَلَيْسَ مِنَ ٱلرَّدِيءِ أَوِ ٱلْقَلِيلِ ٱلْقِيمَةِ.

وَقَالَ ٱبْنُ عَبَّاسٍ: إِنَّ ٱللَّهَ أَمَرَهُمْ أَنْ يَتَصَدَّقُوا مِنَ ٱلْمَالِ ٱلْجَيِّدِ وَٱلنَّفِيسِ،
وَنَهَاهُمْ عَنِ ٱلتَّصَدُّقِ بِٱلْمَالِ ٱلسَّيِّءِ وَٱلرَّخِيصِ، لِأَنَّ ٱللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا.

كَمَا قَالَ ٱللَّهُ — تَعَالَى:—
﴿ لَنْ تَنَالُوا ٱلْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ آل عمران: ٩٢
أَيْ: لَنْ تَنَالُوا ٱلْخَيْرَ ٱلْكَامِلَ وَٱلثَّوَابَ ٱلْعَظِيمَ حَتَّى تُنْفِقُوا مِنَ ٱلْمَالِ ٱلَّذِي تُحِبُّونَهُ،
لَا مِنَ ٱلْفَائِضِ أَوِ ٱلرَّدِيءِ.
﴿ وَٱعْلَمُوا أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ البقرة: ٢٦٧
فَهُوَ غَنِيٌّ عَنْ صَدَقَاتِكُمْ، وَإِنَّمَا أَمَرَكُمْ بِهَا لِمَنْفَعَتِكُمْ،
حَمِيدٌ يُجَازِي ٱلْمُحْسِنَ أَفْضَلَ ٱلْجَزَاءِ.

وَقَالَ تَعَالَىٰ:
﴿ يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَاءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ فاطر: ١٥
فَهُوَ سُبْحَانَهُ غَنِيٌّ عَنْ خَلْقِهِ، لَا تَضُرُّهُ مَعْصِيَةُ ٱلْعَاصِي، وَلَا تَنْفَعُهُ طَاعَةُ ٱلْمُطِيعِ.

وَقَدْ جَاءَ فِي ٱلْحَدِيثِ ٱلْقُدُسِيِّ:
"يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، كَانُوا عَلَىٰ أَتْقَىٰ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَٰلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا.
يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، كَانُوا عَلَىٰ أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا نَقَصَ ذَٰلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا". مسلم في صحيحه

فَٱلطَّاعَةُ وَٱلشُّكْرُ تَنْفَعُ أَصْحَابَهَا،
وَٱلْجُحُودُ وَٱلْكُفْرَانُ يَعُودُ وَبَالُهُ عَلَىٰ أَصْحَابِهِ.

وَقَالَ تَعَالَىٰ:
﴿ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ لقمان: ١٢

فَهُوَ ٱلْغَنِيُّ: لَا يَفْتَقِرُ إِلَىٰ صَلَاتِنَا، وَلَا إِلَىٰ صَدَقَاتِنَا، وَلَا إِلَىٰ شُكْرِنَا،
وَلَٰكِنَّهُ أَمَرَنَا بِهَا لِنَنْتَفِعَ نَحْنُ، وَلِيَخْتَبِرَ مَا فِي قُلُوبِنَا.

وَهُوَ ٱلْحَمِيدُ: ٱلَّذِي يَسْتَحِقُّ ٱلْحَمْدَ عَلَىٰ عَطَائِهِ وَمَنْعِهِ، عَلَىٰ عَدْلِهِ وَلُطْفِهِ، عَلَىٰ غِنَاهُ عَنَّا، وَحِلْمِهِ عِنْدَ تَقْصِيرِنَا.
فَإِذَا أَعْطَيْتَ، فَأَعْطِ مِنْ أَجْوَدِ مَا عِنْدَكَ...
وَإِذَا شَكَرْتَ، فَٱسْتَحْيِ مِنْ تَقْصِيرِكَ فِي شُكْرِ مَنْ لَا يَحْتَاجُكَ، وَلَٰكِنَّهُ يُكْرِمُكَ.

فَتَعَلَّقُوا بِٱلْغَنِيِّ ٱلْحَمِيدِ، لِكَيْ يَتَجَاوَزَ عَنْ تَقْصِيرِكُمْ فِي طَاعَتِهِ وَشُكْرِهِ،
وَفِي عَدَمِ بَذْلِ ٱلْجَيِّدِ وَٱلنَّفِيسِ مِنْ أَمْوَالِكُمْ فِي سَبِيلِهِ، فَيَرْفُقَ بِكُمْ، وَيُوَسِّعَ عَلَيْكُمْ.

لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ. كَرِّرْهَا.

ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ
ٱلدُّعَاءُ بِهَذَا ٱلاِسْمِ بِنِيَّةِ: ٱلتَّعْظِيمِ وَٱلتَّوَكُّلِ وَٱلتَّفْوِيضِ لِلاِطْمِئْنَانِ
لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ

أَمَرَ اللهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ أَنْ يَبْدَأَ بِدَعْوَةِ أَقَارِبِهِ ٱلْمُقَرَّبِينَ إِلَى ٱلْإِيمَانِ، حَتَّى يَكُونُوا قُدْوَةً لِلنَّاسِ، وَيَعْلَمُوا أَنَّ قَرَابَتَهُمْ مِنَ ٱلنَّبِيِّ ﷺ لَا تَنْفَعُهُمْ مَا دَامُوا يُصِرُّونَ عَلَى ٱلشِّرْكِ.

قال تعالى :﴿**وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ**﴾. الشعراء: ٢١٤

وَقَدْ وَرَدَ فِي ٱلْحَدِيثِ ٱلصَّحِيحِ أَنَّ ٱلنَّبِيَّ ﷺ لَمَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِ هَذِهِ ٱلْآيَةُ، صَعِدَ جَبَلَ ٱلصَّفَا، ثُمَّ نَادَىٰ قَوْمَهُ بِصَوْتٍ مُرْتَفِعٍ لِيَجْمَعَهُمْ، كَمَا كَانَ يُفْعَلُ عِنْدَ ٱلتَّحْذِيرِ مِنْ خَطَرٍ قَرِيبٍ. البخاري ومسلم

فَجَاءَ بَعْضُ ٱلنَّاسِ إِلَيْهِ، وَأَرْسَلَ آخَرُونَ مَنْ يَنُوبُ عَنْهُمْ.

فَقَالَ لَهُمُ ٱلنَّبِيُّ ﷺ:

"يَا بَنِي عَبْدِ ٱلْمُطَّلِبِ، يَا بَنِي فِهْرٍ، يَا بَنِي لُؤَيٍّ، أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ هُنَاكَ خَيْلًا وَرَاءَ هَذَا ٱلْجَبَلِ تُرِيدُ أَنْ تُهَاجِمَكُمْ، أَكُنْتُمْ تُصَدِّقُونَنِي؟

قَالُوا: نَعَمْ، مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ كَذِبًا.

فَقَالَ: "**فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ**"

أَيْ: أَنَا أُحَذِّرُكُمْ قَبْلَ أَنْ يُصِيبَكُمْ عَذَابٌ مِنَ ٱللَّهِ إِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا.

وَلَكِنْ عَمُّهُ أَبُو لَهَبٍ رَدَّ عَلَيْهِ بِكَلَامٍ قَاسٍ وَقَالَ:

"تَبًّا لَكَ! أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا؟"

فَأَنْزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ قَوْلَهُ: ﴿**تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ**﴾. المسد: ١

ثُمَّ أَمَرَ ٱللَّهُ نَبِيَّهُ ﷺ أَنْ يَكُونَ لَيِّنًا وَمُتَوَاضِعًا مَعَ مَنْ آمَنَ بِهِ وَٱتَّبَعَهُ.

وَقَدْ كَانَ ﷺ مِنْ أَكْثَرِ ٱلنَّاسِ تَوَاضُعًا وَلِينًا مَعَ أَصْحَابِهِ، وَٱلْآيَةُ تُعَلِّمُ ٱلْمُؤْمِنِينَ —وَخَاصَّةً مَنْ هُمْ فِي مَوْقِعِ ٱلْقِيَادَةِ— كَيْفَ يُعَامِلُونَ ٱلنَّاسَ بِلُطْفٍ وَرَحْمَةٍ.

وَأَمَّا مَنْ عَانَدَ وَعَصَى، فَقَدْ أَمَرَ ٱللَّهُ نَبِيَّهُ أَنْ يُبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ بَرِيءٌ مِنْ أَعْمَالِهِمْ، **فَقَالَ تَعَالَى:**

﴿فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾. *الشعراء: ٢١٦*
أَيْ: إِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ بَعْدَ أَنْ أَنْذَرْتَهُمْ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّكَ غَيْرُ مَسْؤُولٍ عَنْ أَعْمَالِهِمْ، وَلَا تُقِرُّهُمْ عَلَيْهَا.
﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ﴾ *الشعراء: ٢١٧* **فَٱطْمَئِنَّ وَلَا تَخَفْ.**

وَتَكْرَارُ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: **﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾**
فِي ٱلْقُرْآنِ ٱلْكَرِيمِ، خُصُوصًا فِي سُورَةِ ٱلشُّعَرَاءِ، بَعْدَ عَرْضِ قِصَصِ عَدَدٍ مِنَ ٱلْأَنْبِيَاءِ مَعَ أَقْوَامِهِمْ، لَهُ دَلَالَةٌ عَمِيقَةٌ وَمُؤَثِّرَةٌ. *الشعراء: ٦٨، ١٠٤، ١٢٢، ١٤٠، ١٥٩، ١٧٥، ١٩١، ٢٢٠*

فَبِعِزَّتِهِ يَنْتَقِمُ مِنْ أَعْدَائِهِ، **وَبِعِزَّتِهِ** يَقْدِرُ عَلَىٰ نَصْرِ عِبَادِهِ وَإِيصَالِ ٱلْخَيْرِ لَهُمْ، وَدَفْعِ ٱلشَّرِّ عَنْهُمْ.
وَبِرَحْمَتِهِ يَفْعَلُ ذَٰلِكَ. **فَٱطْمَئِنَّ وَلَا تَخَفْ،**
﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ﴾. *الشعراء: ٢١٧*

فَرَبُّكَ **ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ** يَتَوَلَّى ٱلْأَمْرَ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ظَلَمَ وَبِمَنِ ٱهْتَدَىٰ،
﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَادَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾. *السجدة: ٦*

فَلَا تَيْأَسْ، وَلَا تَظُنَّ أَنَّ ضَعْفَكَ يَضِيعُ سُدًى، فَهُوَ سُبْحَانَهُ:
﴿يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾. *الروم: ٥*

وَأَعْظَمُ رَحْمَةٍ:
تَنْزِيلُ ٱلْقُرْآنِ مِنَ **ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ،**
أَنْزَلَهُ طَرِيقًا لِعِبَادِهِ، يُوصِلُهُمْ إِلَيْهِ:
﴿عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ * تَنْزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ﴾. *يس: ٤–٥*

فَحَمَاهُ **بِعِزَّتِهِ** مِنَ ٱلتَّغْيِيرِ وَٱلتَّبْدِيلِ، وَرَحِمَ بِهِ عِبَادَهُ رَحْمَةً مُتَّصِلَةً،
حَتَّىٰ أَوْصَلَهُمْ إِلَىٰ دَارِ رَحْمَتِهِ.
لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ. *وَلَا تَمَلَّ مِنْ تِكْرَارِهَا*

ٱلْعَزِيزُ ٱلْوَهَّابُ

ٱلدُّعَاءُ بِهٰذَا ٱلِاسْمِ بِنِيَّةٍ :طَلَبُ ٱلذُّرِّيَّةِ ٱلصَّالِحَةِ، وَصَلَاحِ ٱلْأَزْوَاجِ، وَعَطَايَا ٱلْخَيْرِ، وَٱلثَّبَاتِ عَلَى ٱلدِّينِ، وَٱلرَّحْمَةِ وَٱلْبَرَكَةِ فِي ٱلْحَيَاةِ

لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ، ٱلْعَزِيزُ ٱلْوَهَّابُ

صَرَّحَ ٱلْكُفَّارُ فِي نِهَايَةِ ٱلْمَطَافِ بِٱلسَّبَبِ ٱلْحَقِيقِيِّ ٱلَّذِي حَالَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْإِيمَانِ،
أَلَا وَهُوَ ٱلْحِقْدُ وَٱلْحَسَدُ،
وَإِنْكَارُ أَنْ يَخْتَصَّ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ رَسُولَهُ مِنْ بَيْنِهِمْ بِٱلرِّسَالَةِ،
فَأَنْكَرُوا أَنْ يَكُونَ مُحَمَّدٌ ﷺ هُوَ ٱلْمُخْتَارُ، وَقَالُوا مُسْتَنْكِرِينَ:
"أَؤُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا؟" *ص: ٨*
وَنَحْنُ كِبَارُ ٱلْقَوْمِ وَأَغْنِيَاؤُهُمْ، وَهُوَ لَا يَمْلِكُ مَا نَمْلِكُ؟ نَحْنُ لَا نَقْبَلُ بِذٰلِكَ، وَنَرْفُضُ تَصْدِيقَهُ!

وَقَدْ صَرَّحَ **أَبُو جَهْلٍ** بِهٰذَا ٱلْحَسَدِ، فَعِنْدَمَا سَأَلَهُ أَحَدُهُمْ: هَلْ تَعْتَقِدُ أَنَّ مُحَمَّدًا صَادِقٌ؟
قَالَ: نَعَمْ، هُوَ صَادِقٌ، **لٰكِنْ مَتَىٰ كُنَّا أَتْبَاعًا لِبَنِي هَاشِمٍ؟!** " *ابن كثير والطبري*

وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَىٰ، قَالَ: نَحْنُ وَبَنُو عَبْدِ مَنَافٍ (أُسْرَةُ ٱلنَّبِيِّ ﷺ) كُنَّا نَتَنَافَسُ فِي ٱلشَّرَفِ،
يُطْعِمُونَ فَنُطْعِمُ، وَيَحْمِلُونَ فَنَحْمِلُ، حَتَّىٰ قَالُوا: مِنَّا نَبِيٌّ!
فَكَيْفَ نُلَاحِقُهُمْ بَعْدَ ذٰلِكَ؟! وَٱللَّهِ لَا نُؤْمِنُ بِهِ أَبَدًا.

فَقَالَ تَعَالَىٰ رَدًّا عَلَىٰ كُفَّارِ قُرَيْشٍ:
﴿ **أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ** ﴾ *ص: ٩*

فَٱللَّهُ **ٱلْعَزِيزُ ٱلْوَهَّابُ** هُوَ وَحْدَهُ ٱلَّذِي يَهَبُ ٱلنُّبُوَّةَ، وَيَهَبُ ٱلْحُكْمَ وَٱلْمُلْكَ وَٱلرَّحْمَةَ،
وَلَيْسَ ٱلْأَمْرُ إِلَىٰ ٱخْتِيَارِ ٱلنَّاسِ، بَلْ إِلَىٰ مَنِ ٱصْطَفَاهُ ٱللَّهُ بِفَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ.

لِذٰلِكَ كَانَ ٱلرَّاسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَتَضَرَّعُونَ:
﴿ **رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ** ﴾ *آل عمران: ٨*

يَسْأَلُونَ **ٱلْعَزِيزَ ٱلْوَهَّابَ** أَنْ يُثَبِّتَ قُلُوبَهُمْ عَلَى ٱلْإِيمَانِ، وَأَنْ يَمْنَحَهُمْ مِن رَّحْمَتِهِ مَا تُصْلِحُ بِهِ قُلُوبُهُمْ وَأَحْوَالُهُمْ. وَٱلصَّالِحُونَ يَتَوَسَّلُونَ إِلَيْهِ قَائِلِينَ:

﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ ٱلْفُرْقَان: ٧٤

وَهُوَ سُبْحَانَهُ ٱلَّذِي وَعَدَ فِي قَوْلِهِ:

﴿ مَا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنۢ بَعْدِهِ ﴾ فاطر: ٢

فَعَظِّمُوا وَمَجِّدُوا وَسَبِّحُوا **ٱلْعَزِيزَ ٱلْوَهَّابَ**، وَسَلُوهُ مِنْ عَطَائِهِ وَرَحْمَتِهِ مَا تَشَاؤُونَ:

ٱللَّهُمَّ يَا عَزِيزُ يَا وَهَّابُ،

ثَبِّتْ قُلُوبَنَا عَلَى ٱلْإِيمَانِ، وَلَا تُزِغْهَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا،

وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنْكَ رَحْمَةً تُصْلِحُ بِهَا دُنْيَانَا وَآخِرَتَنَا،

وَٱرْزُقْنَا أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً طَيِّبَةً قُرَّةَ عَيْنٍ لَنَا، وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا،

وَٱسْقِنَا مِنْ خَزَائِنِ رَحْمَتِكَ عَطَاءً وَاسِعًا لَا يَنْفَدُ،

لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنْتَ، ٱلْعَزِيزُ ٱلْوَهَّابُ. كَرْزَهَا

مُلْحَقٌ خاصّ

هَذَا الْمُلْحَقُ يَتَنَاوَلُ خُلَاصَةً وَافِيَةً مِنْ مُحْتَوَيَاتِ كِتَابِ
"جَامِعُ الْأَوْرَادِ فِي أَسْمَاءِ رَبِّ الْعِبَادِ"
لِلْمُؤَلِّفِ ثَابِتٍ مَحْمُودٍ مُحَمَّدٍ ذِيبٍ،
وَالَّذِي يُعَدُّ مِنَ الْكُتُبِ الْمُمَيَّزَةِ فِي تَوْظِيفِ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى دُعَاءً وَذِكْرًا وَتَطْبِيقًا عَمَلِيًّا.
يَتَنَاوَلُ الْمُلْحَقُ خُلَاصَةً وَافِيَةً مِنْ مُحْتَوَيَاتِ الْكِتَابِ،
وَيُوَجِّهُ الْقَارِئَ إِلَى كَيْفِيَّةِ تَعْزِيزِ عَلَاقَتِهِ بِاللَّهِ تَعَالَى مِنْ خِلَالِ فَهْمٍ دَقِيقٍ لِمَعَانِي أَسْمَائِهِ،
وَخُصُوصًا الْأَسْمَاءَ الْمُزْدَوَجَةَ الَّتِي وَرَدَتْ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ،
كَ (ٱلْعَلِيمِ ٱلْحَكِيمِ)، وَ(ٱلْغَفُورِ ٱلرَّحِيمِ)، وَ(ٱللَّطِيفِ ٱلْخَبِيرِ).
كَمَا يُبْرِزُ الْكِتَابُ كَيْفَ أَنَّ ٱلذِّكْرَ بِهَذِهِ ٱلْأَسْمَاءِ لَا يَقْتَصِرُ عَلَى ٱلْعِبَادَةِ،
بَلْ يَمْتَدُّ لِيَشْمَلَ أَثَرًا مُبَاشِرًا فِي سُلُوكِ ٱلْإِنْسَانِ،
وَنَظْرَتِهِ لِلْحَيَاةِ، وَتَعَامُلِهِ مَعَ ٱلْآخَرِينَ،
مِمَّا يَجْعَلُهُ دَلِيلًا عَمَلِيًّا وَرُوحِيًّا فِي آنٍ وَاحِدٍ.
لِلِاطِّلَاعِ ٱلْكَامِلِ وَتَحْمِيلِ ٱلْكِتَابِ بِصِيغَةِ:PDF
رَابِطُ ٱلتَّحْمِيلِ مِنْ مَكْتَبَةِ نُور
noor-book.com

الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الدُّعَاءُ بِهَٰذَا ٱلِٱسْمِ بِنِيَّةِ: *ٱلثَّنَاءِ وَٱلْحَمْدِ وَٱلِٱبْتِدَاءِ*

لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ

ٱلْمُحْيِي ٱلْمُمِيتُ

الدُّعَاءُ بِهَٰذَا ٱلِٱسْمِ بِنِيَّةِ:

ٱلشُّكْرِ بَعْدَ ٱلِٱسْتِيْقَاظِ مِنَ ٱلنَّوْمِ، وَطَلَبِ إِحْيَاءِ ٱلْقُلُوبِ بَعْدَ ٱلْغَفْلَةِ

لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمُحْيِي ٱلْمُمِيتُ

العَلِيمُ الْحَكِيمُ

الدُّعَاءُ بِهَٰذَا ٱلِٱسْمِ بِنِيَّةِ: ٱلْفَهْمِ وَٱلْإِدْرَاكِ وَٱلْكشْفِ وَصِدْقِ ٱلْحِسّ

لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ العَلِيمُ الحَكِيمُ

التَّوَّابُ الرَّحِيمُ

الدُّعَاءُ بِهَٰذَا ٱلِٱسْمِ بِنِيَّةِ: *ٱلتَّوْبَةِ لِنَيْلِ ٱلرَّحْمَةِ وَٱلْمَحَبَّةِ*

لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ

ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ

ٱلدُّعَاءُ بِهَٰذَا ٱلِٱسْمِ بِنِيَّةِ:

ٱلتَّحْصِينِ، فِي طَلَبِ ٱلْكِفَايَةِ، وَدَفْعِ ٱلضَّرَرِ، وَإِجَابَةِ ٱلدُّعَاءِ، وَطَلَبِ ٱلرِّزْقِ، وَدَفْعِ وَسَاوِسِ ٱلشَّيْطَانِ

لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ

ٱلْوَاسِعُ ٱلْعَلِيمُ

اِسمٌ جامِعٌ لِسَعَةِ الفَضْلِ، وَكَمَالِ العِلْمِ بِنِيَّاتٍ مُتَعَدِّدَة:

بِنِيَّةِ :ٱلسِّتْرِ وَٱلْعَفَافِ وَٱلرِّزْقِ ٱلْوَاسِعِ
بِنِيَّةِ :تَنْزِيهِ ٱللَّهِ عَنِ ٱلْجِهَةِ، وَرَفْعِ ٱلْحَرَجِ فِي ٱلْعِبَادَاتِ
بِنِيَّةِ :طَلَبِ مُضَاعَفَةِ ٱلْأَجْرِ وَتَكْثِيرِ ٱلْحَسَنَاتِ
بِنِيَّةِ :نَيْلِ مَحَبَّةِ ٱللَّهِ، وَٱلْعِزَّةِ فِي ٱلدِّينِ، وَٱلرِّقَّةِ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ، وَٱلصَّلَابَةِ عَلَى ٱلْحَقِّ
بِنِيَّةِ :طَلَبِ كَرَامَةِ ٱلْعِلْمِ، وَٱلْهِدَايَةِ إِلَى ٱلدِّينِ
بِنِيَّةِ :طَلَبِ ٱلْمُلْكِ وَٱلْإِمَامَةِ، وَٱلْبَسْطَةِ فِي ٱلْعِلْمِ وَٱلْعَقْلِ وَٱلصِّحَّةِ وَٱلْقُوَّةِ، وفي الدعاء للمولود .

لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْوَاسِعُ ٱلْعَلِيمُ

ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ

ٱلدُّعَاءُ بِهَٰذَا ٱلِٱسْمِ بِنِيَّةِ:
ٱلتَّسْبِيحِ، وَٱلتَّعْظِيمِ، وَٱلتَّوَكُّلِ، وَطَلَبِ ٱلرَّحْمَةِ
لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ، لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ

ٱلرَّءُوفُ ٱلرَّحِيمُ

ٱلدُّعَاءُ بِهَٰذَا ٱلِٱسْمِ بِنِيَّةِ:
تَطْهِيرِ ٱلْقَلْبِ مِنَ ٱلْحِقْدِ وَٱلضَّغِينَةِ، وَٱلتَّعَلُّقِ بِرَحْمَةِ ٱللَّهِ وَرَأْفَتِهِ
لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّءُوفُ ٱلرَّحِيمُ،

ٱلشَّاكِرُ ٱلْعَلِيمُ

ٱلدُّعَاءُ بِهَٰذَا ٱلِٱسْمِ بِنِيَّةِ:
طَلَبِ ٱلْجَزَاءِ ٱلْعَظِيمِ عَلَى ٱلطَّاعَةِ، وَطَلَبًا لِلْإِيمَانِ وَٱلْأَمَانِ
لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلشَّاكِرُ ٱلْعَلِيمُ

ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ

ٱلدُّعَاءُ بِهَٰذَا ٱلِٱسْمِ بِنِيَّةِ:

طَلَبِ ٱلْمَغْفِرَةِ لِنَيْلِ ٱلرَّحْمَةِ

لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ

ٱلْغَفُورُ ٱلْحَلِيمُ

ٱلدُّعَاءُ بِهَٰذَا ٱلِٱسْمِ بِنِيَّةِ:

ٱلطَّمَعِ بِحِلْمِهِ وَمَغْفِرَتِهِ

لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْحَلِيمُ

ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَلِيمُ

ٱلدُّعَاءُ بِهَٰذَا ٱلِٱسْمِ بِنِيَّةِ:

قَبُولِ ٱلصَّدَقَاتِ، وَتَحْسِينِ ٱلنِّيَّاتِ، وَٱلِٱسْتِعَاذَةِ مِنَ ٱلْأَذَىٰ فِي أَدَاءِ ٱلصَّدَقَاتِ

لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَلِيمُ

ٱلْقَابِضُ ٱلْبَاسِطُ

ٱلدُّعَاءُ بِهَٰذَا ٱلِٱسْمِ بِنِيَّةِ:

حَضِّ ٱلنَّفْسِ عَلَى ٱلْإِنْفَاقِ، وَتَطْهِيرِهَا مِنَ ٱلشُّحِّ، وَلِحِفْظِ ٱلْمَالِ وَطَلَبِ ٱلزِّيَادَةِ

لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْقَابِضُ ٱلْبَاسِطُ

ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ

ٱلدُّعَاءُ بِهَٰذَا ٱلِٱسْمِ بِنِيَّةِ:

ٱلِٱسْتِغَاثَةِ، وَٱلتَّوْبَةِ، وَإِصْلَاحِ ٱلشَّأْنِ، وَٱلتَّوَكُّلِ عَلَى ٱللَّهِ

لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ

ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ

ٱلدُّعَاءُ بِهَٰذَا ٱلِٱسْمِ بِنِيَّةِ:
ٱلتَّسْبِيحِ، وَٱلتَّعْظِيمِ، وَٱلتَّمْجِيدِ، وَٱلثَّنَاءِ
سُبْحَانَ ٱللَّهِ ٱلْعَلِيِّ ٱلْعَظِيمِ

ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ

ٱلدُّعَاءُ بِهَٰذَا ٱلِٱسْمِ بِنِيَّةِ:
طَلَبُ ٱلتَّجَاوُزِ عَنِ ٱلتَّقْصِيرِ فِي طَاعَتِهِ وَشُكْرِهِ، وَفِي عَدَمِ بَذْلِ ٱلْجَيِّدِ وَٱلنَّفِيسِ فِي سَبِيلِهِ
لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ

عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ

ٱلدُّعَاءُ بِهَٰذَا ٱلِٱسْمِ بِنِيَّةِ:
ٱلِٱسْتِعَاذَةِ مِنَ ٱلظُّلْمِ، وَطَلَبِ نُصْرَةِ ٱلْمَظْلُومِ، وَتَفْوِيضِ ٱلْأَمْرِ لِلَّهِ
لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ذُو ٱنتِقَامٍ

ٱلْعَزِيزُ ٱلْوَهَّابُ

الدُّعَاءُ بِهَٰذَا ٱلِٱسْمِ بِنِيَّةٍ: طَلَبُ ٱلذُّرِّيَّةِ ٱلصَّالِحَةِ، وَصَلَاحِ ٱلْأَزْوَاجِ، وَعَطَايَا ٱلْخَيْرِ، وَٱلثَّبَاتِ عَلَى ٱلدِّينِ، وَٱلرَّحْمَةِ وَٱلْبَرَكَةِ فِي ٱلْحَيَاةِ

لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ، ٱلْعَزِيزُ ٱلْوَهَّابُ

ٱلْمُعِزُّ ٱلْمُذِلُّ

نِيَّةُ الذِّكْرِ :طَلَبُ ٱلْعِزَّةِ وَصَرْفُ ٱلذُّلِّ عَنِ ٱلنَّفْسِ وَٱلدِّينِ
لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ، ٱلْمُعِزُّ ٱلْمُذِلُّ

ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَلِيمُ

نِيَّةُ الذِّكْرِ :تَحْسِينُ ٱلنِّيَّةِ، وَتَهْذِيبُ ٱلطَّوِيَّةِ، وَلِطَلَبِ ٱلسِّتْرِ وَٱلتَّوْبَةِ

لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ، ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَلِيمُ

ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ

نِيَّةُ الذِّكْرِ :تَحْسِينُ ٱلنِّيَّةِ، وَنَيْلُ ٱلْفَهْمِ وَٱلْبَصِيرَةِ، وَٱلْأُسْلُوبِ ٱلْأَمْثَلِ فِي ٱلتَّعَامُلِ

لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ، ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ

ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ

الدُّعَاءُ بِهَذَا ٱلِٱسْمِ بِنِيَّةِ :ٱلتَّعْظِيمِ، وَلِنُصْرَةِ ٱلْمَظْلُومِ، وَإِزَالَةِ ٱلْخَوْفِ وَٱلْفَزَعِ

لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ

ٱلْعَفُوُّ ٱلْغَفُورُ

ٱلدُّعَاءُ بِهَذَا ٱلِٱسْمِ بِنِيَّةِ :ٱلتَّيْسِيرِ فِي ٱلْعِبَادَةِ، وَمَحْوِ ٱلذُّنُوبِ

لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَفُوُّ ٱلْغَفُورُ

ٱلْعَفُوُّ ٱلْقَدِيرُ

ٱلدُّعَاءُ بِهَذَا ٱلِٱسْمِ بِنِيَّةِ :طَلَبِ ٱلْعَوْنِ عَلَى فِعْلِ ٱلْخَيْرَاتِ، وَٱلتَّجَاوُزِ عَنِ ٱلْخَطَايَا

لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَفُوُّ ٱلْقَدِيرُ

ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ

ٱلدُّعَاءُ بِهَذَا ٱلِٱسْمِ بِنِيَّةِ :إِجَابَةِ ٱلدُّعَاءِ، وَٱلْحِفْظِ، وَمُوَاجَهَةِ ٱلْمَخَاطِرِ

لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ

ٱلْوَاسِعُ ٱلْحَكِيمُ

ٱلدُّعَاءُ بِهَذَا ٱلِٱسْمِ بِنِيَّةِ :ٱلْغِنَىٰ، وَٱلتَّيْسِيرِ، وَتَغْيِيرِ ٱلْحَالِ إِلَىٰ ٱلْأَفْضَلِ

لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْوَاسِعُ ٱلْحَكِيمُ

ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ

ٱلدُّعَاءُ بِهَذَا ٱلِٱسْمِ بِنِيَّةِ :ٱلتَّفْوِيضِ وَٱلثِّقَةِ بِٱللَّهِ، لِيَزِيدَكُمْ تَوَكُّلًا عَلَيْهِ فَتَنَالُواْ عَطَاءَهُ وَخَيْرَهُ

لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ، ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ

ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ

الدُّعَاءُ بِهَٰذَا ٱلِٱسْمِ بِنِيَّةِ: طَلَبِ ٱلرِّفْعَةِ بِٱلْعِلْمِ وَٱلْفَهْمِ، وَحُسْنِ ٱلْجَزَاءِ

لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ

ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ

ٱلدُّعَاءُ بِهَذَا ٱلِٱسْمِ بِنِيَّةِ: ٱلتَّعْظِيمِ، وَٱلتَّوْبَةِ، وَدَفْعِ ٱلْعِقَابِ، وَإِيصَالِ ٱلْخَيْرِ

لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ

ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ

ٱلدُّعَاءُ بِهَذَا ٱلِٱسْمِ بِنِيَّةِ: سَوْقِ ٱلْخَيْرِ، وَدَفْعِ ٱلشَّرِّ بِلِينٍ وَلُطْفٍ

لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ.

ٱلْحَمِيدُ ٱلْمَجِيدُ

ٱلدُّعَاءُ بِهَذَا ٱلِٱسْمِ بِنِيَّةِ: ٱلصَّلَاةِ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ﷺ بِأَشْرَفِ ٱلصِّيَغِ فَتُقْضَىٰ بِهَا ٱلْحَوَائِجُ

لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَمِيدُ ٱلْمَجِيدُ

ٱلْقَوِيُّ ٱلْعَزِيزُ

الدعاء بهذا الاسم بنية: طلب الرّزق والنصر والقوّة والتأييد

لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْعَزِيزُ

ٱلرَّحِيمُ ٱلْوَدُودُ

ٱلدُّعَاءُ بِهَٰذَا ٱلِٱسْمِ بِنِيَّةِ :ٱلتَّوْبَةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ لِنَيْلِ ٱلرَّحْمَةِ وَٱلْمَحَبَّةِ

لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْوَدُودُ

ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ

ٱلدُّعَاءُ بِهَٰذَا ٱلِٱسْمِ بِنِيَّةِ :ٱلتَّعْظِيمِ وَٱلتَّسْبِيحِ، وَٱلِٱسْتِعَانَةِ عَلَى ٱلْأَرَقِ وَتَشَوُّشِ ٱلْفِكْرِ، وَمِنَ ٱلْقَهْرِ وَٱلظُّلْمِ

لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْوَاحِدُ ٱلْقَهَّارُ

ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ

ٱلدُّعَاءُ بِهَٰذَا ٱلِٱسْمِ بِنِيَّةِ :تَعْظِيمِ ٱلرَّبِّ، وَتَمْجِيدِهِ فِي جَلَالِهِ وَكِبْرِيَائِهِ

لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ

ٱللَّهُمَّ يَا كَبِيرُ، يَا مُتَعَالِ

ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَمِيدُ

ٱلدُّعَاءُ بِهَٰذَا ٱلِٱسْمِ بِنِيَّةِ :طَلَبِ ٱلْهِدَايَةِ وَٱلثَّبَاتِ، وَحُسْنِ ٱلْخِتَامِ

لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَمِيدُ

ٱلْخَلَّاقُ ٱلْعَلِيمُ

نيَّةِ الذِّكر :رجاءُ الخيرِ في تبدُّلِ الوجوهِ والأشخاصِ والأحوال

لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْخَلَّاقُ ٱلْعَلِيمُ

ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ

نيَّة الذِّكر :ثناءٌ وتمجيدٌ لمن لا يَخفى عليه شيء، ولا يُعجزه أن يُقلب ضَعفَك قُوَّة.

سُبْحَانَ ٱللَّهِ ٱلْعَلِيمِ ٱلْقَدِيرِ

ٱلْخَبِيرُ ٱلْبَصِيرُ

الدُّعَاءُ بِهَٰذَا ٱلِٱسْمِ بِنِيَّةِ: ٱلرِّضَا وَٱلتَّسْلِيمِ وَحُسْنِ ٱلظَّنِّ بِتَدْبِيرِهِ سُبْحَانَهُ

لَا إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْخَبِيرُ ٱلْبَصِيرُ

ٱلْحَلِيمُ ٱلْغَفُورُ

الدُّعَاءُ بِهَذَا ٱلِٱسْمِ بِنِيَّةِ: التَّعْظِيمِ وَٱلثَّنَاءِ وَٱلتَّسْبِيحِ عَلَىٰ تَقْصِيرِنَا فِي ذِكْرِهِ

لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَلِيمُ ٱلْغَفُورُ، سُبْحَانَ ٱلْحَلِيمِ ٱلْغَفُورِ

ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ

الدُّعَاءُ بِهَذَا ٱلِٱسْمِ بِنِيَّةِ: طَلَبِ ٱلْعِلْمِ، وَٱلفَتْحِ، وَٱلفَهْمِ فِي ٱلْقُرْآنِ ٱلْكَرِيمِ

لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ

ٱللَّهُمَّ زِدْنِي إِيمَانًا وَفِقْهًا وَيَقِينًا وَعِلْمًا

التَّوَّابُ ٱلْحَكِيمُ

الدُّعَاءُ بِهَذَا ٱلِٱسْمِ بِنِيَّةِ: طَلَبِ ٱلْمَغْفِرَةِ وَٱلسَّتْرِ

لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ التَّوَّابُ ٱلْحَكِيمُ

ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ

الدُّعَاءُ بِهَذَا ٱلِٱسْمِ بِنِيَّةِ: التَّعْظِيمِ وَٱلتَّوَكُّلِ وَٱلتَّفْوِيضِ

لَا إِلَٰه إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ

ٱلْغَنِيُّ ٱلْكَرِيمُ

الدُّعَاءُ بِهَذَا ٱلِٱسْمِ بِنِيَّةِ: طَلَبُ كَرَامَةِ ٱلْعِلْمِ

لَا إِلَه إِلَّا هُوَ الْغَنِيُّ ٱلْكَرِيمُ

ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ

نِيَّةُ الذِّكْرِ :تَحْسِينُ ٱلنِّيَّةِ، وَنَيْلُ ٱلْفَهْمِ وَٱلْبَصِيرَةِ، وَٱلْأُسْلُوبِ ٱلْأَمْثَلِ فِي ٱلتَّعَامُلِ

لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ، ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ

ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ

الدُّعَاءُ بِهَذَا ٱلِٱسْمِ بِنِيَّةِ :ٱلتَّعْظِيمِ، وَلِنُصْرَةِ ٱلْمَظْلُومِ، وَإِزَالَةِ ٱلْخَوْفِ وَٱلْفَزَعِ

لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ

ٱلْعَفُوُّ ٱلْغَفُورُ

ٱلدُّعَاءُ بِهَذَا ٱلِٱسْمِ بِنِيَّةِ :ٱلتَّيْسِيرِ فِي ٱلْعِبَادَةِ، وَمَحْوِ ٱلذُّنُوبِ
لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَفُوُّ ٱلْغَفُورُ

ٱلْعَفُوُّ ٱلْقَدِيرُ

ٱلدُّعَاءُ بِهَذَا ٱلِٱسْمِ بِنِيَّةِ :طَلَبِ ٱلْعَوْنِ عَلَى فِعْلِ ٱلْخَيْرَاتِ، وَٱلتَّجَاوُزِ عَنِ ٱلْخَطَايَا
لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَفُوُّ ٱلْقَدِيرُ

ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ

ٱلدُّعَاءُ بِهَذَا ٱلِٱسْمِ بِنِيَّةِ :إِجَابَةِ ٱلدُّعَاءِ، وَٱلْحِفْظِ، وَمُوَاجَهَةِ ٱلْمَخَاطِرِ
لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ

ٱلْوَاسِعُ ٱلْحَكِيمُ

ٱلدُّعَاءُ بِهَذَا ٱلِٱسْمِ بِنِيَّةِ :ٱلْغِنَىٰ، وَٱلتَّيْسِيرِ، وَتَغْيِيرِ ٱلْحَالِ إِلَىٰ ٱلْأَفْضَلِ
لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْوَاسِعُ ٱلْحَكِيمُ

ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ

ٱلدُّعَاءُ بِهَذَا ٱلِٱسْمِ بِنِيَّةِ :ٱلتَّفْوِيضِ وَٱلثِّقَةِ بِٱللَّهِ، لِيَزِيدَكُمْ تَوَكُّلًا عَلَيْهِ فَتَنَالُواْ عَطَاءَهُ وَخَيْرَهُ
لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ، ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ

ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ

الدُّعَاءُ بِهَٰذَا ٱلِٱسْمِ بِنِيَّةِ: طَلَبِ ٱلرِّفْعَةِ بِٱلْعِلْمِ وَٱلْفَهْمِ، وَحُسْنِ ٱلْجَزَاءِ
لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ

ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ

ٱلدُّعَاءُ بِهَذَا ٱلِٱسْمِ بِنِيَّةِ: ٱلتَّعْظِيمِ، وَٱلتَّوْبَةِ، وَدَفْعِ ٱلْعِقَابِ، وَإِيصَالِ ٱلْخَيْرِ
لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ

ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ

ٱلدُّعَاءُ بِهَذَا ٱلِٱسْمِ بِنِيَّةِ: سَوْقِ ٱلْخَيْرِ، وَدَفْعِ ٱلشَّرِّ بِلِينٍ وَلُطْفٍ

لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ.

ٱلْحَمِيدُ ٱلْمَجِيدُ

ٱلدُّعَاءُ بِهَذَا ٱلِٱسْمِ بِنِيَّةِ: ٱلصَّلَاةِ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ﷺ بِأَشْرَفِ ٱلصِّيَغِ فَتُقْضَىٰ بِهَا ٱلْحَوَائِجُ

لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَمِيدُ ٱلْمَجِيدُ

ٱلْقَوِيُّ ٱلْعَزِيزُ

الدعاء بهذا الاسم بنية: طلب الرّزق والنصر والقوّة والتأييد

لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْعَزِيزُ

ٱلرَّحِيمُ ٱلْوَدُودُ

ٱلدُّعَاءُ بِهَٰذَا ٱلِٱسْمِ بِنِيَّةِ :ٱلتَّوْبَةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ لِنَيْلِ ٱلرَّحْمَةِ وَٱلْمَحَبَّةِ

لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْوَدُودُ

ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ

ٱلدُّعَاءُ بِهَٰذَا ٱلِٱسْمِ بِنِيَّةِ :ٱلتَّعْظِيمِ وَٱلتَّسْبِيحِ، وَٱلِٱسْتِعَانَةِ عَلَى ٱلْأَرَقِ وَتَشَوُّشِ ٱلْفِكْرِ، وَمِنَ ٱلْقَهْرِ وَٱلظُّلْمِ

لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْوَاحِدُ ٱلْقَهَّارُ

ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ

ٱلدُّعَاءُ بِهَٰذَا ٱلِٱسْمِ بِنِيَّةِ :تَعْظِيمِ ٱلرَّبِّ، وَتَمْجِيدِهِ فِي جَلَالِهِ وَكِبْرِيَائِهِ

لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ

ٱللَّهُمَّ يَا كَبِيرُ، يَا مُتَعَالِ

ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَمِيدُ

ٱلدُّعَاءُ بِهَٰذَا ٱلِٱسْمِ بِنِيَّةِ :طَلَبِ ٱلْهِدَايَةِ وَٱلثَّبَاتِ، وَحُسْنِ ٱلْخِتَامِ

لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَمِيدُ

ٱلْخَلَّاقُ ٱلْعَلِيمُ

نيَّةِ الذِّكر :رجاءُ الخيرِ في تبدُّلِ الوجوهِ والأشخاصِ والأحوال

لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْخَلَّاقُ ٱلْعَلِيمُ

ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ

نيَّة الذِّكر :ثناءٌ وتمجيدٌ لمن لا يَخفى عليه شيء، ولا يُعجزه أن يُقلب ضَعفَك قُوَّة.

سُبْحَانَ ٱللَّهِ ٱلْعَلِيمِ ٱلْقَدِيرِ

ٱلْخَبِيرُ ٱلْبَصِيرُ

الدُّعَاءُ بِهَٰذَا ٱلِٱسْمِ بِنِيَّةِ: ٱلرِّضَا وَٱلتَّسْلِيمِ وَحُسْنِ ٱلظَّنِّ بِتَدْبِيرِهِ سُبْحَانَهُ

لَا إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْخَبِيرُ ٱلْبَصِيرُ

ٱلْحَلِيمُ ٱلْغَفُورُ

الدُّعَاءُ بِهَذَا ٱلِٱسْمِ بِنِيَّةِ: التَّعْظِيمِ وَٱلثَّنَاءِ وَٱلتَّسْبِيحِ عَلَىٰ تَقْصِيرِنَا فِي ذِكْرِهِ

لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَلِيمُ ٱلْغَفُورُ

سُبْحَانَ ٱلْحَلِيمِ ٱلْغَفُورِ

ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ

الدُّعَاءُ بِهَذَا ٱلِٱسْمِ بِنِيَّةِ: طَلَبِ ٱلْعِلْمِ، وَٱلفَتْحِ، وَٱلفَهْمِ فِي ٱلْقُرْآنِ ٱلْكَرِيمِ

لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ

ٱللَّهُمَّ زِدْنِي إِيمَانًا وَفِقْهًا وَيَقِينًا وَعِلْمًا

التَّوَّابُ ٱلْحَكِيمُ

الدُّعَاءُ بِهَذَا ٱلِٱسْمِ بِنِيَّةِ: طَلَبِ ٱلْمَغْفِرَةِ وَٱلْسَّتْرِ

لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ التَّوَّابُ ٱلْحَكِيمُ

ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ

الدُّعَاءُ بِهَذَا ٱلِٱسْمِ بِنِيَّةِ: التَّعْظِيمِ وَٱلتَّوَكُّلِ وَٱلتَّفْوِيضِ

لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ

ٱلْغَنِيُّ ٱلْكَرِيمُ

الدُّعَاءُ بِهَذَا ٱلِٱسْمِ بِنِيَّةِ: طَلَبُ كَرَامَةِ ٱلْعِلْمِ

لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ الْغَنِيُّ ٱلْكَرِيمُ

رَبُّ ٱلْعٰلَمِينَ

الدعاء بهذا الاسم بنية: طَلَبِ خَيْرَيِ الدُّنْيَا وَالآخِرَة

لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعٰلَمِينَ

مَالِكُ يَوْمِ الدِّينِ

الدعاء بهذا الاسم بنية: التَّمْجِيدِ وَالتَّفْوِيضِ إِلَى الله

لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ مَالِكُ يَوْمِ ٱلدِّينِ،

بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ

ٱلدُّعَاءُ بِهَذَا ٱلِٱسْمِ بِنِيَّةِ: ٱلتَّنْزِيهِ وَٱلتَّعْظِيمِ، وَٱسْتِجْلَابِ ٱلْإِجَابَةِ فِي ٱلدُّعَاءِ

لا إله إلا هو بديعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ

شَدِيدُ ٱلعِقَابِ

الدُّعَاءُ بِهٰذَا ٱلِٱسْمِ بِنِيَّةِ: ٱلِٱسْتِعَانَةِ عَلَى ٱلتُّقَى وَٱلْخَوْفِ مِنَ ٱلْمَعْصِيَةِ

لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ، شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ

سَرِيعُ ٱلحِسَابِ

ٱلدُّعَاءُ بِهٰذَا ٱلِٱسْمِ بِنِيَّةِ: طَلَبِ تَعْجِيلِ ٱلْجَزَاءِ، وَطَلَبِ ٱلنَّصْرِ

لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ، سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ

ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ

الدعاءُ بهذا الاسمِ بنيَّةِ: طَلَبِ الهِدَايَةِ وَالتَّفْرِيقِ بَيْنَ الحَقِ وَالبَاطِلِ، وَالمغْفِرَةِ، وَالفَوْزِ بِالجَنَّةِ

لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ، ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ

مُلِكُ ٱلمُلكِ

الدعاء بهذا الاسم بنية: قَضَاءِ الدَّين والاسْتِغْناءِ عن النّاس

لا إلهَ إلا هو مَالكُ المِلْكِ،

خَيرُ ٱلنَّٰصِرِينَ

الدعاءُ بِهٰذَا ٱلِاسْمِ، بِنِيَّةِ: طَلَبِ ٱلنَّصْرِ، وَٱلْمَحَبَّةِ، وَٱلْقُرْبِ

لا إله ألا اللَّهُ ، هو مَوْلَانا، وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ

لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللهُ، وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ

عَلَّامُ الْغُيُوبِ

ٱلدُّعَاءُ بِهٰذَا ٱلِٱسْمِ، بِنِيَّةِ: دَفْعِ ٱلتُّهَمِ ٱلْبَاطِلَةِ، وَإِظْهَارِ ٱلْحَقِّ، وَدَفْعِ ٱلشُّبُهَاتِ

لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ، عَلَّامُ ٱلْغُيُوبِ.

خَيْرُ الرَّازِقِينَ

ٱلدُّعَاءُ بِهٰذَا ٱلِٱسْمِ، بِنِيَّةِ: ٱلتَّعْوِيضِ عَمَّا أُنفِقْنَا، وَٱلزِّيَادَةِ فِي ٱلرِّزْقِ

لَا إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ، خَيْرُ ٱلرَّازِقِينَ.

فاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ

الدُّعَاءُ بِهٰذَا ٱلِٱسْمِ : فِي ٱلْأَذْكَارِ، وَالإِخْلَاصِ ، وَفِي طَلَبِ ٱلْمَزِيدِ مِنْ فَضْلِهِ، والمغفرة

لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ، فَاطِرُ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ

خَيْرُ الْفَاصِلِينَ

الدُّعَاءُ بِهٰذَا ٱلِٱسْمِ بنيّةِ: طَّلَبِ الْإِنْصَافِ وَفَصْلِ الْخُصُومَاتِ، والثبات الْحَقِّ فِي كُلِّ أَمْرٍ

لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، خَيْرُ الْفَاصِلِينَ يا خَيْرَ الْفَاصِلِينَ، اللَّهُمَّ يَا خَيْرَ الْفَاصِلِينَ

أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ

الدُّعَاءُ بِهَٰذَا ٱلِٱسْمِ بِنِيَّةِ: الِاسْتِعْدَادِ لِلْحِسَابِ بالحذرِ مِنهُ سُبحانه

أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ

عَٰلِمُ ٱلغَيبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ

الدُّعَاءُ بِهَٰذَا ٱلِٱسْمِ بِنِيَّةِ: الثَّنَاءِ وَالتَّسْبِيحِ، وَفِي الأَذْكَارِ
لا إله إلّا هو عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ

فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ

الدُّعَاءُ بِهَٰذَا ٱلِٱسْمِ بِنِيَّةِ: طَلَبِ الغِنَى وقَضَاءِ الدَّين
لا إلهَ إلّا هوَ، فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ

فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ

الدُّعَاءُ بِهَٰذَا ٱلِٱسْمِ بِنِيَّةِ: طَلَب الغِنى، وقَضاء الدَّين، وسُؤال العافية

لا إلهَ إلا هو، فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ

خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ

الدُّعَاءُ بِهَٰذَا ٱلِٱسْمِ بِنِيَّةِ: طَرِدِ الوساوس، والأرق، والخَواطر الباطلة
الله خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ، وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ

سَرِيعُ ٱلعِقَابِ

الدُّعَاءُ بِهَٰذَا ٱلِٱسْمِ بِنِيَّةِ: ٱلْجَمْعُ بَيْنَ ٱلرَّجَاءِ وَٱلْخَشْيَةِ
إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلعِقَابِ، وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ

خَيْرُ ٱلْحَاكِمِينَ

الدُّعَاءُ بِهَٰذَا ٱلِٱسْمِ بِنِيَّةِ:طَلَبِ الإِنْصَافِ وَإِظْهَارِ الحَقِّ
لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ، خَيْرُ ٱلْحَاكِمِينَ.

خَيْرُ ٱلْفَاتِحِينَ

الدُّعَاءُ بِهٰذَا ٱلِٱسْمِ بِنِيَّةِ: طَلَبِ ٱلنَّصْرِ، وَٱلْفَرَجِ، وَرَفْعِ ٱلظُّلْمِ، وَكَشْفِ ٱلْبَاطِلِ

لا إله إلا هو، خَيْرُ ٱلْفَاتِحِينَ

أَرْحَمُ ٱلرَّاحِمِينَ

الدُّعَاءُ بِهٰذَا ٱلِٱسْمِ بِنِيَّةِ: التحصُّنِ برحمةِ الله ولِقبولِ الدُّعاءِ وكشفِ الضُّرِّ،

اللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ

رَبِّ، مَسَّنِيَ الضُّرُّ، وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ

خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ

الدُّعَاءُ بِهٰذَا ٱلِٱسْمِ بِنِيَّةِ: الثَّناءِ والدُّعاءِ، وخاتمةِ التوسُّل بالرَّجاء

أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا، وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ

لا إله إلا هو، خيرُ الغافرين

رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ

الدُّعَاءُ بِهٰذَا ٱلِٱسْمِ بِنِيَّةِ :ٱلتَّعْظِيمِ وَٱلتَّوَكُّلِ، وَٱلدُّعَاءِ عِنْدَ ٱلْكَرْبِ وَٱلْمِحَنِ

لَا إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ

أَحكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ

الدعاءُ بهذا الاسمِ بنيّةِ: الثناءِ والتفويضِ لحكمِ اللهِ، ولليقينِ بعدَ الدعاءِ

لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ

إِنَّ وَعْدَكَ الحَقُّ، وأنتَ أَحْكَمُ الحَاكِمِينَ

خَيرُ ٱلْمُنزِلِينَ

الدُّعَاءُ بِهٰذَا ٱلِٱسْمِ بِنِيَّةِ: التَوفيقِ والبرَكةِ في كُلِّ دخولٍ، وكُلِّ مقامٍ ومكان

لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ

﴿ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴾

شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ

الدُّعَاءُ بِهَذَا ٱلِاسْمِ بِنِيَّةِ: ٱلتَّضَرُّعِ وَٱلثَّنَاءِ وَطَلَبِ ٱلْغَوْثِ مِنَ ٱلْقَوِيِّ ٱلْجَبَّارِ

لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ

خَيْرُ ٱلوَارِثِينَ

الدُّعَاءُ بِهَذَا ٱلِٱسْمِ بِنِيَّةِ :طَلَبِ ٱلْوَلَدِ وَٱلذُّرِّيَّةِ، وَلِلرَّجَاءِ فِي بَقَاءِ ٱلْأَثَرِ بَعْدَ ٱلْفَقْدِ
رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَارِثِينَ

أَحْسَنُ ٱلْخَالِقِينَ

الدُّعَاءُ بِهَذَا ٱلِاسْمِ بِنِيَّةِ: التَّعْظِيمِ وَٱلثَّنَاءِ، وَفِي ٱلسُّجُودِ وَأَوْقَاتِ ٱلتَّأَمُّلِ فِي ٱلْخَلْقِ وَٱلْجَمَالِ
تَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَالِقِينَ

خَيْرُ ٱلرَّاحِمِينَ

الدُّعَاءُ بِهَٰذَا ٱلِٱسْمِ بِنِيَّةِ:
طَلَبِ ٱلْمَغْفِرَةِ وَٱلرَّحْمَةِ فِي لَحَظَاتِ ٱلضَّعْفِ وَٱلِٱنْكِسَارِ.
"رَبَّنَا آمَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّاحِمِينَ"
"رَبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّاحِمِينَ "

نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ

ٱلدُّعَاءُ بِهَٰذَا ٱلِٱسْمِ بِنِيَّةِ :إِدْرَاكِ حَقَائِقِ ٱلْأُمُورِ، وَٱلْهِدَايَةِ إِلَى ٱلصِّرَاطِ ٱلْمُسْتَقِيمِ

لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ، نُورُ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ

رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمغْرِبِ

ٱلدُّعَاءُ بِهَٰذَا ٱلِٱسْمِ :فِي ٱلتَّوْحِيدِ وَٱلْإِفْرَادِ وَٱلتَّوَكُّلِ

لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ، رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ

رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ

الدعاءُ بهذا الاسم بنِيَّة:

الإِلهامِ، وَالرُّؤْيَا الصَّالِحَةِ، وَفَهْمِ كِتَابِ اللهِ، وَإِدْرَاكِ الْأُمُورِ(وفي الاختبارات)

لا إله إلا هو رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ

رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ

ٱلدُّعَاءُ بِهَذَا ٱلِٱسْمِ :لِلتَّوْحِيدِ وَٱلثَّنَاءِ وَٱلتَّعْظِيمِ وَٱللُّجُوءِ إِلَى ٱللَّهِ وَحْدَهُ

لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ، رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ

رَبُّ ٱلْمَشَارِقِ وَٱلْمَغَارِبِ

ٱلدُّعَاءُ بِهَذَا ٱلِٱسْمِ: فِي ٱلْقَسَمِ وَٱلتَّهْدِيدِ، وَتَأْكِيدِ قُدْرَةِ ٱللَّهِ وَتَذَكُّرِ ٱلْآخِرَةِ

لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ، رَبُّ ٱلْمَشَارِقِ وَٱلْمَغَارِبِ

ذُو ٱلْجَلَالِ وَٱلْإِكْرَامِ

ٱلدُّعَاءُ بِهَذَا ٱلِٱسْمِ بنيَّةِ: ٱلتَّمْجِيدِ وَٱلتَّعْظِيمِ طَمَعًا بِٱلْعَطَاءِ وَٱلْفَضْلِ

اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ، وَمِنْكَ السَّلَامُ، تَبَارَكْتَ يَا ذَا ٱلْجَلَالِ وَٱلْإِكْرَامِ

"تَبَارَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَالِ وَٱلْإِكْرَامِ"

الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ

الدُّعَاءُ بِهَٰذَا ٱلِٱسْمِ بِنِيَّةِ: طَلَبِ كُلِّ شَيْءٍ، وَٱللُّجُوءِ فِي ٱلْفَقْرِ وَٱلْحَاجَةِ

لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ

ٱلْقَائِمُ بِٱلْقِسْطِ

الدعاءُ بهذا الاسمِ: العهدُ عندَ اللهِ أَنْ يُدخله الجنّةَ

لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْقَائِمُ بِٱلْقِسْطِ

وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكَ مِنَ ٱلشَّاهِدِينَ يَا رَبِّ

أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ

الدُّعَاءُ بِهَٰذَا ٱلِٱسْمِ بِنِيَّةِ: مُوَافَقَةِ مَشِيئَةِ ٱللَّهِ، وَتَوْحِيدِهِ، وَطَلَبِ مَغْفِرَتِهِ

لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ، أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ

ذُو الرَّحْمَةِ

الدُّعَاءُ بِهَٰذَا ٱلِٱسْمِ بِنِيَّةِ: بِنِيَّةِ طَلَبِ رَحْمَةِ ٱللَّهِ، وَمَغْفِرَتِهِ، وَٱلِٱفْتِقَارِ إِلَىٰ غِنَاهُ

لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ، ٱلْغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ

ذُو الْمَغْفِرَةِ

بِنِيَّةِ :مُرَاقَبَةِ النَّفْسِ، وَٱلِٱسْتِحْيَاءِ مِنَ ٱللَّهِ، وَطَلَبِ ٱلْمَغْفِرَةِ

إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ، وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ

سَرِيعُ الْعِقَابِ

دعاؤه رغبةً ورهبةً

"إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ، وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيم"

فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ

بِنِيَّةِ: التسليمِ والتفويضِ التام لله

"إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ"

رَبُّ ٱلْفَلَقِ

للاعتصام من الشرورِ الخفيّةِ إذا انفلقتْ وخرجتْ

"قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (١) مِنْ شَرِّ ما خَلَقَ (٢) وَمِنْ شَرِّ غاسِقٍ إِذا وَقَبَ (٣) وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثاتِ فِي الْعُقَدِ (٤) وَمِنْ شَرِّ حاسِدٍ إِذا حَسَدَ (٥).

رَبِّ النَّاسِ

الاستشفاءِ وازالةِ الأسقامِ

"اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ أَذْهِبْ الْبَاسَ اشْفِ وَأَنْتَ الشَّافِي لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَمًا"

رَبِّ ٱلنَّاسِ، مَلِكِ ٱلنَّاسِ، إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ

بِنِيَّةِ الِٱلْتِجَاءِ وَٱلِٱعْتِصَامِ والتوسلِ اليّه من كل الأبواب رباً وملكاً والهاً مِنْ شَرِّ ٱلْوَسْوَسَةِ

"قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ "

رَبُّ السَّمٰوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الأَرَضِينَ

الدُّعَاءُ بِهٰذَا الِاسْمِ بِنِيَّةِ: الِاسْتِغْنَاءِ، وَقَضَاءِ الدَّيْنِ، وَالتَّحَصُّنِ، وَطُمَأْنِينَةِ الْقَلْبِ

لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ، رَبُّ السَّمٰوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الأَرَضِينَ

لفظ الجلالة اللهُ

الدُّعَاءُ بِهٰذَا الِاسْمِ بِنِيَّةِ: تَجْدِيدِ الإِيمَانِ، وَتَثْبِيتِ التَّوَكُّلِ، وَغَرْسِ السَّكِينَةِ.
لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ، حَسْبِيَ اللهُ، تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ،

ٱلرَّحْمَٰنُ

الدُّعَاءُ بِهٰذَا الِاسْمِ: تمجيدًا وتعظيمًا وثناءً وتوكّلًا
لا إله إلا هو، ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ

ٱلْقَدِيرُ

الدُّعَاءُ بِهٰذَا الِاسْمِ: فِي الذِّكْرِ وَالِاسْتِغْفَارِ وَطَلَبِ النَّصْرِ وَاللُّجُوءِ

ٱلْكَافِي

الدُّعَاءُ بِهٰذَا الِاسْمِ: لِلْعِفَّةِ، وَالتَّوَكُّلِ، وَقَضَاءِ الدَّيْنِ، وَالْكِفَايَةِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ
"وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا، وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا"

ٱلْمَوْلَىٰ

لطلب العون والنُّصرة، والتربية الإيمانية، وتزكية النفس

"لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ نِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ"

ٱلْجَامِعُ

لطلبِ رفقةِ النبيِّ ﷺ، وصُحبةِ المؤمنين، ولمّ الشمل في الدنيا والآخرة

رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ

ٱلشَّهِيدُ

للثناءِ، والطمأنينة، وإقامةِ الحُجّة، وحُسنِ التوكلِ على الله

"لَا إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ، وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا"

ٱلْمُحِيطُ

لإدخالِ الأُنسِ والطمأنينةِ في القلوب، وردِّ كيدِ الأعداءِ

"لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ، وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا"

ٱلْوَكِيلُ

لِلِٱلْتِجَاءِ فِي ٱلشَّدَائِدِ، وَتَوْثِيقِ ٱلْعَهْدِ، وَٱلِٱسْتِعَانَةِ بِٱللَّهِ وَحْدَهُ

"حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ"

"لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ، وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا"

ٱلرَّقِيبُ

لِلِاسْتِفْتَاحِ فِي الْخُطَبِ، وَدَفْعِ التُّهْمَةِ، وَتَحْقِيقِ الْإِنْصَافِ وَالْعَدْلِ

"لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا"

ٱلْحَسِيبُ

لِلثَّنَاءِ وَالتَّعْظِيمِ، وَالتَّوَكُّلِ وَٱلْكَفَايَةِ وَٱلْعَوْنِ عِندَ ٱلشَّدَائِدِ

"لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ، حَسْبِيَ ٱللَّهُ، وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا"

ٱلْمُقِيتُ

للاستعانة به على التشفُّعِ بِالْخَيْرِ، وَلِطَلَبِ ٱلْكَفَايَةِ وَٱلْعَطَاءِ بِغَيْرِ حَوْلٍ وَلَا قُوَّةٍ

لا إله إلا هو، وكانَ اللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتاً

ٱلْقَاهِرُ

لِطَلَبِ ٱلْخَيْرِ، وَكَشْفِ ٱلضُّرِّ، وَٱلتَّسْلِيمِ لِقَضَائِهِ وَتَقْدِيرِهِ

لا إله إلا هو، ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ

ٱلْحَقُّ

تَعْظِيمًا وَثَنَاءً، وَذِكْرًا وَتَثْبِيتًا عَلَى ٱلْحَقِّ، وَنُصْرَةً لِلْحَقِّ وَأَهْلِهِ

لا إله إلا الله، مَوْلَانَا ٱلْحَقُّ

ٱلْقَادِرُ

لِلتَّعْظِيمِ وَٱلتَّمْجِيدِ، وَإِظْهَارِ سُلْطَانِ ٱللَّهِ فِي خَلْقِهِ وَأَمْرِهِ

لا إله إلا هو، عَلَىٰ مَا يَشَاءُ قَادِرٌ

ٱلنَّصِيرُ

لِلِٱلْتِجَاءِ فِي وَقْتِ ٱلْكَرْبِ، وَٱلتَّفْوِيضِ ٱلْكَامِلِ لِلَّهِ فِي ٱلشَّدَائِدِ

لا إله إلا هو، نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ

أللّهمَّ، أنتَ عَضُدي وَنَصِيري

ٱلْمُجِيبُ

لِلثَّنَاءِ وَٱلتَّعْظِيمِ، وَلِإِجَابَةِ ٱلدُّعَاءِ فِي ٱلشِّدَّةِ وَٱلرَّخَاءِ

لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ، ٱلْقَرِيبُ ٱلْمُجِيبُ.

ٱلْحَافِظُ

لطَلَبِ الرَّعَايَةِ وَٱلْحِفْظِ وَدَفْعِ ٱلسُّوْءِ

اللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّاحِمِينَ

ٱلْهَادِي

لِطَلَبِ الإِرْشَادِ وَالتَّوْفِيقِ إِلَىٰ كُلِّ خَيْرٍ،

"اللَّهمَّ اهدِني فيمَن هَدَيتَ"

ٱلْحَفِيظُ

لِلتَّعْظِيمِ، وَٱللُّجُوءِ إِلَى ٱلْحِفْظِ ٱلْإِلَهِي، وَإِحْسَانِ ٱلْعَمَلِ تَحْتَ رِقَابَتِهِ

إِنَّ رَبِّي على كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ

ٱلشَّافِي

لِلشِّفَاءِ مِنَ الأَمْرَاضِ البَدَنِيَّةِ وَأَمْرَاضِ القُلُوبِ

يا شافي اشفِني

لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ ٱللَّهُ ٱلشَّافِي

ٱلْقُدُّوس

لِلتَّسْبِيحِ وَالثَّنَاءِ عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلّ

سُبْحَانَ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ

سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ، رَبُّ المَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ

ٱلسَّلَامُ

تَسْبِيحًا وَتَقْدِيسًا، وَطَلَبًا لِلسَّلَامَةِ، وَإِفْشَاءً لِاسْمِهِ بَيْنَ النَّاسِ
اللَّهمَّ أنتَ السَّلامُ ومنكَ السَّلامُ ، تَباركتَ يا ذا الجلالِ والإكرامِ

ٱلْمُؤْمِنُ

لِلثَّنَاءِ وَٱلتَّمْجِيدِ، وَلِطَلَبِ ٱلطُّمَأْنِينَةِ وَٱلْأَمَانِ، وَلِإِظْهَارِ صِدْقِنَا فِيمَا نَقُولُ وَنَعْمَلُ
لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَامُ ٱلْمُؤْمِنُ

ٱلْمُهَيْمِنُ

للثَّناءِ والتَّعظيمِ والتَّمجيدِ

سُبْحَانَ المهَيْمِنِ، سُبْحَانَ الْمَلِكِ، سُبْحَانَ الْقُدُّوسِ،

سُبْحَانَ الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوت

ٱلْجَبَّارُ

لِلثَّنَاءِ وَالتَّسْبِيحِ وَالتَّعْظِيم، وَلِجَبْرِ الْمُنْكَسِرِينَ وَقَهْرِ الْمُتَكَبِّرِينَ
" سُبْحَانَ ذِي الجَبَروتِ وَالْمَلَكُوتِ وَالْكِبْرِيَاءِ وَالْعَظَمَةِ "

المُتَكَبِّر

للتمجيدِ والتسبيحِ والتعظيمِ
سُبْحَانَ ذِي الْجَبَرُوتِ وَالْمَلَكُوتِ وَالْكِبْرِيَاءِ وَالْعَظَمَةِ

ٱلْخَالِقُ

لِلتسبيحِ والتمجيدِ، وتهذيبِ النَّفسِ، والاستغفار
اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ

ٱلْبَارِئُ

لِلتمجيدِ والتسبيحِ، والتوبةِ والرجوعِ إلى الله

"هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ"

ٱلْمُصَوِّرُ

لِلثناء والتعظيمِ، والتأمّلِ في جمالِ الخلْقِ وإبداعِ التصوير

هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ

الأكرم

لِطَلَبِ الكرامة بالعلم، والرّحمة بالمغفرة

لا إله إلا هو، ٱلْأَعَزُّ ٱلْأَكْرَمُ

الأَحَدُ الصَّمَدُ

لِلتَّوْحِيدِ وَاللُّجُوءِ، وَالتَّنْزِيهِ وَالتَّعْظِيمِ، وَالْمَغْفِرَةِ وَدُعَاءِ الْمَسْأَلَةِ

" قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ. اللَّهُ الصَّمَدُ. لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ. وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ "

ٱلْمُحْصِي

التقصيرُ في الثناء، والعجزُ عن الإحصاء

سُبْحَانَكَ، لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ.

ٱلْوَاجِدُ

لِلْحَمْدِ وَٱلتَّمْجِيدِ وَٱلتَّسْلِيمِ ٱلْكَامِلِ لِلَّهِ

لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَاجِدُ

ٱلْمَاجِدُ

لِطَلَبِ ٱلْعَطَاءِ وَإِنْ ظَنَّ ظَانٌّ ٱسْتِحَالَتِهِ،
لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ، ٱلْجَوَادُ ٱلْمَٰجِدُ

ٱلْوَالِي

لِطَلَبِ ٱلْعَوْنِ، وَدَفْعِ ٱلْبَلَاءِ وَٱلْعَذَابِ،
لَا إِلٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ، وَالِيُ ٱلْمُؤْمِنِينَ

ٱلصَّبُور

لِطَلَبِ ٱلْإِمْهَالِ، وَٱلرَّجَاءِ فِي عَفْوٍ مِّن لَا يُعْجِلُهُ ٱلذَّنْبُ وَلَا تَسْتَفِزُّهُ ٱلْمَعْصِيَةُ

وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ

ٱلرَّشِيد

لِطَلَبِ ٱلْهِدَايَةِ وَٱلتَّوْفِيقِ بِبَرَكَةِ ٱلطَّاعَةِ وَٱلْإِنْقِيَادِ

"رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا"

ٱلْوَارِث

لِطَلَبِ حُسْنِ ٱلْعَاقِبَةِ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلآخِرَةِ

لا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ

ٱلْبَاقِي

لِلتَّسْبِيحِ بِٱلْبَاقِيَٰتِ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَطَلَبِ ٱلْخَيْرِ وَٱخْتِيَارِ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا سِوَاهُ:

"سُبْحَانَ ٱللَّهِ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَآ إِلٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱللَّهُ أَكْبَرُ
وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ"

المنّان

طلباً للهدايةِ والعطاءِ وإجابةِ الدعاء

لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، الْمَنَّانُ، بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ

ٱلْأَعْلَى

لِلتَّسْبِيحِ وَالإِخْلَاصِ وَالتَّزْكِيَةِ، وَالتَّعَالِي عَنِ ٱلشَّهَوَاتِ، وَطَلَبًا لِلدَّرَجَاتِ ٱلْعُلَى

سُبْحَانَ رَبِّيَ ٱلْأَعْلَى

ٱلْكَرِيمُ

لِلتَّعْظِيمِ وَطَلَبِ العَفْوِ وَالعَطَاءِ وَالحِفْظِ مِنَ الشَّيْطَانِ

لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَفُوُّ الْكَرِيمُ

ٱلْكَفِيلُ

لِلتَّعْظِيمِ وَطَلَبِ الإِعَانَةِ عَلَى الْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ وَتَوْكِيدِ الْوَعْدِ

لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ، وَكَفَىٰ بِاللَّهِ كَفِيلًا

"الأخلاقُ انعكاسٌ للدِينِ"

فالخُلُقُ جزءٌ مِنَ الدِينِ،

وبقدْر نَقصِ الأخلاقِ ينقصُ الدِين،

عن أنسٍ قالَ :

ما خطَبنا نبيَّ اللهِ ﷺ إلّا قال:

"ألا إنَّه لا إيمانَ لمنْ لا أمانةَ له

ولا دينَ لمنْ لا عَهدَ له"،

قال تعالى: "وَإِنَّكَ لَعلى خُلُقٍ عَظِيمٍ"

أي على دينٍ عظيمٍ،

وعلى خُلُقٍ كريم،

كان خلُقُه القرآن

سُئِلَتْ عائشةُ رضي الله عنها عن خُلُقِ النبيّ ﷺ؟ فقالت : كان خُلقُه القرآن،

وصدقَ النبيُّ الكريمُ إذ يقول :

"إنما بُعِثْتُ لأُتَمِّم مكارم الأخلاق"

الفصلُ الثّالِث: فِي مَكَارِمِ الأَخْلَاقِ وَجَمِيلِ الآدَابِ

حُسْنُ الخلق لا يَعني حُسنَ الملتقى؟!

فمن أكرمِ الناس وضَيَّعَ حقوقَ الله فليس هذا صاحبَ خُلُقٍ حَسن.

ومن منعَ نفسَه عن المعاصي وأدَّى حقوقَ اللهِ فقد حَسُنَ خُلقه،

ومن ادعى أنَّ الغربَ أحسنُ أخلاقا من المسلمين

"فالبينة على المدعي".

حُسنُ الخُلُقِ أقوى من كلِّ سلاحٍ

كان **ثُمامةُ بنُ أُثالٍ – سيِّدُ بَني حَنِيفَة –** من أشدِّ الناسِ عَداوةً للإسلام، حتّى إنَّهُ **هَمَّ بِقتلِ النبيِّ ﷺ**، فأُمسِكَ، وأمرَ النبيُّ ﷺ بربْطِه في ساريةٍ من سواري المسجدِ النبويِّ.

لكنَّ النبيَّ ﷺ **لم يُعجِّلْ بِقتلِه، بل أَرادَ له الهداية**، فأمرَ أصحابَه أن يُحسنوا إليه في طعامِه وشرابِه.

ثم جاءه ﷺ وقال: "**ما عندَكَ يا ثُمامة؟**"

فقال:

"**إنْ تَقتُلْ تَقتُلْ ذا دَمٍ، وإنْ تُنعِمْ تُنعِمْ على شاكرٍ، وإنْ كُنتَ تُريدُ المالَ، فَسَلْ منهُ ما شِئْتَ**". *رواه البخاري*

فتركه النبيُّ ﷺ حتى اليومِ الثالث، ثم قال: "**أَطلِقوا ثُمامة**".

فأُطلِق، فذهبَ واغتسلَ، ثم عادَ إلى المسجدِ، وقال للنبي ﷺ:

"**أشهدُ أن لا إلهَ إلّا الله، وأشهدُ أنَّ محمّدًا رسولُ الله**".

ثم قال كلمتَهُ المشهورة التي تُظهِرُ أثرَ العَفْوِ والإحسانِ في قلبِ عدوٍّ كان يُبغضُ الإسلام:

"**واللهِ ما كانَ على وجهِ الأرضِ وجهٌ أَبغَضَ إِلَيَّ من وجهِكَ، فأصبحَ وجهُكَ أحبَّ الوجوهِ إِلَيَّ، واللهِ ما كانَ على وجهِ الأرضِ دينٌ أَبغَضَ إِلَيَّ من دِينِكَ، فأصبحَ دِينُكَ أحبَّ الأديانِ إِلَيَّ، واللهِ ما كانَ على وجهِ الأرضِ بَلَدٌ أَبغَضَ إِلَيَّ من بَلَدِكَ، فأصبحَ بَلَدُكَ أحبَّ البِلادِ إِلَيَّ**".
السيرة النبوية لابن هشام

وبالَ أعرابيٌّ في المسجدِ، فقام الناسُ إليه، فنهاهُم النبيُّ ﷺ ثم قال:

"**دعوهُ، وأَريقوا على بَولِه سَجْلًا مِن ماءٍ، فإنّما بُعِثتُم مُيَسِّرين، ولم تُبعثوا مُعسِّرين**". *رواه البخاري*

فقال الأعرابيُّ بعد ذلك:

"**اللهمَّ ارحمني ومحمّدًا، ولا تَرحمْ معنا أحدًا**". *رواه البخاري*

وتكلَّم **مُعاويةُ بنُ الحَكمِ السُّلميُّ** في الصلاة، فلمّا انتهَت، قال:

"فبأبي هو وأُمّي، ما رأيتُ مُعلّمًا قبلَهُ ولا بعدَهُ أحسنَ تعليمًا منه،
واللهِ ما نَهَرَني، ولا ضَربني، ولا شَتَمني". رواه مسلم

وأعطى ﷺ رجلًا غنمًا بين جبلين، فقال الرّجل لقومه:

"يا قومِ، أَسلِموا، فإنَّ محمّدًا يُعطي عطاءً لا يَخشى الفقرَ". رواه مسلم

ورجلٌ أرادَ قتلَ النبي ﷺ، فلمّا عفا عنه، أسلَمَ، ورجعَ إلى قومِه، فأسلَمَ على يديه خَلْقٌ كثير.
ذكره ابن إسحاق في السيرة

وكان **عبدُ اللهِ بنُ سلامٍ** من أحبارِ اليهود، يقول:

"فلمّا رأيتُ وجهَهُ، عرَفتُ أنّ وجهَهُ ليس بوجهِ كذّاب،
وكان أوّل ما سمعتُه يقول: **يا أيّها الناس، أفشوا السّلام، وأطعِموا الطعام، وصِلُوا الأرحام،**
وصَلّوا باللّيلِ والنّاسُ نِيام؛ تَدخُلوا الجنّةَ بسلام". رواه الترمذي .

وقال أبو سفيان في شهادته **أمامَ هِرَقْل** ملكِ الروم:
إنّه (أي النبي ﷺ) لا يَغدِر،
ويَأمر بعبادةِ الله، ويَنهى عن عبادةِ الأوثان،
ويَأمر بالصّلاة، والصّدق، والعفاف".
فقال هِرقل: **إنْ كان ما تقولُ حقًّا، فَسَيملِكُ موضعَ قدمَيَّ هاتين،**
ولو كنتُ عندَهُ لغَسَلتُ عن قدمِهِ". رواه البخاري

قال اللهُ تعالى: **"وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ"** القلم: ٤

وقال ﷺ: **إنَّما بُعِثتُ لأُتَمِّمَ مكارمَ الأخلاق".** رواه أحمد

حُسْنُ الظَّنِّ، جَوْهَرُ الرَّحْمَةِ وَالإِحْسَانِ

رُوِيَ أَنَّ أَعْرَابِيًّا قَدِمَ لِلنَّبِيِّ ﷺ قِطْفًا مِنَ الْعِنَبِ، **وَكَانَ الْعِنَبُ حَامِضًا، فَأَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ يَأْكُلُ مِنْهُ** وَيَبْتَسِمُ، وَلَمْ يُطْعِمْ أَصْحَابَهُ الَّذِينَ جَلَسُوا مَعَهُ.

اسْتَغْرَبَ الصَّحَابَةُ ذَلِكَ، **لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ دَائِمًا يُشَارِكُهُمْ طَعَامَهُ**، فَقَالُوا لَهُ:

"يَا رَسُولَ اللهِ، لِمْ لَمْ تُطْعِمْنَا كَمَا تَفْعَلُ دَائِمًا؟"

فَأَجَابَهُمْ ﷺ بِحِكْمَةٍ وَرَحْمَةٍ:

"**كَانَ الْعِنَبُ حَامِضًا، وَخَشِيتُ أَنْ تُظْهِرُوا شَيْئًا تَكْرَهُهُ نَفْسُ الرَّجُلِ، فَأَشْفَقْتُ عَلَيْهِ**". *الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ*

فَالْمَوْقِفُ ظَاهِرُهُ بُخْلٌ، لَكِنَّ بَاطِنَهُ كَرَمٌ فِي الْمَشَاعِرِ.

وَرُوِيَ أَنَّ الإِمَامَ الشَّافِعِيَّ رَحِمَهُ اللهُ، **نَزَلَ ضَيْفًا عِنْدَ أَحَدِ أَصْحَابِهِ**، فَقَدَّمَ لَهُ خُبْزًا يَابِسًا، وَلَمْ يَكُنْ هُنَاكَ غَيْرُهُ. فَأَكَلَ الإِمَامُ الشَّافِعِيُّ دُونَ تَرَدُّدٍ، **وَلَمْ يُظْهِرْ أَيَّ امْتِعَاضٍ، بَلْ شَكَرَ مُضِيفَهُ بِحَرَارَةٍ.**

فَلَمَّا خَرَجَ، سَأَلَهُ أَحَدُ أَصْحَابِهِ:

"يَا إِمَامُ، أَكَانَ هَذَا طَعَامًا يُقَدَّمُ لَكَ؟"

فَأَجَابَ الشَّافِعِيُّ بِقَلْبٍ رَحْبٍ:

"**لَعَلَّهُ لَمْ يَجِدْ غَيْرَهُ، أَفَأَفْضَحُهُ؟**" *رَوَاهُ الذَّهَبِيُّ فِي السِّيَرِ*

قَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيْبِ:

"ضَعْ أَمْرَ أَخِيكَ عَلَى أَحْسَنِهِ مَا لَمْ يَأْتِكَ مَا يَغْلِبُكَ، **وَلَا تَظُنَّنَّ بِكَلِمَةٍ خَرَجَتْ مِنْ إِمْرِئٍ مُسْلِمٍ شَرًّا** وَأَنْتَ تَجِدُ لَهَا فِي الْخَيْرِ مَحْمَلًا. *رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ*

وَفِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ:

"إِنَّ اللهَ حَرَّمَ مِنَ الْمُسْلِمِ مَالَهُ وَدَمَهُ وَعِرْضَهُ **وَأَنْ يَظُنَّ بِهِ ظَنَّ السُّوءِ**". *رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ*

وَقَالَ تَعَالَى:

﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ *الحجرات: ١٢*

فَلَا تَحْكُمْ عَلَى الْمَوَاقِفِ مِنْ ظَاهِرِهَا فَقَطْ، فَإِنَّ وَرَاءَ الْأَبْوَابِ نَوَايَا لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللهُ.

وَلَكِنْ إِذَا كَانَ سُوءُ الظَّنِّ بِهَدَفِ الْحَذَرِ مِنْ شَرٍّ مُحْتَمَلٍ دُونَ التَّسَبُّبِ فِي ضَرَرٍ لِلآخَرِينَ، فَحِينَئِذٍ يَكُونُ حَسَنَ فِطْنٍ وَلَا يُعَدُّ مَذْمُومًا.

قَالَ ﷺ:
"إِذَا حَسَدْتَ فَاسْتَغْفِرِ اللهَ، وَإِذَا ظَنَنْتَ فَلَا تُحَقِّقْ" .رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ

فَالْمَطْلُوبُ الْحِكْمَةُ وَالاعْتِدَالُ فِي تَفْكِيرِنَا وَتَصَرُّفَاتِنَا تُجَاهَ النَّاسِ.

مِنْ سُخْرِيَةِ الْأَذَانِ إِلَى مِئْذَنَةِ الْحَرَمِ

كانَ بِلَالٌ رضيَ اللهُ عنه يُؤَذِّنُ لِلظُّهْرِ،

وفِي طَرَفٍ مِن أَطْرَافِ مَكَّةَ، كانَ شابٌّ مُشْرِكٌ يُؤَذِّنُ لِغَنَمِهِ اسْتِهْزَاءً بِأَذَانِ المسْلِمِينَ بِصَوْتٍ عَذْبٍ جَهِيرٍ.

فَسَمِعَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ،

فقالَ لِعَلِيٍّ وَالزُّبَيْرِ:

"ائْتُونِي بِهِ وَمَنْ مَعَهُ".

فَجَاءُوا جَمِيعًا خَائِفِينَ،

فقالَ ﷺ لَهُمْ:

"مَن مِنْكُمُ الَّذِي أَذَّنَ بِأَذَانِنَا؟"

فَخَافُوا وَسَكَتُوا.

فَأَمَرَهُمْ ﷺ أَنْ يُؤَذِّنَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ عَلَى حِدَةٍ، حَتَّى وَصَلَ الدَّوْرُ إِلَى أَبِي مَحْذُورَةَ،

فَإِذَا بِصَوْتِهِ يَأْخُذُ بِالْأَلْبَابِ،

فقالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ بِلُطْفٍ عَجِيبٍ:

"أَأَنْتَ الَّذِي أَذَّنْتَ بِهَذَا الصَّوْتِ الْجَمِيلِ؟"

فَارْتَسَمَتْ عَلَى وَجْهِ أَبِي مَحْذُورَةَ ابْتِسَامَةُ فَخْرٍ، وَقالَ:

"نَعَمْ، أَنَا".

فَإِذَا بِالنَّبِيِّ ﷺ يَمْسَحُ بِيَدِهِ الشَّرِيفَةِ عَلَى رَأْسِهِ، وَيَنْزِعُ عِمَامَتَهُ، وَيَقُولُ:

"اللَّهُمَّ بَارِكْ فِيهِ، وَفِي ذُرِّيَّتِهِ، وَفِي صَوْتِهِ، وَاهْدِهِ إِلَى الْإِسْلَامِ".

فَإِذَا بِأَبِي مَحْذُورَةَ يَنْطِقُ الشَّهَادَتَيْنِ أَمَامَ أَصْحَابِهِ،

وَيُعَيِّنُهُ النَّبِيُّ ﷺ مُؤَذِّنًا لِبَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ، شَرَفٌ لَا يَعْلُوهُ شَرَفٌ.

ثُمَّ أَقْسَمَ أَبُو مَحْذُورَةَ:

"لَا أَحْلِقُ هَذَا الشَّعْرَ الَّذِي مَسَّهُ يَدُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا حَيِيتُ".

وَظَلَّتْ ذُرِّيَّتُهُ تُؤَذِّنُ فِي الْحَرَمِ أَكْثَرَ مِنْ **٣٠٠** عَامٍ،
بِفَضْلِ دُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ لَهُ وَلِذُرِّيَّتِهِ . البخاري ومسلم

كُلُّ ذَلِكَ بَدَأَ مِنْ كَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ، وَمَسْحَةِ رَحْمَةٍ،
فَقَدْ قَالَ اللَّهُ:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ الأنبياء: ١٠٧

فَالدُّنْيَا دَارُ مُدَارَاةٍ، لَا مُجَامَلَةَ،
لَكِنَّ اللِّينَ لَا يُنَاقِضُ الثَّبَاتَ،
فَبِالْمُدَارَاةِ تُمْلَكُ الْقُلُوبُ،
وَبِالرَّحْمَةِ تُنْتَشَلُ الْأَرْوَاحُ،
وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

"إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ". رواه مسلم

فَقَدْ يَسْتَهْزِئُ الْيَوْمَ... وَيُؤَذِّنُ غَدًا.
فَلَا تَحْتَقِرْ صَوْتًا، وَلَا تَرُدَّ سَاخِرًا، فَبَيْنَ قَوْسَيِ الرَّحْمَةِ تُصَاغُ الْمُعْجِزَاتُ.

خَائِنَةُ الأَعْيُنِ وَحَقُّ الاسْتِئْمَانِ

كَانَ سُفْيَانُ الثَّورِيُّ ، وَهُوَ مِنْ كِبَارِ عُلَمَاءِ التَّابِعِينَ ، جَالِسًا فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ،
فَمَرَّتِ امْرَأَةٌ جَمِيلَةٌ، فَخَفَضَ بَصَرَهُ فَوْرًا.
فَقَالَ لَهُ أَحَدُهُمْ مَازِحًا:
"يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ، إِنَّهَا نَظْرَةٌ لَا تَضُرُّ... نَظْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَطْ، مَا فِيهَا شَيْءٌ"!

فَرَدَّ سُفْيَانُ، وَقَدِ امْتَلَأَ قَلْبُهُ خَشْيَةً وَمُرَاقَبَةً لِلَّهِ:
"وَيْلَكَ! أَلَمْ تَسْمَعْ قَوْلَ اللهِ تَعَالَى:
﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾ سورة غافر: ١٩

"هِيَ نَظْرَةٌ لَا يَرَاهَا النَّاسُ... لَكِنَّ اللهَ يَرَاهَا، وَيَعْلَمُ لِمَاذَا نَظَرَتْ، وَمَاذَا تَمَنَّتْ"!

إِنَّهَا النَّظْرَةُ الْخَائِنَةُ،
الَّتِي يَتَسَلَّلُ بِهَا صَاحِبُهَا لِيَطَّلِعَ عَلَى مَا حَرَّمَ اللهُ،
أَوْ يَسْرِقُهَا حِينَ يَظُنُّ أَنَّ لَا رَقِيبَ عَلَيْهِ، وَلَا شُهُودَ.
أَوِ النَّظَرُ لِشَيْءٍ صَاحِبُهُ لَا يُحِبُّ النَّظَرَ إِلَيْهِ،
كَالنَّظْرَةِ الَّتِي يَخْتَطِفُهَا الضَّيْفُ فِي عَوَرَاتِ مُضِيفِهِ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا:
"هُوَ الرَّجُلُ يَكُونُ جَالِسًا مَعَ الْقَوْمِ، فَتَمُرُّ الْمَرْأَةُ، فَيُسَارِقُهُمُ النَّظَرَ إِلَيْهَا.
فَإِذَا نَظَرَ إِلَيْهِ أَصْحَابُهُ غَضَّ بَصَرَهُ،
وَإِذَا رَأَى مِنْهُمْ غَفْلَةً اسْتَرَقَّ النَّظَرَ "! رواه البخاري

وَكَانَتْ هَذِهِ الْخِيَانَةُ مُسْتَنْكَرَةً حَتَّى فِي مَقَامَاتِ الْعَدْلِ وَالْقَضَاءِ.

فَحِينَ جِيءَ بِعَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي سَرْحٍ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَكَانَ قَدِ ارْتَدَّ، ثُمَّ شَفَّعَ لَهُ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ،
صَمَتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ طَوِيلًا.

ثُمَّ قَالَ" :**نَعَمْ، لَهُ الأَمَانُ.**"

فَلَمَّا انْصَرَفَ، قَالَ ﷺ لِمَنْ حَوْلَهُ:

"**مَا صَمَتُّ إِلَّا لِيَقُومَ إِلَيْهِ بَعْضُكُمْ فَيَضْرِبَ عُنُقَهُ.**"

فَقَالَ أَحَدُ الْأَنْصَارِ:

"**فَهَلَّا أَوْمَأْتَ إِلَيَّ يَا رَسُولَ اللهِ؟**"

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

"**إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِنَبِيٍّ أَنْ تَكُونَ لَهُ خَائِنَةُ أَعْيُنٍ**" . *رواه البخاري ومسلم*

أَي: لَا يَضْمُرُ شَيْئًا فِي نَفْسِهِ، وَيُظْهِرَ لِلنَّاسِ غَيْرَهُ.

وَاعْلَمُوا:

أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ رَأَيْتَهُ عَيْنَاكَ، أَوْ سَمِعْتَهُ أُذُنَاكَ، مِنْ عَوَرَاتِ الْمُسْلِمِينَ، فَهُوَ أَمَانَةٌ فِي عُنُقِكَ.

وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ.

وَمَنْ خَانَ النَّظَرَ، كُشِفَتْ لَهُ الْعَاقِبَةُ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ.

بينَ المَزَاحِ الرَّحِيمِ، وَالخَشْيَةِ العَمِيقَةِ

لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَظًّا وَلَا غَلِيظًا، بَلْ كَانَ لَطِيفًا، رَقِيقًا، يَمْزَحُ وَلَا يَقُولُ إِلَّا حَقًّا، يَضْحَكُ بِوَجْهِ أَصْحَابِهِ، وَيَمْلَأُ قُلُوبَهُمْ سُرُورًا دُونَ أَنْ يَخْرُجَ عَنْ حُدُودِ الْحَقِّ وَالْوَقَارِ.

كَانَ زَاهِرٌ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَعْرَابِيًّا، إِذَا جَاءَ الْمَدِينَةَ أَهْدَى لِرَسُولِ اللهِ ﷺ مِنَ الْبَادِيَةِ، فَكَانَ النَّبِيُّ يُجِلُّهُ وَيَقُولُ:

"زَاهِرٌ بَادِيَتُنَا، وَنَحْنُ حَاضِرَتُهُ".

وَذَاتَ يَوْمٍ رَآهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي السُّوقِ، فَأَتَى مِنْ خَلْفِهِ وَاحْتَضَنَهُ وَهُوَ لَا يَعْرِفُهُ، فَقَالَ زَاهِرٌ:

"مَنْ هَذَا؟ أَتْرُكْنِي"!

فَالْتَفَتَ، فَلَمَّا عَرَفَهُ، أَلْزَقَ ظَهْرَهُ بِصَدْرِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَازِحًا:

"مَنْ يَشْتَرِي هَذَا الْعَبْدَ؟"

فَقَالَ زَاهِرٌ:

"إِذًا تَجِدْنِي كَاسِدًا يَا رَسُولَ اللهِ".

فَقَالَ ﷺ:

"لَكِنَّكَ عِنْدَ اللهِ لَسْتَ بِكَاسِدٍ، بَلْ أَنْتَ عِنْدَ اللهِ غَالٍ". الشمائل للترمذي

وَكَانَ مِزَاحُ النَّبِيِّ ﷺ لَا يَخْرُجُ عَنِ الْحَقِّ.

جَاءَتْهُ عَجُوزٌ تَطْلُبُ الدُّعَاءَ بِدُخُولِ الْجَنَّةِ، فَقَالَ مُمَازِحًا:

"يَا أُمَّ فُلَانٍ، إِنَّ الْجَنَّةَ لَا يَدْخُلُهَا عَجُوزٌ".

فَوَلَّتْ تَبْكِي، فَقَالَ ﷺ:

"أَخْبِرُوهَا أَنَّهَا لَا تَدْخُلُهَا وَهِيَ عَجُوزٌ، إِنَّ اللهَ يَقُولُ:

﴿ إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً • فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا • عُرُبًا أَتْرَابًا ﴾ الواقعة: ٣٥–٣٧

وَلَا يَنْبَغِي أَنْ يُفْهَمَ أَنَّ كُلَّ حَالِهِ ﷺ مَرَحٌ وَضَحِكٌ، بَلْ كَانَ كَثِيرَ الْبُكَاءِ، قَلِيلَ الضَّحِكِ، يُكْثِرُ مِنْ ذِكْرِ الْمَوْتِ وَالْآخِرَةِ، وَيَقُولُ:

"وَاللهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ، لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا، وَمَا تَلَذَّذْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَى الْفُرُشِ".

وَكَانَ ﷺ يُحَذِّرُ مِنَ الْمِزَاحِ الَّذِي يَتَضَمَّنُ كَذِبًا أَوْ بَاطِلًا، فَقَالَ:

"وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ فَيَكْذِبُ لِيُضْحِكَ بِهِ الْقَوْمَ، وَيْلٌ لَهُ، وَيْلٌ لَهُ ". رَوَاهُ أَبُو دَاوُد

فَلَمَّا سُئِلَ عَنْ مِزَاحِهِ، قَالُوا:

"يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّكَ تُدَاعِبُنَا"!

فَقَالَ:

"إِنِّي لَا أَقُولُ إِلَّا حَقًّا ". رَوَاهُ التِّرْمِذِي

اِمْزَحْ وَلَا تَخْرُجْ عَنِ الصِّدْقِ، وَافْرَحْ دُونَ أَنْ تُطْفِئَ نُورَ الْخَشْيَةِ، فَإِنَّ قَلْبَكَ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ بَيْنَ اللهِ وَلِقَائِهِ.

قِصَّةٌ وَعِبْرَةٌ عَنِ الحَسَدِ وَالعَيْنِ مِن سِيرَةِ الصَّحَابَةِ وَالنَّبِيِّ ﷺ

كَانَ الصَّحَابِيُّ **سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ** يَغْتَسِلُ فِي بِئْرٍ بِالمَدِينَةِ، فَرَآهُ الصَّحَابِيُّ **عَامِرُ بْنُ رَبِيعَةَ**، فَأُعْجِبَ بِجَمَالِ بَشَرَتِهِ وَبَيَاضِ جِلْدِهِ، وَقَالَ كَلَامًا يُعَبِّرُ عَنْ شِدَّةِ إِعْجَابِهِ دُونَ أَنْ يَذْكُرَ **البَرَكَةَ**.

فَمَا هِيَ إِلَّا لَحَظَاتٌ حَتَّى **صُرِعَ سَهْلٌ**، وَسَقَطَ مَرِيضًا لَا يَسْتَطِيعُ القِيَامَ، مِنْ أَثَرِ **العَيْنِ**.

فَأُتِيَ بِخَبَرِهِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقِيلَ لَهُ: "**أَدْرِكْ سَهْلًا صَرِيعًا**"!

فَقَالَ ﷺ: "**مَنْ تَتَّهِمُونَ؟**"
قَالُوا" :**عَامِرَ بْنَ رَبِيعَةَ**".

فَغَضِبَ النَّبِيُّ ﷺ وَقَالَ:

"عَلَامَ يَقْتُلُ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ؟! إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مِنْ أَخِيهِ مَا يُعْجِبُهُ، فَلْيَدْعُ لَهُ بِالبَرَكَةِ"!

ثُمَّ أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ **عَامِرًا** أَنْ **يَتَوَضَّأَ**، وَيَغْسِلَ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ إِلَى المِرْفَقَيْنِ، وَرُكْبَتَيْهِ، وَدَاخِلَةَ إِزَارِهِ، ثُمَّ صَبُّوا ذَلِكَ المَاءَ عَلَى سَهْلٍ مِنْ خَلْفِهِ، فَشُفِيَ **فَوْرًا**، وَعَادَ إِلَى حَالِهِ كَأَنْ لَمْ يُصَبْ بِشَيْءٍ. أحمد وابن ماجه

كَمْ مِنَ النَّاسِ اليَوْمَ نَرَاهُمْ **يَحْسِدُونَ إِخْوَانَهُمْ** عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ،
فَيُؤْذُونَهُمْ بِأَعْيُنِهِم، فَيَقْعُدُونَهُمْ مَرْضَى،
أَوْ يُحَطِّمُونَ أَحْوَالَهُمْ دُونَ قَصْدٍ ظَاهِرٍ، **نَتِيجَةً لِحَسَدٍ دَفِينٍ!**

وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:"
العَيْنُ حَقٌّ، وَلَوْ كَانَ شَيْءٌ سَابِقًا القَدَرَ، لَسَبَقَتْهُ العَيْنُ". رَوَاهُ مُسْلِم

وَعَنْهُ ﷺ أَيْضًا:
العَيْنُ حَقٌّ، تُدْخِلُ الرَّجُلَ القَبْرَ، وَتُدْخِلُ الجَمَلَ القِدْرَ، وَإِنَّ أَكْثَرَ هَلَاكِ أُمَّتِي فِي العَيْنِ". رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ

وَقَدْ نَهَانَا النَّبِيُّ ﷺ عَنِ **الحَسَدِ** فِي أَحَادِيثَ كَثِيرَةٍ، مِنْهَا قَوْلُهُ:
"لَا يَجْتَمِعُ فِي جَوْفِ عَبْدٍ الإِيمَانُ وَالحَسَدُ". *رَوَاهُ النَّسَائي*
أَي إنّه لا يكتمِلُ إيمانُ مَن كان عِندَه حسَدٌ لغيرِه

قال ﷺ" :لا تَباغَضوا، ولا تَحاسَدوا". *البخاري ومسلم*

وقال ﷺ" :إيّاكم والحَسَدَ، فإنَّ الحَسَدَ يأكُلُ الحَسَناتِ كما تأكُلُ النّارُ الحَطَبَ" *رواه أبو داود*

ولعلّ دواء الحَسَدِ ما قاله ﷺ: **"لا يُؤمِنُ أحدُكم حتى يُحبَّ لأخيهِ ما يُحبُّ لنفسِه"** *متفق عليه*

وقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
"انْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ، فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ". *رَوَاهُ مُسْلِم*

هذا فِي أُمُورِ الدُّنْيَا :تَأَمَّلْ مَنْ هُوَ أَقَلُّ مِنْكَ لِتَشْكُرَ اللَّهَ.
وَأَمّا فِي أُمُورِ الآخِرَةِ :انْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ أَسْبَقُ مِنْكَ فِي الطَّاعَةِ، لِتَجْتَهِدَ وَتَلْحَقَ.

وَأَمَرَنَا اللَّهُ تَعَالَى بِالاسْتِعَاذَةِ مِنْ شَرِّ الحَسَدِ، فَقَالَ:
﴿ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ *الفَلَق: ٥*

فإِذَا رَأَيْتَ شَيْئًا يُعْجِبُكَ، فَقُلْ: **"مَا شَاءَ اللَّهُ، تَبارَكَ اللَّهُ، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُ"**،
فَبِذَلِكَ تَحْفَظُ غَيْرَكَ وَتَحْفَظُ نَفْسَكَ،
وَتُؤْجَرُ عَلَى طِيبِ قَلْبِكَ وَسَلَامَةِ صَدْرِكَ.

عن الرَّحمَةِ والتَّيسيرِ على الناسِ

أَخبَرَنَا النَّبيُّ ﷺ عن رَجُلٍ لَمْ يَكُن يُكْثِرُ من الطَّاعاتِ والعِباداتِ،
لَكِنَّه كان مُسلِمًا مُوَحِّدًا باللهِ،
وكان يَعمَلُ بالتِّجارَةِ ويُعْطِي الناسَ أَمْوالًا على سَبيلِ الدَّيْنِ (القَرْضِ).

وكان هذا الرَّجُل إذا أَرْسَل خادِمَه ليُطالِب الناسَ بسَدادِ الدَّيْنِ، يوصيَه بالرفقِ واللِّينِ، ويقولُ له:
"إذا وَجدتَ أحَدًا لا يَسْتَطيعُ الدَّفْعَ، فَسامِحْه، وخُذْ مِنْه ما يَسْتَطيعُ فَقَطْ، وتَجاوَزْ عَنْه، لَعَلَّ اللهَ يرحمُنا ويَغفِرُ لنا".

فَلَمَّا تُوُفِّيَ هذا الرَّجُل، سأَلَه اللهُ يومَ القِيامةِ:
"هل فَعَلتَ خَيْرًا في حياتِكَ؟"
فقالَ الرَّجُلُ:
"لا يا رَبِّ، إلَّا أنِّي كُنتُ أُيَسِّرُ على الناسِ وأتَجاوَزُ عنهم".
فقالَ اللهُ له:
"أنا أَحَقُّ بالتَّجاوُزِ، قد غَفَرْتُ لك". *أخرجه البخاري*

وقد قالَ رسولُ الله ﷺ:
"ومن يُيَسِّرْ على معسِرٍ، يُيَسِّرُ اللهُ عليه في الدُّنيا والآخرةِ". *البخاري ومسلم*

إنَّ التَّيسيرَ على الناسِ في الدُّيونِ، ومسامحةَ المعسرين، ومُساعدتَهم
مِن مكارمِ الأخلاقِ وخصالِ الإسلامِ العظيمةِ،
لَكِنَّها ـ للأسفِ ـ قلّما تُرى عندَ كثيرٍ مِنَ الميسورين، وخاصةً بعضِ التُّجّارِ.

فبعضُهم إذا دايَنَ أحَدًا، ثم جاء وقتُ السَّدادِ ولم يَتمكَّنِ المدينُ مِن الدَّفعِ، تراه يَغضبُ ويَثورُ، ويُشهِرُ به، وربَّما يُطالِبُ بسَجنه!

فأينَ هؤلاء من قولِ النبيّ ﷺ:

"من أنظرَ معسِرًا أو وضعَ عنه، أَظَلَّه اللهُ في ظِلّه ". رواه مسلم

وهنا لا نَقصِدُ بهذا الحديثِ تشجيعَ الناسِ على المماطلةِ في سدادِ الحُقوقِ،
ولا التماسَ الأعذارِ لمن يملك المال ويُؤخِّرُ السدادَ عمدًا، **فهذا ظلمٌ واضح.**

وإنَّما الحديثَ عن نوعين من الناس:

١. **المُعسِرُونَ الفُقَراءُ** الَّذِينَ اسْتَدَانُوا أوِ اشْتَرَوْا بِالآجِلِ، لَكِنَّهُمْ عَجَزُوا عَنِ السَّدادِ لِضِيقِ الحالِ.
٢. **والرُّحَماءُ الكُرَماءُ** مِن أَصْحابِ القُلُوبِ الطَّيِّبَةِ، الَّذِينَ سَخَّرَهُمُ اللهُ عَوْنًا لِلْفُقَرَاءِ والمحْتَاجِينَ، يُواسُونَ الضَّعِيفَ، ويَغْفِرُونَ لِلْمُعْسِرِ، **ويَكُونُونَ سَبَبًا فِي تَفْرِيجِ الكُرُبِ.**

هؤلاء هم خيرُ الخلق للخلق، وأحبُّ الناسِ إلى الله.

قال رسول الله ﷺ:

"أحبُّ الناسِ إلى اللهِ أنفعُهم للناسِ" . رواه الطبراني

فكن من أهل الرحمة، تكن من أهل المغفرة.

الْعِبَادَةُ الْحَقِيقِيَّةُ وَأَثَرُهَا فِي السُّلُوكِ وَالأَخْلَاقِ

قِيلَ لِلنَّبِيِّ ﷺ:

"يَا رَسُولَ اللهِ! إِنَّ فِلَانَةَ تَقُومُ اللَّيْلَ، وَتَصُومُ النَّهَارَ، وَتَفْعَلُ، وَتَتَصَدَّقُ، وَلَكِنَّهَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا".

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

"لَا خَيْرَ فِيهَا، هِيَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ". رواه مسلم

لِأَنَّ العِبَادَةَ الحَقَّةَ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ لَهَا أَثَرٌ فِي نَفْسِ صَاحِبِهَا وَسُلُوكِهِ.

قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ العنكبوت: ٤٥

وَأَمَّا الصِّيَامُ، فَقَدْ وَرَدَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ:

"إِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَصْخَبْ، فَإِنْ سَابَهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ: إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ". رواه البخاري ومسلم

وَأَمَّا الزَّكَاةُ، فَقَالَ اللهُ تَعَالَى:

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ التوبة: ١٠٣

فَهِيَ فِي أَصْلِهَا تَطْهِيرٌ لِلنَّفْسِ مِنَ الْبُخْلِ وَالشُّحِّ، وَتَعْوِيدٌ لِلنَّفْسِ عَلَى السَّخَاءِ وَالْجُودِ، وَالشُّعُورِ بِأَزْمَاتِ النَّاسِ.

وَأَمَّا الْحَجُّ، فَقَالَ اللهُ تَعَالَى:

﴿فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾. البقرة: ١٩٧

هَذِهِ الْعِبَادَاتُ تَلْتَقِي عِنْدَ الْغَايَةِ الَّتِي رَسَمَهَا الرَّسُولُ ﷺ بِقَوْلِهِ:

"إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ". رواه البخاري

فَالْعِبَادَةُ لَيْسَتْ مُجَرَّدَ جُلُوسٍ فِي الْمَسْجِدِ وَتَسْبِيحٍ، أَوْ مَظْهَرٍ نَتَقَمَّصُهُ أَمَامَ الْآخَرِينَ، بَلْ هِيَ مَنْهَجُ عَمَلٍ وَحَيَاةٍ.

فَالْإِنْسَانُ الْمُتَدَيِّنُ يَفْهَمُ الْحَيَاةَ فَهْمًا صَحِيحًا،
فَيَسْعَى لِلْحَقِّ فِي الدُّنْيَا، وَيَنَالُ الْآخِرَةَ بِالسَّعْيِ لَهَا،
فَلَا يَغْلِبُهُ حُبُّ الدُّنْيَا، وَلَا يَأْخُذُهُ الْهَوَسُ الدِّينِيُّ.

هُوَ فِي الْوَقْتِ ذَاتِهِ بَطَلُ جِهَادٍ، وَحَلِيفُ مِحْرَابٍ، وَإِذَا كَانَ غَنِيًّا فَهُوَ مُتَوَاضِعٌ.

وَأَسْمَى صِفَاتِهِ:
أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ، خَاشِعًا فِي صَلَاتِهِ، مُعْرِضًا عَنِ اللَّغْوِ،
مُؤَدِّيًا لِزَكَاتِهِ، غَاضًّا لِبَصَرِهِ، حَافِظًا لِأَمَانَاتِهِ، وَفِيًّا بِعَهْدِهِ،
مُجَاهِدًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَمُبْتَعِدًا عَنْ أَذِيَّةِ الْمُسْلِمِينَ.

قَالَ تَعَالَى:
﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ المائدة: ٢٧

الأمانة.. خُلُقٌ إيمانيٌّ أَصِيل

دَخَلَ النَّبِيُّ **مُحَمَّدٌ** ﷺ **مَكَّةَ فَاتِحًا**، وَمَعَهُ جُيُوشُ الْإِسْلَامِ، **دُونَ قِتَالٍ يُذْكَرُ**،
تَوَاضُعًا لِلَّهِ وَشُكْرًا عَلَى نَصْرِهِ.

تَوَجَّهَ ﷺ إِلَى **الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ**، وَطَلَبَ **مِفْتَاحَ الْكَعْبَةِ** لِيُصَلِّيَ فِيهَا.
وَكَانَ الْمِفْتَاحُ آنَذَاكَ مَعَ **عُثْمَانَ بْنِ طَلْحَةَ** مِنْ **بَنِي شَيْبَةَ**،
الَّذِينَ كَانُوا يَتَوَارَثُونَ **سِدَانَةَ الْكَعْبَةِ** (*خِدْمَتَهَا وَفَتْحَهَا وَإِغْلَاقَهَا*) مُنْذُ الْجَاهِلِيَّةِ.

ذَهَبَ بَعْضُ الصَّحَابَةِ إِلَى عُثْمَانَ، وَأَخَذُوا الْمِفْتَاحَ مِنْهُ **عُنْوَةً**،
وَطَلَبَ **الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ** –عَمُّ النَّبِيِّ ﷺ– أَنْ تُجْمَعَ لَهُ **السِّقَايَةُ وَالسِّدَانَةُ**.

دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ الْكَعْبَةَ، فَصَلَّى فِيهَا، ثُمَّ خَرَجَ،
فَتَنَزَّلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ، وَجَاءَ **جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ** بِهَذِهِ الْآيَةِ:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾ *النساء: ٥٨*

فَأَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِرَدِّ الْمِفْتَاحِ إِلَى **عُثْمَانَ بْنِ طَلْحَةَ**، وَدَعَاهُ، وَقَالَ لَهُ:

"خُذُوهَا يَا بَنِي أَبِي طَلْحَةَ، خَالِدَةً تَالِدَةً، لَا يَنْزِعُهَا مِنْكُمْ إِلَّا ظَالِمٌ ". *رواه الطبراني*

وَهَكَذَا أُعِيدَ الْمِفْتَاحُ إِلَى صَاحِبِهِ، فِي **دَرْسٍ خَالِدٍ فِي الْأَمَانَةِ وَالْعَدْلِ**،
رَغْمَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُهْدِيَهُ لِمَنْ شَاءَ.
لَكِنَّهُ ﷺ أَرَادَ أَنْ يُرَسِّخَ **مَبْدَأً عَظِيمًا:**

"الْأَمَانَاتُ تُرَدُّ إِلَى أَهْلِهَا، وَلَوْ كَانُوا فِي الْأَمْسِ أَعْدَاءً".

وَمُنْذُ ذَلِكَ الْيَوْمِ، بَقِيَتْ **سِدَانَةُ الْكَعْبَةِ فِي بَنِي شَيْبَةَ** –أَبْنَاءُ عُثْمَانَ بْنِ طَلْحَةَ–
تَنْفِيذًا **لِوَصِيَّةِ النَّبِيِّ** ﷺ،
وَهِيَ لَا تَزَالُ فِيهِمْ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا، **شَاهِدًا حَيًّا عَلَى عَظَمَةِ خُلُقِ الْأَمَانَةِ فِي الْإِسْلَامِ**.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **أَلَا إِنَّهُ لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ، وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ**". رَوَاهُ أَحْمَدُ

الْأَمَانَةُ هِيَ **شُعُورٌ بِالْمَسْؤُولِيَّةِ** تِجَاهَ مَا وُكِّلَ إِلَيْكَ، وَتَشْمَلُ:

أَوَّلًا: أَمَانَةٌ مَعَ اللَّهِ: الصَّلَاةُ، الْوُضُوءُ، الْغُسْلُ مِنَ الْجَنَابَةِ...
كُلُّهَا **عُهُودٌ وَأَمَانَاتٌ** بَيْنَ الْعَبْدِ وَرَبِّهِ، لَا يُفَرِّطُ فِيهَا إِلَّا مُضَيِّعٌ لِعَهْدِ اللَّهِ.

ثَانِيًا: أَمَانَةٌ مَعَ الْأُمَّةِ: قَضَايَا كُبْرَى كَ **تَحْرِيرِ فِلَسْطِين، وَإِطْلَاقِ الْأَسْرَى، وَإِقَامَةِ دَوْلَةِ الْإِسْلَامِ**، هِيَ **أَمَانَاتٌ فِي أَعْنَاقِ الْمُسْلِمِينَ جَمِيعًا**، وَتَرْكُهَا **تَفْرِيطٌ فِي وَاجِبٍ شَرْعِيٍّ**.

ثَالِثًا: أَمَانَةٌ مَعَ النَّاسِ: رِعَايَةُ الْيَتِيمِ، تَرْبِيَةُ الْأَبْنَاءِ، نَشْرُ الْعِلْمِ، حِفْظُ الْمَالِ الْعَامِّ، الْوَفَاءُ بِالْعُقُودِ، رَدُّ الْوَدَائِعِ إِلَى أَصْحَابِهَا.

كُلُّهَا مِنْ **صُوَرِ الْأَمَانَةِ** الَّتِي شَدَّدَ الشَّرْعُ عَلَى الْوَفَاءِ بِهَا، وَتَضْيِيعُهَا مِنْ **عَلَامَاتِ السَّاعَةِ**.

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **أَوَّلُ مَا يُرْفَعُ مِنَ النَّاسِ الْأَمَانَةُ، وَآخِرُ مَا يَبْقَى فِيهِمُ الصَّلَاةُ، وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ وَإِنْ صَلَّى**". رَوَاهُ أَحْمَدُ

فالْأَمَانَةُ لَيْسَتْ فَقَطْ مِفْتَاحًا لِلْكَعْبَةِ، بَلْ هِيَ مِفْتَاحُ الْإِيمَانِ ذَاتُهُ.
ومَنْ ضَيَّعَهَا، ضَيَّعَ الدِّينَ وَالدُّنْيَا.

قَالَ ﷺ:

"أَرْبَعٌ إِذَا كُنَّ فِيكَ فَلَا عَلَيْكَ مَا فَاتَكَ مِنَ الدُّنْيَا:
حِفْظُ الْأَمَانَةِ، وَصِدْقُ الْحَدِيثِ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ، وَعِفَّةٌ فِي الْمَطْعَمِ". رَوَاهُ أَحْمَدُ

في الصحراءِ... يتجلّى الإيمانُ

رُوِيَ أنَّ **ابنَ عمرَ** رضي اللهُ عنهما كان في سَفَرٍ مع **عبدِ الرّحمنِ بنِ عوف** رضي اللهُ عنه،
فنزلا عند **أعرابيٍّ** يرعى الغنمَ في البادية،
فاستسقياه، ثم استطعماه، فقال الأعرابيُّ:
"**إنِّي مُؤتَمَنٌ على الغنمِ، وقد أَذِنَ لي صاحبُها أن أَسقيَ منهما،**
ولم يأذنْ لي أن أُطعِم".

قال ابنُ عمر:
"**فأحببتُ أن أختبرَ الرّجل، فقلتُ له:**
قُلْ لسيّدِك: أكلَها الذئبُ، ونحنُ نَدفعُ لك ثمنَها"!

فغَضِبَ الرَّجلُ، واحمرَّ وجهُه، وصرخَ في وجهِ ابنِ عمر:
"**وَيْحَكَ يا رَجُل! فأَيْنَ الله؟! فأَيْنَ الله؟**"!

فقال ابنُ عمر:
"**فما زلتُ أسألُ اللهَ أن يَحشرَني مع هذا الرّاعي**"! *رواه ابنُ عساكر*

وعن **أبي هريرة** رضي اللهُ عنه، عن النّبيِّ ﷺ قال:

"**اشْتَرَى رَجُلٌ مِن رَجُلٍ عَقَارًا**، فَوَجَدَ الَّذِي اشْتَرَى الْعَقَارَ فِي عَقَارِهِ جَرَّةً فِيهَا ذَهَبٌ،
فَقَالَ لَهُ: خُذْ ذَهَبَكَ، إِنَّمَا اشْتَرَيْتُ مِنكَ الْأَرْضَ، وَلَمْ أَبْتَعْ مِنكَ الذَّهَبَ.
وَقَالَ الَّذِي لَهُ الْأَرْضُ: إِنَّمَا بِعْتُكَ الْأَرْضَ وَمَا فِيهَا.
فَتَحَاكَمَا إِلَى رَجُلٍ، فَقَالَ: أَلَكُمَا وَلَدٌ؟
قَالَ أَحَدُهُمَا: لِي غُلَامٌ،
وَقَالَ الآخَرُ: لِي جَارِيَةٌ.
قَالَ: أَنْكِحُوا الْغُلَامَ الْجَارِيَةَ، وَأَنْفِقُوا عَلَى أَنْفُسِهِمَا مِنْهُ، وَتَصَدَّقَا". *رواه البخاري ومسلم*

وكأنَّه توقَّع أن يُخرِجَ اللهُ مِن صُلبِ هذينِ الرّجلينِ التقيَّينِ **ذُرِّيَّةً طيّبةً مباركةً**،
فحَكَمَ بتزويجِ ابنةِ هذا على ولدِ ذاك،
وجعلَ المالَ **مَهرًا** و**نفقةً** و**تصدُّقًا**.

قال رسولُ اللهِ ﷺ:
"**أربعٌ إذا كُنَّ فيكَ، فلا عليكَ ما فاتَكَ منَ الدنيا:**
. حِفْظُ أمانة
. وصِدقُ حديث
. وحُسنُ خُلق
. وعفّةٌ في طُعمة". رواه أحمد والبيهقي

عفّةٌ في طُعمة :أي الكسبُ الحلالُ، والزُّهدُ في الحرام، ولو كان يسيرًا.

فهؤلاء هم **أهلُ الصّدقِ والورعِ والإخلاص**،
لا يبيعون آخرتهم بعَرَضٍ من الدنيا،
ولا يُبدّلون الحقَّ بالمصلحة.

المُسْتَشَارُ مُؤْتَمَنٌ

كانَ النَّبِيُّ ﷺ إذا أُهْدِيَ إِلَيْهِ شَيْءٌ، أَعْطَى مِثْلَهُ أَوْ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، وُفَاءً وَكَرَمًا وَطِيبَ خُلُقٍ.

فَلَمَّا أَكْرَمَهُ أَبُو الهَيْثَمِ الأَنْصَارِيُّ، وَذَبَحَ لَهُ جَدِيًّا،

وَأَطْعَمَهُ هُوَ وَأَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أَرَادَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يُكَافِئَهُ،

فَأَرَادَ أَنْ يُعْطِيهِ عَبْدًا يَخْدِمُهُ مِنْ بَيْنِ مَنْ جَاءَهُ مِنَ السَّبْيِ.

فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: "اخْتَرْ يَا أَبَا الهَيْثَمِ".

فَقَالَ: "يَا نَبِيَّ اللهِ! اخْتَرْ لِي".

فَقَالَ ﷺ: "إِنَّ المسْتَشَارَ مُؤْتَمَنٌ." *رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ*

أَي: إِنَّ المشُورَةَ أَمَانَةٌ، لا يُشِيرُ العَاقِلُ عَلَى أَخِيهِ إِلَّا بِمَا يُحِبُّهُ لِنَفْسِهِ.

فَقَالَ لَهُ ﷺ: "خُذْ هذَا، فَإِنِّي رَأَيْتُهُ يُصَلِّي، وَاسْتَوْصِ بِهِ خَيْرًا".

وَكَانَتِ امْرَأَةُ أَبِي الهَيْثَمِ تَقِيَّةً صَالِحَةً، فَقَالَتْ لَهُ:

"مَا أَنْتَ بِبَالِغٍ مَا قَالَ فِيهِ النَّبِيُّ ﷺ، إِلَّا أَنْ تُعْتِقَهُ".

فَأَخَذَ بِنَصِيحَتِهَا، وَأَعْتَقَ العَبْدَ،

فَكَانَ ذَلِكَ بُرْهَانَ تَقْوَاهُمَا جَمِيعًا.

فَلَمَّا بَلَغَ النَّبِيَّ ﷺ مَا كَانَ مِنْ أَبِي الهَيْثَمِ وَزَوْجَتِهِ، قَالَ:

"إِنَّ اللهَ لَمْ يُبْعَثْ نَبِيًّا وَلَا خَلِيفَةً إِلَّا وَلَهُ بِطَانَتَانِ:

بِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالمعْرُوفِ وَتَنْهَاهُ عَنِ المنكَرِ،

وَبِطَانَةٌ لا تَأْلُوهُ خِبَالًا." *رَوَاهُ ابْنُ مَاجَه*

أَي: لا تَقْصُرُ فِي إِفْسَادِهِ، وَإِضْلَالِهِ.

ثُمَّ قَالَ ﷺ:

"وَمَن يُوقَ بِطَانَةَ السُّوءِ، فَقَدْ وُقِيَ".

أَي: حُفِظَ مِنَ البَلَاءِ، وَنُجِّيَ مِنَ الشُّرُورِ.

وَحَذَّرَ ﷺ مِنَ الخِيَانَةِ فِي النَّصِيحَةِ، فَقَالَ:

"وَمَن أَشَارَ عَلَى أَخِيهِ بِأَمْرٍ يَعْلَمُ أَنَّ الرُّشْدَ فِي غَيْرِهِ، فَقَدْ خَانَهُ." *رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ*

وَمِنْ وَصِيَّةِ الوَدَاعِ... لِلزَّمَنِ بَعْدَهُ ﷺ

سَأَلَهُ الصَّحَابِيُّ الجَلِيلُ ذُو الأَصَابِعِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

"يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِ ابْتُلِينَا بِالبَقَاءِ بَعْدَكَ، فَمَا تَأْمُرُنَا؟"

فَقَالَ ﷺ:

"**عَلَيْكَ بِبَيْتِ المَقْدِسِ، لَعَلَّ اللهَ أَنْ يَرْزُقَكَ ذُرِّيَّةً تَغْدُو إِلَيْهِ وَتَرُوحُ**." *رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الكَبِيرِ*

- المِسْتَشَارُ مُؤْتَمَنٌ... فَلَا تَخُنْ مَن وَثِقَ بِرَأْيِكَ.
- وَالبَطَانَةُ إِمَّا سَبِيلُ نَجَاةٍ، أَوْ طَرِيقُ هَلَاكٍ.
- وَالزَوجَةُ الصَّالِحَةُ مِفْتَاحُ خَيْرٍ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ.
- وَالنَّبِيُّ ﷺ لا يُغْفِلُ حَتَّى أَدَقَّ مَعَانِي الصَّلَاحِ... **فَيُوْصِي وَيُرْشِدُ فِي كُلِّ مَقَامٍ.**

النُّورُ يَأْتِي عَلَى يَدِ نَاصِحَةٍ

كانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ رَجُلٌ فَقِيهٌ عَابِدٌ، لَهُ زَوْجَةٌ يُحِبُّهَا حُبًّا عَظِيمًا،
فَلَمَّا مَاتَتْ،
حَزِنَ عَلَيْهَا حُزْنًا شَدِيدًا، وَانْقَطَعَ عَنِ النَّاسِ،
وَأَغْلَقَ عَلَى نَفْسِهِ بَابَهُ، لَا يَدْخُلُ عَلَيْهِ أَحَدٌ.
فَسَمِعَتْ بِهِ امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ،
فَجَاءَتْ لِتُوَاسِيهِ بِحِكْمَةٍ رَقِيقَةٍ.
قَالَتْ:
"**إِنَّ لِي حَاجَةً أَسْتَفْتِيكَ فِيهَا**".
فَأَذِنَ لَهَا، فَقَالَتْ:
"إِنِّي اِسْتَعَرْتُ مِنْ جَارَةٍ لِي حُلِيًّا،
فَكُنْتُ أَلْبَسُهُ زَمَانًا،
ثُمَّ إِنَّهُمْ طَلَبُوهُ مِنِّي، أَفَأَرُدُّهُ إِلَيْهِمْ؟"
قَالَ: "نَعَمْ وَاللَّهِ، هُوَ حَقُّهُمْ".
قَالَتْ: "لَقَدْ مَكَثَ عِنْدِي طَوِيلًا"!
قَالَ: "ذَلِكَ أَدْعَى لِرَدِّهِ إِلَيْهِمْ".
فَقَالَتْ: "يَرْحَمُكَ اللَّهُ!
أَفَتَأَسَّفُ عَلَى مَا أَعَارَكَ اللَّهُ، ثُمَّ أَخَذَهُ مِنْكَ، وَهُوَ أَحَقُّ بِهِ مِنْكَ؟"
فَعَلِمَ مَا كَانَتْ تَرْمِي إِلَيْهِ، وَانْكَشَفَ عَنْهُ الغَمُّ، وَنَفَعَهُ اللَّهُ بِكَلِمَاتِهَا.
إِنَّهَا التَّوَاصِي.
قَالَ اللهُ تَعَالَى:
﴿ وَالْعَصْرِ ﴾ ﴿إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴾﴿ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ (العصر: ١-٣)
فَكُلُّ إِنْسَانٍ مُعَرَّضٌ لِبَلِيَّةٍ نَازِلَةٍ، أَوْ لِنِعْمَةٍ زَائِلَةٍ، أَوْ لِمَنِيَّةٍ قَاتِلَةٍ،
فِي كُلِّ يَوْمٍ نَتَعَرَّضُ لِهَذَا.

وَهُنَا يَأْتِي دَوْرُ التَّوَاصِي وَالتَّنَاصُحِ،

فَالْمُعَافَى يُوَصِّي الْمُبْتَلَى، وَقَوِيُّ الإِيمَانِ يُوَصِّي الْمُنْتَكِبَ وَالْمُقَصِّرَ،

تَوَاصِيًا لَا تَشْهِيرًا، وَتَنَاصُحًا لَا تَفَاضُحًا.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

"**الْمُؤْمِنُ مِرْآةُ الْمُؤْمِنِ، وَالْمُؤْمِنُ أَخُو الْمُؤْمِنِ**".

"**وَالدِّينُ النَّصِيحَةُ.**" رَوَاهُ مُسْلِمٌ

إِذَا كَانَ فِي قَلْبِكَ نُورٌ، فَابْحَثْ عَنْ قَلْبٍ مَكْسُورٍ،

فَرُبَّ كَلِمَةٍ رَقِيقَةٍ تُخْرِجُ رُوحًا مِنْ سِجْنِ الْحُزْنِ،

وَتَفْتَحُ لَهَا أَبْوَابَ الأَمَلِ وَالرِّضَا.

القُلُوبُ المُخَمَّمَةُ

كانَ إِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ أَعْوَرَ العَيْنِ،
وَكانَ تِلْمِيذُهُ سُلَيْمانُ بْنُ مِهْرَانَ، المَعْرُوفُ بِـ "الأَعْمَشِ"، ضَعِيفَ البَصَرِ.
قَالَ ابْنُ الجَوْزِيّ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ:
سَارَا ذَاتَ يَوْمٍ فِي أَحَدِ طُرُقَاتِ الكُوفَةِ يُرِيدَانِ المَسْجِدَ الجَامِعَ، وَبَيْنَمَا هُمَا يَسِيرَانِ،
قَالَ الإِمَامُ النَّخَعِيُّ لِتِلْمِيذِهِ:
"يَا سُلَيْمَانُ، هَلْ لَكَ أَنْ تَأْخُذَ طَرِيقًا، وَآخُذَ أَنَا طَرِيقًا آخَرَ؟
فَإِنِّي أَخْشَى إِنْ مَرَرْنَا مَعًا بِسُفَهَائِهَا أَنْ يَقُولُوا:
"أَعْوَرٌ يَقُودُ أَعْمَشَ"!
فَيَغْتَابُونَا وَيَأْثَمُوا".

فَقَالَ الأَعْمَشُ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ:
"يَا أَبَا عِمْرَانَ، وَمَا عَلَيْكَ أَنْ نُؤْجَرَ وَيَأْثَمُوا؟"!
فَأَجَابَهُ الإِمَامُ النَّخَعِيُّ:
"يَا سُبْحَانَ اللهِ!
بَلْ نَسْلَمُ وَيَسْلَمُونَ، خَيْرٌ مِنْ أَنْ نُؤْجَرَ وَيَأْثَمُوا"!

فَهَكَذَا كَانَتْ قُلُوبُ الصَّالِحِينَ، رَحِيمَةً، نَقِيَّةً، خَالِيَةً مِنَ الغِلِّ،
تُرَاعِي أَحْوَالَ النَّاسِ، وَتَخْشَى أَنْ تَكُونَ سَبَبًا فِي ذَنْبِ أَحَدٍ، وَلَوْ عَنْ غَيْرِ قَصْدٍ!

قَالَ ﷺ:
"لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ". متفق عليه

وَعُدَّ هَذَا الخُلُقُ مِنْ أَفْضَلِ الإِيمَانِ، لِأَنَّهُ خُلُقُ القَلْبِ المُحِبِّ، السَّلِيمِ، المُتَطَهِّرِ مِنَ الأَذَى.

وَجَاءَ فِي الحَدِيثِ الشَّرِيفِ:
"يَدْخُلُ الجَنَّةَ أَقْوَامٌ أَفْئِدَتُهُمْ مِثْلُ أَفْئِدَةِ الطَّيْرِ". رواه مسلم

أَيْ: أَفْئِدَةٌ سَلِيمَةٌ مِنَ الذُّنُوبِ، رَقِيقَةٌ، مُتَوَكِّلَةٌ عَلَى اللهِ،
لَا تَعْرِفُ الغَدْرَ وَلَا الحِقْدَ،
كَمَا أَنَّ الطَّيْرَ يَخْرُجُ خِمَاصًا (أَيْ: جَائِعًا)،
وَيَعُودُ بِطَانًا (أَيْ: شَبْعَانًا)، مُتَوَكِّلًا عَلَى رَبِّهِ.

وَقَالَ ﷺ:
"خَيْرُ النَّاسِ ذُو القَلْبِ المَخْمُومِ وَاللِّسَانِ الصَّادِقِ".
قِيلَ: وَمَا القَلْبُ المخْمُومُ؟
قَالَ:
"هُوَ التَّقِيُّ النَّقِيُّ، لَا إِثْمَ فِيهِ، وَلَا بَغْيَ، وَلَا حَسَدَ". رواه ابن ماجه

هَؤُلَاءِ هُمْ أَهْلُ القُلُوبِ البَيْضَاءِ،
قُلُوبٌ تُضِيءُ، تُسَامِحُ، تُنَقِّي الجَوَّ مِنَ الغِلِّ وَالحَسَدِ.

وَقَدْ وَصَفَ اللهُ أَهْلَ الإِيمَانِ الكَامِلِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى:
﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ سورة الحشر: ١٠

ما رأيتُ أعقلَ منهُ"!

رُوِيَ أنَّ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ كَانَ كَاتِبَ الوَحْيِ، وَفَقِيهًا فِي الصَّحَابَةِ،
كَانَ لَهُ دَوْرٌ عَظِيمٌ بَعْدَ وَفَاةِ النَّبِيِّ ﷺ فِي جَمْعِ القُرْآنِ الكَرِيمِ.
حِينَ اجْتَمَعَ الصَّحَابَةُ بِرِيَاسَةِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ
وَكَلَّفَ زَيْدًا بِجَمْعِ القُرْآنِ،
قَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ:
"إِنَّكَ شَابٌّ عَاقِلٌ، لَا نَتَّهِمُكَ، وَقَدْ كُنْتَ تَكْتُبُ الوَحْيَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ،
فَتَتَبَّعِ القُرْآنَ وَاجْمَعْهُ ". *رواه البخاري ومسلم*

فَأَجَابَ زَيْدٌ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ:
"وَاللهِ لَوْ كَلَّفُونِي نَقْلَ جَبَلٍ مِنَ الجِبَالِ، مَا كَانَ أَثْقَلَ عَلَيَّ مِمَّا أَمَرْتُمُونِي بِهِ ". *رواه البخاري ومسلم*

لَكِنَّهُ قَبِلَ التَّكْلِيفَ وَأَظْهَرَ رَجَاحَةَ عَقْلِهِ وَتَثَبُّتَهُ،
فَلَمْ يَكُنْ يَكْتُبُ آيَةً حَتَّى يَشْهَدَ رَجُلَانِ بِأَنَّهَا مِنْ كِتَابِ اللهِ.
تَابَعَ تَتَبُّعَ القُرْآنِ آيَةً آيَةً حَتَّى جَمَعَهُ كَامِلًا،
وَكَانَ ذَلِكَ مِنْ أَعْظَمِ أَعْمَالِهِ، وَدَلِيلًا عَلَى فِطْنَتِهِ وَرُجْحَانِ عَقْلِهِ.

- **فِي المَاضِي: عَظَمَةُ الفَهْمِ وَالعَقْلِ كَانَتْ وَاضِحَةً عِندَ الصَّحَابَةِ.**
- **فِي الحَاضِرِ: نَعِيشُ فِي زَمَنِ تَرَاجُعِ العَقْلِ وَنَزْعِ الفَهْمِ.**

جَاءَ فِي الحَدِيثِ الشَّرِيفِ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ:
"إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ الهَرْجَ".
قَالُوا: وَمَا الهَرْجُ؟ قَالَ" :**القَتْلُ"**.
قَالُوا: أَكْثَرُ مِمَّا نَقْتُلُ؟ نَحْنُ نَقْتُلُ فِي العَامِ الوَاحِدِ مِنَ المشْرِكِينَ كَذَا وَكَذَا.
قَالَ" :**إِنَّهُ لَيْسَ بِقَتْلِكُمُ المُشْرِكِينَ، وَلَكِنْ قَتْلُ بَعْضِكُمْ بَعْضًا"**.
قَالُوا: وَمَعَنَا عُقُولُنَا يَوْمَئِذٍ؟
قَالَ" :**إِنَّهُ لَتُنْزَعَ عُقُولُ أَهْلِ ذَلِكَ الزَّمَانِ "**. *رواه البخاري ومسلم*

وَنَزْعُ العُقُولِ أَوْ تَغْيِيبُهَا يَكُونُ بِسَبَبِ شِدَّةِ الحِرْصِ، وَالجَهْلِ، وَالطَّمَعِ.
وَابْتِعَادُ الأُمَّةِ عَنْ دِينِهَا كَانَ نَتِيجَةً مَنْطِقِيَّةً لِضَعْفِ نُورِ العَقْلِ،
الَّذِي بِهِ يَعْرِفُ الإِنسَانُ الدِّينَ الحَقَّ.
حِينَ يَخْفُتُ نُورُ العَقْلِ، يَنْحَطُّ الفِكْرُ وَيَقْرُبُ إِلَى الغَرَائِزِ وَإِشْبَاعِ الشَّهَوَاتِ فَقَط.

قَالَ تَعَالَى:
﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾
المؤمنون: ٩٧-٩٨

وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ عَدَمَ وُجُودِ العُقُولِ لَيْسَ مَسْأَلَةَ فَقْدَانِ فَهْمٍ فَقَط،
بَلْ تَحَوُّلُ الإِنسَانِ إِلَى البَحْثِ فَقَطْ عَنِ المُتَعِ وَالشَّهَوَاتِ وَالرَّفَاهِيَةِ.

وَالفَضِيلَةُ الحَقِيقِيَّةُ لِلإِنسَانِ تَكُونُ بِسَبَبِ عَقْلِهِ،
قَالَ تَعَالَى فِي شَأْنِ القُرْآنِ الكَرِيمِ:
﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ إبراهيم: ٥٢

لِأَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْزَلَ الكُتُبَ، وَبَعَثَ الرُّسُلَ، لِتَذْكِيرِ أُوْلِي الأَلْبَابِ،
الَّذِينَ هُمْ الَّذِينَ يَنْتَفِعُونَ بِهِدَايَةِ القُرْآنِ.
أَمَّا غَيْرُهُمْ فَهُمْ كَالْأَنْعَامِ، بَلْ هُمْ أَضَلُّ.
قَالَ تَعَالَى:
﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ
وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ﴾ البقرة: ٢٥٧

عَنِ التَّوَسُّطِ وَالشَّفَاعَةِ

كانَ لأَبِي حَنِيفَةَ النُّعْمَانِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ جَارٌ إِسْكَافٌ فِي الْكُوفَةِ،
يَعْمَلُ نَهَارَهُ أَجْمَعَ،
حَتَّى إِذَا جَاءَ اللَّيْلُ، رَجَعَ إِلَى مَنْزِلِهِ،
وَقَدْ حَمَلَ لَحْمًا فَطَبَخَهُ، أَوْ سَمَكَةً فَيَشْوِيهَا،
ثُمَّ لَا يَزَالُ يَشْرَبُ الْخَمْرَ، حَتَّى إِذَا دَبَّ الشَّرَابُ فِيهِ، غَنَّى بِصَوْتٍ مُرْتَفِعٍ يَقُولُ:
"أَضَاعُونِي وَأَيُّ فَتًى أَضَاعُوا
لِيَوْمِ كَرِيهَةٍ وَسَدَادِ ثَغْرِ"
فَلَا يَزَالُ يَشْرَبُ وَيُرَدِّدُ هَذَا الْبَيْتَ حَتَّى يَأْخُذَهُ النَّوْمُ.

وَكَانَ أَبُو حَنِيفَةَ يَسْمَعُ جَلَبَتَهُ كُلَّ يَوْمٍ،
وَكَانَ يُصَلِّي اللَّيْلَ كُلَّهُ،
حَتَّى فَقَدَ أَبُو حَنِيفَةَ صَوْتَهُ، فَسَأَلَ عَنْ سَبَبِ ذَلِكَ، فَقِيلَ لَهُ:
"أَخَذَهُ الْعَسَسُ مُنْذُ لَيَالٍ، وَهُوَ مَحْبُوسٌ".
فَصَلَّى أَبُو حَنِيفَةَ صَلَاةَ الْفَجْرِ، وَرَكِبَ بَغْلَتَهُ، وَاسْتَأْذَنَ عَلَى الْأَمِيرِ،
فَقَالَ الْأَمِيرُ:
"ائْذَنُوا لَهُ"، وَأَقْبَلُوا بِهِ رَاكِبًا،
وَلَا يَدَعُوهُ يَنْزِلُ حَتَّى يَطَأَ الْبِسَاطَ،
فَفَعَلَ، وَلَمْ يَزَلِ الْأَمِيرُ يُوَسِّعُ لَهُ مِنْ مَجْلِسِهِ، وَقَالَ:
"مَا حَاجَتُكَ؟"
قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ:
"لِي جَارٌ إِسْكَافٌ، أَخَذَهُ الْعَسَسُ مُنْذُ لَيَالٍ،"
فَأَمَرَ الْأَمِيرُ بِتَخْلِيَتِهِ.
فَقَالَ الْأَمِيرُ:

"نَعَمْ، وَكُلُّ مَنْ أُخِذَ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا".
فَأَمَرَ بِتَخْلِيَتِهِمْ أَجْمَعِينَ.

فَرَكِبَ أَبُو حَنِيفَةَ، وَالْإِسْكَافُ يَمْشِي وَرَاءَهُ،
فَلَمَّا نَزَلَ أَبُو حَنِيفَةَ مَضَى إِلَيْهِ،
وَقَالَ" :**يَا فَتَى، أَضَعْنَاكَ؟"**
فَقَالَ الْإِسْكَافُ:
"لَا، بَلْ حَفِظْتَ وَرَعَيْتَ، جَزَاكَ اللهُ خَيْرًا عَنْ حُرْمَةِ الْجِوَارِ وَرِعَايَةِ الْحَقِّ".
وَتَابَ الرَّجُلُ، وَلَمْ يَرْجِعْ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ. الخطيب البغدادي

عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:
"اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا، وَيَقْضِي اللهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ مَا يَشَاءُ". رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ

أَيْ :إِنْ قَضَيْتُ حَاجَتَهُ بِشَفَاعَتِكُمْ لَهُ، فَهُوَ **بِتَقْدِيرِ اللَّهِ**، وَإِنْ لَمْ أَقْضِهَا، فَهُوَ أَيْضًا **بِتَقْدِيرِ اللَّهِ**
.عَنْ مَسْرُوقٍ رَحِمَهُ اللهُ:

أَنَّهُ **شَفَعَ شَفَاعَةً**، فَأُهْدِيَ إِلَيْهِ الْمَشْفُوعُ لَهُ هَدِيَّةً، **فَغَضِبَ وَرَدَّهَا**، وَقَالَ:

"لَوْ عَلِمْتُ مَا فِي قَلْبِكَ، مَا تَكَلَّمْتُ فِي حَاجَتِكَ".

فَالشَّفَاعَةُ الحَسَنَةُ تَكُونُ لِوَجْهِ اللهِ، لَا يُرَادُ بِهَا جَزَاءٌ دُنْيَوِيٌّ،
وَهِيَ مِن بَابِ التَّعَاوُنِ عَلَى الخَيْرِ.

عَنِ الْمَحَبَّةِ فِي الْإِسْلَامِ مِنَ السَّلَفِ

رُوِيَ أَنَّ **مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ** رضي الله عنه، وَهُوَ مِنْ عُلَمَاءِ الصَّحَابَةِ، قَالَ يَوْمًا لِأَحَدِ إِخْوَانِهِ فِي اللهِ:

"**إِنِّي لَأُحِبُّكَ فِي اللهِ**".

فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ: "**أَحَبَّكَ الَّذِي أَحْبَبْتَنِي لَهُ**".

ثُمَّ قَالَ مُعَاذٌ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ:

"**قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ، وَالْمُتَجَالِسِينَ فِيَّ، وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ، وَالْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ**". رَوَاهُ مَالِكٌ فِي الْمُوَطَّأِ

وَكَانَ **عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ زَيْنُ الْعَابِدِينَ**، مِنْ أَئِمَّةِ التَّابِعِينَ، إِذَا فَقَدَ أَخًا لَهُ أَيَّامًا وَلَمْ يَرَهُ، سَأَلَ عَنْهُ،
فَإِنْ بَلَغَهُ أَنَّهُ مَرِيضٌ، **زَارَهُ**،
وَإِنْ سَمِعَ بِحَاجَتِهِ، **قَضَى حَاجَتَهُ سِرًّا**.

وَقِيلَ لَهُ مَرَّةً: "**مَا يَحْمِلُكَ عَلَى هَذَا الِاهْتِمَامِ؟**"

فَقَالَ: "**هَؤُلَاءِ إِخْوَانِي، إِنْ لَمْ أُحِبَّهُمْ لِلَّهِ، فَلِمَنْ؟**"! كتب السير

قِيلَ: إِنَّ **سُفْيَانَ الثَّوْرِيَّ** رَحِمَهُ اللهُ، كَانَ لَهُ صَدِيقٌ صَالِحٌ يُدْعَى **عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ مَهْدِيٍّ**،
وَكَانَ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ لَهُ:

"**مَرْحَبًا بِمَنْ تُسَرُّ الْقُلُوبُ بِلِقَائِهِ، وَيُذَكِّرُنِي بِاللَّهِ وَجْهُهُ**".

وَكَانَا يَتَعَاوَنَانِ فِي الْعِبَادَةِ، وَيَتَوَاصَيَانِ بِالْحَقِّ، وَيَبِيتُ أَحَدُهُمَا عِنْدَ الآخَرِ أَيَّامًا.
وَقَالَ سُفْيَانُ:

"**مَا رَأَيْتُ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بَعْدَ كِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ**". كتب السير

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

"لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ". الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ

فالإِسْلَامُ يُرَبِّي أَبْنَاءَهُ عَلَى **الْمَحَبَّةِ الصَّادِقَةِ**، لَا الْمَصْلَحَةِ الزَّائِلَةِ،

وَيَغْرِسُ فِيهِمْ رُوحَ الأُخُوَّةِ الَّتِي تَقُومُ عَلَى **الإِيمَانِ وَصَفَاءِ الْقُلُوبِ.**

فلَا أُخُوَّةَ بَيْنَ **ظَالِمٍ وَمَظْلُومٍ**، وَلَا عَيْشَ بَيْنَ **قُلُوبٍ تَمْلَؤُهَا الشَّحْنَاءُ وَالْبَغْضَاءُ**،

بَلِ الْمَحَبَّةُ الصَّافِيَةُ تَجْمَعُ **الْقُلُوبَ السَّلِيمَةَ:**

﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ، إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ الشُّعَرَاءُ: ٨٨–٨٩

فَلَا يَنتَفِعُ النَّاسُ فِي هَذَا اليَومِ بِشَيءٍ مِن أَموَالِهِم، وَلَا مِن أَولَادِهِم،

وَلَكِنَّهُم يَنتَفِعُونَ بِسَلَامَةِ قُلُوبِهِم مِنَ الشِّركِ وَالنِّفَاقِ،

بِقَلْبٍ سَلِيمٍ لَا يَعرِفُ العَدَاوَةَ وَالبَغْضَاءَ،

وَلَا يُعَادِي النَّاسَ، لَا يُعَادِي أَخَاهُ، وَلَا يَهْجُرُ أُمَّهُ أَو أَبَاهُ.

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **"يَدْخُلُ الْجَنَّةَ أَقْوَامٌ أَفْئِدَتُهُمْ مِثْلُ أَفْئِدَةِ الطَّيْرِ"**.رَوَاهُ مُسْلِمٌ

والمعْنَى – واللهُ أَعلَم – أَنَّهَا مِثلُهَا فِي أَنَّهَا خَالِيَةٌ مِن كُلِّ ذَنبٍ، سَلِيمَةٌ مِن كُلِّ عَيبٍ، لَا خِبرَةَ لَهَا بِأُمُورِ الدُّنيَا، مُتَوَكِّلَةٌ عَلَى رَبِّهَا، تَغْدُو خِمَاصًا، وَتَرُوحُ بِطَانًا.

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

"الْمُؤْمِنُ مِرْآةُ الْمُؤْمِنِ، وَالْمُؤْمِنُ أَخُو الْمُؤْمِنِ، يَكُفُّ عَلَيْهِ ضَيْعَتَهُ، وَيَحُوطُهُ مِنْ وَرَائِهِ".رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ

أي: يَحفَظُ لَهُ مالَهُ ووَلَدَهُ مِنَ الضَّيَاعِ، **ويَحُوطُهُ مِن وَرَائِهِ**، أي: يَحفَظُهُ فِي غِيابِهِ.

وَلَا يَفعَلُ ذَلِكَ إِلَّا مَن كَانَ قَلبُهُ عَامِرًا بِالمَحَبَّةِ الخَالِصَةِ لِأَخِيهِ، خَالِيًا مِنَ الحَسَدِ وَالأَنَانِيَّةِ.

قِصَّةٌ مِنَ السَّلَفِ عَنِ النَّظَافَةِ وَسُنَنِ الفِطْرَةِ

كانَ الحَسَنُ البَصْرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ مِنْ كِبَارِ التَّابِعِينَ، عَابِدًا، زَاهِدًا، عَالِمًا، وَقَدِ اشْتَهَرَ عَنْهُ شِدَّةُ حِرْصِهِ عَلَى النَّظَافَةِ فِي مَلْبَسِهِ وَبَدَنِهِ.

وَذَاتَ يَوْمٍ، رَآهُ أَحَدُ النَّاسِ يَعْتَنِي بِثِيَابِهِ، وَيُكْثِرُ مِنْ تَنْظِيفِهَا وَتَعْطِيرِهَا، فَقَالَ لَهُ:

"يَا أَبَا سَعِيدٍ، أَرَاكَ تُبَالِغُ فِي نَظَافَةِ ثَوْبِكَ وَهِنْدَامِكَ، وَأَنْتَ مِنَ الزُّهَّادِ"!

فَابْتَسَمَ الحَسَنُ البَصْرِيُّ وَقَالَ:

"إِنَّ النَّظَافَةَ مِنَ الإِيمَانِ، وَأَنَا أُحِبُّ أَنْ يَرَانِي رَبِّي عَلَى أَحْسَنِ حَالٍ، كَمَا أُحِبُّ أَنْ يَرَانِي النَّاسُ نَظِيفًا، طَيِّبَ الرَّائِحَةِ". صِفَةِ الصَّفْوَةِ

ثُمَّ تَلَا قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾. المُدَّثِّر: ٤

وَكَانَ **عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إِذَا بَعَثَ عَامِلًا أَوْ أَمِيرًا، أَوْصَاهُ أَنْ يُحَافِظَ عَلَى نظافَتِه ، وَكَانَ يَقُولُ:

"إِنَّكُمْ تَقْدُمُونَ عَلَى قَوْمٍ يَتَنَظَّفُونَ، فَتَنَظَّفُوا، فَإِنَّ الإِسْلَامَ نَظِيفٌ". ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ

وَكَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَتَفَقَّدُ جُنُودَهُ وَأَصْحَابَهُ فِي الجُيُوشِ، فَإِذَا رَأَى مِنْهُمْ تَقْصِيرًا فِي النَّظَافَةِ أَوِ السُّنَنِ الفِطْرِيَّةِ، أَنَّبَهُمْ وَقَالَ:

"مَنْ لَمْ يَنْظُفْ نَفْسَهُ، لَمْ يَنْظُفْ دِينُهُ". البِدَايَةِ وَالنِّهَايَةِ

عَنْ **أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ:

"وَقَّتَ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي قَصِّ الشَّارِبِ، وَتَقْلِيمِ الأَظْفَارِ، وَنَتْفِ الإِبْطِ، وَحَلْقِ العَانَةِ: أَنْ لَا تُتْرَكَ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعِينَ يَوْمًا". رَوَاهُ مُسْلِم

فَلَا يَجُوزُ تَرْكُ هَذِهِ الأُمُورِ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعِينَ يَوْمًا.

وَاخْتَلَفَ أَهْلُ العِلْمِ فِي **حُكْمِ مَن تَرَكَهَا فَوْقَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا** عَلَى قَوْلَيْنِ: **الأَوَّل** :على **الكراهة**، وَهَذَا **مَذْهَبُ الشَّافِعِيَّةِ**. **والثَّانِي** :على **التَّحرِيمِ**، وَهَذَا **مَذْهَبُ الحَنَفِيَّةِ**، وَ**اخْتَارَهُ** الإمام **الشَّوْكَانِيُّ**، وَالعَلَّامَة **ابنُ بَازٍ** رَحِمَهُمُ الله.

فَمِنَ السُّنَّةِ :**قَصُّ مَا طَالَ عَنِ الشَّفَةِ العُلْيَا** مِنَ الشَّارِبِ حَتَّى يَبْدُوَ إِطَارُ الشَّفَةِ،
لِظَاهِرِ قَولِهِ ﷺ:
"مَنْ لَمْ يَأْخُذْ مِنْ شَارِبِهِ، فَلَيْسَ مِنَّا". *رواه الترمذي*

وتَخْفِيفُهُ **سُنَّةٌ** أَيْضًا، فَلَيْسَ مِنَ السُّنَّةِ فِي شَيْءٍ إِطَالَتُهُ، وَتَعْرِيضُهُ، وَتَكْثِيفُهُ،
وَمَن ظَنَّ أَنَّ ذَلِكَ مِنَ الرُّجُولَةِ؛
فَهُوَ لَا يَفْهَمُ **سُنَّةَ النَّبِيِّ** ﷺ، الَّذِي كَانَ أَكْمَلَ الرِّجَالِ رُجُولَةً.

وَمِنَ السُّنَنِ :**قَصُّ الأَظْفَارِ**، وَلَو كَانَ **ظُفْرَ الخِنْصَرِ** الَّذِي يَحْتَفِظُ بِهِ بَعضُ النَّاسِ؛
فَإِنَّ **إِبْقَاءَهُ لَا يَجُوزُ**، لِمَا فِيهِ مِنَ المخَالَفَةِ لِلسُّنَّةِ، وَجَمْعِ الأَوْسَاخِ.

وَكَذَلِكَ :**إِزَالَةُ شَعْرِ العَانَةِ وَشَعْرِ الإِبْطِ**، بِأَيِّ مُزِيلٍ كَانَ،
وَالسُّنَّةُ وَالأَفْضَلُ: **نَتْفُ شَعْرِ الإِبْطِ** إِنِ اسْتَطَاعَ ذَلِكَ،
وَ**حَلْقُ شَعْرِ العَانَةِ** وَالاستِحْدَادُ، وَهُوَ :**إِزَالَةُ شَعْرِ العَانَةِ بِالحَدِيدِ أَي: بِالشَّفْرَةِ**
وَهُوَ الأَفْضَلُ وَالأَكْثَرُ أَجْرًا.

روى الإمام مسلم عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال:
"عَشْرٌ مِنَ الفِطْرَةِ: قَصُّ الشَّارِبِ، وَإِعْفَاءُ اللِّحْيَةِ، وَالسِّوَاكُ، وَاسْتِنْشَاقُ الْمَاءِ،
وَقَصُّ الأَظْفَارِ، وَغَسْلُ الْبَرَاجِمِ، *وهي المفاصل والعُقد التي بين عظام الأصابع*
وَنَتْفُ الإِبْطِ، وَحَلْقُ الْعَانَةِ، وَانْتِقَاصُ الْمَاءِ،
قَالَ مُصْعَبٌ: وَنَسِيتُ الْعَاشِرَةَ، إِلَّا أَنْ تَكُونَ الْمَضْمَضَةَ"*صحيح مسلم*

فِي النَّـهْيِ عَنِ اللَّعْنِ

جاءَ في صحيحِ *مسلمٍ* أنَّ **عبدَ اللهِ بنَ مسعودٍ** رضيَ اللهُ عنه، وهو من كبارِ الصَّحابةِ وفُقهائِهم، كانَ يَمشي ومعهُ جماعةٌ، فسمعَ **امرأةً تلعنُ دابَّتَها**، فقالَ لها:

"يا أَمَةَ اللهِ، لا تلعنيها، فإنَّ اللهَ لا يَقبلُ دعاءً مِن قلبٍ غافلٍ لاهٍ، ولا مِن لسانٍ لعَّانٍ". *رواهُ مسلم*

وفي روايةٍ أخرى:

"أخرِجوها، لا تُصاحِبْنا مَن تلعن"! *رواهُ مسلم*

أي: إنَّهُ أمرَ بإبعادِها عنِ القافلةِ؛ لأنَّها لعنتِ الدابَّة، فكرِهَ أن يسيرَ في رفقةٍ فيها مَن يلعنُ، تعظيمًا لشأنِ الكلمةِ، وتأديبًا للنَّفسِ.

وقالَ رسولُ اللهِ ﷺ:

"ليسَ المؤمنُ بالطَّعَّانِ، ولا اللَّعَّانِ، ولا الفاحشِ، ولا البذيءِ". *الترمذي*

والطَّعَّانُ: هو الذي يُكثِرُ عيبَ النَّاسِ وانتقاصَهُم،
والفاحشُ والبذيءُ: مَن يُعبِّرُ عنِ الأمورِ المستقبَحةِ بعباراتٍ خاليةٍ منَ الأدبِ.

وانظُرْ إلى دقَّةِ القُرآنِ الكريمِ في اختيارِ الألفاظِ، ففي قولِه تعالى عن **عيسى وأُمِّه عليهما السَّلام**:

﴿كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾ *المائدة: ٧٥*

دَلَّ على بشريتِهما، لأنَّ مَن يأكلُ يحتاجُ إلى الإخراجِ،
ولكنَّ القُرآنَ عبَّرَ بأدبٍ دونَ تصريحٍ، ليُعلِّمَنا رُقيَّ الأسلوبِ.

أمَّا **اللَّعْنُ**، فهو الطَّرْدُ والإبعادُ من رحمةِ اللهِ، وليسَ بالأمرِ الهيِّنِ.

قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: **"لَعْنُ المؤمنِ كقتلهِ"**. *رواهُ البخاري*

واللَّعنةُ إذا لم يكنْ مَن أُطلِقتْ عليهِ مُستحقًّا لها، فإنَّها تعودُ إلى قائلِها.

قالَ النَّبيُّ ﷺ:

"إنَّ العبدَ إذا لعنَ شيئًا، صَعِدتِ اللَّعنةُ إلى السَّماءِ، فتُغلَقُ أبوابُ السَّماءِ دونَها،
ثم تَهبِطُ إلى الأرضِ، فتُغلَقُ أبوابُها دونَها، ثم تأخذُ يمينًا وشِمالًا،
فإنْ لم تجدْ مساغًا، رجعتْ إلى الذي لُعن، فإنْ كان أهلًا لذلكَ،
وإلَّا رجعتْ إلى قائلِها".رواهُ أبو داود،

وقد تساهلَ كثيرٌ منَ النَّاسِ في اللعنِ، حتى صارَ على ألسنتِهم عادةً.
وقد قالَ النَّبيُّ ﷺ:

"لا ينبغي لصِدِّيقٍ أن يكونَ لَعَّانًا".رواهُ مسلم

وقال ﷺ:

"لا يكونُ اللَّعَّانونَ شُفَعاءَ ولا شُهَداءَ يومَ القيامةِ".رواهُ مسلم

فليكنْ لسانُك طاهرًا، والكلمةُ الطَّيِّبةُ شعارَك، فإنَّك مُحاسَبٌ على ما تقولُ.

لا يَتَسَامَحُونَ مَعَ الغَدْرِ الغَدْرِ وَالخِيَانَةِ

عَمْرُو بْنُ العاصِ رضيَ اللهُ عنهُ كانَ مِنَ القَادَةِ الحَكِيمِينَ وَالنُّبَلاءِ في الإِسلامِ،
عُرِفَ بِذَكَائِهِ وَحِنْكَتِهِ في إِدارَةِ الأُمُورِ.
في إِحْدَى الفُتُوحَاتِ، كانَ عَمْرُو يَعْتَمِدُ عَلَى بَعْضِ الموالِي وَالجُنُودِ
الَّذِينَ أَظْهَرُوا إِخْلَاصًا في البِدَايَةِ،
لَكِنَّهُ تَفَاجَأَ بِغَدْرِ بَعْضِهِمْ.

كانَ عَمْرُو قَدْ أَوْكَلَ إِلَى أَحَدِ الموالِي مَسْؤُولِيَّةً مُهِمَّةً
وَهِيَ حِفْظُ مَوْقِعٍ اسْتِرَاتِيجِيٍّ بَعْدَ الفَتْحِ،
لَكِنَّ هذَا الموالِي خانَ الأمانةَ وَغَدَرَ بِعَمْرُو، فَاتَّصَلَ بِالعَدُوِّ وَأَبْلَغَهُ بِخُطَطِ الجَيْشِ،
مِمَّا كَادَ أَنْ يُسَبِّبَ كَارِثَةً لِجَيْشِ المسْلِمِينَ.

حِينَ عَلِمَ عَمْرُو بِالغَدْرِ، قالَ:
"**الغَدْرُ أَحْمَقُ** وَأَحْمَقُ مَنْ يَغْدِرُ بِالغَدْرِ، كَيْفَ يَغْدِرُ بِمَنْ أَمَنَهُ وَأَعْطَاهُ ثِقَتَهُ؟" *الفتوح الكبرى*
وَالنُّبَلاءُ لا يَتَسَامَحُونَ مَعَ الغَدْرِ مَهْمَا كانَ السَّبَبُ،
فالأمانةُ وَالوَفَاءُ هُمَا أَسَاسُ نَجَاحِ القَادَةِ وَالأُمَمِ.

وَلَيْسَ أَعْظَمُ خِيَانَةً وَلا أَسْوَأَ عَاقِبَةً مِن رَجُلٍ تَوَلَّى أُمُورَ النَّاسِ فَنَامَ عَنْهَا حَتّى أَضَاعَهَا...
قالَ ﷺ:
"مَا مِنْ عَبْدٍ اسْتُرْعِيَهُ اللهُ رَعِيَّةً يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ إلا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الجَنَّةَ". *رواه البخاري*

وقال ﷺ أيضًا:
"مَنْ اسْتَعْمَلْنَاهُ عَلَى عَمَلٍ فَرَزَقْنَاهُ رِزْقًا، فَمَا أَخَذَ بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ غُلُولٌ". *رواه أبو داود*

وقال رسول الله ﷺ:
"إِنَّ مِنْ أَشَرِّ النَّاسِ عِنْدَ اللهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ القِيَامَةِ، الرَّجُلُ يُفْضِي إِلَى المرْأَةِ، وَالمرْأَةُ تُفْضِي إِلَيْهِ، ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا". *رواه مسلم*

أي يُفْشِي ما يَجْرِي بَيْنَهُمَا مِنْ أُمُورِ الاسْتِمْتَاعِ وَيَصِفُ تَفَاصِيلَ ذَلِكَ، وَهُوَ أَمْرٌ مُحَرَّمٌ وَخِيَانَةٌ كَبِيرَةٌ لِلأَمَانَةِ الزَّوْجِيَّةِ.

وقد شَبَّهَ النبيُّ ﷺ ذلك تشبيهًا مُرْعِبًا:
"فَإِنَّمَا مَثَلُهُ كَمَثَلِ شَيْطَانٍ لَقِيَ شَيْطَانَةً فِي طَرِيقٍ فَغَشَّاهَا وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ". رواه أحمد

هذِهِ الأمانةُ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ كَأَمَانَةِ الصَّلَاةِ بَيْنَ العَبْدِ وَرَبِّهِ، وَأَيُّ انْتِقَاصٍ مِنْهَا يَعْدُ سَرِقَةً.

وقال رسول الله ﷺ: أَسْوَأُ النَّاسِ سَرِقَةً الَّذِي يَسْرِقُ مِنْ صَلاتِهِ".
قالوا: يا رسولَ اللهِ كيفَ يَسْرِقُ مِنْ صَلاتِهِ؟ قالَ: "لا يَتِمُّ رُكُوعُهَا وَلا سُجُودُهَا". البخاري ومسلم

وَاعْلَمُوا – عِبَادَ اللهِ – أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ رَأَيْتَهُ عَيْنَاكَ أَوْ سَمِعْتَهُ أُذُنَاكَ مِنْ عَوَراتِ المسلمينَ، فَهُوَ أَمَانَةٌ فِي عُنُقِكَ.

قال رسول الله ﷺ:
"مَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَمَنْ تَتَبَّعَ عَوَارِ المسْلِمِينَ تَتَبَّعَ اللهُ عَوْرَتَهُ، وَفَضَحَهُ وَلَوْ فِي جَوْفِ بَيْتِهِ". رواه الترمذي

"وَلا خَيْرَ فِي مَن لَا أَمَانَةَ لَهُ وَإِنْ أَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ"، كَما فِي الحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ.

وقال ﷺ:
"إِذَا جَمَعَ اللهُ بَيْنَ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ يَوْمَ القِيَامَةِ يُرْفَعُ لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ يُعْرَفُ بِهِ، فَيُقَالُ: هذِهِ غَدْرَةُ فُلَانٍ". رواه أحمد

"وَمَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا". رواه مسلم

ٱلْعَدْلُ فِي ٱلشَّهَادَةِ بَيْنَ ٱلْغَنِيِّ وَٱلْفَقِيرِ

حَدَثَ أَن رَجُلاً غَنِيًّا وَرَجُلاً فَقِيرًا تَنَازَعَا أَمَامَ النَّبِيِّ ﷺ فِي أَمْرٍ مَا،
وَكَانَ مِيلُ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْحُكْمِ لِلْفَقِيرِ ظَنًّا مِنْهُ أَنَّ الْفَقِيرَ لَا يَظْلِمُ الْغَنِيَّ. *ابْنُ جَرِيرٍ فِي تَفْسِيرِهِ*

فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى الْآيَةَ:

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ"
النساء: ١٣٥

لِيُعَلِّمَ النَّبِيَّ ﷺ وَكُلَّ الْمُسْلِمِينَ أَنَّ الْعَدْلَ لَا يَقُومُ عَلَى تَعَاطُفٍ أَوْ تَحَيُّزٍ،
بَلْ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ الْحَقُّ وَالْعَدْلُ فَوْقَ كُلِّ اعْتِبَارٍ.

سَوَاءٌ كَانَ الطَّرَفُ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا، فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْأَحَقُّ بِرِعَايَةِ حُقُوقِهِمْ،
وَيَجِبُ أَنْ يُقَامَ الْعَدْلُ بَيْنَهُمْ دُونَ تَحَيُّزٍ.

أَيْ: أَشْهَدْ بِالْحَقِّ وَلَوْ عَادَ ضَرَرُ ذَلِكَ عَلَيْكَ،
فَإِنَّ اللَّهَ سَيَجْعَلُ لِمَنْ أَطَاعَهُ فَرَجًا وَمَخْرَجًا،
وَإِنْ كَانَتِ الشَّهَادَةُ عَلَى وَالِدَيْكَ أَوْ قَرَابَتِكَ.
وَلَا تَأْخُذْكَ الْعَاطِفَةُ مَعَ غَنِيٍّ لِغِنَاهُ أَوْ فَقِيرٍ لِفَقْرِهِ فِي أَمْرِ الشَّهَادَةِ؛
فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا مِنْكَ؛ وَهُوَ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْكَ.

وَامْتَثَلَ الْأَمْرَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَعَ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ،
فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ جَاءَ حَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ إِلَى عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
يَشْكُو ظُلْمًا وَقَعَ عَلَيْهِ مِنْ بَعْضِ الْأَشْخَاصِ فِي السُّوقِ،
فَاسْتَمَعَ عُمَرُ إِلَى شَكْوَاهُ بِعِنَايَةٍ، ثُمَّ أَمَرَ بِفَتْحِ تَحْقِيقٍ فِي الْأَمْرِ.

بَعْدَ التَّحْقِيقِ، تَبَيَّنَ أَنَّ حَكِيمًا كَانَ مُحِقًّا، فَحَكَمَ عُمَرُ بِالْعَدْلِ وَصَدَرَ الْقَرَارُ لِصَالِحِهِ.
لَكِنَّ بَعْضَ الْقَوْمِ حَاوَلُوا الضَّغْطَ عَلَى عُمَرَ
لِكَيْ يُغَيِّرَ الْحُكْمَ لِصَالِحِهِمْ بِسَبَبِ مَكَانَتِهِمْ أَوْ قُرْبِهِمْ مِنَ السُّلْطَةِ.

رَدَّ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِكُلِّ شَجَاعَةٍ وَصِدْقٍ:

"إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ:

"النَّاسُ سَوَاسِيَةٌ كَأَسْنَانِ الْمُشْطِ، لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ إِلَّا بِالتَّقْوَى".

وَلَنْ أُغَيِّرَ حَقًّا لِأَحَدٍ مَهْمَا كَانَ شَأْنُهُ". *الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ*

وَمِمَّا يَنْبَغِي أَنْ يَحْذَرَ مِنْهُ فِي جَانِبِ الشَّهَادَةِ شَهَادَةُ الزُّورِ، وَهِيَ الْحَالِقَةُ الَّتِي تَحْلِقُ الدِّينَ.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

"يَا أَيُّهَا النَّاسُ! عَدَلَتْ شَهَادَةُ الزُّورِ إِشْرَاكًا بِاللَّهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ". *رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَالْمُسْلِمُ*

ثُمَّ قَرَأَ:

﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ *الأنعام: ١٠٨*

وَمَثَلُ شَاهِدِ الزُّورِ كَاتِمِ الشَّهَادَةِ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: شَهَادَةُ الزُّورِ مِنْ أَكْبَرِ الْكَبَائِرِ، وَكَتْمَانُهَا كَذَلِكَ، لِأَنَّ الشَّهَادَةَ تُفَرِّزُ الْحُقُوقَ، وَتُبَيِّنُ الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ. *تَفْسِيرُ ابْنِ كَثِيرٍ، وَابْنُ عَبَّاسٍ*

دعوةٌ للتَّسامُحِ والمَحبَّةِ في زَمَنِ التَّناحُرِ والانقِسامِ

فِي إِحْدَى الْمَرَّاتِ، **كَانَ الْإِمَامُ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَخْطُبُ فِي النَّاسِ**، فَدَخَلَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرٍ – وَهُوَ مِنْ خُصُومِ عَلِيٍّ – لِيَسْمَعَ خُطْبَتَهُ، وَبَدَلًا مِنَ الِاسْتِمَاعِ بِخُشُوعٍ، بَدَأَ يُهَاجِمُهُ وَيَسْخَرُ مِنْهُ بِصَوْتٍ عَالٍ.

بَدَلًا مِنْ أَنْ يَغْضَبَ الْإِمَامُ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، الْتَفَتَ إِلَيْهِ بِابْتِسَامَةٍ وَقَالَ لَهُ:
"يَا عُبَيْدَ اللَّهِ، إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْقُرْبِ مِنَ اللَّهِ أَنْ يَعْفُوَ الْإِنْسَانُ عَمَّنْ ظَلَمَهُ وَيَصْفَحَ عَمَّنْ جَنَى عَلَيْهِ".

وَأَمَرَ أَصْحَابَهُ بِأَنْ يَتْرُكُوهُ يَتَكَلَّمُ، ثُمَّ دَعَاهُ لِلتَّفَاهُمِ وَالنِّقَاشِ بِالْحُسْنَى بَعْدَ الْخُطْبَةِ.
تَأَثَّرَ عُبَيْدُ اللَّهِ بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ وَالتَّعَامُلِ الْكَرِيمِ، وَهَدَأَتْ نَفْسُهُ، وَأَصْبَحَ مِنَ الْمُدَافِعِينَ عَنِ الْإِمَامِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَاحِقًا. نَهْجُ الْبَلَاغَةِ

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ:
"لَا تَقَاطَعُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَلَا تُبَاغِضُوا وَلَا تَحَاسَدُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا". الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ

وَالْيَوْمَ، بَاتَتْ شَوَارِعُنَا مَنْبَعًا لِلْمُشَاجَرَاتِ وَالْمُعَاكَسَاتِ، وَمَسَالِكَ لِلْمَوْتِ.
يُهَانُ الْمُدَرِّسُ، وَيُعْتَدَى عَلَى الْأَطِبَّاءِ وَالْمُمَرِّضَاتِ،
وَتَعُجُّ وَسَائِلُ التَّوَاصُلِ الِاجْتِمَاعِيِّ بِفَيْضٍ لَا يَنْقَطِعُ مِنَ الشَّتَائِمِ وَالْمُعَاكَسَاتِ،
وَهَتْكِ الْأَعْرَاضِ وَالْمُحَرَّمَاتِ، وَانْتِهَاكِ الْخُصُوصِيَّةِ.

هَذِهِ الْأَفْعَالُ النُّكْرَاءُ تَتَكَرَّرُ كُلَّ يَوْمٍ، ثُمَّ يَقُولُ قَائِلٌ:
"إِنَّهَا غَرِيبَةٌ عَنْ مُجْتَمَعِنَا؟"
لَكِنَّ مُجْتَمَعَنَا لَمْ يَعُدْ كَمَا كَانَ.

رَغْمَ أَنَّ أَغْلَبَ النَّاسِ يَعْتَبِرُونَ أَنْفُسَهُمْ مُتَفَوِّقِينَ أَخْلَاقِيًّا،
وَلَا يَكُفُّونَ عَنِ الْإِعْلَانِ عَنْ كَوْنِهِمْ مِنَ الْأَخْيَارِ،

وَيَتَّهِمُونَ غَيْرَهُمْ بِالسُّوءِ وَالشَّرِّ،
إِلَّا أَنَّنَا قَدْ نَتَفَاجَأُ بِأَنَّ كَثِيرِينَ لَا يَعْرِفُونَ حَقِيقَةَ أَنْفُسِهِمْ.

قَالَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ رَحِمَهُ اللَّهُ:

"النَّاسُ مَا دَامُوا فِي عَافِيَةٍ فَهُمْ مَسْتُورُونَ، فَإِذَا نَزَلَ بِهِمْ بَلَاءٌ صَارُوا إِلَى حَقَائِقِهِمْ، فَصَارَ الْمُؤْمِنُ إِلَى إِيمَانِهِ، وَصَارَ الْمُنَافِقُ إِلَى نِفَاقِهِ".

أَلَا فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ، وَلْتَتَضَافَرْ جُهُودُنَا،
وَلَا سِيَّمَا مِنْ ذَوِي التَّأْثِيرِ فِي الْمُجْتَمَعِ،
وَلْيَتَحَمَّلْ كُلٌّ مِنَّا مَسْؤُولِيَّتَهُ.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

"كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ". رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ

عَلِّمُوا أَبْنَاءَكُمْ أَنَّ الْمُتَسَامِحَ إِنْسَانٌ مُحْتَرَمٌ،
وَالْمُتَوَاضِعَ إِنْسَانٌ كَبِيرٌ،
عَلِّمُوهُمُ الْعِفَّةَ وَالْحَيَاءَ وَاحْتِرَامَ الْآخَرِينَ،
حَتَّى لَا نَفْقِدَ أَعِزَّاءَ أَكْثَرَ، وَنَلْجَأَ إِلَى الْعَطَوَاتِ.

مَن أَحسَنَ إِلَيكَ فَاذكُرْهُ، وَمَن أَحسَنتَ إِلَيهِ فَانسَهُ

كانَ الإمامُ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللهُ في أوَّلِ أمرِهِ فَقِيرًا يَتِيمًا، لا يَملِكُ شَيئًا،
لَكِنَّهُ كانَ شَدِيدَ الذَّكَاءِ، قَوِيَّ الحِفظِ.
وحينَ رَأَى فيهِ الإمامُ مالِكُ بنُ أَنَسٍ (صَاحِبُ "المُوَطَّأ") النُّبُوغَ،
قَرَّبَهُ وَعَلَّمَهُ، وأوصَى بهِ خَيْرًا.

ومَضَتِ الأَيَّامُ، حَتَّى صَارَ الشَّافِعِيُّ مِن كِبَارِ العُلَمَاءِ،
ورَغْمَ مَكَانَتِهِ الرَّفِيعَةِ، كانَ كُلَّمَا ذُكِرَ الإِمَامُ مَالِكٌ، يَقُولُ:

"لَولا مالِكٌ، لَما عَرَفتُ ما عَرَفتُ، وما أُوتِيتُ مِن عِلمٍ، فَهُوَ مِن أَثَرِ جُلُوسِنا عِندَهُ".

وكانَ يُكثِرُ الثَّنَاءَ عليهِ في دُرُوسِهِ، ويَترَحَّمُ عليهِ، ويَذكُرُ فَضلَهُ في كُلِّ مَوطِنٍ،
رَغْمَ تَغَيُّرِ الزَّمَانِ وتَبَدُّلِ الأَحوَالِ.
وقد نَقَلَ الذَّهَبِيُّ في *سِيرِ أَعلامِ النُّبَلاءِ* مِثلَ هَذَا عنِ الشَّافِعِيّ، وقالَ:

"وكانَ الشَّافِعِيُّ يَذكُرُ مالِكًا ويُعَظِّمُهُ تَعظِيمًا شَدِيدًا، ويَقولُ: ما بَعدَ كِتابِ اللهِ كِتابٌ أَصَحُّ مِن مُوَطَّأِ مالِكٍ". *سير أعلام النبلاء*

وفي مُقَابِلِ هَذَا الوَفَاءِ، نَجِدُ بَعضَ النَّاسِ إذا أَعطَى مَعروفًا أو صَدَقَةً، تَرَاهُ يَتَفَاخَرُ ويَتَطَاوَلُ على مَن أَحسَنَ إِلَيهِ، وهذا مِنَ **المَنِّ المَذمُومِ شَرعًا.**

فقد وُرِدَ في الأَثَرِ أنَّ **عَبدَ اللهِ بنَ المُبَارَكِ** رَحِمَهُ اللهُ، كانَ في إِحدَى أَسفَارِهِ، فَدَخَلَ عليهِ رَجُلٌ،
وأَخَذَ يُحَدِّثُهُ عن مَعروفٍ قَدَّمَهُ لِرَجُلٍ فَقِيرٍ، وكانَ يَذكُرُ ذَلِكَ **بِمَنٍّ وَفَخرٍ**، قَائِلًا:
"لَقَد أَعطَيتُهُ كَذَا، وأَنقَذتُهُ مِن كَذَا، وَلَولايَ لَهَلَكَ، وما كانَ أَحَدٌ لِيُعطِيَهُ مِثلِي"...
فقالَ لهُ عبدُ اللهِ بنُ المباركِ **بِهُدوءٍ وَوَقَار**: أتَرى أَنَّكَ أَنتَ المحسِنُ؟!
وَاللهِ، لَولا أَنَّ اللهَ سَتَرَهُ بِكَ، وَابتَلاكَ بِهِ، لَمَا عُرِفَ لَكَ فَضلٌ.
بَلِ الفَضلُ للهِ، أَن جَعَلَكَ وَاسِطَةً فِي قَضَاءِ حَاجَةِ عَبدٍ مِن عِبَادِهِ،
فَلا تُفسِدَنَّ صَدَقَتَكَ بِمَنٍّ أَو أَذًى".

ثم أنشَدَ قولَ الشَّاعِرِ:

اصنَعِ الجَمِيلَ وَارمِهِ فِي البَحرِ   فَإِنَّ اللهَ لا يُضِيعُ الجَمِيل حِليَةِ الأَولِياءِ

قالَ اللهُ تَعالَى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالمَنِّ وَالأَذَى**﴾البقرة: ٢٦٤

فالصدقةُ مأخوذةٌ من "الصِّدقِ"؛ أَي صِدقِ النِّيَّةِ وَالإِخلَاصِ.

والمنُّ: أَن يَتَفَاخَرَ الإِنسَانُ بِإِحسَانِهِ، وَيُشعِرَ الفَقِيرَ بأَنَّ لَهُ عَلَيهِ فَضلًا.

والأَذَى: أَن يُؤذِيَ الفَقِيرَ بِالكَلَامِ أَوِ الفِعلِ، كَأَن يُعَيِّرَهُ بِفَقرِهِ، أَو يُذِلَّهُ بِعَطَائِهِ.

وقد قالَ الصَّالِحُونَ: "**إِذَا صَنَعتُم صَنِيعَةً فَانسُوهَا**".

وقال أحدُهُم: "**لَئِن ظَنَنتَ أَن سَلَامَكَ يَثقُلُ على مَن تَصَدَّقتَ عَلَيهِ، فَلا تُسَلِّمْ عَلَيهِ**"!

فالكَلِمَةَ الطَّيِّبَةَ للفَقِيرِ وَستْرَ حَالِهِ، خَيرٌ مِن إِعطائِهِ مَالًا يُتبَعُ بِالإِهَانَةِ. قال تَعَالَى:

﴿**قَولٌ مَعرُوفٌ وَمَغفِرَةٌ خَيرٌ مِن صَدَقَةٍ يَتبعُهَا أَذًى**﴾ البقرة: ٢٦٣

وقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

"**الكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وَإِنَّ مِنَ المَعرُوفِ أَن تَلقَى أَخَاكَ بِوَجهٍ طَلْقٍ**". رَوَاهُ مُسلِم

لِمَ ذَلِكَ؟

لِيَكُونَ الإِنسَانُ **مَشكُورًا إِن أَعطَى، وَمَعذُورًا إِن مَنَعَ.**

﴿**وَاللهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ**﴾.أي إِنَّ اللهَ **غَنِيٌّ** عن صَدَقَاتِ المتَصَدِّقِينَ، لا يَقبَلُ ما أُتْبِعَ بالأَذَى، وَإِنَّمَا أَمرَنَا بِهَا **لِمَصلَحَتِنَا نَحنُ، لا لِحَاجَتِهِ جَلَّ جَلَالُهُ.**

النَّهْيُ عَنِ السُّخْرِيَةِ وَاللَّمْزِ وَالتَّنَابُزِ بِالأَلْقَابِ

عَنْ صَفِيَّةَ بِنْتِ حُيَيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا:

قَالَتْ: "**دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ حَفْصَةَ قَالَتْ عَنِّي: بِنْتُ يَهُودِيٍّ**"!

فَقَالَ لَهَا النَّبِيُّ ﷺ:

"**إِنَّكِ لَابْنَةُ نَبِيٍّ، وَإِنَّ عَمَّكِ لَنَبِيٌّ، وَإِنَّكِ لَتَحْتَ نَبِيٍّ، فَفِيمَ تَفْخَرُ عَلَيْكِ؟**" رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ

فَالنَّبِيُّ ﷺ لَمْ يَقْبَلِ التَّنَابُزَ بِالأَلْقَابِ وَلَا السُّخْرِيَةَ، حَتَّى بَيْنَ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ.

وَقَالَ أَبُو ذَرٍّ لِبِلَالٍ يَوْمًا: "يَا ابْنَ السَّوْدَاءِ"!

فَغَضِبَ النَّبِيُّ ﷺ وَقَالَ لَهُ:

"**أَتُعَيِّرُهُ بِأُمِّهِ؟ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ**"! رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ

فرَغْمَ مَكَانَةِ أَبِي ذَرٍّ، فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَنْكَرَ عَلَيْهِ بِشِدَّةٍ هَذَا التَّصَرُّفَ.

وَكَانَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ دَقِيقَ السَّاقَيْنِ، فَضَحِكَ بَعْضُ الصَّحَابَةِ مِنْ ذَلِكَ،

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

"**أَتَعْجَبُونَ مِنْ دِقَّةِ سَاقَيْهِ؟! وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ جَبَلِ أُحُدٍ**"! رَوَاهُ أَحْمَدُ

قَالَ اللهُ تَعَالَى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ ۖ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ الحُجُرَات: ١١

بِهَذَا التَّوْجِيهِ الْقُرْآنِيِّ، يَنْهَى الْحَقُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنْ ثَلَاثِ مَسَاوِئَ خُلُقِيَّةٍ

تُعْرَفُ حَدِيثًا بِـ"**التَّنَمُّرِ**"،

وَهِيَ: **السُّخْرِيَةُ وَاللَّمْزُ وَالنَّبْزُ.**

السُّخْرِيَةُ: هي الِاسْتِهْزَاءُ الَّذِي يُقْصَدُ بِهِ التَّنْقِيصُ، وَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى احْتِقَارِ الآخَرِينَ.

واللَّمْزُ: هو الطَّعْنُ فِي الآخَرِينَ وَذِكْرُ عُيُوبِهِمْ أَوِ الْإِشَارَةُ إِلَيْهَا، لِتَقْلِيلِ شَأْنِهِمْ دُونَ سَبَبٍ.

أمّا النَّبْزُ: فهو مُنَادَاةُ الإِنْسَانِ بِأَلْقَابٍ يَكْرَهُهَا، أَوْ تُشْعِرُهُ بِالتَّحْقِيرِ وَالسُّخْرِيَةِ.

هَذِهِ الْأَفْعَالُ تَقْطَعُ الرَّوَابِطَ الِاجْتِمَاعِيَّةَ، تُبَذِّرُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ، تُوَلِّدُ رَغْبَةً فِي الِانْتِقَامِ.

وَسَوَاءٌ كَانَتِ السُّخْرِيَةُ وَاللَّمْزُ وَالنَّبْزُ بَيْنَ الأَفْرَادِ أَوْ بَيْنَ الأَقْوَامِ وَالجَمَاعَاتِ؛
فَإِنَّ ذَلِكَ مُحَرَّمٌ يَجِبُ الإِقْلَاعُ عَنْهُ،
لِأَنَّ مَنْ لَمَزَ أَخَاهُ فَكَأَنَّمَا لَمَزَ نَفْسَهُ،
لِذَلِكَ قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ﴾
أَيْ: مَنْ يَعِيبُ غَيْرَهُ، فَكَأَنَّهُ يَعِيبُ نَفْسَهُ، لِأَنَّهُ هُوَ مَنْ فَتَحَ لَهُ بَابَ الرَّدِّ بِالْمِثْلِ.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:
"إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الكَبَائِرِ أَنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ".
قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَكَيْفَ يَلْعَنُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟
قَالَ": **يَسُبُّ الرَّجُلُ أَبَا الرَّجُلِ، فَيَسُبُّ أَبَاهُ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ**".
متفقٌ عليه.

لِأَنَّ مَنْ تَلْمِزُهُ وَتَعِيبُهُ، سَيَلْمِزُكَ وَيَعِيبُكَ،
فَتَكُونَ كَمَنْ لَمَزَ نَفْسَهُ،
لِأَنَّكَ أَنْتَ الَّذِي فَتَحْتَ لَهُ البَابَ لِيَنْقُصَكَ وَيَعِيبَكَ.

فِيكَ خَصْلَتَانِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ: الحِلْمُ وَالأَنَاةُ

رَوَى الصَّحَابَةُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ حِلْمًا وَأَنَاةً فِي تَعَامُلِهِ مَعَ النَّاسِ، رَغْمَ مَا كَانَ يُوَاجِهُهُ مِنْ أَذًى وَمَشَاقٍ.

ذَاتَ يَوْمٍ، جَاءَ رَجُلٌ غَاضِبٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ بَعْدَ أَنْ ظَلَمَهُ بَعْضُ النَّاسِ، وَكَانَ يُرِيدُ أَنْ يَرُدَّ عَلَيْهِ بِالْغَضَبِ أَوِ الْعِقَابِ. لَكِنَّ النَّبِيَّ ﷺ ابْتَسَمَ وَقَالَ لَهُ:
"إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ: الحِلْمُ وَالأَنَاةُ. تَمَسَّكْ بِهِمَا، وَلَا تَرُدَّ السَّيِّئَةَ بِالإِسَاءَةِ". السِّيرَةِ وَالتَّرَاجِمِ

وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعَامِلُ خُصُومَهُ بِالْحِلْمِ وَالصَّبْرِ، فَلَا يُسْرِعُ فِي الرَّدِّ وَلَا يَغْضَبُ بِسُهُولَةٍ، بَلْ كَانَ يُهَدِّئُ النُّفُوسَ وَيُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحِكْمَةِ وَالرِّفْقِ.

وَقَالَ ﷺ:
"الأَنَاةُ مِنَ اللَّهِ، وَالعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ". رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَأَبُو دَاوُدَ
وَالْعَجَلَةُ هِيَ التَّسَرُّعُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا.

قَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:
"لَا تَطْلُبْ سُرْعَةَ الْعَمَلِ، وَاطْلُبْ تَجْوِيدَهُ، فَإِنَّ النَّاسَ لَا يَسْأَلُونَ فِي كَمْ فَرَغَ مِنْهُ، وَإِنَّمَا يَنْظُرُونَ إِلَى إِتْقَانِهِ وَجُودَتِهِ".

سَمِعَ النَّبِيُّ ﷺ رَجُلًا يَدْعُو فِي صَلَاتِهِ، وَلَمْ يُمَجِّدِ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَلَمْ يُصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ لَهُ:
"عَجِلْتَ أَيُّهَا الْمُصَلِّي". رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ

وَسَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَجُلًا يُصَلِّي فَمَجَّدَ اللَّهَ وَحَمِدَهُ، وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ لَهُ ﷺ:
"ادْعُ تُجَبْ، وَسَلْ تُعْطَ". رَوَاهُ مُسْلِمٌ

أَمَّا إِذَا أَرَادَ الإِنسَانُ أَنْ يَفْعَلَ خَيْرًا، فَإِنَّهُ يُقَدِّمُ عَلَى فِعْلِهِ وَلَا يَتَأَخَّرُ،
فَإِنَّ البَادِرَ بِالخَيْرِ مَغْنُومٌ، وَالمتَأَخِّرَ عَنْهُ مَلُومٌ.

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

"التُّؤْدَةُ فِي كُلِّ شَيْءٍ، *أَيِ: التَّمَهُّلُ*، **إِلَّا فِي عَمَلِ الآخِرَةِ، فَلَيْسَ هُنَاكَ تَأَنٍّ فِي فِعْلِ الْخَيْرَاتِ".**

رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ.

وَقَالَ تَعَالَى:

﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ سورة آل عمران: ١٣٣

فَهَنِيئًا لِمَنْ سَابَقَ بِالْخَيْرَاتِ، وَمَنْ سَارَعَ فِي الْأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ.

وَطُوبَى لِمَنْ لَمْ يَتَرَدَّدْ، وَلَمْ يَتَثَاقَلْ، وَبَادَرَ إِلَى مَرْضَاةِ رَبِّهِ.

فَهُنَا تَكُونُ الْعَجَلَةُ مَمْدُوحَةً، غَيْرَ مَذْمُومَةٍ،

لِأَنَّهَا فِي طَاعَةِ اللهِ وَسَبِيلِ نَيْلِ رِضَاهُ، **وَالْمُبَادِرُ إِلَى الْخَيْرِ كَالسَّابِقِ إِلَى جَنَّاتِ النَّعِيمِ.**

وَحَجْمُ هذِهِ الرَّحْمَةِ وَالنَّعِيمِ الْمَوْعُودِ جَعَلَ هِرَقْلَ **مَلِكَ الرُّومِ** يَتَسَاءَلُ عَنْ مَكَانِ النَّارِ فِي ظِلِّ اتِّسَاعِ الْجَنَّةِ الَّتِي دَعَا إِلَيْهَا النَّبِيُّ ﷺ،

فقد رُوِيَ أَنَّهُ كَتَبَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ:

"إِنَّكَ دَعَوْتَنِي إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ، فَأَيْنَ النَّارُ؟"

فَقَالَ ﷺ:

"سُبْحَانَ اللهِ! فَأَيْنَ اللَّيْلُ إِذَا جَاءَ النَّهَارُ؟"

وَكَذَلِكَ النَّارُ، **تَكُونُ حَيْثُ شَاءَ اللهُ لَهَا أَنْ تَكُونَ.** مسند الإمام أحمد

وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ بَعْدَ رَفْعِهِ مِنَ الرُّكُوعِ:

"رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ، مِلْءَ السَّمَاوَاتِ، وَمِلْءَ الأَرْضِ، وَمِلْءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ". رواه مسلم

فَفِي ذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ **هُنَاكَ عَالَمًا غَيْرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللهُ.**

حُرْمَةُ الإِشَارَةِ بِالسِّلَاحِ

رَوى الإمامُ الذَّهَبِيُّ في *سير أعلام النبلاء* عن أَحدِ العلماءِ الصَّالحين، أَنَّهُ مرَّ ذاتَ يومٍ على رَجلينِ كان أَحدُهما يُشهِرُ سِلاحًا حديديًّا (سيفًا أو رمحًا) نَحوَ الآخرِ في حالةِ غضبٍ شديدٍ.
فقالَ الرَّجلُ الصالحُ:

"إنَّ الإشارةَ بالسِّلاحِ، وإن لم تُصب أخاكَ بالضربةِ، فإنها تجرحُ قلبَه، وتفتحُ بابَ الشيطانِ للفتنةِ والخصامِ".

وأضاف:

"تعلَم أنَّ اللهَ تعالى قد حَرَّم إيلامَ المسلمِ، حتى بالكلمةِ، فكيفَ بالإشارةِ بالسِّلاحِ؟ لقد روى النبيُّ ﷺ أنَّ الملائكةَ تلعنُ من أشارَ إلى أخيه بالسِّلاحِ". *رواه البخاري ومسلم*

فأثّر هذا القولُ في الرَّجلِ الذي كان يُهدِّدُ، فأخمَد غضبَهُ وأسقطَ السِّلاحَ.

قال رسولُ اللهِ ﷺ:

"مَن شَهَرَ عَلَينا السِّلاحَ فليسَ *مِنّا*". *رواه مسلم*

وفي حديثٍ آخر:

"إِذَا أَشَارَ الْمُسْلِمُ إِلَى أَخِيهِ بِحَدِيدَةٍ، لَعَنَتْهُ الْمَلَائِكَةُ، وَإِنْ كَانَ أَخَاهُ لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ". *رواه الترمذي*

هذا لِمَنْ أشارَ بحديدةٍ!
فما بالُكَ بالإشارةِ بالسِّلاحِ النّاريّ وما كانَ على مِثلِه؟
فالإشارةُ بالسِّلاحِ في وجهِ المسلمِ قد تُفضي إلى المحذور، وإن لم يكن محقَّقًا.
فكم شَهِدْنا من أَخٍ قتلَ أَخاهُ، ومن صديقٍ قتلَ صديقَهُ بسببِ مثلِ هذه الأخطاء،
وما ذاك إلا بسببِ خفّةِ العقل، وقلّةِ الوعي، والجهلِ بسُنّةِ رسولِ اللهِ ﷺ.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

"لَا يُشِيرُ أَحَدُكُمْ إِلَى أَخِيهِ بِالسِّلَاحِ، فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي لَعَلَّ الشَّيْطَانُ يَنْزِعُ فِي يَدِهِ،
فَيَقَعُ فِي حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ." رواه أبو داوُدَ

وَكَيْفَ بِنَا وَنَحْنُ نَرَى بَعْضَ الآبَاءِ الْمُسْتَهْتِرِينَ،
يَتْرُكُونَ أَسْلِحَتَهُمْ وَجُعَبَهُمْ بَيْنَ يَدَيْ أَطْفَالِهِمْ،
وَمِنْ ثَمَّ إِذَا وَقَعَتِ الْمُصِيبَةُ نَدِمُوا، وَلَا تُوجَدُ سَاعَةُ مَنْدَمٍ.

وَلِكُلِّ مَنْ يُطْلِقُ النَّارَ بِشَكْلٍ عَشْوَائِيٍّ،
وَلِكُلِّ مَنْ يُطْلِقُ النَّارَ فِي الْأَفْرَاحِ وَالْأَتْرَاحِ،
نُذَكِّرُهُمْ بِحَدِيثِ رَسُولِ اللهِ ﷺ:

"لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُرَوِّعَ مُسْلِمًا." وَكَرَّرَهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. رواه الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ

فَإِنْ لَمْ يَكُنْ تَرْوِيعًا، فَهُوَ إِزْعَاجٌ وَأَذًى، وَمَنْ آذَى مُؤْمِنًا فَقَدْ آذَانِي، كَمَا فِي الْحَدِيثِ.

وَنَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ أَنْ تُتْبَعَ الْجَنَائِزُ بِصَوْتٍ أَوْ بِنَارٍ. **حيثُ قال:**

"لا تُتْبَعُ الجنازةُ بصوتٍ ولا نارٍ ". رواه أبو داود

وَقَدْ جَاءَتْ شَرِيعَةُ الْإِسْلَامِ بِحَسْمِ مَوْضُوعِ الْأَمْنِ حَسْمًا جَازِمًا، فَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

"إِذَا مَرَّ أَحَدُكُمْ فِي مَسْجِدِنَا أَوْ فِي سُوقِنَا وَمَعَهُ نُبُلٌ،
فَلْيَقْبِضْ بِكَفِّهِ أَنْ يُصِيبَ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْهَا بِشَيْءٍ". الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ

وَهٰذَا تَحْذِيرٌ مِنَ الْإِهْمَالِ فِي أَيِّ أَمْرٍ، حَتَّى لَا يُؤَدِّيَ إِلَى أَذِيَّةِ الْآخَرِينَ.

قِصَّةُ النَّبِيِّ ﷺ مَعَ عَمِّهِ العَبَّاسِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي صِلَةِ الرَّحِمِ

كانَ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ ﷺ يَحرِصُ عَلَى صِلَةِ الرَّحِمِ مَعَ أَقَارِبِهِ،
وَلَمْ يَكُنْ يُفارِقُ عَمَّهُ العَبَّاسَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، الَّذِي كانَ مِنْ أَقْرَبِ النَّاسِ إِلَيْهِ وَأَحَبَّهُمْ.
رُوِيَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كانَ يَزورُ عَمَّهُ العَبَّاسَ
وَيُعاتِبُهُ أَحيانًا بِرِفقٍ عَلَى تَقْصِيرِهِ فِي بَعْضِ الأُمُورِ، لَكِنَّهُ لَمْ يَقْطَعْ صِلَتَهُ بِهِ،
بَلْ كانَ يَحُثُّهُ عَلَى التَّقَرُّبِ إِلَى اللهِ بِالخَيْرِ وَبِرِّ الأَقَارِبِ. *سير أعلام النبلاء، للذهبي*

وفي يَوْمٍ مِنَ الأَيَّامِ، جاءَ العَبَّاسُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَشْكُو قَسْوَةَ بَعْضِ النَّاسِ عَلَيْهِ
بِسَبَبِ مَوْقِفِهِ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ مُبْتَسِمًا، وَقَالَ لَهُ:
"يَا عَمَّا، صِلْ رَحِمَكَ تَصِلْكَ الرَّحِمُ".

وكانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعَلِّمُ أَنَّ صِلَةَ الرَّحِمِ مِنْ أَعْظَمِ الأَعْمَالِ
الَّتِي تُدْخِلُ البَرَكَةَ عَلَى الإِنْسَانِ فِي حَيَاتِهِ، وَتُثْبِتُ لَهُ الأَجْرَ العَظِيمَ عِنْدَ اللهِ،
فَكانَ يُكَرِّمُ أَقَارِبَهُ وَيَزُورُهُمْ وَيُعْطِيهِمْ مِنْ مَالِهِ إِنِ اسْتَطَاعَ. *البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ*

يَقُولُ اللهُ تَعَالَى:

"وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ" *النساء: ١*

وقالَ النَّبِيُّ ﷺ:
"لا يدخل الجنة قاطع رحم". *البخاري ومسلم*

فَاجْتَهِدُوا فِي صِلَةِ أَرْحَامِكُمْ، وَصِلُوا آبَاءَكُمْ وَأُمَّهَاتِكُمْ وَكُلَّ مَنْ لَهُ حَقٌّ عَلَيْكُمْ،
وَلَيْسَ الْوَاصِلُ بِالْمُكَافِئِ،
وَلَكِنِ الْوَاصِلُ مَن إِذَا قُطِعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا، فَصِلُوا أَرْحَامَكُمْ وَلَوْ قَطَعُوكُمْ. *رَوَاهُ البُخَارِيُّ*

فاللهُ سبحانه قالَ للرحمِ: "أَلَا تَرضَيْنَ أن أَصِلَ مَن وَصَلَكِ، وأَقطَعَ مَن قَطَعَكِ؟"
قالت: نعم. قال :فذلِكَ لَكِ". *البخاري*

إنَّ **رَحِمَكَ** :مَن تَربِطُكَ بهِ صِلةٌ من جهةِ أُمِّكَ أو أبيكَ، كُلُّ أولئكَ رحمٌ لَكَ،
وأقربُهم: أولادُكَ، وبناتُكَ، ونَسلُكَ،
ثمَّ إخوتُكَ وأخواتُكَ، أعمامُكَ وبنو عمِّكَ،
ثمَّ عمَّاتُكَ، وأخوالُكَ وخالاتُكَ،
ومَن يَنتسبُ إليهم من بني عمٍّ وبني خالٍ وخالةٍ.
كُلُّ أولئكَ رحمُكَ الذين يجبُ عليكَ صِلتُهم، ويحرُمُ عليكَ قطيعتُهم.

إنَّ **صِلةَ الرَّحِمِ** تكونُ بالإمدادِ بالمالِ لفقيرِهم،
وإعانةِ محتاجِهم، ودفعِ الضررِ عنهم،
والعفوِ عن زلّاتِهم وهفواتِهم،
وتحمُّلِ أخطائِهم، **وزيارتِهم**.

هكذا يكونُ واصِلُ الرَّحم.

والصِّلَةُ تَعُمُّ كُلَّ أَنْوَاعِ التَّواصُلِ، قالَ رسولُ اللهِ ﷺ:
"**بُلُّوا أَرْحَامَكُمْ وَلَوْ بِالسَّلَامِ**." *رواه ابن أبي الدنيا*

والحدُّ الأدنى من صلةِ الرحم :**عدمُ الأذى، وكفُّ الشَّرِّ**.

قالَ ﷺ:
"مَن أَحَبَّ أَنْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، وَيُبَارَكَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، فَلْيَصِلْ ذَا رَحِمٍ". *البخاري ومسلم*

أي إنَّ **صِلَةَ الرَّحِمِ** سببٌ لـ: **بَرَكَةِ العُمر، وسِعَةِ الرِّزق، والذِّكرِ الحَسَنِ.**

لا يُوَلّى هذا عندي عملًا أبدًا

جاءَ في كتابِ **سيرِ أعلامِ النُّبلاءِ**، في ترجمةِ **زيادِ بنِ أَبِيهِ**، والي العراقِ في عهدِ **معاويةَ** رضيَ اللهُ عنه:

كانَ **زيادُ بنُ أَبِيهِ** رجلًا حازمًا في وِلايتِهِ، شديدَ البصيرةِ بمن حولَهُ.
دخلَ عليهِ رجلٌ ذاتَ يومٍ، فأظهرَ له الولاءَ والطاعةَ، وأخذَ يمدحُهُ ويُثني عليهِ،
ويُظهِرُ محبتَهُ لعدلِهِ وحزمِهِ في إقامةِ الحقِّ.

فلمّا خرجَ هذا الرّجلُ، قالَ أحدُ الحاضرينَ لزيادٍ:
"يا أميرَ، أما تخافُ من هذا الرّجلِ؟"
فأجابَه **زيادٌ:**
"إنّي لأعرِفُهُ،
إنَّهُ لَذو وجهَيْنِ، يُظهِرُ لكلِّ قومٍ ما يُحبُّون،
وإن دخلَ علينا فأثنَى، ثم خرجَ فذمَّ.
واللهِ، لا يُوَلَّى هذا عندي عملًا أبدًا".

هذا الموقفُ يَكشِفُ كيفَ كانَ السَّلَفُ يتعاملونَ مع أصحابِ الوجهَيْنِ؛
لا يَغترُّونَ بكلامِهم، ولا يُقَرِّبونَهم،
بل يَحذَرونَ منهم ويقصُونَهم عن مواضعِ الثِّقةِ.

قال ﷺ:
"ذو الوجهَيْنِ لا يكونُ وجيهًا عندَ اللهِ". رواه البخاري

وَقَالَ ﷺ:
"مَنْ كَانَ ذَا وَجْهَيْنِ فِي الدُّنْيَا، كَانَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِسَانَانِ مِنْ نَارٍ". رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ

فَالْمُسْلِمُ الصَّادِقُ، أَيُّهَا الإِخْوَةُ، لَهُ **وَجْهٌ وَاحِدٌ** حَيْثُمَا كَانَ،
وَلَهُ **لِسَانٌ وَاحِدٌ** لَا يَنْطِقُ إِلَّا بِمَا يُرْضِي رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ،

لَا يُلَوِّنُ كَلَامَهُ بَيْنَ النَّاسِ، وَلَا يُفَرِّقُ الْجَمَاعَةَ،
وَلَا يُحَرِّضُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ.

والنبيُّ ﷺ كذلكَ حذَّرَ من **النَّميمَةِ**، وهي من صفاتِ أصحابِ الوجهَيْنِ، فقال:

"لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ نَمَّامٌ". *مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ*

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ:
"مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِقَبْرَيْنِ، فَقَالَ: إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ،
وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ.
أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ،
وَأَمَّا الآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ". *رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ*

فَالنَّمِيمَةُ سَبَبٌ مِنْ أَسْبَابِ **عَذَابِ الْقَبْرِ**،
وَهِيَ مِنَ **الْكَبَائِرِ الْمُهْلِكَةِ**،
وَهِيَ خُلُقٌ خَبِيثٌ يَدُلُّ عَلَى خُبْثِ النَّفْسِ، وَضَعْفِ الْإِيمَانِ، وَسُوءِ الْمَقْصِدِ.

فَالْوَاجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ **يَحْفَظَ لِسَانَهُ**، وَأَنْ يَكُونَ **صَادِقًا نَقِيًّا**،
لَا يَحْمِلُ فِي قَلْبِهِ غِشًّا، وَلَا فِي لِسَانِهِ خَدِيعَةً.

فالمُسلِمُ الصادق... بوجهٍ واحدٍ ولسانٍ واحدٍ
إِذَا حَضَرَ، حَضَرَ الْخَيْرُ مَعَهُ، وَإِذَا غَابَ، غَابَتْ مَعَهُ الْفِتْنَةُ،
وَإِذَا نَطَقَ، نَطَقَ بِالْحِكْمَةِ.

الكذّابُ الذي تُبلِّغُ كذبتهُ الآفاقَ

رَأى النَّبِيُّ ﷺ فِي المنَامِ مَشْهَدًا مُرْعِبًا،
جَاءَهُ مَلَكَانِ، فَأَخَذَاهُ إِلَى أَرْضٍ مُقَدَّسَةٍ، أَوْ فَضَاءٍ وَاسِعٍ،
فَرَأى رَجُلًا جَالِسًا، وَآخَرَ وَاقِفًا عِنْدَ رَأْسِهِ،
بِيَدِهِ كَلُّوبٌ مِنْ حَدِيدٍ –كَالْحَرْبَةِ أَوِ الْخَطَّافِ–
فَأَدْخَلَهُ فِي جَانِبِ فَمِهِ، حَتَّى شَقَّ قَفَاهُ،
ثُمَّ عَادَ لِلْجَانِبِ الآخَرِ، وَمَا إِنْ يَنْتَهِيَ حَتَّى يَلْتَئِمَ الْفَمُ،
ثُمَّ يُعِيدُ الْكَرَّةَ مِرَارًا وَمِرَارًا...
فَقَالَ ﷺ:
"مَن هَذَا؟"
فَقَالَ الْمَلَكَانِ:
"هَذَا رَجُلٌ يَكْذِبُ الْكِذْبَةَ، فَتَبْلُغُ الْآفَاقَ، فيُصْنَعُ بِهِ مَا رَأَيْتَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ". رَوَاهُ البُخَارِي

كِذْبَةٌ وَاحِدَةٌ ...لَكِنَّهَا تَنْتَشِرُ، تُتَنَاقَلُ، وَتُرْوَى،
تُحْدِثُ فِتْنَةً، وَتَزْرَعُ الحِقْدَ، وَتُشْعِلُ نَارَ الْبَغْضَاءِ،
فَيَكُونُ هَذَا الْعَذَابُ الْأَلِيمُ جَزَاءَهَا إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

فَالْأَصْلُ فِي الْمُؤْمِنِ الصِّدْقُ، لَا الْكَذِبُ،
قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:
﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ﴾ النحل: ١٠٥
وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
"آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ ".*مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ*

فَاحْذَرْ أَنْ تَكُونَ مِنْ هَؤُلَاءِ، أَوْ أَنْ تُرَوِّجَ لِكَذِبِهِمْ دُونَ تَثَبُّتٍ!
قَالَ ﷺ:
"كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ ". رَوَاهُ مُسْلِم

وَقَالَ ﷺ:

"إِنَّ اللَّهَ كَرِهَ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ ".*رَوَاهُ الْبُخَارِي وَمُسْلِم*

وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَاعِدَةً عَظِيمَةً فِي التَّعَامُلِ مَعَ الْأَخْبَارِ، فَقَالَ:

﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا ﴾ *الحُجُرَات: ٦*

فَإِنْ كَانَ الْفَاسِقُ يُحَذَّرُ مِنْهُ فِي عَصْرِ النُّبُوَّةِ،

فَكَيْفَ بِعَصْرِ وَسَائِلِ الْإِعْلَامِ الزَّائِفَةِ، وَالْحِسَابَاتِ الْمَشْبُوهَةِ، وَالْمَجْمُوعَاتِ الْمُضَلِّلَةِ؟!

إِذَا وَصَلَتْكَ إِشَاعَةٌ، أَوْ فَضِيحَةٌ، أَوِ اتِّهَامٌ لِأَحَدٍ،

فَاجْعَلْهَا تَقِفُ عِنْدَكَ، وَلَا تَتَعَدَّاكَ.

وَلَا تَكُنْ سَبَبًا فِي نَشْرِ الْكَذِبِ، وَلَوْ بِنَقْرَةِ "إِعَادَةِ إِرْسَالٍ!"

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

"مَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ،

وَمَنْ تَتَبَّعَ عَوْرَاتِ النَّاسِ، تَتَبَّعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ،

وَمَنْ تَتَبَّعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، فَضَحَهُ وَلَوْ فِي جَوْفِ بَيْتِهِ ". *رَوَاهُ التِّرْمِذِي*

مِفْتَاحُ شَرٍّ اسْمُهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيِّ بْنِ سَلُول

كَانَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيِّ بْنِ سَلُولَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، وَمِنْ أَشْرَافِ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ،
وَكَانَ النَّاسُ يُعِدُّونَهُ قَبْلَ الْهِجْرَةِ لِيَكُونَ سَيِّدًا عَلَيْهِمْ، تُعْقَدُ لَهُ الزَّعَامَةُ وَالرِّيَاسَةُ،
فَلَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ مُهَاجِرًا إِلَى الْمَدِينَةِ، وَبَايَعَهُ النَّاسُ عَلَى الْإِسْلَامِ،
سَقَطَتْ مَكَانَةُ ابْنِ سَلُولَ، وَخَابَ أَمَلُهُ،
فَحَقَدَ فِي قَلْبِهِ، وَأَضْمَرَ النِّفَاقَ، وَظَهَرَ ذَلِكَ عَلَيْهِ لَاحِقًا.

فِي غَزْوَةِ الْمُرَيْسِيعِ قَالَ عَنِ الْمُهَاجِرِينَ سَاخِرًا وَمُحَرِّضًا قَوْمَهُ:
"لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ". *الْمُنَافِقُونَ: ٨*

يَقْصِدُ نَفْسَهُ بِالْأَعَزِّ، وَالنَّبِيَّ ﷺ وَأَصْحَابَهُ بِالْأَذَلِّ! فَأَنْزَلَ اللهُ هَذِهِ الْآيَةَ تَكْذِيبًا لَهُ، وَفَضْحًا لِنِفَاقِهِ.

وَكَانَ مِمَّنْ سَاهَمَ فِي نَشْرِ إِشَاعَةِ الْإِفْكِ عَنْ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا،
فَكَانَ سَبَبًا فِي إِذْكَاءِ نَارِ الْفِتْنَةِ،
حَتَّى أَنْزَلَ اللهُ بَرَاءَتَهَا فِي سُورَةِ النُّورِ، وَكَانَتْ فَضِيحَةً كُبْرَى لِلْمُنَافِقِينَ.

وَكَانَ يُخَذِّلُ الْمُسْلِمِينَ وَيُثَبِّطُ عَزَائِمَهُمْ،
وَقَدْ رَجَعَ بِثُلُثِ الْجَيْشِ فِي غَزْوَةِ أُحُدٍ، مِمَّا أَحْدَثَ خَلَلًا فِي صُفُوفِ الْمُسْلِمِينَ،
وَزَرَعَ الضَّعْفَ وَالْقَلَقَ فِي قُلُوبِهِمْ.

فَكَانَ عَبْدُ اللهِ بنُ أُبَيٍّ نَمُوذَجًا لِمَنْ جَعَلَهُ اللهُ مِفْتَاحًا لِلشَّرِّ، مُغْلَاقًا لِلْخَيْرِ.
وَمَاتَ عَلَى نِفَاقِهِ، فَأَنْزَلَ اللهُ فِيهِ:
"اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ". *التَّوْبَةُ: ٨٠*

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:
"إِنَّ مِنَ النَّاسِ مَفَاتِيحَ لِلْخَيْرِ، مُغَالِيقَ لِلشَّرِّ، فَطُوبَى لِمَنْ جَعَلَ اللهُ مَفَاتِيحَ الْخَيْرِ عَلَى يَدَيْهِ، وَوَيْلٌ لِمَنْ جَعَلَ اللهُ مَفَاتِيحَ الشَّرِّ عَلَى يَدَيْهِ". *رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ*

وعَلَامَةُ رِضَا اللهِ عَنْ الْعَبْدِ: أَنْ يَجْعَلَهُ مِفْتَاحًا لِلْخَيْرِ؛
حَيْثُمَا حَلَّ، حَلَّ مَعَهُ الْخَيْرُ، وَإِذَا نَطَقَ، نَطَقَ بِالْحَقِّ،
وَإِذَا سُئِلَ، دَلَّ عَلَى الْمَعْرُوفِ، وَإِذَا رَأَى مُنْكَرًا أَنْكَرَهُ.

وَأَمَّا مِفْتَاحُ الشَّرِّ، فَوَيْلٌ لَهُ! يَتَقَلَّبُ فِي الشَّرِّ، وَيَنْطِقُ بِهِ، وَيَسْعَى لَهُ، وَيُشَجِّعُ عَلَيْهِ، وَلَا يُفَكِّرُ إِلَّا فِي نَشْرِ الْفَسَادِ.

فكَمْ مِنَ النَّاسِ الْيَوْمَ لَا يَكْتَفُونَ بِفِعْلِ الشَّرِّ، بَلْ يُزَيِّنُونَهُ وَيَنْشُرُونَهُ!
فَمِنْهُمْ مَنْ يَشْرَبُ الْخَمْرَ وَيُقَدِّمُهَا لِغَيْرِهِ،
وَمَنْ يَزْنِي وَيُشَجِّعُ عَلَيْهِ، وَمَنْ يُشِيعُ الْفَاحِشَةَ،
فَهُوَ كَالْوَبَاءِ الَّذِي يَنْتَقِلُ بَيْنَ النَّاسِ.

وَآخَرُونَ **لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ**؛
لَا يَأْمُرُونَ بِمَعْرُوفٍ، وَلَا يَنْهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ، وَلَوْ كَانُوا قَادِرِينَ،
فَهُمْ صَامِتُونَ عَلَى الشَّرِّ، غَافِلُونَ عَنِ الْخَيْرِ.

وقَد قَالَ النَّبِيُّ ﷺ في أمثالِ هؤلاء:

"لَا يَحْقِرَنَّ أَحَدُكُمْ نَفْسَهُ، أَنْ يَرَى أَمْرًا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ فِيهِ مَقَالٌ،
ثُمَّ لَا يَقُولَ فِيهِ،
فَيَقُولَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: مَا مَنَعَكَ أَنْ تَقُولَ فِيهِ؟
فَيَقُولَ: يَا رَبِّ، خَشِيتُ النَّاسَ،
فَيَقُولُ: فَأَنَا أَحَقُّ أَنْ يُخْشَى". رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنْ مَفَاتِيحِ الْخَيْرِ، مُغَالِيقَ الشَّرِّ،
فَهِيَ إِمَّا إِلَى طُوبَى... وَإِمَّا إِلَى وَيْلٍ.

التَوَاضُعُ بَيْنَ سِيرَةِ الإِمَامِ مَالِكٍ وَتَعَالِيمِ الإِسْلَامِ

رُوِيَ أَنَّ الإِمَامَ مَالِكَ بْنَ أَنَسٍ رَحِمَهُ اللَّهُ
كَانَ مَعْرُوفًا بِتَوَاضُعِهِ الشَّدِيدِ رَغْمَ مَكَانَتِهِ العِلْمِيَّةِ الكَبِيرَةِ.
كَانَ يَأْتِيهِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ البَادِيَةِ يَتَحَدَّثُ إِلَيْهِ وَيَتَبَاهَى بِنَفْسِهِ،
وَيَتَعَالَى عَلَى أَهْلِ المدِينَةِ، وَيَتَفَاخَرُ بِأُمُورِهِ وَحَيَاتِهِ.

فِي يَوْمٍ مِنَ الأَيَّامِ، سَأَلَهُ الإِمَامُ مَالِكٌ:
"**هَلْ تَعْلَمُ يَا هَذَا مَا سَبَبُ عُلُوِّ مَقَامِكَ فِي الدُّنْيَا؟**"

فَأَجَابَ الرَّجُلُ مُتَعَجْرِفًا:
"بِفَضْلِ قُوَّتِي وَكَرَامَتِي وَأَصْلِي الطَّيِّبِ".

ابْتَسَمَ الإِمَامُ مَالِكٌ وَقَالَ لَهُ:

"**أَنْتَ لَا تَمْلِكُ شَيْئًا مِمَّا تَعْتَقِدُ، فَأَنْتَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا ضَيْفٌ وَزَائِرٌ، وَلَنْ يَبْقَى مِنْكَ إِلَّا عَمَلُكَ وَطَهَارَةُ قَلْبِكَ وَتَوَاضُعُكَ**".
ثُمَّ أَضَافَ:
"**مَنْ تَوَاضَعَ لِلَّهِ رَفَعَهُ، وَمَنْ تَعَالَى سَقَطَ وَسَحَقَهُ اللَّهُ بِالذُّلِّ وَالهَوَانِ** ".*الطبقات الكبرى*

وَهَذَا مَا دَعَا إِلَيْهِ الإِسْلَامُ، فَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:
" **مَن تَوَاضَعَ لِلَّهِ رَفَعَهُ** ".*رَوَاهُ مُسْلِمٌ*

وَقَالَ أَيْضًا:

"**لَيْسَ الرَّفْعَةُ فِي كَثْرَةِ المَالِ وَالوَلَدِ، وَلَكِنَّ الرَّفْعَةَ فِي العِلْمِ وَالعَمَلِ** ".*رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ*

وَلَقَدْ أَمَرَنَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِالتَّوَاضُعِ، فَقَالَ:

"**وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ** "*الحجر: ٨٨*، أَيِ **تَوَاضَعْ لِلنَّاسِ جَمِيعًا**.

وَقَدْ خَيَّرَ اللَّهُ –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى– نَبِيَّهُ ﷺ بَيْنَ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا رَسُولًا، أَوْ مَلِكًا رَسُولًا،
فَاخْتَارَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا رَسُولًا؛ **تَوَاضُعًا لِلَّهِ –عَزَّ وَجَلَّ.–**

وَقَدْ كَانَ يَحْلِبُ الشَّاةَ، وَيَخِيطُ النَّعْلَ، وَيُرَقِّعُ الثَّوْبَ، وَيَأْكُلُ مَعَ خَادِمِهِ،
وَيَشْتَرِي الشَّيْءَ مِنَ السُّوقِ بِنَفْسِهِ، وَيَحْمِلُهُ بِيَدَيْهِ، وَيَبْدَأُ مَن يُقَابِلُهُ بِالسَّلَامِ وَيُصَافِحُهُ.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

"إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا، حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ ".
رَوَاهُ أَحْمَدُ

لِأَنَّ التَّوَاضُعَ مَعَ النَّاسِ يَنْطَلِقُ مِنْ حَقِيقَةٍ أَنَّكَ لَسْتَ أَفْضَلَ مِنْهُمْ،
مَهْمَا كَانَتْ رُتْبَتُكَ، أَوْ عِلْمُكَ، أَوْ عِبَادَتُكَ.

فَبِالتَّوَاضُعِ تَكْسِبُ قُلُوبَ النَّاسِ، وَيَرْفَعُكَ رَبُّ النَّاسِ، فَمَن تَوَاضَعَ لِلَّهِ رَفَعَهُ اللَّهُ.

وَقَدْ حَذَّرَنَا ﷺ مِنَ **الكِبْرِ**، وَأَمَرَنَا بِالِابْتِعَادِ عَنْهُ حَتَّى لَا نُحْرَمَ مِنَ الجَنَّةِ، فَقَالَ:

"لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ ". *رَوَاهُ مُسْلِمٌ*

ثَبَتَ أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ:
"إِنِّي أُحِبُّ أَنْ يَكُونَ رِدَائِي حَسَنًا، وَأُنْعُلِي حَسَنًا، أَفَمِنَ الكِبْرِ ذَلِكَ؟"
فَقَالَ ﷺ:

"لَا، إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الجَمَالَ ". *رَوَاهُ مُسْلِمٌ*
وَأَمَّا إِنْ أَرَادَ بِذَلِكَ تَطَاوُلًا وَتَفَاخُرًا فَإِنَّ ذَلِكَ مَذْمُومٌ.

فَلْيَحْرِصْ كُلٌّ مِنَّا أَنْ يَكُونَ مُتَوَاضِعًا،
وَالتَّوَاضُعُ يَكُونُ مَعَ اللَّهِ، وَمَعَ رَسُولِهِ، وَمَعَ الخَلْقِ أَجْمَعِينَ.

أَخْلَاقُ الْمُسْلِمِ فِي الْعِلَاقَاتِ

رُوِيَ أَنَّ الإِمَامَ **عَبْدَ اللهِ بْنَ الْمُبَارَكِ رَحِمَهُ اللهُ** كَانَ إِذَا خَرَجَ إِلَى السُّوقِ، نَظَرَ إِلَى السَّمَاءِ وَالنُّجُومِ، ثُمَّ قَالَ:

"يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ، إِنَّكَ كَائِنٌ صَغِيرٌ فِي هَذَا الْكَوْنِ الْعَظِيمِ، وَالنُّجُومُ الَّتِي تَرَاهَا مَا هِيَ إِلَّا جُسَيْمَاتٍ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ، فَكَيْفَ تَغْتَرُّ بِنَفْسِكَ وَتَظُنُّ أَنَّكَ وَحْدَكَ الْمُهِمُّ؟"

وَكَانَ يَقُولُ أَيْضًا:

"تَعَامَلْ مَعَ الْكَوْنِ وَكَأَنَّكَ ضَيْفٌ فِيهِ، فَلَا تَغْدُرْ وَلَا تَظْلِمْ، وَلَا تَأْخُذْ إِلَّا حَقَّكَ، فَكُلُّ شَيْءٍ مِنْ حَوْلِكَ لَهُ حَقٌّ عَلَيْكَ، وَحَقٌّ عَلَيْكَ أَنْ تَحْتَرِمَ خَلْقَ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ".

وَقَدْ وَرَدَ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ كَثِيرَ التَّفَكُّرِ فِي خَلْقِ اللَّهِ، يَقُولُ:

"إِنَّ الْكَوْنَ مِرْآةٌ تُظْهِرُ عَظَمَةَ اللَّهِ، وَمَنْ تَأَمَّلَهَا شَعَرَ بِضَعْفِهِ، فَتَعَلَّمَ التَّوَاضُعَ وَحُسْنَ الْخُلُقِ مَعَ الْجَمِيعِ".

فَلَقَدْ نَظَّمَ الْإِسْلَامُ عِلَاقَةَ الْمُسْلِمِ مَعَ كُلِّ الْأَشْيَاءِ مِنْ حَوْلِهِ، وَبَيَّنَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أُصُولَ الْعَيْشِ الصَّالِحِ، بَدْءًا مِنَ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَرْحَامِ، وَانْتِهَاءً بِالْجِيرَانِ وَالْأَصْحَابِ وَالْمَارَّةِ، **دُونَ تَفَاخُرٍ وَاخْتِيَالٍ** حَتَّى لَا يُفْسِدَ الْحُبَّ وَالْوِئَامَ، قَالَ تَعَالَى:

"وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا " *النساء: ٣٦*.

كَذَلِكَ عِلَاقَتُهُ بِالْجَمَادِ وَالنَّبَاتِ وَالْحَيَوَانِ **عَلَاقَةٌ تَوَافُقِيَّةٌ**، فَالْكَوْنُ بِالنِّسْبَةِ لِلْمُسْلِمِ مَسْجِدٌ كَبِيرٌ، **اشْتَرَكَتْ فِيهِ الْكَائِنَاتُ سُجُودًا وَتَسْبِيحًا لِخَالِقِهَا، وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ.**

وَلِهَذَا **تَوَعَّدَ سُبْحَانَهُ كُلَّ مَن يُعِيثُ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا**، قَالَ تَعَالَى:

"وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ، وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ] "*البقرة: ٢٠٥*

وَمِنْ ذَلِكَ مَا وَرَدَ عَنْ **امْرَأَةٍ عَذَّبَتْ هِرَّتَهَا** بِالسِّجْنِ حَتَّى مَاتَتْ، فَدَخَلَتِ النَّارَ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

"عُذِّبَتِ امْرَأَةٌ فِي هِرَّةٍ سَجَنَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ، فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارَ "*رواه البخاري ومسلم*

وَعَلَى الْعَكْسِ، جَاءَ فِي الصَّحِيحِ أَنَّ **امْرَأَةً بَغِيَّةً رَأَتْ كَلْبًا** فِي يَوْمٍ حَارٍّ يَطِيفُ بِبِئْرٍ وَقَدْ أَدْلَعَ لِسَانَهُ مِنَ الْعَطَشِ، فَاسْتَقَتْ لَهُ بِخُفِّهَا، فَغَفَرَ اللَّهُ لَهَا.

كَذَلِكَ أَنَّ **قَطْعَ شَجَرَةٍ نَافِعَةٍ** لِغَيْرِ مَصْلَحَةٍ يَسْتَوْجِبُ عِقَابًا شَدِيدًا، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

"قَاطِعُ السِّدْرِ يُصَوِّبُ اللَّهُ رَأْسَهُ فِي النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ "*رواه الترمذي*

أَثَرُ اللِّسَانِ فِي حَيَاةِ المُسْلِمِ وَعِقَابُهُ فِي الْآخِرَةِ

قالَ الحَسَنُ البَصْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

دَخَلَ رَجُلٌ عَلَى صَدِيقِهِ، فَوَجَدَ عِنْدَهُ جَمَاعَةً يَتَكَلَّمُونَ بِالسُّوءِ عَنْ آخَرِينَ، فَقَالَ لَهُمْ:

"أَتَتَكَلَّمُونَ عَنْ خَلْقِ اللَّهِ بِالسُّوءِ؟ أَلَا تَعْلَمُونَ أَنَّ اللِّسَانَ سَيْفٌ مَسْمُومٌ؟"

فَصَمَتُوا جَمِيعًا، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ:

"كَفُّوا أَلْسِنَتَكُمْ، فَإِنَّ اللِّسَانَ لَا يَنْقَطِعُ دَمُهُ حَتَّى يَوْمِ الْقِيَامَةِ". الزهد للحسن البصري

ثُمَّ ذَكَرَ لَهُمْ حَدِيثَ النَّبِيِّ ﷺ:

"مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ". رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ

وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:

قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟

فَقَالَ ﷺ:

"ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يُكَبُّ النَّاسُ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟"

رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ

فَإِذَا لَمْ يَحْفَظِ الْإِنْسَانُ لِسَانَهُ مِنَ الْمَعَاصِي وَالشُّرُورِ، كَانَ سَبَبًا فِي كَبِّهِ عَلَى وَجْهِهِ فِي النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

قَالَ ﷺ:

"لَمَّا عُرِجَ بِي مَرَرْتُ بِقَوْمٍ لَهُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نُحَاسٍ يَخْمِشُونَ بِهَا وُجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ، فَقُلْتُ مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ وَيَقَعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ". رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ

وَهَذَا نَوْعٌ مِنْ أَنْوَاعِ الْعَذَابِ الْكَثِيرَةِ، لأَنَّ الْمَعَاصِي الَّتِي تَكُونُ بِاللِّسَانِ كَثِيرَةٌ:

كَالْغِيبَةِ، وَالنَّمِيمَةِ، وَقَوْلِ الزُّورِ، وَالسُّخْرِيَةِ، وَالْكَذِبِ.

لِذَلِكَ سَيَكْثُرُ الْمُسْلِمُ مِنَ الصَّمْتِ لَوْ تَذَكَّرَ أَنَّ كُلَّ قَوْلٍ مَحْسُوبٌ لَهُ أَوْ مَحْسُوبٌ عَلَيْهِ،

وَسَيَمْتَنِعُ عَنْ كَثِيرٍ مِنَ الْكَلَامِ لَوْ تَذَكَّرَ أَنَّ كُلَّ كَلِمَةٍ مَرْصُودَةٌ فِي سِجِلِّ أَعْمَالِهِ،

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

"مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ" ق: ١٨

فَالْمَلَكَانِ يُسَجِّلَانِهِ فِي الدُّنْيَا، وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَنْكَشِفُ الْحِسَابُ وَيَكُونُ الْجَزَاءُ،
قَالَ تَعَالَى:

"يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ" النور: ٢٤

لِذَلِكَ، **فَمَا مِنْ شَيْءٍ أَحْوَجَ إِلَى طُولِ سِجْنٍ مِنَ اللِّسَانِ.**

قَالَ ﷺ:

"اِمْسَكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ". رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ

وَإِمْسَاكُ اللِّسَانِ يَكُونُ بِأَنْ لَا تُحَرِّكَهُ فِي مَعْصِيَةٍ، بَلْ وَلَا فِيمَا لَا يَعْنِيكَ.

وَقَالَ ﷺ:

"لَا يَسْتَقِيمُ إِيمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ، وَلَا يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ". رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ

وَاسْمَعُوا قَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ:

"مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ". رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ

فِي إِغَاثَةِ المَلْهُوفِ وَإِدْخَالِ السُّرُورِ عَلَى القُلُوبِ

رَوَى أَنَّ الإِمَامَ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلَ رَحِمَهُ اللَّهُ كَانَ جَالِسًا ذَاتَ يَوْمٍ، فَإِذَا بِرَجُلٍ يَطْرُقُ بَابَهُ، وَكَانَ وَجْهُهُ يَغْلِبُ عَلَيْهِ الْحُزْنُ وَالْهَمُّ، بَدَا عَلَيْهِ الثِّقْلُ وَالْغَمُّ، فَسَأَلَهُ الإِمَامُ:

"مَا الَّذِي يَحْمِلُ قَلْبَكَ عَلَى هَذَا الْحُزْنِ؟"

فَأَجَابَ الرَّجُلُ بِتَثَقُّلٍ:

"يَا إِمَامُ، أَثْقَلَتْنِي هُمُومُ الدُّنْيَا، وَغَلَبَنِي الْحُزْنُ، وَلَا أَجِدُ مَنْ يَزِيلُ كُرْبِي وَلَا يُفَرِّجُ عَنِّي ضِيقِي".

ابْتَسَمَ الإِمَامُ أَحْمَدُ بِلُطْفٍ، وَقَالَ لَهُ:

"تَعَالَ مَعِي".

فَأَخَذَهُ إِلَى بَعْضِ الْمُحْتَاجِينَ الَّذِينَ كَانَ الإِمَامُ يُعِينُهُمْ، وَشَارَكَهُمْ فِي تَقْدِيمِ الطَّعَامِ وَالْمَالِ وَالْمُسَاعَدَةِ، وَرَافَقَهُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ.

وَبَعْدَ أَنْ قَضَيَا بَعْضَ الْوَقْتِ فِي تَخْفِيفِ مَعَانَاةِ الْآخَرِينَ، قَالَ الإِمَامُ لَهُ:

"انْظُرْ كَيْفَ يُفَرِّجُ اللَّهُ كُرَبَاتِ النَّاسِ بِإِغَاثَتِهِمْ، وَكَيْفَ تَنْبَعُ الْفَرْحَةُ وَالْقُوَّةُ فِي النَّفْسِ حِينَ نُسَاعِدُ غَيْرَنَا".

فَبَدَأَ الرَّجُلُ يَشْعُرُ بِخِفَّةٍ فِي قَلْبِهِ، **وَكَأَنَّ الْحُزْنَ يَنْسَحِبُ شَيْئًا فَشَيْئًا مَعَ كُلِّ ابْتِسَامَةٍ عَلَى وَجْهِ مُحْتَاجٍ.**

وَكَانَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ، إِذَا رَأَى مَلْهُوفًا مُحْتَاجًا، أَسْرَعَ إِلَى مُسَاعَدَتِهِ حَتَّى يُذْهِبَ عَنْهُ هَمَّهُ، وَكَانَ يَقُولُ:

"الدِّينُ كُلُّهُ فِي إِغَاثَةِ الْمَلْهُوفِ ." رواه البخاري

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "مَنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَنْفَعَ أَخَاهُ فَلْيَفْعَلْ ." *البخاري ومسلم*

وَنَفْعُ الْأَقْرَبِينَ أَكْثَرُ وُجُوبًا وَأَعْظَمُ أَجْرًا، لِأَنَّهُ صِلَةُ رَحِمٍ وَعُنْوَانُ مَحَبَّةٍ، خَاصَّةً حِينَ يَكُونُ فِيهِمْ أَطْفَالٌ صِغَارٌ يَفْتَقِدُونَ الرِّعَايَةَ وَالْحَنَانَ.

إِنَّ أَبْوَابَ النَّفْعِ كَثِيرَةٌ، وَأَجْمَلُهَا مَا عَلَّمَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِقَوْلِهِ: "عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ ". *البخاري ومسلم*

وَضَرَبَ لَهَا بَعْضَ الْأَمْثِلَةِ بِحَسَبِ الْقُدْرَةِ :فَيَعْمَلُ بِيَدَيْهِ فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ، أَوْ يُعِينُ ذَا الْحَاجَةِ الْمَلْهُوفِ، أَوْ يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ.

وَإِنْ لَمْ يَفْعَلِ الْمُسْلِمُ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ، قَالَ ﷺ: "فَلْيُمْسِكْ عَنِ الشَّرِّ فَإِنَّهُ لَهُ صَدَقَةٌ ". *البخاري ومسلم*

وَهَذِهِ أَدْنَى مَرَاتِبِ النَّفْعِ الَّتِي لَا يَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يَنْزِلَ عَنْهَا، وَلَا يَلِيقُ بِهِ أَنْ يَقِفَ عِنْدَهَا.

وَلَقَدْ أَخْبَرَنَا ﷺ عَنْ خَيْرِ النَّاسِ فَقَالَ: "خَيْرُ النَّاسِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ ". *رواه الطبراني*

وَذَلِكَ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ بِمَالِهِ وَجَاهِهِ، فَإِنَّهُمْ عِبَادُ اللَّهِ وَعِيَالُهُ، وَأَحَبُّهُمْ إِلَيْهِ أَنْفَعُهُمْ لِعِيَالِهِ.

وَأَخْبَرَ ﷺ عَنْ أَحَبِّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَقَالَ:

"سُرُورٌ تَدْخُلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ، أَوْ تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ تَطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا، وَلَأَنْ أَمْشِي مَعَ أَخِي الْمُسْلِمِ فِي حَاجَةٍ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي الْمَسْجِدِ شَهْرًا ". *البخاري ومسلم*

قِصَّةُ التَّعاوُنِ بَيْنَ الجِيرَانِ فِي الأُمُورِ وَالخَدَمَاتِ المُشْتَرَكَةِ

رَوَى الإِمَامُ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ:
كَانَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ يَتَعَاوَنُونَ فِي الأُمُورِ المخْتَلِفَةِ، حَتَّى فِي الأُمُورِ الَّتِي تَخُصُّ الخَدَمَاتِ المشْتَرَكَةَ بَيْنَهُمْ، مِثْلَ السَّقْيَا، وَالزَّرْعِ، وَالنَّظَافَةِ، حَتَّى قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:
"**الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا** ". البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ

وَمِنْ أَشْهَرِ القِصَصِ الَّتِي تُوَضِّحُ التَّعَاوُنَ بَيْنَ الجِيرَانِ، مَا رَوَاهُ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ جِيرَانًا كَانُوا يَشْتَرِكُونَ فِي حُفْرَةِ مَاءٍ، أَوْ فِي بِنَاءِ بَيْتٍ، أَوْ فِي حَفْرِ بِئْرٍ، وَكَانُوا يَتَقَاسَمُونَ الأَعْبَاءَ وَالأَعْمَالَ، يَزْرَعُونَ وَيَقْطِفُونَ وَيُحْرِسُونَ، وَكُلُّ وَاحِدٍ يُعِينُ الآخَرَ فِيمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ.

هَذَا التَّعَاوُنُ هُوَ مِنْ أَسْبَابِ تَقْوِيَةِ الْمُجْتَمَعِ الإِسْلَامِيِّ، وَهُوَ أَمْرٌ أَمَرَ بِهِ الإِسْلَامُ، وَأَوْصَى بِهِ النَّبِيُّ ﷺ.

لأَنَّ الجِيرَةَ مَوَدَّةٌ وَأُخُوَّةٌ، وَفِي التَّعَاوُنِ بَرَكَةٌ وَخَيْرٌ.
قَالَ النَّبِيُّ ﷺ" :**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ)** ". البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ

وقَدْ أَكَّدَ الإِسْلَامُ حَقَّ الجِوَارِ، وَحَثَّ عَلَيْهِ، وَجَعَلَ حَقَّ الجَارِ كَحَقِّ القَرَابَةِ،
قَالَ ﷺ" :**مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوَصِّينِي بِالجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُورِثُهُ** ". البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ

وَحَيْثُمَا كَانَ العَيْشُ مُشْتَرَكًا، أَمَرَنَا الإِسْلَامُ بِالتَّعَاوُنِ، فَقَالَ تَعَالَى:
"**وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ** " المائدة: ٢

لِذَا يَجِبُ عَلَى الجِيرَانِ المشَارَكَةُ فِي المحَافَظَةِ عَلَى العِمَارَةِ، وَالقِيَامِ بِالأَعْمَالِ اللَّازِمَةِ لِضَمَانِ صِيَانَتِهَا، مِثْلَ: الإِنَارَةِ، النَّظَافَةِ، المِصْعَدِ، وَالخَدَمَاتِ المخْتَلِفَةِ، دُونَ تَسْوِيفٍ أَوْ مُمَاطَلَةٍ.

فَلِكُلِّ ذَرِيعَةٍ فِي التَّهَرُّبِ، إِلَّا أَنَّ حُرْمَةَ الخَدَمَاتِ وَالمرَافِقِ العَامَّةِ أَشَدُّ مِنْ حُرْمَةِ المَالِ الخَاصِّ، لأَنَّ ضِيَاعَ المالِ الخَاصِّ يُمَثِّلُ ضَرَرًا فَرْدِيًّا، أَمَّا ضِيَاعُ المالِ العَامِّ فَيُمَثِّلُ ضَرَرًا عَامًّا لِكُلِّ السُّكَّانِ.

وَلَا يُمْكِنُ الحَدِيثُ عَنِ العِمَارَةِ دُونَ الإِشَارَةِ إِلَى المُقَاوِلِ الَّذِي بَنَاهَا، فَهُوَ عَامِلٌ مُهِمٌّ فِي نَجَاحِ عَلَاقَةِ الجِوَارِ دَاخِلَ المَبْنَى، حِينَ يُرَاعِي مَصَالِحَ جَمِيعِ السُّكَّانِ، وَيُجَنِّبُهُمْ المَشَاكِلَ، مِثْلَ تَجْهِيزِ مَوْقِفِ السَّيَّارَاتِ قَبْلَ أَنْ يَخِلَّ مَسْؤُولِيَّتَهُ.

وَلَا تَكْتَفِي الجِهَاتُ المُخْتَصَّةُ بِفَرْضِ غَرَامَاتٍ مَالِيَّةٍ، فَلَيْسَ أَعْظَمَ خِيَانَةً، وَلَا أَسْوَأَ عَاقِبَةً مِنْ رَجُلٍ تَوَلَّى أُمُورَ النَّاسِ ثُمَّ أَضَاعَهَا بِسَبَبِ الإِهْمَالِ.

جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ:
"يَا رَسُولَ اللهِ، كَيْفَ لِي أَنْ أَعْرِفَ أَنِّي أَحْسَنْتُ أَمْ أَسَأْتُ؟"
فَقَالَ ﷺ:
"إِذَا سَمِعْتَ جِيرَانَكَ يَقُولُونَ إِنَّكَ أَحْسَنْتَ، فَقَدْ أَحْسَنْتَ، وَإِذَا سَمِعْتَهُمْ يَقُولُونَ إِنَّكَ أَسَأْتَ، فَقَدْ أَسَأْتَ ". *البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ*

وَسُئِلَ **الإِمَامُ عَلِيٌّ** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ **حَقِّ الجَارِ**، فَقَالَ:
"تَعْلَمُونَ: أَلَّا تُؤْذِيَهُ؟ "قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ" :**وَأَنْ تَصْبِرَ عَلَى أَذَاهُ"**.

تَطْهِيرُ النَّفْسِ بِإِقَامَةِ الحَدِّ

رَوَى الإِمَامُ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ فِي صَحِيحَيْهِمَا عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما،
أَنَّ مَاعِزَ بْنَ مَالِكٍ الأَسْلَمِيّ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ،
فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي زَنَيْتُ، فَأَقِمْ عَلَيَّ الحَدَّ!
فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ :**لَعَلَّكَ قَبَّلْتَ، أَوْ غَمَزْتَ، أَوْ نَظَرْتَ؟**
فَأَجَابَ مَاعِزٌ رضي الله عنه: لَا وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ، لَقَد زَنَيْتُ زِنًى لَا شَكَّ فِيهِ!
فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: أَبِكَ جُنُونٌ؟
فُجِئَ بِطَبِيبٍ، فَكَشَفَهُ، فَقَالَ: مَا بِهِ مِنْ جُنُونٍ.
ثُمَّ سَأَلَ النَّبِيُّ ﷺ أَصْحَابَهُ عَنْ حَالِهِ، فَقَالُوا: لَمْ نَرَ مِنْهُ إِلَّا خَيْرًا.
فَأَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِإِقَامَةِ حَدِّ الزِّنَا عَلَيْهِ، **فَرُجِمَ حَتَّى مَاتَ.**

فَلَمَّا قُضِيَ عَلَيْهِ، سَمِعَ النَّبِيُّ ﷺ رَجُلَيْنِ يَقُولَانِ:
أَلَمْ تَرَ إِلَى هَذَا الَّذِي سَتَرَهُ اللَّهُ، فَلَمْ يَزَلْ يُقِرُّ حَتَّى رُجِمَ كَرَجْمِ الكِلَابِ؟!
فَمَشَى النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى مَرَّ بِجِيفَةِ حِمَارٍ، فَقَالَ: أَيْنَ فُلَانٌ وَفُلَانٌ؟
قَالُوا: نَحْنُ يَا رَسُولَ اللهِ.
فَقَالَ :**انزِلَا فَكُلَا مِنْ جِيفَةِ هَذَا الحِمَارِ!**
قَالَا: سُبْحَانَ اللهِ! وَهَلْ يُؤْكَلُ هَذَا؟!
فَقَالَ ﷺ :**مَا نِلْتُمَا مِنْ عِرْضِ أَخِيكُمَا آنِفًا أَشَدَّ مِنْ أَكْلِ المَيْتَةِ.**
لَقَدْ تَابَ تَوْبَةً، لَوْ قُسِمَتْ عَلَى أَهْلِ المَدِينَةِ لَوَسِعَتْهُمْ ![صحيح مسلم]

قَالَ اللهُ تَعَالَى:
"**وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا** ."[الإسراء: ٣٢]

فما قِيمَةُ الإِنْسَانِ، رَجُلًا كَانَ أَوِ ٱمْرَأَةً، إِذَا هُتِكَ عِرْضُهُ، وَتَدَنَّسَ شَرَفُهُ، وَتَلَوَّثَتْ سُمْعَتُهُ؟
فَالْبَلَاءُ عَظِيمٌ، وَالْمُصَابُ كَبِيرٌ، وَالْجُرْحُ قَاتِلٌ، **إِنَّهُ العِرْضُ وَالشَّرَفُ.**

فَبِئْسَ الزِّنَا، وَبِئْسَ الطَّرِيقُ طَرِيقُهُ، فَإِنَّهَا طَرِيقٌ تُؤَدِّي إِلَى غَضَبِ اللهِ تَعَالَى وَسَخَطِهِ.
وَإِنَّ مِمَّا لَا شَكَّ فِيهِ أَنَّهُ لَوْ تَمَّ تَنْفِيذُ حُدُودِ اللَّهِ عَلَى الزُّنَاةِ،
لَمُحِقَتْ هَذِهِ الْفَاحِشَةُ مَحْقًا،
لِأَنَّ الشَّخْصَ إِنْ لَمْ يَتْرُكْهَا خَوْفًا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى،
تَرَكَهَا خَوْفًا مِنْ تِلْكَ الْعُقُوبَةِ الرَّادِعَةِ، وَمِنَ الْفَضِيحَةِ عَلَى رُؤُوسِ الْأَشْهَادِ.

فَإِقَامَةُ الْحَدِّ عَلَى الزَّانِي الْمُحْصَنِ تَكُونُ بِقَتْلِهِ بِالْحِجَارَةِ،
لِكَيْ يَجِدَ الْأَلَمَ فِي جَمِيعِ أَجْزَاءِ جَسَدِهِ،
وَيُرْمَى بِالْحِجَارَةِ كِنَايَةً عَنْ أَنَّهُ **هَدَمَ بَيْتَ أُسْرَةٍ، فَهُوَ يُرْجَمُ بِحِجَارَةِ ذَلِكَ الْبَيْتِ الَّذِي هَدَمَهُ!**

وَإِنْ كَانَ غَيْرَ مُحْصَنٍ **جُلِدَ مِئَةَ جَلْدَةٍ، وَغُرِّبَ عَامًا** عَنْ بَلَدِهِ،
وَالبَعْضُ قَدْ يَسْتَطِيعُ التَّهَرُّبَ مِنَ الْعُيُونِ الَّتِي تُرَاقِبُهُ،
وَيَجْعَلُ اللهَ أَهْوَنَ النَّاظِرِينَ إِلَيْهِ!
وَلَكِنْ **أَيْنَ يَهْرُبُ مِنَ الْعِقَابِ الْأُخْرَوِيِّ؟!**

﴿**كَلَّا إِنَّهَا لَظَى * نَزَّاعَةً لِلشَّوَى**﴾ . المعارج: ١٥-١٦

فَيَا مَنْ ابْتُلِيتَ بِهَذِهِ الْفَاحِشَةِ، **أَفِقْ قَبْلَ فَوَاتِ الْأَوَانِ،**
فَسَيِّدُنَا وَنَبِيُّنَا ﷺ يَقُولُ:
"**الْبِرُّ لَا يَبْلَى، وَالْإِثْمُ لَا يُنْسَى، وَالدَّيَّانُ لَا يَمُوتُ، فَافْعَلْ مَا شِئْتَ، فَكَمَا تَدِينُ تُدَانُ** ". رواه الطبراني

قِصَّةُ الْخَلِيفَةِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ وَنَصْرُ الْمَظْلُومِ

جاءَ رَجُلٌ مِن مِصْرَ يَشْكُو إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فَقَالَ:
"يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَجِرْنِي مِنَ الظُّلْمِ"!
فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: "وَمَنْ ظَلَمَكَ؟"
قَالَ الرَّجُلُ: "ابْنُ عَمِّكَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ، وَالِي مِصْرَ! كَانَ لِي فَرَسٌ يَسْبِقُ فِي السِّبَاقِ، فَسَبَقَ فَرَسُهُ، فَضَرَبَنِي وَقَالَ: أَنَا ابْنُ الْأَكْرَمَيْنِ"!

فَغَضِبَ عُمَرُ غَضَبًا شَدِيدًا، وَكَتَبَ إِلَى عَمْرِو أَنْ يَأْتِيَ هُوَ وَابْنُهُ فَوْرًا إِلَى الْمَدِينَةِ.

فَلَمَّا قَدِمَا، دَعَاهُمَا إِلَى مَجْلِسِهِ، وَأَمَرَ عُمَرُ الرَّجُلَ الْمِصْرِيَّ أَنْ يَضْرِبَ ابْنَ عَمْرٍو كَمَا ضُرِبَ، وَهُوَ يَقُولُ: "اضْرِبِ ابْنَ الْأَكْرَمَيْنِ"!

فَأَخَذَ الْمِصْرِيُّ السَّوْطَ وَضَرَبَهُ حَتَّى اكْتَفَى، ثُمَّ الْتَفَتَ عُمَرُ إِلَى عَمْرٍو، وَقَالَ كَلِمَتَهُ الْخَالِدَةَ:
"مَتَى اسْتَعْبَدْتُمُ النَّاسَ وَقَدْ وَلَدَتْهُمْ أُمَّهَاتُهُمْ أَحْرَارًا؟"!

ثُمَّ قَالَ لِلْمِصْرِيِّ: "لَوْ ضَرَبْتَهُ حَتَّى تَرْضَى، لَمَا مَنَعْتُكَ، إِلَّا أَنْ تَرْضَى أَنْتَ".
فَقَالَ الْمِصْرِيُّ: "قَدْ رَضِيتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ". *البِدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ، وَمَجْمَعُ الزَّوَائِدِ*

قَالَ الْعُلَمَاءُ:
نُصْرَةُ الْمَظْلُومِ فَرْضُ كِفَايَةٍ، وَقَدْ يَتَعَيَّنُ فَرْضًا عَلَى الدَّوْلَةِ،
ثُمَّ عَلَى مَنْ لَهُ قُدْرَةٌ عَلَى نُصْرَتِهِ، إِذَا لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ مَنْ يَنْصُرُهُ.

وَنَحْنُ الْيَوْمَ نَعِيشُ فِي زَمَنٍ كَثُرَتْ فِيهِ صُوَرُ الظُّلْمِ وَالتَّسَلُّطِ،
مِنْ دُوَلٍ كُبْرَى، وحُكَّامٍ جَائِرِينَ، ومَسْؤُولِينَ مُتَسَلِّطِينَ،
ومن أَزْوَاجٍ، وَآبَاءٍ، وَجِيرَانٍ، وَأَقْرِبَاءَ لَا يَتَّقُونَ اللهَ فِي النَّاسِ.

وَنَرَى: الْعُلَمَاءَ يَسْكُتُونَ عَنْ كَلِمَةِ الْحَقِّ، والْأَغْنِيَاءَ يَبْخَلُونَ بِأَمْوَالِهِمْ،
وأَهْلَ الْقُوَّةِ يَتَقَاعَسُونَ عَنْ نُصْرَةِ الْمُسْتَضْعَفِينَ،

وَالْحُكَّامَ يَبْخَلُونَ عَلَى شُعُوبِهِمْ بِالْعَدْلِ وَبِمَالِ اللهِ الَّذِي وُكِّلُوا بِهِ.

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

"إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوُا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ، أَوْشَكَ اللهُ أَنْ يَعُمَّهُمْ بِعِقَابٍ". رَوَاهُ أَبُو دَاوُد،

وَاعْلَمُوا:

أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يُؤَخِّرُ جَمِيعَ قَضَايَا الظُّلْمِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ،

لِأَنَّ فِي ذَلِكَ تَمْكِينًا لِلظَّالِمِينَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ، فَيُعِيثُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: "**فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا**". سُورَةُ النَّمْلِ: ٥٢

فَالظُّلْمُ سَبَبُ خَرَابِ الْبُيُوتِ،

وَمَنْ ظَلَمَ النَّاسَ سَلَّطَ اللهُ عَلَيْهِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ، لِأَنَّ الْجَزَاءَ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ. قَالَ تَعَالَى:

"**وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**". سُورَةُ الْأَنْعَامِ: ١٢٩

وَمَا مِنْ يَدٍ إِلَّا يَدُ اللهِ فَوْقَهَا، وَلَا ظَالِمَ إِلَّا سَيُبْتَلَى بِظَالِمٍ. أَثَرٌ مَرْوِيٌّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ

فَالظَّالِمُ سَيْفُ اللهِ فِي الْأَرْضِ، يَنْتَقِمُ بِهِ، ثُمَّ يَنْتَقِمُ مِنْهُ.

فَلْيَنْظُرِ الْمُسْلِمُونَ – حُكَّامًا وَمَحْكُومِينَ – فِي مَصَائِرِ

:الطُّغَاةِ، والْمُسْتَعْمِرِينَ، والظَّالِمِينَ فِي الْأَرْضِ.

وَلْيَنْتَظِرُوا وَعْدَ اللهِ الْحَقَّ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ:

"**أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ؟**"!سُورَةُ هُودٍ: ٨١

نَعَمْ، الصُّبْحُ قَرِيبٌ، وَالْفَتْحُ آتٍ، مِنَ الْفَتَّاحِ الْعَلِيمِ،

فَقَطِ انْتَظِرُوا الْفَجْرَ، وَاثْبُتُوا عَلَى طَرِيقِ الْحَقِّ،

وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ نَصْرِ اللهِ.

قِصَّةُ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ وَالْحَجَّاجِ

كانَ **سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ** مِنْ كِبَارِ التَّابِعِينَ، وَمِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْوَرَعِ،
لَا يَخَافُ فِي اللهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ، وَكَانَ مِمَّنْ وَقَفُوا فِي وَجْهِ الظُّلْمِ،
خُصُوصًا ظُلْمَ **الْحَجَّاجِ بْنِ يُوسُفَ الثَّقَفِيِّ**،
أَحَدِ أَشَدِّ وُلَاةِ بَنِي أُمَيَّةَ بَطْشًا وَجَبَرُوتًا.

فَلَمَّا قَبَضَ الْحَجَّاجُ عَلَى سَعِيدٍ، أَرَادَ إِذْلَالَهُ،
فَأَخَذَ يَسْتَهْزِئُ بِهِ وَيَسْأَلُهُ عَنْ أُمُورِ الدِّينِ بِسُخْرِيَّةٍ،
وَلَكِنْ سَعِيدًا ثَبَتَ ثَبَاتَ الْجِبَالِ، وَأَجَابَ بِثِقَةٍ وَيَقِينٍ.

وَفِي لَحْظَةِ غَضَبٍ، قَالَ لَهُ الْحَجَّاجُ:
"أَمَا زِلْتَ عَلَى مَا أَنْتَ عَلَيْهِ؟"
فَرَدَّ عَلَيْهِ سَعِيدٌ بِكُلِّ شَجَاعَةٍ:
"أَنَا عَلَى الْحَقِّ، وَإِنَّكَ عَلَى الْبَاطِلِ".

فَأَمَرَ الْحَجَّاجُ بِقَتْلِهِ، فَقَالَ سَعِيدٌ قَبْلَ أَنْ يُقْتَلَ:
"اللَّهُمَّ لَا تُسَلِّطْهُ عَلَى أَحَدٍ بَعْدِي". سير أعلام النبلاء

وَمَاتَ سَعِيدٌ مَظْلُومًا، صَابِرًا، مُحْتَسِبًا.
وَلَمْ تَمْضِ أَيَّامٌ قَلِيلَةٌ حَتَّى أُصِيبَ الْحَجَّاجُ بِمَرَضٍ شَدِيدٍ،
وَكَانَ يَرَى فِي مَنَامِهِ سَعِيدًا يُعَذِّبُهُ، وَيَقُولُ:
"مَا لِي وَلِسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ؟"!
وَمَاتَ بَعْدَهَا شَرَّ مِيتَةٍ، وَكَانَ ذَلِكَ مِنْ آثَارِ دَعْوَةِ الْمَظْلُومِ الَّتِي لَا تُرَدُّ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْحَدِيثِ الْقُدُسِيِّ:"**يَا عِبَادِي، إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا**". رَوَاهُ مُسْلِمٌ

إِنَّ صُوَرَ الْمُتَنَوِّعَةُ لِلظُّلْمِ كَثِيرَةٌ، وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهِ أَشَدُّ وَأَبْقَى، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

"الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ". رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ

فَإِذَا كَانَ عُدْوَانُ الشَّاةِ عَلَى الشَّاةِ يُقْضَى فِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ،
فَكَيْفَ بِعُدْوَانِ الْإِنْسَانِ عَلَى الْإِنْسَانِ؟!
قَالَ ﷺ:
"لَتُؤَدُّنَّ الْحُقُوقَ إِلَىٰ أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ،
حَتَّىٰ يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ". رَوَاهُ مُسْلِمٌ

فَإِذَا كَانَ هَذَا فِي الْبَهَائِمِ الَّتِي لَا تَعْقِلُ،
فَكَيْفَ سَيَكُونُ الْحِسَابُ عَلَىٰ ظُلْمِ الْإِنْسَانِ لِأَخِيهِ الْإِنْسَانِ؟!

وَمَنْ مَنَعَ دَابَّةً ضَعِيفَةً حَقَّهَا مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ عُذِّبَ فِي النَّارِ،
قَالَ ﷺ:
"عُذِّبَتِ امْرَأَةٌ فِي هِرَّةٍ، سَجَنَتْهَا حَتَّىٰ مَاتَتْ، فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارَ،
لَا هِيَ أَطْعَمَتْهَا، وَلَا سَقَتْهَا، إِذْ حَبَسَتْهَا،
وَلَا هِيَ تَرَكَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ". الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ

وَقَطْعُ شَجَرَةٍ نَافِعَةٍ بِغَيْرِ وَجْهِ حَقٍّ ولغيرِ مصلحةٍ عُقُوبَتُهُ شَدِيدَةٌ:قَالَ ﷺ:
"مَنْ قَطَعَ سِدْرَةً صَوَّبَ اللهُ رَأْسَهُ فِي النَّارِ". رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:
"مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ، مِنْ عِرْضِهِ أَوْ مِنْ شَيْءٍ،
فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ،
قَبْلَ أَنْ لَا يَكُونَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ،
إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ، أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ،
وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ، أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ، فَحُمِلَ عَلَيْهِ". رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ

في زَمَنِ الجَشَعِ وَالاحْتِكَارِ

كان في المدينةِ رَجُلٌ مِنَ الصَّحَابَةِ يَشْتَرِي الطَّعَامَ بِكَمِّيَّاتٍ كَبِيرَةٍ ثُمَّ يَحْتَكِرُهُ، يَنْتَظِرُ ارْتِفَاعَ الأَسْعَارِ لِيَبِيعَهُ بِأَغْلَى، مُسْتَغِلًّا حَاجَاتِ النَّاسِ.

فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ،

فَقَالَ قَوْلًا يَهزُّ الضَّمِيرَ وَيَجْعَلُ الطَّمَعَ خَطِيئَةً:

"**لَا يَحْتَكِرُ إِلَّا خَاطِئٌ**" .*رَوَاهُ مُسْلِمٌ*

أَي آثِمٌ عَاصٍ مِنَ الخَطِيئَةِ.

فَأَدْرَكَ الصَّحَابَةُ أَنَّ **الاحْتِكَارَ لَيْسَ اجْتِهَادًا تِجَارِيًّا... بَلْ مَعْصِيَةٌ!**

فَتَسَابَقُوا فِي نَشْرِ الخَيْرِ، وَتَوْفِيرِ الطَّعَامِ، وَبَيْعِ السِّلَعِ بِالْعَدْلِ.

وَبَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، سَارَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ رضي الله عنه عَلَى الدَّرْبِ،

يُرَاقِبُ السُّوقَ، وَيُعَاقِبُ المُحْتَكِرَ، وَيَأْمُرُ بِمُقَاطَعَةِ الجَشِعِينَ.

حَتَّى قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ، مِثْلُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَدْهَمَ، لَمَّا غَلَا اللَّحْمُ:

"**أَرْخِصُوهُ بِالتَّرْكِ**"!

أَي: لَا تَشْتَرُوا، حَتَّى يَنْكَسِرَ طَمَعُ التُّجَّارِ.

وَالْيَوْمَ...

غَابَتِ الرَّقَابَةُ، وَبَقِيَتِ الرَّقَابَةُ مِنَ اللهِ، لَكِنَّهَا لَا تُرْهَبُ القُلُوبَ كَمَا يَنْبَغِي.

فِي رَمَضَانَ، تَرَى النَّاسَ يَتَهَافَتُونَ عَلَى السِّلَعِ،

فَيَنْتَعِشُ جَشَعُ التُّجَّارِ، وَتَرْتَفِعُ الأَسْعَارُ،

حَتَّى يُرْهِقَ الأَبَ فِي نَفَقَتِهِ، وَتُرْهِقَ الأُمَّ فِي دُمُوعِهَا،

وَيُحْرَمَ الفَقِيرُ مِنْ طَعَامِ يَوْمِهِ.

فَهَلْ سَمِعَ هَؤُلَاءِ الجَشِعُونَ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ:
"مَنْ دَخَلَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَسْعَارِ الْمُسْلِمِينَ لِيُغْلِيهِ عَلَيْهِمْ،
فَإِنَّ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُقْعِدَهُ بِعَظَمٍ مِنَ النَّارِ يَوْمَ القِيَامَةِ ". *رَوَاهُ أَحْمَدُ*

وَهَلْ عَلِمَ الَّذِي يُتَاجِرُ بِالأَطْعِمَةِ الْفَاسِدَةِ، وَالْبَضَائِعِ الْمَغْشُوشَةِ،
أَنَّهُ لَا يَبِيعُ سِلْعَةً فَقَطْ، بَلْ يَبِيعُ ضَمِيرَهُ، وَأَمَانَتَهُ، وَرُبَّمَا صِحَّةَ إِنْسَانٍ بَرِيءٍ؟!

هَلْ فَكَّرَ أَنَّ كُلَّ لُقْمَةٍ فَاسِدَةٍ تَصِلُ إِلَىٰ فَمِ طِفْلٍ، أَوْ مَرِيضٍ، أَوْ فَقِيرٍ،
قَدْ تَكُونُ شَاهِدَةً عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟!

فَيَا مَنْ رَبَا لَحْمُهُ بِمَكَاسِبِ الْحَرَامِ، تَذَكَّرْ يَوْمَ الْعَرْضِ وَالْأَهْوَالِ،
تَذَكَّرْ يَوْمَ الْوُقُوفِ بَيْنَ يَدَيِ الْكَبِيرِ الْمُتَعَالِ.

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:
"إِنَّ التُّجَّارَ يُبْعَثُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فُجَّارًا،
إِلَّا مَنْ اتَّقَىٰ اللَّهَ، وَبَرَّ، وَصَدَقَ ". *رواه الترمذي*

هَذَا الْحَدِيثُ يُبَيِّنُ أَنَّ تَقْوَى اللَّهِ وَمُرَاقَبَتَهُ فِي التَّعَامُلِ،
هِيَ الَّتِي تُنَجِّي التَّاجِرَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ وَعِقَابِهِ،
بَلْ وَتَرْتَقِي بِهِ إِلَىٰ أَعْلَى الدَّرَجَاتِ.

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:
"التَّاجِرُ الصَّدُوقُ الأَمِينُ مَعَ النَّبِيِّينَ، وَالصِّدِّيقِينَ، وَالشُّهَدَاءِ ". *رواه الترمذي*

وَلَا تَسْأَلُوا النَّاسَ شَيْئًا

فِي زَمَنِ التَّابِعِينَ،
كَانَ أَحَدُ الصَّالِحِينَ يُدْعَى عَطَاءَ بْنَ أَبِي رَبَاحٍ – رَحِمَهُ اللهُ – مِنْ كِبَارِ الْعُلَمَاءِ،
وَكَانَ: ضَرِيرًا، أَسْوَدَ اللَّوْنِ، مَشْلُولَ الْقَدَمَيْنِ.
ومع ذلك، كَانَ مِنْ أَعْظَمِ مَنْ تَعَلَّمَ النَّاسُ مِنْهُ الْعِلْمَ وَالْأَدَبَ وَالْوَرَعَ.

ذَاتَ يَوْمٍ، رَأَى أَحَدُ طُلَّابِهِ عَصَاهُ قَدْ سَقَطَتْ مِنْهُ،
فَأَسْرَعَ لِيُنَاوِلَهَا لَهُ، فَقَالَ لَهُ عَطَاءٌ – بِلُطْفٍ وَحَزْمٍ:

"نَهَانَا رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ نَسْأَلَ النَّاسَ شَيْئًا"!

فَقَالَ التِّلْمِيذُ: "يَا إِمَامُ، لَكِنَّهَا عَصَاكَ"!
فَقَالَ: "عَلَّمَنَا النَّبِيُّ ﷺ أَلَّا نَسْأَلَ النَّاسَ شَيْئًا، حَتَّى السَّوْطَ إِذَا سَقَطَ". سير أعلام النبلاء
ثُمَّ قَالَ:
قال رسول الله ﷺ: "مَنْ يَتَكَفَّلْ لِي أَنْ لَا يَسْأَلَ النَّاسَ شَيْئًا، أَتَكَفَّلْ لَهُ بِالْجَنَّةِ". *رواه أبو داود*

وَرَوَى أَوْفَى بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:
"كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ حِينَ بَايَعَ نَفَرًا مِنَّا: (أَلَا تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللهِ؟)"
فَقُلْنَا: "قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللهِ، فَعَلَامَ نُبَايِعُكَ؟"
قَالَ:
"عَلَى أَنْ تَعْبُدُوا اللهَ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُوا الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ، وَتُطِيعُوا،
وَلَا تَسْأَلُوا النَّاسَ شَيْئًا". *رواه مسلم*
يَقُولُ الرَّاوِي" :**فَكَانَ أَحَدُهُمْ إِذَا سَقَطَ سَوْطُهُ وَهُوَ عَلَى رَاحِلَتِهِ، لَا يَقُولُ لِأَحَدٍ: نَاوِلْنِيهِ"!**

وقال النبي ﷺ:"**مَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللهُ،**
وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللهُ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ".متفق عليه.

وقال ﷺ:

"أَتَانِي جِبْرِيلُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، عِشْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ،
وَأَحْبِبْ مَنْ شِئْتَ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ، وَاعْمَلْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَجْزِيٌّ بِهِ،
وَاعْلَمْ أَنَّ شَرَفَ الْمُؤْمِنِ قِيَامُهُ بِاللَّيْلِ،
وَعِزَّهُ اسْتِغْنَاؤُهُ عَنِ النَّاسِ". *رواه الطبراني*

فالإِنْسَانُ يَظَلُّ عَزِيزًا مَا دَامَ مُسْتَغْنِيًا عَنِ النَّاسِ.
فَإِذَا سَأَلَ وَأَلَحَّ، هَانَ عَلَيْهِمْ، وَقَلَّ قَدْرُهُ.
وَكَمَا يُقَال" :**المعروف عبودية، وربَّ معروفٍ ذلَّ به صاحبُه"**.

فَلْنَسْتَغْنِ عَنِ النَّاسِ فِي حَوَائِجِنَا مَا اسْتَطَعْنَا:
فمَا نَسْتَطِيعُ فِعْلَهُ، نَفْعَلْهُ ،
ومَا لَا نَسْتَطِيعُ،
إِنْ أَمْكَنَ تَرْكُهُ، تَرَكْنَاهُ
. وَإِنِ اضْطُرِرْنَا، فَلَا بَأْسَ، وَلَكِنْ بِحَقٍّ وَبِقَدْرِ الْحَاجَةِ.

عِفَّةُ الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ

رُوِيَ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ نِسَاءِ الْمُسْلِمِينَ خَرَجَتْ فِي حَاجَةٍ لَهَا فِي زَمَنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ **عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَبَيْنَمَا هِيَ فِي الطَّرِيقِ، هَجَمَ عَلَيْهَا أَحَدُ الْفُسَّاقِ يُرِيدُ الِاعْتِدَاءَ عَلَيْهَا.

فَصَاحَتِ الْمَرْأَةُ وَاسْتَغَاثَتْ، فَجَاءَ النَّاسُ مُسْرِعِينَ، فَأَمْسَكُوا بِالرَّجُلِ، وَذَهَبُوا بِهِ إِلَى **عُمَرَ** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وَحِينَ طُلِبَ مِنَ الْمَرْأَةِ أَنْ تَشْهَدَ عَلَى مَا حَدَثَ، طَلَبُوا مِنْهَا أَنْ تَكْشِفَ وَجْهَهَا لِيَعْرِفُوهَا بَيْنَ النَّاسِ.

فَقَالَتْ — وَهِيَ تَبْكِي:—

"وَاللهِ، لَأَنْ أَلْقَى اللهَ مَظْلُومَةً مَسْتُورَةً، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَلْقَاهُ فَاضِحَةً نَفْسِي"!

لِأَنَّهَا تَعْلَمُ أَنَّ **الْحَيَاءَ لَا يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ**، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

"الْحَيَاءُ لَا يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ". *رواه البخاري ومسلم*

فَأَمَرَ **عُمَرُ** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بِإِطْلَاقِ سَرَاحِهَا، وَقَالَ:

"سَتْرُ الْمُؤْمِنِ عَلَى نَفْسِهِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنْ فَضِيحَتِهِ، اتْرُكُوا الْمَرْأَةَ".

ثُمَّ أَمَرَ بِعُقُوبَةِ الْفَاسِقِ، جَزَاءً لِنِيَّتِهِ الْخَبِيثَةِ.

عَنْ **أَبِي هُرَيْرَةَ** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:

"صِنفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا:
قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ، يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ،
وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ، *أَيْ يَلْبَسْنَ ثِيَابًا لَا تَسْتُرُ أَجْسَادَهُنَّ حَقًّا،*
مَائِلَاتٌ مُمِيلَاتٌ، *أَيْ يَتَمَايَلْنَ فِي مِشْيَتِهِنَّ، وَيُمِلْنَ الْقُلُوبَ بِإِغْرَائِهِنَّ*
رُؤُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ، *أَيْ تَسْرِيحَاتٌ مُرْتَفِعَةٌ تُشْبِهُ سَنَامَ الْجِمَالِ.*

لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ، وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا،
وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ". رواه مسلم

صَدَقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ... فَقَدْ أَصْبَحْنَا نَرَى نِسَاءً ذَابَتْ أُنُوثَتُهُنَّ، وَابْتَعَدْنَ عَنِ الْحَيَاءِ وَالْفَضِيلَةِ، يَلْهَثْنَ خَلْفَ مُوضَاتٍ تُمَجِّدُ الْجَسَدَ وَتُهِينُ الرُّوحَ.

فَكَيْفَ لِأَصْحَابِ **الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ** أَنْ يَقْتَفُوا أَثَرَ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ؟!
وَكَيْفَ لَنَا أَنْ نَتَشَبَّهَ بِأَقْوَامٍ لَيْسُوا مِنَّا؟!

فَالإِسْلَامُ لَا يَمْنَعُ الْمَرْأَةَ مِنَ الْخُرُوجِ عِنْدَ الْحَاجَةِ،
وَلَكِنَّهُ يُوصِيهَا بِالْعِفَّةِ وَالْحِشْمَةِ،
وَيُحَذِّرُهَا مِنْ إِبْرَازِ الزِّينَةِ،
وَيَأْمُرُهَا بِحِفْظِ النَّفْسِ وَالْحَيَاءِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى:

﴿**وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا**﴾، النور: ٣١

قِصَّةُ الْغَضَبِ وَكَظْمِ الْغَيْظِ

رُوِيَ عن الإمامِ **عليّ بنِ الحُسينِ زَيْنِ العابدين** –رحمهُ الله – أنَّهُ كان لهُ خادِمٌ، وفي يومٍ من الأيَّامِ، وبينما كان يصبُّ لهُ الماءَ ليتوضَّأ، **سَقَطَ الإبريقُ من يدِ الخادِمِ على وجهِ الإمامِ فشجَّه.**

فَنَظَرَ إليه الإمامُ، فَفَهِمَ الخادمُ أنَّ الغَضَبَ قد بَدَا عليه، فقال مُسْرِعًا:

"يَا سَيِّدِي، وَاللَّهُ يَقُولُ: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ﴾" آل عمران: ١٣٤

فقال له الإمامُ: "**كَظَمْتُ غَيْظِي**".

قال الخادِمُ:"**وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ**".

فقال الإمامُ: "**عَفَا اللَّهُ عَنْكَ**".

قال الخادِمُ: "**وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**".

فقال الإمامُ: "**اذْهَبْ، فَأَنْتَ حُرٌّ لِوَجْهِ اللَّهِ**".

أوصى رسولُ اللهِ ﷺ أحدَ الصحابةِ فقال له: "**لَا تَغْضَبْ**". رواه البخاري

فردَّدها الرجلُ مرارًا، والنبيُّ ﷺ يُجِيبُهُ:"**لَا تَغْضَبْ**".

ليس المقصودُ أن لا يَشْعُرَ الإنسانُ بالغَضَبِ – فذلك طَبْعٌ بَشَرِيٌّ–
بل أن **لا يُنَفِّذَ غَضَبَهُ**، ولا يَجْعَلَهُ **يُسَيْطِرُ عَلَيْهِ** حتى يقعَ في ما لا يُحْمَدُ عُقْبَاه.

قال ﷺ:
"لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِندَ الْغَضَبِ". البخاري ومسلم

وقال ابنُ مسعودٍ رضيَ اللهُ عنه: "**انْظُرُوا إِلَى حِلْمِ الرَّجُلِ عِنْدَ غَضَبِهِ، وَأَمَانَتِهِ عِنْدَ طَمَعِهِ**".

يقول تعالى:**﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾** آل عمران: ١٣٤

وقال ﷺ:

"مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْفِذَهُ، دَعَاهُ اللَّهُ عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ مِنْ أَيِّ الْحُورِ شَاءَ". رواه أبو داود والترمذي

وكان النبيُّ ﷺ يُرْشِدُ مَنْ غَضِبَ إلى أَسْبَابٍ تُسَكِّنُ النَّفْسَ، مِنْهَا: **الاستعاذةُ باللهِ من الشيطانِ الرجيمِ**

قال ﷺ: **إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ"**. رواه البخاري

ثم تَغْيِيرُ الْحَالِ قال ﷺ:

"إِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ وَهُوَ قَائِمٌ فَلْيَجْلِسْ، فَإِنْ ذَهَبَ عَنْهُ الْغَضَبُ وَإِلَّا فَلْيَضْطَجِعْ. رواه أبو داود

قال الأحنفُ بن قيس – وهو من أهل الحِلْمِ:

"مَا عَادَانِي أَحَدٌ، إِلَّا أَخَذْتُ فِي أَمْرِهِ بِإِحْدَى ثَلَاثٍ:
إِنْ كَانَ أَعْلَى مِنِّي، عَرَفْتُ لَهُ قَدْرَهُ. وَإِنْ كَانَ دُونِي، رَفَعْتُ قَدْرِي عَنْهُ.
وَإِنْ كَانَ نَظِيرِي، تَفَضَّلْتُ عَلَيْهِ".

"فَاحْذَرْ مِنَ الغَضَبِ، فَإِنَّهُ مِفْتَاحُ كُلِّ شَرٍّ".

حِفْظُ اللهِ لِمَنْ حَفِظَهُ

رُوِيَ أَنَّ أَحَدَ الْعُلَمَاءِ جَاوَزَ **الْمِئَةَ سَنَةٍ**، وَكَانَ لَا يَزَالُ يَتَمَتَّعُ بِقُوَّتِهِ وَعَقْلِهِ، فَوَثَبَ **وَثْبَةً شَدِيدَةً** أَثَارَتْ اسْتِغْرَابَ مَنْ حَوْلَهُ، فَقَالَ:

"هَذِهِ جَوَارِحُ حَفِظْنَاهَا عَنِ الْمَعَاصِي فِي الصِّغَرِ، فَحَفِظَهَا اللَّهُ عَلَيْنَا فِي الْكِبَرِ، فَمَنْ عَاشَ تَقِيًّا، عَاشَ قَوِيًّا".

وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى، أَنَّ أَحَدَ الصَّالِحِينَ رَأَى شَيْخًا يَسْأَلُ النَّاسَ، فَقَالَ:

"إِنَّ هَذَا ضَيَّعَ اللَّهَ فِي صِغَرِهِ، فَضَيَّعَهُ اللَّهُ فِي كِبَرِهِ".

ومَنْ **حَفِظَ حُدُودَ اللَّهِ**، وَرَاعَى أَوَامِرَهُ وَنَوَاهِيَهُ فِي صِبَاهُ،
فَإِنَّ اللَّهَ **يَحْفَظُهُ** عِنْدَ شَيْخُوخَتِهِ وَضَعْفِهِ، بَلْ وَيَتَعَدَّى هَذَا الْحِفْظُ إِلَى ذُرِّيَّتِهِ **بَعْدَ مَوْتِهِ**.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿وَأَمَّا الجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾
الكهف: ٨٢

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا:

"لَمْ يُذْكَرْ حَالُ الْغُلَامَيْنِ أَكَانَا صَالِحَيْنِ أَمْ لَا، وَلَكِنَّهُمَا حُفِظَا بِصَلَاحِ أَبِيهِمَا".

وَقَالَ **ابْنُ الْمُنْكَدِرِ**:

"إِنَّ اللَّهَ لَيَحْفَظُ بِالرَّجُلِ الصَّالِحِ وَلَدَهُ، وَوَلَدَ وَلَدِهِ، وَالدُّوَيْرَاتِ الَّتِي حَوْلَهُ، فَمَا يَزَالُونَ فِي حِفْظٍ مِّنَ اللَّهِ وَسِتْرٍ".

فَالْجَزَاءُ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ فَمَنْ **حَفِظَ اللَّهَ**، حَفِظَهُ اللَّهُ. وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ أَوَامِرِ اللَّهِ، أُعْرِضَ عَنْهُ.

ومَنْ صَانَ نَفْسَهُ صَغِيرًا، صَانَهُ اللَّهُ كَبِيرًا. مَنْ رَاقَبَ اللَّهَ فِي سِرِّهِ، حَفِظَهُ اللَّهُ فِي عَلَنِهِ.

وَكُلُّ مَا يَرِدُ عَلَيْكَ مِنْ **خَارِجِ نَفْسِكَ**، فَإِنَّمَا سَبَبُهُ وَمَنْشَؤُهُ **مِنْ دَاخِلِ نَفْسِكَ**:
لَا تَتَّهِمْ غَيْرَكَ فِي بَلَائِكَ. ولا تحاسبْ إلا نفسك عمّا يُصيبك،
لَا تتهمْ الْأَقْدَارَ.
ولَا تَبْحَثْ لِنَفْسِكَ عَنْ أَعْذَارٍ.

فأَنْتَ الْمَسْؤُولُ عَنْ كُلِّ مَا يَجْرِي لَكَ، فَالزِّمَامُ بِيَدِكَ.

قَالَ تَعَالَى:

﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾. الشورى: ٣٠

مَنْ **حَفِظَ جَوَارِحَهُ** عَنِ الْحَرَامِ، وَلَزِمَ **التَّقْوَى** فِي كُلِّ حَالٍ،
سَيَحْفَظُهُ اللَّهُ **بِعَيْنِهِ الَّتِي لَا تَنَامُ**، وَيَحْفَظُ لَهُ أَهْلَهُ، وَمَالَهُ، وَذُرِّيَّتَهُ،
بَلْ وَيُحْسِنُ لَهُ **الْخَاتِمَةَ وَالْمَآلَ**.

فَاحْفَظِ اللَّهَ، يَحْفَظْكَ. رَوَاهُ التِّرْمِذِي

حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ

رُوي أنَّ الحَسَنَ البَصْرِيَّ رَحِمَهُ اللهُ، جاءَهُ رَجُلٌ يَشْكُو: ضِيقَ حالِهِ، وقِلَّةَ رِزْقِهِ، وجَفَاءَ النَّاسِ لَهُ.

فقالَ له الحَسَنُ:

"غَيِّرْ ما في نَفْسِكَ، يُغَيِّرِ اللهُ ما حَوْلَكَ".

قالَ الرَّجُلُ: "وَكَيْفَ ذلك؟"

فأجابَهُ الحَسَنُ:

"إذا رَأَيْتَ النَّاسَ يَبْتَعِدُونَ عَنْكَ، فَتَفَقَّدْ لِسَانَكَ.

وإذا ضَاقَ رِزْقُكَ، فَتَفَقَّدْ قَلْبَكَ.

وإذا لَمْ تُوَفَّقْ، فَتَفَقَّدْ نِيَّتَكَ.

فإنَّ اللهَ لا يُغَيِّرُ ما بِقَوْمٍ حتَّى يُغَيِّرُوا ما بِأَنفُسِهِمْ".

ثم قالَ له:

"كُنْ صَادِقًا، يُفْتَحْ لَكَ بَابُ التَّوْفِيقِ.

كُنْ نَقِيًّا، يُفَرِّجِ اللهُ عَنْكَ.

كُنْ لَيِّنًا، يُحِبَّكَ الخَلْقُ". الزهد والرقائق

قالَ الإمامُ ابنُ كثيرٍ رَحِمَهُ اللهُ: قالَ ابنُ أبي حاتِمٍ:

أوحى اللهُ إلى نَبِيٍّ مِن أَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ:

"قُلْ لِقَوْمِكَ: إنَّهُ ليسَ مِن أَهْلِ قَرْيَةٍ، ولا أَهْلِ بَيْتٍ، كانوا على طَاعَتِي ثم تَحَوَّلُوا إلى مَعْصِيَتِي، إلَّا حَوَّلْتُ لهُم ما يُحِبُّونَ إلى ما يَكْرَهُونَ".

ثم قال: ومُصَدَّقُ ذلك في كتابِ اللهِ:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ الرعد: ١١

وعن عليِّ بنِ أبي طالبٍ رضيَ اللهُ عنه قال:

كانَ النَّبِيُّ ﷺ إذا سَكَتَ عَنْهُ الوَحْيُ، ابْتَدَأَنِي، وإذا سَأَلْتُهُ عن الخَبَرِ أَنْبَأَنِي، وإنَّهُ حَدَّثَنِي عن رَبِّهِ عزَّ وجلَّ فقال:

قالَ ربُّ العِزَّة:

"وعِزَّتِي وجَلَالِي وارتِفَاعِي فوقَ عَرْشِي،
ما مِن أَهْلِ قَرْيَةٍ ولا أَهْلِ بَيْتٍ، كانوا على ما أَكْرَهُ مِن مَعْصِيَتِي،
ثم تَحَوَّلُوا عنها إلى ما أُحِبُّ مِن طَاعَتِي،
إلَّا حَوَّلْتُ لهُم ما يَكْرَهُونَ مِن عَذَابِي إلى ما يُحِبُّونَ مِن رَحْمَتِي".

فَإِنْ غَيَّرَ القَومُ للأَحْسَنِ، غَيَّرَ اللهُ حالَهُم للأَحْسَنِ.
وإنْ غَيَّرُوا للأَسْوَإِ، غَيَّرَ اللهُ حالَهُم للأَسْوَإِ.
والجَزَاءُ مِن جِنسِ العَمَلِ.

قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

"الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُم الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا مَن في الأَرْضِ يَرْحَمْكُم مَن في السَّمَاءِ". رواه الترمذي

ومن سُنَنِ اللهِ الجَارِيَةِ في خَلْقِهِ:

أنَّ مَن أَحْسَنَ إلى الخَلْقِ، أَحْسَنَ اللهُ إليه... ومَن عَفَا عنهم، عَفَا اللهُ عنه،
ومَن تَكَبَّرَ، وَضَعَهُ اللهُ،...ومَن نَصَرَ أَخَاهُ، نَصَرَهُ اللهُ،... ومَن خَذَلَ مُسْلِمًا، خَذَلَهُ اللهُ،
ومَن تَتَبَّعَ عَوْرَاتِ النَّاسِ، تَتَبَّعَ اللهُ عَوْرَتَهُ وفَضَحَهُ،
ومَن أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ أَدَاءَهَا، أَدَّاهَا اللهُ عَنْهُ،...ومَن أَخَذَهَا يُرِيدُ إِتْلَافَهَا، أَتْلَفَهُ اللهُ،
ومَن أَنْفَقَ، أَنْفَقَ اللهُ عليه،...ومَن وَصَلَ رَحِمَهُ، وَصَلَهُ اللهُ، ومَن قَطَعَهَا، قَطَعَهُ اللهُ،
ومَن بَرَّ بِوَالِدَيْهِ، بَرَّ بِهِ أَوْلَادُهُ،
ومَن نَصَرَ اللهَ، نَصَرَهُ، ومَن صَدَقَ اللهَ، صَدَقَهُ. والقائمةُ تطول.

فهيَ سُنَنٌ لا تَتَبَدَّلُ ولا تَتَغَيَّرُ، جَارِيَةٌ بعدلِ اللهِ، مُحْكَمَةٌ بِحِكْمَتِهِ، مَاضِيَةٌ بقَضَائِهِ وقَدَرِهِ،
قالَ تعالى:

﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ ۖ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ الأحزاب: ٦٢

...فالتَّغْيِيرُ الحَقِيقِيُّ يَبْدَأُ مِنَ النَّفْسِ.

قِصَّةٌ مِنَ السَّلَفِ: الأَمَانَةُ فِي الْمِرْفَقِ الْعَامِّ

كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَسِيرُ ذَاتَ يَوْمٍ فِي طَرِيقِهِ
فَرَأَى نَارًا مُوقَدَةً فِي الطَّرِيقِ الْعَامِّ، وَقَدْ تُرِكَتْ بِغَيْرِ رِقَابَةٍ،
فَتَقَدَّمَ نَحْوَهَا وَأَطْفَأَهَا بِنَفْسِهِ، ثُمَّ قَالَ:
"لَوْ أَنَّ بَعِيرًا عَثَرَ فِي الْعِرَاقِ، لَخَشِيتُ أَنْ يُسْأَلَ عَنْهُ عُمَرُ: لِمَ لَمْ تُسَوِّ لَهُ الطَّرِيقَ؟"!

لَيْسَتْ هَذِهِ الْقِصَّةُ عَنْ بَعِيرٍ فَقَطْ،
بَلْ عَنْ **إِحْسَاسٍ عَظِيمٍ بِالْمَسْؤُولِيَّةِ تِجَاهَ كُلِّ مَا هُوَ عَامٌّ** :
طَرِيقٌ مُشْتَرَكٌ، مِرْفَقٌ مَفْتُوحٌ، كُلُّ مَا يَسْتَفِيدُ مِنْهُ النَّاسُ وَيَقْضُونَ فِيهِ حَاجَتَهُمْ،
هُوَ أَمَانَةٌ فِي أَعْنَاقِ الْجَمِيعِ.

وَصَحَّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ:
"الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، أَعْلَاهَا قَوْلُ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ،
وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ،
وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ". رَوَاهُ مُسْلِم

إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ لَيْسَتْ مُجَرَّدَ فِعْلٍ بَسِيطٍ،
بَلْ شُعْبَةٌ مِنْ شُعَبِ الإِيمَانِ، تَنُمُّ عَنْ إِحْسَاسٍ بِالْمَسْؤُولِيَّةِ تِجَاهَ الآخَرِينَ،
وَحِرْصٍ عَلَى نَظَافَةِ الْمَكَانِ الْعَامِّ وَسَلَامَتِهِ.

هَذِهِ الالْتِفَاتَةُ الْعَظِيمَةُ تُقَاسُ عَلَيْهَا تَصَرُّفَاتُ النَّاسِ الْيَوْمَ؛
إِذْ يُفْتَرَضُ بِالْإِنْسَانِ أَنْ يُحَافِظَ عَلَى وَطَنِهِ وَمَرَافِقِهِ الْعَامَّةِ،
وَأَنْ لاَ تَمْتَدَّ يَدُهُ إِلَيْهَا بِالْعَبَثِ أَوِ التَّخْرِيبِ.

وَلَكِنْ فِي وَاقِعِنَا نَجِدُ تَمْيِيزًا وَاضِحًا بَيْنَ الْمَكَانِ الْخَاصِّ وَالْمَكَانِ الْعَامِّ،
رَبَّاتُ الْبُيُوتِ يُنَظِّفْنَ مَنَازِلَهُنَّ بِإِتْقَانٍ.
وَالتُّجَّارُ يَعْتَنُونَ بِدَكَاكِينِهِمْ كُلَّ صَبَاحٍ.

ثُمَّ، فِي مَشْهَدٍ مُتَنَاقِضٍ، يُلْقَى بِالْأَقْذَارِ فِي الشَّارِعِ!
وَكَأَنَّ الْمَكَانَ الْعَامَّ مَسْؤُولِيَّةُ شَخْصٍ آخَرَ، لاَ عَلاَقَةَ لَنَا بِهِ.

بَلِ الأَسْوَأُ مِنْ ذَلِكَ، نَجِدُ **أَكْوَامَ النُّفَايَاتِ وَبَقَايَا مَوَادِّ الْبِنَاءِ** فِي أَحْيَاءٍ رَاقِيَةٍ،
يَسْكُنُهَا أُنَاسٌ عَلَى قَدْرٍ عَالٍ مِنَ التَّعْلِيمِ،
وَمَعَ ذَلِكَ لاَ يُبَادِرُونَ بِشَيْءٍ، وَيَنْتَظِرُونَ سَيَّارَاتِ الْبَلَدِيَّةِ،
وَكَأَنَّهُمْ مُجَرَّدُ مُتَفَرِّجِينَ.

ولَقَدْ حَثَّ الإِسْلاَمُ عَلَى **دَوَامِ الصِّلَةِ بِالْوَطَنِ وَالْمُجْتَمَعِ،**
بَلْ حَتَّى بَعْدَ الْمَوْتِ.
فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

"سَبْعٌ يَجْرِي لِلْعَبْدِ أَجْرُهُنَّ فِي قَبْرِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ:
مَنْ عَلَّمَ عِلْمًا، أَوْ أَجْرَى نَهْرًا، أَوْ غَرَسَ نَخْلًا،
أَوْ بَنَى مَسْجِدًا، أَوْ وَرَّثَ مُصْحَفًا،
أَوْ تَرَكَ وَلَدًا يَسْتَغْفِرُ لَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ". رَوَاهُ الْبَزَّارُ

وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى:

"أَوْ بَيْتًا لِابْنِ السَّبِيلِ بَنَاهُ،
أَوْ صَدَقَةً أَخْرَجَهَا فِي صِحَّتِهِ وَحَيَاتِهِ،
يُلْحَقُهُ أَجْرُهَا مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ".

هَذِهِ النُّصُوصُ تُؤَكِّدُ أَنَّ **الْبِنَاءَ، وَالْغَرْسَ، وَالْمُشَارَكَةَ فِي مَشَارِيعِ الْخَيْرِ الْعَامَّةِ**
هِيَ **اِمْتِدَادٌ لِعَمَلِ الإِنْسَانِ الصَّالِحِ،**
وَتَدُلُّ عَلَى ارْتِبَاطِهِ بِوَطَنِهِ وَمُجْتَمَعِهِ، حَيًّا وَمَيِّتًا.

فِي وَدَاعِ ٱلْمُسَافِرِ

جَاءَ رَجُلٌ إِلَى ٱلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ:

"يَا رَسُولَ ٱللَّهِ! إِنِّي أُرِيدُ سَفَرًا، فَزَوِّدْنِي".

أَي: أَعْطِنِي زَادًا فِي هَذَا ٱلسَّفَرِ، يَعْنِي: أَعْطِنِي مَا أَسْتَعِينُ بِهِ فِي هَذَا ٱلسَّفَرِ مِن نَصِيحَةٍ.

فَقَالَ ﷺ:

"زَوَّدَكَ ٱللَّهُ بِٱلتَّقْوَى".

أَي أَسْأَلُ ٱللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُعْطِيَكَ ٱلتَّقْوَى وَيَجْعَلَهَا زَادَكَ فِي ٱلسَّفَرِ. رواه مسلم

فَفَرِحَ ٱلرَّجُلُ وَقَالَ:

"زِدْنِي أَيْضًا".

فَقَالَ ﷺ: "وَغَفَرَ ذَنْبَكَ".

قَالَ ٱلرَّجُلُ:

"زِدْنِي".

فَقَالَ ﷺ: "وَيَسَّرَ لَكَ ٱلْخَيْرَ حَيْثُمَا كُنْتَ".

ثُمَّ قَالَ رَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ:

"ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٍ: دَعْوَةُ ٱلْمُسَافِرِ، وَدَعْوَةُ ٱلصَّائِمِ، وَدَعْوَةُ ٱلْوَالِدِ عَلَى وَلَدِهِ أَوْ لِوَلَدِهِ". رواه البخاري

وَمِنْ هَذَا ٱلْبَابِ يُقَالُ لِلْمُسَافِرِ: "لَا تَنْسَنَا مِن دُعَائِكَ".

وَكَانَ عَبْدُ ٱللَّهِ بْنُ عُمَرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ لِلرَّجُلِ ٱلَّذِي يُرِيدُ أَنْ يُسَافِرَ:

"ٱدْنُ مِنِّي حَتَّى أُوْدِعَكَ، كَمَا كَانَ رَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ يُوَدِّعُنَا". سير أعلام النبلاء

وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يَتَأَسَّى بِٱلنَّبِيِّ ﷺ فِي تَوْدِيعِ ٱلْمُسَافِرِ

وَيُعَلِّمُهُ ٱلسُّنَّةَ فِي ذَلِكَ، وَيَقُولُ: "ٱسْتَودِعِ ٱللَّهَ: دِينَكَ وَأَمَانَتَكَ وَخَوَاتِيمَ عَمَلِكَ".

وَكَانَ ٱلْإِمَامُ أَحْمَدُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يُوصِي دَائِمًا بِأَنْ يَكُونَ وَدَاعُ ٱلْمُسَافِرِ مَصْحُوبًا بِٱلدُّعَاءِ وَٱلذِّكْرِ،
لِأَنَّ ٱلْمُسَافِرَ فِي حَاجَةٍ إِلَى حِفْظِ ٱللَّهِ وَتَيَسِيرِهِ،
خُصُوصًا فِي ٱلطُّرُقَاتِ ٱلَّتِي قَدْ تَحْمِلُ ٱلْمَخَاطِرَ.

وَقَالَ فِي نَصِيحَتِهِ: "لَيْسَ عَلَيْكَ إِلَّا أَنْ تَوَكَّلَ أَمْرَكَ إِلَى ٱللَّهِ،
فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِيُّ ٱلَّذِي لَا يُغْفِلُ، وَلَا يَنَامُ،
وَهُوَ ٱلَّذِي يَحْفَظُكَ مِنْ كُلِّ سُوءٍ ".[سير أعلام النبلاء]

وَكَانَ ٱلْإِمَامُ أَحْمَدُ يَرَى أَنَّ ٱلتَّوَكُّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَٱلدُّعَاءَ عِنْدَ ٱلْوِدَاعِ
مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ ٱلسَّلَامَةِ، وَقَالَ:
"مَنْ وَدَّعَ مُسَافِرًا بِدُعَاءِ خَالِصٍ، أُجْزِلَ لَهُ ٱلْأَجْرُ، وَحَفِظَهُ ٱللَّهُ فِي سَبِيلِهِ".

قِصَّةُ الإِمَامِ الشَّعْبِيِّ وَدُعَاءُ الرُّكُوبِ

رُوِيَ عَنِ الإِمَامِ الشَّعْبِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ، أَنَّهُ إِذَا هَمَّ بِرُكُوبِ دَابَّتِهِ وَقَفَ عِنْدَ رَأْسِهَا، وَلَمْ يَضَعْ قَدَمَهُ عَلَيْهَا حَتَّى يَقُولَ:

"بِاسْمِ اللَّهِ، سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ، وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ".

ثُمَّ إِذَا اسْتَوَى عَلَيْهَا قَالَ:

"اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي لَكَ شَاكِرًا، وَلَكَ ذَاكِرًا، وَلَكَ مُطَاوِعًا، إِلَيْكَ مُنِيبًا".

فَقَالَ لَهُ أَحَدُ تَلَامِيذِهِ:

"يَا إِمَامُ، نَرَاكَ تُطِيلُ الدُّعَاءَ فِي مَوْضِعٍ لَا يُطِيلُ فِيهِ النَّاسُ".

فَأَجَابَ:

"بَلْ أَكْثَرُ الحَوَادِثِ تَكُونُ فِي هَذَا المَوْضِعِ، فَمَنْ شَكَرَ نِعْمَةَ اللَّهِ فِي أَوَّلِهَا رُجِيَ لَهُ السَّلَامَةُ فِي آخِرِهَا".

وَأَضَافَ:

"رَأَيْتُ أَقْوَامًا غَفَلُوا عَنِ اللَّهِ عِنْدَ الرُّكُوبِ، فَغَفَلَتْ عَنْهُمُ السَّلَامَةُ فِي الطَّرِيقِ". تَارِيخ دِمَشْق

قَالَ تَعَالَى:

﴿لِتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾ سُورَةُ الزُّخْرُفِ: آيَةُ ١٣

فَمِنْ آدَابِ رُكُوبِ السَّيَّارَةِ قِرَاءَةُ دُعَاءِ الرُّكُوبِ، وَالتَّبَرُّكُ بِاسْمِ اللَّهِ، وَالاعْتِرَافِ بِأَنَّ هَذِهِ المَرْكَبَةَ نِعْمَةٌ مِنَ اللَّهِ، فَبِدُونِ تَوْفِيقِهِ لَمَا اسْتَطَعْنَا الرُّكُوبَ، وَلَا سَخَّرَتِ الأَرْضَ وَلَا مَهَّدَ الطَّرِيقَ.

وَدُعَاءُ الرُّكُوبِ (وَلَيْسَ السَّفَرِ):

بِسْمِ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ،
اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ،
سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ،
وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ.

وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يَقُولَ مَعَهُ:
سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي، فَاغْفِرْ لِي،
فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ.

رواه أبو داود والترمذي

هَذِهِ النِّعْمَةُ التي يعرفُ قيمَتَها الذيْ يمتلِكُها والذي لا يمتَلِكُها تَحَوَّلَتْ عِنْدَ البَعْضِ إِلَى وَسِيلَةِ مَوْتٍ
بِسَبَبِ السُّرْعَةِ الجُنُونِيَّةِ وَالسِّبَاقَاتِ اللَّيْلِيَّةِ وَالتَّفْحِيطِ،
وَهُوَ سُلُوكٌ مَكْرُوهٌ وَمُخَالِفٌ، قَالَ تَعَالَى:
﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ سُورَةُ النِّسَاءِ: آيَةُ ٢٩

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:
"مَن قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ يَجَأُ بِهَا فِي بَطْنِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا". البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ

والسَّائِقُ مَسْؤُولٌ أَمَامَ اللَّهِ عَنْ نَفْسِهِ وَعَنْ كُلِّ نَفْسٍ يُؤْذِيهَا بِغَيْرِ حَقٍّ،
مَا لَمْ يَكُنْ ضَرَرًا خَارِجًا عَنْ إِرَادَتِهِ بَعْدَ اتِّخَاذِ أَسْبَابِ السَّلَامَةِ وَاتِّبَاعِ قَوَانِينِ السَّيْرِ.

أَمّا حال مَنْ يَمُوتُ فِي حَادِثٍ مَرُورِيٍّ بِغَيْرِ عَمْدٍ لَهُ أَجْرُ الشَّهِيدِ، كَ
"صَاحِبِ الهَدْمِ" الَّذِي ذَكَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي الحَدِيثِ:
"الشُّهَدَاءُ سَبْعَةٌ: المَطْعُونُ وَالمَبْطُونُ وَالغَرِيقُ وَصَاحِبُ الهَدْمِ وَالحَرِيقُ
والمَرْأَةُ الَّتِي تَمُوتُ بِجَمْعٍ، أَيُّ جَامِعَةٍ جَنِينُهَا فِي بَطْنِهَا
وَالشَّهِيدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ". رواه البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ

فَالَّذِي يَمُوتُ بِسَبَبِ حَادِثِ تَصَادُمٍ، سَوَاءٌ دَاخِلَ السَّيَّارَةِ أَوْ خَارِجَهَا، لَهُ أَجْرُ الشَّهِيدِ، فَإِنَّ فَضْلَ اللَّهِ وَاسِعٌ.

ابنُ عمرَ وحقُّ الطريقِ

عن عبدِ اللهِ بنِ عمرَ رضيَ اللهُ عنهما، أنَّهُ كانَ يومًا يسيرُ في طريقٍ ضيِّقٍ،
فصادفَ رجلًا فقيرًا يحملُ حِملًا ثقيلًا، فأفسحَ لهُ الطريقَ وتَنحَّى جانبًا.

فقالَ له بعضُ أصحابِه: "يا أبا عبدِ الرحمنِ، أنتَ ابنُ الخليفةِ، وأنتَ أَوْلى بالطريقِ".

فقالَ ابنُ عمرَ: "سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ :**أَعْطِ الطريقَ حقَّهُ،**
وإنَّ من حقِّ الطريقِ أنْ تَسَعَ غيرَك، كما تُحبُّ أنْ تَسَعَكَ".

ثم قالَ: "ما زاحمَ أحدٌ أحدًا في طريقٍ، إلَّا زاحمَهُ اللهُ في البركةِ". *رواه البخاري ومسلم*

عن أبي سعيدٍ الخُدريِّ رضيَ اللهُ عنه قالَ:
قالَ رسولُ اللهِ ﷺ" :**إيَّاكم والجلوسَ في الطرقاتِ**".

قالوا: يا رسولَ اللهِ، ما لنا بدٌّ، إنما هي مجالسُنا نتحدَّثُ فيها.
قالَ" :**فإذا أبيتم إلَّا المجلسَ، فأَعْطوا الطريقَ حقَّهُ**".
قالوا: وما حقُّ الطريقِ يا رسولَ اللهِ؟
قالَ:
"**غضُّ البصرِ، وكفُّ الأذى، وردُّ السلامِ، والأمرُ بالمعروفِ، والنهيُ عن المنكرِ**". *البخاري ومسلم*

فعلى كلِّ من يقودُ سيارةً، مُطالَبٌ شرعًا بكفِّ أذاه عن الناسِ، سواءٌ بالقيادةِ المتهوِّرةِ، أو قطعِ الإشارةِ، أو إرباكِ الآخرين، فكلُّ هذا أذًى واعتداءٌ على الحقوقِ، حتى لو لم يقعْ حادثٌ.

قالَ اللهُ تعالى:
﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا، فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ *الأحزاب: ٥٨*

وقالَ تعالى:
﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ﴾ *لقمان: ١٩*

فإذا كانَ الشرعُ نهى عن سُرعةِ المشي لما تدلُّ عليه من الطيشِ، فكيفَ بسُرعةٍ في سيارةٍ من حديدٍ لا ترحمُ؟!
وقد قالَ تعالى:
﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ *النساء: ٢٩*

ومعظمُ الحوادثِ اليومَ سببُها: إمّا السُّرعةُ الزائدةُ، وإمّا التّجاوزُ الخاطئُ.

وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ، الزَّمُّورُ (البوقُ) في الشوارعِ أصبح وسيلةً للأذى بدلَ التنبيهِ، يُستعمَل عندنا للتحيّةِ، وللشتائمِ، وللمعاكسةِ، ولتحميلِ الرّكّابِ، وللضغطِ على الآخرين.

بل إنَّ الاستخدامَ المفاجئَ لهُ سببٌ لحوادثَ كثيرةٍ، خاصةً مع السائقينَ المبتدئينَ، أو كبارِ السّنِّ، أو النساءِ، ممّن قد يُفزعنَ ويُفقدنَ السيطرةَ.
فما هذا إلَّا استهتارٌ أو أنانيةٌ، وهما من الأذى.

قالَ ﷺ" :**مَن آذى مؤمنًا فقد آذاني**".

فأمرَ بإزالةِ كلِّ ما يؤذي الناسَ من الطرقِ:
من حجارةٍ، وأوساخٍ، وسيّاراتٍ مركونةٍ عشوائيًّا، واعتداءاتٍ على حوافِّ الطريقِ.

قالَ ﷺ:
"**مَن اقتطعَ شِبرًا من الأرضِ ظلمًا طُوِّقَه من سبعِ أراضينَ يومَ القيامةِ**".

"**إماطةُ الأذى عن الطريقِ صدقةٌ**". *رواه مسلم*

"**الصدقةُ بعشرِ أمثالِها**".

الدينُ أخلاقٌ قبل أن يكونَ شعائرَ.
وقانونُ السيرِ لا يُغني عن الذوقِ، والتواضعِ، ومراعاةِ الغيرِ.

افْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ

كَانَ الإِمَامُ **سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ** رَحِمَهُ اللهُ يَدْخُلُ **مَسْجِدَ الْكُوفَةِ** مُبَكِّرًا، فَيَجْلِسُ حَيْثُ يَنْتَهِي بِهِ الْمَجْلِسُ.

وذَاتَ يَوْمٍ، جَاءَ مُتَأَخِّرًا، فَوَجَدَ **حَلْقَةَ الْعِلْمِ** مُزْدَحِمَةً، وَالنَّاسُ قَدْ ضَيَّقَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ.

فَقَالَ لِأَحَدِهِمْ، وَهُوَ شَابٌّ بَيْنَ الْقَوْمِ:

"يَا بُنَيَّ، تَفَسَّحْ لَنَا نَجْلِسْ".

فَنَظَرَ إِلَيْهِ الْفَتَى، وَقَالَ:

"الْمَكَانُ ضَيِّقٌ، لَا يَسَعُ".

فَسَكَتَ الإِمَامُ **سُفْيَانُ**، وَجَلَسَ خَلْفَ الْحَلْقَةِ دُونَ أَنْ يُحْرِجَ أَحَدًا.

فَرَآهُ أَحَدُ شُيُوخِ الْمَجْلِسِ، فَهَبَّ وَاقِفًا وَقَالَ:

"قُومُوا، أَفْسِحُوا لِلْإِمَامِ!

فَقَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ بِهُدُوءٍ:

رَحِمَ اللهُ مَنْ وَسِعَ صَدْرُهُ إِخْوَانَهُ،
فَمَجَالِسُ الْعِلْمِ لَا تُضَيِّقُ عَلَى طَالِبٍ، وَلَا يُهَانُ فِيهَا شَيْخٌ.
وَمَنْ فَسَحَ لِإِخْوَانِهِ الْيَوْمَ، فَسَحَ اللهُ لَهُ فِي قَلْبِهِ، وَفِي رِزْقِهِ، وَفِي قَبْرِهِ".

ثُمَّ جَلَسَ بَيْنَهُمْ، وَقَالَ:

"التَّوَاضُعُ فِي الْمَجَالِسِ مِنْ عُلُوِّ الْهِمَّةِ،
وَمَنْ بَخِلَ بِالْمَكَانِ، خِيفَ عَلَيْهِ أَنْ يُبْخَلَ عَلَيْهِ بِالْفَضْلِ". سير أعلام النبلاء

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ**﴾ *سورة المجادلة: الآية ١١*

التَّفَسُّحُ :هُوَ التَّوَسُّعُ فِي الْمَجَالِسِ، بِصُدُورٍ رَحْبَةٍ، وَقُلُوبٍ مُتَوَاضِعَةٍ.
وَمَنْ فَسَحَ لِإِخْوَانِهِ، فَسَحَ اللهُ لَهُ فِي **رَحْمَتِهِ، وَرِزْقِهِ، وَقَلْبِهِ، وَقَبْرِهِ.**

إِنَّ الْآيَةَ لَا تَقْتَصِرُ عَلَى الْمَجَالِسِ فَقَطْ،
بَلْ تَشْمَلُ كُلَّ سُلُوكٍ يُحْتَاجُ فِيهِ إِلَى **مُرَاعَاةِ الْآخَرِينَ،**
فالْفَوْضَى الَّتِي تَحْدُثُ أَمَامَ الْمَدَارِسِ، وَالزِّحَامُ النَّاتِجُ عَنْ سُوءِ وَقْفِ السَّيَّارَاتِ، يُرْبِكُ الْحَرَكَةَ وَيُعَرِّضُ الطُّلَّابَ لِلْخَطَرِ.
حتى يضطر طُلَّابُنَا يإلى السير بَيْنَ السَّيَّارَاتِ كَمَنْ يَمْشِي فِي حَقْلٍ مِنَ الْأَلْغَامِ!

وَشَوَارِعُنَا، وَإِنْ كَانَتْ ضَيِّقَةً، إِلَّا أَنَّ سُوءَ التَّصَرُّفِ **يُفَاقِمُ الْمُشْكِلَةَ.**

وأَمَامَ الْمَسَاجِدِ كَثِيرٌ مِنَ الْمُصَلِّينَ **يُرْكِنُونَ سَيَّارَاتِهِمْ بِطَرِيقَةٍ عَشْوَائِيَّةٍ،**
مِمَّا يُسَبِّبُ **حِرْمَانَ غَيْرِهِمْ** مِنْ إِدْرَاكِ الصَّلَاةِ، وَيُعَرْقِلُ السَّيْرَ.
وَذَلِكَ **لَا يَلِيقُ** بِمَنْ جَاءَ إِلَى بَيْتِ اللهِ **طَلَبًا لِلسَّكِينَةِ وَالْخُشُوعِ.** قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:
"**وَمَنْ آذَى مُؤْمِنًا فَقَدْ آذَانِي**". *رواه أحمد*

الدِّينُ لَيْسَ عِبَادَةً فَقَطْ، بَلْ ذَوْقٌ، وَصَبْرٌ، وَاحْتِرَامٌ لِلْآخَرِينَ.
وَقَوَانِينُ السَّيْرِ **لَيْسَتْ بَدَائِلَ عَنِ الْأَخْلَاقِ،** بَلْ هِيَ أَدَوَاتٌ لِتَجْسِيدِهَا فِي الْوَاقِعِ.

لا تَشْهَدْ عَلَى رَجُلٍ... إِلَّا إِنْ عَرَفْتَهُ حَقًّا!

جَلَسَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه يَقْضِي بَيْنَ اثْنَيْنِ فِي خُصُومَةٍ.

فَجَاءَ ثَالِثٌ، يُرِيدُ أَنْ يَشْهَدَ.

فَقَالَ لَهُ عُمَرُ:

"أَنَا لا أَعْرِفُكَ، وَلَا يَضُرُّكَ أَنِّي لا أَعْرِفُكَ، وَلكِنِ ائْتِ بِمَنْ يَعْرِفُكَ".

فَقَامَ رَجُلٌ مِنْ بَيْنِ الْجَالِسِينَ، وَقَالَ: "**أَنَا أَعْرِفُهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ**".

فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: "**بِمَ تَعْرِفُهُ؟**"!

قَالَ: "**أَعْرِفُهُ بِالْعَدَالَةِ وَالْفَضْلِ**".

فَقَالَ عُمَرُ بِنَظْرَةِ الْفَاحِصِ الْخَبِيرِ:

- **هَلْ هُوَ جَارُكَ الْأَدْنَى، تَعْرِفُ مَدْخَلَهُ وَمَخْرَجَهُ، لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ؟** قَالَ: لا.
- **هَلْ عَامَلْتَهُ بِالدِّينَارِ وَالدِّرْهَمِ؟** قَالَ: لا.
- **هَلْ سَافَرْتَ مَعَهُ؟** قَالَ: لا.

فَقَالَ عُمَرُ:

"اِجْلِسْ، فَإِنَّكَ لا تَعْرِفُهُ، لَعَلَّكَ رَأَيْتَهُ يَرْفَعُ رَأْسَهُ وَيُخَفِّضُهُ فِي الْمَسْجِدِ"!

ثُمَّ قَالَ لِلشَّاهِدِ الْأَوَّلِ:

"ائْتِ بِمَنْ يَعْرِفُكَ ". الذهبي، حلية الأولياء

فَلَيْسَتِ الْمَعْرِفَةُ أَنْ تَرَاهُ كَثِيرَ الصَّلَاةِ...

وَلَا أَنْ تَحْضُرَ لَهُ مُحَاضَرَةً... وَلَا أَنْ تَتَابِعَ مَنْشُورَاتِهِ!

بَلْ أَنْ تُعَاشِرَهُ... أَنْ تَرَاهُ حِينَ يَغْضَبُ، وَحِينَ يُخَاصِمُ، وَحِينَ يُحَاسِبُ.

فَالْمُعَامَلَةُ هِيَ الْاِمْتِحَانُ الصَّادِقُ:

- **الْمَالُ يُظْهِرُ الْأَمَانَةَ أَوِ الطَّمَعَ.**
- **الْجِوَارُ يَكْشِفُ الْخُلُقَ وَالصَّبْرَ.**
- **السَّفَرُ يُسْقِطُ الْأَقْنِعَةَ وَيُظْهِرُ الطِّبَاعَ.**

قَالَ أَحَدُ الصَّالِحِينَ:

"إِذَا كَانَ فِي الْمَرْءِ ثَلَاثٌ، فَلَا يُشَكُّ فِي صَلَاحِهِ:
إِذَا حَمِدَهُ جَارُهُ، وَقَرَابَتُهُ، وَرَفِيقُهُ فِي السَّفَرِ".

لِأَنَّ هَؤُلَاءِ... يَرَوْنَهُ عَنْ قُرْبٍ، بِلَا زِينَةٍ وَلَا تَكَلُّفٍ.

قَالَ رَجُلٌ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ:

"يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ لِي أَنْ أَعْرِفَ إِنْ كُنْتُ أَحْسَنْتُ أَوْ أَسَأْتُ؟"

قَالَ ﷺ:

"إِذَا سَمِعْتَ جِيرَانَكَ يَقُولُونَ: قَدْ أَحْسَنْتَ، فَقَدْ أَحْسَنْتَ.
وَإِذَا قَالُوا: قَدْ أَسَأْتَ، فَقَدْ أَسَأْتَ". رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ

وَقَالَ ﷺ أَيْضًا:

"النَّاسُ مَعَادِنُ كَمَعَادِنِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ،
خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَقِهُوا". رَوَاهُ مُسْلِمٌ

وَكَمَا لَا تُعْرَفُ جَوْدَةُ الْمَعْدِنِ إِلَّا بِالِاخْتِبَارِ،
كَذَلِكَ النَّاسُ... لَا تُعْرَفُ مَعَادِنُهُمْ إِلَّا بِالتَّجْرِبَةِ.

فإنَّ الشيطانَ يدخُل

كانَ الإمامُ مالكُ بنُ أنسٍ رحمهُ اللهُ جالسًا في حَلْقَتِهِ بالمسجدِ النبويِّ،
يُحدِّثُ الناسَ ويُقرِئُهمُ العلمَ،
فسمعَ عَطسةً شديدةً من أحدِ الحاضرينَ، ثم لم يحمدِ اللهَ بعدها.
فنظرَ إليهِ الإمامُ مالكٌ بهدوءٍ، وقالَ:
"باركَ اللهُ فيكَ، لكنْ لو قلتَ :**الحمدُ لله**، لشمَّتكَ إخوانُكَ، فإنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ:
"إذا عطسَ أحدُكم فحمدَ اللهَ، فشمِّتوهُ، وإنْ لم يحمدِ اللهَ، فلا تُشمِّتوهُ". رواهُ البخاري

ثم أردفَ الإمامُ قائلًا:
"وكانَ رسولُ اللهِ ﷺ إذا عطسَ، غطّى وجهَهُ بيدِهِ أو بثوبِهِ، وخفَضَ بها صوتَهُ". رواهُ أبو داود

فقالَ أحدُ الحاضرينَ:
"يا أبا عبدِ الله، وإنْ رفعَ العاطسُ صوتَهُ؟"
فأجابَ الإمامُ مالكٌ:
"لا بأسَ، لكن يُستحبُّ كَظْمُهُ، فإنَّ رفعَ الصوتِ عندَ العُطاسِ مكروهٌ أدبًا، لا حُكمًا".

ثم سكتَ قليلًا، فإذا بأحدِهم يتثاءبُ دونَ أنْ يضعَ يدَهُ على فمِهِ، فتبسّمَ الإمامُ مالكٌ، وقالَ برفقٍ:
"قالَ رسولُ اللهِ ﷺ:
"إذا تثاءبَ أحدُكم، فليمسكْ بيدِهِ على فمِهِ، فإنَّ الشيطانَ يدخلُ". رواهُ مسلم

ثم قالَ:
"مجالسُ العلمِ يُحسِنُ فيها المرءُ أدبَهُ، فذلكَ من توقيرِ العلمِ وتعظيمِ شعائرِ اللهِ". سير أعلام النبلاء

عن أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنه قالَ:
قالَ رسولُ اللهِ ﷺ:
"إنَّ اللهَ يُحبُّ العُطاسَ، ويَكرهُ التثاؤبَ، فإذا عطسَ أحدُكم وحمدَ اللهَ،
كانَ حقًّا على كلِّ مسلمٍ سمعهُ أنْ يقولَ: يرحمُكَ اللهُ". رواهُ البخاري

قالَ العلماءُ: لأنَّ العُطاسَ يكونُ من النشاطِ والخفَّةِ،
وأمّا التثاؤبُ فيكونُ من الخُمولِ والكسلِ، وهو من الشيطانِ.

قالَ رسولُ اللهِ ﷺ:
"فإذا تثاءبَ أحدُكم، فليرُدَّهُ ما استطاعَ، فإنَّ الشيطانَ يضحكُ منهُ". *رواهُ البخاري ومسلم*

وعن أبي موسى رضيَ اللهُ عنه قالَ:
قالَ رسولُ اللهِ ﷺ:
"إذا عطسَ أحدُكم فحمدَ اللهَ، فشمِّتوهُ، وإنْ لم يحمدِ اللهَ، فلا تُشمِّتوهُ". *رواهُ مسلم*

وقالَ ﷺ:
"إذا عطسَ أحدُكم، فليقلْ: الحمدُ للهِ،
وليقلْ له أخوهُ أو صاحبُهُ: يرحمُكَ اللهُ،
فإذا قالَ له: يرحمُكَ اللهُ، فليقلْ: يهديكمُ اللهُ، ويُصلحْ بالَكم". *رواهُ البخاري*

وعن أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنه قالَ:
"كانَ النبيُّ ﷺ إذا عطسَ، غطّى وجهَهُ بيدِهِ أو بثوبِهِ، وغضَّ بها صوتَهُ". *رواهُ أبو داود*

قالَ العلماءُ: النهيُ عن رفعِ الصوتِ بالعطاسِ محمولٌ على الكراهةِ، لا على التحريمِ.

أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟

جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: "السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ".
فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ" :**وَعَلَيْكُمُ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ".**
ثُمَّ جَاءَ آخَرُ فَقَالَ" :**السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ".**
فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ" :**وَعَلَيْكَ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ".**
ثُمَّ جَاءَ ثَالِثٌ فَقَالَ" :**السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ".**
فَقَالَ لَهُ" :**وَعَلَيْكَ".**
فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ:
"يَا رَسُولَ اللَّهِ، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، أَتَاكَ فُلَانٌ وَفُلَانٌ فَسَلَّمَا عَلَيْكَ، فَرَدَدْتَ عَلَيْهِمَا أَكْثَرَ مِمَّا رَدَدْتَ عَلَيَّ".
فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ" :**إِنَّكَ لَمْ تَتْرُكْ لَنَا شَيْئًا".**
وهذا يَدُلُّ على أَنَّه **لا زِيَادَةَ فِي السَّلَامِ بَعْدَ:**
"السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ ". *رواهُ البُخاريُّ والنَّسائيُّ.*

قَالَ تَعَالَى:
﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ *النساء: ٨٦*
فـ**الزِّيَادَةُ عَلَى التَّحِيَّةِ مَندُوبَةٌ: "فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا"،**
وَ**المُمَاثَلَةُ فِي التَّحِيَّةِ فَرْضٌ: "لِقَوْلِهِ أَوْ رُدُّوهَا."**

وَلِأَثَرِ التَّحِيَّةِ فِي القُلُوبِ،
كَانَ **عَبْدُ ٱللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا** إِذَا دَخَلَ عَلَى النَّاسِ فِي مَجْلِسٍ،
لَا يَكْتَفِي بِالتَّحِيَّةِ السَّرِيعَةِ، بَل كَانَ يُحَيِّي الجَمِيعَ بِتَحِيَّةٍ طَيِّبَةٍ قَائِلًا:
"السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ".

وذُكِرَ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ:
"إِذَا سَلَّمْتَ عَلَى أَحَدٍ تَحِيَّةَ الإِسْلَامِ، فَلَا تَكْتَفِ بِرَدِّهَا فَقَط،

بَلْ زِدْ عَلَيْهَا بِالبَرَكَةِ وَالرَّحْمَةِ،
فَإِنَّ فِي ذَلِكَ زِيَادَةً فِي المَحَبَّةِ وَالتَّقْوَى".

وَرُوِيَ أَنَّ رَجُلًا قَالَ لَهُ:
"يَا بْنَ عَبَّاسٍ، أَنْتَ تُكْثِرُ مِنَ السَّلَامِ عَلَيْنَا، فَأَنْتَ لَا تَجِدُ وَقْتًا لِلْحَدِيثِ"!
فَابْتَسَمَ عَبْدُ ٱللَّهِ وَقَالَ:
"أَمَّا أَنَا فَلَا أَجِدُ خَيْرًا أَنْ أَبْدَأَ بِهِ وَأَجْعَلَهُ سَبَبًا فِي دُخُولِ البَرَكَةِ إِلَى مَجْلِسِنَا،
فَالسَّلَامُ أَبْوَابُ البَرَكَةِ".

وَكَانَ النَّاسُ يُحِبُّونَ مُجَالَسَتَهُ، لِمَا يَنْشُرُهُ مِن رُوحِ **المَحَبَّةِ وَالوُدِّ**
بِتَحِيَّةٍ **مُفْعَمَةٍ بِالإِخَاءِ.**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
"يُسَلِّمُ الصَّغِيرُ عَلَى الْكَبِيرِ، وَالْمَارُّ عَلَى الْقَاعِدِ، وَالْقَلِيلُ عَلَى الْكَثِيرِ".
وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ:
"وَالرَّاكِبُ عَلَى الْمَاشِي".

وَأَمَّا إِذَا تَلَاقَى رَاكِبَانِ وَمَاشِيَانِ،
فَقَدْ أَخْرَجَ البُخَارِيُّ مِنْ حَدِيثِ **جَابِرٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ:**
"الْمَاشِيَانِ إِذَا اجْتَمَعَا، فَأَيُّهُمَا الَّذِي بَدَأَ بِالسَّلَامِ، فَهُوَ أَفْضَلُ".

وَأَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **"إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِٱللَّهِ مَنْ بَدَأَ بِالسَّلَامِ".**

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
"لَا تَدْخُلُوا الجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَتَحَابُّوا.
أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟
أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ ". رواهُ مُسلِمٌ

فِي أَدَبِ الْمَجَالِسِ

كَانَ الإِمَامُ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ – رَحِمَهُ اللهُ – إِذَا جَلَسَ فِي مَجْلِسِ عِلْمٍ أَوْ ذِكْرٍ،
لَا يَرْفَعُ نَفْسَهُ عَلَى أَحَدٍ،
وَلَا يَبْدَأُ بِالْكَلَامِ حَتَّى يُسْأَلَ،
وَكَانَ كَثِيرَ التَّوَاضُعِ، عَظِيمَ الْهَيْبَةِ، يَكْرَهُ التَّصَدُّرَ،
وَيَجْلِسُ حَيْثُ انْتَهَى بِهِ الْمَجْلِسُ.

وذُكِرَ أَنَّ شَابًّا حَضَرَ مَجْلِسَهُ يَوْمًا، وَجَلَسَ فِي صَدْرِ الْمَجْلِسِ،
فَاسْتَحْيَا سُفْيَانُ، وَتَرَاجَعَ إِلَى الْخَلْفِ،
فَقَالَ لَهُ أَحَدُهُمْ:
"أَنْتَ الإِمَامُ، كَيْفَ تَتَأَخَّرُ؟"
فَقَالَ سُفْيَانُ:
"مَا أَنَا إِلَّا وَاحِدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَقَدْ نُهِينَا أَنْ يَتَقَدَّمَ أَحَدُنَا فِي مَجْلِسٍ دُونَ اسْتِئْذَانٍ،
وَقَدْ قَالَ ﷺ: «**خَيْرُ الْمَجَالِسِ أَوْسَعُهَا** – "«رواه أَبُو دَاوُد وَالتِّرْمِذِيُّ. *سير أعلام النبلاء*

وَفِي مَوْقِفٍ آخَرَ، دَخَلَ سُفْيَانُ مَجْلِسًا، فَرَأَى رَجُلَيْنِ يَتَنَاجَيَانِ،
فَوَقَفَ عِنْدَ الْبَابِ، وَلَمْ يَدْخُلْ.
فَقَالُوا لَهُ" :**لِمَاذَا لَا تَدْخُلُ؟"**
فَقَالَ:
"قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِذَا تَنَاجَى اثْنَانِ، فَلَا تَجْلِسْ إِلَيْهِمَا حَتَّى تَسْتَأْذِنَهُمَا** – "«رواه مُسْلِمٌ،
"وَإِنِّي أَرَى بَيْنَهُمَا سِرًّا، فَلَا أُحِبُّ أَنْ أُحْرِجَهُمَا أَوْ أُؤْذِيَهُمَا".
وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "**إِذَا انْتَهَى أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَجْلِسِ فَلْيُسَلِّمْ،**
فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَقُومَ فَلْيُسَلِّمْ،
فَلَيْسَتِ الْأُولَى بِأَحَقَّ مِنَ الْآخِرَةِ – ".رواه أَبُو دَاوُد وَالتِّرْمِذِيُّ.

فَكُلٌّ مِنْهُمَا لَهُ أَثَرُهُ فِي تَقْوِيَةِ الصِّلَةِ، وَإِدْخَالِ السُّرُورِ إِلَى قُلُوبِ النَّاسِ.

وَمِنْ آدَابِ الْمَجَالِسِ: أَنْ يَجْلِسَ حَيْثُ انْتَهَى بِهِ الْمَجْلِسُ، وَلَا يَتَصَدَّرَ؛

فَقَدْ كَانَ ﷺ يَجْلِسُ حَيْثُ انْتَهَى بِهِ الْمَجْلِسُ، مُخْتَلِطًا بِأَصْحَابِهِ، كَأَنَّهُ أَحَدُهُمْ.

ولَا يُدْخِلُ إِصْبَعَهُ فِي أَنْفِهِ....ولَا يَبْصُقُ...ولَا يَتَثَاءَبُ دُونَ أَنْ يَضَعَ يَدَهُ عَلَى فَمِهِ.

وَقَالَ ﷺ:

"لَا يُقِيمَنَّ أَحَدُكُمْ رَجُلًا مِنْ مَجْلِسِهِ ثُمَّ يَجْلِسَ فِيهِ، وَلَكِنْ تَفَسَّحُوا وَتَوَسَّعُوا ". مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَقَالَ ﷺ: **"إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ مِنْ مَجْلِسِهِ ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهِ فَهُوَ أَحَقُّ بِهِ"**.

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ: **"إِذَا تَنَاجَى اثْنَانِ، فَلَا تَجْلِسْ إِلَيْهِمَا حَتَّى تَسْتَأْذِنَهُمَا،**
وَإِذَا كَانُوا ثَلَاثَةً، فَلَا يَتَنَاجَى اثْنَانِ دُونَ الثَّالِثِ، فَإِنَّ ذَلِكَ يُحْزِنُهُ".

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **"إِيَّاكُمْ وَالجُلُوسَ فِي الطُّرُقَاتِ"**. فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ مِنَ الْجُلُوسِ،
فَلْيُعْطِ الطَّرِيقَ حَقَّهُ، وَهُوَ : **غَضُّ الْبَصَرِ،...عَدَمُ إِيذَاءِ الْمَارَّةِ، ...إِفْشَاءُ السَّلَامِ،**
والأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ،
وَيُكْرَهُ الْقِيَامُ مِنَ الْمَجْلِسِ دُونَ ذِكْرِ اللهِ.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **"مَا مِنْ قَوْمٍ يَقُومُونَ مِنْ مَجْلِسٍ لَا يَذْكُرُونَ اللهَ فِيهِ،**
إِلَّا قَامُوا عَنْ مِثْلِ جِيفَةِ حِمَارٍ، وَكَانَ لَهُمْ حَسْرَةٌ – ". رواه أَبُو دَاوُد وَأَحْمَدُ.

وَقَالَ ﷺ:

"مَنْ جَلَسَ فِي مَجْلِسٍ فَكَثُرَ فِيهِ لَغَطُهُ،
فَقَالَ قَبْلَ أَنْ يَقُومَ مِنْ مَجْلِسِهِ ذَلِكَ:
سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ،
أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ،
أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ،
إِلَّا غُفِرَ لَهُ مَا كَانَ فِي مَجْلِسِهِ ذَلِكَ – ". رواه التِّرْمِذِيُّ وَالْحَاكِمُ.

فِي فَضْلِ عِيَادَةِ الْمَرِيضِ

كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَعُودُ مَنْ مَرِضَ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَعَادَ غُلَامًا يَهُودِيًّا كَانَ يَخْدِمُهُ. رَوَاهُ الْبُخَارِي.

وَعَادَ عَمَّهُ أَبَا طَالِبٍ وَهُوَ مُشْرِكٌ،
وَكَانَ ﷺ يَدْنُو مِنَ الْمَرِيضِ، وَيَجْلِسُ عِندَ رَأْسِهِ،
وَيَسْأَلُهُ عَنْ حَالِهِ، وَيَقُولُ لَهُ:
"طَهُورٌ إِنْ شَاءَ اللهُ". رَوَاهُ الْبُخَارِي.

وَكَانَ يَسْأَلُ الْمَرِيضَ عَمَّا يَشْتَهِيهِ، فَإِنْ كَانَ لَا يَضُرُّهُ، أَمَرَ لَهُ بِهِ،
وَكَانَ ﷺ يَدْعُو لَهُ بِالشِّفَاءِ، وَيُوَاسِيهِ بِكَلِمَاتِ الرِّفْقِ وَالرَّجَاءِ.

وَرُوِيَ أَنَّ الْحَسَنَ الْبَصْرِيَّ – رَحِمَهُ اللهُ – كَانَ إِذَا سَمِعَ بِمَرَضِ أَحَدِ إِخْوَانِهِ،
أَسْرَعَ إِلَى زِيَارَتِهِ، فَيَجْلِسُ عِندَهُ، وَيُوَاسِيهِ، وَيُذَكِّرُهُ بِثَوَابِ اللهِ،
وَيُهَوِّنُ عَلَيْهِ أَلَمَ الْبَلَاءِ.

وَفِي لَيْلَةٍ، مَرِضَ رَجُلٌ مِنْ جِيرَانِهِ،
فَخَرَجَ الْحَسَنُ لَيْلًا وَهُوَ يَحْمِلُ تَمْرًا وَمَاءً، وَيَقُولُ:
"لَعَلِّي أَكُونُ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ مِمَّنْ تُصَلِّي عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ".

فَلَمَّا دَخَلَ عَلَى الْمَرِيضِ، وَجَدَهُ يَبْكِي،
فَقَالَ لَهُ:
"يَا أَخِي، لَا تَجْزَعْ،
فَإِنَّ الْمَرَضَ كَفَّارَةٌ، وَاللهُ أَرْحَمُ بِعَبْدِهِ مِنْ أُمِّهِ".

فَهَدَأَ قَلْبُ الْمَرِيضِ، وَقَالَ:
"جَزَاكَ اللهُ خَيْرًا، فَقَدْ أَحْيَيْتَ قَلْبًا كَادَ يَمُوتُ مِنَ الْخَوْفِ".

وَبَعْدَ أَيَّامٍ، عَافَاهُ اللهُ، وَكَانَ يَقُولُ:

"مَا نَسِيتُ لَيْلَةَ الْحَسَنِ، وَلَا كَلِمَاتِهِ الَّتِي كَانَتْ لِي بَلْسَمًا". الزُّهْدُ وَالرَّقَائِقُ.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

"مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَعُودُ مُسْلِمًا،

إِلَّا بَعَثَ اللهُ لَهُ سَبْعِينَ أَلْفَ مَلَكٍ يُصَلُّونَ عَلَيْهِ،

فِي أَيِّ سَاعَةٍ مِنَ النَّهَارِ كَانَتْ حَتَّى يُمْسِيَ،

وَفِي أَيِّ سَاعَةٍ مِنَ اللَّيْلِ كَانَتْ حَتَّى يُصْبِحَ". رَوَاهُ أَبُو دَاوُد.

وَقَالَ ﷺ فِي الْحَدِيثِ الْقُدُسِيِّ:

"إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا ابْنَ آدَمَ، مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي.

قَالَ: يَا رَبِّ، كَيْفَ أَعُودُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟

قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلَانًا مَرِضَ، فَلَمْ تَعُدْهُ؟

أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ، لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ؟" رَوَاهُ مُسْلِم.

وَهَذَا تَشْرِيفٌ عَظِيمٌ لِلْعَبْدِ، وَتَقْرِيبٌ لَهُ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

وَمِنْ آدَابِ وَذَوْقِيَّاتِ عِيَادَةِ الْمَرِيضِ:

١. **اخْتِيَارُ الْوَقْتِ الْمُنَاسِبِ،** وَتَجَنُّبُ أَوْقَاتِ الرَّاحَةِ وَالطَّعَامِ.

٢. **أَنْ تُظْهِرَ الرِّقَّةَ وَالشَّفَقَةَ،** وَتَدْعُوَ لَهُ بِالْعَافِيَةِ.

٣. **أَنْ تُخَفِّفَ الْجُلُوسَ،** وَلَا تُطِيلَ الْبَقَاءَ.

٤. **أَنْ تُقَلِّلَ مِنَ الْأَسْئِلَةِ،** وَتُكْثِرَ مِنَ الدُّعَاءِ وَالْمُوَاسَاةِ.

٥. **أَنْ تُظْهِرَ الْبِشْرَ وَالْبَسْمَةَ،** وَتُشْعِرَهُ بِالطَّمَأْنِينَةِ.

٦. **أَنْ تُكَرِّرَ الزِّيَارَةَ بَيْنَ حِينٍ وَآخَرَ، كَمَا قَالَ ﷺ:**
"الْمَرِيضُ يُعَادُ، وَالصَّحِيحُ يُزَارُ". رَوَاهُ الْبُخَارِي.

قِصَّةُ أَيُّوبَ السَّخْتِيَانِيِّ وَزِيَارَةٍ فِي اللهِ

كانَ **أَيُّوبُ السَّخْتِيَانِيُّ** –رَحِمَهُ اللهُ– مِن كِبَارِ التَّابِعِينَ، عَابِدًا زَاهِدًا،
وَكَانَ لَهُ صَدِيقٌ صَالِحٌ يُدْعَى **سَعِيدَ بْنَ جُبَيْرٍ**.

وَكَانَ أَيُّوبُ يَقُولُ دَائِمًا:
"إِنِّي لَأَذْهَبُ إِلَى زِيَارَةِ أَخٍ لِي فِي اللهِ، فَمَا أَخْرُجُ مِنْ بَيْتِي إِلَّا أَحْتَسِبُهَا خُطْوَةً إِلَى الْجَنَّةِ".

وَذَاتَ مَرَّةٍ، رَآهُ أَحَدُهُمْ يَتَهَيَّأُ لِلسَّفَرِ فِي يَوْمٍ حَارٍّ طَوِيلٍ، فَقَالَ لَهُ:

"أَإِلَى السُّوقِ ذَاهِبٌ؟"

فَقَالَ أَيُّوبُ:

"لَا وَاللهِ، وَلَكِنْ إِلَى أَخِي أَزُورُهُ فِي اللهِ".

قَالَ الرَّجُلُ مُسْتَغْرِبًا:

"أَتَتَكَلَّفُ هَذَا السَّفَرَ لِأَجْلِ زِيَارَةٍ فَقَطْ؟"

فَقَالَ أَيُّوبُ – وَهُوَ يَبْتَسِمُ ابْتِسَامَةَ الْعَارِفِينَ:–

"إِنِّي سَمِعْتُ أَنَّ رَبَّ الْعِزَّةِ يَقُولُ: (وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ)،
أَفَأَتْرُكُ مَوْضِعًا وَجَبَتْ فِيهِ مَحَبَّةُ اللهِ؟"!

ثُمَّ مَضَى إِلَى صَدِيقِهِ، وَلَمْ تَكُنْ لَهُ حَاجَةٌ سِوَى الْجُلُوسِ مَعَهُ، وَتَذَاكُرِ بَعْضِهِمَا بِاللهِ.

فقد كَانُوا **يَعُدُّونَ زِيَارَةَ الْإِخْوَانِ عِبَادَةً يُرْجَى بِهَا الْجَنَّةُ.**
وزِيَارَاتُهُمْ لَمْ تَكُنْ لِمَصْلَحَةٍ دُنْيَوِيَّةٍ، بَلْ كَانَتْ خَالِصَةً لِوَجْهِ اللهِ.
فكَانُوا يَسْتَشْعِرُونَ أَنَّ **لِقَاءَهُمْ فِي اللهِ مِنْ عَلَامَاتِ مَحَبَّةِ اللهِ لَهُمْ.**

وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فِيمَا يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ:
"وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ، وَالْمُتَجَالِسِينَ فِيَّ، وَالْمُتَحَابِّينَ فِيَّ، وَالْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ". الْمُوَطَّأ

ومِنْ آدَابِ الزِّيَارَةِ وَالضِّيَافَةِ فِي الْإِسْلَامِ:

أَنْ **يَطْرُقَ الْبَابَ بِرِفْقٍ** دُونَ إِزْعَاجٍ.
وأَنْ **يَغُضَّ بَصَرَهُ عِنْدَ الِاسْتِئْذَانِ**، فَلَا يَنْظُرَ دَاخِلَ الْبَيْتِ، كَمَا فِي الْحَدِيثِ:
"إِنَّمَا جُعِلَ الِاسْتِئْذَانُ مِنْ أَجْلِ الْبَصَرِ". البخاري ومسلم

وأَنْ **يَجْلِسَ حَيْثُ يُؤْمَرُ**، فَصَاحِبُ الْبَيْتِ أَدْرَى بِعَوْرَاتِهِ:
"مَنْ دَخَلَ دَارَ قَوْمٍ فَلْيَجْلِسْ حَيْثُ أَمَرُوهُ، فَإِنَّ الْقَوْمَ أَعْلَمُ بِعَوْرَةِ دَارِهِمْ". الطبراني

وأَنْ **لَا يَفْتَحَ الْأَبْوَابَ أَوِ الْأَدْرَاجَ الْمُغْلَقَةَ.**

وأَنْ **يَتَوَاضَعَ فِي مَجْلِسِهِ**، وَلَا يَتَصَدَّرَ وَلَا يَأْمُرَ.

وأَنْ **لَا يَقْتَرِحَ طَعَامًا بِعَيْنِهِ.**

وأَنْ **يَخْتَارَ الْوَقْتَ الْمُنَاسِبَ لِلزِّيَارَةِ.**

وأَنْ **يَكُونَ خَفِيفَ الظِّلِّ**، فَلَا يُطِيلَ الزِّيَارَةَ وَلَا يُكْثِرَ التَّرَدُّدَ.

وأَنْ **يَدْعُوَ لِأَهْلِ الْبَيْتِ بَعْدَ الطَّعَامِ أَوِ الضِّيَافَةِ**، كَمَا كَانَ ﷺ يَقُولُ:

"اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِيمَا رَزَقْتَهُمْ، وَاغْفِرْ لَهُمْ، وَارْحَمْهُمْ". رَوَاهُ مُسْلِم

"سَمِّ ٱللَّهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ"

عن عُمَرَ بنِ أَبِي سَلَمَةَ رضيَ اللهُ عنه قالَ:
كُنتُ غُلَامًا فِي حَجْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ،
فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ:
"يَا غُلَامُ، سَمِّ ٱللَّهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ".
قال" :**فَمَا زَالَتْ تِلْكَ طِعْمَتِي بَعْدُ**".*رواه البُخَارِي*

خاطبَ النَّبِيُّ ﷺ الغُلامَ بلُطْفٍ" :**يَا غُلَامُ**".
ولم يُوَبِّخْهُ، بَلْ عَلَّمَهُ ثلاثَ قَواعِدَ مُهِمَّةٍ في الطَّعامِ :أَنْ يَبْدَأَ بِـ **بِسْمِ ٱللَّهِ**. وَأَنْ يَأْكُلَ بِيَدِهِ **ٱلْيُمْنَى**. وَأَنْ يَأْكُلَ مِمَّا **يَلِيهِ**.

فَكَانَتِ ٱسْتِجَابَةٌ سَرِيعَةٌ؛ قَالَ الغُلَامُ: **فَمَا زَالَتْ تِلْكَ طِعْمَتِي بَعْدُ**"،
أَيْ: ٱلْتَزَمَ بِهذِهِ ٱلْآدَابِ طِوَالَ حَيَاتِهِ.

وَمِنْ أَدَبِ ٱلطَّعَامِ فِي ٱلْإِسْلَامِ: قالَ النَّبِيُّ ﷺ:

"إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَذْكُرِ ٱسْمَ ٱللَّهِ،
فَإِنْ نَسِيَ أَنْ يَذْكُرَ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِي أَوَّلِهِ، فَلْيَقُلْ:
بِسْمِ ٱللَّهِ أَوَّلَهُ وَآخِرَهُ ".*رَوَاهُ أَبُو دَاوُد*

وَمِنْ ذَوْقِيَّاتِ وَآدَابِ ٱلْإِسْلَامِ ٱلرَّفِيعَةِ مِنْ سُنَّةِ ٱلنَّبِيِّ ﷺ فِٱلْأَكْلِ

أَنْ يَغْسِلَ يَدَيْهِ قَبْلَ ٱلطَّعَامِ وَبَعْدَهُ، أَنْ لَا يُظْهِرَ ٱلشَّرَهَ أَوِ ٱلْإِسْرَافَ، وَيَقْتَدِي بِقَوْلِهِ ﷺ:
بِحَسْبِ ٱبْنِ آدَمَ لُقَيْمَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ".

وأَنْ لَا يُحْدِثَ صَوْتًا عِنْدَ ٱلْأَكْلِ. وأَنْ يَأْكُلَ مِمَّا يَلِيهِ، وَلَا يَمُدَّ يَدَهُ إِلَى طَعَامِ غَيْرِهِ، وأَنْ لَا يَنْفُخَ فِي ٱلطَّعَامِ، وَلَا يَشْرَبَ مِنَ ٱلْإِنَاءِ مُبَاشَرَةً، وَلَا يَتَنَفَّسَ فِيهِ.

ولَا يَنْظُرَ إِلَى غَيْرِهِ وَهُوَ يَأْكُلُ. وأَنْ لَا يَفْعَلَ مَا يَسْتَقْذِرُهُ ٱلنَّاسُ، كَأَنْ يَنْفُضَ يَدَهُ فِي ٱلْإِنَاءِ، أو يُقَرِّبَ فَمَهُ مِنَ ٱلطَّعَامِ عِنْدَ وَضْعِ ٱللُّقْمَةِ، أويُعِيدَ ٱللُّقْمَةَ ٱلْمَأْكُولَةَ فِي ٱلطَّعَامِ.

و إِذَا سَقَطَتْ لُقْمَةٌ مِنْهُ:

"فَلْيُمِطْ مَا كَانَ بِهَا مِنْ أَذًى، ثُمَّ لِيَأْكُلْهَا، وَلَا يَدَعْهَا لِلشَّيْطَانِ". رَوَاهُ مُسْلِم

ولَا يَدْخُلْ عَلَى قَوْمٍ يَأْكُلُونَ إِلَّا إِنْ دَعَوْهُ، فَإِنْ دَعَوْهُ حَيَاءً، فَلَا يَأْكُلْ.
ولاَ يَعِيبُ طَعَامًا قَطُّ، قَالَ أَنَسٌ رضي اللهُ عنه:

"مَا عَابَ ٱلنَّبِيُّ ﷺ طَعَامًا قَطُّ، إِنِ ٱشْتَهَاهُ أَكَلَهُ، وَإِنْ كَرِهَهُ تَرَكَهُ".

وَقَالَ ﷺ: " **لَا آكُلُ مُتَّكِئًا**". رَوَاهُ ٱلْبُخَارِي

وكان ﷺ **إذا فرغَ من طعامه**، يقول:

"ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي أَطْعَمَنِي هَذَا، وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلَا قُوَّةٍ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ". رَوَاهُ أَبُو دَاوُد

قِصَّةُ عَبْدِ اللهِ بْنِ المُبَارَكِ وَعَدُوِّهِ

كانَ **عَبْدُ اللهِ بْنُ المُبَارَكِ** –رَحِمَهُ اللهُ– مِن كِبَارِ العُلَمَاءِ وَالزُّهَّادِ، وَكَانَ لَهُ **جَارٌ سَيِّءُ الخُلُقِ**، كَثِيرُ الأَذَى لَهُ، لَا يَكُفُّ عَنْهُ شَرَّهُ.

فَقَالَ لَهُ بَعْضُ النَّاسِ:

"أَلَا تُبَلِّغُ الوَالِي حَتَّى يَكُفَّ شَرَّهُ عَنْكَ؟"

فَقَالَ ابْنُ المبَارَكِ:

"لَا، وَلَكِنْ سَأَكْفِيكُمْ أَمْرَهُ".

فَبَدَأَ يُحْسِنُ إِلَيْهِ، وَيُكْرِمُهُ، وَيَصِلُهُ بِالهَدَايَا، وَيَبْتَسِمُ فِي وَجْهِهِ، وَيَدْعُو لَهُ.

فَذُهِلَ الجَارُ، وَاسْتَحْيَا مِنْ صَنِيعِهِ، وَقَالَ لَهُ:

"مَا هَذَا الَّذِي تَصْنَعُهُ؟"

فَقَالَ ابْنُ المبَارَكِ:

"هَكَذَا أَمَرَنَا اللهُ تَعَالَى:

﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾
﴿فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾، فصلت: ٣٤

فَبَكَى الجَارُ، وَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ، وَتَحَوَّلَ مِنْ **عَدُوٍّ مُؤْذٍ** إِلَى **صَدِيقٍ مُحِبٍّ حَمِيمٍ**، لا يُفَارِقُ ابْنَ المبَارَكِ فِي مَجَالِسِهِ. *السلوك والآداب الإسلامية*

قوله تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾
أَي إِذَا جَاءَتْكَ الأَذِيَّةُ، فَقَابِلْهَا بِالعَفْوِ، وَالغَضَبَ بِالصَّبْرِ،
وَالقَطِيعَةَ بِالصِّلَةِ، وَالفَظَاظَةَ بِالسَّمَاحَةِ،
فَتُحَوِّلُ العَدُوَّ إِلَى وَلِيٍّ وَصَدِيقٍ.

قال رسولُ اللهِ ﷺ:
"ما مِن شَيءٍ يُوضَعُ في الميزانِ أثقلُ من حُسنِ الخُلُقِ،
وإنَّ صاحبَ حُسنِ الخُلُقِ ليبلغُ بحُسنِ خُلُقِه درجةَ الصائمِ القائمِ". رواه الترمذي

وقال ﷺ:
"أَكْمَلُ المُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا". رواه الترمذي

وقال في توصيف حُسن الخلق:
"أن تَصِلَ مَن قَطَعَكَ، وتُعْطِيَ مَن حَرَمَكَ، وتَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ". رواه أحمد

وقال ﷺ:
"أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَنْ يَحْرُمُ عَلَى النَّارِ؟ عَلَى كُلِّ قَرِيبٍ هَيِّنٍ سَهْلٍ". رواه الترمذي

قال الله تعالى: **"وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ"** . القلم: ٤

وصدق النبي ﷺ حين قال: **إنما بُعِثتُ لأُتَمِّمَ مكارمَ الأخلاق".** رواه أحمد

أَدَبُ الجَارِ وَأَثَرُهُ فِي قَبُولِ الأَعْمَالِ

قِيلَ لِلنَّبِيِّ ﷺ:

"يَا رَسُولَ اللهِ! إِنَّ فُلَانَةَ تَقُومُ اللَّيْلَ، وَتَصُومُ النَّهَارَ، وَتَفْعَلُ وَتُصَدَّقُ، وَتُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا؟"

وكأَنَّهُم يَسْتَهِينُونَ الأَذَى بِاللِّسَانِ،

رَغْمَ أَنَّ أَكْثَرَ مَا يَقَعُ لِلْجَارِ مِنْ إِيذَاءٍ إِنَّمَا يَكُونُ بِاللِّسَانِ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

"لَا خَيْرَ فِيهَا، هِيَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ". رَوَاهُ البُخَارِيُّ وَمُسْلِم

قَالُوا:

وَفُلَانَةُ تُصَلِّي المَكْتُوبَةَ، وَتَتَصَدَّقُ بِأَثْوَارٍ (أَي: بِاللَّبَنِ الجَافِّ القَلِيلِ)، وَلَا تُؤْذِي أَحَدًا؟

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

"هِيَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ". رَوَاهُ البُخَارِيُّ وَمُسْلِم

وَذَلِكَ بِبَرَكَةِ إِحْسَانِهَا إِلَى جِيرَانِهَا، وَعَدَمِ وُقُوعِ مَا فِيهِ مَعْصِيَةٌ مِنْهَا.

فالدِّينُ يَقُومُ عَلَى: أَدَاءِ الفَرَائِضِ، وَاجْتِنَابِ المَعَاصِي،

فكَثْرَةُ العِبَادَاتِ وَالطَّاعَاتِ لَا تُغْنِي عَنْ صَاحِبِهَا إِذَا مَا رَافَقَهَا إِيذَاءُ الآخَرِينَ، وخُصُوصًا **الجِيرَانُ**، وَلَوْ كَانَ هَذَا الإِيذَاءُ بِاللِّسَانِ.

فرُبَّ مُصَلٍّ **لَا تَرْتَفِعُ صَلَاتُهُ عَنْ رَأْسِهِ،**

وَصَلَاتُهُ صَحِيحَةٌ،

وَالَّذِي مَنَعَهَا مِنَ القَبُولِ :**عَدَمُ مُرَاعَاةِ الأَدَبِ وَالخُلُقِ الحَسَنِ.**

يَقُولُ تَعَالَى فِي الحَدِيثِ القُدْسِيِّ:

"إِنَّمَا أَتَقَبَّلُ الصَّلَاةَ مِمَّنْ تَوَاضَعَ بِهَا لِعَظَمَتِي،

وَلَمْ يَسْتَطِلْ عَلَى خَلْقِي،

وَلَمْ يَبِتْ مُصِرًّا عَلَى مَعْصِيَتِي،
وَقَطَعَ نَهَارَهُ فِي ذِكْرِي،
وَرَحِمَ المِسْكِينَ، وَابْنَ السَّبِيلِ، وَالأَرْمَلَةَ،
وَرَحِمَ المُصَابَ". رَوَاهُ مُسْلِم

يُصَلِّي وَلَيْسَ فِي قَلْبِهِ **رَحْمَةٌ**، يُصَلِّي وَفِي قَلْبِهِ **كِبْرٌ وَغُرُورٌ**.
انظُرْ إِلَى حَالِ لِسَانِهِ مَعَ النَّاسِ، انظُرْ إِلَيْهِ كَيْفَ يَسْتَقْبِلُ النِّعْمَةَ،
كَيْفَ يَسْتَقْبِلُ الفَقْرَ،
وَكُلُّ ذَلِكَ سَبَبُهُ أَنَّهُ تَعَلَّمَ قَبْلَ أَنْ يَتَزَكَّى،
قَبْلَ أَنْ يَعْرِفَ الأَدَبَ.

فَلَوْ تَزَكَّى، لاكْتَفَى بِخَطِيئَتِهِ وَنَقْصِهِ وَعَجْزِهِ،
وَتَأَدَّبَ مَعَ الخَلْقِ.

قَالُوا:
"الأَدَبُ يَسْتُرُ قَلِيلَ العِلْمِ،
وَالعِلْمُ لَا يَسْتُرُ قَلِيلَ الأَدَبِ".

وَيَكْفِيكَ:
"قِيرَاطٌ مِنَ العِلْمِ، وَثَلَاثَةٌ وَعِشْرُونَ قِيرَاطًا مِنَ الأَدَبِ".

عِزُّ التَّواضُعِ.. وَذُلُّ الكِبْرِ

رُوِيَ أنَّ أبا ذَرٍّ الغِفَارِيَّ – رضي الله عنه – وكانَ حادَّ الطَّبعِ، سَريعَ الغَضَبِ، اجتمعَ معَ الصَّحابةِ في مجلسٍ لم يكن فيهِ النَّبيُّ ﷺ، فاقترحَ رأيًا في الجَيشِ، فخالفَه بِلَالُ بنُ رَبَاحٍ – رضي الله عنه.

فقالَ له أبو ذَرٍّ، وقد أخذَه الغَضَبُ:
"حَتَّى أَنتَ يا ابنَ السَّوْداءِ تُخطِّئُني؟"!

فقامَ بلالٌ – مدهوشًا، غَضبانَ، آسِفًا – وقالَ:
"واللهِ لأرفعنَّك إلى رسولِ اللهِ ﷺ"!

فدخلَ على النَّبي ﷺ، فلما سمعَها، تغيَّرَ وجهُه الشَّريفُ، وقالَ بلهجةِ النُّبُوَّةِ:
"يا أبا ذَرٍّ، أَعيَّرتَهُ بأمِّهِ؟! إنَّكَ امرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ"! *البخاري ومسلم*

فبكى أبو ذَرٍّ، وقالَ:
"يا رسولَ اللهِ، استغفِرْ لي"...

ثم خرجَ من المسجدِ باكيًا منكسرًا.

فماذا صَنعَ بعدَ ذلك؟
أتى إلى بلالٍ، وطرحَ خَدَّهُ على التُّرابِ، وقال:
"واللهِ يا بلالُ، لا أرفعَنَّ خَدِّي حتَّى تَطَأَهُ بقدَمِكَ، أنتَ الكريمُ، وأنا المَهَانُ"!

فبكى بلالٌ، وقبَّلَ خَدَّه، وقال:
"واللهِ لا أَطَأُ وجهًا سَجَدَ للهِ سَجدةً واحدةً"!

ثم قاما، وتعانقا، وتباكيا.
فالعَفوُ والاعتذارُ من أقوى الصِّفاتِ التي تدلُّ على التَّواضعِ والتَّسامحِ.

كما أنَّ اعتذارَ أبي ذَرٍّ من أقوى دلائلِ تواضعه،
لأنَّ التَّواضعَ مع الناسِ يَنْبُعُ من إدراكِك أنَّك لستَ أفضلَ منهم،

وقد قال رسولُ اللهِ ﷺ:
"ما تواضَعَ أحدٌ للهِ إلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ". رواه مسلم

وعنه ﷺ قال:
"بَيْنَمَا رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، يَمْشِي فِي حُلَّةٍ تُعْجِبُهُ نَفْسُهُ، مُرَجِّلٌ جُمَّتَهُ، إِذْ أَمَرَ اللَّهُ الأَرْضَ، فَخَسَفَتْ بِهِ، فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ فِيهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ". البخاري ومسلم

فكم من أناسٍ اليوم يسيرون في زهوٍ وكبرٍ، قد خُسفَ بهم،
لا نعلم عنهم شيئًا، لكن الله يعلم، والميزان عنده لا يخطئ.

وقال اللهُ تعالى في الحديثِ القُدُسِيِّ:
"الكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا، قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ". رواه مسلم

فاعلموا أنَّ الكلمةَ الجارحةَ لا تذهبُ سُدًى، بل تُرفَعُ لربِّ العالمين،
والاعتذارُ شجاعةٌ، والمسامحةُ رِفْعَةٌ، والتَّواضعُ عزٌّ.

هم صحابةٌ.. فما ظنُّكَ بنفسكَ؟!
فقل لمن أخطأتَ معه" :**سامحني، فقد أخطأتُ**".
وقل لنفسِك إن ظُلِمتَ" :**عفوتُ لوجهِ اللهِ، عسى أن يعفوَ اللهُ عنّي**".

اللَّهُمَّ اجعلنا من المتواضعين، ولا تجعل في قلوبنا كِبرًا.

.

يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَثَبَاتُ العَفِيفِينَ

حِينَ **بَلَغَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَشُدَّهُ وَقُوَّتَهُ**، وَتَهَيَّأَ جَسَدًا وَرُوحًا،
وَهِيَ السِّنُّ الَّتِي كَانَ فِيهَا – عَلَى مَا قِيلَ – **مَا بَيْنَ الثَّلَاثِينَ وَالأَرْبَعِينَ،**
صَلُحَ لِأَنْ يَتَحَمَّلَ الأَحْمَالَ الثَّقِيلَةَ، **مِنَ النُّبُوَّةِ وَالرِّسَالَةِ،**
دَخَلَ مَرْحَلَةً مِنْ أَدَقِّ مَرَاحِلِ الِابْتِلَاءِ، وَأَخْطَرِهَا:
وَهِيَ مَرْحَلَةُ التَّعَرُّضِ لِلْفِتَنِ وَالْمُؤَامَرَاتِ.

وَقَدْ وَاجَهَهَا بِقَلْبٍ سَلِيمٍ، وَخُلُقٍ قَوِيمٍ،
فَنَجَّاهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنْهَا.

مَرْحَلَةُ الفِتْنَةِ فِي الخَفَاءِ، حِينَ لَا رَقِيبَ مِنَ الخَلْقِ،
بَلْ تَحْتَ سَقْفٍ وَاحِدٍ **مَعَ مَنْ تُرَاوِدُهُ عَنْ نَفْسِهِ.**

قَالَ تَعَالَى:
﴿ وَرَاوَدَتْهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ ﴾ يوسف: ٢٣

تَأَمَّلِ التَّعْبِيرَ القُرْآنِيَّ الدَّقِيقَ:
لَمْ يُسَمِّهَا، رَغْمَ أَنَّ القِصَّةَ تُرْوَى جِيلًا بَعْدَ جِيلٍ،
وَذَلِكَ **سَتْرًا لَهَا، وَتَعْلِيمًا لِلْأَدَبِ فِي الحَدِيثِ عَنِ الزَّلَّاتِ،**
حَتَّى لَا يَكُونَ الحَدِيثُ عَنِ النَّاسِ سَبِيلًا لِلتَّشْهِيرِ، بَلْ لِلْعِبْرَةِ فَقَطْ.

أَغْلَقَتِ الأَبْوَابَ، وَأَعَدَّتِ الفِتْنَةَ عُدَّتَهَا:
﴿ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ﴾
أَيْ: أَنَا جَاهِزَةٌ، أَقْبِلْ وَلَا تَتَرَدَّدْ!

وَلَكِنَّ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، العَبْدَ الصَّادِقَ، قَالَهَا مِنْ قَلْبِهِ:

﴿ **مَعَاذَ ٱللَّهِ** ﴾

أَيْ: أَعُوذُ بِاللَّهِ، أَنْ أُقَابِلَ النِّعَمَ بِالخِيَانَةِ،
أَوْ أُفْسِدَ طَهَارَتِي بِالزَّلَّةِ!

ذَكَّرَهَا بِأَدَبٍ بَلِيغٍ: بِحَقِّ اللهِ، ثُمَّ بِحَقِّ زَوْجِهَا،
فَقَالَ –كَمَا فُهِمَ مِنَ السِّيَاقِ:–
"كَيْفَ أَخُونُ مَنْ أَكْرَمَنِي، وَاشْتَرَانِي، وَأَوْصَاكِ بِإِكْرَامِي؟"!

فَكَانَ دَرْسًا فِي الوَفَاءِ، وَدَرْسًا **فِي خَشْيَةِ اللهِ فِي الغَيْبِ،**
لَا فِي أَعْيُنِ النَّاسِ فَقَطْ.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

"لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ"،
وَقَدْ يَذْهَبُ إِيمَانُهُ فَلَا يَعُودُ إِلَيْهِ أَبَدًا.

وَقَدْ ذَكَرَ العُلَمَاءُ مِنْ آثَارِ الزِّنَا عَلَى النَّفْسِ: أَنَّهُ يُورِثُ **سَوَادَ الوَجْهِ،** وَيَكْسِرُ **الهَيْبَةَ،** وَيَجْعَلُ النَّاسَ **تَسْتَحْقِرُ الزَّانِي وَلَوْ لَمْ يَعْلَمُوا بِزِنَاهُ،** وَفِي الآخِرَةِ **عَذَابٌ وَخِزْيٌ.**
وَفِي الإِسْرَاءِ، أُرِيَ النَّبِيُّ ﷺ **مَشْهَدًا مُرَوِّعًا:**
رِجَالٌ وَنِسَاءٌ يَتَنَافَسُونَ عَلَى **لَحْمٍ مُنْتِنٍ،** وَيَتْرُكُونَ **لَحْمًا نَاضِجًا طَيِّبًا،** وَيَسِيلُ القَيْحُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ!
فَقَالَ ﷺ" :**مَنْ هَؤُلَاءِ؟"** فَقَالَ جِبْرِيلُ" :**هَؤُلَاءِ الزُّنَاةُ".**

فَبِئْسَ الزِّنَا، وَبِئْسَ طَرِيقُهُ، **إِذْ يُذِلُّ النَّفْسَ فِي الدُّنْيَا، وَيُهْلِكُهَا فِي الآخِرَةِ.** وَلَكِنَّ يُوسُفَ **قَالَهَا، لِيُسْمِعَنَا نَحْنُ مِنْ بَعْدِهِ:** ﴿ **إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَۖ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ** ﴾يوسف: ٢٣

مِنْ حِكَمِ لُقْمَانَ

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ:
كَانَ لُقْمَانُ عَبْدًا حَبَشِيًّا نَجَّارًا.

فَقَالَ لَهُ مَوْلَاهُ يَوْمًا:
"**اِذْبَحْ لَنَا شَاةً، وَائْتِنِي بِأَخْبَثِ مَا فِيهَا**"، فَذَبَحَهَا، وَجَاءَهُ **بِلِسَانِهَا وَقَلْبِهَا.**

ثُمَّ قَالَ لَهُ فِي يَوْمٍ آخَرَ:
"**اِذْبَحْ شَاةً، وَائْتِنِي بِأَطْيَبِ مَا فِيهَا**"، فَذَبَحَهَا، وَجَاءَهُ **بِلِسَانِهَا وَقَلْبِهَا أَيْضًا.**

فَقَالَ لَهُ مَوْلَاهُ" :**مَا هَذَا؟**"!
فَقَالَ لُقْمَانُ:
"**لَيْسَ شَيْءٌ أَطْيَبَ مِنْهُمَا إِذَا طَابَا، وَلَيْسَ شَيْءٌ أَخْبَثَ مِنْهُمَا إِذَا خَبُثَا**".

فاللِّسَانَ وَالقَلْبَ هُمَا مَعْدِنُ الطِّيبِ وَالخُبْثِ فِي الإِنسَانِ،
إِنْ صَلَحَا صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِنْ فَسَدَا فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ.

وقِيلَ لَهُ يَوْمًا:
"**أَلَسْتَ عَبْدًا؟ فَمَا الَّذِي بَلَّغَ بِكَ مَا نَرَى مِنَ الحِكْمَةِ؟**"
فَقَالَ لُقْمَانُ:
"**قَدَرُ اللهِ، وَأَدَاءُ الأَمَانَةِ، وَصِدْقُ الحَدِيثِ، وَتَرْكُ مَا لَا يَعْنِينِي**".

وَمِنْ وَصَايَاهُ لِابْنِهِ:

"**يَا بُنَيَّ، اتَّخِذْ تَقْوَى اللهِ لَكَ تِجَارَةً، يَأْتِكَ الرِّبْحُ مِنْ غَيْرِ بَضَاعَةٍ**".

"**يَا بُنَيَّ، لَا تَكُنْ أَعْجَزَ مِنْ هَذَا الدِّيكِ، يَصِيحُ بِالْأَسْحَارِ، وَأَنْتَ نَائِمٌ عَلَى فِرَاشِكَ**"!

" •**يَا بُنَيَّ، اعْتَزِلِ الشَّرَّ كَمَا يَعْتَزِلُكَ، فَإِنَّ الشَّرَّ إِنَّمَا خُلِقَ لِلشَّرِّ**".

"يَا بُنَيَّ، عَلَيْكَ بِمَجَالِسِ العُلَمَاءِ،
وَبِسَمَاعِ كَلَامِ الحُكَمَاءِ،
فَإِنَّ اللهَ يُحْيِي القَلْبَ المَيِّتَ بِنُورِ الحِكْمَةِ،
كَمَا يُحْيِي الأَرْضَ المَيِّتَةَ بِوَابِلِ المَطَرِ".

"يَا بُنَيَّ، إِنَّكَ مُنْذُ نَزَلْتَ الدُّنْيَا اسْتَدْبَرْتَهَا،
وَاسْتَقْبَلْتَ الآخِرَةَ،
وَدَارٌ أَنْتَ إِلَيْهَا تَسِيرُ أَقْرَبُ مِنْ دَارٍ أَنْتَ عَنْهَا تَرْتَحِلُ".

رَوَى ابْنُ عُمَرَ قَالَ:
سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ:
"لَمْ يَكُنْ لُقْمَانُ نَبِيًّا، وَلَكِنْ كَانَ عَبْدًا كَثِيرَ التَّفَكُّرِ، حَسَنَ الْيَقِينِ،
أَحَبَّ اللهَ، فَأَحَبَّهُ اللهُ، وَمَنَّ عَلَيْهِ بِالْحِكْمَةِ".

وَمِمَّا نُسِبَ إِلَيْهِ قَوْلُهُ:
"الصَّمْتُ حِكْمَةٌ، وَقَلِيلٌ فَاعِلُهُ". *(كتب التفسير: الطبري وابن كثير)*

التَّاجِرُ الصَّدُوقُ

كَانَ الإِمَامُ أَبُو حَنِيفَةَ النُّعْمَانُ — رَحِمَهُ اللهُ — مِنْ كِبَارِ الْفُقَهَاءِ وَالْعُلَمَاءِ،
لَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَتَكَسَّبُ مِنْ عِلْمِهِ، بَلْ عَمِلَ تَاجِرًا فِي الْقُطْنِ،
يَبِيعُ وَيَشْتَرِي بِصِدْقٍ وَوَرَعٍ، **مُسْتَحْضِرًا نَظَرَ اللهِ فِي كُلِّ صَفْقَةٍ يُبْرِمُهَا**.

وَذَاتَ يَوْمٍ...
أَعْطَى أَحَدَ عُمَّالِهِ ثَوْبًا فِيهِ عَيْبٌ، وَقَالَ لَهُ: "**بِعْهُ، وَأَعْلِمِ الْمُشْتَرِيَ بِعَيْبِهِ**".

فَذَهَبَ الْعَامِلُ وَبَاعَهُ... لَكِنَّهُ نَسِيَ أَنْ يُخْبِرَ الْمُشْتَرِيَ!

فَلَمَّا عَادَ إِلَى الإِمَامِ، سَأَلَهُ: هَلْ أَخْبَرْتَهُ بِالْعَيْبِ؟
قَالَ الْعَامِلُ: لَا، نَسِيتُ.

فَقَالَ الإِمَامُ أَبُو حَنِيفَةَ: "**اللهُ أَكْبَرُ! ضَيَّعْتَ أَمَانَتِي**".
ثُمَّ قَامَ فَوْرًا، وَتَصَدَّقَ بِثَمَنِ الثَّوْبِ كَامِلًا!
وَقَالَ: "**لَا أَرْبَحُ مِنْ مَالٍ فِيهِ غِشٌّ، وَلَوْ كَانَ نِسْيَانًا**". سِيَرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ

كَمْ مِنَ النَّاسِ يُسَوِّغُ الْغِشَّ بِقَوْلِهِ: نَسِيتُ، لَمْ أَقْصِدْ، لَمْ أَنْتَبِهْ"...

وَلَكِنَّ أَهْلَ التَّقْوَى **لَا يَقْبَلُونَ أَنْ يَدْخُلَ جَوْفَهُمْ دِرْهَمٌ مُشْبُوهٌ**،
وَلَوْ كَانَ مِنْ غَفْلَةٍ أَوْ خَطَأٍ.

فَالغِشُّ لَيْسَ فَقَطْ فِي الْكَذِبِ، بَلْ فِي كِتْمَانِ الْعُيُوبِ، وَإِخْفَاءِ الْحَقَائِقِ.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "**مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا**". رَوَاهُ مُسْلِم

فَهَلْ فَكَّرَ...؟
ذَلِكَ الَّذِي يَبِيعُ الْأَطْعِمَةَ الْفَاسِدَةَ، أَوْ يُرَوِّجُ الْبِضَاعَةَ الْمُغَشُوشَةَ،
أَنَّهُ لَا يَبِيعُ سِلْعَةً فَقَطْ، بَلْ يَبِيعُ ضَمِيرَهُ، وَأَمَانَتَهُ، وَرُبَّمَا صِحَّةَ إِنْسَانٍ بَرِيءٍ؟

هَلْ خَطَرَ بِبَالِهِ أَنَّ كُلَّ لُقْمَةٍ فَاسِدَةٍ تَصِلُ إِلَى فَمِ طِفْلٍ أَوْ مَرِيضٍ أَوْ فَقِيرٍ،
قَدْ تَكُونُ شَاهِدَةً عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟

تَذَكَّرْ:
يَا مَنْ نَمَا لَحْمُكَ مِنَ الْحَرَامِ،
يَوْمَ الْعَرْضِ عَلَى الْجَبَّارِ،
وَيَوْمَ الْوُقُوفِ بَيْنَ يَدَيْ الْكَبِيرِ الْمُتَعَالِ،
﴿فَكُلُّ جَسَدٍ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ فَالنَّارُ أَوْلَى بِهِ﴾

وَفِي الْحَدِيثِ:
"إِنَّ التُّجَّارَ يُبْعَثُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فُجَّارًا،
إِلَّا مَنْ اتَّقَى اللهَ، وَبَرَّ، وَصَدَقَ". رَوَاهُ التِّرْمِذِي.

فَالنَّجَاةُ لَيْسَتْ فِي كَثْرَةِ الْمَالِ،
بَلْ فِي تَقْوَى اللهِ وَمُرَاقَبَتِهِ،
وَأَنْ تَكُونَ التِّجَارَةُ مَبْنِيَّةً عَلَى: الصِّدْقِ، والعَدْلِ، والبِرِّ.

قَالَ ﷺ :
"التَّاجِرُ الصَّدُوقُ الْأَمِينُ،
مَعَ النَّبِيِّينَ، وَالصِّدِّيقِينَ، وَالشُّهَدَاءِ". رَوَاهُ التِّرْمِذِي.

فَلَا تَجْعَلْ تِجَارَتَكَ سَبَبًا لِهَلَاكِكَ،
وَاجْعَلْهَا طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ.

الإِمَامُ مَالِكٌ وَالزُّهْدُ الْحَقِيقِيُّ

كَانَ الإِمَامُ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ – رَحِمَهُ اللَّهُ– مِنْ أَغْنَى عُلَمَاءِ زَمَانِهِ،
وَمَعَ غِنَاهُ، عُرِفَ بِالْأَدَبِ، وَالْوَقَارِ، وَالْعِلْمِ.

كَانَ يَلْبَسُ أَجْمَلَ الثِّيَابِ، وَيَضَعُ أَطْيَبَ الطِّيبِ،
حَتَّى قِيلَ: "لَا يُعْرَفُ مَالِكٌ إِلَّا مِنْ رَائِحَتِهِ الطَّيِّبَةِ فِي الْمَسْجِدِ".

فَعَاتَبَهُ بَعْضُ النَّاسِ، وَقَالُوا لَهُ:
"أَلَا تَرَى إِلَى فُلَانٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ، كَيْفَ يَلْبَسُ الثِّيَابَ الْخَشِنَةَ، وَيَزْهَدُ فِي الدُّنْيَا؟"

فَأَجَابَ الإِمَامُ مَالِكٌ بِكُلِّ حِكْمَةٍ وَعُمْقٍ:
"الزُّهْدُ لَيْسَ فِي نَوْعِ اللِّبَاسِ، بَلْ فِيمَا يَكُونُ فِي الْقَلْبِ.
أَنَا أَلْبَسُ الْجَمِيلَ، وَلَكِنْ لَا أُعَلِّقُ قَلْبِي بِهِ،
وَلَا أَتَكَبَّرُ بِهِ عَلَى أَحَدٍ.
وَأَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْمُنْعِمُ، وَأَنَّ الْمَالَ أَمَانَةٌ".

ثُمَّ قَالَ قَوْلَتَهُ الْمَشْهُورَةَ:
"إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ يُرَى أَثَرُ نِعْمَتِهِ عَلَى عَبْدِهِ".[الطبقات الكبرى]

فَكَانَ الْمِعْيَارُ عِنْدَ الإِمَامِ مَالِكٍ وَغَيْرِهِ مِنَ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ:
هَلْ هَذَا الشَّيْءُ يُقَرِّبُكَ مِنَ اللَّهِ؟ أَمْ يُشْغِلُكَ عَنْ شُكْرِهِ؟

الإِمَامُ مَالِكٌ ضَبَطَ النِّعْمَةَ بِضَوَابِطِ الشَّرْعِ:
لَا تَبْذِيرَ، لَا كِبْرَ، لَا غَفْلَةَ.

فَالزُّهْدُ الْحَقِيقِيُّ لَيْسَ فِي تَرْكِ النِّعَمِ،
بَلْ فِي أَلَّا يَتَعَلَّقَ الْقَلْبُ بِهَا،
وَأَلَّا تَكُونَ سَبَبًا فِي نِسْيَانِ الْمُنْعِمِ.

وَرَوَى الذَّهَبِيُّ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا–
رَأَى خَادِمَهُ قَدِ اشْتَرَى لَحْمًا، فَقَالَ لَهُ: مِنْ أَيْنَ هَذَا اللَّحْمُ؟
قَالَ الْخَادِمُ: اشْتَرَيْتُهُ... اشْتَهَيْتُهُ.

فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ:
"أَكُلَّمَا اشْتَهَيْتَ شَيْئًا اشْتَرَيْتَهُ؟!
أَمَا تَخَافُ أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ قَالَ اللَّهُ فِيهِمْ:
﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا﴾ الأحقاف: ٢٠
ثُمَّ أَمَرَهُ أَلَّا يَشْتَرِيَ شَيْئًا إِلَّا بِقَدْرِ الْحَاجَةِ،
خَشْيَةَ أَنْ يَتَحَوَّلَ الْقَلْبُ إِلَى عَبْدٍ لِلشَّهَوَاتِ.

وَفِي ظِلِّ تَقَلُّبَاتِ أَحْوَالِنَا الِاقْتِصَادِيَّةِ وَالسِّيَاسِيَّةِ،
وَمَعَ اشْتِدَادِ الْخَطَرِ الْمُحْدِقِ بِنَا،
مَا زِلْنَا نَرَى مَنْ يُسْرِفُ، بَلْ وَمَنْ يَقْتَرِضُ لِأَجْلِ أَنْ يُسْرِفَ!
حَتَّى لَقَدْ كَادَتْ ثَقَافَةُ الِادِّخَارِ أَنْ تَغِيبَ عَنْ مُجْتَمَعِنَا.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
"الْمُنَجِّيَاتُ ثَلَاثٌ: تَقْوَى اللَّهِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ،
وَقَوْلُ الْحَقِّ فِي السَّخَطِ وَالرِّضَا، وَالْقَصْدُ فِي الْفَقْرِ وَالْغِنَى". رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ

أَيْ: أَنْ تَكُونَ مُعْتَدِلًا فِي إِنْفَاقِكَ، سَوَاءٌ كُنْتَ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا.

فَالْإِسْرَافُ مَذْمُومٌ فِي كُلِّ الْأَحْوَالِ،
قَالَ تَعَالَى: **﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾**)الأعراف: ٣١
لَا فِي الطَّعَامِ، وَلَا فِي اللِّبَاسِ، وَلَا فِي حَفَلَاتِ الْأَعْرَاسِ، وَلَا فِي التَّفَاخُرِ بِالْمَظَاهِرِ.

ٱلْمَالُ أَمَانَةٌ، وَٱلدَّيْنُ مِيثَاقٌ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ **رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ**، عَن رَسُولِ ٱللَّهِ ﷺ فِيمَا مَعْنَاهُ:
أَنَّهُ ذَكَرَ رَجُلًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ،سَأَلَ بَعْضَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يُسْلِفَهُ **أَلْفَ دِينَارٍ**.

فَقَالَ" :**ٱئْتِنِي بِٱلشُّهَدَاءِ أُشْهِدْهُمْ**."فَقَالَ" :**كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا**."
قَالَ" :**فَأْتِنِي بِٱلْكَفِيلِ**."قَالَ" :**كَفَىٰ بِٱللَّهِ كَفِيلًا**."
قَالَ" :**صَدَقْتَ**."
فَدَفَعَ إِلَيْهِ **أَلْفَ دِينَارٍ** إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى.

فَخَرَجَ فِي ٱلْبَحْرِ، فَقَضَىٰ حَاجَتَهُ،
ثُمَّ أَرَادَ ٱلرُّجُوعَ لِيُؤَدِّيَ ٱلْقَرْضَ إِلَىٰ صَاحِبِهِ،فَلَمْ يَجِدْ مَرْكَبًا، وَٱنْتَظَرَ، وَطَالَ بِهِ ٱلِٱنْتِظَارُ،
لَعَلَّ مَرْكَبًا يَأْتِي، وَلَٰكِنْ هَيْهَات!

فَأَخَذَ **خَشَبَةً**، فَنَقَرَهَا،وَأَدْخَلَ فِيهَا أَلْفَ دِينَارٍ، وَصَحِيفَةً مِنْهُ إِلَىٰ صَاحِبِهِ،
ثُمَّ أَحْكَمَ وَضْعَهَا، وَقَالَ:

ٱللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي قَدِ ٱسْتَقْرَضْتُ فُلَانًا أَلْفَ دِينَارٍ، فَسَأَلَنِي كَفِيلًا، فَقُلْتُ: كَفَىٰ بِٱللَّهِ كَفِيلًا، فَرَضِيَ،
وَسَأَلَنِي شَهِيدًا، فَقُلْتُ: كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا، فَرَضِيَ،وَإِنِّي جَهِدْتُ أَنْ أَجِدَ مَرْكَبًا أَبْعَثُ إِلَيْهِ ٱلَّذِي لَهُ، فَلَمْ أَقْدِرْ، وَإِنِّي أَسْتَوْدِعُكَ هَٰذَا".

فَرَمَىٰ بِهَا فِي ٱلْبَحْرِ، حَتَّىٰ وَلَجَتْ فِيهِ،ثُمَّ ٱنْصَرَفَ مُتَوَكِّلًا عَلَى ٱللَّهِ.

فَخَرَجَ ٱلرَّجُلُ ٱلَّذِي كَانَ أَسْلَفَهُ، يَنْظُرُ، لَعَلَّ مَرْكَبًا قَدْ جَاءَ بِمَالِهِ، فَإِذَا بِٱلْخَشَبَةِ ٱلَّتِي فِيهَا ٱلْمَالُ،
فَأَخَذَهَا لِأَهْلِهِ **حَطَبًا**، فَلَمَّا نَشَرَهَا، وَجَدَ ٱلْمَالَ وَٱلصَّحِيفَةَ.رَوَاهُ ٱلْبُخَارِيّ

وَمَعَ ذَٰلِكَ، فَإِنَّ هَٰذَا **ٱلْمُسْتَقْرِضَ** لَمْ يَعْتَبِرْ ذَٰلِكَ **سَدَادًا لِمَا عَلَيْهِ**، فَرَكِبَ ٱلْبَحْرَ عِندَمَا هَدَأَ، وَٱلْتَمَسَ صَاحِبَهُ لِيُوَفِّيَهُ حَقَّهُ، فَلَمَّا قَابَلَهُ، لَمْ يُخْبِرْهُ ٱلْخَبَرَ، بَلْ بَادَرَ **بِسَدَادِ مَا عَلَيْهِ**، مُعْتَذِرًا عَنِ ٱلتَّأْخِيرِ.

فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ: "**فَإِنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَدَّىٰ عَنْكَ ٱلَّذِي بَعَثْتَ فِي ٱلْخَشَبَةِ**".

قال رسول الله ﷺ:

"**مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ ٱلنَّاسِ يُرِيدُ أَدَاءَهَا، أَدَّى ٱللَّهُ عَنْهُ،**
وَمَنْ أَخَذَهَا يُرِيدُ إِتْلَافَهَا، أَتْلَفَهُ ٱللَّهُ". رواه البخ

فَلِذَٰلِكَ: لَا بُدَّ أَنْ يَفْهَمَ **ٱلْمُقْرِضُ** أَنَّ ٱلْقَرْضَ هُوَ **نَوْعٌ مِّنَ ٱلصَّدَقَةِ**،
وَلَيْسَ نَوْعًا مِّنَ **ٱلِٱسْتِثْمَارِ**، وَإِنَّ كُلَّ قَرْضٍ جَرَّ نَفْعًا فَهُوَ **رِبًا**.

وَلَا بُدَّ أَنْ يَفْهَمَ **ٱلْمُسْتَقْرِضُ** أَنَّ ٱلْقَرْضَ **أَمَانَةٌ فِي عُنُقِهِ**،وَرَحِمَ ٱللَّهُ عَبْدًا ٱسْتَقْرَضَ قَرْضًا،
فَحَمَلَهُ إِلَىٰ مُقْرِضِهِ **قَبْلَ أَنْ يَحِينَ وَقْتُ ٱلْأَدَاءِ**،فَهَذَا ٱلْمُسْتَقْرِضُ لَهُ **أَجْرَانِ**:
أَجْرُ ٱلسَّدَادِ، وَأَجْرُ بَثِّ ٱلْمَعْرُوفِ وَنَشْرِ ٱلْمُرُوءَةِ بَيْنَ ٱلنَّاسِ.

وَيَسْأَلُ سَائِلٌ: وَمَا هِيَ ٱلضَّمَانَةُ ٱلَّتِي أَسْتَرِدُّ بِهَا قَرْضِي؟

ٱلْأَمْرُ وَاضِحٌ بَيِّنٌ، بِنَصِّ ٱلْقُرْآنِ فِي أَطْوَلِ آيَةٍ فِي كِتَابِ ٱللَّهِ:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ ... ﴾ البقرة: ٢٨٢–٢٨٣

فَشَرَعَ أَوَّلًا :**ٱلْكِتَابَةَ**، ثُمَّ :**ٱلْإِشْهَادَ**، ثُمَّ شَرَعَ ضَمَانَةً ثَالِثَةً، وَهِيَ :**ٱلرَّهْنُ**.

وَمَا فِي ذَٰلِكَ مِنْ عَيْبٍ، لَا عَلَىٰ ٱلْمُقْرِضِ، وَلَا عَلَىٰ ٱلْمُسْتَقْرِضِ، بَلْ هُوَ **قَضَاءُ حَاجَةٍ**،
"**وَٱللَّهُ فِي عَوْنِ ٱلْعَبْدِ، مَا كَانَ ٱلْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ**". رواه مسلم

حِكْمَةٌ فِي حِفْظِ اللِّسَانِ

رُوِيَ أَنَّ نَبِيَّ اللهِ عِيسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَمْشِي فِي طَرِيقٍ مَعَ اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِهِ الْمُؤْمِنِينَ، فَمَرُّوا بِجِيفَةِ كَلْبٍ قَدْ أَنْتَنَتْ.

فَنَفَرَ أَصْحَابُهُ مِنْ رَائِحَتِهِ، وَأَمْسَكُوا أُنُوفَهُمْ، وَتَذَمَّرُوا وَقَالُوا:

"مَا أَنْتَنَ رَائِحَتَهُ! مَا أَبْشَعَ مَنْظَرَهُ"!

أَمَّا عِيسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَنَظَرَ إِلَى الْكَلْبِ، وَقَالَ فِي هُدُوءٍ:

"لَكِنْ، مَا أَشَدَّ بَيَاضَ أَسْنَانِهِ".

فَقَالُوا لَهُ:

"يَا نَبِيَّ اللهِ، فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْقِفِ تَمْدَحُ؟"!

فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

"إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُعَوِّدَ لِسَانِي الذِّكْرَ وَالثَّنَاءَ، وَلَا أُعَوِّدَهُ الذَّمَّ". *كتب السيرة والتاريخ*

قال ﷺ:

"إِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِكَلِمَةٍ مِنْ رِضْوَانِ اللهِ، لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَرْفَعُهُ اللهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِكَلِمَةٍ مِنْ سَخَطِ اللهِ، لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ". *رَوَاهُ البُخَارِي*

فَحِفْظُ اللِّسَانِ نَجَاةٌ.

سَأَلَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ النَّبِيَّ ﷺ:

"وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟"

فَقَالَ ﷺ: **"ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ،**

وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ، إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟)"! *رَوَاهُ التِّرْمِذِي*

فَكُلَّمَا تَذَكَّرَ الْمُؤْمِنُ أَنَّ كُلَّ قَوْلٍ مَحْسُوبٌ، إِمَّا فِي مِيزَانِ حَسَنَاتِهِ، أَوْ فِي سِجِلِّ سَيِّئَاتِهِ، سَيُكْثِرُ مِنَ الصَّمْتِ، وَيُقَلِّلُ مِنَ الْكَلَامِ إِلَّا مَا كَانَ فِيهِ خَيْرٌ أَوْ ذِكْرٌ أَوْ نُصْحٌ.

قَالَ تَعَالَى:

﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ ق: ١٨

تَكْتُبُهُ الْكِرَامُ الْكَاتِبُونَ... فِي الدُّنْيَا

وَتَشْهَدُ بِهِ الْجَوَارِحُ... فِي الْآخِرَةِ

وَفِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ:

"مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ) ". مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ

قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ النُّور: ٢٤

عَوِّدْ لِسَانَكَ الذِّكْرَ لَا الذَّمَّ، وَالتَّسْبِيحَ لَا الْغِيبَةَ، وَالدُّعَاءَ لَا الشَّكْوَى

قُلْ دَائِمًا فِي يَوْمِكَ:

لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، بِسْمِ اللهِ، حَسْبِيَ اللهُ، تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ،

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي، اللَّهُمَّ اهْدِنِي، اللَّهُمَّ وَارْزُقْنِي

فَإِذَا لَمْ يَحْفَظِ الْعَبْدُ لِسَانَهُ، كَانَ ذَلِكَ سَبَبًا فِي كَبِّهِ عَلَى وَجْهِهِ فِي النَّارِ، وَالْعِيَاذُ بِاللهِ.

كَلِمَاتُكَ تَصْنَعُ قَدَرَكَ.

فَاحْذَرْ أَنْ تُسَجَّلَ عَلَيْكَ كَلِمَةٌ تَهْوِي بِكَ، وَاطْلُبْ أَنْ تُكْتَبَ لَكَ كَلِمَةٌ تَرْفَعُكَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ لِسَانَنَا رَطْبًا بِذِكْرِكَ، وَجَنِّبْنَا زَلَلَ الْكَلَامِ، وَغَفْلَةَ اللِّسَانِ.

آمِين.

الغِيبَةُ... سُمٌّ فِي ثَوْبِ كَلَامٍ!

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ:

"قُلْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ: حَسْبُكِ مِنْ صَفِيَّةَ كَذَا وَكَذَا" — تَعْنِي أَنَّهَا قَصِيرَةٌ—

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

"لَقَدْ قُلْتِ كَلِمَةً، لَوْ مُزِجَتْ بِمَاءِ الْبَحْرِ لَمَزَجَتْهُ".

رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ

وَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: وَحَكَيْتُ لَهُ إِنْسَانًا — أَي قَلَّدْتُهُ—

فَقَالَ ﷺ:

"مَا أُحِبُّ أَنِّي حَكَيْتُ إِنْسَانًا، وَأَنَّ لِي كَذَا وَكَذَا"! *رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ*

هَذَا يَدُلُّ عَلَى عِظَمِ خَطَرِ الغِيبَةِ وَالتَّقْلِيدِ الْمحْرَّمِ، حَتَّى لَوْ كَانَ مِزَاحًا أَوْ تَقْلِيدًا فِي غِيَابِ الشَّخْصِ.

سَأَلَ النَّبِيُّ ﷺ الصَّحَابَةَ:

"أَتَدْرُونَ مَا الغِيبَةُ؟"

قَالُوا: "اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ".

قَالَ" :**ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ**".

قَالُوا: "أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟"

قَالَ:

"إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدِ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ بَهَتَّهُ". *رَوَاهُ مُسْلِمٌ*

والبهتان: أَنْ تَقُولَ عَنْ أَخِيكَ شَيْئًا لَيْسَ فِيهِ، فتبهته، وَهُوَ أَعْظَمُ الْكَذِبِ.

قَالَ الإِمَامُ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللهُ:

"الغِيبَةُ: ذِكْرُ الإِنْسَانِ بِمَا يَكْرَهُ، سَوَاءٌ فِي:

- **بَدَنِهِ (قَصِيرٌ، أَعْرَجُ...)**

- أو في دِينِهِ (مُقَصِّرٌ، مُتَهَاوِنٌ...)
- أو دُنْيَاهُ (فَقِيرٌ، بَخِيلٌ...)
- أو خُلُقِهِ أَوْ خَلْقِهِ أَوْ نَسَبِهِ أَوْ ثِيَابِهِ أَوْ حَرَكَتِهِ...

وَلَوْ بِالإِشَارَةِ أَوِ التَّقْلِيدِ أَوِ النَّبْرَةِ السَّاخِرَةِ". شَرْحُ صَحِيحِ مُسْلِمٍ

ومن الأَمْثِلَةُ عَلَى الغِيبَةِ: فُلَانٌ لَا يَفْهَمُ.... فُلَانَةٌ كَثِيرَةُ الْكَلَامِ....هُوَ بَخِيلٌ... قَصِيرٌ... عَصَبِيٌّ... شَكْلُهُ غَرِيبٌ...

فَإِذَا كَانَ لَا يَرْضَى بِذَلِكَ لَوْ سَمِعَهُ، فَهِيَ غِيبَةٌ، حَتَّى لَوْ كَانَتْ صَحِيحَةً.

فالغِيبَةِ: لَيْسَتْ مُجَرَّدَ خَطِيئَةٍ، بَلْ هِيَ نَقْلٌ مَجَّانِيٌّ لِحَسَنَاتِكَ إِلَى غَيْرِكَ!

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

"أَتَدْرُونَ مَنِ الْمُفْلِسُ؟"

قَالُوا: "الْمُفْلِسُ فِينَا مَن لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعٌ".

فَقَالَ ﷺ:

"الْمُفْلِسُ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ،

وَيَأْتِي وَقَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا،

فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ،

فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ،

أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فُطِرِحَ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ". رَوَاهُ مُسْلِمٌ

عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ:

"بَلَغَنِي أَنَّ رَجُلًا يَغْتَابُنِي، فَأَهْدَيْتُ لَهُ طَبَقًا مِنْ رُطَبٍ، وَقُلْتُ: شُكْرًا عَلَى حَسَنَاتِكَ"!

وَقَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ:

"لَوْ كُنْتُ مُغْتَابًا أَحَدًا، لَأَغْتَبْتُ وَالِدَيَّ، فَهُمَا أَحَقُّ بِحَسَنَاتِي".

رَحْمَةٌ لا لَعْنٌ...

رُوِيَ عَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ افْتَقَدَ رَجُلًا ذَا بَأْسٍ شَدِيدٍ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ، فَلَمَّا سَأَلَ عَنْهُ، قِيلَ لَهُ: "**أَدْمَنَ الخَمْرَةَ**".

فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ هَذِهِ الآيَةَ:

﴿ حم ﴾ ﴿ تنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ (غافر: ١-٣).

ثُمَّ قَالَ لِمَنْ أَرْسَلَهُ: "**لَا تَدْفَعْهُ إِلَيْهِ حَتَّى تَجِدَهُ صَاحِيًا**".

وَأَمَرَ مَنْ عِنْدَهُ أَنْ يَدْعُوا لَهُ بِالتَّوْبَةِ.

فَلَمَّا وَصَلَ الْكِتَابُ إِلَى الرَّجُلِ، جَعَلَ يَقْرَؤُهُ وَيَقُولُ:

"**قَدْ وَعَدَنِيَ اللهُ أَنْ يَغْفِرَ لِي، وَحَذَّرَنِي عِقَابَهُ**".

فَلَمْ يَبْرَحْ يُكَرِّرُهَا حَتَّى بَكَى، **فَحَسُنَتْ تَوْبَتُهُ وَمَاتَ**.

فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ:

"**هَكَذَا فَاصْنَعُوا إِذَا رَأَيْتُمْ أَحَدَكُمْ قَدْ زَلَّ زَلَّتَهُ، فَسُدُّوهُ، وَادْعُوا اللهَ لَهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِ، وَلَا تَكُونُوا أَعْوَانًا لِلشَّيْطَانِ عَلَيْهِ**". الطَّبَرِي، ابْنُ كَثِير

وَرُوِيَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ:

أُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ بِسَكْرَانَ، فَأَمَرَ بِضَرْبِهِ. وَكَانَ مِنَّا مَنْ يَضْرِبُهُ بِيَدِهِ، وَمِنَّا مَنْ يَضْرِبُهُ بِنَعْلِهِ، وَمِنَّا مَنْ يَضْرِبُهُ بِثَوْبِهِ.

فَلَمَّا انْصَرَفَ، قَالَ رَجُلٌ: "**مَا لَهُ؟ أَخْزَاهُ اللهُ**"!

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

"**لَا تَكُونُوا عَوْنَ الشَّيْطَانِ عَلَى أَخِيكُمْ، وَلَكِنْ قُولُوا:**

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ". رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ

وَصَدَقَ الْحَبِيبُ ﷺ حِينَ قَالَ عَنْ نَفْسِهِ وَبِعْثَتِهِ وَرِسَالَتِهِ:
"إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعَّانًا، وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً". رَوَاهُ مُسْلِمٌ

اللَّعْنُ هُوَ الطَّرْدُ وَالإِبْعَادُ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَهُوَ أَمْرٌ عَظِيمٌ وَخَطِيرٌ لَا يَجُوزُ التَّهَاوُنُ بِهِ، خَاصَّةً إِذَا وُجِّهَ إِلَى أَحَدٍ بِعَيْنِهِ.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:
"لَعْنُ الْمُؤْمِنِ كَقَتْلِهِ". رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ
أَي: إِنَّ اللَّعْنَ فِي حَقِّ مُؤْمِنٍ يُمَاثِلُ الْقَتْلَ فِي الإِثْمِ وَالْخُطُورَةِ!

وَلَيْسَ ذَلِكَ فَحَسْبُ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:
"إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا لَعَنَ شَيْئًا، صَعِدَتِ اللَّعْنَةُ إِلَى السَّمَاءِ، فَتُغْلَقُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ دُونَهَا، ثُمَّ تَهْبِطُ إِلَى الأَرْضِ، فَتُغْلَقُ أَبْوَابُهَا دُونَهَا، ثُمَّ تَأْخُذُ يَمِينًا وَشِمَالًا، فَإِنْ لَمْ تَجِدْ مَسَاغًا، رَجَعَتْ إِلَى الَّذِي لُعِنَ، فَإِنْ كَانَ أَهْلًا لِذَلِكَ، وَإِلَّا رَجَعَتْ إِلَى قَائِلِهَا". رَوَاهُ أَبُو دَاوُد

وَقَدْ تَسَاهَلَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ فِي هَذَا الزَّمَانِ فِي إِطْلَاقِ اللَّعْنِ، يَقُولُونَهُ عَلَى أَتْفَهِ الأَسْبَابِ أَوْ فِي لَحْظَةِ غَضَبٍ، وَنَسُوا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ:
"لَا يَنْبَغِي لِصِدِّيقٍ أَنْ يَكُونَ لَعَّانًا".
وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ:
"لَا يَكُونُ اللَّعَّانُونَ شُفَعَاءَ، وَلَا شُهَدَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ". رَوَاهُ مُسْلِمٌ

فَتَأَدَّبْ بِآدَابِ النُّبُوَّةِ، وَتَخَلَّقْ بِأَخْلَاقِ الرَّحْمَةِ،
وَلَا تَكُنْ عَوْنًا لِلشَّيْطَانِ عَلَى أَخِيكَ، بَلْ كُنْ دُعَاءً لَهُ لَا دُعَاءً عَلَيْهِ.

رَحْمَةٌ بِكَلْبٍ... فَكَانَتِ السَّبَبَ فِي دُخُولِ الجَنَّةِ!

عَنِ النَّبِيِّ ﷺ:

أَنَّ **امْرَأَةً كَانَتْ مُومِسَةً** *أَي زَانِيَةً مُجَاهِرَةً بِالْفُجُورِ* **مَرَّتْ بِكَلْبٍ يَلْهَثُ مِنَ الْعَطَشِ فِي يَوْمٍ قَائِظٍ،**
يَطِيفُ حَوْلَ بِئْرٍ لَا يَقْدِرُ عَلَى الْوُصُولِ إِلَى مَائِهِ.
فَنَزَعَتْ خُفَّهَا، وَرَبَطَتْهُ بِخِمَارِهَا، وَأَنْزَلَتْهُ فِي الْبِئْرِ، فَسَقَتْهُ.
فَشَكَرَ اللهُ لَهَا فَغَفَرَ لَهَا. *رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ*

فَاللَّهُ تَعَالَى تَجَاوَزَ عَنْ زِنَاهَا، **بِرَحْمَةٍ أَبْدَتْهَا لِحَيَوَانٍ عَطْشَانٍ.**
فَكَيْفَ بِمَنْ يَرْحَمُ عَبْدًا ضَعِيفًا، أَوْ يُسْقِي طَائِرًا، أَوْ يُطْعِمُ مِسْكِينًا، أَوْ يُوَاسِي مَكْسُورًا؟

قَالَ ﷺ:
"الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ". *رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ*

فَيَا حَبَّذَا **لَوْ نَعْتَنِي بِالطُّيُورِ** فِي الْأَجْوَاءِ الْعَاصِفَةِ أَوْ فِي شِدَّةِ الْحَرَارَةِ، **بِوَضْعِ مَا يَتَيَسَّرُ مِنْ مَاءٍ وَطَعَامٍ عَلَى أَسْطُحِ الْمَنَازِلِ أَوْ عَلَى الشُّرُفَاتِ.**

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:
"إِنَّ فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ."

وَعَبَّرَ عَنِ الرُّوحِ بِالْكَبِدِ لِأَنَّهَا الْعُضْوُ الَّذِي يَحْتَاجُ إِلَى الْمَاءِ، فَإِذَا يَبِسَ مَاتَ الْحَيَوَانُ.
وَاللَّهُ تَعَالَى يَتَجَاوَزُ عَنِ الْكَبِيرَةِ بِالْعَمَلِ الْيَسِيرِ تَفَضُّلًا وَكَرَمًا.

وَقَدْ صَحَّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ:
"مَنْ فُتِحَ لَهُ بَابٌ مِنَ الْخَيْرِ فَلْيَنْتَهِزْهُ، فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي مَتَىٰ يُغْلَقُ عَنْهُ". *رَوَاهُ مُسْلِمٌ*

أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ رَجُلٍ كَانَ يَسِيرُ فِي الطَّرِيقِ، فَوَجَدَ غُصْنَ شَجَرَةٍ يُؤْذِي النَّاسَ، سَوَاءٌ كَانَ هَذَا الْغُصْنُ يُؤْذِيهِمْ مِنْ فَوْقٍ، عِنْدَ رُؤُوسِهِمْ، أَوْ مِنْ أَسْفَلَ، عِنْدَ جِهَةِ أَرْجُلِهِمْ، فَأَزَالَهُ لِيَكُفَّ أَذَاهُ عَنْهُمْ.
فَتَقَبَّلَ اللَّهُ مِنْهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، فَكَانَ جَزَاؤُهُ أَن غَفَرَ لَهُ ذُنُوبَهُ عَلَى إِزَالَتِهِ مِنَ الطَّرِيقِ.

فَلَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَانْتَهِزْ فُرَصَ الْخَيْرِ وَلَوْ كَانَ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهِ طَلِقٍ.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

"مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ، فَيَنْظُرُ أَيْمَنَهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ تُلْقَاءَ وَجْهِهِ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ". رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ

فَأَعْظَمُ الْمُنْجِيَاتِ مِنَ النَّارِ، الْإِحْسَانُ إِلَى الْخَلْقِ بِالْمَالِ وَلَوْ شَيْئًا قَلِيلًا كَشَقِّ تَمْرَةٍ، وَبِالْكَلَامِ الطَّيِّبِ النَّافِعِ.

فَبَابُ الْخَيْرِ قَدْ يُفْتَحُ بِلُقْمَةٍ، أَوِ ابْتِسَامَةٍ، أَوْ قَطْرَةِ مَاءٍ...

قِصَّةُ الأَعْرَابِيِّ وَدَرْسُ الرِّفْقِ فِي الدَّعْوَةِ

دَخَلَ أَعْرَابِيٌّ الْمَسْجِدَ، فَصَلَّى ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ وَقَالَ دُعَاءً غَرِيبًا:
"اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي وَمُحَمَّدًا، وَلَا تَرْحَمْ مَعَنَا أَحَدًا"!

فَاسْتَغْرَبَ الصَّحَابَةُ، لَكِنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَدَّ بِلُطْفٍ:
"لَقَد ضَيَّقْتَ وَاسِعًا".

فَرَبُّنَا أَرْحَمُ مِنْ أَنْ تُحْصَرَ رَحْمَتُهُ! (رَوَاهُ مُسْلِمٌ)

ثُمَّ حَدَثَ مَا هُوَ أَعْجَبُ...

فَبَيْنَمَا النَّاسُ فِي الْمَسْجِدِ، قَامَ الأَعْرَابِيُّ وَقَضَى حَاجَتَهُ فِي زَاوِيَةٍ مِنْهُ!

وَلَئِنْ تَحَمَّلَ الصَّحَابَةُ الْكِرَامُ جَهَالَاتِ الرَّجُلِ فِي أَقْوَالِهِ، فَإِنَّ تَحَمُّلَ مِثْلِ هَذَا الْفِعْلِ الشَّنِيعِ لَيْسَ بِمَقْدُورِهِمْ، لِأَنَّ فِيهِ امْتِهَانًا بَالِغًا لِحُرُمَاتِ بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ تَعَالَى، فَتَوَاثَبُوا لِيُوَسِّعُوهُ ضَرْبًا،

لَكِنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَوْقَفَهُمْ، وَقَالَ:
"دَعُوهُ، وَأَرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ ذُنُوبًا مِنْ مَاءٍ) ". *رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ*

وَبَعْدَ أَنْ انْتَهَى الأَعْرَابِيُّ، نَادَاهُ النَّبِيُّ ﷺ وَسَأَلَهُ:
"أَلَسْتَ بِمُسْلِمٍ؟"

فَأَجَابَ الأَعْرَابِيُّ:
"بَلَى".

فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ:
"فَمَا حَمَلَكَ عَلَى أَنْ بَلَلْتَ فِي الْمَسْجِدِ؟"

فَأَجَابَ صَادِقًا:
"وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، مَا ظَنَنْتُ إِلَّا أَنَّهُ كَبَاقِي الْأَرَاضِي، فَبَلَلْتُ فِيهِ".

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

"إِنَّ الْمَسَاجِدَ لَا تُصْلِحُ لِشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْبَوْلِ وَالْقَذَرِ، إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللهِ وَالصَّلَاةِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ) ". رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ

خَرَجَ الأَعْرَابِيُّ وَهُوَ يَقُولُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ:

"بِأَبِي هُوَ وَأُمِّي، لَمْ يَسُبَّ، وَلَمْ يَضْرِبْ، وَلَمْ يُوَبِّخْ".

هَكَذَا كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، مَدْرَسَةً فِي الرِّفْقِ، وَأُسْتَاذًا فِي فَهْمِ النَّاسِ وَأَحْوَالِهِمْ.

فَالْأَصْلُ فِي الدَّاعِيَةِ إِلَى اللهِ أَنْ يَكُونَ عَلَى دِرَايَةٍ بِـ: شُرُوطِ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ.

وفَهْمِ طَبَائِعِ النَّاسِ وَاخْتِلَافِ نَفْسِيَّاتِهِمْ.

فَلَيْسَتْ كُلُّ النُّفُوسِ تُقَادُ بِالْقُوَّةِ، وَلَا كُلُّ الْعُقُولِ تُقْنَعُ بِالصَّوْتِ الْعَالِي، بَلْ كَثِيرًا مَا تُفْتَحُ الْقُلُوبُ بِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ، وَنَظْرَةٍ رَحِيمَةٍ.

فَالْدَّاعِيَةُ الْحَكِيمُ هُوَ الَّذِي يَتْرُكُ فِي قَلْبِ الْمَدْعُوِّ أَثَرًا طَيِّبًا، وَذِكْرَى جَمِيلَةً، وَأَنْ يَعْلِقَ فَوْقَ رَأْسِهِ لَافِتَةً مَكْتُوبًا عَلَيْهَا:

"إِنَّ اللهَ تَعَالَى يُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ) ". رَوَاهُ مُسْلِمٌ

مَنزِلَةُ الصِدقِ والتَّواضُعِ عِندَ اللهِ تَعَالَى

رُويَ أنَّ الرُّبَيِّعَ بِنْتَ النَّضْرِ، عَمَّةَ الصَّحَابِيِّ الجَلِيلِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه،
كَسَرَتْ سِنَّ جَارِيَةٍ مِنَ الأَنْصَارِ، فَطَالَبَ أَهْلُ الجَارِيَةِ بِالْقَصَاصِ،
بَيْنَمَا عَرَضَ أَهْلُ الرُّبَيِّعِ الدِّيَةَ أَوِ العَفْوَ،
لَكِنَّ أَهْلَ الجَارِيَةِ أَصَرُّوا عَلَى الْقَصَاصِ.

فَلَمَّا ذَهَبَ أَهْلُ الرُّبَيِّعِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، أَمَرَ بِالْقَصَاصِ.

فَقَالَ أَنَسٌ رضي الله عنه:
"يَا رَسُولَ اللهِ، أَتُكْسَرُ ثَنِيَّةُ الرُّبَيِّعِ؟ لا، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، لا تُكْسَرُ ثَنِيَّتُهَا"!

وَهذَا لَيْسَ اعْتِرَاضًا عَلَى حُكْمِ اللهِ،
بَل ثِقَةٌ بِرَبِّهِ أَنْ يَجْعَلَ لَهَا فَرَجًا وَمَخْرَجًا.

فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ:
"يَا أَنَسُ، كِتَابُ اللهِ الْقَصَاصُ".

وَمَعَ ذَلِكَ، لَيَّنَ اللهُ قُلُوبَ القَوْمِ، فَعَفَوْا،
فَقَالَ ﷺ:
"إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللهِ مَنْ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّهُ". رواه البخاري

فِي هَذَا الحَدِيثِ، إِشَارَةٌ إِلَى فِئَةٍ مِنَ النَّاسِ لَهُمْ مَنزِلَةٌ عَظِيمَةٌ عِندَ اللهِ،
حَتَّى إِنَّهُمْ لَوْ أَقْسَمُوا عَلَى اللهِ أَنْ يُحَقِّقَ لَهُمْ أَمْرًا، لَأَبَرَّهُ اللهُ إِجْلَالًا لَهُمْ.

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:
"رَبُّ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، مَدْفُوعٌ بِالأَبْوَابِ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّهُ". *رَوَاهُ مُسْلِمٌ*

وَالْمَقْصُودُ بِـ"أَشْعَثَ أَغْبَرَ:"
هُوَ مَنْ ظَهَرَتْ عَلَيْهِ آثَارُ التَّوَاضُعِ وَالزُّهْدِ، شَعْرُهُ غَيْرُ مُرَتَّبٍ، وَمَلَابِسُهُ مُغَبَّرَةٌ،

لَا يَمْلِكُ وُجَاهَةً اجْتِمَاعِيَّةً، بَلْ يُدْفَعُ عَنِ الأَبْوَابِ، وَلَا يُؤْبَهُ لَهُ، لَكِنَّ لَهُ مَقَامًا رَفِيعًا عِندَ اللهِ بِسَبَبِ تَقْوَاهُ، وَإِخْلَاصِهِ، وَصِدْقِ لَهْجَتِهِ.

جاء فِي الصَّحِيحَيْنِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَبِي ذَرٍّ الغِفَارِيِّ رضي الله عنه:
"هَلْ تُنصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ إِلَّا بِضُعَفَائِكُمْ؟"

مَعَ أَنَّ أَبَا ذَرٍّ لَمْ يَكُنْ يَصْلُحُ لِتَوَلِّي الْمَنَاصِبِ،
قَالَ فِيهِ ﷺ:
"مَا أَظَلَّتِ الْخَضْرَاءُ، وَلَا أَقَلَّتِ الْغَبْرَاءُ مِنْ رَجُلٍ أَصْدَقَ لَهْجَةً مِنْ أَبِي ذَرٍّ".

أَي: لَمْ تَطَأِ الأَرْضُ، وَلَمْ تَظَلِ السَّمَاءُ أَصْدَقَ مِنْهُ لَهْجَةً.

فالَّذِينَ أَخْلَصُوا قُلُوبَهُمْ لِلَّهِ، وَصَدَقُوا فِي أَقْوَالِهِمْ،
وَزَهَدُوا فِي الدُّنْيَا، وَظَهَرَ عَلَيْهِمُ التَّوَاضُعُ وَالْبَسَاطَةُ،
يُعَوِّضُهُمُ اللهُ قُرْبًا مِنْهُ، وَيَجْعَلُ لَهُمْ دُعَاءً لَا تُرَدُّ، وَمَكَانَةً فِي السَّمَاءِ تُرْفَعُ.

فَاحْرِصْ عَلَى :إِخْلَاصِ النِّيَّة، وِصِدْقِ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ، وزَهّدِ النَّفْسِ فِي الدُّنْيَا
وَكُنْ مِنْ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُقَالُ فِيهِمْ: لَوْ أَقْسَمُوا عَلَى اللهِ، لَأَبَرَّهُم"
بِرَحْمَةِ اللهِ، وَتَقْوَاهُ، وَمَحَبَّةِ الْحَقِّ.

قِصَّةُ ٱلضَّيْفِ ٱلْكَافِرِ وَشُرْبِ ٱلْحَلِيبِ

رَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ رضيَ اللهُ عَنْهُ
أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ ضَافَهُ **ضَيْفٌ وَهُوَ كَافِرٌ**،
فَأَمَرَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ **بِشَاةٍ فَحُلِبَتْ**،
فَشَرِبَ **حِلَابَهَا**، ثُمَّ أُخْرَى فَشَرِبَهَا، ثُمَّ أُخْرَى فَشَرِبَهَا،
حَتَّى شَرِبَ حِلَابَ سَبْعِ شِيَاهٍ.

ثُمَّ إِنَّهُ أَصْبَحَ فَأَسْلَمَ،
فَأَمَرَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِشَاةٍ، فَشَرِبَ حِلَابَهَا،
ثُمَّ أَمَرَ بِأُخْرَى، فَلَمْ يَسْتَتِمَّهَا.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

"**ٱلْمُؤْمِنُ يَشْرَبُ فِي مِعًى وَاحِدٍ، وَٱلْكَافِرُ يَشْرَبُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءٍ**". رَوَاهُ ٱلْبُخَارِي

فَٱلْإِيمَانُ لَهُ أَثَرٌ **لَيْسَ فِي ٱلْقَلْبِ فَقَطْ**،
بَلْ فِي ٱلْجَوَارِحِ وَٱلتَّصَرُّفَاتِ ٱلْيَوْمِيَّةِ.

وَٱلْمُرَادُ:
أَنَّ ٱلْمُؤْمِنَ **يَأْكُلُ بِأَدَبِ ٱلشَّرْعِ**، مِنْ غَيْرِ إِسْرَافٍ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ **وَكُلُوا وَٱشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا** ﴾ ٱلْأَعْرَاف: ٣١

فَٱلطَّعَامُ ٱلَّذِي لَا إِسْرَافَ فِيهِ، هُوَ مَا **سَدَّ ٱلْجُوعَ وَدُونَ ٱلشَّبَعِ.**

فَعَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ:

"**مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ، بِحَسْبِ ٱبْنِ آدَمَ لُقَيْمَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ**". ٱلتِّرْمِذِيُّ وَٱلنَّسَائِي

فَٱلشَّبَعُ ٱلْمُفْرِطُ: يُضْعِفُ ٱلْقُوَى وَٱلْبَدَنَ،
وَمَنْ أَكَلَ كَثِيرًا شَرِبَ كَثِيرًا، فَنَامَ كَثِيرًا، فَخَسِرَ كَثِيرًا.

فرَاحَةُ ٱلْجِسْمِ فِي قِلَّةِ ٱلطَّعَامِ،وَرَاحَةُ ٱلْقَلْبِ فِي قِلَّةِ ٱلْآثَامِ،
وَرَاحَةُ ٱللِّسَانِ فِي قِلَّةِ ٱلْكَلَامِ.

وَلِلَّهِ دَرُّ مَنْ يَتَّبِعُ ٱلْقَاعِدَةَ ٱلذَّهَبِيَّةَ:**نَحْنُ قَوْمٌ لَا نَأْكُلُ حَتَّى نَجُوعَ، وَإِذَا أَكَلْنَا لَا نَشْبَعُ"**.

يُحْكَى أَنَّ **ٱلرَّشِيدَ** كَانَ لَهُ **طَبِيبٌ نَصْرَانِيٌّ حَاذِقٌ،**
فَقَالَ لِعَلِيِّ بْنِ وَاقِدِ بْنِ ٱلْحُسَيْنِ: **لَيْسَ فِي كِتَابِكُمْ مِنْ عِلْمِ ٱلطِّبِّ شَيْءٌ،**
وَٱلْعِلْمُ عِلْمَانِ: عِلْمُ ٱلْأَبْدَانِ، وَعِلْمُ ٱلْأَدْيَانِ".

فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ: **لَقَدْ جَمَعَ ٱللَّهُ ٱلطِّبَّ فِي نِصْفِ آيَةٍ مِنْ كِتَابِهِ"**. كتائب الهمة

قَالَ: وَمَا هِيَ؟ قَالَ: **وَكُلُوا وَٱشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا"**.ٱلْأَعْرَاف: ٣١

وَمنْ **لَا يَمُدُّ يَدَهُ إِلَى ٱلطَّعَامِ** إِلَّا وَهُوَ جَائِعٌ،
وَيَرْفَعُهَا **قَبْلَ ٱلشَّبَعِ**، فَقَدِ ٱسْتَغْنَى **عَنِ ٱلطَّبِيبِ،**
وَٱلْأَهَمُّ: أَنَّهُ كَانَ **عَلَى سُنَّةِ نَبِيِّهِ ٱلْمَعْصُومِ ﷺ**.

أَتَرْضَاهُ لِأُمِّكَ؟

رَوَى الإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ:

أَنَّهُ فِي يَوْمٍ مِنَ الأَيَّامِ، وَبَيْنَمَا كَانَ النَّبِيُّ **مُحَمَّدٌ** ﷺ جَالِسًا بَيْنَ أَصْحَابِهِ،
جَاءَهُ **شَابٌّ يَافِعٌ**، يَحْمِلُ فِي قَلْبِهِ **رَغْبَةً مُحَرَّمَةً**،
وَانْدَفَعَ بِهَا **بِجُرْأَةٍ غَيْرِ مَأْلُوفَةٍ**، وَقَالَ أَمَامَ الجَمِيعِ:

"يَا رَسُولَ اللهِ، ائْذَنْ لِي أَنْ أَزْنِي"!

صُدِمَ الصَّحَابَةُ**!** وَتَعَالَت أَصْوَاتُهُمْ:
"مَهْ! مَهْ – "!أَيْ: اُسْكُتْ، كَيْفَ تَقُولُ هَذَا لِلنَّبِيِّ؟!

وَلَكِنَّ **رَسُولَ اللهِ** ﷺ، المرَبِّي الرَّحِيمَ،**لَمْ يَصْرُخْ**، وَلَمْ يُهِنْ، وَلَمْ يَطْرُدْهُ...
بَلِ الْتَفَتَ إِلَيْهِ بِلُطْفٍ، وَقَالَ: "**اقْتَرِبْ مِنِّي**".

فَجَلَسَ الشَّابُّ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَنَظَرَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ بِعَيْنِ الأَبِ المشْفِقِ،
وَقَالَ لَهُ: "**أَتَرْضَاهُ لِأُمِّكَ؟**"

قَالَ الشَّابُّ بِسُرْعَةٍ: "**لَا وَاللهِ، جَعَلَنِيَ اللهُ فِدَاءَكَ**"!

قَالَ ﷺ: "**وَلَا النَّاسُ يَرْضَوْنَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ**".

ثُمَّ تَابَعَ ﷺ: "**أَتَرْضَاهُ لِابْنَتِكَ؟**" "**أَتَرْضَاهُ لِأُخْتِكَ؟**" "**أَتَرْضَاهُ لِعَمَّتِكَ؟ لِخَالَتِكَ؟**"

وَفِي كُلِّ مَرَّةٍ، كَانَ الشَّابُّ يُجِيبُ بِحَرَارَةٍ: "**لَا وَاللهِ، جَعَلَنِيَ اللهُ فِدَاءَكَ**"!

فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي خِتَامِ هذَا الحِوَارِ التَّرْبَوِيِّ المؤَثِّرِ:
وَكَذَلِكَ النَّاسُ... لَا يَرْضَوْنَهُ لِأَهْلِيهِمْ".

ثُمَّ مَدَّ يَدَهُ الشَّرِيفَةَ، وَوَضَعَهَا عَلَى صَدْرِهِ، وَقَالَ:

اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ، وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ".
فَخَرَجَ هذَا الشَّابُّ، وَقَدْ **تَغَيَّرَ حَالُهُ تَمَامًا**.
يَقُولُ الرَّاوِي: **فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ أَبَدًا**".

وَالْيَوْمَ...
فِي زَمَنِ الهَوَاتِفِ وَالكَامِيرَاتِ، أَصْبَحَ **الْتِقَاطُ صُورَةٍ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ أَمْرًا سَهْلًا**،
فِي الحَفَلَاتِ، أَوِ المنَاسَبَاتِ، أَوِ الأَمَاكِنِ العَامَّةِ...

ثُمَّ يَبْدَأُ **تَدَاوُلُ الصُّوَرِ** بِلَا وَعْيٍ، وَلَا وَازِعٍ مِنْ دِينٍ أَوْ خُلُقٍ...
تُرْسَلُ، وَتُحْفَظُ، وَتُشَارَكُ، وَكَأَنَّ **أَعْرَاضَ النَّاسِ لُعْبَةٌ** يَتَسَلَّى بِهَا البَعْضُ!

نَقُولُ لِكُلِّ مَنْ شَارَكَ فِي هذَا – **فَاعِلًا أَوْ نَاقِلًا أَوْ نَاشِرًا أَوْ حَتَّى مُشَاهِدًا** :–

"أَتَرْضَاهُ لِأُمِّكَ؟ أَتَرْضَاهُ لِأُخْتِكَ؟ أَتَرْضَاهُ لِعَمَّتِكَ؟ لِخَالَتِكَ؟"
فَإِنْ **لَمْ تَرْضَهُ لِأَهْلِكَ... فَلَا تَرْضَهُ لِغَيْرِكَ**.

فَمِنْ **أَعْظَمِ الذُّنُوبِ** أَنْ **يَفْضَحَ العَبْدُ أَخَاهُ**، أَوْ **يَتَتَبَّعَ عَوْرَتَهُ**،
قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "**مَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ،**
وَمَنْ تَتَبَّعَ عَوْرَةَ مُسْلِمٍ، تَتَبَّعَ اللهُ عَوْرَتَهُ،
وَمَنْ تَتَبَّعَ اللهُ عَوْرَتَهُ، فَضَحَهُ وَلَوْ فِي جَوْفِ بَيْتِهِ". *رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَأَبُو دَاوُد*

وَإِذَا وَصَلَتْكَ **صُورَةٌ، أَوْ مَقْطَعٌ، أَوْ إِشَاعَةٌ...**فَأَوْقِفْهَا **عِنْدَكَ!**
لَا تُنْشِرْ، وَلَا تُعَلِّقْ، وَلَا تُبَرِّرْ.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ آمَنُواْ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ *النُّور: ١٩*

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "**المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ**". *رَوَاهُ البُخَارِيُّ*

شهادةُ الناسِ وأثَرُها عندَ اللهِ

كانَ النَّبِيُّ ﷺ جالِسًا مَعَ أَصْحابِهِ، فإِذَا بِجَنَازَةٍ تَمُرُّ أَمَامَهُمْ.
خَيَّمَ الصَّمْتُ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ بَدَأَ النَّاسُ يَذْكُرُونَ الْمَيِّتَ بِالْخَيْرِ، يُثْنُونَ عَلَى حُسْنِ سِيرَتِهِ وَصَلَاحِ عَمَلِهِ.
فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "وَجَبَتْ".
بَعْدَ فَتْرَةٍ، مَرَّتْ جَنَازَةٌ أُخْرَى، لَكِنَّ حَدِيثَ النَّاسِ كَانَ مُخْتَلِفًا هذِهِ الْمَرَّةَ.
أَثْنَوْا عَلَى الْمَيِّتِ بِالسُّوءِ، ذَكَرُوا مَسَاوِئَهُ وَأَفْعَالَهُ السَّيِّئَةَ.
فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ مَرَّةً أُخْرَى: "وَجَبَتْ".
فَسَأَلَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: "مَا وَجَبَتْ؟"
فَأَجَابَ النَّبِيُّ ﷺ: "هذَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا فَوَجَبَ لَهُ الْجَنَّةُ، وهذَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا فَوَجَبَ لَهُ النَّارُ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللهِ فِي الْأَرْضِ".
أَيْ: أَنَّ اللهَ يُعَبِّرُ عَنْ شَهَادَتِهِ وَأَمْرِهِ مِنْ خِلَالِ أَلْسِنَةِ عِبَادِهِ الصَّالِحِينَ.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:
"أَهْلُ الْجَنَّةِ مَنْ مَلَأَ اللهُ أُذُنَيْهِ مِنْ ثَنَاءِ النَّاسِ خَيْرًا وَهُوَ يَسْمَعُ، وَأَهْلُ النَّارِ مَنْ مَلَأَ اللهُ أُذُنَيْهِ مِنْ ثَنَاءِ النَّاسِ شَرًّا وَهُوَ يَسْمَعُ". رَوَاهُ الطَّبَرَانِي

فَمَنْ عَاشَ حَيَاةً طَيِّبَةً، طَاهِرَةَ السَّرِيرَةِ، يَتْرُكُ أَثَرًا حَسَنًا فِي قُلُوبِ النَّاسِ، وَيَجِدُ الثَّنَاءَ عَلَيْهِ، وَهُوَ حَيٌّ يَسْمَعُ بِذَلِكَ، فَهذِهِ عَلَامَةٌ عَلَى رِضَا اللهِ عَنْهُ.
وَمَنْ عَاشَ بِالظُّلْمِ وَالْأَذَى، لَنْ يُخْفِيَ النَّاسُ شُعُورَهُمْ تُجَاهَهُ، وَلَوْ صَمَتُوا بِأَلْسِنَتِهِمْ، فَإِنَّ قُلُوبَهُمْ تَدْعُو عَلَيْهِ، وَاللهُ يَسْمَعُ دَعَوَاتِهِمْ.

فَمِرْآةُ أَعْمَالِنَا هِيَ قُلُوبُ النَّاسِ الَّذِينَ حَوْلَنَا، الَّذِينَ يَرَوْنَنَا يَوْمِيًّا فِي بُيُوتِنَا، أَسْوَاقِنَا، مَسَاجِدِنَا.
هُمْ يَعْرِفُونَ هَلْ نَحْنُ مِنْ أَهْلِ الْخَيْرِ أَمْ لَا.

"فمن عاشَ بخيرٍ، نطقت له الألسنُ بالخيرِ".
"ومن عاشَ على غيرِ ذلك... فالقلوبُ لا تكذبُ".

إِنَّ الأَعْمَالَ الجَلِيلَةَ، وَالآثَارَ الجَمِيلَةَ، تُخَلِّدُ ذِكْرَ صَاحِبِهَا بَيْنَ النَّاسِ فِي حَيَاتِهِ وَبَعْدَ مَمَاتِهِ.
أَوْصَى رَجُلٌ بَنِيهِ، فَقَالَ:
"يَا بَنِيَّ، عَاشِرُوا النَّاسَ مُعَاشَرَةً، إِنْ غِبْتُمْ عَنْهُمْ حَنُّوا إِلَيْكُمْ، وَإِنْ مُتُّمْ بَكَوْا عَلَيْكُمْ".

فَالذِّكْرُ عُمْرٌ ثَانٍ لِلْمَرْءِ وَهُوَ فَانٍ.
وَيَمُوتُ أُنَاسٌ فَلَا يُؤْسَى عَلَى فِرَاقِهِمْ، وَلَا يَحْزَنُ عَلَى فَقْدِهِمْ،
لِأَنَّهُ لَمْ تَكُنْ لَهُمْ آثَارٌ صَالِحَةٌ، وَلَا أَعْمَالٌ نَافِعَةٌ.

قَالَ تَعَالَى:
﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ ﴾ الدخان: ٢٩

فَلَا يُرَى لَهُمْ فِي الأَرْضِ شَاكِرٌ،
وَلَا لَهُمْ بِالخَيْرِ ذَاكِرٌ.

قَدْ مَاتَ قَوْمٌ وَمَا مَاتَتْ مَكَارِمُهُمْ،
وَعَاشَ قَوْمٌ وَهُمْ فِي النَّاسِ أَمْوَاتُ.

إِنَّ أَفْضَلَ طَرِيقَةٍ لِتَحْصِيلِ الشَّهَادَةِ الْحَسَنَةِ وَالذِّكْرِ الْحَسَنِ، هِيَ فِي حُسْنِ التَّعَامُلِ مَعَ اللهِ، ثُمَّ مَعَ خَلْقِهِ.

قال تعالى:
﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ البقرة: ١٤٣

حِكْمَةُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ فِي نَبْذِ العَصَبِيَّةِ وَالحَمِيَّةِ الجَاهِلِيَّةِ

رُوِيَ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما كَانَ يَنْصَحُ النَّاسَ وَيَحُثُّهُمْ عَلَى تَرْكِ العَصَبِيَّةِ وَالحِمْيَةِ الجَاهِلِيَّةِ،

فَقَدْ حَدَثَ أَنَّ قَبِيلَتَيْنِ نَشَبَتْ بَيْنَهُمَا خِلَافَاتٌ كَثِيرَةٌ بِسَبَبِ العَصَبِيَّةِ،
وَأَرَادَ النَّاسُ أَنْ يَتَقَاتَلُوا وَيَتَصَارَعُوا،
فَدَخَلَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما عَلَيْهِمْ وَقَالَ:

"يَا أَهْلَ القَبَائِلِ، لَا تَجْعَلُوا حَمِيَّتَكُمْ سَبَبًا فِي تَفَرُّقِكُمْ وَدَمَارِكُمْ،
فَقَدْ جَاءَ الإِسْلَامُ لِيَجْمَعَكُمْ عَلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ،
وَيَدْعُوكُمْ إِلَى الرَّحْمَةِ وَالعَدْلِ،
وَلَيْسَ إِلَى القِتَالِ بِسَبَبِ الغَيرَةِ وَالحِمْيَةِ".

وَأَضَافَ:

"إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ أَسْبَابِ فَسَادِ الدُّنْيَا وَخَرَابِهَا، العَصَبِيَّةَ الَّتِي تَدْفَعُ الإِنْسَانَ إِلَى الظُّلْمِ وَالقَتْلِ".

وَيَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ:

"انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا "*رواه البخاري ومسلم*

قَالَ الرَّجُلُ: كَيْفَ أَنْصُرُهُ إِذَا كَانَ ظَالِمًا؟
قَالَ" :**تَمْنَعُهُ مِنَ الظُّلْمِ، فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ** ".رواه البخاري ومسلم

فَأَثَّرَ كَلَامُ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما فِي النَّاسِ، وَوَقَفُوا عَنِ القِتَالِ. *كتاب العصبية القبلية*

لَقَدْ كَانَتِ الحُرُوبُ فِي الجَاهِلِيَّةِ تَقُومُ لِأَتْفَهِ الأَسْبَابِ،
وَتَسْتَمِرُّ مُشْتَعِلَةً أَعْوَامًا طَوِيلَةً،
فَهَذَانِ رَجُلَانِ يَقْتَتِلَانِ، فَيَجْتَمِعُ النَّاسُ حَوْلَهُمَا،

وَتَنَاصَرُ كُلُّ قَبِيلَةٍ صَاحِبَهَا، لَمْ يَسْأَلُوا عَنِ الظَّالِمِ وَلَا عَنِ الْمَظْلُومِ،
وَتَقُومُ الحَرْبُ فِي لَمْحِ البَصَرِ، وَلَا تَنْتَهِي حَتَّى يَمُوتَ الرِّجَالُ.

فَكَانَتْ هَذِهِ أَبْرَزُ سِمَةٍ لِهَذِهِ المَرْحَلَةِ، فَأُطْلِقَتْ عَلَيْهَا "جَاهِلِيَّةٌ"،
وَالَّتِي تَعْنِي سُرْعَةَ الغَضَبِ وَغِيَابَ الحِلْمِ وَالتَّعَقُّلِ.

كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

"أَلَا لَا يَجْهَلَنَّ أَحَدٌ عَلَيْنَا فَنَجْهَلَ فَوْقَ جَهْلِ الجَاهِلِينَ " *عمرو بن كلثوم*

فَهَذِهِ الجَاهِلِيَّةُ لَيْسَتْ جَاهِلِيَّةَ عَدَمِ مَعْرِفَةٍ،
إِنَّمَا هِيَ حَمِيَّةٌ، وَسُرْعَةُ غَضَبٍ، صَارَتْ تَتَكَرَّرُ فِي هَذِهِ الأَيَّامِ.

تَبْدَأُ الْمُشْكِلَةُ بَيْنَ اثْنَيْنِ، ثُمَّ تَنْتَقِلُ لِلْعَائِلَتَيْنِ،
وَغَالِبًا مَا تَكُونُ لِأَسْبَابٍ بَسِيطَةٍ، وَلَا تَسْتَدْعِي هَذَا العُنْفَ.

كَانَتِ العَرَبُ فِي الجَاهِلِيَّةِ تَقُولُ" :**انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا"**،
فَيَنْصُرُونَ أَصْحَابَهُمْ وَإِنْ ظَلَمُوا.
فَجَاءَ الإِسْلَامُ لِيُصَحِّحَ لَهُمْ هَذَا المَثَلَ.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **"انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا".**
فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَنْصُرُهُ إِذْ كَانَ مَظْلُومًا، أَفَرَأَيْتَ إِذَا كَانَ ظَالِمًا، كَيْفَ أَنْصُرُهُ؟!
قَالَ ﷺ" :**تَمْنَعُهُ مِنَ الظُّلْمِ، فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ "**. *رواه البخاري ومسلم*

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ:
"إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الجَاهِلِيَّةِ" *سورة المنافقون: ١٤*

إِنَّهَا حَمِيَّةٌ وَعَصَبِيَّةٌ تَدُلُّ عَلَى الجَهْلِ، وَضَعْفِ الدِّينِ، وَغِيَابِ العَقْلِ.

دَمُ الْمَظْلُومِ لَا يُنْسَى

يَوْم الْقِيَامَةِ... النَّاسُ مَحْشُورُونَ، وَالْمِيزَانُ مَنْصُوبٌ، فَإِذَا بِمَقْتُولٍ يَأْتِي مُتَعَلِّقًا بِقَاتِلِهِ،
وَدَمُهُ يَشْخُبُ مِنْ أَوْدَاجِهِ، لَمْ يَجِفَّ، شَاهِدًا عَلَى الظُّلْمِ،
حَتَّى يُدْنِيهِ مِنَ الْعَرْشِ، ثُمَّ يَسْأَلُ: "يَا رَبِّ، سَلْ هَذَا فِيمَ قَتَلَنِي؟"
فَلَا عُذْرَ، وَلَا مَهْرَبَ، فَيُقَالُ لِلْقَاتِلِ" :**تَعِسْتَ**"، وَيُذْهَبُ بِهِ إِلَى النَّارِ. البخاري ومسلم

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:
"يَجِيءُ الْمَقْتُولُ مُتَعَلِّقًا بِالْقَاتِلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَوْدَاجُهُ تَشْخَبُ دَمًا،
حَتَّى يُدْنِيهِ مِنَ الْعَرْشِ،
فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، سَلْ هَذَا فِيمَ قَتَلَنِي؟
فَيُقَالُ لِلْقَاتِلِ: تَعِسْتَ، وَيُذْهَبُ بِهِ إِلَى النَّارِ".رَوَاهُ ابْنُ مَاجَه

فِي الْجَاهِلِيَّةِ كَانَتِ الدِّمَاءُ تُسْفَكُ لِأَتْفَهِ الْأَسْبَابِ،
وَالْيَوْمَ تَعُودُ هَذِهِ الْجَاهِلِيَّةُ فِي صُوَرٍ
"حَمِيَّةٍ، رُجُولَةٍ، شَرَفٍ زَائِفٍ، عُنْفٍ لَفْظِيٍّ وَجَسَدِيٍّ"،
وَلَكِنَّهَا كُلَّهَا تَقُودُ إِلَى نَفْسِ النِّهَايَةِ:
قَالَ تَعَالَى:
﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ النِّسَاء: ٩٣

وقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:
"لَوِ اجْتَمَعَ أَهْلُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلَى قَتْلِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ، لَأَكَبَّهُمُ اللَّهُ فِي النَّارِ".رَوَاهُ التِّرْمِذِي

بل وَقَالَ ﷺ:
"مَنْ أَعَانَ عَلَى قَتْلِ مُؤْمِنٍ بِشِطْرِ كَلِمَةٍ، لَقِيَ اللَّهَ مَكْتُوبًا بَيْنَ عَيْنَيْهِ: آيِسٌ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ".رَوَاهُ ابْنُ مَاجَه

وَذَكَرَ ﷺ:

"مَنْ أَشَارَ إِلَى أَخِيهِ بِحَدِيدَةٍ، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَلْعَنُهُ، وَإِنْ كَانَ أَخَاهُ لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ". رَوَاهُ مُسْلِم

حَتَّى النَّظْرَةُ الْمُخِيفَةُ مُحَرَّمَةٌ

قَالَ ﷺ: **"مَنْ نَظَرَ إِلَى مُسْلِمٍ نَظْرَةً يُخِيفُهُ بِهَا بِغَيْرِ حَقٍّ أَخَافَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"**. رَوَاهُ الطَّبَرَانِي

إِنَّ مَنْ تُسَوِّلُ لَهُ نَفْسُهُ التَّسَاهُلَ فِي قَتْلِ نُفُوسِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ،

أَنْ يَخْشَوْا رَبَّهُمْ جَلَّ وَعَلَا،

وَيَتَّقُوا خَالِقَهُمْ عَزَّ وَجَلَّ،

وَاللَّهُ جَلَّ وَعَلَا يَتُوبُ عَلَى مَنْ تَابَ وَأَنَابَ وَأَصْلَحَ وَأَحْسَنَ،

فَسَيِّدُنَا وَنَبِيُّنَا ﷺ يَقُولُ:

"مَنْ زَلَّ فَلْيَتُبْ، وَلَا يَتَمَادَ فِي الْهَلَكَةِ، إِنَّ مَنْ يَتَمَادَ فِي الْجَوْرِ كَانَ أَبْعَدَ عَنِ الطَّرِيقِ". رَوَاهُ الْبَيْهَقِي

فَإِنَّ دَمَ الْمَظْلُومِ لَا يُنْسَى.

الفصلُ الرّابِع: فِي الأُسْرَةِ وَالْمَرْأَةِ وَالمِيرَاثِ وَشُؤُونِ الزَّوَاجِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

"وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا، وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً"

الروم: ٢١

النبيُّ ﷺ وزوجاته... مدرسةٌ في الرَّحمةِ والمودَّة

سُئِلَت **عائشةُ رضيَ اللهُ عنها** عن خُلُقِ **رسولِ اللهِ ﷺ** إذا خَلا مع نسائِهِ، فقالت:
"كانَ كالرَّجُلِ من رِجَالِكم، إلَّا أنَّه كانَ أكرمَ النَّاسِ، وأحسنَ النَّاسِ خُلُقًا،
وألينَ النَّاسِ وأكرمَهم، ضَحَّاكًا بَسَّامًا" رواهُ الترمذيُّ

وروى **البخاري** أنَّ **رسولَ الله ﷺ** كان عند إحدى زوجاتِه،
فجاءت **أمُّ سلمةَ رضي اللهُ عنها** بصحفةِ طعامٍ،
فغارت التي كان عندها، فضربت يدَ الخادمة، **فسقطت الصَّحفةُ وانكسرت.**

فماذا فعل النبيُّ ﷺ؟
لم يغضب، ولم يُعنِّف، بل جمع الطَّعام وقال مُبتسمًا: "غَارَتْ أُمُّكُم"!
ثم أرسل **صحفةً من بيت التي هو عندها** وقال:
"طعامٌ بطعامٍ، وإناءٌ بإناءٍ".رواه البخاري

وقالت **عائشةُ رضي اللهُ عنها:**
"سَابَقَنِي رسولُ اللهِ ﷺ فسبقتُه، ثمَّ سَابَقَنِي بعدَما سَمِنتُ فسبقني، فقال: هذه بتلك".أبو داود وأحمد،

وكان النبيُّ ﷺ يقسِم بين نسائهِ **في المبيت والنفقة** بعدلٍ لا ميلَ فيه، وكان يقول:
"اللَّهُمَّ هذا قَسمي فيما أملك، فلا تُلِمْني فيما لا أملك "رواه أبو داود والترمذي

فالعدلُ هو قِوامُ العلاقات، وميلُ القلبِ لا يُحاسبُ عليه العبد،
لكن الظُّلم في التَّعاملِ هو المحظور.

وحين مرضت **عائشةُ رضيَ اللهُ عنها**، كان النبيُّ ﷺ يجلسُ إلى جانبها،
ويمسحُ بيدهِ المباركةِ على جبينها، ويدعو لها، ويُشعرها بحبّه ورعايتِه.

وعن **صفيَّةَ بنتِ حُيَيّ رضي اللهُ عنها:**
أنَّها بَكَتْ عندما شعرت أنَّ النبي ﷺ **لم يُركِبها على البعير كما ركب غيرها،**

فمسحَ ﷺ دموعَها بيدهِ، وطيَّب خاطرها وقال:
"إنكِ ابنةُ نبيٍّ، وعمُّكِ نبيٌّ، وتحتكِ نبيٌّ، ففيمَ تبكين؟ "رواه أحمد وابن سعد

ولقد جاءت نصوصٌ كثيرةٌ توصي بالنساء خيرًا،
فقد قال **النبيُّ ﷺ في خطبةِ الوداع** —في أشهرِ أيامِ الإسلام،
وأعظمِ مجامعِ المسلمين، في يوم الحجِّ الأكبر:—
"استوصوا بالنِّساء خيرًا؛ فإنَّهُنَّ عَوانٌ عندكم، *أي أسيرات*
أخذتُمُوهُنَّ بأمانةِ الله، واستحللتُم فروجَهُنَّ بكلمةِ الله ". رواه مسلم

فما أحوجَنا إلى أن نقتديَ برسول الله ﷺ في معاشرتنا لأهلِنا،
حتى لا تفسد هذه العِشرة،
فإنَّ المرأة قد يكون في خُلُقِها ما يُكره، **لكنّها تشتملُ على ما يُرضي،**
وقد قال ﷺ:
"لا يَفرَك مؤمنٌ مؤمنةً، إن كَرِهَ منها خُلُقًا رَضِيَ منها آخر". رواه مسلم

تَحَمَّلْهَا ما دامَتْ تَفْعَلُ ذلكَ

جاءَ رجلٌ إلى **أميرِ المؤمنين عمرَ بنِ الخطّابِ رضيَ اللهُ عنه،**
يُريد أن يشتكي من سوءِ خُلُقِ زوجته.
فلمّا بلغَ بيتَ عمرَ، وقفَ عندَ الباب، فسمعَ صوتَ زوجةِ عمرَ **ترفعُ صوتَها عليه،**
وهو ساكتٌ لا يردّ عليها.
فقالَ الرجلُ في نفسِه:
"جئتُ أشكو حالَ زوجتي، فوجدتُ أميرَ المؤمنينَ نفسَه يعاني ممّا أعاني منه"!
فهمَّ بالانصراف، لكنَّ **عمر رضي اللهُ عنه** خرجَ فرآه، فناداه وسأله عن حاجته.
فقالَ الرجل:
"جئتُ أشكو خُلقَ زوجتي، فسمعتُ زوجتكَ تفعلُ مثلَ ما تفعلُ زوجتي، فرجعتُ".
فقال له **عمر رضي اللهُ عنه** قولًا عظيمًا يدلّ على الفهمِ العميقِ والعِشرةِ بالمعروف:
"يا أخي، إنّها تغسلُ ثيابي، وتطبخُ طعامي، وتُنظّفُ بيتي، وتُرضِعُ ولدي،
وليس ذلك كلّه بواجبٍ عليها،
ويسكنُ قلبي بها عن الحرام، فأنا أتحمّلُها ما دامتْ تفعلُ ذلك".
فبكى الرجلُ وقال:
"يا أميرَ المؤمنين، وكذلكَ زوجتي".

ولقد بيّنَ اللهُ سبحانهُ وتعالى أنَّه لا يصحُّ للرجالِ أن يسترسلوا في كراهيةِ النساء،
إن وُجدَ سببٌ لذلك، بل عليهم أن يُغلّبوا النظرَ إلى المحاسن، ويتغاضَوا عن المكاره.
قال **النبيُّ** ﷺ:
"لا يَفْرَكْ مؤمنٌ مؤمنةً، إنْ كَرِهَ منها خُلُقًا، رَضِيَ منها آخر". رواه مسلم
أي: يُبغِضُ أو يَكرَهُ بشدَّةٍ. فالحَديثُ يَدعُو إلى التَّوازُنِ والإنصافِ في الحَياةِ الزَّوجيَّةِ،
والتَّغاضي عن بَعضِ العُيوبِ مُقابِلَ المحاسِنِ الأُخرى.
وقال **تعالى**:
"فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا" النساء: ١٩

لذلك فإنَّ على الزوجين أن يُحسِنا العِشرةَ الزوجيّة،
وأن يصبرَ كلٌّ منهما على ما يكون من صاحبِه من هفواتٍ ومخالفاتٍ
لا تخلو منها طبيعةُ الحياةِ الزوجيّة.
وإن لزِمَ أن يتنازلَ أحدُ الزوجينَ عن بعضِ حقوقهِ من أجلِ استمرارِ الحياةِ الزوجيّة،
جازَ له ذلك، بل هو من الصلحِ الممدوح.

قال **تعالى**:
"والصُّلحُ خيرٌ، وأُحضِرَتِ الأنفُسُ الشُّحَّ". *النساء: ١٢٨*

أي أنَّ اللهَ تعالى جبَلَ النفوسَ على حبِّ التملّكِ والتشبّثِ بالحقوق،
فالمرأةُ قد لا تتنازلُ عن حقِّها بسهولة، والرجلُ كذلك،
لكن على كلٍّ منهما أن يُخالفَ طبعَه، ويتسامى على شُحِّه،
من أجل الإبقاءِ على بيتٍ يُظلّه الصفاءُ والمودّة.

وقد قال **تعالى** أيضًا:
"وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا"
النساء: ١٩

قِصَّةُ الْمَرْأَةِ الصَّالِحَةِ الَّتِي أَوْصَاهَا زَوْجُهَا بِأَمْرٍ عَجِيبٍ

رُوِيَ أنَّ رَجُلًا صَالِحًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، كَانَ إِذَا خَرَجَ إِلَى عَمَلِهِ، يَقُولُ لِزَوْجَتِهِ:

"يَا فُلَانَةُ، لَا تَفْتَحِي الْبَابَ لِأَحَدٍ حَتَّى أَرْجِعَ".

وَفِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ، طَرَقَ وَالِدُهَا الْبَابَ. وَكَانَتْ تُحِبُّهُ حُبًّا شَدِيدًا، وَتَشْتَاقُ لِرُؤْيَتِهِ، فَوَقَفَتْ حَائِرَةً:

أَتَفْتَحُ لَهُ وَهِيَ تَعْلَمُ نَهْيَ زَوْجِهَا؟ أَمْ تُطِيعُ زَوْجَهَا وَتُغْضِبُ وَالِدَهَا؟

فَجَلَسَتْ تَبْكِي مِنَ الْحَيْرَةِ، ثُمَّ قَالَتْ لِنَفْسِهَا:

"طَاعَةُ زَوْجِي أَوْجَبُ عَلَيَّ مِنْ رِضَا أَبِي، لِأَنَّ اللهَ أَمَرَنِي بِطَاعَةِ الزَّوْجِ".

فَلَمْ تَفْتَحِ الْبَابَ. وَمَضَى وَالِدُهَا غَاضِبًا، وَجَلَسَ فِي مَكَانٍ قَرِيبٍ لَا يَعْلَمُ سَبَبَ امْتِنَاعِهَا.

فَلَمَّا عَادَ زَوْجُهَا مَسَاءً، أَخْبَرَتْهُ وَهِيَ بَاكِيَةٌ بِمَا جَرَى. فَسُرَّ بِأَمَانَتِهَا وَطَاعَتِهَا، وَذَهَبَ إِلَى وَالِدِهَا وَقَالَ لَهُ:

"أُشْهِدُكَ أَنِّي قَدْ رَضِيتُ عَنْهَا، وَأَكْرَمْتُهَا، وَأَنْتَ أَحَقُّ النَّاسِ بِهَا وَبِبِرِّهَا".

فَقَالَ الْأَبُ مُتَأَثِّرًا:

"وَأَشْهَدُ أَنِّي فَخُورٌ أَنْ تَكُونَ ابْنَتِي كَهَذِهِ الطَّائِعَةِ الْوَفِيَّةِ". روضة المحبين" لابن القيم

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِعُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

"أَلَا أُخْبِرُكَ بِخَيْرِ مَا يَكْنِزُ الْمَرْءُ؟ الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ: إِذَا نَظَرَ إِلَيْهَا سَرَّتْهُ، وَإِذَا أَمَرَهَا أَطَاعَتْهُ، وَإِذَا غَابَ عَنْهَا حَفِظَتْهُ". رواه أبو داود

فصِفَاتُ الْمَرْأَةِ الصَّالِحَةِ فِي الْحَدِيثِ:

١. **"إِذَا نَظَرَ إِلَيْهَا سَرَّتْهُ:"**

لِأَنَّهَا تَعْتَنِي بِنَفْسِهَا، وَتَجْتَهِدُ فِي إِرْضَائِهِ، حَتَّى تَكُونَ أَجْمَلَ فِي عَيْنِهِ وَإِنْ لَمْ تَكُنِ الْأَجْمَلَ بَيْنَ النِّسَاءِ. فَالْجَمَالُ الْحَقِيقِيُّ فِي حُسْنِ الْخُلُقِ وَجَمَالِ النَّفْسِ.

٢. **"وَإِذَا أَمَرَهَا أَطَاعَتْهُ:"**

تُطِيعُ زَوْجَهَا فِي الْمَعْرُوفِ، طَاعَةً نَابِعَةً مِنْ إِيمَانِهَا، لِقَوْلِهِ ﷺ:

"لَوْ كُنْتُ آمِرًا أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدٍ، لَأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا". رواه الترمذي

٣. **"وَإِذَا غَابَ عَنْهَا حَفِظَتْهُ:"**

تَحْفَظُهُ فِي عِرْضِهِ وَمَالِهِ، وَتَصُونُ نَفْسَهَا، لِأَنَّهَا تَرَى نَفْسَهَا أَمَانَةً عِنْدَهُ.

فالْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ كَنْزٌ عَظِيمٌ لَا يُقَدَّرُ بِثَمَنٍ،
وَسَعَادَتُهَا مِنْ سَعَادَةِ زَوْجِهَا،
وَطَاعَتُهَا لَهُ مِنْ طَاعَةِ اللهِ،
وَحُسْنُ عِشْرَتِهَا سَبِيلٌ لِبِنَاءِ بَيْتٍ مُسْتَقِرٍّ،
تَطْمَئِنُّ فِيهِ النُّفُوسُ، وَتُبْنَى فِيهِ الْأَجْيَالُ.

قَالَ تَعَالَى:

"فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا" سورة النساء: الآية ١٩

الحِكْمَةُ في الصَّبْرِ على الزَّوْجَةِ والْحَقُّ في الطَّلَاقِ

جاء رجلٌ إلى الحسنِ البصريِّ رحمهُ اللهُ، وقد طَلَّقَ زوجتَه، فسأله الحسنُ:
"لِمَ طَلَّقْتَها؟"
فقالَ الرجلُ:
"إنَّها لا تُحِبُّني يا إمامُ".

فأجابه الحسنُ البصريُّ بكلمةٍ بليغةٍ:
"وهل كلُّ البيوتِ تُبنى على الحبِّ؟! فأينَ المروءةُ؟ وأين التذممُ
(أي حفظُ العِشرةِ والوفاءِ بها)؟"!

ثم قال له:
"إن كُنَّا لا نُحبُّ نساءنا، فهل نَتركُهنَّ؟ وإن كُنَّا نُحبُّهنَّ، فهل نُبقيهنَّ أبدَ الدهرِ؟
العَيْشُ والموَدَّةُ، والرَّحمةُ، والسترُ، هذه قواعدُ الزواجِ، لا الحبُّ وحدَه. *عن السلف الصالح في كتب التراجم*
أمَّا إن كان في خُلقِها ما لا يُحتملُ، فالطلاقُ مباحٌ.
وإن لم يكن، فالصبرُ من شيمِ الكرامِ".

نعم، الطلاقُ خيارٌ مباحٌ، لكنه عند العقلاءِ لا يُلجأُ إليهِ إلا بعد استنفادِ وسائلِ الإصلاحِ.

فلقد رغَّبَ اللهُ سبحانهُ وتعالى في الإبقاءِ على الزوجيةِ، ولو مع كراهةِ أحدِ الزوجينِ للآخرِ، فقال تعالى:
{وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا} *النساء: ١٩*

وقد أرشدنا اللهُ إلى وسائلَ عديدةٍ لعلاجِ ما يحدثُ بين الزوجينِ، لو استخدمها الناسُ، لَسادت السكينةُ بيوتهم، ولما امتلأت المحاكمُ بقضايا الطلاقِ.

لكن مع الأسفِ، كثيرٌ من الناسِ يتلاعبون بأمرِ الطلاقِ:
- بعضهم يُطلِّقُ لأتفهِ الأسبابِ.
- وبعضهم يتلفَّظُ بالطلاقِ هازِلاً، ولا يعلمُ أن النبيَّ ﷺ قالَ:

"ثلاثٌ جدَّهن جدٌّ، وهزلهن جدٌّ: النكاحُ، والطلاقُ، والرجعةُ." رواه البخاري ومسلم

•وبعضهم يُفسدُ المرأةَ على زوجها بدافعِ الشهوةِ والهوى، وقد قال النبيُّ ﷺ:

"ليس منا من خبّب امرأةً على زوجها." رواه مسلم

خبَّب: أي أفسد وأغرى

•وبعض النساءَ تطلبُ طلاقَ ضرتها، وقد نهى النبيُّ ﷺ عن ذلك، فقال:

"لا يحلّ لامرأةٍ أن تسألَ طلاقَ أختها لتستفرغَ صحفتها، فإنما لها ما قُدّر لها." رواه البخاري

•وهناك من تطلبُ الطلاقَ من غير بأسٍ، وقد قال ﷺ:

"أيما امرأةٍ سألت زوجها طلاقًا من غير ما بأسٍ، فحرامٌ عليها رائحةُ الجنةِ." رواه البخاري ومسلم

بل وبعض الرجالِ يُطلِّقون ثم يهملون أبناءهم ولا يسألون عنهم،
فيكون الأولادُ والبناتُ في حالٍ أسوأَ من حالِ الأيتامِ.

إنَّ الطمأنينةَ والراحةَ في طاعةِ اللهِ، وإنَّ الشقاءَ والنزاعَ في البعدِ عن شرعهِ.
وما انتشر الشقاقُ في بيوت المسلمينَ إلا بسببِ الغفلةِ عن أوامرِ اللهِ، والاستهانةِ بأحكامِه.

قِصَّةُ الشَّابِّ العَاقِّ الَّذِي عَجَزَ عَنْ النُّطْقِ بِالشَّهَادَةِ

ذُكِرَ أَنَّ شابًّا فِي المدِينَةِ كَانَ يَعُقُّ وَالِدَتَهُ، يُسِيءُ إِلَيْهَا، يَصْرُخُ فِي وَجْهِهَا، وَيُؤْذِيهَا بِلِسَانِهِ وَفِعْلِهِ،

حَتَّى اشْتَدَّ بِهَا المرَضُ مِنْ كَثْرَةِ حُزْنِهَا عَلَيْهِ.

وَذَاتَ يَوْمٍ، احْتُضِرَ هَذَا الشَّابُّ، أَيْ دَنَا أَجَلُهُ، فَاجْتَمَعَ النَّاسُ حَوْلَهُ يُلَقِّنُونَهُ:

"قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ"

فَلَمْ يَسْتَطِعِ النُّطْقَ بِهَا! كُلَّمَا حَاوَلَ، انْعَقَدَ لِسَانُهُ وَسَكَنَ فَمُهُ، وَعَجَزَ عَنْ قَوْلِهَا.

فَذَهَبَ النَّاسُ إِلَى وَالِدَتِهِ وَسَأَلُوهَا:

"هَلْ أَنْتِ رَاضِيَةٌ عَنْهُ؟"

فَقَالَتْ وَالدُّمُوعُ فِي عَيْنَيْهَا:

"لَا، وَاللَّهِ، مَا رَضِيتُ عَنْهُ قَطُّ، لَقَدْ آذَانِي حَيًّا وَمَيِّتًا".

فَقَالُوا لَهَا:

"ارْضِي عَنْهُ، لَعَلَّ اللَّهَ يُصْلِحُهُ".

فَأَطْرَقَتْ رَأْسَهَا وَقَالَتْ، مُحَاوِلَةً تَجَاوُزَ أَلَمِهَا:

"إِنِّي قَدْ رَضِيتُ عَنْهُ، لِوَجْهِ اللَّهِ".

وَمَا هِيَ إِلَّا لَحَظَاتٌ، حَتَّى نَطَقَ الشَّابُّ بِالشَّهَادَةِ، ثُمَّ فَاضَتْ رُوحُهُ. مشهورة في كتب التراث الإسلامي

هَذَا الموْقِفُ العَجِيبُ دَلِيلٌ وَاضِحٌ عَلَى أَنَّ بَرَّ الوَالِدَيْنِ مِفْتَاحٌ لِحُسْنِ الخَاتِمَةِ،

وَأَنَّ العُقُوقَ مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ سُوءِ الخَاتِمَةِ، فَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

"كُلُّ الذُّنُوبِ يُؤَخِّرُ اللَّهُ مِنْهَا مَا شَاءَ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، إِلَّا عُقُوقَ الوَالِدَيْنِ، فَإِنَّهُ يُعَجِّلُ لِصَاحِبِهِ". رَوَاهُ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ

لِأَنَّ الوَالِدَيْنِ لَا يَصْبِرَانِ عَلَى أَذَى أَبْنَائِهِمَا، وَلَا يَحْتَمِلَانِ العُقُوقَ،

فَيُعَجِّلُ اللَّهُ العُقُوبَةَ لِلْعَاقِ فِي الدُّنْيَا قَبْلَ الآخِرَةِ.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "رُغْمَ أَنْفِهِ، ثُمَّ رُغْمَ أَنْفِهِ، ثُمَّ رُغْمَ أَنْفِهِ".
قِيلَ: مَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟
قَالَ: "مَنْ أَدْرَكَ وَالِدَيْهِ عِنْدَ الكِبَرِ أَحَدَهُمَا أَو كِلَيْهِمَا، ثُمَّ لَمْ يَدْخُلِ الجَنَّةَ". رَوَاهُ مُسْلِمٌ

وَقَالَ ﷺ أَيْضًا: "أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الكَبَائِرِ؟"
قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. **قَالَ: "الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ"**... مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ

وَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: "وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا..." الإِسْرَاءِ: ٢٣

فِي هَذِهِ الآيَاتِ، قَرَنَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عِبَادَتَهُ بِبِرِّ الوَالِدَيْنِ، فِي إِشَارَةٍ إِلَى عَظَمِ مَكَانَتِهِمَا.
قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا:
"ثَلَاثٌ مَقْرُونَةٌ بِثَلَاثٍ:
لَا تُقْبَلُ طَاعَةُ اللَّهِ إِلَّا بِطَاعَةِ رَسُولِهِ، وَلَا تُقْبَلُ الصَّلَاةُ إِلَّا بِالزَّكَاةِ،
وَلَا يُقْبَلُ شُكْرُ اللَّهِ إِلَّا بِشُكْرِ الوَالِدَيْنِ". رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:
"لَوْ أَدْرَكْتُ وَالِدَيَّ أَوْ أَحَدَهُمَا وَقَدِ افْتَتَحْتُ الصَّلَاةَ، فَقَرَأْتُ فَاتِحَةَ الكِتَابِ،
فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، لَقُلْتُ: لَبَّيْكَ"!
أَي: كَانَ سَيَقْطَعُ صَلَاةَ النَّافِلَةِ لِيُجِيبَ أَحَدَ وَالِدَيْهِ. رَوَاهُ البُخَارِيُّ

وَمِنْ تَمَامِ البِرِّ: حُسْنُ الأَدَبِ مَعَهُمَا فِي كُلِّ شَيْءٍ، حَتَّى فِي النَّظَرَاتِ. قَالَ ﷺ:
"مَا بَرَّ أَبَاهُ مَنْ حَدَّ إِلَيْهِ الطَّرْفَ بِالغَضَبِ". رَوَاهُ البَيْهَقِيُّ
أَي: حَتَّى النَّظْرَةُ الغَاضِبَةُ إِلَى الوَالِدَيْنِ فِيهَا عُقُوقٌ، وَلَوْ لَمْ يَتَكَلَّمْ.

وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ بِالدُّعَاءِ لَهُمَا فِي كُلِّ وَقْتٍ، فَقَالَ:
"وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا." الإِسْرَاءِ: ٢٤

فَاجْعَلْ هَذَا الدُّعَاءَ مَلَازِمًا لِسَانَكَ فِي حَيَاتِهِمَا وَبَعْدَ مَوْتِهِمَا.

رِعَايَةُ كِبَارِ السِّنِّ فِي الإِسْلَامِ

رُوِيَ أَنَّ أَبَا الدَّرْدَاءِ **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** كَانَ جَالِسًا فِي الْمَسْجِدِ، فَدَخَلَ شَيْخٌ كَبِيرٌ فِي السِّنِّ، مُتَّكِئًا عَلَى عَصَاهُ، وَقَدْ بَانَ عَلَيْهِ التَّعَبُ وَالضَّعْفُ.

فَقَامَ لَهُ أَبُو الدَّرْدَاءِ، وَأَفْسَحَ لَهُ الْمَكَانَ بِجَانِبِهِ، وَأَخَذَ يُعِينُهُ عَلَى الْجُلُوسِ،
ثُمَّ سَقَى لَهُ الْمَاءَ، وَمَسَحَ الْغُبَارَ عَنْ ثَوْبِهِ.

فَقَالَ لَهُ أَحَدُ الْحَاضِرِينَ: "**يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ، أَهَذَا رَجُلٌ عَامِّيٌّ؟**"!
أَيْ لَيْسَ مِنَ الْعُلَمَاءِ أَوِ الْأَشْرَافِ.

فَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**: "**إِنِّي سَمِعْتُ نَبِيَّكُمْ ﷺ يَقُولُ:**
"**إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللهِ إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ...**"رَوَاهُ أَبُو دَاوُد
أَفَأُهِينُ مَنْ أَكْرَمَهُ اللهُ؟"!

وَرَوَى نَافِعٌ أَنَّ **عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا** كَانَ فِي طَرِيقِهِ إِلَى **مَكَّةَ**،
فَرَآهُ أَحَدُ النَّاسِ يَتَرَجَّلُ مِنْ دَابَّتِهِ، وَيَضَعُ عِمَامَتَهُ عَلَى رَأْسِ رَجُلٍ أَعْرَابِيٍّ كَبِيرٍ فِي السِّنِّ،
ثُمَّ يُرْكِبُهُ دَابَّتَهُ، وَيُعْطِيهِ شَيْئًا مِنْ مَتَاعِهِ.

فَتَعَجَّبَ أَحَدُهُمْ وَقَالَ لِابْنِ عُمَرَ:
"**يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، إِنَّهُمْ أَعْرَابٌ، وَهُمْ يَرْضَوْنَ بِالْقَلِيلِ، وَقَدْ أَعْطَيْتَهُ الْكَثِيرَ**"!

فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:**
"**إِنَّ أَبَا هَذَا كَانَ صَدِيقًا لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ،**
وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ:
"**إِنَّ أَبَرَّ الْبِرِّ صِلَةُ الرَّجُلِ أَهْلَ وُدِّ أَبِيهِ، بَعْدَ أَنْ يُوَلِّيَ**".رَوَاهُ مُسْلِم
أَفَأُهِينُ مَنْ أَكْرَمَهُ اللهُ؟"!

يَقُولُ تَعَالَى:

﴿ **وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ** ﴾ النَّحل: ٧٠

فمَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ العُمُرِ، وَهُوَ وَقْتُ الهَرَمِ وَالشَّيْخُوخَةِ، يَصِيرُ إِلَى حَالَةٍ شَبِيهَةٍ بِحَالَةِ الطُّفُولَةِ فِي عَدَمِ الإِدْرَاكِ جَيِّدًا.

وَلَقَدِ اسْتَعَاذَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ أَنْ يَصِلَ عُمْرُهُ إِلَى هَذِهِ السِّنِّ، حَيْثُ قَالَ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ:
"**وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الرَّدِّ إِلَى أَرْذَلِ العُمُرِ**".
وَأَهَمُّ مَا يُمَيِّزُ هَذِهِ المرْحَلَةَ مَا رَوَاهُ البُخَارِيُّ:
أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ:
"**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ العَجْزِ، وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ، وَالْهَرَمِ، وَالْبُخْلِ**". رَوَاهُ الْبُخَارِي

وَهَذِهِ هِيَ الصِّفَاتُ الَّتِي يُعَانِي مِنْهَا كَثِيرٌ مِنْ كِبَارِ السِّنِّ،
الَّذِينَ تَجَاوَزَتْ أَعْمَارُهُمُ السِّتِّينَ عَامًا:**عَجْزٌ وَخَوْفٌ وَكَسَلٌ وَبُخْلٌ**، إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبِّي وَقَدْ يُصَاحِبُهَا **المَرَضُ** وَ**الفَقْرُ** فِي كَثِيرٍ مِنَ الأَحْيَانِ.

وَقَدْ حَثَّ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى تَوْقِيرِ كِبَارِ السِّنِّ، فَقَالَ:

"**لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَيَعْرِفْ شَرَفَ كَبِيرِنَا**". رَوَاهُ التِّرْمِذِي

وَقَالَ أَيْضًا:
"**مَا أَكْرَمَ شَابٌّ شَيْخًا لِسِنِّهِ، إِلَّا قَيَّضَ اللهُ لَهُ مَنْ يُكْرِمُهُ عِنْدَ سِنِّهِ**". رَوَاهُ التِّرْمِذِي

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "**خُذْ مِنْ شَبَابِكَ لِهَرَمِكَ، وَمِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ**".

فَالْمُؤْمِنُ الْعَاقِلُ يُهَيِّئُ نَفْسَهُ لِمَرْحَلَةِ الْكِبَرِ قَبْلَ أَنْ يَبْلُغَهَا،
وَخَيْرُ مَا نُعِدُّهُ لَهَا:**الإِحْسَانُ إِلَى مَنْ سَبَقُونَا، وَالْبِرُّ بِهِمْ، وَالدُّعَاءُ لَهُمْ**.

قِصَّةُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ وَخِدْمَتِهِ لِلْعَجُوزِ الْكَفِيفَةِ

كَانَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بَعْدَ أَنْ تَوَلَّى الْخِلَافَةَ، لَا يَتْرُكُ عَمَلَهُ فِي خِدْمَةِ النَّاسِ، وَكَانَ إِذَا صَلَّى الْفَجْرَ، خَرَجَ مُتَخَفِّيًا إِلَى أَطْرَافِ الْمَدِينَةِ.

لَاحَظَ الصَّحَابِيُّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ

يَخْرُجُ فِي كُلِّ صَبَاحٍ بَعْدَ الْفَجْرِ مُتَسَلِّلًا، فَأَرَادَ أَنْ يَعْرِفَ أَيْنَ يَذْهَبُ.

فَتَبِعَهُ يَوْمًا، فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى بَيْتٍ صَغِيرٍ مُتَهَدِّمٍ فِي أَطْرَافِ الْمَدِينَةِ،

وَمَكَثَ فِيهِ وَقْتًا ثُمَّ خَرَجَ.

دَخَلَ عُمَرُ بَعْدَهُ لِيَكْتَشِفَ الْأَمْرَ،

فَإِذَا فِي الْبَيْتِ عَجُوزٌ عَمْيَاءُ ضَعِيفَةٌ، لَيْسَ لَهَا أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ.

فَسَأَلَهَا عُمَرُ:

. "مَنْ هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي يَأْتِيكِ؟"

فَقَالَتْ:

"وَاللَّهِ لَا أَعْرِفُهُ، لَكِنَّهُ يَأْتِينَا كُلَّ صَبَاحٍ،

فَيَكْنُسُ بَيْتَنَا، وَيَعُدُّ طَعَامَنَا، وَيُصْلِحُ حَاجَتَنَا، ثُمَّ يَنْصَرِفُ".

فَبَكَى عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَقَالَ:

"أَتْعَبْتَ الْخُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِكَ يَا أَبَا بَكْرٍ"! *قصص الصحابة وأخلاقهم*

وَأَوَّلُ مَن يَجِبُ عَلَيْهِمِ الْإِحْسَانُ إِلَى الْكَبِيرِ هُمْ أَبْنَاؤُهُ وَأَحْفَادُهُ.

لِيَتَذَكَّرْ كُلٌّ مِنَّا أَنَّ الدَّرَجَةَ الْعِلْمِيَّةَ الَّتِي وَصَلَ إِلَيْهَا أَوِ الْمَرْكَزَ الْاِجْتِمَاعِيَّ الَّذِي يَنْتَمِي إِلَيْهِ، كَانَ لِوَالِدَيْهِ دَوْرٌ فِيهِ،

وَسُهُولَةُ التَّعْلِيمِ فِي هَذِهِ الأَيَّامِ الَّتِي سَاهَمَ فِيهَا الْجِيلُ السَّابِقُ مِنَ الْآبَاءِ

هِيَ الَّتِي جَعَلَتْ هَذِهِ الْفَوَارِقَ بَيْنَ الْأَهْلِ وَالْأَبْنَاءِ.

فَلَا يَتَعَالَى عَلَى وَالِدَيْهِ بِعِلْمِهِ وَشَهَادَتِهِ.

قال تعالى:

"إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا..." *سورة الإسراء: ٢٣*

قولُه " **عِنْدَكَ** " أَي احْرِصْ عَلَى أَنْ يَكُونَا عِنْدَكَ وَتَحْتَ رِعَايَتِكَ،
لِتُصْبِحَ مَسْؤُولًا عَنْهُمَا، بَعْدَ أَنْ كَانَا هُمَا مَسْؤُولَيْنِ عَنْكَ.
وَلَا تُحَاوِلِ التَّهَرُّبَ مِنْ هَذِهِ الْمَسْؤُولِيَّةِ بِإِلْقَائِهَا عَلَى غَيْرِكَ مِنْ أَهْلِ الْخَيْرِ
أَوِ الْجَمَاعِيَّاتِ أَوْ بِإِرْسَالِهِمْ إِلَى دُورِ الْمُسِنِّينَ.
فَعَلَى الْأَبْنَاءِ أَنْ يَضَعُوا أَنْفُسَهُمْ مَكَانَ آبَائِهِمْ،
وَأَنْ يَتَذَكَّرُوا وَيَعْلَمُوا أَنَّ الأَيَّامَ سَتَدُورُ عَلَيْهِمْ، وَسَيَكُونُونَ فِي مَوْضِعِهِمْ.
فَمَنْ مِنَّا يَقْبَلُ أَنْ يَضَعَهُ أَبْنَاؤُهُ فِي دُورِ الْمُسِنِّينَ
وَسْطَ الإِحْسَاسِ بِالْقَهْرِ وَالذُّلِّ وَالْخِيَانَةِ،
خَاصَّةً إِنْ كَانَ أَرْمَلًا أَوْ كَانَتْ أَرْمَلَةٌ؟

وَلِلْكَبِيرِ بَعْدَ أَبْنَائِهِ وَأَحْفَادِهِ حَقٌّ عَلَى بَاقِي أَقَارِبِهِ مِنَ الْأَعْمَامِ وَالْأَخْوَالِ وَأَبْنَائِهِمْ،
وَبَعْدَ الْأَقَارِبِ يَكُونُ حَقُّ الْكَبِيرِ عَلَى الْجَارِ وَأَهْلِ الْمِنْطَقَةِ الَّذِينَ تَعَوَّدُوا رُؤْيَةَ بَعْضِهِمْ الْبَعْضِ.
فَالْمَسِنُّ يَحْتَاجُ إِلَى الْحَنَانِ وَالرِّعَايَةِ وَالْعَطْفِ مِثْلَ الصَّغِيرِ تَمَامًا، و
َ يَجِبُ أَلَّا نَبْخَلَ عَلَيْهِ بِذَلِكَ، وَأَنْ نُشْرِكَهُ فِي حَيَاتِنَا قَدْرَ الْإِمْكَانِ.

وَيَجِبُ أَنْ نُدْرِكَ أَنَّ الْمَسِنَّ يَسْتَمْتِعُ بِالْحَدِيثِ عَنِ الْمَاضِي السَّحِيقِ،
فَعَلَيْنَا أَلَّا نَحْرِمَهُ مِنْ ذَلِكَ، بَلْ نُظْهِرُ لَهُ التَّفَاعُلَ وَالإِعْجَابَ.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
"لَيْسَ مِنَّا مَن لَمْ يُوَقِّرْ كَبِيرَنَا، وَيَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَيَعْرِفْ لِعَالِمِنَا حَقَّهُ". رَوَاهُ أَحْمَدُ

وَقَالَ أَيْضًا:
"إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللَّهِ إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ". رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ

قِصَّةُ الصَّحَابِيِّ عُيَيْنَةَ بْنِ حِصْنٍ الْفُزَارِيِّ مَعَ زَوْجَتِهِ وَفِتْنَةِ الإِيمَانِ

ذُكِرَ فِي كُتُبِ السِّيَرِ أَنَّ الصَّحَابِيَّ الْجَلِيلَ عُيَيْنَةَ بْنَ حِصْنٍ الْفُزَارِيِّ أَسْلَمَ فِي بِدَايَةِ الْأَمْرِ،
ثُمَّ جَاءَتْ زَوْجَتُهُ – وَكَانَتْ ذَاتَ جَمَالٍ وَحُسْنٍ – وَقَالَتْ لَهُ:
"كَيْفَ تَسْلَمُ وَتَتْرُكُ دِينَ آبَائِكَ؟"
فَرَاجَعَ نَفْسَهُ، وَتَأَثَّرَ بِكَلَامِهَا، حَتَّى ارْتَدَّ عَنِ الإِسْلَامِ بَعْدَ أَنْ هَدَاهُ اللَّهُ إِلَيْهِ.

فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، دَعَا عَلَيْهِ، فَاسْتَوْلَى عَلَيْهِ الْجُنُونُ،
حَتَّى أُتِيَ بِهِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ، فَدَعَا لَهُ النَّبِيُّ ﷺ،
فَعَافَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، فَعَادَ إِلَى الإِسْلَامِ، وَحَسُنَ إِسْلَامُهُ بَعْدَ ذَلِكَ.

تُظْهِرُ هَذِهِ الْقِصَّةُ كَيْفَ أَنَّ الزَّوْجَةَ قَدْ تَكُونُ سَبَبًا فِي صَدِّ الرَّجُلِ عَنِ الْحَقِّ،
إِنْ لَمْ يَكُنْ قَلْبُهُ عَامِرًا بِالإِيمَانِ، ثَابِتًا عَلَى الطَّرِيقِ.

فَالْحُبُّ وَالتَّعَلُّقُ إِذَا لَمْ يُضْبَطْ بِحُبِّ اللَّهِ وَطَاعَتِهِ، قَدْ يَنْقَلِبُ إِلَى فِتْنَةٍ.

وَقَدْ نَبَّهَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى حِينَ قَالَ:
"الأَوْلَادُ مُجْبِنَةٌ مُبْخِلَةٌ مُحْزِنَةٌ"، *البخاري ومسلم*
أَيْ أَنَّهُمْ قَدْ يَجْعَلُونَ الإِنْسَانَ يَجْبُنُ عَنْ قَوْلِ الْحَقِّ، وَيَبْخَلُ فِي الإِنْفَاقِ،
وَيَحْزَنُ عَلَى الدُّنْيَا خَوْفًا عَلَيْهِمْ.

وَقَدْ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَشْتَكِي حَالَهُ، فَقَالَ:
"يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ لِي أَهْلًا وَوَلَدًا، وَإِنَّهُمْ يُحِبُّونَ الدُّنْيَا وَيَمْنَعُونَنِي مِنَ الْخَيْرِ".
فَنَزَلَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:
"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ "." إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَاللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ"
سورة التغابن: ١٤-١٥

وَلَيْسَ

الْمَقْصُودُ أَنَّ الزَّوْجَةَ أَوِ الأَوْلَادَ أَعْدَاءٌ بِالذَّاتِ، وَلَكِنْ عَدَاوَتَهُمْ تَكْمُنُ فِي كَوْنِهِمْ سَبَبًا فِي الإِعْرَاضِ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ، وَالانْشِغَالِ بِالدُّنْيَا عَنِ الدِّينِ.

فَالزَّوْجَةُ وَالْوَلَدُ قَدْ يَكُونَانِ سَبَبًا لِلْبُخْلِ، وَالْجُبْنِ، وَالرُّكُونِ إِلَى الدُّنْيَا، وَهَذَا امْتِحَانٌ عَظِيمٌ.
فَكَمْ مِنَ النَّاسِ يَتْرُكُ أَمْرًا مِنْ أَوَامِرِ اللَّهِ، أَوْ يَقْدُمُ عَلَى مَعْصِيَةٍ، فَقَطْ لِإِرْضَاءِ زَوْجَتِهِ أَوْ أَوْلَادِهِ!

وَقَدْ يُقْدِمُ بَعْضُهُمْ عَلَى أَكْلِ الْحَرَامِ أَوْ أَخْذِ الرَّشْوَةِ دَافِعًا تَوْفِيرَ حَيَاةٍ مُرَفَّهَةٍ لَهُمْ، أَوْ مُجَارَاةً لِمَنْ حَوْلَهُ.
وَقَدْ تَكُونُ الْفِتْنَةُ صَامِتَةً، لَا يَتَكَلَّمُ فِيهَا الزَّوْجُ أَوِ الْوَلَدُ، بَلْ تَكْفِي نَظْرَةٌ أَوْ طَلَبٌ أَوْ تَلْمِيحٌ، لِيَضْعُفَ الْإِنْسَانُ أَمَامَهُ وَيُؤَثِّرَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ.

والحَلُّ وِقَايَةٌ وَعِلَاجٌ.
فالْوِقَايَةُ :تَبْدَأُ بِحُسْنِ اخْتِيَارِ الزَّوْجَةِ، وَالتِزَامِ الدِّينِ عِنْدَ الزَّوَاجِ،
ثُمَّ بِتَرْبِيَةِ الْأَبْنَاءِ عَلَى التَّقْوَى وَالرِّضَا، وَحُبِّ الْآخِرَةِ.

والْعِلَاجُ :فِي الْعَفْوِ وَالصَّفْحِ وَالْمَغْفِرَةِ كَمَا أَمَرَ اللَّهُ، دُونَ مُجَارَاةٍ فِي الْمَعْصِيَةِ،
وَلَا عُنْفٍ يُنَفِّرُ، بَلْ بِحِكْمَةٍ تُوَازِنُ بَيْنَ الرَّحْمَةِ وَالْحَزْمِ، وَبَيْنَ الإِصْلَاحِ وَالْقِيَادَةِ.

قال الله تعالى:
"**وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**" *سورة التغابن: ١٤*

فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يُصْبِحَ الْإِنْسَانُ عَوْنًا لِلشَّيْطَانِ عَلَى أَهْلِهِ، وَلَا أَنْ يَكُونَ عَوْنًا لِأَهْلِهِ عَلَى نَفْسِهِ.
وَلِيُدْرِكْ أَنَّ هَذِهِ الْعَدَاوَةَ الَّتِي ذَكَرَهَا اللَّهُ لَيْسَتْ عَدَاوَةً حَقِيقِيَّةً، وَلَكِنَّهَا عَدَاوَةٌ فِي إِلْهَاءِ الْقَلْبِ، وَإِضْعَافِ الْعَزِيمَةِ، وَإِبْعَادِ الْإِنْسَانِ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ دُونَ أَنْ يَشْعُرَ.

وَمَنْ وَجَدَ فِي نَفْسِهِ شَيْئًا مِنْ تِلْكَ الْفِتْنَةِ، فَقَدْ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
"**فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَنَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَجَارِهِ، يُكَفِّرُهَا الصِّيَامُ وَالصَّلَاةُ وَالصَّدَقَةُ، وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ**". *صحيح مسلم*

خُطُورَةُ خَلْوَةِ الحَمُو وَأَهَمِّيَّةُ الحِمَايَةِ مِنَ الفِتْنَةِ

روى اللَّيثُ بنُ سعدٍ، أحدُ فقهاءِ المدينةِ، أن رجلاً جاء إلى النبيّ ﷺ يشكو الغيرةَ والريبةَ، فقال:
"يا رسولَ اللهِ، إن لي زوجةً يحبُّها أخي، وهو يدخلُ عليها"!
فقال ﷺ: "الحمو الموت". رواه البخاري ومسلم

وفي روايةٍ قال صلى الله عليه وسلم:
"إيَّاكُمْ والدخولَ على النساءِ".
فقال رجلٌ من الأنصارِ:
"يا رسولَ اللهِ، أفرأيتَ الحمو؟"
قال: "الحمو الموت". والحَمُوُ هو قريبُ الزوجِ كأخيهِ، وابنِ أخيهِ، وعمِّهِ، وابنِ عمِّهِ، وخالهِ، وابنِ خالهِ، وغيرِهِم.
وكذلك يشملُ قريبَ الزوجةِ كابنِ عمِّها، وابنِ خالِها، ونحوِهِم.

والمعنى أنَّ خلوةَ الحَمُوِّ أشدُّ خطرًا من خلوةِ الغريبِ، لأنَّ الناسَ غالبًا يتساهلونَ مع القريبِ ولا يرونَ في دخولهِ ريبةً.
لكنَّ النبيَّ ﷺ شبَّه خطرَهُ بـ"الموتِ"، لأنه سببٌ خفيٌّ للفتنةِ والهلاكِ في الدينِ والعِرضِ.

قال بعضُ السلفِ:
"هذا كإراقةِ الدماءِ سواءً، فالحديثُ يسقطُ دعوى حسنِ الظنِّ والثقةِ المطلقةِ".

وقد قال أحدُ الصحابةِ رضي الله عنه:
"لو أمَّنتني على خزائنِ الأرضِ لأديتها إليكَ،
ولو أمَّنتني على جاريَةٍ سوداءَ، لخشيتُ أن لا أُؤدي".

النبيُّ ﷺ يمنعُ رجلًا من الجهادِ خشيةَ الخلوةِ:
جاء رجلٌ إلى النبيّ ﷺ وقال:
"يا رسولَ اللهِ، إنَّ امرأتي خرجت حاجةً، وإني اكتُتبتُ في غزوةٍ كذا وكذا".

فقال له النبيُّ ﷺ:

"انطلق فحُجَّ مع امرأتك". رواه البخاري ومسلم

فالنبيُّ ﷺ ردَّهُ عن الجهادِ حتى لا تُسافرَ امرأتُه وحدها أو تخلو برجلٍ أجنبيٍّ، لأن العصمةَ لا تكونُ إلا للملائكةِ أو الأنبياءِ.

تحذيرٌ من صورِ الخلوةِ الحديثة:

احذروا...

- السائق السيئُ
- صديقُ العائلةِ
- ابنُ الجيرانِ
- زميلُ العملِ
- الطبيبُ المريبُ
- الممرّضُ المريضُ
- البائعُ المتصيّدُ
- المدرسُ الخبيثُ

كلُّ هؤلاء وغيرهم لا يجوز أن يخلوا بالنساءِ أو يظهروا على عوراتِهنَّ، فإنَّ المروءَةَ لا تحفظُ، والعِرضَ لا يسلمُ، إلا في بيتٍ ملتزمٍ بتعاليمِ الإسلامِ، مستورٍ بالحياءِ، طاهرٍ من التبرجِ والاختلاطِ المحرَّمِ.

قال الله تعالى:

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ" سورة التحريم: ٦

فاحموا بيوتكم وأهلكم بتقوى الله، ولا تستسهلوا ما حذّر منه رسولُ الله ﷺ.

صِلاحُ الآباءِ بَرَكَةٌ لِلْأَبْنَاءِ

وَرَدَ فِي سُورَةِ الْكَهْفِ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ خَرَجَ فِي رِحْلَةٍ عِلْمِيَّةٍ بِصُحْبَةِ الْعَبْدِ الصَّالِحِ الْخَضِرِ، لِيَتَعَلَّمَ مِنْهُ مَا عَلَّمَهُ اللَّهُ.
وَفِي أَثْنَاءِ تِلْكَ الرِّحْلَةِ، وَصَلا إِلَى قَرْيَةٍ أَهْلُهَا بُخَلَاءُ،
فَاسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا.
وَمَعَ هَذَا الْجَفَاءِ، وَجَدَ الْخَضِرُ جِدَارًا فِي تِلْكَ الْقَرْيَةِ كَانَ عَلَى وَشْكِ السُّقُوطِ،
فَأَقَامَهُ مِنْ غَيْرِ مُقَابِلٍ.

قَالَ تَعَالَىٰ:
"فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ ۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا" الكهف: ٧٧

اسْتَغْرَبَ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَيْفَ يُقِيمُ الْخَضِرُ جِدَارًا مَجَّانًا
فِي قَرْيَةٍ رَفَضَتْ حَتَّىٰ تَقْدِيمَ الطَّعَامِ؟
لَكِنَّ الْخَضِرَ أَوْضَحَ لَاحِقًا الْحِكْمَةَ الْإِلَهِيَّةَ وَرَاءَ ذَلِكَ، فَقَالَ:
"وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا ۖ فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا" الكهف: ٨٢

لَقَدْ حَفِظَ اللَّهُ الْكَنْزَ لِهَذَيْنِ الْيَتِيمَيْنِ، لَيْسَ بِفَضْلِ جُهْدِهِمَا، وَلَا بِحِيلَةٍ مِنْهُمَا، وَلَكِنَّمَا لِصَلَاحِ أَبِيهِمَا.
فَرَغْمَ أَنَّهُ قَدْ مَاتَ، إِلَّا أَنَّ صِلَاحَهُ أَثْمَرَ حِفْظًا وَكَرَامَةً لِوَلَدَيْهِ.

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ:
"فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الرَّجُلَ الصَّالِحَ يُحْفَظُ فِي ذُرِّيَّتِهِ".

وَفِي هَذَا الْمَعْنَى قَالَ ابْنُ الْمُنْكَدِرِ:
"إِنَّ اللَّهَ لَيَحْفَظُ بِالرَّجُلِ الصَّالِحِ وَلَدَهُ وَلِدَ وَلَدِهِ، وَالدَّوِيرَاتِ الَّتِي حَوْلَهُ،
فَمَا يَزَالُونَ فِي حِفْظٍ مِنَ اللَّهِ وَسِتْرٍ".

وَمِنْ كَرَمِ اللَّهِ الْعَظِيمِ، أَنَّهُ لَا يَحْفَظُ الذُّرِّيَّةَ فِي الدُّنْيَا فَقَطْ، بَلْ يَرْفَعُهُمْ فِي الْآخِرَةِ أَيْضًا،
حَتَّىٰ وَلَوْ كَانُوا أَقَلَّ عَمَلًا مِنْ آبَائِهِمْ. قَالَ تَعَالَىٰ:
"وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَلَمْ نَلْتِهِمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ" الطور: ٢١

وَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ، أَنَّ رَجُلًا يَسْأَلُ عَنْ أَهْلِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ،
فَيُقَالُ لَهُ: لَمْ يُدْرِكُوا مَنْزِلَتَكَ،
فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، قَدْ عَمِلْتُ لِي وَلَهُمْ،
فَيُؤْمَرُ بِإِلْحَاقِهِمْ بِهِ لِيُقِرَّ اللَّهُ عَيْنَهُ بِهِمْ.

إِنَّ الَّذِي يَعْمَلُ الصَّالِحَاتِ وَيَجْتَهِدُ فِي الطَّاعَاتِ،
لَا يَعْمَلُ لِنَفْسِهِ فَقَطْ،
بَلْ يَغْرِسُ بُذُورَ الرَّحْمَةِ وَالْبَرَكَةِ فِي حَيَاةِ أَوْلَادِهِ وَأَحْفَادِهِ.
فَكُنْ صَالِحًا، تَكُنْ بَرَكَةً لِأَهْلِكَ فِي حَيَاتِكَ وَبَعْدَ مَمَاتِكَ.

بَسَاطَةُ الزَّوَاجِ فِي هَدْيِ النَّبِيِّ ﷺ وَالصَّحَابَةِ

لَمَّا جَاءَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَخْطُبُ فَاطِمَةَ بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ،
لَمْ يَكُنْ يَمْلِكُ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا دِرْعًا حُطْمِيَّةً (نَوْعٌ مِنَ الدُّرُوعِ).
فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ:
"مَا مَعَكَ مِنْ شَيْءٍ تُصَدِّقُهَا إِيَّاهُ؟"
قَالَ عَلِيٌّ: "مَا لِي شَيْءٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ".
قَالَ: "أَيْنَ دِرْعُكَ الْحُطْمِيَّةُ الَّتِي أَعْطَيْتُكَ إِيَّاهَا؟"
قَالَ: "عِنْدِي".
قَالَ: "أَعْطِهَا إِيَّاهَا".
فَكَانَ مَهْرُ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا دِرْعًا بَسِيطَةً لَا تَسْتَوِي كَثِيرًا، وَمَعَ ذَلِكَ بَارَكَ اللَّهُ فِي زَوَاجِهِمَا، وَكَانَ زَوَاجًا مُبَارَكًا مِنْ بَيْتِ النُّبُوَّةِ.

أَمَّا الْوَلِيمَةُ، فَقَدْ كَانَتْ كَذَلِكَ بَسِيطَةً، إِذْ ذَبَحَ عَلِيٌّ شَاةً وَدَعَا النَّاسَ،
وَلَمْ تَكُنْ هُنَاكَ مَظَاهِرُ تَكَلُّفٍ أَوْ إِسْرَافٍ.
وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
"أَعْظَمُ النِّكَاحِ بَرَكَةً أَيْسَرُهُ مُؤُونَةً". رَوَاهُ أَحْمَدُ

وَهَذَا الْمَعْنَى تَكَرَّرَ فِي حَيَاةِ كَثِيرٍ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ.
فَقَدْ رُوِيَ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَتَبَ إِلَى أُمَرَاءِ الْأَمْصَارِ:
"أَلَا لَا تُغَالُوا فِي صَدَقَاتِ النِّسَاءِ،
فَإِنَّهَا لَوْ كَانَتْ مَكْرَمَةً فِي الدُّنْيَا أَوْ تَقْوَىٰ عِنْدَ اللَّهِ، لَكَانَ أَوْلَاكُم بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ،
وَمَا أَصْدَقَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ امْرَأَةً مِنْ نِسَائِهِ،
وَلَا أُصْدِقَتِ امْرَأَةٌ مِنْ بَنَاتِهِ، أَكْثَرُ مِنِ اثْنَتَيْ عَشَرَةَ أَوْقِيَةً". رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ

وَكَانَ التَّابِعُونَ عَلَى هَذَا النَّهْجِ، يَقُولُ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:
"مَا أَكْثَرَ مَن تَزَوَّجَ بِمَهْرٍ يَسِيرٍ وَعَيْشٍ قَلِيلٍ، فَبَارَكَ اللَّهُ لَهُ،
وَمَا أَكْثَرَ مَن غَالَى فَكَانَ سَبَبَ شَقَائِهِ".

لَكِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فِي زَمَانِنَا قَدِ ابْتَعَدُوا عَن هَدْيِ الْإِسْلَامِ وَتَشْرِيعَاتِهِ
الدَّاعِيَةِ إِلَى تَسْهِيلِ الزَّوَاجِ وَتَيْسِيرِ أَسْبَابِهِ،
حَيْثُ يُغَالِي الْبَعْضُ فِي طَلَبِ الْمُهُورِ الْعَالِيَةِ وَالتَّكَالِيفِ الْبَاهِظَةِ،
وَيُسْرِفُونَ فِي إِقَامَةِ الْوَلَائِمِ وَالْحَفَلَاتِ،
وَيَبْذُلُونَ فِي سَبِيلِ ذَلِكَ الْأَمْوَالَ الطَّائِلَةَ، مِمَّا يُثْقِلُ كَاهِلَ الْفُقَرَاءِ ويُبَدِّدُ مَالَ الأَغنياءِ
وَيَمْنَعُ كَثِيرًا مِنَ الشَّبَابِ عَنْ الْإِقْدَامِ عَلَى الزَّوَاجِ لِعَجْزِهِمْ عَنْ تَحَمُّلِ أَعْبَائِهِ.
وَقَدْ تَرَتَّبَ عَلَى ذَلِكَ حِرْمَانُ فَتَيَاتٍ كَثِيرَاتٍ مِنْ حَقِّهِنَّ فِي الزَّوَاجِ، أَوْ مِنْ أَزْوَاجٍ أَكْفَّاءٍ.

وَفِي مَعْرِضِ تَوْجِيهَاتِهِ ﷺ لِلْأُمَّةِ نَحْوَ أَسْبَابِ الْبَرَكَةِ وَالتَّوْفِيقِ فِي الزَّوَاجِ، قَالَ:
"**أَقَلُّكُمْ مَهْرًا أَكْثَرُكُمْ بَرَكَةً**". *رواه الإمام أحمد*
وَقَالَ أَيْضًا: "**يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا**". *البخاري ومسلم*

فَكَمْ فِي الْمُجْتَمَعِ مِنْ ذُكُورٍ وَإِنَاثٍ حَالَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ بِنَاءِ الْأُسْرَةِ تَكَالِيفُ الزَّوَاجِ الْبَاهِظَةِ،
مِمَّا أَدَّىٰ إِلَىٰ مَفَاسِدَ وَأَضْرَارٍ عَظِيمَةٍ، وَانْحِرَافِ بَعْضِهِمْ عَنْ طَرِيقِ الْعَفَافِ وَالْفَضِيلَةِ.

فَاتَّقُوا اللَّهَ – عِبَادَ اللَّهِ – وَلْتَتَضَافَرِ الْجُهُودُ، وَلَا سِيَّمَا مِنْ ذَوِي التَّأْثِيرِ فِي الْمُجْتَمَعِ،
فِي الْحَثِّ عَلَى تَسْهِيلِ أُمُورِ النِّكَاحِ وَتَيْسِيرِ أَسْبَابِهِ،
وَنَشْرِ الْوَعْيِ بَيْنَ النَّاسِ، تَحْقِيقًا لِلْمَصْلَحَةِ وَدَرْءًا لِلْمَفَاسِدِ.

قَالَ تَعَالَىٰ:
"وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ " *النور: ٣٢*

وَ"الأَيَامَىٰ" هُمْ الْعُزَّابُ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ، أَي مَنْ لَا زَوْجَ لَهُ مِنَ الطَّرَفَيْنِ.

نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَلَمُ الأُبُوَّةِ

أَوْحَى اللهُ تَعَالَى إِلَى نَبِيِّهِ **نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ** أَنْ **لَا يَأْسَى عَلَى قَوْمِهِ**، فَإِنَّهُ **لَنْ يُؤْمِنَ مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ**.

وَبِهَذَا الإِيْحَاءِ **انْتَهَى زَمَنُ الدَّعْوَةِ، وَآنَ أَوَانُ النَّجَاةِ**.

فَأُمِرَ بِبِنَاءِ **سَفِينَةٍ تُنْجِيهِ وَمَنْ آمَنَ مَعَهُ** مِنَ المؤْمِنِينَ،
وَكَانَتْ تِلْكَ السَّفِينَةُ **رَمْزًا لِلْإِيمَانِ، وَمَفْصَلًا فِي تَارِيخِ البَشَرِيَّةِ**.

وَلَكِنَّ قَوْمَهُ **لَمْ يَزْدَادُوا إِلَّا سُخْرِيَةً وَتَكْذِيبًا**.
كُلَّمَا مَرُّوا بِهِ قَالُوا:
"يَا نُوحُ، صِرْتَ نَجَّارًا بَعْدَ أَنْ كُنْتَ نَبِيًّا"!

وَمَعَ ذَلِكَ، **مَضَى فِي أَمْرِهِ**، حَتَّى إِذَا جَاءَ وَعْدُ اللهِ، **فَفَجَّرَتِ الأَرْضُ عُيُونَهَا**، وَهَطَلَتِ السَّمَاءُ بِمَائِهَا، وَبَدَأَتِ السَّفِينَةُ **تَجْرِي بِهِمْ**:

﴿ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ ﴾
]هود: ٤٢[

وَفِي خِضَمِّ تِلْكَ اللَّحْظَةِ الرَّهِيبَةِ،
لَحْظَةِ الفِرَاقِ الأَبَدِيِّ بَيْنَ الإِيمَانِ وَالكُفْرِ،
أَبْصَرَ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ ابْنَهُ الكَافِرَ وَهُوَ **مُنْعَزِلٌ عَنْهُ** وَعَنْ جَمَاعَةِ المؤْمِنِينَ.

فَقَالَ لَهُ نُوحٌ **بِعَاطِفَةِ الأُبُوَّةِ الصَّادِقَةِ الْمَلْهُوفَةِ:**

﴿ يَا بُنَيَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَافِرِينَ ﴾
)هود: ٤٢(

وَلَا تَكُنْ مَعَ القَوْمِ الكَافِرِينَ الَّذِينَ سَيَلُفُّهُمُ **الطُّوفَانُ** بَيْنَ أَمْوَاجِهِ عَمَّا قَرِيب.

وَلَكِنَّ هَذِهِ النَّصِيحَةَ الغَالِيَةَ مِنَ الأَبِ الحَزِينِ عَلَى **مَصِيرِ ابْنِهِ، لَمْ** تَجِدْ **أُذُنًا وَاعِيَةً** مِنْ هَذَا الابْنِ العَاقِّ المغْرُور،
لِأَنَّ القُلُوبَ إِذَا أَعْرَضَتْ، لَا تَنْفَعُهَا العَاطِفَةُ، وَلَا تُوقِظُهَا الشَّفَقَةُ.

﴿ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ ٱلْمَآءِ ﴾
فَرَدَّ الأَبُ الصَّادِقُ الوَاثِقُ بِوَعْدِ رَبِّهِ:

﴿ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ﴾

وَحَالَ بَيْنَهُمَا الموْجُ، فَكَانَ مِنَ المُغْرَقِينَ...

إِنَّهَا **مَأْسَاةُ كُلِّ أَبٍ صَالِحٍ** يَرَى أَبْنَاءَهُ يَنْحَرِفُونَ،
وَلَا يَجِدُ فِي قَلْبِهِمْ **مَوْضِعًا لِكَلِمَةِ الحَقِّ.**

وَقَدْ وَاسَى السَّلَفُ الصَّالِحُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِهَذَا المعْنَى،
كَمَا قِيلَ عَنْ **مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ** رَحِمَهُ اللهُ، أَنَّهُ بَلَغَهُ **فِعْلٌ مُشِينٌ** مِن ابْنِهِ، فَقَالَ:

"الأَدَبُ أَدَبُ اللهِ، لَا أَدَبُ الآبَاءِ وَالأُمَّهَاتِ،
وَالخَيْرُ خَيْرُ اللهِ، لَا خَيْرُ الآبَاءِ وَالأُمَّهَاتِ".

فَاعْلَمْ أَنَّ الهِدَايَةَ مِنْحَةٌ مِنَ اللهِ،
لَا يَمْلِكُهَا نَبِيٌّ، وَلَا وَلِيٌّ،
وَأَنَّ البَلَاءَ **قَدْ يَقَعُ فِي أَعَزِّ النَّاسِ إِلَى القَلْبِ،**
فَلَا تَحْزَنْ، وَلَكِنْ تَوَكَّلْ عَلَى اللهِ وَاثْبُتْ.

الصُّحْبَةُ طَرِيقٌ إِلَى الجَنَّةِ... أَوْ جِسْرٌ إِلَى جَهَنَّمَ

عن ابن عباس رضي الله عنهما:

أنَّ عُقْبَةَ بْنَ أَبِي مَعِيطٍ دَعَا النَّبِيَّ ﷺ إلى طَعَامِهِ،

فَقَالَ لَهُ ﷺ" :**لَا آكُلُ مِن طَعَامِكَ حَتَّى تَنْطِقَ بِالشَّهَادَتَيْنِ**".

فَنَطَقَ بِهَا،

لَا عَنْ إِيمَانٍ، بَلْ تَطْيِيبًا لِقَلْبِ النَّبِيِّ ﷺ،

حَتَّى يَأْكُلَ مِن طَعَامِهِ.

فَبَلَغَ ذَلِكَ صَدِيقَهُ الشَّقِيّ أَبِي بْنِ خَلْفٍ،

فَقَالَ لَهُ" :**يَا عُقْبَةُ، بَلَغَنِي أَنَّكَ أَسْلَمْتَ؟**"!

فَقَالَ لَهُ" :**لَا، إِنَّمَا قُلْتُ مَا قُلْتُ تَطْيِيبًا لِقَلْبِ مُحَمَّدٍ، لِيَأْكُلَ مِن طَعَامِي**"!

فَقَالَ أُمَيَّةُ:

"**كَلَامُكَ عَلَيَّ حَرَامٌ حَتَّى تَفْعَلَ بِمُحَمَّدٍ كَذَا وَكَذَا**"...

وَقِيلَ :**أَمَرَهُ أَنْ يَبْسُقَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَيَشْتُمَهُ!**

فَفَعَلَ الشَّقِيُّ مَا أَمَرَهُ بِهِ خَلِيلُهُ ! ابن كثير والطبري.

فَنَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى:

﴿ **وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا * يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا** ﴾ الفرقان: ٢٧-٢٨

يَوْمَ القِيَامَةِ... يَعُضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ، فَلَا تَكْفِيهِ يَدٌ وَاحِدَةٌ!

مِن شِدَّةِ الغَيْظِ، مِن شِدَّةِ النَّدَمِ،

مِن شِدَّةِ مَا فَوَّتَ مِنَ السُّبُلِ... حِينَ صَدَّهُ "فُلَانٌ" عَنِ الحَقِّ.

قال رسول الله ﷺ:

"**المَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَن يُخَالِلُ**" رواه أبو داود والترمذي

فَأَيُّ طَرِيقٍ تَسْلُكُ؟
وَأَيُّ خَلِيلٍ تَتَّخِذُ؟
وَمَن تُقَرِّبُ لِأَوْلَادِكَ؟

لَا تُلْقُوا أَبْنَاءَكُمْ لِلذِّئَابِ!
إِنَّ البِيئَةَ إِذَا فَسَدَتْ، تَسَرَّبَ الفَسَادُ إِلَى الأَبْرِيَاءِ،
فَكَمْ مِن وَلَدٍ طَاهِرٍ أَفْسَدَهُ جَلِيسُ سُوءٍ،
وَكَمْ مِن فَتَاةٍ عَفِيفَةٍ سُلِبَت فِطْرَتُهَا بِسَبَبِ صُحْبَةٍ مُلَوَّثَةٍ!
إِنَّ الوَلَدَ يَتَأَثَّرُ بِالبِيئَةِ،
وَلَكِنَّ البِنْتَ... أَشَدُّ تَأَثُّرًا،
بِمَا فُطِرَتْ عَلَيْهِ مِن رِقَّةٍ وَعَاطِفَةٍ.

فَاحْذَرُوا يَا أَوْلِيَاءَ الأُمُورِ،
لَا تَجْعَلُوا أَبْنَاءَكُمْ فَرَائِسَ سَهْلَةً لِلذِّئَابِ البَشَرِيَّةِ.

أَمَّا عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مَعِيطٍ،
فَأَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِقَتْلِهِ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ،
وَأَمَّا أُبَي بْنُ خَلْفٍ،
فَطَعَنَهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي أُحُدٍ طَعْنَةً لَمْ يَعِشْ بَعْدَهَا طَوِيلًا .. ابن كثير والطبري.

حِوَارٌ فِي الْجَنَّةِ...

يَحْكِي اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ **مَشَاهِدَ مِنْ نَعِيمِ الْجَنَّةِ،**
وَمِنْهَا مَا يَكُونُ مِنْ **مُحَاوَرَاتٍ** بَيْنَ عِبَادِهِ الْمُخْلَصِينَ،
حِينَ يَجْتَمِعُونَ فِيهَا وَيَتَسَاءَلُونَ عَنْ أَحْوَالِهِمْ فِي الدُّنْيَا وَذِكْرَيَاتِهِمْ.

فَإِذَا بِأَحَدِهِمْ يَقُولُ لِإِخْوَانِهِ: **إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ**" *الصَّافَّات: ٥١*

كَانَ يُلَازِمُنِي فِي الدُّنْيَا،
لَكِنَّهُ كَانَ **يَسْخَرُ مِنِّي،** يَنْهَانِي عَنِ الْإِيمَانِ بِالْبَعْثِ وَالْحِسَابِ،
وَيَقُولُ لِي بِاسْتِهْزَاءٍ:

"أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ؟
أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَدِينُونَ؟" *الصَّافَّات: ٥٢–٥٣*

فَيَعْرِضُ الْمُؤْمِنُ عَلَى إِخْوَانِهِ أَنْ يُشَارِكُوهُ النَّظَرَ إِلَى **مَصِيرِ هَذَا الْقَرِينِ الْكَافِرِ،**
فَيَقُولُ لَهُمْ:

"فَهَلْ أَنتُمْ مُّطَّلِعُونَ؟" *الصَّافَّات: ٥٤*

فَيَنْظُرُ مَعَهُمْ مِنْ **شُرُفَاتِ الْجَنَّةِ** أَوْ مِنَ الْأَعْرَافِ،
فَإِذَا بِصَاحِبِهِ **فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ،**
أَيْ فِي وَسَطِ النَّارِ يُعَذَّبُ،
فَيَتَأَمَّلُ الْمَوْقِفَ وَيَقُولُ:

"تَاللَّهِ إِن كِدْتَ لَتُرْدِينِ،
وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ" *الصَّافَّات: ٥٦–٥٧*

أَيْ **لَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ وَهِدَايَتُهُ، لَكُنْتُ الْيَوْمَ مَعَهُ**...

فِي ذَلِكَ الْمَصِيرِ الْأَلِيمِ! فَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى الْإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى النَّجَاةِ.

وَحِينَهَا يُذْبَحُ الْمَوْتُ،
فَيُنَادِي مُنَادٍ:

"يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، خُلُودٌ بِلَا مَوْتٍ!
وَيَا أَهْلَ النَّارِ، خُلُودٌ بِلَا مَوْتٍ"!

فَيَقُولُ هَذَا الرَّجُلُ وَمَعَهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ عَلَى سَبِيلِ التَّلَذُّذِ:

﴿ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ * إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ
إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴾ الصَّافَّات: ٥٨–٦١

فَهَذَا يَوْمُ الْحَسْرَةِ الَّذِي هُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ...

فَوَجَبَ **الْإِنْذَارُ**،
إِذْ هُمُ الْيَوْمَ فِي حَالٍ يَحْتَاجُونَ فِيهِ إِلَى مَنْ **يُوقِظُهُمْ مِنْ غَفْلَتِهِمْ**...

- **هَلْ فِي حَيَاتِكَ قَرِينٌ يُبْعِدُكَ عَنِ اللَّهِ؟**
- **أَمَا تَخْشَى أَنْ يَكُونَ الْيَوْمَ قَرِينُكَ... وَغَدًا خَصِيمُكَ فِي الْجَحِيمِ؟!**

قَالَ تَعَالَى:

﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا
يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴾ الْفُرْقَان: ٢٧–٢٨

بَرُّ الأُمِّ... طَرِيقُ الوِلَايَةِ وَالقُبُولِ

كَانَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ رضي اللهُ عنهُ، أَمِيرَ المؤْمِنِينَ، يَبْحَثُ عن رَجُلٍ لَيْسَ نَبِيًّا وَلَا صَحَابِيًّا، لَكِنَّهُ عَظِيمٌ عِندَ اللهِ، يُدْعَى:

أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ مِنْ أَهْلِ اليَمَنِ.

فَلَمَّا جَاءَ وَفْدُ اليَمَنِ فِي الحَجِّ، قَالَ عُمَرُ:

"أَفِيكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ؟"

حَتَّى وَجَدَهُ، فَقَالَ لَهُ:

"أَأَنْتَ أُوَيْسٌ؟ كَانَ بِكَ بَرَصٌ فَشَفَاكَ اللهُ؟"

قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ" :**لَكَ وَالِدَةٌ؟"**

قَالَ: نَعَمْ.

فَقَالَ عُمَرُ رضي الله عنهُ، وَالْقُلُوبُ تَرْجُفُ مِنَ المَهَابَةِ:

"اِسْتَغْفِرْ لِي يَا أُوَيْسُ"!

قَالَ أُوَيْسُ فِي دَهْشَةٍ:

"أَسْتَغْفِرُ لَكَ وَأَنْتَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ؟"!

قَالَ عُمَرُ:

"إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ:

"يَأْتِيكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ مِنَ اليَمَنِ، كَانَ بِهِ بَرَصٌ فَشَفَاهُ اللهُ، كَانَ لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَارٌّ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لأَبَرَّهُ... فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ فَافْعَلْ." *رواه الترمذي والنسائي*

فَاسْتَغْفَرَ لَهُ أُوَيْسُ، **ثُمَّ اخْتَفَى عَنِ النَّاسِ حَتَّى لَا يُفْتَنَ بِالْمَدْحِ أَوِ الشُّهْرَةِ.**

وَمَا بَلَغَ أُوَيْسُ تِلْكَ المَنْزِلَةَ بِالْجَاهِ، وَلَا الْمَالِ، وَلَا العِلْمِ الظَّاهِرِ،

بَلْ بَلَغَهَا بِشَيْءٍ يُغْفَلُ عَنْهُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ:

بَرُّ أُمِّهِ!

ذَلِكَ البَرُّ الَّذِي يُمْحَى بِهِ الذَّنْبُ، وَيُرْفَعُ بِهِ الدُّعَاءُ، وَيُقْبَلُ بِهِ عِنْدَ اللهِ.

وَقَدْ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَشْكُو ذَنْبًا عَظِيمًا، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ:

"هَلْ لَكَ مِنْ أُمٍّ؟"

قَالَ: لَا.

قَالَ" :**هَلْ لَكَ مِنْ خَالَةٍ؟"**

قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ" :**فَبِرَّهَا** ". رواه البخاري ومسلم

بَرُّ الأُمِّ طَرِيقٌ عَظِيمٌ، لَا يُزَاحِمُهُ عَمَلٌ،

وَقَدْ جَعَلَهُ اللهُ مِنْ أَعْلَى الحُقُوقِ بَعْدَ التَّوْحِيدِ:

﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ الإسراء: ٢٣

وَمِنْ قَصَّرَ فِي حَيَاةِ وَالِدَيْهِ، فَالْبَابُ لَا يَزَالُ مَفْتُوحًا...

سَأَلَهُ رَجُلٌ:

"هَلْ بَقِيَ مِنْ بَرِّ أَبَوَيَّ شَيْءٌ أَبَرُّهُمَا بِهِ بَعْدَ مَوْتِهِمَا؟"

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

"نَعَمْ: الدُّعَاءُ لَهُمَا، وَالِاسْتِغْفَارُ لَهُمَا، وَإِنْفَاذُ عَهْدِهِمَا، وَإِكْرَامُ صَدِيقِهِمَا، وَصِلَةُ الرَّحِمِ الَّتِي لَا تُوصَلُ إِلَّا بِهِمَا ". رواه مسلم

- لَوْ أَنَّكَ بَرَرْتَ أُمَّكَ، وَأَخْلَصْتَ النِّيَّةَ لِلَّهِ،
- بَلَغْتَ عِنْدَهُ مَا لَمْ تَبْلُغْهُ بِجِهَادٍ أَوْ سَفَرٍ...
- " وَلَوْ أَقْسَمَتْ عَلَى اللهِ لأَبَرَّكَ"!

الْوَلِيمَةُ فِي هَدْيِ السَّلَفِ:
بَسَاطَةٌ فِي الْفَرَحِ، وَسُنَّةٌ فِي الْإِجَابَةِ، وَرَحْمَةٌ بِالْفُقَرَاءِ

لَمَّا قَدِمَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الْمَدِينَةَ، آخَى النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَهُ وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ، فَقَالَ لَهُ سَعْدٌ:

"أَنَا أَكْثَرُ الْأَنْصَارِ مَالًا، فَأَقْسِمُ لَكَ نِصْفَ مَالِي، وَانْظُرْ أَيَّ زَوْجَتِي شِئْتَ أُطَلِّقَهَا، فَإِذَا انْقَضَتْ عِدَّتُهَا تَزَوَّجْتَهَا".

فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ:

"بَارَكَ اللهُ لَكَ فِي مَالِكَ وَأَهْلِكَ، دُلَّنِي عَلَى السُّوقِ".

فَذَهَبَ يَعْمَلُ بِيَدِهِ، حَتَّى فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ، ثُمَّ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَعَلَيْهِ أَثَرُ صَفْرَةٍ (مِنْ أَثَرِ الطِّيبِ)، فَقَالَ لَهُ ﷺ:

"مَا هَذَا؟"

قَالَ: "تَزَوَّجْتُ امْرَأَةً".

قَالَ: "كَمْ سُقْتَ إِلَيْهَا؟"

قَالَ: "نَوَاةٌ مِنْ ذَهَبٍ".

فَقَالَ لَهُ ﷺ:

"أَوْلِمْ وَلَوْ بِشَاةٍ ". رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ

فَاسْتَجَابَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ لِأَمْرِ النَّبِيِّ ﷺ، وَذَبَحَ شَاةً، وَأَقَامَ وَلِيمَةً مُتَوَاضِعَةً،

وَدَعَا إِلَيْهَا فُقَرَاءَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَكَانَ فِيهِمْ مَن لَا يَمْلِكُ قُوتَ يَوْمِهِ، وَلَمْ يَخُصَّ بِهَا الْأَغْنِيَاءَ.

وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

"شَرُّ الطَّعَامِ طَعَامُ الْوَلِيمَةِ؛ يُدْعَى إِلَيْهَا مَن يَأْبَاهَا وَهُمْ الْأَغْنِيَاءُ، وَيُمْنَعُهَا مَن يَأْتِيهَا وَهُمْ الْفُقَرَاءُ ". رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ

عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:
"إِذَا دُعِيَ أَحَدُكُمْ إِلَى الْوَلِيمَةِ فَلْيَأْتِهَا، عُرْسًا كَانَ أَوْ مَا يَشْبِهُهُ، وَمَنْ لَمْ يَأْتِ الدَّعْوَةَ فَقَدْ عَصَى اللهَ وَرَسُولَهُ ". رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ

وَفِي حَدِيثِ جَابِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:
"إِذَا دُعِيَ أَحَدُكُمْ إِلَى طَعَامٍ، فَلْيُجِبْ، فَإِنْ شَاءَ طَعِمَ، وَإِنْ شَاءَ تَرَكَ ". رَوَاهُ مُسْلِمٌ

كَانَ الْإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ شَهَابِ الزُّهْرِيِّ – أَحَدُ كِبَارِ التَّابِعِينَ – مُنْشَغِلًا يَوْمًا فِي كِتَابَةِ الْعِلْمِ،
فَجَاءَهُ مَن يَدْعُوهُ إِلَى وَلِيمَةٍ، فَتَرَكَ مَا بِيَدِهِ، وَقَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ:
"نَحْنُ نُجِيبُ الدَّعْوَةَ نُرِيدُ بِهَا وَجْهَ اللهِ، لَا نُرِيدُ بِهَا طَعَامًا".
فَذَهَبَ إِلَى الدَّعْوَةِ تَوَاضُعًا، وَحِرْصًا عَلَى السُّنَّةِ، وَمُشَارَكَةً لِلْمُسْلِمِينَ أَفْرَاحَهُمْ،
وَلَمْ يَكُنْ حُضُورُهُ لِأَجْلِ لَذَّةٍ أَوْ مَظْهَرٍ، بَلْ تَطْبِيقًا عَمَلِيًّا لِلْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ.

وَكَذَلِكَ الْإِمَامُ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ، دُعِيَ إِلَى وَلِيمَةٍ وَهُوَ صَائِمٌ،
فَقَالَ لَهُ مَن حَوْلَهُ:
"يَا أَبَا سَعِيدٍ، أَنْتَ صَائِمٌ، فَلِمَ لَمْ تُجِبِ الدَّعْوَةَ؟"
فَقَالَ:
"نَعَمْ، وَلَكِنِّي أُجِيبُهَا اتِّبَاعًا لِسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلَوْ كُنْتُ لَا آكُلُ".
فَذَهَبَ، وَحَضَرَ الْوَلِيمَةَ، وَجَلَسَ مَعَهُمْ، وَلَمْ يَأْكُلْ شَيْئًا،
وَلَكِنَّهُ أَكْرَمَهُمْ بِزِيَارَتِهِ، وَدَعَا لَهُمْ، وَأَدْخَلَ السُّرُورَ عَلَيْهِمْ.

خِلَاصَةُ الْقَوْلِ:

- **الْوَلِيمَةُ عِنْدَ السَّلَفِ بَسَاطَةٌ لَا إِسْرَافَ فِيهَا.**
- **وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ عِبَادَةٌ وَقُرْبَةٌ.**
- **وَإِكْرَامُ الْفُقَرَاءِ فِيهَا رَحْمَةٌ وَاتِّبَاعٌ لِلسُّنَّةِ.**

ٱلْمِيرَاثُ.. وَصِيَّةُ ٱللَّهِ لَا يُسْتَهَانُ بِهَا

جاءَتِ ٱمْرَأَةُ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ بِٱبْنَتَيْهَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَتْ:
يَا رَسُولَ اللهِ، هَتَانِ ٱبْنَتَا سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ، قُتِلَ أَبُوهُمَا مَعَكَ يَوْمَ أُحُدٍ شَهِيدًا، وَإِنَّ عَمَّهُمَا أَخَذَ مَالَهُمَا، فَلَمْ يَدَعْ لَهُمَا مَالًا، وَلَا تُنْكَحَانِ إِلَّا وَلَهُمَا مَالٌ.
فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ" :**يَقْضِي اللهُ فِي ذَلِكَ.**"
فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى آيَةَ ٱلْمِيرَاثِ:
﴿**يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنْثَيَيْنِ...**﴾ *ٱلنِّسَاء: ١١*
فَبَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى عَمِّهِمَا، فَقَالَ:
"**أَعْطِ ٱبْنَتَيِ سَعْدٍ ٱلثُّلُثَيْنِ، وَأُمَّهُمَا ٱلثُّمُنَ، وَمَا بَقِيَ فَهُوَ لَكَ**" . *أخرجه أبو داود*

فَٱلْمِيرَاثُ هُوَ وَصِيَّةُ ٱللَّهِ لِعِبَادِهِ، وَوَصِيَّةُ ٱللَّهِ أَوْلَى أَنْ تُنَفَّذَ.

وَمَنْ يَتَأَمَّلْ فِي فَرَائِضِ ٱلْإِسْلَامِ يَرَ أَمْرًا مُلْفِتًا:
فَٱللَّهُ تَعَالَى فَرَضَ عَلَيْنَا ٱلصَّلَاةَ، وَلَمْ يُبَيِّنْ عَدَدَ رَكَعَاتِهَا فِي ٱلْقُرْآنِ، بَلْ تَرَكَهَا لِبَيَانِ نَبِيِّهِ ﷺ، وَكَذَلِكَ ٱلزَّكَاةُ.
أَمَّا ٱلْمِيرَاثُ، فَقَدْ شَرَعَ ٱللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَحْكَامَهُ بِنَفْسِهِ، وَفَصَّلَهَا تَفْصِيلًا، وَبَيَّنَ نَصِيبَ كُلِّ وَارِثٍ، وَلَمْ يَتْرُكْ أَمْرَ تَوْزِيعِهِ لِأَحَدٍ مِنَ ٱلْبَشَرِ، حَتَّى لِرَسُولِهِ ﷺ.

وَمِنَ ٱلْمُؤْسِفِ أَنَّ ٱلْقَانُونَ ٱلْمَدَنِيَّ فِي بَعْضِ ٱلْبُلْدَانِ يُقِرُّ ٱلْمِيرَاثَ وَيُطَبِّقُ أَحْكَامَ ٱلشَّرِيعَةِ فِيهِ، بَيْنَمَا بَعْضُ ٱلْأَفْرَادِ ٱلَّذِينَ يَدَّعُونَ أَنَّهُمْ أَتْبَاعُ ٱلْإِسْلَامِ، هُمُ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَهُ وَيَتَعَدَّوْنَ حُدُودَهُ!

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَى:
﴿**يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ**﴾ *ٱلْأَنْفَال: ٢٤*

فَمِنْ حَقِّ ٱلْمَرْأَةِ أَنْ تَتَعَبَّدَ ٱللَّهَ بِمَالِهَا كَمَا يَفْعَلُ ٱلرَّجُلُ، مِنْ خِلَالِ إِنْفَاقِهِ فِي وُجُوهِ ٱلْخَيْرِ، وَلَكِنْ تُحْرَمُ مِنْ ذَلِكَ إِمَّا بِٱلْقَسْرِ أَوْ بِٱلتَّخْجِيلِ!

وَيُسْتَذْكَرُ هُنَا ٱلْحَدِيثُ ٱلنَّبَوِيُّ ٱلشَّرِيفُ:

"مَا أُخِذَ بِسَيْفِ ٱلْحَيَاءِ فَهُوَ حَرَامٌ ." رواه البيهقي

فَيَا مَنْ تَأْكُلُ ٱلْمِيرَاثَ، لَا تَظُنَّ أَنَّ فِيهِ ٱلْغِنَى، بَلْ هُوَ ٱلْإِفْلَاسُ ٱلْحَقِيقِيُّ!

ٱنْظُرْ إِلَى نَفْسِكَ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ، حَيْثُ تَكُونُ مِنَ ٱلْمُفْلِسِينَ، وَإِنْ أَتَيْتَ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَحَجٍّ!

وَٱعْلَمْ – يَا مَنْ أَكَلْتَ حَقَّ أُخْتِكَ – أَنَّكَ سَتُطَوَّقُ بِهِ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ.

وَلَوْ ظَلَمْتَهَا دِينَارًا فَسَيَكُونُ عَلَيْكَ نَارًا، وَإِنْ ظَلَمْتَهَا شِبْرًا مِنْ أَرْضٍ، فَسَيُطَوَّقُ حَوْلَ عُنُقِكَ نَارًا مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ!

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

"مَنْ ظَلَمَ قِيدَ شِبْرٍ مِنَ ٱلْأَرْضِ، طُوِّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ ." رواه البخاري ومسلم

المَرْأَةُ فِي الإِسْلَامِ: كَرَامَةٌ، مَكَانَةٌ، وَقُدْوَةٌ

رُوِيَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَأَلَ عَنِ الْمَرْأَةِ السَّمْرَاءِ الَّتِي كَانَتْ تُنَظِّفُ الْمَسْجِدَ، فَلَمَّا أَخْبَرُوهُ أَنَّهَا مَاتَتْ،
قَالَ:"**أَفَلَا كُنْتُمْ آذَنْتُمُونِي؟**" رواه البخاري،
أَي: لِمَاذَا لَمْ تُعَلِّمُونِي بِمَوْتِهَا؟ فَقَالُوا: كَرِهْنَا أَنْ نُوقِظَكَ لَيْلًا.
فَذَهَبَ ﷺ إِلَى قَبْرِهَا، وَصَلَّى عَلَيْهَا، **تَكْرِيمًا لَهَا وَلِمَكَانَتِهَا**.

وَلَقَدْ كَرَّمَ الإِسْلَامُ الْمَرْأَةَ بِنْتًا، أُخْتًا، زَوْجَةً، وَأُمًّا، وَجَعَلَهَا عِرْضًا يَجِبُ أَنْ يُصَانَ، وَنَفْسًا يَجِبُ أَنْ تُحْتَرَمَ،
وَحَثَّ الرِّجَالَ عَلَى رِعَايَتِهَا، وَحِمَايَتِهَا، وَالإِحْسَانِ إِلَيْهَا.
وَقَدَّمَهَا اللهُ فِي الذِّكْرِ عَلَى الذَّكَرِ، فَقَالَ:
﴿**يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ**﴾ الشورى: ٤٩،
وَفِي ذَلِكَ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ الإِنَاثَ هِبَةٌ إِلَهِيَّةٌ عَظِيمَةٌ،
وَلَيْسَتْ كَمَا كَانَتْ تُعَدُّ فِي الْجَاهِلِيَّةِ نَقْمَةً أَوْ عَارًا.

فَاطِمَةُ الزَّهْرَاءُ رضي الله عنها، ابْنَتُهُ الحَبِيبَةُ، كَانَ إِذَا دَخَلَتْ عَلَيْهِ:

- **قَامَ لَهَا،**
- **قَبَّلَ رَأْسَهَا،**
- **وَأَجْلَسَهَا فِي مَجْلِسِهِ** رواه أبو داود.

وأَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ، كَانَ لَهَا دَوْرٌ عَظِيمٌ فِي الهِجْرَةِ، تَحْمِلُ الزَّادَ، وَتُنَقِّلُ الْأَخْبَارَ،
وَتَضْرِبُ أَرْوَعَ الْأَمْثِلَةِ فِي **الشَّجَاعَةِ وَالْوَفَاءِ**.

وَأُمُّ عَمَارَةَ، الْمُجَاهِدَةُ فِي غَزْوَةِ أُحُدٍ، أُصِيبَتْ وَهِيَ تَدَافِعُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ،
فَقَالَ لَهَا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ:
"**مَقَامُكِ خَيْرٌ مِنْ مَقَامِ فُلَانٍ وَفُلَانٍ** ".رواه الطبراني

فَلَقَدْ شَارَكَتِ النِّسَاءُ فِي الإِسْلَامِ فِي الْمَيْدَانِ، وَالْبُيُوتِ، وَمَجَالِسِ الْعِلْمِ، وَمَوَاقِفِ الْفِدَاءِ.

فَيُرِيدُ الْغَرْبُ تَحْرِيفَ الْمَفَاهِيمِ تَحْتَ شِعَارِ "حُقُوقِ الْمَرْأَةِ"،
يُرِيدُ الْغَرْبُ أَنْ يَفْرِضَ نَمُوذَجَهُ الْمُشَوَّهَ لِلْمَرْأَةِ تَحْتَ مَسَمَّى "الْحُرِّيَّةِ"،
حُرِّيَّةً تنزعُ مِنْهَا كَرَامَتَهَا كَأُمٍّ، وَتُحَطِّمُ أُنُوثَتَهَا كَزَوْجَةٍ،
وَتُحَطِّمُ الْأُسْرَةَ لِتَحِلَّ مَحَلَّهَا الْفَوْضَى وَالْعَلَاقَاتِ الْعَابِرَةِ، حَيْثُ:

- تَشْتَهِي الْمَرْأَةُ مَن تَشَاءُ،
- وَيَجْتَمِعُ الرَّجُلُ بِمَن يُرِيدُ،
- **وَتُسْلَبُ الْمَرْأَةُ مِنْ أَعْظَمِ نِعَمِهَا: الْأُمُومَةُ، وَالِاسْتِقْرَارُ، وَالْعِفَّةُ.**

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ" :**النِّسَاءُ شَقَائِقُ الرِّجَالِ** "رواه أبو داود،
أَي :**لَهُنَّ مَكَانَةٌ وَشَرَاكَةٌ فِي الْفَضْلِ وَالْمَكَانِ، لَا تَبَعِيَّةَ وَلَا دُونِيَّةَ.**

وَقَالَ ﷺ" :**لَا يُكْرِمُهُنَّ إِلَّا كَرِيمٌ، وَلَا يُهِينُهُنَّ إِلَّا لَئِيمٌ** ".*رواه ابن عساكر*

وَكَانَ مِنْ آخِرِ وَصَايَاهُ ﷺ قَبْلَ أَنْ يُفَارِقَ الدُّنْيَا:
"**الصَّلَاةَ الصَّلَاةَ، وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ، وَاللهَ اللهَ فِي النِّسَاءِ** ."*رواه ابن ماجه*

هِيَ قُدْوَةٌ فِي الْخَيْرِ، مَصُونَةٌ فِي عِزٍّ، وَفَاعِلَةٌ فِي نَهْضَةِ الْأُمَّةِ.
لَا سِلْعَةٌ تُعْرَضُ، وَلَا وَسِيلَةٌ تُسْتَغَلُّ، بَلْ نَفْسٌ حُرَّةٌ مُكَرَّمَةٌ.

كُونِي كَمَا أَرَادَكِ الإِسْلَامُ... سَامِيَةً بِقِيَمِكِ، مَرْفُوعَةً بِكَرَامَتِكِ، عَزِيزَةً بِدِينِكِ.

حينَ تُنادي القلوبُ المؤمنةُ ابنَها الضالَّ... ولا يُجيب!

قَالَ تَعالى:

﴿ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ الأحقاف: ١٧

هذا ٱلابْنُ ٱلْعَاقُّ لَيْسَ لَهُ ٱسْمٌ مَعْلُومٌ، لِيَكُونَ رَمْزًا لِكُلِّ مَنْ قَالَ فِعْلَهُ وَقَوْلَهُ فِي كُلِّ زَمَانٍ.
كَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ، يَذُوبَانِ حُزْنًا وَخَوْفًا عَلَيْهِ، يَدْعُوَانِهِ إِلَى الإِيمَانِ، وَيَرْجُوَانِ لَهُ ٱلنَّجَاةَ...
وَهُوَ، بِكُلِّ جَفَاءٍ وَقَسْوَةٍ، يَصْرُخُ فِيهِمَا:

"أُفٍّ لَكُمَا"!

كَذَّبَ ٱلْبَعْثَ، وَسَخِرَ مِنَ ٱلْوَعْدِ، وَقَالَ:

"مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ "!تفسير ابن كثير

فَلَا أَعْظَمَ مِنْ عَذَابِ ٱلْوَالِدَيْنِ حِينَ يَرَيَانِ وَلَدَهُمَا يَسْلُكُ دَرْبَ جَهَنَّمَ... وَهُمَا عَاجِزَانِ!

فَالتَّرْبِيَةُ مَسْؤُولِيَّةٌ عَظِيمَةٌ.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:
"كَفَى بِٱلْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَقُوتُ ".رواه أبو داود

فَلَا أَنْ تَتْرُكُوهُمْ لِلضَّيَاعِ، ثُمَّ تَبْكُوا ٱلنَّدَمَ!

لَقَدْ أَخْبَرَ ٱلنَّبِيُّ ﷺ عَنْ ٱمْرَأَةٍ أَرْمَلَةٍ، رَفَضَتِ ٱلزَّوَاجَ بَعْدَ زَوْجِهَا، لِمَاذَا؟
قَالَ ﷺ:

"فَإِذَا ٱمْرَأَةٌ تُنَازِعُنِي لِتَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ قَبْلِي،
فَقُلْتُ: مَنْ هَذِهِ يَا جِبْرِيلُ؟
قَالَ: هِيَ ٱمْرَأَةٌ مَاتَ زَوْجُهَا، وَتَرَكَ لَهَا أَوْلَادًا، فَأَبَتِ ٱلزَّوَاجَ لِأَجْلِهِمْ." رواه أحمد

لِأَجْلِ تَرْبِيَةِ أَوْلَادِهَا تَرْبِيَةً صَالِحَةً، فَٱسْتَحَقَّتِ ٱلْجَنَّةَ.

فَلَا تَكُنْ سَبَبًا فِي ضَيَاعِ وَلَدِكَ، ثُمَّ تَتَحَسَّرَ حِينَ لَا يَنْفَعُ ٱلنَّدَمُ.

كَانَ بَعْضُ ٱلصَّالِحِينَ يَخْشَى أَنْ يَطْلُبَ شَيْئًا مِنْ وَلَدِهِ فَيَعْصِيهِ،
فَيَكُونَ بِذَلِكَ قَدْ أَوْقَعَهُ فِي ٱلْعُقُوقِ!

وَإِذَا ضَاقَتْ بِكَ ٱلسُّبُلُ، وَوَجَدْتَ نَفْسَكَ عَاجِزًا عَنْ إِصْلَاحِهِمْ، فَٱفْعَلْ كَمَا عَلَّمَنَا ٱلْقُرْآنُ:

"فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ"

وَٱرْفَعُوا أَكُفَّ ٱلضَّرَاعَةِ إِلَى ٱللَّهِ، وَقُولُوا:

ٱللَّهُمَّ إِنَّا قَدْ عَجَزْنَا عَنْ تَأْدِيبِ أَوْلَادِنَا، فَأَدِّبْهُمْ لَنَا،
وَلَٰكِنْ لَا تَدْعُوا عَلَيْهِمْ، فَيَسْتَحِقُّوا سَخَطَ ٱللَّهِ تَعَالَى.

فَقَدْ قَالَ ﷺ:

"ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ لَا تُرَدُّ:
دَعْوَةُ ٱلْوَالِدِ عَلَى وَلَدِهِ،
وَدَعْوَةُ ٱلْمَظْلُومِ،
وَدَعْوَةُ ٱلْمُسَافِرِ ". رواه الترمذي

ٱخْتِيَارُ ٱلزَّوْجَةِ ٱلصَّالِحَةِ

كَانَ لِعَبْدِ ٱللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ **أَمَةٌ سَوْدَاءُ**، وَفِي يَوْمٍ **غَضِبَ عَلَيْهَا فَلَطَمَهَا**، **ثُمَّ فَزِعَ قَلْبُهُ** وَنَدِمَ عَلَى فِعْلِهِ.

فَأَسْرَعَ إِلَى ٱلنَّبِيِّ ﷺ **يَشْكُو إِلَيْهِ مَا صَنَعَ**، طَالِبًا ٱلرَّأْيَ وَٱلْمَغْفِرَةَ.

فَقَالَ لَهُ ٱلنَّبِيُّ ﷺ:

"مَا هِيَ يَا عَبْدَ ٱللَّهِ؟"
أَيْ: مَا حَالُهَا وَدِينُـهَا؟

فَأَجَابَهُ عَبْدُ ٱللَّهِ:

"يَا رَسُولَ ٱللَّهِ، إِنَّهَا تَصُومُ، وَتُصَلِّي، وَتُحْسِنُ ٱلْوُضُوءَ، وَتَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ، وَأَنَّكَ رَسُولُ ٱللَّهِ".

فَقَالَ لَهُ ٱلنَّبِيُّ ﷺ:

"يَا عَبْدَ ٱللَّهِ، هَذِهِ مُؤْمِنَةٌ".

فَرَقَّ قَلْبُ عَبْدِ ٱللَّهِ، وَٱهْتَزَّ وِجْدَانُهُ، وَقَالَ:

"فَوَٱلَّذِي بَعَثَكَ بِٱلْحَقِّ نَبِيًّا، لَأُعْتِقَنَّهَا، وَلَأَتَزَوَّجَنَّهَا".
وَفَعَلَ.

وَلَٰكِنْ **بَعْضُ ٱلنَّاسِ لَمْ يُعْجِبْهُمْ ذَٰلِكَ**، فَطَعَنُوا عَلَيْهِ، وَقَالُوا:

"نَكَحَ أَمَةً"! *ابن كثير، اسانيد بن عباس*

وَكَانُوا هُمْ يَطْمَعُونَ فِي ٱلزَّوَاجِ مِنْ **مُشْرِكَاتٍ جَمِيلَاتٍ** لِحَسَبِهِنَّ وَنَسَبِهِنَّ، لَا لِدِينِهِنَّ.

فَأَنْزَلَ ٱللَّهُ تَعَالَى فِي ذَٰلِكَ:

﴿ **وَلَأَمَةٌ مُّؤۡمِنَةٌ خَيۡرٌ مِّن مُّشۡرِكَةٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ** ﴾ سورة البقرة: ٢٢١

وَفِي ٱلْحَدِيثِ ٱلشَّرِيفِ، تَثْبِيتٌ لِهَٰذَا ٱلْمِيزَانِ:

قَالَ ﷺ:

"تُنْكَحُ ٱلْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ:
لِمَالِهَا، وَلِحَسَبِهَا، وَلِجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذَاتِ ٱلدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ". رواه البخاري ومسلم

فَٱلْمَالُ وَٱلْحَسَبُ وَٱلْجَمَالُ وَٱلدِّينُ هِيَ ٱلْأُمُورُ ٱلَّتِي **ٱعْتَادَ كَثِيرٌ مِنَ ٱلنَّاسِ ٱعْتِبَارَهَا** فِي ٱلزَّوَاجِ، وَجَرَتْ عَادَتُهُمْ بِتَحَرِّي هَذِهِ ٱلْخِصَالِ وَتَأْخِيرِ ٱلدِّينِ.

فَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ ﷺ **مَا يَنْبَغِي أَنْ يَظْفَرُوا بِهِ**، وَهُوَ:
ذَاتُ ٱلدِّينِ.

"فَإِنْ لَمْ تَظْفَرْ بِذَاتِ ٱلدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ"
أَيْ: ٱفْتَقَرْتَ إِنْ لَمْ تَنْشُدْ ذَاتَ ٱلدِّينِ.

وَقَدْ حَذَّرَ ٱلرَّسُولُ ﷺ مِنَ ٱلِٱعْتِمَادِ عَلَى ٱلْجَمَالِ وَٱلْمَالِ فَقَطْ، فَقَالَ ﷺ:

"لَا تَزَوَّجُوا ٱلنِّسَاءَ لِحُسْنِهِنَّ، فَعَسَىٰ حُسْنُهُنَّ أَنْ يُرْدِيَهُنَّ،
وَلَا تَزَوَّجُوهُنَّ لِأَمْوَالِهِنَّ، فَعَسَىٰ أَمْوَالُهُنَّ أَنْ تُطْغِيَهُنَّ،
وَلَٰكِنْ تَزَوَّجُوهُنَّ عَلَى ٱلدِّينِ،
وَلَأَمَةٌ خَرْمَاءُ سَوْدَاءُ ذَاتُ دِينٍ أَفْضَلُ". رواه ابن ماجه وغيره

وَقَدْ تُصْبِحُ ٱلْمَرْأَةُ ٱلْعَادِيَّةُ فِي **غَايَةِ ٱلْجَمَالِ**، مَعَ **جَمَالِ ٱلنَّفْسِ** وَحُسْنِ ٱلطِّبَاعِ وَٱلْأَخْلَاقِ.

وَلَا يَحِقُّ لِأَحَدٍ أَنْ يَطْعَنَ فِي **ٱخْتِيَارِ مَنْ ٱرْتَبَطْتَ بِهِ** بِسَبَبِ لَوْنٍ أَوْ مَنْصِبٍ،
فَـ**ٱلْإِيمَانُ وَٱلتَّقْوَىٰ** أَوْلَىٰ

الْمَرْأَةُ فِي مِيزَانِ الشَّرْعِ: شَرِيكَةٌ فِي الْأَجْرِ وَالْفَضْلِ

جاءَتِ امْرَأَةٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَتْ:

"يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْجِهَادَ عَلَى الرِّجَالِ، فَإِنْ يُصِيبُوا أُجِرُوا، وَإِنْ قُتِلُوا فَهُمْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ، وَنَحْنُ نَقُومُ عَلَى شُؤُونِهِمْ، فَمَا لَنَا فِي ذَلِكَ؟"

فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ:

"أَبْلِغِي مَنْ لَقِيتِ مِنَ النِّسَاءِ أَنَّ طَاعَةَ الزَّوْجِ وَاعْتِرَافًا بِحَقِّهِ، يَعْدِلُ ذَلِكَ، وَقَلِيلٌ مِنْكُنَّ يَفْعَلُهُ".

رَوَاهُ الْبَزَّارُ وَالطَّبَرَانِيُّ

فَفِي هَذَا الْحَدِيثِ رَفْعٌ لِشَأْنِ الْمَرْأَةِ،
وَبَيَانٌ أَنَّ الْأَجْرَ وَالْفَضْلَ لَا يَخْتَصُّ بِالرِّجَالِ فَحَسْبُ،
وَإِنَّمَا يُعْطَى كُلٌّ بِحَسَبِ عَمَلِهِ وَتَفَانِيهِ فِيمَا أُمِرَ بِهِ.

الْمَرْأَةُ حِينَ تُؤَدِّي مَا عَلَيْهَا مِنْ طَاعَةٍ لِرَبِّهَا، وَإِعَانَةٍ لِزَوْجِهَا، وَتَرْبِيَةٍ لِأَبْنَائِهَا، تُشَارِكُ الْمُجَاهِدَ فِي أَجْرِهِ وَإِنْ لَمْ تَحْمِلْ سِلَاحًا.

كَمَا يُرْوَى أَنَّ أُمَّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ:

"يَا رَسُولَ اللهِ، يُغْزَى الرِّجَالُ وَلَا نَغْزُو، وَلَنَا نِصْفُ الْمِيرَاثِ؟ "![تفسير ابن كثير]

وَكَانَ فِي ذَلِكَ تَعْبِيرٌ عَنْ رَغْبَةِ النِّسَاءِ فِي نَيْلِ مَزِيدٍ مِنَ الْأَجْرِ، لِمَا يَرَيْنَهُ مِنْ فَضْلِ الْجِهَادِ.

فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى:

﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ ۚ وَاسْأَلُوا اللهَ مِنْ فَضْلِهِ ۗ إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [النساء: ٣٢]

فَلَا يَنبَغِي أَنْ يَتَمَنَّى الرَّجُلُ أَنْ يَكُونَ امْرَأَةً، وَلَا الْمَرْأَةُ أَنْ تَكُونَ رَجُلًا.
فَالْإِسْلَامُ لَا يُفَاضِلُ بَيْنَ الرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ بِالْجِنْسِ، بَلْ بِالتَّقْوَى وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ،
فَلِكُلٍّ مُهِمَّةٌ، وَلِكُلٍّ دَوْرٌ، وَلِكُلٍّ أَجْرٌ بِحَسَبِ نِيَّتِهِ وَسَعْيِهِ.

فَقَدْ قَالَ تَعَالَى:

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ النحل: ٩٧

وَفِي الْحَدِيثِ:

"إِنَّمَا النِّسَاءُ شَقَائِقُ الرِّجَالِ " رواه أحمد وأبو داود

وَأَيًّا كَانَ سَبَبُ نُزُولِ الْآيَةِ، فَإِنَّ الْعَاقِلَ لَا يَتَمَنَّى أَنْ يَكُونَ عَلَى خِلَافِ مَا خَلَقَهُ اللهُ عَلَيْهِ، لِأَنَّ السَّعَادَةَ وَالرِّضَا فِي الْقَبُولِ وَالتَّسْلِيمِ، وَفِي أَدَاءِ الدَّوْرِ الَّذِي شُرِّفَ بِهِ الْإِنْسَانُ، رَجُلًا كَانَ أَوِ امْرَأَةً.

وَقَدْ صَدَقَ اللهُ إِذْ قَالَ:

﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ﴾ آل عمران: ٣٦

وَقَالَ ﷺ:

"اعْمَلُوا، فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ ". رواه البخاري ومسلم

قِصَّةُ بَشِيرِ بْنِ سَعْدٍ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْعَدْلِ بَيْنَ الْأَبْنَاءِ

جَاءَ رَجُلٌ يُدْعَى **بَشِيرُ بْنُ سَعْدٍ الْأَنْصَارِيُّ** إِلَى النَّبِيِّ ﷺ،
يَحْمِلُ فِي قَلْبِهِ رَغْبَةً فِي تَكْرِيمِ أَحَدِ أَبْنَائِهِ.
كَانَ بَشِيرٌ قَدْ قَرَّرَ أَنْ يُمْنِحَ ابْنَهُ **النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ** عَطِيَّةً خَاصَّةً، تَمْيِيزًا لَهُ دُونَ إِخْوَتِهِ،
فَحَمَلَهُ ذَلِكَ عَلَى أَنْ يَذْهَبَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ لِيُشْهِدَهُ عَلَى تِلْكَ الْعَطِيَّةِ.

فَلَمَّا وَقَفَ بَيْنَ يَدَيْ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ لَهُ:
"يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي نَحَلْتُ (أَعْطَيْتُ) **ابْنِي هَذَا غُلَامًا، وَأَرَدْتُ أَنْ تُشْهِدَ عَلَى ذَلِكَ"**.
فَسَأَلَهُ النَّبِيُّ ﷺ سُؤَالًا دَقِيقًا يَكْشِفُ مَوْضِعَ الْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ، فَقَالَ:
"أَكُلَّ وَلَدِكَ نَحَلْتَ مِثْلَ هَذَا؟"
أَيْ: هَلْ أَعْطَيْتَ أَبْنَاءَكَ الْآخَرِينَ كَمَا أَعْطَيْتَ النُّعْمَانَ؟

فَأَجَابَهُ بَشِيرٌ بِصِدْقٍ:
"لَا، يَا رَسُولَ اللهِ".
فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ بِكَلِمَاتٍ حَازِمَةٍ:
"فَاذْهَبْ فَأَشْهِدْ عَلَى هَذَا غَيْرِي، فَإِنِّي لَا أَشْهَدُ عَلَى جَوْرٍ". رواه البخاري ومسلم

لِأَنَّ التَّمْيِيزَ بَيْنَ الْأَبْنَاءِ ظُلْمٌ، وَلَوْ كَانَ عَلَى هَيْئَةِ هَدِيَّةٍ،
وَالْعَدْلُ فِي الْعَطَاءِ أَسَاسُ الْمَحَبَّةِ وَالِاسْتِقْرَارِ فِي الْبُيُوتِ.

وَمِمَّا تَجْدُرُ الإِشَارَةُ إِلَيْهِ :

لَا يَنْبَغِي لِلْأَبِ أَنْ يُوَزِّعَ تَرِكَتَهُ عَلَى وَرَثَتِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ؛ لِأَنَّ الْمِيرَاثَ مَا سُمِّيَ مِيرَاثًا إِلَّا لِتَوْزِيعِهِ بَعْدَ الْوَفَاةِ، أَمَّا قَبْلَ الْوَفَاةِ فَلَا.

أَمَّا الْهِبَةُ أَوِ الْعَطِيَّةُ بَيْنَ الْأَوْلَادِ، فَلَا يُرَاعَى فِيهَا قَاعِدَةُ (لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ)،
وَإِنَّمَا إِذَا أَرَادَ الْأَبُ أَوِ الْأُمُّ أَنْ يُوَزِّعَا عَلَى الْأَوْلَادِ مِمَّا يَمْلِكُونَ،

فَيَجِبُ التَّوْزِيعُ بِالتَّسَاوِي .فَإِذَا أَعْطَى الْبِنْتَ أَلْفًا،
وَجَبَ أَنْ يُعْطِيَ الْوَلَدَ أَلْفًا، لِأَنَّ هَذِهِ **هِبَةٌ وَلَيْسَتْ مِيرَاثًا**.

إِذَا اشْتَرَطَ أَحَدُ الزَّوْجَيْنِ عَلَى الْآخَرِ التَّنَازُلَ عَنْ حَقِّهِ فِي الْمِيرَاثِ عِنْدَ مَوْتِ الْآخَرِ –
خُصُوصًا كِبَارُ السِّنِّ الَّذِينَ لَدَيْهِمْ أَبْنَاءٌ –
فَ**الشَّرْطُ بَاطِلٌ، وَلَا عِبْرَةَ بِالتَّنَازُلِ،**
لِأَنَّ الْمِيرَاثَ لَا يُمْلَكُ إِلَّا بَعْدَ مَوْتِ الْمُورِّثِ.

وَالْقَاعِدَةُ الشَّرْعِيَّةُ تَقُولُ:
"**إِسْقَاطُ الْحَقِّ قَبْلَ وُجُودِ سَبَبِهِ لَا يَصِحُّ**". *كتب الفقه المعتبرة*

الوَصِيَّةُ فِي الإِسْلَامِ

جَاءَ **سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ** رضي الله عنه إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَهُوَ يَعُودُهُ مِنْ مَرَضٍ اشْتَدَّ عَلَيْهِ فِي زَمَنِ حَجَّةِ الْوَدَاعِ، فَقَالَ:

"بَلَغَ بِي مَا تَرَى، وَأَنَا ذُو مَالٍ، وَلَا يَرِثُنِي إِلَّا ابْنَةٌ لِي، أَفَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثَي مَالِي؟"

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ" :**لَا**".

قَالَ سَعْدٌ" :**فَبِالشَّطْرِ؟**"

قَالَ" :**لَا**".

قَالَ" :**فَالثُّلُثُ؟**"

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ" :**الثُّلُثُ، وَالثُّلُثُ كَثِيرٌ**".

ثُمَّ قَالَ لَهُ:

"أَنْ تَتْرُكَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ، خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَذَرَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ، وَلَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللهِ، إِلَّا أُجِرْتَ عَلَيْهَا، حَتَّى مَا تَجْعَلُ فِي فِيِّ امْرَأَتِكَ". *رواه البخاري ومسلم*

قَالَ تَعَالَى:

﴿**مِّنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ**﴾ *البقرة: ١٨٠*

أَيْ: إِنَّ تَقْسِيمَ الْمِيرَاثِ لَا يَتِمُّ إِلَّا بَعْدَ تَنْفِيذِ وَصِيَّةِ الْمَيِّتِ وَقَضَاءِ دُيُونِهِ، دُونَ أَنْ يَكُونَ فِي ذَلِكَ ظُلْمٌ لِلْوَرَثَةِ.

وَقَدْ حَثَّ الإِسْلَامُ عَلَى الِاسْتِعْدَادِ لِلْمَوْتِ وَكِتَابَةِ الْوَصِيَّةِ، كَمَا فِي حَدِيثِ **عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ** رضي الله عنهما:

"مَا حَقُّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ لَهُ شَيْءٌ يُوصِي فِيهِ، يَبِيتُ لَيْلَتَيْنِ إِلَّا وَوَصِيَّتُهُ مَكْتُوبَةٌ عِنْدَهُ". *رواه البخاري ومسلم*

وَتَكُونُ كِتَابَةُ الْوَصِيَّةِ وَاجِبَةً إِذَا تَعَلَّقَتْ بِحُقُوقِ الْعِبَادِ أَوْ بِحُقُوقٍ لِلَّهِ، كَدُيُونٍ، أَوْ كَفَّارَاتٍ، أَوْ زَكَاةٍ لَمْ تُدْفَعْ، أَوْ أَمَانَاتٍ يَجِبُ إِرْجَاعُهَا.

وَتُسْتَحَبُّ الْوَصِيَّةُ لِمَنْ كَانَ عِنْدَهُ مَالٌ زَائِدٌ عَنْ حَاجَتِهِ، لِيَتَصَدَّقَ بِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ، بِشَرْطِ أَلَّا تَتَجَاوَزَ الثُّلُثَ، لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ:
"إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ، انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ: صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ". *رواه مسلم*

وَيُكْرَهُ أَنْ يُوصِيَ إِذَا كَانَ مَالُهُ قَلِيلًا، وَوَرَثَتُهُ فُقَرَاءَ، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِسَعْدٍ:
"إِنَّكَ أَنْ تَذَرَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ، خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَذَرَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ".

وَتَحْرُمُ الْوَصِيَّةُ إِذَا كَانَتْ تَفْضِيلًا لِأَحَدِ الْوَرَثَةِ، أَوْ فِيهَا ظُلْمٌ، لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ:
"إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِطَاعَةِ اللهِ سِتِّينَ سَنَةً، ثُمَّ يَحْضُرُهُ الْمَوْتُ، فَيُضَارُّ فِي الْوَصِيَّةِ، فَتَجِبُ لَهُ النَّارُ". *رواه أحمد وأبو داود*
وَقَالَ ﷺ: **"لَا وَصِيَّةَ لِوَارِثٍ"**. *رواه الترمذي وأبو داود وابن ماجه*

قَالَ اللهُ تَعَالَى:
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ *الأنفال: ٢٤*

الفصلُ الخامس: مَجْمُوعَةٌ مِن أَحْكَامِ الصَّلَاةِ

فِي مُقَدِّمَةِ شُرُوطِ صِحَّةِ الصَّلَاةِ:

الطَّهارَةُ،

واسْتِقْبَالُ القِبْلَةِ،

وسَتْرُ العَوْرَةِ،

والعِلْمُ بِدُخُولِ الوَقْتِ.

وفِي مُقَدِّمَةِ شُعَبِهَا:

حُضُورُ القَلْبِ،

وشُهُودُ العَقْلِ،

وخُضُوعُ الأَرْكَانِ،

والفَرَحُ وَالغِبْطَةُ بِالدُّخُولِ عَلَى بَابِ الكَرِيمِ.

الاستعانةُ خادمةٌ للعبادةِ

خَرَجَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ،
فَأَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ بِيَدِهِ،
ثُمَّ نَظَرَ إِلَيْهِ بِكُلِّ حَنَانٍ وَمَوَدَّةٍ، وَقَالَ لَهُ:
"يَا مُعَاذُ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ"!

قَالَهَا مَرَّتَيْنِ،
حَتَّى خَفَقَ قَلْبُ مُعَاذٍ بِحُبٍّ لَا يُوصَفُ.

ثُمَّ قَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ:
"أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ، لَا تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ أَنْ تَقُولَ:
اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ". رَوَاهُ التِّرْمِذِي

فَمُنْذُ ذَلِكَ اليَوْمِ، مَا نَسِيَ مُعَاذٌ هَذَا الدُّعَاءَ أَبَدًا،
فَحَمَلَهَا أَمَانَةً عَلَى قَلْبِهِ، حَتَّى لَقِيَ اللهَ.

قَالَ أَحَدُ العَابِدِينَ مِنَ السَّلَفِ لِأَحَدِ الصَّالِحِينَ:
"أَنَا أَتْعَبُ بِالعِبَادَةِ، وَأَسْأَلُ اللهَ القَبُولَ".
فَقَالَ لَهُ:
"أَمَا سَمِعْتَ مَا أَوْصَى بِهِ النَّبِيُّ ﷺ مُعَاذًا؟
اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ"!
فَاطْلُبْ مِنَ اللهِ أَنْ يُعِينَكَ،
فَإِنْ أَعَانَكَ، سَهُلَتْ عَلَيْكَ العِبَادَةُ، وَذُقْتَ حَلَاوَتَهَا.

تَظُنُّ فِي أَوَّلِ الأَمْرِ أَنَّ الجُهْدَ مِنْكَ،
وَأَنَّكَ إِنْ صَلَّيْتَ وَصُمْتَ وَذَكَرْتَ، فَقَدْ بَلَغْتَ...
لَكِنَّكَ مَا تَلْبَثُ أَنْ تَضْعُفَ، فَتَتْعَبَ، وَتَتَشَتَّتَ، وَرُبَّمَا تَفْتُرُ...

وَهُنَا تُدْرِكُ السِّرَّ العَظِيمَ:
أَنَّ العِبَادَةَ لَا تُؤْتِي ثِمَارَهَا إِلَّا إِذَا اسْتَعَنْتَ بِاللهِ عَلَى أَدَائِهَا.
فالاستعانةُ خادمةٌ للعبادةِ.

- فَلَا قِيَامَ لِلَّيْلِ إِلَّا بِعَوْنٍ،
- وَلَا دَمْعَةَ فِي السُّجُودِ إِلَّا بِتَوْفِيقٍ،
- وَلَا خُشُوعَ فِي القَلْبِ إِلَّا بِإِذْنٍ مِنَ اللهِ...

فَإِيَّاكَ أَنْ تَعْتَمِدَ عَلَى قُوَّتِكَ...
بَلْ قُلْ مِنْ أَعْمَاقِ قَلْبِكَ:
اللَّهُمَّ أَعِنِّي...

رَحْمَةُ الإِمَامِ وَتَيْسِيرُ الصَّلَاةِ فِي هَدْيِ النَّبِيِّ ﷺ

كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَحرِصُ عَلَى **التَّيْسِيرِ فِي العِبَادَاتِ**،
وَخَاصَّةً فِي الصَّلَاةِ،
حَتَّى لَا يَشُقَّ عَلَى النَّاسِ، أَوْ يُسَبِّبَ لَهُمُ المَلَلَ.

رُوِيَ أَنَّ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ،
كَانَ يُصَلِّي العِشَاءَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ،
ثُمَّ يَرْجِعُ لِيَؤُمَّ قَوْمَهُ بَنِي سَلِمَةَ.
وَكَانَ يَفْعَلُ ذَلِكَ عَلَى وَجْهِ **النَّفْلِ لِنَفْسِهِ، وَالفَرِيضَةِ لَهُمْ**،
لِأَنَّهُمْ كَانُوا بِحَاجَةٍ إِلَيْهِ،
وَكَانَ عَدَدُ القُرَّاءِ قَلِيلًا فِي أَوَّلِ الإِسْلَامِ.

وَذَاتَ لَيْلَةٍ، أَطَالَ مُعَاذٌ الصَّلَاةَ **بِسُورَةِ البَقَرَةِ**،
فَانْفَصَلَ رَجُلٌ مِنَ الجَمَاعَةِ،
وَصَلَّى وَحْدَهُ **صَلَاةً خَفِيفَةً**،
فَاتَّهَمَهُ مُعَاذٌ **بِالنِّفَاقِ!**

فَلَمَّا شَكَا الرَّجُلُ حَالَهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ،
قَالَ لَهُ ﷺ:
"أَفَتَّانٌ أَنْتَ يَا مُعَاذُ؟"! رواه مسلم

قَالَهَا النَّبِيُّ ﷺ **ثَلَاثَ مَرَّاتٍ**،
رَغْمَ حُبِّهِ الشَّدِيدِ لِمُعَاذٍ،
لَكِنَّهُ **عَنَّفَهُ بِشِدَّةٍ**،
لِأَنَّ التَّطْوِيلَ **سَبَبٌ فِي خُرُوجِ النَّاسِ مِنَ الصَّلَاةِ**.

ثُمَّ وَجَّهَهُ ﷺ إِلَى قِرَاءَةِ السُّوَرِ القَصِيرَةِ،
مُرَاعَاةً لِأَحْوَالِ النَّاسِ، فَقَالَ:
"لَا تُطَوِّلْ بِهِمْ، اقْرَأْ بِـ *سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى*، وَ *الشَّمْسِ وَضُحَاهَا* ، وَنَحْوِهِمَا". رواه البخاري

وَقَالَ ﷺ:
"إِذَا أَمَّ أَحَدُكُمُ النَّاسَ فَلْيُخَفِّفْ،
فَإِنَّ فِيهِمُ الصَّغِيرَ، وَالكَبِيرَ، وَالضَّعِيفَ، وَالمَرِيضَ.
فَإِذَا صَلَّى وَحْدَهُ، فَلْيُصَلِّ كَيْفَ شَاءَ". رواه البخاري ومسلم

فِي هَذَا الحَدِيثِ تَأْكِيدٌ عَلَى أَهَمِّيَّةِ **تَخْفِيفِ الإِمَامِ لِلصَّلَاةِ**،
مُرَاعَاةً لِظُرُوفِ المَأْمُومِينَ،
مِنْ كِبَارِ السِّنِّ، وَالمَرْضَى، وَأَصْحَابِ الأَشْغَالِ.

وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا شَعَرَ أَنَّ بَيْنَ المَأْمُومِينَ مَنْ **يَحْتَاجُ إِلَى التَّخْفِيفِ**،
كَالعَاجِزِ، أَوْ صَاحِبِ الحَاجَةِ، **خَفَّفَ وَأَسْرَعَ فِي الصَّلَاةِ**، مُرَاعَاةً لِحَالِهِمْ.

وَقَالَ ﷺ:
"إِنِّي لَأَدْخُلُ فِي الصَّلَاةِ وَأَنَا أُرِيدُ إِطَالَتَهَا،
فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ،
فَأَتَجَوَّزُ فِي صَلَاتِي،
لِمَا أَعْلَمُ مِنْ شِدَّةِ وَجْدِ أُمِّهِ مِنْ بُكَائِهِ". رواه البخاري

أَيْ يُسْرِعُ فِي صَلَاتِهِ،
حَتَّى لَا يَتَحَرَّقَ قَلْبُ الأُمِّ عَلَى بُكَاءِ طِفْلِهَا.
فَعَلَيْكَ مِنَّا يَا رَسُولَ اللهِ، سَلَامٌ سَلَامٌ...

قِصَّةُ الْعَابِدِ وَالصَّفِّ الْأَوَّلِ: دَرْسٌ فِي النِّيَّةِ وَالْفَضْلِ

رُوِيَ عن أحدِ السَّلَفِ الصَّالِحِ أنَّهُ قال:

"صَلَّيْتُ في الْمَسْجِدِ أَرْبَعِينَ سَنَةً في الصَّفِّ الأَوَّلِ،

وَمَا فَاتَتْنِي تَكْبِيرَةُ الإِحْرَامِ مَرَّةً وَاحِدَةً،

وَلَكِنِّي يَوْمًا تَأَخَّرْتُ، فَوَجَدْتُ رَجُلًا قَدْ سَبَقَنِي إِلَى مَكَانِي.

فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ:

يَا فُلَانُ، كُنْتُ أَدْعُو اللهَ مُنْذُ سَنَوَاتٍ أَنْ يَرْزُقَنِي الصَّلَاةَ في هذَا الْمَوْضِعِ مَرَّةً،

وَقَدِ اسْتَجَابَ اللهُ لِي الْيَوْمَ"!

فَبَكَى الْعَابِدُ خَوْفًا عَلَى نِيَّتِهِ وَقَالَ:

"أَخْشَى أَنِّي صَلَّيْتُ أَرْبَعِينَ سَنَةً وَلَمْ تَكُنِ النِّيَّةُ خَالِصَةً لِلَّهِ ". سِيَرِ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ

وفي الحَدِيثِ الصَّحِيحِ:

"مَنْ سَبَقَ إِلَى مَا لَمْ يَسْبِقْ إِلَيْهِ مُسْلِمٌ فَهُوَ لَهُ ". رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ

وَلِهَذَا قَالَ الْعُلَمَاءُ:

مَن سَبَقَ إِلَى الصَّفِّ الأَوَّلِ أَوْ إِلَى مَوْضِعٍ فِيهِ، فَهُوَ أَحَقُّ بِهِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ.

فمَا شَعَرَ الْعَابِدُ أَنَّ الرَّجُلَ "أَخَذَ حَقَّهُ"، بَلْ شَعَرَ بِالْخَجَلِ مِنْ نَفْسِهِ!

لِأَنَّهُ يَعْلَمُ حَدِيثَ رَسُولِ اللهِ ﷺ:

"لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النِّدَاءِ وَالصَّفِّ الأَوَّلِ،

ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلَّا أَنْ يَسْتَهِمُوا عَلَيْهِ لَاسْتَهَمُوا ". رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ

أَي: يُجْرُونَ قُرْعَةً عَلَيْهِ لِمَا فِيهِ مِنَ الْفَضْلِ الْكَبِيرِ.

فللصَّفُّ الأَوَّلُ ...**شَرَفُ الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ**:

•**فَضِيلَةٌ مَكَانِيَّةٌ** :لِأَنَّهُ الْأَقْرَبُ لِلإِمَامِ، وَالصُّفُوفُ كُلُّهَا تَأْتَمُّ بِهِ.

•**فَضِيلَةٌ زَمَنِيَّةٌ** :لِأَنَّ السَّبْقَ إِلَيْهِ يَدُلُّ عَلَى حِرْصِ الْقَلْبِ، وَمِنْ جَاءَ أَوَّلًا فَقَدْ سَبَقَ إِلَى الْفَضْلِ.

قَالَ ﷺ:

"**خَيْرُ صُفُوفِ الرِّجَالِ أَوَّلُهَا، وَشَرُّهَا آخِرُهَا** "...*رَوَاهُ مُسْلِمٌ*

والمصَلونَ على مَرَاتِبِ فِي الْقُدُومِ إِلَى الصَّلَاةِ:

•مَن جَاءَ قَبْلَ الْأَذَانِ فَجَلَسَ يَذْكُرُ اللهَ وَيَنْتَظِرُ الصَّلَاةَ،

•وَمَن جَاءَ بَعْدَ الْأَذَانِ لَا يُسَاوِي الأَوَّلَ،

•وَمَن جَاءَ عِنْدَ الْإِقَامَةِ لَيْسَ كَمَن جَاءَ مُبَكِّرًا،

•فَضْلًا عَنْ مَن دَخَلَ مُتَأَخِّرًا مَعَ الرَّكْعَةِ.

فَالشَّرَفُ أَنْ يَجْمَعَ بَيْنَ الْمُبَادَرَةِ وَالنِّيَّةِ الْخَالِصَةِ.

ومن أَدَبُ الصُّفُوفِ:

•احْرِصْ عَلَى التَّبْكِيرِ إِلَى الْمَسْجِدِ.

•ابْدَأْ بِالصَّفِّ الأَوَّلِ إِنْ وُجِدَ فِيهِ مَكَانٌ.

•لَا تَتَخَطَّ الرِّقَابَ، وَلَا تَزَاحِمْ إِخْوَانَكَ.

•**رَاقِبْ نِيَّتَكَ** :لَا تَكُنْ مِمَّنْ يُرِيدُ الظُّهُورَ، بَلِ الْقُرْبَ مِنَ اللهِ.

قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ:

"**لَيْسَ الشَّرَفُ أَنْ تُصَلِّيَ فِي الصَّفِّ الأَوَّلِ،**

بَلْ أَنْ تَصِلَهُ دُونَ أَنْ تُؤْذِيَ أَحَدًا ".*الْفُضَيْلِ بْنِ عِيَاضٍ*

وَاللَّهُ يَرْفَعُكَ بِنِيَّتِكَ، فِي أَيِّ صَفٍّ صَلَّيْتَ.

لِقَوْلِهِ ﷺ:

"**إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى** ".*رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ*

حَالَةُ الصَّلَاةِ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَأَهْلِ الإِيمَانِ

كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا جَاءَ وَقْتُ الصَّلَاةِ، **يَتَغَيَّرُ حَالُهُ كُلِّيًّا،**
وَتَشْعُرُ أَنَّهُ يُقْبِلُ عَلَى مَوْعِدٍ مَعَ اللهِ بِكُلِّ قَلْبِهِ وَجَوَارِحِهِ.
وَكَانَ يَقُولُ لِبِلَالٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:
"أَرِحْنَا بِهَا يَا بِلَالُ ". رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ

أَي: اجعلنا نُصَلِّي فَنَسْتَرِيحَ، لأَنَّ الصَّلَاةَ رَاحَةُ الْقَلْبِ وَنُورُ الْعَيْنِ.
وَكَانَ ﷺ إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ (أَهَمَّهُ)، **فَزِعَ إِلَى الصَّلَاةِ** رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ
لِأَنَّهَا مَلْجَأُ الْقُلُوبِ الْمُؤْمِنَةِ.

وَكَانَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ، يَقُولُ:
"جَاءَ وَقْتُ أَمَانَةٍ عَرَضَهَا اللهُ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ،
فَأَبَيْنَ أَنْ تَحْمِلَهَا، وَحَمَلْتُهَا أَنَا ".ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ وَغَيْرِهِ.

وَفِي غَارِ ثَوْرٍ، كَانَ النَّبِيُّ ﷺ نَائِمًا عَلَى حَجَرِ أَبِي بَكْرٍ، وَأَبُو بَكْرٍ يُصَلِّي،
فَصَارَتْ دُمُوعُهُ تَسِيلُ حَتَّى نَزَلَتْ عَلَى وَجْهِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَيْقَظَتْهُ .رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ
فَفِي أَشَدِّ الْمَوَاقِفِ خَطَرًا لَمْ يَتْرُكُوا الصَّلَاةَ، وَبَكَوْا فِيهَا خَشْيَةً وَحُبًّا.

سَمِعَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَقْرَأُ فِي صَلَاتِهِ:
"إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ "الطور: ٧
فَبَكَى حَتَّى سَقَطَ، وَحُمِلَ إِلَى بَيْتِهِ مَرِيضًا .ذَكَرَهُ ابْنُ كَثِيرٍ وَغَيْرُهُ

وَكَانَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يُصَلِّي أَثْنَاءَ الْمَعَارِكِ،
فَيَخْتَرِقُ الصُّفُوفَ وَيَقِفُ فِي خُشُوعٍ، لَا يَلْتَفِتُ لِمَا حَوْلَهُ.
فَقِيلَ لَهُ: "أَمَا تَخَافُ؟"
قَالَ:
"إِنِّي أَسْتَحِي مِنَ اللهِ أَنْ أُضَيِّعَ فَرْضَهُ وَأَنَا أَطْلُبُ نَصْرَهُ ". الْبِدَايَةِ وَالنِّهَايَةِ

فالصَّلَاةُ لَيْسَتْ عَائِقًا فِي الْحَيَاةِ، بَلْ قُوَّةٌ وَثِقَةٌ بِاللهِ.

بل مَوْعِدُ مَحَبَّةٍ وَصِلَةٍ بَيْنَ الْعَبْدِ وَرَبِّهِ، وَالْمَوْصُولُ بِاللهِ غَيْرُ مَقْطُوعٍ.

فَهِيَ عِمَادُ الدِّينِ وَرُكْنُهُ الْمَتِينُ.

قَالَ اللهُ تَعَالَى:

"وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ " *البقرة: ٤٥*

أي: ثَقِيلَةٌ عَلَى مَن لَمْ يَخْشَعْ، لِأَنَّهَا مُقَابَلَةٌ مَعَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَبِقَدْرِ إِقْبَالِ الْعَبْدِ يَكُونُ إِقْبَالُ الرَّبِّ.

فمَن أَرَادَ أَنْ يَعْرِفَ حَقِيقَتَهُ عِنْدَ اللهِ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى صَلَاتِهِ:

- **هَلْ هِيَ بِسُكُونٍ وَخُشُوعٍ؟**
- **أَمْ بِغَفْلَةٍ وَعَجَلَةٍ؟**

اللَّهُمَّ أَلْقِ فِي قُلُوبِنَا الْخُشُوعَ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الْخَاشِعِينَ.

وَكَانَ ﷺ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ:

"اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَمِنْ دُعَاءٍ لَا يُسْمَعُ "... *رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ*

آدَابُ الصَّلَاةِ وَأَثَرُهَا فِي الْخُشُوعِ وَالْهَيْبَةِ

عَنْ أَبِي قَتَادَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ:

بَيْنَمَا نَحْنُ نُصَلِّي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ سَمِعَ جَلَبَةَ رِجَالٍ، أَي صَوْتَ رَكْضِهِمْ،

فَلَمَّا صَلَّى قَالَ:

"مَا شَأْنُكُمْ؟"

قَالُوا: اسْتَعْجَلْنَا إِلَى الصَّلَاةِ، خَافُوا أَنْ تَفُوتَهُمْ الْجَمَاعَةُ.

فَقَالَ ﷺ:

"فَلَا تَفْعَلُوا، إِذَا أَتَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَعَلَيْكُم بِالسَّكِينَةِ، فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا، وَمَا فَاتَكُمْ فَأَتِمُّوا. الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ

فَأَنْتَ تَعْبُدُ اللهَ بِأَدَبِكَ قَبْلَ أَنْ تَعْبُدَهُ بِرُكُوعِكَ،

فَحَتَّى لَوْ خِفْتَ أَنْ تَفُوتَكَ الْجَمَاعَةُ، فَإِنَّ اللهَ لَا يُعْبَدُ بِالسُّرْعَةِ وَالتَّوَتُّرِ،

بَلِ بِالطُّمَأنِينَةِ وَالْهَيْبَةِ.

رُوِيَ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مَرَّ يَوْمًا بِرَجُلَيْنِ فِي طَرِيقِهِمَا إِلَى الْمَسْجِدِ،

وَهُمَا يَتَجَادَلَانِ بِصَوْتٍ مُرْتَفِعٍ،

فَقَالَ لَهُمَا:

"لَوْ أَنَّ قُلُوبَكُمَا خَاشِعَةٌ، لَخَشِعَتْ أَلْسِنَتُكُمَا".

أَبُو نَعِيمٍ وَغَيْرُهُ

فَمَنْ اسْتَشْعَرَ هَيْبَةَ الْوُقُوفِ بَيْنَ يَدَيْ اللهِ، ظَهَرَ ذَلِكَ عَلَى مَشْيِهِ وَكَلَامِهِ وَسُكُونِهِ.

حَتَّى قَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيْبِ رَحِمَهُ اللهُ:

"كُنَّا نَحْسَبُهُ يُصَلِّي مِنْ بَيْتِهِ إِلَى الْمَسْجِدِ". ابْنُ سَعْدٍ فِي الطَّبَقَاتِ

لِأَنَّهُ إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ إِلَى الْمَسْجِدِ:

- **لَا يَرْفَعُ صَوْتَهُ،**

•وَلَا يَلْتَفِتُ يَمِينًا وَلَا شِمَالًا،

•وَلَا يَتَكَلَّمُ فِي الطَّرِيقِ،

يَمْشِي بِسَكِينَةٍ وَوَقَارٍ، كَأَنَّهُ فِي صَلَاةٍ مُنْذُ أَنْ خَرَجَ.

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

"إِذَا تَوَضَّأَ أَحَدُكُمْ ثُمَّ خَرَجَ عَامِدًا إِلَى الصَّلَاةِ، فَلَا يُشَبِّكَنَّ بَيْنَ يَدَيْهِ؛ فَإِنَّهُ فِي صَلَاةٍ". أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ

وَيُكْرَهُ أَيْضًا تَشْبِيكُ الأَصَابِعِ فِي الْمَسْجِدِ.

لَمَّا رُوِيَ عَنْ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ:

"دَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمَسْجِدَ، وَقَدْ شَبَّكْتُ بَيْنَ أَصَابِعِي،

فَقَالَ: يَا كَعْبُ، إِذَا كُنْتَ فِي الْمَسْجِدِ فَلَا تُشَبِّكْ بَيْنَ أَصَابِعِكَ،

فَأَنْتَ فِي صَلَاةٍ مَا انْتَظَرْتَ الصَّلَاةَ". أَحْمَدُ وَابْنُ خُزَيْمَةَ

لِأَنَّهَا هَيْئَةٌ لَا تَدُلُّ عَلَى تَوْقِيرٍ وَلَا تَقْدِيسٍ،

فَمَنْ أَرَادَ الْخُشُوعَ فِي الصَّلَاةِ، فَلْيَبْدَأْهَا قَبْلَ أَنْ يُكَبِّرَ.

آدابٌ وتوقيرُ المسجدِ في السُّنَّةِ النَّبويَّةِ

دَخَلَ **عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ** رضيَ اللهُ عنه ذاتَ يومٍ المسجدَ النبويَّ،
فرأى شابَّيْنِ يتحدثانِ بصوتٍ مرتفعٍ في المسجدِ، فناداهما وقالَ:
"أتَدريانِ أينَ أنتُما؟"! قالا: لا، يا أميرَ المؤمنينَ.
فقال عمرُ رضيَ اللهُ عنه: "**إنكما في مسجدِ رسولِ اللهِ ﷺ، لا ترفعَا فيه أصواتَكما**".
ثم سأل" :**مِن أينَ أنتُما؟**" . فقالا" :**مِن أهلِ الطائفِ**".
فقال عمر: "**لو كنتُما مِن أهلِ المدينةِ لأوجعتُكما ضربًا**"! *"الآداب الشرعية" لابن مفلح*

فالمسجدُ ليسَ فقط مكانًا للعبادةِ، بل بيتُ اللهِ الذي لا يُعصى فيه، ولا يُهملُ وقارُه.

قال سبحانه: ﴿**فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ**﴾ *النور: ٣٦*

فالمساجدُ بُنيت لذِكرِ اللهِ، وإقامةِ الصلاةِ، وتعليمِ الناسِ أمورَ دينِهم، ولهذا لا يليقُ أن يُتَّخذَ المسجدُ مكانًا للإعلاناتِ أو البيعِ والشِّراءِ، حتّى عن طريقِ الجوّالاتِ.
قال ﷺ: "**مَن سَمِعَ رَجُلًا يَنشُدُ ضَالَّةً في المسجدِ، فليَقُلْ: لا رَدَّها اللهُ إليكَ، فإنَّ المساجدَ لم تُبْنَ لهذا**". *رواه مسلم*

ويجبُ تجنُّبُ الصخبِ ورفعِ الصوتِ في المسجدِ إلا في العلمِ، كما لا يجوزُ إشهارُ السلاحِ فيه، ويُجنَّبُ فيه المجانينُ والأطفالُ إلا بصحبةِ ذويهم.
كما يجبُ المحافظةُ عليه من الأوساخِ والقاذوراتِ، قال ﷺ:
"**عُرِضَتْ عليَّ أُجورُ أُمَّتي، حتّى القَذَاةَ يَخْرُجُها الرَّجُلُ مِنَ المسجدِ**". *رواه أحمد*

ويُحذَّرُ من الثيابِ المتَّسخةِ والروائحِ الكريهةِ، قال ﷺ:
"**مَن أكلَ ثُومًا أو بَصَلًا فليعتزلنا، أو فليعتزلْ مسجدَنا، وليقعدْ في بيتِه**". *البخاري ومسلم*

ويُمنَعُ إزعاجُ المصلينَ في المسجدِ بما يصدرُ من أصواتِ الجوّالاتِ أو الرنّاتِ الغنائيةِ، فذلك سلبٌ لخشوعِهم وإهانةٌ لبيوتِ اللهِ.

قال تعالى: ﴿**ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ**﴾ الحج: ٣٢

وعلى روّادِ المسجدِ عدمُ إحداثِ الفوضى في ركنِ السياراتِ، لأنّها تضرُّ بالآخرينَ وتعرقلُ الصلاةَ، قال ﷺ: "**مَن ضارَّ مسلمًا، ضارَّه اللهُ**". رواه الترمذي

وقال رسولُ اللهِ ﷺ: "**إذا دخل أحدُكم المسجدَ، فليركعْ ركعتَينِ قبل أن يجلسَ**". البخاري ومسلم
ولا يعني هذا أنَّ من جلسَ لا يصحُّ له أداءُ الركعتينِ لاحقًا، بل يجوزُ أداؤُهما بعد الجلوسِ،
فقد رُوي عن **جابرٍ** رضيَ اللهُ عنه:
"**جاء سُليك الغطفانيُّ يومَ الجمعةِ، والرسولُ ﷺ قاعدٌ على المنبرِ، فقعدَ سُليكٌ دونَ أن يركعَ ركعتَينِ، فقال له النبيُّ ﷺ: أركعتَ ركعتينِ؟ قال: لا، قال: قم فاركعهما**". رواه مسلم

وتُسنُّ **تحيّةُ المسجدِ** في كلِّ وقتٍ يدخلُ فيه المسلمُ المسجدَ، إلا إذا كانت الصلاةُ المكتوبةُ قائمةً، فعندها يدخلُ المسلمُ في الصلاةِ مباشرةً. لِما رُوي عن **أبي هريرة** رضي الله عنه قال:
"**إذا أُقيمت الصلاةُ، فلا صلاةَ إلا المكتوبةُ**". رواه مسلم
ويَحرُمُ على مَن سمعَ الأذانَ وهو في المسجدِ، أو مَن دخلَ المسجدَ بعد الأذانِ، أن يخرجَ منه قبل أداءِ الصلاةِ المفروضةِ، إلا لعذرٍ شرعيٍّ، كقضاءِ الحاجةِ أو الوضوءِ مع نيّةِ العودةِ لأداءِ الصلاةِ.

قال رسولُ اللهِ ﷺ:
"**إذا كنتم في المسجدِ، فنودي للصلاةِ، فلا يخرجْ أحدُكم حتى يُصلّي**". رواه أحمد
ورُوي أن **أبا هريرة** رأى رجلًا خرج من المسجد بعدما أذّن المؤذّن، فقال:
"**أما هذا فقد عصى أبا القاسم ﷺ**". رواه مسلم

فَضْلُ صَلَاةِ الْمَرْأَةِ فِي بَيْتِهَا

جَاءَتْ **أُمُّ حُمَيْدٍ السَّاعِدِيَّةُ** رضيَ اللهُ عنها إلى النبيِّ ﷺ فقالت:
"يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أُحِبُّ الصَّلَاةَ مَعَكَ".
فقالَ لها النبيُّ ﷺ:
"قَدْ عَلِمْتُ أَنَّكِ تُحِبِّينَ الصَّلَاةَ مَعِي، وَصَلَاتُكِ فِي بَيْتِكِ (أَيْ فِي غُرْفَةِ النَّوْمِ)
خَيْرٌ مِنْ صَلَاتِكِ فِي حُجْرَتِكِ، *الساحة الواقعة أمام الغرفة* **وَصَلَاتُكِ فِي حُجْرَتِكِ**
خَيْرٌ لَكِ مِنْ صَلَاتِكِ فِي دَارِكِ،
وَصَلَاتُكِ فِي دَارِكِ خَيْرٌ لَكِ مِنْ صَلَاتِكِ فِي مَسْجِدِ قَوْمِكِ،
وَصَلَاتُكِ فِي مَسْجِدِ قَوْمِكِ خَيْرٌ لَكِ مِنْ صَلَاتِكِ فِي مَسْجِدِي".

قالَ الرَّاوي:
"فَأَمَرَتْ، فَبُنِيَ لَهَا مَسْجِدٌ فِي أَقْصَى شَيْءٍ مِنْ بَيْتِهَا وَأَظْلَمِهِ،
فَكَانَتْ تُصَلِّي فِيهِ حَتَّى لَقِيَتِ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ". *رواه أحمد*

وكَانَتْ **فَاطِمَةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمَلِكِ،** زَوْجَةُ الْخَلِيفَةِ الرَّاشِدِ **عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ،**
مِنَ النِّسَاءِ الصَّالِحَاتِ، كَثِيرَاتِ الْعِبَادَةِ، مُحِبَّاتٍ لِلْخُشُوعِ، تَحْرِصُ عَلَى الصَّلَاةِ فِي بَيْتِهَا.
وَكَانَتْ تَقُولُ:
"وَاللهِ مَا وَجَدْتُ رَاحَتِي وَلَا خُشُوعِي إِلَّا فِي مِحْرَابِي فِي بَيْتِي،
حِينَ أَسْجُدُ فَلَا يَرَانِي أَحَدٌ إِلَّا اللهُ".

وَكَانَ زَوْجُهَا **عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ** يُشَجِّعُهَا عَلَى ذَلِكَ، وَيَقُولُ:
"صَلَاةُ الْمَرْأَةِ فِي خِدْرِهَا (أَيْ: بَيْتِهَا) أَعْظَمُ لِأَجْرِهَا، وَأَقْرَبُ لِسِتْرِهَا،
وَقَدْ عَلَّمَنِي رَسُولُ اللهِ أَنَّ الْحَيَاءَ خَيْرٌ كُلُّهُ".

فَلَمْ تَكُنْ تَخْرُجُ إِلَى الْمَسَاجِدِ إِلَّا نَادِرًا، إِذَا خَلَتِ الطُّرُقَاتُ وَاطْمَأَنَّتْ. وَكَانَتْ تَقُولُ:
"بَلَغَنِي حَدِيثُ رَسُولِ اللهِ ﷺ: وَبُيُوتُهُنَّ خَيْرٌ لَهُنَّ، فَأَحْبَبْتُ مَا أَحَبَّهُ لِي رَبِّي".

عَاشَتْ حَيَاتَهَا فِي بَيْتِهَا، عَابِدَةً، قَانِتَةً، سَاجِدَةً.

وَكَانَتْ بَعْضُ النِّسَاءِ يَسْأَلْنَهَا:

" —**أَمَا تَشْتَاقِينَ لِصَلَاةِ الْجَمَاعَةِ؟"**

فَتَبْتَسِمُ وَتَقُولُ:

"جَمَاعَةُ الْقَلْبِ مَعَ اللهِ، خَيْرٌ مِنْ جَمَاعَةِ الْأَجْسَادِ"." *باب الخشوع والادب، مقالات*

ومَعَ فَضْلِ صَلَاةِ الْمَرْأَةِ فِي بَيْتِهَا، إِلَّا أَنَّهُ **يَجُوزُ لَهَا** الْخُرُوجُ لِلْمَسْجِدِ، بِشَرْطِ الْالْتِزَامِ بِالْسِّتْرِ وَالْآدَابِ الشَّرْعِيَّةِ.

وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

"لَا تَمْنَعُوا إِمَاءَ اللهِ مَسَاجِدَ اللهِ، وَلَكِنْ لِيَخْرُجْنَ وَهُنَّ تَفِلَاتٌ". *رواه مسلم*

أَيْ غَيْرَ مُتَطَيِّبَاتٍ.

وَقَالَ ﷺ:

"إِذَا شَهِدَتْ إِحْدَاكُنَّ الْمَسْجِدَ، فَلَا تَمَسَّ طِيبًا".*متفقٌ عليه.*

فصَلَاةُ الْمَرْأَةِ فِي بَيْتِهَا أَفْضَلُ لَهَا مِنْ صَلَاتِهَا فِي الْمَسْجِدِ، مِنْ حَيْثُ **الْأَجْرِ وَالْسِّتْرِ،** وَلَكِنْ **إِنْ خَرَجَتْ مُلْتَزِمَةً بِالضَّوَابِطِ**، فَلَهَا ذَلِكَ، **وَلَا يَجُوزُ مَنْعُهَا**.

أَوَّلُ ٱمْرَأَةٍ أُذِنَ لَهَا أَنْ تَؤُمَّ أَهْلَ دَارِهَا

كَانَتْ **أُمُّ وَرَقَةَ بِنْتُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ مِنَ الْأَنْصَارِ مَعْرُوفَةً بِالتَّقْوَى وَالْعِبَادَةِ**
وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُكَنِّيهَا بِـ **"ٱلشَّهِيدَةِ" لِمَا بَشَّرَهَا بِهِ مِنْ شَهَادَةٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**
فَقَدْ عَرَضَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنْ تَخْرُجَ مَعَهُ لِلْجِهَادِ فَقَالَتْ:
يَا رَسُولَ اللَّهِ ائْذَنْ لِي فِي الْجِهَادِ أُدَاوِي جَرْحَى الْمُسْلِمِينَ
فَقَالَ لَهَا النَّبِيُّ ﷺ:
إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُكِ الشَّهَادَةَ. رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُد

فَمَكَثَتْ فِي بَيْتِهَا تَعْبُدُ اللَّهَ وَتُعَلِّمُ مَنْ حَوْلَهَا الْقُرْآنَ
وَطَلَبَتْ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ أَنْ يَجْعَلَ لَهَا مُؤَذِّنًا وَأَنْ تُصَلِّيَ بِأَهْلِ بَيْتِهَا
وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ:
كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَأْمُرُهَا أَنْ تَؤُمَّ أَهْلَ دَارِهَا. رَوَاهُ أَبُو دَاوُد

فَكَانَ يُؤَذِّنُ لَهَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهَا وَهِيَ تُقِيمُ الصَّلَاةَ وَتَؤُمُّ النِّسَاءَ فِي بَيْتِهَا
فَيَكُونُ لَهَا فِي بَيْتِهَا جَمَاعَةٌ كَامِلَةٌ مِنَ النِّسَاءِ بِالْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ
كَمَا هُوَ حَالُ الرِّجَالِ فِي الْمَسَاجِدِ

وَقَدْ نَالَتِ الشَّهَادَةَ فِي بَيْتِهَا كَمَا بَشَّرَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
إِذْ قُتِلَتْ ظُلْمًا عَلَى يَدِ خَادِمَتِهَا وَمَوْلَاهَا كَمَا وَرَدَ فِي الرِّوَايَةِ الصَّحِيحَةِ
فَصَدَقَ فِيهَا قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ

فَيَجُوزُ لِلْمَرْأَةِ أَنْ تَؤُمَّ النِّسَاءَ فَقَطْ وَإِذَا أَمَّتْ تَقِفُ فِي وَسَطِ الصَّفِّ وَلَا تَتَقَدَّمُهُ
كَمَا فِي حَدِيثِ حُجَيْرَةَ بِنْتِ حُصَيْنٍ
أَمَّتْنَا أُمُّ سَلَمَةَ فِي صَلَاةِ الْعَصْرِ فَقَامَتْ بَيْنَنَا. رَوَاهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ

وٱلْأَذَانُ أو التأذينُ عِبَادَةٌ مَفْرُوضَةٌ عَلَى الرِّجَالِ دُونَ النِّسَاءِ

قَالَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا:

لَيْسَ عَلَى النِّسَاءِ أَذَانٌ وَلَا إِقَامَةٌ

وَلكِنْ

لَمْ يُنْقَلْ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ مَنَعَ الْمَرْأَةَ مِنَ الْأَذَانِ

وَيَجُوزُ لِلْمَرْأَةِ أَنْ تُؤَذِّنَ دَاخِلَ بَيْتِهَا لِنَفْسِهَا أَوْ لِلنِّسَاءِ مَعَهَا كَمَا فَعَلَتْ أُمُّ وَرَقَةَ

وَلَا يُشْرَعُ لَهَا الْأَذَانُ عَلَى الْمَنَائِرِ أَوْ أَمَامَ الرِّجَالِ

وجُمْهُورِ الْعُلَمَاءِ

أَذَانُ الْمَرْأَةِ جَائِزٌ لِلنِّسَاءِ فَقَطْ وَلَكِنَّهُ لَيْسَ سُنَّةً مُؤَكَّدَةً بَلْ مُبَاحٌ فِي حَالَاتٍ خَاصَّةٍ

فِي الْمُحَافَظَةِ عَلَى وَقْتِ الصَّلَاةِ

رَأَى سَعِيدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَحَدَ أَبَنَائِهِ يَتَهَاوَنُ فِي الصَّلَاةِ،
فَيُؤَخِّرُهَا عَنْ وَقْتِهَا، فَغَضِبَ سَعِيدٌ غَضَبًا شَدِيدًا، وَقَالَ لَهُ:
"يَا بُنَيَّ، إِنِّي كُنْتُ أَرَاكَ مِنْ خَيْرِ أَهْلِي، فَإِذَا بِكَ تُؤَخِّرُ الصَّلَاةَ عَنْ وَقْتِهَا! وَاللهِ لَا كَلَّمْتُكَ أَبَدًا حَتَّى تَتُوبَ". سِيَرِ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ

فَتَابَ وَآبَ، وَأَصْبَحَ مِنْ أَوَّلِ مَنْ يَدْخُلُ الْمَسْجِدَ كُلَّ يَوْمٍ.
وَهَذَا هُوَ الْحَقُّ الَّذِي أَكَّدَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي قَوْلِهِ:
﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴾ مَرْيَم: ٥٩

قَالَ بَعۡضُ ٱلۡمُفَسِّرِينَ:
أَضَاعُوهَا لَيْسَ بِتَرْكِهَا كُلِّيًّا، بَلْ بِتَأْخِيرِهَا عَنْ وَقْتِهَا، وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ التَّفْرِيطِ.

لَمَّا كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَوْمًا فِي سَفَرٍ،
وَمَعَهُ أَحَدُ خُدَّامِهِ، أَمَرَهُ أَنْ يُوقِظَهُ لِصَلَاةِ الفَجْرِ فِي وَقْتِهَا،
لَكِنَّ الْخَادِمَ غَلَبَهُ النَّوْمُ، فَأَيْقَظَهُ بَعْدَ فَوَاتِ الْوَقْتِ،
فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ:
"خُذْ هَذِهِ الدَّرَاهِمَ، فَإِنِّي لَا أَسْتَأْمِنُكَ عَلَى دِينِي بَعْدَ أَنْ ضَيَّعْتَ عَلَيَّ صَلَاتِي". ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَالْبَيْهَقِيُّ
ثُمَّ صَرَفَهُ عَنْ خِدْمَتِهِ.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
"إِذَا رَقَدَ أَحَدُكُمْ عَنِ الصَّلَاةِ أَوْ غَفَلَ عَنْهَا، فَلْيُصَلِّهَا إِذَا ذَكَرَهَا، فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِي ﴾". رَوَاهُ مُسْلِمٌ

وَقَالَ ﷺ:
"وَلَا كَفَّارَةَ لَهَا إِلَّا ذَلِكَ". رَوَاهُ مُسْلِمٌ

هَذَا لِمَنْ فَاتَتْهُ الصَّلَاةُ بِعُذْرٍ شَرْعِيٍّ كَالنَّوْمِ أَوْ النِّسْيَانِ.
أَمَّا مَنْ فَاتَتْهُ بِتَقْصِيرٍ مُتَعَمَّدٍ دُونَ عُذْرٍ،
فَإِنَّهُ يَأْثَمُ إِثْمًا عَظِيمًا، وَيَحْتَاجُ إِلَى تَوْبَةٍ نَصُوحٍ،
وَيُسْتَحَبُّ لَهُ قَضَاؤُهَا مَعَ الإِكْثَارِ مِنَ النَّوَافِلِ،
لَعَلَّ ذَٰلِكَ يَكُونُ دَلِيلًا عَلَى صِدْقِ تَوْبَتِهِ.

قَالَ ﷺ:

"وَاتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا". *رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ*

رُوِيَ أَنَّ رَجُلًا صَالِحًا فِي الشَّامِ،
كَانَ كُلَّمَا أَذَّنَ الْمُؤَذِّنُ، أَغْلَقَ دُكَّانَهُ وَذَهَبَ إِلَى الصَّلَاةِ.
فَقَالَ لَهُ جَارُهُ:

"تُفَوِّتُ الزَّبَائِنَ كُلَّ يَوْمٍ؟"!

فَقَالَ:

"الزَّبَائِنُ إِنْ فَاتَتْنِي، فَاللهُ يُرْسِلُ غَيْرَهَا. لَكِنْ إِنْ فَاتَتْنِي الصَّلَاةُ، فَمَنْ يَرُدُّ عَلَيَّ وَقْتَهَا؟"!

ابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي التَّبْصِرَة

فَوَقْتُ الصَّلَاةِ لَا يُعَوَّضُ،
فَمَنْ عَظَّمَ أَمْرَهَا عَظَّمَهُ اللهُ،
وَمَنْ تَهَاوَنَ بِهَا، فَقَدْ بَاعَ أَغْلَى مَا عِنْدَهُ.

أَسْرَارُ الْتِزَامِ الصَّحَابَةِ بِالصَّلَاةِ فِي وَقْتِهَا

كَانَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، إِذَا سَمِعَ الْأَذَانَ،
يَتْرُكُ كُلَّ شَيْءٍ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَلَوْ كَانَ فِي أَهَمِّ أَمْرٍ مِنْ أُمُورِ الدَّوْلَةِ، وَيَقُومُ لِلصَّلَاةِ فَوْرًا.

فَقَالَ لَهُ بَعْضُ الصَّحَابَةِ يَوْمًا:
"يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللهِ، لَوْ أَمْهَلْتَنَا حَتَّى نُنْهِيَ الْحَدِيثَ أَوِ الْمَشُورَةَ".
فَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:
"إِنَّ الصَّلَاةَ مَوْعِدٌ، وَرَبِّي لَا يُنْتَظَرُ"! رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ

أَيْ:
إِنَّ اللهَ لَا يَنْتَظِرُنَا، بَلْ نَحْنُ مَنْ يَنْبَغِي أَنْ نَتَهَيَّأَ وَنَنْتَظِرَهُ، لِأَنَّنَا الْمُحْتَاجُونَ، ثُمَّ قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ.

سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ:
"أَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ؟"
فَقَالَ:
"الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا".

وَفِي رِوَايَةٍ:
"فِي أَوَّلِ وَقْتِهَا". رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ

وَالَّذِينَ يُسَارِعُونَ إِلَى الصَّلَاةِ أَوَّلَ مَا يُنَادَى لَهَا،
هُمْ أَوْلِيَاءُ اللهِ فِي الْخَفَاءِ.

فَلَا يَجُوزُ لِلْمُسْلِمِ تَأْخِيرُ صَلَاتِهِ حَتَّى يَضِيقَ وَقْتُهَا،
فَإِنَّهُ إِنْ فَعَلَ ذَلِكَ اعْتُبِرَ مُفَرِّطًا، وَلَحِقَهُ إِثْمٌ،
وَيَكُونُ قَدْ تَشَبَّهَ فِي صَلَاتِهِ بِالْمُنَافِقِينَ.

فَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ:
سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ:

"تِلْكَ صَلَاةُ الْمُنَافِقِ، تِلْكَ صَلَاةُ الْمُنَافِقِ، يَرْقُبُ الشَّمْسَ حَتَّى إِذَا كَانَتْ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ، قَامَ فَنَقَرَ أَرْبَعًا، لَا يَذْكُرُ اللهَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ". رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ

دَخَلَ شَابٌّ عَلَى الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ رَحِمَهُ اللهُ، وَكَانَ مِنْ تَلَامِيذِهِ،

فَقَالَ لَهُ:

"يَا أَبَا سَعِيدٍ، إِنِّي لَا أَتْرُكُ الصَّلَاةَ، وَلَكِنِّي أُصَلِّيهَا دَائِمًا فِي آخِرِ وَقْتِهَا".

فَنَظَرَ إِلَيْهِ نَظْرَةً طَوِيلَةً، ثُمَّ قَالَ:

"أَمَا آنَ لِقَلْبِكَ أَنْ يَخْشَعَ؟! إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ، لَمْ يُؤَخِّرْ مَوْعِدَهُ". كُتُبِ الْأَدَبِ الرُّوحِيِّ

وَلَكِنْ مَنْ ضَاقَ وَقْتُهُ لِعُذْرٍ، فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ:

"مَنْ أَدْرَكَ مِنَ الْعَصْرِ رَكْعَةً قَبْلَ أَنْ تَغْرُبَ الشَّمْسُ فَقَدْ أَدْرَكَ الْعَصْرَ، وَمَنْ أَدْرَكَ مِنَ الْفَجْرِ رَكْعَةً قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ فَقَدْ أَدْرَكَ الْفَجْرَ". رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ

وَلَيْسَ هَذَا خَاصًّا بِصَلَاتَيِ الصُّبْحِ وَالْعَصْرِ فَقَطْ،

إِنَّمَا هُوَ حُكْمٌ عَامٌّ فِي كُلِّ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ.

فَالصَّلَاةُ فِي وَقْتِهَا لَيْسَتْ مُجَرَّدَ وَاجِبٍ،

بَلْ هِيَ دَلِيلٌ عَلَى إِخْلَاصِ الْقَلْبِ،

وَصِدْقِ الْمَحَبَّةِ لِلهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَامْتِثَالِ أَوَامِرِهِ.

الطُّمَأنِينَةُ فِي الصَّلَاةِ.. وَأَمَانَةُ الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ

رُوِيَ أَنَّ رَجُلًا مِنَ العُبَّادِ،
كَانَ إِذَا رَكَعَ، طَوَّلَ الرُّكُوعَ حَتَّى يَظُنَّهُ مَنْ يَرَاهُ نَائِمًا،
فَقِيلَ لَهُ: "أَمَا تَتَعَجَّلُ؟"
فَقَالَ:
"إِنِّي قَرَأْتُ حَدِيثَ النَّبِيِّ ﷺ:
أَسْوَأُ النَّاسِ سَرِقَةً الَّذِي يَسْرِقُ مِنْ صَلَاتِهِ،
فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَكَيْفَ يَسْرِقُ مِنْ صَلَاتِهِ؟
قَالَ :**لَا يُتِمُّ رُكُوعَهَا وَلَا سُجُودَهَا**". رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ

فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَكُونَ فِي صَلَاتِي أَمِينًا.
فَمَنْ يُخِلُّ بِرُكُوعِهِ أَوْ سُجُودِهِ،
فَكَأَنَّهُ سَارِقٌ، بَلْ مِنْ أَسْوَإِ السُّرَّاقِ!

رُوِيَ أَنَّ رَجُلًا دَخَلَ الْمَسْجِدَ،
فَصَلَّى صَلَاةً سَرِيعَةً، يَنْقُرُهَا نَقْرًا،
ثُمَّ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ،
فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ:
"ارْجِعْ فَصَلِّ، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ". رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ

فَصَلَّى مَرَّةً ثَانِيَةً بِنَفْسِ السُّرْعَةِ،
فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ ثَانِيَةً:
"ارْجِعْ فَصَلِّ، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ".

وَتَكَرَّرَ هَذَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ،
ثُمَّ قَالَ الرَّجُلُ:
"يَا رَسُولَ اللهِ، وَاللهِ لَا أُحْسِنُ غَيْرَ هَذَا، فَعَلِّمْنِي".

فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ:

"إِذَا قُمْتَ إِلَى الصَّلَاةِ فَكَبِّرْ،

ثُمَّ اقْرَأْ مَا تَيَسَّرَ مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ،

ثُمَّ ارْكَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ رَاكِعًا،

ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَعْتَدِلَ قَائِمًا،

ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا،

ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ جَالِسًا...

ثُمَّ افْعَلْ ذَلِكَ فِي صَلَاتِكَ كُلِّهَا". رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ

الطُّمَأْنِينَةُ هِيَ: السُّكُونُ بِقَدْرِ الذِّكْرِ،

وَيَكُونُ الذِّكْرُ بِطُمَأْنِينَةٍ،

وَبِإِعْطَاءِ كُلِّ حَرْفٍ حَقَّهُ دُونَ إِسْرَاعٍ.

فَقَدْ نَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ:

"نَقْرَةِ الْغُرَابِ"

وَهُوَ الَّذِي يُسْرِعُ فِي سُجُودِهِ كَنَقْرِ الْغُرَابِ لِطَعَامِهِ. ذُكِرَ فِي كُتُبِ الْفِقْهِ وَالْحَدِيثِ

فَإِذَا دَخَلْتَ فِي الصَّلَاةِ، فَإِنَّكَ تُنَاجِي اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى،

وَتُكَلِّمُ رَسُولَ اللهِ ﷺ؛

لِأَنَّنَا حِينَ نَقُولُ:

"السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ"،

فَإِنَّنَا نُنَزِّلُهُ مَنْزِلَةَ الْحَاضِرِ،

فَلَا يُقَالُ عِنْدَ الْعَرَبِ: "أَيُّهَا الرَّجُلُ" إِلَّا لِمَنْ يَكُونُ حَاضِرًا.

فَلْتَكُنْ صَلَاتُكَ لِقَاءً حَقِيقِيًّا،

لَا مُجَرَّدَ حَرَكَاتٍ تُسْرِعُ بِهَا.

الصَّلَاةُ.. فَرْضُ اللهِ العَظِيمُ فِي رِحْلَةِ الإِسْرَاءِ وَالمِعْرَاجِ

أُسْرِيَ بِالنَّبِيِّ ﷺ مِنْ مَكَّةَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ،
ثُمَّ عُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَاوَاتِ الْعُلَا،
وَصَعِدَ حَتَّى وَصَلَ إِلَى **سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى،**
وَهُنَاكَ خَاطَبَهُ اللهُ تَعَالَى،
وَفَرَضَ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ أَوَّلًا خَمْسِينَ صَلَاةً فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ.

فَلَمَّا نَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ، مَرَّ عَلَى مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ،
فَقَالَ لَهُ مُوسَىٰ:
"مَاذَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَى أُمَّتِكَ؟"
قَالَ ﷺ:
"فَرَضَ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلَاةً كُلَّ يَوْمٍ".

فَقَالَ مُوسَىٰ:
"ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ ذَلِكَ،
لَقَدْ جَرَّبْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَعَالَجْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ".

فَعَادَ النَّبِيُّ ﷺ يَسْأَلُ اللهَ التَّخْفِيفَ،
فَجَعَلَهَا اللهُ أَرْبَعِينَ،
ثُمَّ عَادَ فَسَأَلَهُ مُوسَىٰ التَّخْفِيفَ،
فَأَصْبَحَتْ ثَلَاثِينَ... وَهَكَذَا حَتَّى صَارَتْ **خَمْسَ صَلَوَاتٍ فَقَط.**

فَقَالَ اللهُ تَعَالَى:
﴿ هِيَ خَمْسٌ وَهِيَ خَمْسُونَ، لَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ ﴾
أي :**هِيَ خَمْسُ صَلَوَاتٍ فِي الأَدَاءِ، وَخَمْسُونَ فِي الأَجْرِ**. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ

جَمِيعُ التَّشْرِيعَاتِ نَزَلَ بِهَا جِبْرِيلُ وَحْيًا كَالزَّكَاةِ وَالْحَجِّ وَغَيْرِهَا،
إِلَّا الصَّلَاةَ، فَقَدْ فُرِضَتْ **فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ لِعَظِيمِ** شَأْنِهَا،
وَبِلَا وَاسِطَةٍ بَيْنَ اللهِ وَالنَّبِيِّ ﷺ،
لِتَكُونَ **صِلَةً مُبَاشِرَةً بَيْنَ الْعَبْدِ وَرَبِّهِ.**

وَلِذَلِكَ، فَهَذِهِ الصِّلَةُ لَا تَسْقُطُ حَتَّى فِي أَشَدِّ الظُّرُوفِ:
لَا فِي الْمَرَضِ، وَلَا فِي السَّفَرِ، وَلَا فِي الْجِهَادِ.
بَلْ هِيَ عِبَادَةٌ يَشْتَاقُ إِلَيْهَا الْمُؤْمِنُ،
حَتَّى قِيلَ:
"الصَّلَاةُ مِعْرَاجُ الْمُؤْمِنِ"،
لِأَنَّ الْمُؤْمِنَ كُلَّمَا خَشَعَ فِي صَلَاتِهِ،
فَكَأَنَّهُ يَعْرُجُ بِقَلْبِهِ إِلَى رَبِّهِ،
مُتَخَفِّفًا مِنْ أَعْبَاءِ الدُّنْيَا وَهُمُومِهَا.

قَالَ ﷺ:
"أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ". رَوَاهُ مُسْلِمٌ

وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ قَالَ ﷺ:
"وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ". رَوَاهُ النَّسَائِيُّ وَغَيْرُهُ

فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُكَلِّمَ اللهَ،
فَلْيُقْبِلْ عَلَى صَلَاتِهِ.

وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَسْمَعَ اللهَ يُكَلِّمُهُ،
فَلْيَقْرَأْ كِتَابَهُ.

تُسْتَرُ... وَدَمْعَةٌ عَلَى الْفَجْرِ

تُسْتَرُ... مَدِينَةٌ فَارِسِيَّةٌ حَصِينَةٌ،
حَاصَرَهَا الْمُسْلِمُونَ بِقِيَادَةِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَامًا وَنِصْفًا،
حَتَّى فُتِحَتْ قَبْلَ الْفَجْرِ بِقَلِيلٍ.

انْدَفَعَتِ الْجُيُوشُ الْإِسْلَامِيَّةُ إِلَى دَاخِلِ الْحِصْنِ،
وَدَارَتْ مَعْرَكَةٌ شَرْسَةٌ بَيْنَ ثَلَاثِينَ أَلْفَ مُسْلِمٍ
وَمِائَةٍ وَخَمْسِينَ أَلْفَ فَارِسِيٍّ،

لَكِنَّ اللَّهَ كَتَبَ النَّصْرَ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ بَعْدَ شُرُوقِ الشَّمْسِ بِقَلِيلٍ.

وَعِنْدَهَا فَقَطْ انْتَبَهَ الْمُسْلِمُونَ أَنَّهُمْ لَمْ يَتَمَكَّنُوا مِنْ صَلَاةِ الْفَجْرِ فِي وَقْتِهَا.

لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ تَفْرِيطًا،
بَلْ كَانَتِ السُّيُوفُ مَرْفُوعَةً وَالْقُلُوبُ مَشْغُولَةً بِالْجِهَادِ،
وَمَعَ ذَلِكَ...

بَكَى أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَقَالَ بِحَرْقَةٍ:
"وَمَا تَسْتَرُ! لَقَدْ ضَاعَتْ مِنِّي صَلَاةُ الصُّبْحِ...
وَاللَّهِ مَا وَدِدْتُ أَنَّ لِي بِهَا الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا"!

رَغْمَ أَنَّهُ مَعْذُورٌ، إِلَّا أَنَّ قَلْبَهُ لَمْ يَحْتَمِلْ ضِيَاعَ هَذِهِ الصَّلَاةِ الْعَظِيمَةِ،
مَرَّةً وَاحِدَةً فَقَطْ فِي حَيَاتِهِ!

فَصَلَاةُ الْفَجْرِ... فِيهَا شَرَفٌ عَظِيمٌ،
إِذْ تَشْهَدُهَا مَلَائِكَةُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ،
وَفِيهَا وَعْدٌ صَادِقٌ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ:

"مَنْ صَلَّى الْبَرْدَيْنِ دَخَلَ الْجَنَّةَ".
وَالْبَرْدَانِ هُمَا: الْفَجْرُ وَالْعَصْرُ *رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ*

وَمِنْ صَلَّى الْفَجْرَ فَهُوَ فِي ذِمَّةِ اللَّهِ طِوَالَ يَوْمِهِ،
فَلَا يَحِقُّ لِأَحَدٍ أَنْ يُؤْذِيهِ.

بَلْ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَشَّرَ مَنْ يُحَافِظُ عَلَى الْفَجْرِ وَالْعَصْرِ بِرُؤْيَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ:

"إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ،
لَا تَضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ.
فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَلَّا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ – أَيِ الْفَجْرِ – وَقَبْلَ غُرُوبِهَا – أَيِ الْعَصْرِ – فَافْعَلُوا". *رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ*

وَلِهَذَا كَانَتْ عَلَامَةُ النِّفَاقِ أَنْ يَتَخَلَّفَ الرَّجُلُ عَنْ الْفَجْرِ وَالْعِشَاءِ،

قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:
"وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إِلَّا مُنَافِقٌ مَعْلُومُ النِّفَاقِ". *رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ*

وَمَنْ حَافَظَ عَلَى الْفَجْرِ جَمَاعَةً، نَالَ نُورًا تَامًّا يَوْمَ الْقِيَامَةِ،
فَالنُّورُ فِي الْقَلْبِ، وَفِي الْوَجْهِ، وَفِي الطَّرِيقِ...
نُورٌ يُكْتَسَبُ مِنَ الصَّلَوَاتِ.

"اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ" *سورة النور: ٣٥*

وَمَنْ اتَّصَلَ بِنُورِهِ عَبْرَ الصَّلَاةِ، أَضَاءَتْ لَهُ دُنْيَاهُ وَآخِرَتُهُ.
أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ... بَكَىٰ لِصَلَاةٍ وَاحِدَةٍ فَاتَتْهُ وَهُوَ فِي الْجِهَادِ...
فَكَيْفَ بِمَنْ ضَيَّعَهَا لِوِسَادَةٍ نَاعِمَةٍ، أَوْ هَاتِفٍ مُشَتِّتٍ؟
كَيْفَ بِمَنْ اعْتَادَ الْغَفْلَةَ حَتَّى غَدَا ضِيَاعُهَا عَادَةً، لَا حَادِثَةً؟
اللَّهُمَّ اجْعَلْ صَلَاةَ الْفَجْرِ أَحَبَّ إِلَيْنَا مِنَ النَّوْمِ.

أَحْكَامٌ وَآدَابٌ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ

رُوِيَ عَنْ قَيْسِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ صَلَّى مَعَ النَّبِيِّ ﷺ الْفَجْرَ، ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ:

"مَا هَاتَانِ الرَّكْعَتَانِ؟"

فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، رَكْعَتَا الْفَجْرِ لَمْ أَكُنْ صَلَّيْتُهُمَا، فَسَكَتَ النَّبِيُّ ﷺ. *رواه أبو داود*

وَيُسْتَحَبُّ لِمَنْ لَمْ يُصَلِّ سُنَّةَ الْفَجْرِ أَنْ يُصَلِّيَهَا بَعْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، لِقَوْلِهِ ﷺ:

"مَنْ لَمْ يُصَلِّ رَكْعَتِي الْفَجْرِ فَلْيُصَلِّهِمَا بَعْدَمَا تَطْلُعُ الشَّمْسُ" *رواه الترمذي*

وَهٰذَا عَلَى سَبِيلِ الِاسْتِحْبَابِ، وَيَجُوزُ أَنْ يُصَلِّيَ سُنَّةَ الصُّبْحِ عَقِبَ صَلَاةِ الصُّبْحِ،
وَإِنْ كَانَ وَقْتًا مَكْرُوهًا،
لِأَنَّ سُكُوتَ النَّبِيِّ ﷺ يَدُلُّ عَلَى جَوَازِ قَضَاءِ سُنَّةِ الْفَجْرِ بَعْدَ صَلَاةِ الصُّبْحِ.

وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ لَا يُصَلِّي إِذَا طَلَعَ الْفَجْرُ إِلَّا رَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ، وَهُمَا رَاتِبَةُ الْفَجْرِ، وَلَيْسَ مِنَ السُّنَّةِ أَنْ يُصَلِّيَ أَكْثَرَ مِنْهُمَا. *البخاري ومسلم*

وَمَنْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ بَعْدَ أَذَانِ الْفَجْرِ وَأَرَادَ أَنْ يُصَلِّي، فَإِنْ كَانَ هُنَاكَ وَقْتٌ كَافٍ،
يُصَلِّي تَحِيَّةَ الْمَسْجِدِ أَوَّلًا، ثُمَّ الرَّاتِبَةَ،
وَإِنْ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ وَقْتٌ كَافٍ، يُصَلِّي الرَّاتِبَةَ فَقَطْ، فَهِيَ تُغْنِي عَنْ تَحِيَّةِ الْمَسْجِدِ. *شرح النووي على مسلم*

رَوَى سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ أَنَّهُ رَأَى رَجُلًا يُصَلِّي بَعْدَ طُلُوعِ الْفَجْرِ أَكْثَرَ مِنْ رَكْعَتَيْنِ وَيُطِيلُ فِيهَا، فَنَهَاهُ

فَقَالَ لَهُ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ، أَيُعَذِّبُنِي اللَّهُ عَلَى الصَّلَاةِ؟"
قَالَ: "لَا، وَلَكِنْ يُعَذِّبُكَ عَلَى خِلَافِ السُّنَّةِ". *رواه عبد الرزاق في "المصنف*

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

"صَلَاتَانِ لَا يُصَلَّى بَعْدَهُمَا:

الصُّبْحُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ،
وَالْعَصْرُ حَتَّى تَغْرُبَ الشَّمْسُ". *البخاري ومسلم*

فوَقْتُ النَّهْيِ الْأَوَّلُ يَبْدَأُ بَعْدَ فَرَاغِ الْمُصَلِّي مِنْ صَلَاةِ الصُّبْحِ،
وَوَقْتُ النَّهْيِ الثَّانِي يَبْدَأُ بَعْدَ فَرَاغِ الْمُصَلِّي مِنْ صَلَاةِ الْعَصْرِ،
فَإِذَا صَلَّى فِي أَوَّلِ الْوَقْتِ كَانَ وَقْتُ النَّهْيِ طَوِيلًا،
وَإِنْ تَأَخَّرَ عَنْ أَوَّلِ الْوَقْتِ كَانَ النَّهْيُ أَقْصَرَ،
فَالْمُصَلِّي هُوَ الَّذِي يُحَدِّدُ بَدَايَةَ طَرَفَيْ الْوَقْتَيْنِ. *"الشرح الكبير" لابن قدامة*

الإِمَامُ أَبُو حَنِيفَةَ وَالدَّهْرِيُّ
حِكْمَةُ قِرَاءَةِ سُورَتَيْ السَّجْدَةِ وَالْإِنْسَانِ فجر الجمعة

رُوِيَ أَنَّ الإِمَامَ أَبَا حَنِيفَةَ – رَحِمَهُ اللَّهُ – جَلَسَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ الدَّهْرِيِّينَ، وَهُمْ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْبَعْثِ، فَقَالَ لَهُ مُتَعَجْرِفًا:
كَيْفَ تُؤْمِنُ بِوُجُودِ خَالِقٍ لَمْ تَرَهُ؟ وَكَيْفَ تُصَدِّقُ بِحَيَاةٍ بَعْدَ الْمَوْتِ؟!

فَلَمْ يُجِبْهُ الإِمَامُ، بَلْ قَالَ لَهُ فِي هُدُوءٍ:
قَبْلَ أَنْ أُجِيبَكَ، دَعْنِي أُحَدِّثْكَ عَنْ شَيْءٍ رَأَيْتُهُ.

قَالَ الرَّجُلُ: وَمَا هُوَ؟

قَالَ الإِمَامُ:
رَأَيْتُ سَفِينَةً عَظِيمَةً، تَحْمِلُ أَنْوَاعَ الْبَضَائِعِ، تَسِيرُ عَلَى وَجْهِ الْمَاءِ، دُونَ قَائِدٍ وَلَا مِلَّاحٍ، تَخْتَرِقُ الْأَمْوَاجَ، وَتَقِفُ حَيْثُ يَنْبَغِي، وَتَتَحَرَّكُ حَيْثُ يَجِبُ!

فَضَحِكَ الرَّجُلُ سَاخِرًا، وَقَالَ:
هَذَا جُنُونٌ! لَا يُصَدِّقُ عَاقِلٌ أَنْ سَفِينَةً تَمْشِي بِلَا قَائِدٍ!

فَنَظَرَ إِلَيْهِ الإِمَامُ وَقَالَ بِثَبَاتٍ:
إِذَا لَمْ تُصَدِّقْ أَنْ سَفِينَةً صَغِيرَةً تَسِيرُ بِلَا قَائِدٍ، فَكَيْفَ صَدَّقْتَ أَنَّ هَذَا الْكَوْنَ الْعَظِيمَ، الْمُنْتَظِمَ الْمُحْكَمَ، يَسِيرُ بِلَا خَالِقٍ وَلَا مُدَبِّرٍ؟!

فَأَطْرَقَ الرَّجُلُ خَجَلًا، ثُمَّ قَالَ:
صَدَقْتَ يَا إِمَامُ... وَاللَّهِ لَا حُجَّةَ لِي بَعْدَ الْيَوْمِ. ابْنِ الْقَيِّمِ وَابْنِ أَبِي الْعِزِّ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿**وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ**﴾ سُورَةُ الْجَاثِيَةِ: ٢٤
فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ – **جَهْلًا أَوْ عِنَادًا** :– مَا الْحَيَاةُ إِلَّا هَذِهِ الَّتِي نَعِيشُهَا، نَمُوتُ ثُمَّ يَحْيَا أَوْلَادُنَا مِنْ بَعْدِنَا، وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا مُرُورُ الزَّمَانِ وَتَقَلُّبُ الْأَيَّامِ".

وَلَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى رَدَّ عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ: ﴿**وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ**﴾ "الجاثية: ٢٤"

فَ"**الدَّهْرُ** "**وِعَاءٌ لِلْأَحْدَاثِ**، وَلَيْسَ هُوَ الْفَاعِلَ الْحَقِيقِيَّ .إِنَّمَا **الْفَاعِلُ الْحَقُّ** هُوَ **رَبُّ الدَّهْرِ وَالزَّمَانِ، الْمُعْطِي الْمَانِعُ، الْخَافِضُ الرَّافِعُ، الْمُعِزُّ الْمُذِلُّ.**

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِيمَا يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ:
"**يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ؛ يَسُبُّ الدَّهْرَ، وَأَنَا الدَّهْرُ، بِيَدِي الْأَمْرُ، أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ**". رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، وَمُسْلِمٌ.

قَالَ **النَّوَوِيُّ** رَحِمَهُ اللَّهُ: " **مَعْنَاهُ: أَنَّ الدَّهْرَ لَيْسَ يُذَمُّ لِذَاتِهِ، بَلْ لِأَنَّ مَنْ يَسُبُّ الدَّهْرَ، إِنَّمَا يَسُبُّ مَنْ يُقَلِّبُهُ، وَهُوَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، فَسَبُّهُ يَعُودُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى**". شَرْحُ صَحِيحِ مُسْلِمٍ، النَّوَوِي.

وَالْيَوْمَ، **عَادَ الْفِكْرُ الدَّهْرِيُّ** فِي ثَوْبٍ جَدِيدٍ، يُنْكِرُ الْخَلْقَ وَالْبَعْثَ، وَيَتَذَرَّعُ **بِنَظَرِيَّاتِ التَّطَوُّرِ**، وَيَبْحَثُ فِي **أَصْلِ الْإِنْسَانِ** وَمُشَابَهَتِهِ لِلْقُرُودِ، **هَرَبًا** مِنَ الِاعْتِرَافِ بِوُجُودِ الْخَالِقِ.

وَلَكِنْ مَهْمَا تَنَوَّعَتِ الْأَقْوَالُ وَتَبَدَّلَتِ الْمُصْطَلَحَاتُ، فَـ**الْحَقُّ وَاحِدٌ لَا يَتَغَيَّرُ**،
وَالْخَلْقُ **لَمْ يَكُنْ صُدْفَةً**، وَإِنَّمَا **بِإِرَادَةِ خَالِقٍ عَلِيمٍ حَكِيمٍ**.

خَلَقَ اللَّهُ **آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ** فِي **أَحْسَنِ صُورَةٍ**، منْ أَوَّلِ يَومٍ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي **يَوْمِ الْجُمُعَةِ**.

قَالَ ﷺ: **خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ، وَفِيهِ أُخْرِجَ مِنْهَا، وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ**".رَوَاهُ مُسْلِمٌ

قَالَ **ابْنُ الْقَيِّمِ** —رَحِمَهُ اللَّهُ— فِي بَيَانِ سِرِّ قِرَاءَةِ سُورَتَيْ **السَّجْدَةِ وَالْإِنْسَانِ** فِي **فَجْرِ الْجُمُعَةِ**:
"**وَذَلِكَ لِأَنَّ فِي كُلٍّ مِنْهُمَا ذِكْرَ مَبْدَإِ خَلْقِ الْإِنْسَانِ وَمَعَادِهِ، فَفِيهِمَا تَذْكِيرٌ بِالْخَلْقِ وَالْبَعْثِ، لَا لِأَجْلِ السَّجْدَةِ كَمَا يَظُنُّ الْبَعْضُ**". زَادُ الْمَعَادِ

فَكَانَتْ قِرَاءَةُ السَّجْدَةِ وَالْإِنسَانِ، وَكَأَنَّهَا **تَذْكِيرٌ أُسْبُوعِيٌّ** بِهَذِهِ الْحَقِيقَةِ،
لِأَجْلِ هَذِهِ السُّورَةِ وَلَيْسَ لِأَجْلِ السَّجْدَةِ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿**أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ**﴾ سُورَةُ الْمُؤْمِنُونَ: ١١٥

فَضْلُ يَوْمِ الجُمُعَةِ وَوَقْتِ الإِجَابَةِ فِي دُعَاءِ الجُيُوشِ وَحِكَايَةُ مَالِكِ بْنِ دِينَارٍ

كَانَ صَلَاحُ الدِّينِ الأَيُّوبِيُّ يَقْصِدُ اخْتِيَارَ مَعَارِكِهِ أَيَّامَ الجُمَعِ،
لَا سِيَّمَا أَوْقَاتَ صَلَاةِ الجُمُعَةِ؛
تَبَرُّكًا بِدُعَاءِ الخُطَبَاءِ عَلَى المَنَابِرِ،
فَيُوَافِقُ بَدْءُ الهُجُومِ أَوِ المَعْرَكَةِ مَعَ تِلْكَ اللَّحْظَةِ،
تَوَسُّلًا إِلَى اللهِ أَنْ يُؤَيِّدَ جُنُودَهُ بِدُعَاءِ المُصَلِّينَ. *ابن الأثير، الكامل في التاريخ*

وَكَانَ يَقُولُ:
"آثَرْنَا الدُّعَاءَ فِي سَاعَةِ الإِجَابَةِ،
رَجَاءً أَنْ يُفْتَحَ عَلَيْنَا". *المقريزي، المواعظ والاعتبار*

وَبِالفِعْلِ؛
فَقَدِ اتَّفَقَت فُتُوحَاتُهُ لِقِلاعِ السَّاحِلِ وَانْتِزَاعِهَا مِنَ الصَّلِيبِيِّينَ فِي أَيَّامِ الجُمَعِ،
وَهِيَ **عَلَامَةُ قَبُولِ دُعَاءِ الخُطَبَاءِ.**

فَهَذَا لَيْسَ فَقَطْ **تَخْطِيطًا عَسْكَرِيًّا،**
بَلْ **عَقِيدَةٌ رَاسِخَةٌ:**
أَنَّ الجُيُوشَ **لَا تَنْتَصِرُ بِعَدَدِهَا،**
بَلْ **بِرِضَا اللهِ وَتَوْفِيقِهِ.**

وَرَوَى مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ رَحِمَهُ اللهُ:

أَنَّهُ دَخَلَ يَوْمًا المَسْجِدَ يَوْمَ الجُمُعَةِ قَبْلَ الصَّلَاةِ بِوَقْتٍ،
فَوَجَدَ شَابًّا فِي زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَا المَسْجِدِ،
رَافِعًا يَدَيْهِ، يَدْعُو، وَيَبْكِي.

فَجَلَسَ قَرِيبًا مِنْهُ،
فَسَمِعَهُ يَقُولُ:

"اللَّهُمَّ إِنَّ لِي حَاجَةً أَنْتَ تَعْلَمُهَا،
وَقَدْ عَجَزَتْ عَنْهَا حِيلَتِي،
وَضَاقَتْ بِهَا يَدِي،
وَلَا يَقْدِرُ عَلَيْهَا إِلَّا أَنْتَ...
اللَّهُمَّ فَبِرَحْمَتِكَ لَا تَرُدَّنِي اليَوْمَ خَائِبًا،
فَأَنَا أَرْجُوكَ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ الَّتِي وَعَدْتَ فِيهَا عِبَادَكَ بِالإِجَابَةِ". النووي، رياض الصالحين

فَقَالَ مَالِكٌ:
فَمَا أَتَمَّ دُعَاءَهُ حَتَّى غَلَبَهُ البُكَاءُ وَنَامَ فِي مَكَانِهِ،
فَأَقْسَمَ مَالِكٌ أَنَّهُ رَأَى فِي وَجْهِهِ نُورًا عَجِيبًا،
وَسَمِعَ أَحَدَ المصَلِّينَ يَقُولُ بَعْدَ الصَّلَاةِ:
"أَيْنَ هَذَا الشَّابُّ؟! لَقَدْ قُضِيَتْ حَاجَتُهُ،
وَاللهِ إِنِّي أَعْرِفُ قِصَّتَهُ، وَإِنَّهَا كَانَتْ مُسْتَحِيلَةً".

فَقَالَ مَالِكٌ:
"مَنْ صَدَقَ مَعَ اللهِ فِي الدُّعَاءِ، صَدَقَهُ اللهُ فِي العَطَاءِ".

وَقَالَ ابْنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ:
"وَأَرْجَحُ الأَقْوَالِ فِي سَاعَةِ الإِجَابَةِ قَوْلَانِ:
الأَوَّلُ: مَا بَيْنَ أَنْ يَجْلِسَ الإِمَامُ إِلَى أَنْ تُقْضَى الصَّلَاةُ،
وَالثَّانِي: أَنَّهَا بَعْدَ العَصْرِ، وَاللهُ أَعْلَمُ". زاد المعاد

فَكَانَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ إِذَا صَلَّى العَصْرَ يَوْمَ الجُمُعَةِ،
لَمْ يُكَلِّمْ أَحَدًا حَتَّى تَغْرُبَ الشَّمْسُ. الطبري، تفسير القرآن

مواقف النبي ﷺ في تشييع الموتى وأحكام الصلاة عليهم

خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمًا مَعَ أَصْحَابِهِ لِيُشَيِّعَ جِنَازَةً، فَلَمَّا قَرَّبَ إِلَيْهِ الْمَيِّتَ،
سَأَلَ النَّبِيُّ ﷺ" :**أَعَلَيْهِ دَيْنٌ؟**"
فَأَجَابُوا" :**نَعَمْ، وَلَمْ يَتْرُكْ وِفَاءً لِدَيْنِه**".
فَوَقَفَ ﷺ وَقَالَ" :**صَلُّوا عَلَى صَاحِبِكُمْ** ".ثُمَّ انْصَرَفَ.رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ

وَكَانَ فِي قُلُوبِ الصَّحَابَةِ رَجْفَةٌ وَحَيْرَةٌ:
كَيْفَ يُتْرَكُ رَجُلٌ مِنْ صَلَاةِ النَّبِيِّ ﷺ؟
لَكِنَّهُمْ عَلِمُوا أَنَّ لِلْحُقُوقِ أَحْكَامًا لَا تُتَجَاوَزُ حَتَّى بَعْدَ الْمَوْتِ،
وَأَنَّ الدِّينَ أَمَانَةٌ لَا يُتَّهَاوَنُ فِيهَا.

وَفِي يَوْمٍ آخَرَ، جَاءَتْ جِنَازَةُ رَجُلٍ قُتِلَ فِي الْمَعْرَكَةِ، فَقَالَ لَهُ الصَّحَابَةُ:
"**شَهِيدٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ**"!
لَكِنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَشَفَ لَهُمْ أَمْرًا لَا يُرَى بِالْعَيْنِ، فَقَالَ:
"**كَلَّا، إِنِّي رَأَيْتُهُ فِي النَّارِ فِي بُرْدَةٍ غَلَّهَا**".رَوَاهُ مُسْلِمٌ

فَهِمَ الْقَوْمُ أَنَّ مَنْ خَانَ الْمَالَ الْعَامَّ وَلَوْ فِي خَيْطٍ أَوْ بُرْدَةٍ لَا يَلِيقُ بِهِ مَقَامُ الشُّهَدَاءِ.

وَفِي جِنَازَةٍ ثَالِثَةٍ، سَأَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنِ الْمَيِّتِ، فَقِيلَ لَهُ:
"**هَذَا رَجُلٌ قَتَلَ نَفْسَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ**".
فَأَشَاحَ النَّبِيُّ ﷺ بِوَجْهِهِ، وَقَالَ:
"**أَنَا لَا أُصَلِّي عَلَيْهِ**".رَوَاهُ مُسْلِمٌ

لَكِنَّ بَعْضَ الصَّحَابَةِ صَلَّى عَلَيْهِ، فَبَيَّنَ ﷺ أَنَّ عَدَمَ الصَّلَاةِ عَلَيْهِ مِنْ قِبَلِ الإِمَامِ تَأْدِيبٌ،
لَا مَنْعٌ مُطْلَقٌ، وَأَذِنَ لِلْغَيْرِ بِالصَّلَاةِ عَلَيْهِ.شَرْحُ النَّوَوِيِّ عَلَى مُسْلِمٍ

أَمَّا الشَّهِيدُ فِي الْمَعْرَكَةِ، فَلَهُ حُكْمٌ خَاصٌّ، فَهُوَ:
•**لَا يُغْسَلُ**،

•لَا يُصَلَّى عَلَيْهِ،

•يُدْفَنُ بِثِيَابِهِ الْمُضَرَّجَةِ بِالدِّمَاءِ،

كَمَا فِي شُهَدَاءِ أُحُدٍ، حِينَ قَالَ ﷺ:

"زَمِّلُوهُمْ بِدِمَائِهِمْ، فَإِنَّهُ لَيْسَ جُرْحٌ يُجْرَحُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَدْمِي، لَوْنُهُ لَوْنُ الدَّمِ، وَرِيحُهُ رِيحُ الْمِسْكِ". *رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ*

فَالْصَّلَاةُ عَلَى الشَّهِيدِ لَيْسَتْ وَاجِبَةً وَلَا مُسْتَحَبَّةً، بَلْ هِيَ جَائِزَةٌ فَقَطْ،
لِأَنَّ مَقَامَهُ عِنْدَ اللَّهِ أَغْنَىٰ مِنْ دُعَائِنَا، وَدَمُهُ شَهَادَةٌ لَا تُغْسَلُ.

هَذِهِ الْمَوَاقِفُ النَّبَوِيَّةُ الْجَلِيلَةُ تُبَيِّنُ أَنَّ الْإِسْلَامَ

لَا يُفَرِّطُ فِي الْحُقُوقِ حَتَّى بَعْدَ الْمَوْتِ،

وَأَنَّ الدِّينَ

لَا يُقَاسُ بِالْمَظَاهِرِ وَحْدَهَا، بَلْ بِالْعَدْلِ، وَالْأَمَانَةِ، وَالِاسْتِقَامَةِ.

فَمَنْ خَانَ مَالًا عَامًّا، أَوْ تَهَاوَنَ بِدَيْنٍ عَلَيْهِ، أَوْ قَتَلَ نَفْسَهُ،

فَقَدْ خَالَفَ الْمَنْهَجَ الَّذِي حَفِظَ النَّفْسَ وَالْمَالَ وَالْعِرْضَ.

فَلْنَحْرِصْ عَلَىٰ صِدْقِ الْعَمَلِ، وَرَدِّ الْحُقُوقِ، وَالرَّحْمَةِ بِأَنْفُسِنَا وَبِالنَّاسِ،

حَتَّى نَلْقَى اللَّهَ مُطْمَئِنِّينَ فِي ذِمَّةِ حُسْنِ الْخَاتِمَةِ.

الصَّلَاةُ تَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ وَتُغَيِّرُ القُلُوبَ

كَانَ هُنَاكَ **فَتًى مِنَ الأَنْصَارِ** يُصَلِّي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ،
وَمَعَ ذَلِكَ **لَمْ يَكُنْ يَتْرُكُ فَاحِشَةً وَلَا سَرِقَةً** إِلَّا وَقَعَ فِيهَا.
فَتَعَجَّبَ **الصَّحَابَةُ** مِنْ حَالِهِ، وَذَكَرُوا أَمْرَهُ لِلنَّبِيِّ ﷺ،
فَقَالَ ﷺ **بِثِقَةٍ وَيَقِينٍ**:
"**إِنَّ الصَّلَاةَ سَتَنْهَاهُ**". *فِي الحَدِيثِ الصَّحِيحِ*

مَرَّتِ الأَيَّامُ، وَتَابَ الفَتَى، وَأَقْلَعَ عَنْ ذُنُوبِهِ، وَتَحَسَّنَتْ حَالُهُ،
فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ" :**أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ؟**"!

يَقُولُ تَعَالَى:
﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الفَحْشَاءِ وَالمنكَرِ ﴾ *العَنكَبُوت: ٤٥*

فَالقُلُوبُ قَدْ تَضْعُفُ، لَكِنَّ الصَّلَاةَ **تَشُدُّهَا**، وَتُرْجِعُهَا إِلَى اللهِ **رُوَيْدًا رُوَيْدًا**، حَتَّى تَهْتَدِي.

فَإِنْ رَأَيْتَ إِنْسَانًا يُصَلِّي، لَكِنَّهُ يَرْتَكِبُ المَعَاصِي، فَلَيْسَ الذَّنْبُ فِي الصَّلَاةِ،
بَلْ فِي مَنْ لَمْ يُؤَدِّهَا **بِخُشُوعٍ وَإِخْلَاصٍ**.

إِنَّهُ يُصَلِّي **بِلَا تَأْثِيرٍ حَقِيقِيٍّ لِقَلْبِهِ**،
يُصَلِّي، وَكَأَنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ مُنَاجَاةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ،
وَقَدْ قَالَ:
"**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**"،
وَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فِي تَشَهُّدِهِ،
ثُمَّ يَعُودُ إِلَى الذُّنُوبِ، **بَعْدَ هَذَا الفَضْلِ العَظِيمِ!**

لَعَلَّهُ **مَرِيضٌ رُوحِيًّا**، وَالمَرَضُ **لَا يَزُولُ فِي سَاعَةٍ**،
وَلَكِنْ **بَرَكَةُ المُدَاوَمَةِ عَلَى الصَّلَاةِ** تُثْمِرُ مَعَ الأَيَّامِ،

كَمَا قَالَ ﷺ:
"**إِنَّ الصَّلَاةَ سَتَنْهَاهُ**".

وَكَانَ شَابٌّ مِنَ التَّابِعِينَ غَارِقًا فِي اللَّهْوِ،
فَسَمِعَ أَحَدَ **الوُعَّاظِ** يَقْرَأُ قَوْلَهُ تَعَالَى:
﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَجِدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴾الإنسان: ٢٦

فَرَجَفَ قَلْبُهُ، وَعَادَ إِلَى بَيْتِهِ، وَصَلَّى **رَكْعَتَيْنِ،**
لِأَوَّلِ مَرَّةٍ مُنْذُ زَمَنٍ.

وَمِنْ **تِلْكَ اللَّيْلَةِ**، أَصْبَحَ مِنْ أَهْلِ **قِيَامِ اللَّيْلِ**، وَتَغَيَّرَتْ **حَيَاتُهُ كُلُّهَا**.

وَكَانَ يَقُولُ:
"**مَا وَجَدْتُ حَلَاوَةَ الدُّنْيَا إِلَّا فِي السُّجُودِ**".

رَكْعَتَانِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ غَيَّرَتْ قَلْبَهُ...
فَكَيْفَ بِمَنْ دَاوَمَ عَلَى أَبْوَابِ اللهِ؟!

نورُ الفِرَاسَةِ في قَلْبِ المُؤْمِنِ
المَسَاجِدُ وَرُوَّادُهَا

دَخَلَ رَجُلٌ عَلَى أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي اللهُ عنهُ، فأظْهَرَ أَدَبًا جَمًّا وَكَلَامًا مُنَمَّقًا، لَكِنَّهُ لَمْ يَجِدْ تَجَاوُبًا مِنْ أَبِي بَكْرٍ، بَلْ ظَلَّ صَامِتًا، ثُمَّ قَالَ لَهُ:
"الكَلَامُ طَيِّبٌ، وَلَكِنْ قَلْبُكَ لَيْسَ مَعَنَا".

تَعَجَّبَ الحَاضِرُونَ وَسَأَلُوهُ عَنِ السَّبَبِ، فَقَالَ:
"أَجِدُ فِي قَلْبِي شَيْئًا مِنْ هذَا الرَّجُلِ".
وَلَمْ تَمْضِ أَيَّامٌ حَتَّى انْكَشَفَ نِفَاقُ ذَلِكَ الرَّجُلِ وَمَكْرُهُ.

وَفِي إِحْدَى الغَزَوَاتِ، كَانَ خَالِدُ بْنُ الوَلِيدِ رضي اللهُ عنهُ يَتَفَقَّدُ الأَسْرَى، فَرَأَى رَجُلًا غَرِيبَ النَّظَرَاتِ، جَامِدًا لَا يَلِينُ وَلَا يَتَكَلَّمُ.
تَأَمَّلَهُ خَالِدٌ وَقَالَ:
"وَاللَّهِ، إِنَّ فِي عَيْنَيْكَ شَيْئًا مَا هُوَ مِنْ أَعْيُنِ أَهْلِ الخَيْرِ".
تَعَجَّبَ الجُنُودُ وَقَالُوا: "مُجَرَّدُ أَسِيرٍ"!
فَأَجَابَهُم خَالِدٌ:
"لَا، هذِهِ عَيْنٌ تُخْفِي شَرًّا".
فَوَضَعَهُ تَحْتَ الرِّقَابَةِ، لِيَكْتَشِفَ لَاحِقًا أَنَّهُ جَاسُوسٌ مِنَ الرُّومِ مُتَخَفٍّ فِي هَيْئَةِ أَسِيرٍ! *السِّيرَةِ وَأَخْبَارِ الفُتُوحَاتِ*

قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رضي اللهُ عنهُ:
"مَا أُوتِيَ عَبْدٌ بَعْدَ الإِيمَانِ شَيْئًا أَفْضَلَ مِنَ الفِرَاسَةِ".

لَكِنَّ هذَا النُّورَ لَا يُعْطَى لِلْعَيْنِ أَوَّلًا، بَلْ يَشْرُقُ أَوَّلًا فِي القَلْبِ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى:
﴿ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ ﴾ *النور: ٣٥*

بِنُورِ اللهِ نُبْصِرُ الحَقَّ، وَنَسِيرُ فِي طَرِيقِ الاسْتِقَامَةِ، وَنَكْشِفُ مَا يَخْفَى عَلَى غَيْرِنَا.

فَالْمُؤْمِنُونَ يُرْزَقُونَ نُورًا يُضِيءُ لَهُمْ الطَّرِيقَ،
وَيَكْشِفُ لَهُمْ مَا يَخْفَى عَلَى غَيْرِهِمْ.

وَمَا جاءَتْ آيَاتُ:

﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾
﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ ... ﴾ النور: ٣٦-٣٧

بَعْدَ آيَةِ النُّورِ إِلَّا إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ المسَاجِدَ وَرُوَّادَهَا هُم أَهْلُ هذَا النُّورِ.

وَلِذَلِكَ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا خَرَجَ إِلَى المسْجِدِ يَقُولُ:

"اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا،
وَفِي لِسَانِي نُورًا، وَفِي بَصَرِي نُورًا، وَفِي سَمْعِي نُورًا،
وَعَنْ يَمِينِي نُورًا، وَعَنْ يَسَارِي نُورًا،
وَمِنْ فَوْقِي نُورًا، وَمِنْ تَحْتِي نُورًا، وَمِنْ أَمَامِي نُورًا، وَمِنْ خَلْفِي نُورًا،
وَاجْعَلْ لِي فِي نَفْسِي نُورًا، وَأَعْظِمْ لِي نُورًا". مسند الإمام أحمد

صَلَاةُ الْمُنْفَرِدِ خَلْفَ الصَّفِّ

فِي الحَدِيثِ الصَّحِيحِ:
أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى رَجُلًا يُصَلِّي خَلْفَ الصَّفِّ وَحْدَهُ،
أَيْ: كَانَ يُصَلِّي مَعَ الجَمَاعَةِ، لَكِنَّهُ وَقَفَ مُنْفَرِدًا خَلْفَ الصَّفِّ
دُونَ أَنْ يَسْعَى لِإِتْمَامِ الصَّفِّ أَوِ الالْتِحَاقِ بِهِ،
فَأَمَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يُعِيدَ صَلَاتَهُ،
لِأَنَّهَا لَمْ تُؤَدَّ عَلَى الوَجْهِ المَشْرُوعِ.

وَهَذَا الحُكْمُ خَاصٌّ بِالرِّجَالِ،
إِذْ لَا حَرَجَ عَلَى المَرْأَةِ أَنْ تُصَلِّي وَحْدَهَا خَلْفَ صُفُوفِ الرِّجَالِ،
لِاخْتِلَافِ وَضْعِهَا مِنْ حَيْثُ الشَّرْعُ وَالسَّتْرُ.

وَقَدْ حَمَلَ العُلَمَاءُ هَذَا الأَمْرَ عَلَى مَنْ صَلَّى مُنْفَرِدًا خَلْفَ الصَّفِّ
مَعَ وُجُودِ فُرْجَةٍ أَوْ مَكَانٍ فِي الصَّفِّ يُمْكِنُهُ الدُّخُولُ فِيهِ.

أَمَّا إِذَا لَمْ يَجِدْ مَوْضِعًا فِي الصُّفُوفِ، وَوَقَفَ مُضْطَرًّا وَحْدَهُ،
فَلَا حَرَجَ عَلَيْهِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى:

﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ البقرة: ٢٨٦

فَإِذَا اكْتَمَلَتِ الصُّفُوفُ،
جَازَ لِلرَّجُلِ المنْفَرِدِ أَنْ يُصَلِّيَ خَلْفَ الصُّفُوفِ وَحْدَهُ إِنْ لَمْ يَجِدْ فُرْجَةً،
لِأَنَّهُ مَعْذُورٌ، وَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ،
لِقَوْلِهِ ﷺ:

"إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ". رواه البخاري ومسلم

أَمَّا إِنْ كَانَ الصَّفُّ غَيْرَ مُكْتَمِلٍ، فَقَدْ لَزِمَهُ الدُّخُولُ فِيهِ،
وَلَا يَجُوزُ لَهُ أَنْ يُصَلِّيَ مُنْفَرِدًا خَلْفَ الصُّفُوفِ،
لِأَنَّ صَلَاةَ المُنْفَرِدِ خَلْفَ الصَّفِّ وَحْدَهُ بَاطِلَةٌ.

قَالَ ﷺ:

"لَا صَلَاةَ لِمُنْفَرِدٍ خَلْفَ الصَّفِّ."

وَتَجِبُ عَلَيْهِ إِعَادَتُهَا لِصَرِيحِ النَّصِّ فِي ذَلِكَ،
فَفِي سُنَنِ التِّرْمِذِي:

"أَنَّ رَجُلًا صَلَّى خَلْفَ الصَّفِّ وَحْدَهُ، فَأَمَرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يُعِيدَ الصَّلَاةَ".

مَن أَدْرَكَ رَكْعَةً مِن صَلَاةِ الجُمُعَةِ

سُئِلَ **سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ** —وكان من كبارِ التابعين:—
"مَتَى تُبَكِّرُ إِلَى الْجُمُعَةِ؟"
فَقَالَ:
"مِنْ قَبْلِ الزَّوَالِ بِسَاعَةٍ، بَلْ مِنَ الضُّحَى، بَلْ مِنَ الْفَجْرِ،
وَمَا يَمْنَعُنِي أَنْ أُبَكِّرَ وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:
"مَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الْأُولَى فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَدَنَةً"!
أي: قدَّمَ **نَاقَةً عَظِيمَةً سَمِينَةً** قُرْبَانًا للهِ تَعَالَى. *البخاري ومسلم*

وكانَ **سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ لَا يُرَى فِي السُّوقِ** يَوْمَ الْجُمُعَةِ بَعْدَ الْفَجْرِ،
بَلْ فِي الْمَسْجِدِ إِلَى أَنْ تُقَامَ الصَّلَاةُ، دَأَبًا عَلَى الاقْتِدَاءِ بِالسُّنَّةِ وَطَلَبِ الْفَضْلِ.

مَن أَدْرَكَ رَكْعَةً مِن رَكْعَتَيِ الجُمُعَةِ فَقَدْ أَدْرَكَ صَلَاةَ الجُمُعَةِ،
وَيُكْمِلُهَا بِرَكْعَةٍ وَاحِدَةٍ فَقَطْ.

أَمَّا مَن أَدْرَكَ أَقَلَّ مِن رَكْعَةٍ
كَأَنْ دَخَلَ المسْجِدَ وَالإِمَامُ فِي سُجُودِ الرَّكْعَةِ الثَّانِيَةِ أَوْ فِي التَّشَهُّدِ الأَخِيرِ
فَلَا يُعَدُّ مُدْرِكًا لِلْجُمُعَةِ،
وَيَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يُصَلِّيَ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ بَدَلًا عَنْهَا وَهِيَ صَلَاةُ الظُّهْرِ.

قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رضي اللهُ عنهُ:
"مَن أَدْرَكَ مِنَ الجُمُعَةِ رَكْعَةً فَلْيُضِفْ إِلَيْهَا أُخْرَى،
وَمَنْ فَاتَتْهُ الرَّكْعَتَانِ فَلْيُصَلِّ أَرْبَعًا". *صححه البيهقي وابن قدامة.*

والأَصْلُ فِي الجُمُعَةِ: التَّبْكِيرُ إِلَى المَسْجِدِ، وَيَكُونُ ذَلِكَ مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ.
وَهُوَ رَأْيُ جُمْهُورِ العُلَمَاءِ:
الحَنَفِيَّة، والشَّافِعِيَّة، والحَنَابِلَ، وَبَعْضِ المالِكِيَّةِ كَابْنِ حَبِيب، وَاخْتَارَهُ أَيْضًا ابْنُ حَزْمٍ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي اللهُ عنهُ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

"مَنِ اغْتَسَلَ يَوْمَ الجُمُعَةِ غُسْلَ الجَنَابَةِ، ثُمَّ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الأُولَى، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَدَنَةً،

وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَقَرَةً،

وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّالِثَةِ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ كَبْشًا أَقْرَنَ،

وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الرَّابِعَةِ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ دَجَاجَةً،

وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الخَامِسَةِ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَيْضَةً،

فَإِذَا خَرَجَ الإِمَامُ، حَضَرَتِ المَلَائِكَةُ يَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ". *رَوَاهُ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.*

وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي اللهُ عنهُ:

"إِذَا كَانَ يَوْمُ الجُمُعَةِ، وَقَفَتِ المَلَائِكَةُ عَلَى أَبْوَابِ المَسْجِدِ، يَكْتُبُونَ الأَوَّلَ فَالأَوَّلَ،

فَإِذَا خَرَجَ الإِمَامُ طَوَوْا الصُّحُفَ، وَجَاؤُوا يَسْتَمِعُونَ". *رَوَاهُ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.*

هَذِهِ الأَحَادِيثُ تَدُلُّ دَلَالَةً وَاضِحَةً عَلَى أَنَّ:

التَّبْكِيرَ لِصَلَاةِ الجُمُعَةِ بَعْدَ طُلُوعِ الفَجْرِ مُسْتَحَبٌّ وَمَطْلُوبٌ.

وَكُلَّمَا بَكَّرَ المُسْلِمُ أَكْثَرَ، زَادَ أَجْرُهُ وَعَظُمَ قُرْبَانُهُ الرَّمْزِيُّ.

صلاة البردين... حماية الملائكة وشهادة السماء

أَخْبَرَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنَّ لِلْمَلَائِكَةِ نَوْبَةَ حِرَاسَةٍ تَتَنَاوَبُ عَلَى بَنِي آدَمَ؛ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ.

فَجْرًا :تَنْزِلُ مَلَائِكَةُ النَّهَارِ، وَمَا تَزَالُ مَلَائِكَةُ اللَّيْلِ مَوْجُودَةً، فَيَلْتَقُونَ وَيَشْهَدُونَ الصَّلَاةَ.

وعَصْرًا :يَحْدُثُ اللِّقَاءُ الثَّانِي، حِينَ تَتَسَلَّمُ مَلَائِكَةُ اللَّيْلِ الْحِرَاسَةَ مِنْ مَلَائِكَةِ النَّهَارِ

قَالَ ﷺ:

"يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةٌ فِي النَّهَارِ،
وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الْعَصْرِ". مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ

ثُمَّ يَصْعَدُونَ إِلَى رَبِّهِمْ، وَيَسْأَلُهُمْ – وَهُوَ أَعْلَمُ:–
"كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟"

فَيَقُولُونَ:
"تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ، وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ".

يَا لَهَا مِنْ شَهَادَةٍ عَظِيمَةٍ فِي الْمَلَإِ الْأَعْلَى: أَنْ تَكُونَ فِي صَلَاةٍ حِينَ تُزَارُ، وَفِي صَلَاةٍ حِينَ تُودَّعُ!

وَلِهَذَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:
"مَن صَلَّى الْبَرْدَيْنِ دَخَلَ الْجَنَّةَ ". رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ

والبَرْدَانِ: هُمَا الصَّلَاتَانِ الْفَجْرُ وَالْعَصْرُ.

وَقَدْ وَرَدَ فِي فَضْلِ هَاتَيْنِ الصَّلَاتَيْنِ كَثِيرٌ مِنَ النُّصُوصِ:

- قال تعالى:

﴿ **إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا** ﴾)الإسراء: ٧٨

أي صلاة الفجر تشهدها ملائكة الليل والنهار.

- وقال تعالى:

﴿ **حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى** ﴾ *البقرة: ٢٣٨*

والراجح أن الصلاة الوسطى هي صلاة العصر.

- وقال ﷺ:

"**مَن فَاتَتْهُ صَلَاةُ الْعَصْرِ، فَكَأَنَّمَا وُتِرَ أَهْلُهُ وَمَالُهُ**". *رواه الترمذي*

أي خسر كل شيء

- وفي حديث آخر:

"**فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ** ". *رواه مسلم*

وَلَا يَعْنِي هَذَا التَّقْلِيلَ مِنْ أَهَمِّيَّةِ بَاقِي الصَّلَوَاتِ،
بَلْ هُوَ تَشْدِيدٌ فِي الْحَثِّ عَلَى هَاتَيْنِ لِمَا فِيهِمَا مِنْ اجْتِمَاعِ الْمَلَائِكَةِ،
وَبَرَكَةِ التَّوْقِيتِ،
وَكَوْنِهِمَا ثَقِيلَتَيْنِ عَلَى الْمُنَافِقِينَ.

فَالصَّلَوَاتُ كُلُّهَا صِلَةٌ بَيْنَ الْعَبْدِ وَرَبِّهِ،
وَالْمَقْطُوعُ عَنِ الصَّلَاةِ مَقْطُوعٌ عَنِ النُّورِ وَالْمَدَدِ.

سَجْدَةُ الشُّكْرِ: حِينَ يَخِرُّ القَلْبُ قَبْلَ الجَسَدِ

فِي لَحْظَةٍ نُورَانِيَّةٍ عَظِيمَةٍ، **سَجَدَ النَّبِيُّ ﷺ... وَأَطَالَ السُّجُودَ.**

ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَقَالَ:

"إِنَّ جِبْرِيلَ أَتَانِي فَبَشَّرَنِي، فَسَجَدْتُ لِلَّهِ شُكْرًا ". رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ،

إِنَّهَا سَجْدَةُ امْتِنَانٍ، سَجْدَةُ حُبٍّ، وَسَجْدَةُ خُضُوعٍ.

لَا تُقَالُ فِيهَا كَلِمَاتٌ، لَكِنَّ القَلْبَ يَنْطِقُ فِيهَا بِكُلِّ شَيْءٍ.

حِينَ تُغْرِقُكَ النِّعْمَةُ، أَوْ يَنْجَلِي عَنْكَ البَلَاءُ، **تَسْجُدُ لَا إِرَادِيًّا، بِقَلْبِكَ قَبْلَ جَبْهَتِكَ.**

بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ عَلِيًّا إِلَى الْيَمَنِ، فَأَسْلَمَ أَهْلُهَا، فَلَمَّا قَرَأَ كِتَابَهُ وَبَشَّرَهُ بِالْفَتْحِ، **خَرَّ سَاجِدًا لِلَّهِ شُكْرًا.**

سَجَدَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حِينَ بَلَغَهُ فَتْحٌ مِنْ جِهَةِ الْيَمَامَةِ.

وَسَجَدَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حِينَ بَلَغَهُ مَقْتَلُ مُسَيْلِمَةَ الْكَذَّابِ، عَدُوُّ اللهِ وَعَدُوُّ رَسُولِهِ.

وَسَجَدَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حِينَ رَأَى ذَا الثُّدَيَّةِ بَيْنَ قَتْلَى الْخَوَارِجِ، وَهِيَ عَلَامَةٌ صَدَّقَ بِهَا خَبَرُ النَّبِيِّ ﷺ.

قَالَ اللهُ تَعَالَى:

﴿ **وَٱشْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ** ﴾ النحل: ١١٤

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

"مَا مِنْ عَبْدٍ يُنْعِمُ اللهُ عَلَيْهِ نِعْمَةً فَيَحْمَدُ اللهَ، إِلَّا كَانَ الْحَمْدُ أَفْضَلَ مِنْهَا ". رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ،

وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

"الإِيمَانُ نِصْفَانِ: نِصْفٌ صَبْرٌ، وَنِصْفٌ شُكْرٌ".

فَالْإِكْثَارُ مِنْ قَوْلِ" :**الْحَمْدُ لِلَّهِ"**

هُوَ مِنْ أَعْظَمِ دَلَائِلِ الإِيمَانِ.

وَعِنْدَ تَمَامِ النِّعْمَةِ، قُلْ" :**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ"**.

وَتُسْتَحَبُّ سَجْدَةُ الشُّكْرِ عِنْدَ تَلَقِّي خَبَرٍ سَارٍّ، أَوْ حُصُولِ نِعْمَةٍ، أَوْ اندِفَاعِ نَقْمَةٍ أَوْ بَلَاءٍ.

وَلَا يُشْتَرَطُ لَهَا: الْوُضُوءُ وَالطَّهَارَةُ وَالتَّوَجُّهُ لِلْقِبْلَةِ.

لَكِنْ: الأَفْضَلُ أَنْ يَكُونَ الْمَرْءُ مُتَوَضِّئًا، مُسْتَقْبِلًا الْقِبْلَةَ إِنْ تَيَسَّرَ لَهُ ذَلِكَ.

وَتَكُونُ سَجْدَةً وَاحِدَةً، مِنْ غَيْرِ تَكْبِيرٍ وَلَا تَشَهُّدٍ وَلَا سَلَامٍ، وَلَيْسَ لَهَا دُعَاءٌ مَخْصُوصٌ، بَلْ يَشْكُرُ

الْقَلْبُ رَبَّهُ بِمَا يَشَاءُ مِنَ الثَّنَاءِ.

وَالْشُّكْرُ لَا يَكُونُ بِالسُّجُودِ فَقَطْ!

فِي الصَّلَاةِ نَقُولُ" :**سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ"**

أَي: يَسْتَجِيبُ اللهُ لِمَنْ يَحْمَدُهُ.

وَمِنْ صُوَرِ الشُّكْرِ أَيْضًا الإِكْثَارُ مِنَ الصَّدَقَاتِ، وَالإِحْسَانُ إِلَى النَّاسِ.

وَشُكْرُ مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْكَ، فَقَدْ قَالَ ﷺ:

"مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ، لَا يَشْكُرُ اللهَ ". رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ.

فَكُنْ عَبْدًا شَكُورًا ..**سَاجِدًا عِنْدَ الْفَرَحِ، كَمَا تَسْجُدُ عِنْدَ الْأَلَمِ،**

وَاجْعَلْ سَجْدَةَ الشُّكْرِ عَادَةً قَلْبِيَّةً قَبْلَ أَنْ تَكُونَ حَرَكِيَّةً.

قَالَ تَعَالَى" :**لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ".** إِبْرَاهِيم: ٧

سَجْدَةٌ خَالِصَةٌ ...**قَدْ تُغَيِّرُ حَيَاتَكَ كُلَّهَا.**

الفصلُ السَّادِس: قَصَصٌ وَآثَارٌ فِي مُنَاسَبَاتٍ مُتَنَوِّعَةٍ

فِي شَعْبَانَ وَرَمَضَانَ ، وَالأيّامِ العَشْرِ مِن ذِي الحِجَّةِ، وَالحَجِّ، وَعَرَفَةَ، وَالأَضَاحِي، والهجرة، والاسراء والمعراج وَمُتَنوِعات .... إلَخ

فِي رَمَضَانَ وَشَعْبَانَ

قِصَّةُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ وَصِيَامِ النَّافِلَةِ

كَانَ **عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا** مِنْ كِبَارِ الصَّحَابَةِ،
وَاشْتُهِرَ بِ**الوَرَعِ وَالعِبَادَةِ**، وَالاقْتِدَاءِ التَّامِّ بِسُنَّةِ النَّبِيِّ ﷺ،
وَكَانَ **كَثِيرَ الصِّيَامِ**، حَتَّى قِيلَ: إِنَّهُ لَا يُفْطِرُ إِلَّا فِي الأَيَّامِ المَنْهِيِّ عَنْهَا.
رُوِيَ أَنَّهُ كَانَ يَوْمًا فِي سَفَرٍ مَعَ جَمَاعَةٍ مِنَ النَّاسِ، وَكَانَ فِيهِمْ رَجُلٌ يُكْثِرُ الأَكْلَ وَيُفْطِرُ فِي السَّفَرِ،
وَكَانَ الحَرُّ شَدِيدًا، وَالجَمِيعُ فِي تَعَبٍ وَمَشَقَّةٍ.
فَلَمَّا جَاءَ وَقْتُ النُّزُولِ لِلاسْتِرَاحَةِ، رَأَوْا **عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ صَائِمًا، جَالِسًا فِي ظِلِّ شَجَرَةٍ، مُتْعَبًا مِنَ الجُوعِ وَالعَطَشِ**.
فَقَالَ لَهُ بَعْضُهُمْ:
"أَفْطِرْ، فَإِنَّ السَّفَرَ فِيهِ مَشَقَّةٌ، وَقَدْ رُخِّصَ لَنَا فِي الفِطْرِ".
فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ:
"نَعَمْ، لَكِنَّنِي وَجَدْتُ **قُوَّةً، وَأَحْبَبْتُ أَلَّا يَفُوتَنِي هَذَا الأَجْرُ**".
ثُمَّ قَالَ:
"**صَوْمُ يَوْمٍ فِي السَّفَرِ مَعَ الصَّبْرِ عَلَيْهِ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ عَشَرَاتِ الأَيَّامِ فِي الحَضَرِ**".
وَكَانَ يَقُولُ عَنِ الصِّيَامِ:
"الصِّيَامُ لِلَّهِ، وَلَا يَعْلَمُ ثَوَابَهُ إِلَّا هُوَ، وَأَنَا أَرْجُو مَا عِنْدَ اللهِ." *صفة الصفوة ، ابن الجوزي*
وَرَدَ فِي فَضْلِ الصِّيَامِ عَشَرَاتُ الأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ، مِنْهَا:
عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ:
"أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقُلْتُ :**مُرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الجَنَّةَ، قَالَ: عَلَيْكَ بِالصَّوْمِ، فَإِنَّهُ لَا عِدْلَ لَهُ**".
ثُمَّ أَتَيْتُهُ ثَانِيَةً، فَقَالَ: عَلَيْكَ بِالصِّيَامِ." *رواه النسائي والحاكم*
وَعَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ:
"سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ :**الصِّيَامُ جُنَّةٌ مَا لَمْ يَخْرِقْهَا** ". *أحمد في المسند*
يَعْنِي يَخْرِقُهَا بِالغِيبَةِ وَالمَعَاصِي.
وَقَالَ ﷺ: " يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ البَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ،
وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ؛ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ." *رواه البخاري ومسلم*

وَقَالَ ﷺ:

"فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَجَارِهِ تُكَفِّرُهَا **الصَّلَاةُ وَالصِّيَامُ وَالصَّدَقَةُ** ". رواه البخاري ومسلم

وَقَالَ ﷺ:

"**الصِّيَامُ وَالقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَوْمَ القِيَامَةِ**) ". أحمد في المسند

ومن فَضَائِلِ الصَّائِمِينَ:

- **بَابُ الرَّيَّانِ:**

لِلصَّائِمِينَ بَابٌ خَاصٌّ فِي الجَنَّةِ لَا يَدْخُلُ مِنْهُ غَيْرُهُمْ،

قَالَ ﷺ: "فِي الجَنَّةِ بَابٌ يُقَالُ لَهُ الرَّيَّانُ، لَا يَدْخُلُهُ إِلَّا الصَّائِمُونَ".

- **دَعْوَةٌ لَا تُرَدُّ:**

"وَلِلصَّائِمِ عِنْدَ فِطْرِهِ دَعْوَةٌ مَا تُرَدُّ".

- **أَجْرٌ لَا يُحْصَى:**

"الحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ، إِلَى مَا شَاءَ اللهُ.

قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: إِلَّا الصَّوْمَ، فَإِنَّهُ لِي، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ".

قَالَ العُلَمَاءُ: لَوْ لَمْ يَرِدْ فِي فَضْلِ الصِّيَامِ إِلَّا هَذَا الحَدِيثُ، لَكَفَى بِهِ فَضْلًا وَتَشْرِيفًا.

- **الغَنِيمَةُ البَارِدَةُ:**

قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: "الصِّيَامُ فِي الشِّتَاءِ غَنِيمَةٌ بَارِدَةٌ".

وأَمَّا فَضْلُ صِيَامِ رَمَضَانَ:

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

"رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ دَخَلَ عَلَيْهِ رَمَضَانُ ثُمَّ انْسَلَخَ قَبْلَ أَنْ يُغْفَرَ لَهُ".

أي لاصق أنفه بالتراب كناية عن الذل لمن لم يغتنم رمضان، موسم المغفرة والخير.

شَعْبَانُ بَوَّابَةٌ لِرَمَضَانَ

كَانَ الصَّالِحُونَ إِذَا دَخَلَ شَعْبَانُ، يَفْتَحُونَ مَصَاحِفَهُمْ، وَيُكْثِرُونَ مِنَ الْقِرَاءَةِ، وَكَانُوا يَقُولُونَ: "شَعْبَانُ شَهْرُ الْقُرَّاءِ".

و"طُوبَى لِمَنْ أَصْلَحَ نَفْسَهُ قَبْلَ رَمَضَانَ".

شَهْرٌ تَمَنَّى الصَّالِحُونَ لِقَاءَهُ، فَكَانُوا يَقُولُونَ فِي دُعَائِهِمْ:

اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي رَجَبَ وَشَعْبَانَ، وَبَلِّغْنَا رَمَضَانَ. *صحيح الجامع*

وَكَانُوا يَدْعُونَ اللَّهَ تَعَالَى سِتَّةَ أَشْهُرٍ أَنْ يُبَلِّغَهُمْ رَمَضَانَ، وَيَدْعُونَهُ سِتَّةَ أَشْهُرٍ أَنْ يَتَقَبَّلَهُ مِنْهُمْ. وَمِنْ أَجْمَلِ أَدْعِيَتِهِمْ:

اللَّهُمَّ سَلِّمْنِي إِلَى رَمَضَانَ، وَسَلِّمْ لِي رَمَضَانَ، وَتَسَلَّمْهُ مِنِّي مُتَقَبَّلًا.

أَيْ:

- **سَلِّمْنِي** :أَيْ أَبْقِنِي حَيًّا سَالِمًا حَتَّى أُدْرِكَ رَمَضَانَ.
- **وَسَلِّمْ لِي رَمَضَانَ** :أَيْ اجْعَلْنِي أُوَفَّقُ فِيهِ لِلصِّيَامِ وَالْقِيَامِ.
- **وَتَسَلَّمْهُ مِنِّي مُتَقَبَّلًا** :أَيْ اقْبَلْ عَمَلِي فِيهِ وَلَا تَرُدَّهُ.

فَإِنَّ الطَّرِيقَ إِلَى رَمَضَانَ يَمُرُّ عَبْرَ بَوَّابَةِ شَعْبَانَ، وَحَالُكَ فِي شَعْبَانَ يُنَبِّئُ عَنْ حَالِكَ فِي رَمَضَانَ. فَإِذَا لَمْ تَأْخُذْ نَفْسَكَ بِالْعَزِيمَةِ فِي شَعْبَانَ، خَذَلَتْكَ فِي رَمَضَانَ.

لِذَلِكَ :أَصْلِحْ نَفْسَكَ قَبْلَ رَمَضَانَ، وَابْدَأْ بِالتَّوْبَةِ وَالإِكْثَارِ مِنَ الطَّاعَاتِ.

فَشَعْبَانُ فُرْصَةٌ عَظِيمَةٌ لِلتَّوْبَةِ، وَالإِقْلَاعِ عَنْ كُلِّ مَا يُعِيقُ رُجُوعَكَ إِلَى اللَّهِ.

وَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَصُومُ أَكْثَرَهُ، فَقَالَ:

"ذَاكَ شَهْرٌ يَغْفُلُ النَّاسُ عَنْهُ بَيْنَ رَجَبَ وَرَمَضَانَ، وَهُوَ شَهْرٌ تُرْفَعُ فِيهِ الْأَعْمَالُ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأُحِبُّ أَنْ يُرْفَعَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ". *رواه النّسائي*

فَصِيَامُ شَعْبَانَ كَالتَّمْرِينِ عَلَى صِيَامِ رَمَضَانَ، حَتَّى يَدْخُلَ الْمُؤْمِنُ رَمَضَانَ بِقُوَّةٍ وَنَشَاطٍ.

وَمَعَ ذَلِكَ: يُنْهَى عَنْ تَخْصِيصِ النِّصْفِ الثَّانِي مِنْ شَعْبَانَ بِالصِّيَامِ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:
"إِذَا انْتَصَفَ شَعْبَانُ فَلَا تَصُومُوا". رواه أبو داود والترمذي
إِلَّا لِمَنْ كَانَ لَهُ عَادَةُ صِيَامٍ، كَصَوْمِ الِاثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ، أَوْ قَضَاءٍ، أَوْ نَذْرٍ.

وَلَا يَجُوزُ تَقْدِيمُ صِيَامِ رَمَضَانَ بِيَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ، لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ:
"لَا تَقَدَّمُوا رَمَضَانَ بِصَوْمِ يَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ، إِلَّا رَجُلٌ كَانَ يَصُومُ صَوْمًا فَلْيَصُمْهُ". البخاري ومسلم

فِي صِيَامِ الْفَرْضِ لَا بُدَّ مِنْ نِيَّةٍ مَبِيتَةٍ فِي اللَّيْلِ، لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ:
"مَنْ لَمْ يُبَيِّتِ الصِّيَامَ مِنَ اللَّيْلِ، فَلَا صِيَامَ لَهُ". رواه النسائي وابن حبان

أَمَّا صِيَامُ التَّطَوُّعِ، فَيَجُوزُ عَقْدُ النِّيَّةِ فِي النَّهَارِ، كَمَا ثَبَتَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ:
"دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: أَعِنْدَكُمْ شَيْءٌ؟ قُلْنَا: لَا. قَالَ: فَإِنِّي إِذًا صَائِمٌ". رواه مسلم

فَالِاسْتِعْدَادُ لِرَمَضَانَ يَكُونُ بِ:

- الدُّعَاءِ بِبُلُوغِهِ وَالْقَبُولِ.
- التَّوْبَةِ وَالْإِكْثَارِ مِنَ الطَّاعَاتِ.
- قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ فِي شَعْبَانَ.
- صِيَامِ الْأَيَّامِ الْمُسْتَحَبَّةِ دُونَ تَخْصِيصِ النِّصْفِ الثَّانِي.
- ضَبْطِ النِّيَّةِ لِصِيَامِ الْفَرْضِ.
- وَعَدَمِ تَقْدِيمِ رَمَضَانَ بِصِيام إِلَّا لِذِي عَادَةٍ.

فَمَنْ أَصْلَحَ نَفْسَهُ فِي شَعْبَانَ، أَعَدَّهَا لِرَمَضَانَ.

قِصَّةُ لَيْلَةِ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ

فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ، كَانَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا يَرْوِي ك
َيْفَ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُحِبُّ لَيْلَةَ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ، وَيُحْيِيهَا بِالْعِبَادَةِ وَالصَّلَاةِ.

وَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ ابْنُ مَاجَه وَابْنُ حِبَّان:
"إِنَّ اللهَ تَعَالَى يَطَّلِعُ فِي لَيْلَةِ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ،
فَيَغْفِرُ لِجَمِيعِ خَلْقِهِ، إِلَّا لِمُشْرِكٍ أَوْ مُشَاحِنٍ".

وَمِنْ شِدَّةِ حِرْصِهِ عَلَى هَذِهِ اللَّيْلَةِ الْمُبَارَكَةِ،
كَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا يُشَجِّعُ الصَّحَابَةَ عَلَى اغْتِنَامِهَا،
فَيُكْثِرُ مِنَ الدُّعَاءِ وَالذِّكْرِ وَالصَّدَقَةِ، وَيَحُثُّهُمْ عَلَى الِاسْتِعْدَادِ لَهَا بِالطَّاعَاتِ.

وَقَدْ قَالَ الإِمَامُ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللهُ:
"لَيْلَةُ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ، قَدْ رُوِيَ فِي فَضْلِهَا أَحَادِيثُ وَآثَارٌ، وَنَقَلَ بَعْضُ السَّلَفِ أَنَّهُمْ كَانُوا يُصَلُّونَ فِيهَا، وَلَكِنَّ الِاجْتِمَاعَ فِي الْمَسَاجِدِ عَلَى إِحْيَائِهَا بِدْعَةٌ". *مجموع الفتاوى*

وَقَالَ الإِمَامُ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللهُ:
"بَلَغَنَا أَنَّ الدُّعَاءَ يُسْتَجَابُ فِي خَمْسِ لَيَالٍ:
لَيْلَةِ الْجُمُعَةِ، وَلَيْلَةِ الْعِيدَيْنِ، وَأَوَّلِ رَجَبٍ، وَلَيْلَةِ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ". *"الأم" للشافعي*

وَقَدْ ثَبَتَ الْحَدِيثُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ:
"إِنَّ اللهَ لَيَطَّلِعُ فِي لَيْلَةِ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ، فَيَغْفِرُ لِجَمِيعِ خَلْقِهِ،
إِلَّا لِمُشْرِكٍ أَوْ مُشَاحِنٍ". *رواه الطبراني، وابن حبان*

وَفِي رِوَايَاتٍ أُخْرَى:
يُؤَخِّرُ اللهُ أَهْلَ الْحِقْدِ كَمَا هُمْ، فَلَا يُغْفَرُ لَهُمْ إِلَّا إِذَا صَلَحُوا.

فَهَذَا يُعَلِّمُنَا أَنَّ أَفْضَلَ الْأَعْمَالِ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ الْمُبَارَكَةِ:

سَلَامَةُ الصَّدْرِ،

وَالْبُعْدُ عَنِ الشِّرْكِ وَالْبَغْضَاءِ وَالْعَدَاوَاتِ،

فَإِنَّ الإِسْلَامَ يَجْمَعُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى الأُخُوَّةِ وَالْقُلُوبِ السَّلِيمَةِ الَّتِي تَخْشَى اللهَ،

وَتَسْتَعِدُّ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ الَّذِي قَالَ اللهُ فِيهِ:

﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾. ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ *الشعراء: ٨٨-٨٩*

وَقَدْ جَاءَ فِي الصَّحِيحَيْنِ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ:

"تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ،

فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا،

إِلَّا امْرَأً كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ،

فَيُقَالُ: أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا". *رواه مسلم*

فَهَذِهِ اللَّيْلَةُ تَذْكِيرٌ لَنَا بِأَنَّ الْعَفْوَ، وَالتَّوْبَةَ، وَصِلَةَ الأَرْحَامِ، وَإِصْلَاحَ الْعَلَاقَاتِ، هِيَ سِرُّ الْمَغْفِرَةِ وَالْبَرَكَةِ فِي لَيْلَةِ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ.

سُئِلَ عَبدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ): كَيْفَ كُنْتُمْ تَسْتَقْبِلُونَ رَمَضَانَ؟

فقال" :**مَا كَانَ أَحَدُنَا يَجْرُؤُ عَلَى اسْتِقْبَالِ الْهِلَالِ، وَفِي قَلْبِهِ ذَرَّةُ حِقْدٍ عَلَى أَخِيهِ الْمُسْلِمِ".**

عوَّاءُ أَهْلِ النَّارِ... مَشْهَدٌ تَقْشَعِرُّ لَهُ الأَبْدَانُ

فِي لَيْلَةٍ مِنَ اللَّيَالِي، وَبَيْنَمَا كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ نَائِمًا،
رَأى رُؤْيَا مَهِيبَةً... رُؤْيَا لَيْسَتْ كَسَائِرِ الأَحْلَامِ، بَلْ رِسَالَةً مِنَ اللهِ لَنَا جَمِيعًا.

قَالَ ﷺ:
"بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ، إِذْ أَتَانِي رَجُلَانِ، فَأَخَذَا بِعَضُدَيَّ – أَي كَتِفَيَّ – بِلُطْفٍ، وَقَالَا: تَعَالَ مَعَنَا".

أَخَذَاهُ فِي رِحْلَةٍ عَجِيبَةٍ، حَتَّى بَلَغَا جَبَلًا شَدِيدَ الِانْحِدَارِ، وَعِرًّا الْمَسَالِكِ.

فَقَالَ ﷺ:
"إِنِّي لَا أُطِيقُهُ"!
فَقَالَا لَهُ:
"إِنَّا سَنُسَهِّلُهُ لَكَ".

وَصَعِدَ النَّبِيُّ ﷺ الْجَبَلَ،
حَتَّى بَلَغَ مُنْتَصَفَهُ،
وَإِذَا بِهِ يَسْمَعُ أَصْوَاتًا مُرْعِبَةً... تَقْشَعِرُّ لَهَا الْجُلُودُ!

فَقَالَ ﷺ مُنْدَهِشًا:
"مَا هَذِهِ الأَصْوَاتُ؟"!
قَالَا:
"هَذَا عُوَاءُ أَهْلِ النَّارِ"!

ثُمَّ وَاصَلَا الْمَسِيرَ،
حَتَّى وَصَلا إِلَى مَشْهَدٍ يُفَطِّرُ الْقَلْبَ رُعْبًا:

رَأى قَوْمًا مُعَلَّقِينَ مِنْ عِرَاقِيبِهِمْ (أَوْتَارِ أَقْدَامِهِمْ)،
وَقَدْ شُقَّتْ زَوَايَا أَفْوَاهِهِمْ (أَشْدَاقِهِمْ)، تَسِيلُ مِنْهَا الدِّمَاءُ!

فَقَالَ ﷺ بِفَزَعٍ: "**مَنْ هَؤُلَاءِ؟**"!
فَقَالَ أَحَدُ الْمَلَكَيْنِ:
"**هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُفْطِرُونَ قَبْلَ أَنْ يَحِلَّ لَهُمُ الْفِطْرُ**". رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ

أي: الَّذِينَ يَتَعَمَّدُونَ الْإِفْطَارَ فِي نَهَارِ رَمَضَانَ قَبْلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ.

فَكَيْفَ بِمَنْ لَا يَصُومُ أَصْلًا؟!

الصِّيامُ رُكْنٌ مِنْ أَرْكَانِ الإِسْلَامِ،
وَلَيْسَ مُجَرَّدَ عَادَةٍ مُوسِمِيَّةٍ أَوْ عَادَةٍ **مُجْتَمَعِيَّةٍ!**

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:
"**مَنْ أَفْطَرَ يَوْمًا مِنْ رَمَضَانَ مِنْ غَيْرِ رُخْصَةٍ، لَمْ يُعَوِّضْهُ صِيَامُ الدَّهْرِ كُلِّهِ**".
أي: لا يُعَوَّضُ أَجْرُهُ، وَلَوْ صَامَ الدَّهْرَ كُلَّهُ

إِنَّ مَن انْهَزَمَ أَمَامَ شَهَوَاتِهِ وَبَطْنِهِ، فَكَيْفَ سَيَنْتَصِرُ فِي مَيَادِينِ الْحَيَاةِ؟
مَن لَمْ يَصْمُدْ فِي رَمَضَانَ، فَمَتَى يَصْمُدُ؟!
ولِلَّذِينَ يَتَهَاوَنُونَ بِصِيَامِ رَمَضَانَ، وَيَتَعَمَّدُونَ الْفِطْرَ دُونَ عُذْرٍ شَرْعِيٍّ:

هَذَا مِنْ كَبَائِرِ الذُّنُوبِ، لَا يُسْتَهَانُ بِهِ! قَالَ اللهُ تَعَالَى:
﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ البقرة: ١٨٣

وَقَالَ ﷺ: "**بُنِيَ الإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ** "...وَكَانَ مِنْهَا: صَوْمُ رَمَضَانَ.

عَلَى مَنْ فَرَّطَ وَتَهَاوَنَ أَنْ يُسَارِعَ إِلَى التَّوْبَةِ، ويُكْثِرَ مِنَ النَّوَافِلِ وَالطَّاعَاتِ.

لَعَلَّ اللهَ أَنْ يُبَدِّلَ السَّيِّئَاتِ حَسَنَاتٍ.
فَرُؤْيَا النَّبِيِّ ﷺ إِنْذَارٌ... قَبْلَ فَوَاتِ الأَوَانِ.

قِصَّةُ صُهَيْبِ الرُّومِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مَعَ السَّحُورِ

عَنْ **زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** قَالَ:

"تَسَحَّرْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ثُمَّ قُمْنَا إِلَى الصَّلَاةِ".
فَقُلْتُ: كَمْ كَانَ بَيْنَ الْأَذَانِ وَالسَّحُورِ؟
قَالَ" :**قَدْرَ خَمْسِينَ آيَةً"**. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ

وَهَذِهِ الرِّوَايَةُ تُظْهِرُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَحْرِصُ عَلَى تَأْخِيرِ السَّحُورِ حَتَّى قُبَيْلَ الْأَذَانِ بِفَتْرَةٍ قَصِيرَةٍ.

وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى أَنَّ **صُهَيْبَ الرُّومِيَّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** أَكَلَ السَّحُورَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ ذَهَبَ لِيُصَلِّيَ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ:

"هَلُمَّ إِلَى الْغَدَاءِ الْمُبَارَكِ". رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ،

فَقَدْ سَمَّى النَّبِيُّ ﷺ السَّحُورَ **"الْغَدَاءَ الْمُبَارَكَ"**، رَغْمَ أَنَّهُ يُؤْكَلُ فِي اللَّيْلِ، لِمَا فِيهِ مِنَ **الْبَرَكَةِ وَعِظَمِ الْأَجْرِ**، وَلِأَنَّهُ يُعِينُ عَلَى الصِّيَامِ وَالْعِبَادَةِ.

بَرَكَةُ السُّحُورِ فِي الْهَدْيِ النَّبَوِيِّ

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

"تَسَحَّرُوا، فَإِنَّ فِي السُّحُورِ بَرَكَةً". مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ

فَمِنْ بَرَكَاتِ السُّحُورِ أَنَّ فيه:

- إِعَانَةٌ عَلَى الطَّاعَةِ وَالْعِبَادَةِ.
- زِيَادَةٌ فِي النَّشَاطِ وَالْعَمَلِ.
- تَقْوِيَةٌ لِلْجَسَدِ عَلَى مَشَقَّةِ الصِّيَامِ.

فَالْجَائِعُ الظَّامِئُ يَعْتَرِيهِ الْفُتُورُ، وَيَدِبُّ إِلَيْهِ الْكَسَلُ، لَكِنَّ الْمُتَسَحِّرَ يَنْهَضُ نَشِيطًا **بِعَوْنِ اللهِ**.

غيرَ أنَّ هُنَاكَ جَانِبٌ عَظِيمٌ فِي السُّحُورِ **يَغْفُلُ عَنْهُ كَثِيرُونَ**، وَهُوَ **الدُّعَاءُ وَالِاسْتِغْفَارُ فِي وَقْتِ السَّحَرِ**.

قَالَ اللهُ تَعَالَى:

﴿ **وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ** ﴾ سُورَةُ الذَّارِيَاتِ: ١٨

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

"**يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ، فَيَقُولُ:**
مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ،
مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ،
مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ". رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ

فَمَنْ كَانَ يَقُومُ آخِرَ اللَّيْلِ لِلسُّحُورِ وَصَلَاةِ الْفَجْرِ، فَلْيُبَادِرْ قَبْلَهُ **بِالذِّكْرِ، وَالدُّعَاءِ، وَتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ، وَصَلَاةِ رَكْعَتَيْنِ**، عَسَى أَنْ يُدْرِكَ هَذَا الْفَضْلَ الْعَظِيمَ، وَيَكونَ له نصيبٌ مِنْ قَوْلِهِ ﷺ:

"**أَيُّهَا النَّاسُ، أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصِلُوا الْأَرْحَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ**". رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ

الدُّعَاءُ فِي رَمَضَانَ.. لَحْظَةُ قُرْبٍ وَاسْتِجَابَةٍ

رَوَى عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ:

"يَا رَسُولَ اللهِ، أَقَرِيبٌ رَبُّنَا فَنُنَاجِيهِ، أَمْ بَعِيدٌ فَنُنَادِيهِ؟"

فَجَاءَ الْجَوَابُ مِنَ السَّمَاءِ مُبَاشَرَةً، دُونَ وَسِيطٍ، تَأْكِيدًا لِعِظَمِ سُؤَالِ الرَّجُلِ وَمَكَانَةِ الدُّعَاءِ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى:

﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ، أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ** ﴾ سُورَةُ الْبَقَرَةِ: ١٨٦

وَالْعَجِيبُ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ جَاءَتْ وَسَطَ آيَاتِ الصِّيَامِ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ، مِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ رَمَضَانَ هُوَ شَهْرُ الدُّعَاءِ وَالْقُرْبِ مِنَ اللهِ.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

"إِنَّ لِلصَّائِمِ عِندَ فِطْرِهِ دَعْوَةً لَا تُرَدُّ ". رَوَاهُ ابْنُ مَاجَه

وَكَانَ ﷺ يَحُثُّ الصَّائِمَ عَلَى الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ طُوَالَ يَوْمِهِ، وَبِخَاصَّةٍ عِنْدَ الْإِفْطَارِ، إِذْ هُوَ وَقْتٌ تُرْجَى فِيهِ الْإِجَابَةُ.

وَيُسْتَحَبُّ لِلصَّائِمِ أَنْ يَدْعُوَ بِمَا شَاءَ لِنَفْسِهِ، وَأَهْلِهِ، وَأُمَّتِهِ، مِنْ أُمُورِ الدِّينِ وَالدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

فالارْتِبَاطُ وَثِيقٌ بَيْنَ الصِّيَامِ وَالدُّعَاءِ

فَلَقَدْ قَرَنَ اللهُ تَعَالَى بَيْنَ الصِّيَامِ وَالدُّعَاءِ فِي تَرْتِيبِ الْآيَاتِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ:

﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ** ﴾ البقرة، ١٨٣.

ثُمَّ قَالَ:

﴿ **شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ** ﴾ البقرة، ١٨٥.

وَبَعْدَهَا مُبَاشَرَةً:

﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي** ﴾... البقرة، ١٨٦

ثُمَّ عَادَتِ الْآيَاتُ لِتُتِمَّ أَحْكَامَ الصِّيَامِ.

وَهَذَا التَّدَاخُلُ يُظْهِرُ أَنَّ الدُّعَاءَ فِي رَمَضَانَ لَيْسَ طَارِئًا، بَلْ هُوَ رُكْنٌ مَعْنَوِيٌّ وَرُوحِيٌّ عَظِيمٌ يُلَازِمُ عِبَادَةَ الصِّيَامِ.

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

"ثَلَاثَةٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ: الصَّائِمُ حَتَّى يُفْطِرَ، وَالْإِمَامُ الْعَادِلُ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ". رَوَاهُ التِّرْمِذِي

فَيَنْبَغِي عَلَى الْمُسْلِمِ الصَّائِمِ أَنْ يُكْثِرَ مِنَ الدُّعَاءِ، وَيُلِحَّ عَلَى اللهِ، رَاجِيًا وَعْدَهُ بِالِاسْتِجَابَةِ.

وليحْذَرِ الِاسْتِعْجَالَ فِي الدُّعَاءِ

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

"يُسْتَجَابُ لِأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ، يَقُولُ: دَعَوْتُ وَدَعَوْتُ فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي، فَيَسْتَحْسِرَ عِنْدَ ذَلِكَ وَيَدَعَ الدُّعَاءَ". رَوَاهُ مُسْلِم

وَلَيْسَتِ الْمَسْأَلَةُ فَقَطْ أَنْ نَدْعُوَ، بَلْ الْقِيمَةُ الْحَقِيقِيَّةُ لِلدُّعَاءِ أَنْ نَكُونَ أَهْلًا لِلِاسْتِجَابَةِ.

فَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ عَنِ الرَّجُلِ:

"يُطِيلُ السَّفَرَ، أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ: يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِّيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟" رَوَاهُ مُسْلِم

وَقَالَ ﷺ لِسَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ:

"يَا سَعْدُ، أَطِبْ مَطْعَمَكَ تَكُنْ مُسْتَجَابَ الدُّعَاءِ".

قِصَّةُ الْمَرِيضِ فِي رَمَضَانَ وَرُخْصَةُ الْفِطْرِ

رُوِيَ أَنَّ رَجُلًا مَرِضَ فِي رَمَضَانَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَاشْتَدَّ بِهِ الْمَرَضُ حَتَّى أَفْطَرَ، فَلَمَّا شُفِيَ بَعْدَ رَمَضَانَ، أَمَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ بِقَضَاءِ الْأَيَّامِ الَّتِي أَفْطَرَهَا) .الدَّارَقُطْنِيُّ وَالْبَيْهَقِيُّ(

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن معاذة العدوية سألت عائشة رضي الله عنها فقالت:

"يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، أَيَقْضِي أَحَدُنَا الصَّوْمَ عَنِ الْمَرِيضِ؟"

فأجابت:

"لَا، وَلَكِنْ إِذَا أَفَاقَ قَضَى ".رواه مسلم

قال الله تعالى:

﴿ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾.البقرة: ١٨٤

وقد فهم العلماء من ذلك أن:

الرُّخْصَةَ لَيْسَتْ إِلْزَامِيَّةً بِالْإِفْطَارِ، بَلْ هِيَ تَخْفِيفٌ مِنَ اللهِ، وَالصَّوْمُ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ أَفْضَلُ لِمَنِ اسْتَطَاعَهُ،

لقوله تعالى: **﴿ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾** البقرة: ١٨٤

وفي الصحيحين عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال:

"كُنَّا نُسَافِرُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمْ يَعِبِ الصَّائِمُ عَلَى الْمُفْطِرِ، وَلَا الْمُفْطِرُ عَلَى الصَّائِمِ ".متفق عليه

وجمهور الفقهاء يرون أن:

القضاء لا يُشترط فيه التتابع، لأن قول الله تعالى:

﴿ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾

يدل على وجوب القضاء فقط دون تحديد متى.

أما لمن يُجِدُّهُ الصِّيَامُ، قال الله تعالى:

﴿ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ﴾ البقرة: ١٨٤

وقال ابن عباس رضي الله عنهما:

"هُوَ الشَّيْخُ الْكَبِيرُ وَالْمَرْأَةُ الْكَبِيرَةُ لَا يَسْتَطِيعَانِ الصَّوْمَ، فَعَلَيْهِمَا أَنْ يُطْعِمَا عَنْ كُلِّ يَوْمٍ مِسْكِينًا ". *رواه البخاري*

ويُلحق بهم:

- **الْحَامِلُ وَالْمُرْضِعُ، إِذَا خَافَتَا عَلَى نَفْسَيْهِمَا أَوْ أَوْلَادِهِمَا** . *مذهب الجمهور*
- **كُلُّ مَنْ يَشُقُّ عَلَيْهِ الصَّوْمُ مَشَقَّةً شَدِيدَةً مَعَ الْعَجْزِ عَنِ الْقَضَاءِ.**

قال تعالى:

﴿ **فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ** ﴾ *البقرة: ١٨٤*

أي: من زاد على الفدية أو جمع بين الإطعام والصوم فهو خير له.

وقد بين الله عز وجل في الآيات التي سبقته حكمة فرض الصيام:

﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾ *البقرة: ١٨٣*

أي: فرض عليكم الصيام كما فرض على الأمم السابقة، فعبادة الصوم كانت مكتوبة ومفروضة على الأمم السابقة ولكن بكيفية لا يعلمها إلا الله، لعلكم تتقون، أي رجاء أن تبلغوا منزلة التقوى والخشية من الله.

ولا شك أن هذه الفريضة ترفع بصاحبها إلى أعلى عليين متى أدّاها بآدابها وشروطها،

ويكفي أن الرسول ﷺ قال في شأن الصوم:ى**الصِّيَامُ جُنَّةٌ** "*رواه البخاري ومسلم*

أي: وقاية؛ إذ في الصوم وقاية من الوقوع في المعاصي، ووقاية من عذاب الآخرة، ووقاية من العلل والأمراض الناشئة عن الإفراط في تناول بعض الأطعمة والأشربة.

وقد وصف الصوم بأنه: **أَيَّامٌ مَعْدُودَاتٌ**"، *البقرة: ١٨٤*

أي: إنها قليلة، والقليل يُسهل عده، إشارة إلى رحمة الله بعباده.

قِصَّةُ قِيَامِ النَّبِيِّ ﷺ وَالصَّحَابَةِ فِي رَمَضَانَ

كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى الْخَيْرِ،
وَكَانَ مِنْ هَدْيِهِ فِي رَمَضَانَ أَنْ يُحْيِيَ لَيْلَهُ بِالْقِيَامِ، وَيُوقِظَ أَهْلَهُ، وَيَتَجَهَّزَ لِرَمَضَانَ اسْتِعْدَادًا يَلِيقُ بِقَدْرِهِ.
وَقَدْ قَامَ النَّبِيُّ ﷺ بِأَصْحَابِهِ لِيَالٍ فِي رَمَضَانَ يُصَلِّي بِهِمْ، فَاشْتَهَى الصَّحَابَةُ أَنْ يُكْثِرَ مِنْ ذَلِكَ، وَلَكِنْ مِنْ رَحْمَتِهِ ﷺ بِهِمْ خَشِيَ أَنْ يُفْرَضَ عَلَيْهِمْ، فَتَرَكَهُ.

عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:
"احْتَجَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حُجْرَةً – يَعْنِي: سِتْرًا – فَخَرَجَ يُصَلِّي فِيهَا،
فَصَلَّى رِجَالٌ بِصَلَاتِهِ،
فَأَصْبَحُوا فَتَحَدَّثُوا،
فَاجْتَمَعَ أَكْثَرُ مِنْهُمْ،
فَخَرَجَ فِي اللَّيْلَةِ الثَّانِيَةِ، فَصَلَّوْا مَعَهُ. فَأَصْبَحَ النَّاسُ، فَكَثُرُوا،
فَاجْتَمَعُوا مِنَ اللَّيْلَةِ الثَّالِثَةِ،
فَلَمْ يَخْرُجْ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ،
فَلَمَّا أَصْبَحَ قَالَ:
" قَدْ رَأَيْتُ الَّذِي صَنَعْتُمْ،
فَلَمْ يَمْنَعْنِي مِنَ الْخُرُوجِ إِلَيْكُمْ إِلَّا أَنِّي خَشِيتُ أَنْ تُفْرَضَ عَلَيْكُمْ". *رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِم*

وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَلَّى بِالنَّاسِ قِيَامَ اللَّيْلِ فِي رَمَضَانَ ثَلَاثَ لَيَالٍ،
ثُمَّ تَوَقَّفَ خَشْيَةَ أَنْ يُفْتَرَضَ عَلَى أُمَّتِهِ، رَحْمَةً بِهِمْ.

بَعْدَ وَفَاةِ النَّبِيِّ ﷺ،
جَمَعَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ النَّاسَ عَلَى إِمَامٍ وَاحِدٍ فِي صَلَاةِ التَّرَاوِيحِ،
فَأَحْيَا سُنَّةَ النَّبِيِّ ﷺ بِطَرِيقَةٍ جَمَاعِيَّةٍ مُنْتَظِمَةٍ،
دُونَ الْخَوْفِ مِنَ الْفَرْضِ بَعْدَ وَفَاتِهِ ﷺ.

فَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ الْقَارِي قَالَ:

"خَرَجْتُ مَعَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي رَمَضَانَ إِلَى الْمَسْجِدِ،

فَإِذَا النَّاسُ أَوْزَاعٌ مُتَفَرِّقُونَ،

يُصَلِّي الرَّجُلُ لِنَفْسِهِ،

وَيُصَلِّي الرَّجُلُ فَيُصَلِّي بِصَلَاتِهِ الرَّهْطُ،

فَقَالَ عُمَرُ: وَاللَّهِ، إِنِّي لَأَرَى لَوْ جَمَعْتُ هَؤُلَاءِ عَلَى قَارِئٍ وَاحِدٍ لَكَانَ أَمْثَلَ.

ثُمَّ عَزَمَ فَجَمَعَهُمْ عَلَى أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ.

ثُمَّ خَرَجْتُ مَعَهُ لَيْلَةً أُخْرَى وَالنَّاسُ يُصَلُّونَ بِصَلَاةِ قَارِئِهِمْ،

فَقَالَ عُمَرُ:" نِعْمَ الْبِدْعَةُ هَذِهِ،

وَالَّتِي يَنَامُونَ عَنْهَا أَفْضَلُ مِنَ الَّتِي يَقُومُونَ

– يَعْنِي: آخِرَ اللَّيْلِ – وَكَانَ النَّاسُ يَقُومُونَ أَوَّلَهُ". رَوَاهُ الْبُخَارِي

أي: هٰذِهِ بِدْعَةٌ حَسَنَةٌ أي: جَدِيدَةٌ مِنْ حَيْثُ التَّنْظِيمِ، لَكِنَّهَا مُوَافِقَةٌ لِسُنَّةِ النَّبِيِّ ﷺ ،
وَمَعَ ذٰلِكَ يُشِيرُ إِلَى أَنَّ قِيَامَ آخِرِ اللَّيْلِ – وَهُوَ وَقْتُ السَّحَرِ – أَفْضَلُ مِنَ القِيَامِ فِي أَوَّلِ اللَّيْلِ،
لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ:

"أَفْضَلُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الْفَرِيضَةِ صَلَاةُ اللَّيْلِ"،

وَآخِرُ اللَّيْلِ وَقْتُ نُزُولِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، وَفِيهِ سَاعَةُ إِجَابَةٍ، وَمَوْضِعُ خَلْوَةٍ وَصَفَاءٍ.

لٰكِنَّ النَّاسَ – بِسَبَبِ تَعَبِهِمْ أَوِ انْشِغَالَاتِهِمْ – اعْتَادُوا عَلَى القِيَامِ فِي أَوَّلِ اللَّيْلِ فَقَطْ،
وَهُوَ جَائِزٌ وَمَشْرُوعٌ.

قِيَامُ الصَّحَابَةِ فِي رَمَضَانَ...

كَانَ السَّائِبُ بْنُ يَزِيدَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَرْوِي لَنَا مَشْهَدًا مُهَيْبًا مِنْ لَيَالِي رَمَضَانَ فِي عَهْدِ الفَارُوقِ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فَيَقُولُ:

"أَمَرَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ وَتَمِيمًا الدَّارِيَّ أَنْ يَقُومَا لِلنَّاسِ بِإِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً، فَكَانَ الْقَارِئُ يَقْرَأُ بِالْمِئِينَ، حَتَّى كُنَّا نَعْتَمِدُ عَلَى الْعِصِيِّ مِنْ طُولِ الْقِيَامِ، وَمَا كُنَّا نَنْصَرِفُ إِلَّا عِنْدَ الْفَجْرِ". رَوَاهُ البَيْهَقِيُّ وَصَحَّحَهُ النَّوَوِيُّ وَغَيْرُهُ

وَقَدْ كَانَ هَذَا الْهَدْيُ الْمُبَارَكُ مُوَافِقًا لِهَدْيِ النَّبِيِّ ﷺ، حَيْثُ ثَبَتَ عَنْهُ أَنَّهُ مَا كَانَ يَزِيدُ فِي رَمَضَانَ وَلَا فِي غَيْرِهِ عَلَى إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً، كَمَا قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، وَكَانَ قِيَامُهُ ﷺ طَوِيلًا خَاشِعًا.

وَكَانَ ﷺ يُرَغِّبُ النَّاسَ فِي الْقِيَامِ، فَيَقُولُ:

"مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ". مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ

وَلِلَّهِ دَرُّ الإِمَامِ الشَّافِعِيِّ إِذْ قَالَ:

"إِنْ أَطَالُوا الْقِيَامَ وَأَقَلُّوا السُّجُودَ فَحَسَنٌ، وَإِنْ أَكْثَرُوا السُّجُودَ وَخَفَّفُوا الْقِرَاءَةَ فَحَسَنٌ، وَالأَوَّلُ أَحَبُّ إِلَيَّ".

وَكَذَلِكَ قَالَ الإِمَامُ أَحْمَدُ:

"يَقْرَأُ بِالْقَوْمِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ مَا يَخِفُّ عَلَى النَّاسِ، وَلَا يَشُقُّ عَلَيْهِمْ، لَا سِيَّمَا فِي اللَّيَالِي الْقِصَارِ".

فَقِيَامُ اللَّيْلِ لَا حَدَّ لِرَكَعَاتِهِ، سَوَاءً أُدِّيَ فِي جَمَاعَةٍ أَوْ فِي الْبَيْتِ، وَالأَمْرُ فِيهِ وَاسِعٌ.

وَيُسْتَحَبُّ لِمَنْ يُصَلِّي مَعَ جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يُكْمِلَ صَلَاتَهُ مَعَهُمْ، وَيُوتِرَ مَعَهُمْ، كَمَا قَالَ ﷺ:

"مَنْ قَامَ مَعَ الإِمَامِ حَتَّى يَنْصَرِفَ كُتِبَ لَهُ قِيَامُ لَيْلَةٍ". رَوَاهُ أَهْلُ السُّنَنِ

أَيُّهُمَا أَفْضَلُ؟ طُولُ الْقِيَامِ أَمْ كَثْرَةُ السُّجُودِ؟

قَالَ ﷺ: **أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ، فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ".** رواه مسلم

وَقَالَ ﷺ: "**مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْجُدُ لِلَّهِ سَجْدَةً إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَةً، وَحطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةً** ". رواه مسلم

وَلِذَلِكَ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ: السُّجُودُ أَفْضَلُ مِنَ الْقِيَامِ.
وَلَكِنْ طَائِفَةٌ أُخْرَى رَأَتْ أَنَّ الْقِيَامَ أَفْضَلُ، لِأَنَّ فِيهِ قِرَاءَةَ الْقُرْآنِ، وَهِيَ أَفْضَلُ الذِّكْرِ، وَاسْتَدَلُّوا بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ**﴾ البقرة: ٢٣٨ وَبِقَوْلِهِ ﷺ" :**أَفْضَلُ الصَّلَاةِ طُولُ الْقُنُوتِ**". رواه مسلم

وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ قَوْلًا وَسَطًا جَمِيلًا: السُّجُودُ أَفْضَلُ مِنْ حَيْثُ الْهَيْئَةِ، وَالْقِيَامُ أَفْضَلُ مِنْ حَيْثُ الذِّكْرِ.

وَقِيلَ: قِيَامُ اللَّيْلِ أَفْضَلُ، وَكَثْرَةُ الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ فِي النَّهَارِ أَفْضَلُ.
وَلِذَلِكَ سُمِّيَ" :**قِيَامُ اللَّيْلِ**"، وَلَمْ يُقَلْ: "قِيَامُ النَّهَارِ."

وَكَانَ مِنْ هَدْيِ النَّبِيِّ ﷺ فِي بَعْضِ اللَّيَالِي أَنْ يَقْرَأَ فِي رَكْعَةٍ وَاحِدَةٍ بِالْبَقَرَةِ، وَآلِ عِمْرَانَ، وَالنِّسَاءِ، وَكَانَ لَا يَزِيدُ عَلَى إِحْدَى عَشْرَةَ أَوْ ثَلَاثَ عَشْرَةَ رَكْعَةً، وَلَكِنْ يُطِيلُ فِيهَا .صحيح مسلم

أَمَّا فِي النَّهَارِ، فَلَمْ يَكُنْ يُطِيلُ السُّنَنَ وَالنَّوَافِلَ كَمَا فِي اللَّيْلِ، بَلْ كَانَتْ أَقْصَرَ، خَفِيفَةً عَلَى النَّاسِ.

وَلَعَلَّ الأَوْفَقَ بِالْعَبْدِ أَنْ يُدَاوِمَ عَلَى مَا يَجِدُ فِيهِ رَاحَةَ قَلْبِهِ، وَخُشُوعَ جَوَارِحِهِ، وَنَشَاطَ بَدَنِهِ؛ سَوَاءٌ كَانَ ذَلِكَ بِطُولِ الْقِيَامِ، أَوْ بِكَثْرَةِ الرَّكَعَاتِ، أَوْ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ.

فَبَعْضُ النَّاسِ يَخْشَعُ فِي الْقِرَاءَةِ، وَبَعْضُهُمْ يَخْشَعُ فِي الرُّكُوعِ، وَآخَرُونَ يَجِدُونَ لَذَّةَ الدُّعَاءِ وَالْخُشُوعِ فِي السُّجُودِ. وَلِذَلِكَ شُرِعَ التَّنَوُّعُ فِي الْعِبَادَاتِ، لِيَبْقَى الْقَلْبُ حَيًّا، غَيْرَ مُتَعَلِّقٍ بِهَيْئَةٍ وَاحِدَةٍ.

قَالَ ﷺ:
"**مَنْ فُتِحَ لَهُ بَابٌ مِنَ الْخَيْرِ فَلْيَغْتَنِمْهُ، فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي مَتَى يُغْلَقُ عَنْهُ**". رواه الطبراني في الكبير

زَكَاةُ الْفِطْرِ

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ:
"فَرَضَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَكَاةَ الْفِطْرِ صَاعًا مِنْ تَمْرٍ، أَوْ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ، عَلَى الْعَبْدِ وَالْحُرِّ، وَالذَّكَرِ وَالْأُنْثَى، وَالصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَأَمَرَ بِهَا أَنْ تُؤَدَّى قَبْلَ خُرُوجِ النَّاسِ إِلَى الصَّلَاةِ". *رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ*

وَكَانَ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ يَحْرِصُونَ عَلَى إِخْرَاجِهَا طَاعَةً لِلهِ، وَاتِّبَاعًا لِأَمْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَأْتُونَ بِهَا مِنْ تَمْرٍ أَوْ شَعِيرٍ أَوْ أَقِطٍ (اللَّبَنِ الْمُجَفَّفِ) بِحَسَبِ الْمُتَيَسِّرِ، وَيَبْحَثُونَ عَنِ الْفُقَرَاءِ قُبَيْلَ صَلَاةِ الْعِيدِ لِيُغْنُوهُمْ عَنِ السُّؤَالِ، وَيُفَرِّحُوهُمْ بِيَوْمِ الْعِيدِ.

"أَغْنُوهُمْ عَنِ الْمَسْأَلَةِ فِي هَذَا الْيَوْمِ". *رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ*

وَهَكَذَا كَانَتْ فَلْسَفَةُ زَكَاةِ الْفِطْرِ فِي زَمَنِ النُّبُوَّةِ:
أَلَّا يُتْرَكَ فَقِيرٌ يَوْمَ الْعِيدِ، بَلْ يُعْطَى مَا يَكْفِيهِ قَبْلَ الصَّلَاةِ، لِيَشْعُرَ بِالْعِزَّةِ لَا بِالذُّلِّ، وَبِالْفَرَحِ لَا بِالْحَاجَةِ.

وَقَالَ نَافِعٌ رَحِمَهُ اللهُ:
"كَانَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا يُعْطِيهَا الَّذِينَ يَقْبَلُونَهَا، وَكَانُوا يُعْطُونَهَا قَبْلَ الْفِطْرِ بِيَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ". *رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ*

وَفِي مَوْقِفٍ مُؤَثِّرٍ، خَرَجَ بَعْضُ الصَّحَابَةِ بِأَكْيَاسِ التَّمْرِ وَالشَّعِيرِ يُوَزِّعُونَهَا، لَكِنَّهُمْ لَمْ يَجِدُوا فُقَرَاءَ يَقْبَلُونَهَا؛ لِأَنَّ غَيْرَهُمْ سَبَقَهُمْ بِالْعَطَاءِ، حَتَّى عَادَ بَعْضُهُمْ بِزَكَاتِهِ، لِأَنَّ الْمَدِينَةَ قَدِ امْتَلَأَتْ بِالْخَيْرِ، وَقَلَّ فِيهَا الْمُحْتَاجُ.

وَجَاءَ عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ قَبْلَ الْعِيدِ بِيَوْمَيْنِ:
"هَذَا شَهْرُ زَكَاتِكُمْ، فَمَنْ كَانَ عَلَيْهِ دَيْنٌ فَلْيَقْضِهِ، وَمَنْ كَانَتْ عَلَيْهِ زَكَاةٌ فَلْيُؤَدِّهَا".

وَكَانَ الْفُقَرَاءُ فِي الْمَدِينَةِ لَا يَسْأَلُونَ يَوْمَ الْعِيدِ، بَلْ يُعْطَوْنَ دُونَ طَلَبٍ،

"وَكَانَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يُغْنُونَ فُقَرَاءَهُمْ عَنِ السُّؤَالِ، فَلَا يُرَى فِيهِمْ مُحْتَاجٌ فِي يَوْمِ الْعِيدِ".

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ:
"فَرَضَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَكَاةَ الْفِطْرِ طُهْرَةً لِلصَّائِمِ مِنَ اللَّغْوِ وَالرَّفَثِ، وَطُعْمَةً لِلْمَسَاكِينِ، فَمَنْ أَدَّاهَا قَبْلَ الصَّلَاةِ فَهِيَ زَكَاةٌ مَقْبُولَةٌ، وَمَنْ أَدَّاهَا بَعْدَ الصَّلَاةِ فَهِيَ صَدَقَةٌ مِنَ الصَّدَقَاتِ". رَوَاهُ أَبُو دَاوُد

وَقَالَ وَكِيعُ بْنُ الْجَرَّاحِ رَحِمَهُ اللهُ:
"زَكَاةُ الْفِطْرِ لِشَهْرِ رَمَضَانَ كَسَجْدَتَيِ السَّهْوِ لِلصَّلَاةِ، تُجْبِرُ نُقْصَانَ الصَّوْمِ كَمَا يُجْبِرُ السُّجُودُ نُقْصَانَ الصَّلَاةِ".

وَزَكَاةُ الْفِطْرِ فُرِضَتْ عَلَى الْأَشْخَاصِ، لَا عَلَى الْأَمْوَالِ، بِمَعْنَى أَنَّهَا لِتَطْهِيرِ النُّفُوسِ، لَا لِتَطْهِيرِ الْأَمْوَالِ كَمَا فِي زَكَاةِ الْمَالِ.

وَهِيَ وَاجِبَةٌ عَلَى الْكَبِيرِ وَالصَّغِيرِ، والذَّكَرِ وَالْأُنْثَى، والْحُرِّ وَالْعَبْدِ، وحَتَّى الْمُفْطِرِ، سَوَاءً بِعُذْرٍ أَوْ بِغَيْرِهِ وَلَا تَجِبُ عَلَى الْجَنِينِ فِي بَطْنِ أُمِّهِ، إِلَّا أَنْ تُخْرَجَ تَطَوُّعًا.

وَمَنْ أَرَادَ إِخْرَاجَهَا طَعَامًا –كَمَا هُوَ مَذْهَبُ الْجُمْهُورِ– جَازَ لَهُ إِخْرَاجُهَا مِنَ الْأُرْزِ أَوِ الْعَدَسِ أَوْ مَا يُعَدُّ قُوتًا فِي بَلَدِهِ.

وَيَجُوزُ إِخْرَاجُهَا فِي أَيِّ وَقْتٍ مِنْ رَمَضَانَ، وَلَكِنْ أَفْضَلُ أَوْقَاتِهَا هُوَ قَبْلَ صَلَاةِ الْعِيدِ بِيَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ.
فَيَا عِبَادَ اللهِ، طَهِّرُوا صِيَامَكُمْ بِإِخْرَاجِ زَكَاةِ الْفِطْرِ، رَغْبَةً فِي اتِّبَاعِ النَّبِيِّ الْكَرِيمِ، وَاغْتِنَامًا لِأَجْرِهَا، وَحِرْصًا عَلَى فَرْحَةِ الْمَسَاكِينِ فِي هَذَا الْيَوْمِ الْمُبَارَكِ.

لَيْلَةُ القَدْرِ

عَن عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:

خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ لِيُخْبِرَنَا بِلَيْلَةِ القَدْرِ، أَيْ أَنَّهُ كَانَ سَيُفْصِحُ عَنْ تَحْدِيدِ اللَّيْلَةِ بِعَيْنِهَا، **فَتَلَاحَى رَجُلَانِ مِنَ المُسْلِمِينَ**، وَالتَّلَاحِي هُوَ التَّشَاجُرُ وَالْمُجَادَلَةُ وَرَفْعُ الصَّوْتِ بَيْنَ اثْنَيْنِ **فَقَالَ: خَرَجْتُ لِأُخْبِرَكُمْ بِلَيْلَةِ القَدْرِ، فَتَلَاحَى فُلَانٌ وَفُلَانٌ** ، **فَرُفِعَتْ**، أَي رُفِعَ عِلْمُ تَحْدِيدِهَا بِسَبَبِ ذَلِكَ الشِّجَارِ، **وَعَسَى أَنْ يَكُونَ خَيْرًا لَكُمْ**، لِأَنَّ فِي إِخْفَائِهَا حَثٌّ عَلَى الاجْتِهَادِ فِي العِبَادَةِ فِي العَشْرِ الأَوَاخِرِ، **فَالْتَمِسُوهَا فِي التَّاسِعَةِ، وَالسَّابِعَةِ، وَالْخَامِسَةِ**. أَي فِي اللَّيَالِي الْفُرْدِيَّةِ مِنَ العَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ. *رَوَاهُ البُخَارِيُّ*

وَتَبْدَأُ لَيْلَةُ القَدْرِ مِنْ صَلَاةِ المَغْرِبِ وَتَمْتَدُّ حَتَّى طُلُوعِ الفَجْرِ.

فَاحْرِصْ مَعَ بَدَايَةِ هَذِهِ اللَّيْلَةِ عَلَى قَوْلِ:

"لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ"

مِئَةَ مَرَّةٍ، لِمَاذَا؟
لِأَنَّ مَنْ قَالَهَا تَجْتَمِعُ لَهُ فَضَائِلُ عَدِيدَةٌ، مِنْهَا:

"أَنَّهَا حِرْزٌ مِنَ الشَّيْطَانِ" *البخاري ومسلم*

فَلَا يَدْخُلُ عَلَيْكَ لِيُصَرِّفَكَ عَنِ الطَّاعَةِ.

وَابْقَ مِلَازِمًا لِلدُّعَاءِ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى قِيَامِ لَيْلَةِ القَدْرِ.

وفَضِيلَةُ القِيَامِ (وَلَوْ بِالحَدِّ الأَدْنَى):

العِشَاءُ فِي جَمَاعَةٍ
الصُّبْحُ فِي جَمَاعَةٍ

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

مَنْ صَلَّى العِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا قَامَ نِصْفَ اللَّيْلِ، وَمَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا قَامَ اللَّيْلَ كُلَّهُ. وَمَنْ قَامَ مَعَ الإِمَامِ حَتَّى يَنْصَرِفَ كُتِبَ لَهُ قِيَامُ لَيْلَةٍ. صحيح مسلم

واجْتَهِدْ فِي:

الذِّكْرِ

الدُّعَاءِ

الاسْتِغْفَارِ

تِلَاوَةِ القُرْآنِ

وَالْصَّدَقَةِ، فَهِيَ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ مُضَاعَفَةٌ أَضْعَافًا كَثِيرَةً.

وَلَا يَفْتُرُ لِسَانُكَ عَنْ هَذَا الدُّعَاءِ النَّبَوِيِّ العَظِيمِ:

اللّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ العَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي.

ثُمَّ ادْعُ بِمَا شِئْتَ مِنْ خَيْرِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، فَإِنَّهَا سَاعَةٌ يُرْجَى فِيهَا الإِجَابَةُ.

معَ التَنْبِيهِ إِلى أَنَّ عَلَيْنَا أَنْ نَرْفَعَ عَنَّا التَّنَازُعَ وَالْخِصَامَ، فَإِنَّهَا سَبَبٌ فِي:

مَنْعِ الخَيْرِ

خَفَاءِ البَرَكَةِ

عَدَمِ التَّوْفِيقِ.

قَالَ ﷺ:

"خَرَجْتُ لِأُخْبِرَكُمْ بِلَيْلَةِ القَدْرِ، فَتَلَاحَى فُلَانٌ وَفُلَانٌ، فُرِفِعَتْ."

أَلَا فَاتَّقُوا اللَّهَ، وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ

مَوْقِفُ أَبِي بَكْرٍ الصِدّيقِ مِنْ مَانِعِي الزَّكَاةِ بَعْدَ وَفَاةِ النَّبِيِّ ﷺ

بَعْدَ وَفَاةِ النَّبِيِّ ﷺ، **ارْتَدَّ بَعْضُ النَّاسِ، وَمِنْهُمْ مَنْ امْتَنَعَ عَنْ دَفْعِ الزَّكَاةِ، وَقَالُوا: "نُصَلِّي وَلَا نُزَكِّي".**

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:
"وَاللَّهِ، لَأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ، فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ الْمَالِ، وَاللَّهِ لَوْ مَنَعُونِي عَنَاقًا (أَي: شَاةً صَغِيرَةً) كَانُوا يُؤَدُّونَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَيْهَا".

ثُمَّ أَعْلَنَ الْحَرْبَ عَلَى أُولَئِكَ الْقَوْمِ، وَجَهَّزَ أَحَدَ عَشَرَ لِوَاءً لِمُحَارَبَةِ مَانِعِي الزَّكَاةِ، وَسُمِّيَتْ تِلْكَ الْمَعَارِكُ بِـ "**حُرُوبِ الرِّدَّةِ.**"

وَقَدْ أَثْنَى الصَّحَابَةُ عَلَى مَوْقِفِ أَبِي بَكْرٍ، لِأَنَّهُ **حَافَظَ عَلَى وَحْدَةِ الْإِسْلَامِ وَرَكَائِزِهِ، وَمِنْهَا الزَّكَاةُ.**

قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا:
"ثَلَاثٌ مَقْرُونَةٌ بِثَلَاثٍ، لَا تُقْبَلُ وَاحِدَةٌ مِنْهُنَّ إِلَّا بِالْأُخْرَى:

- **لَا تُقْبَلُ طَاعَةُ اللهِ إِلَّا بِطَاعَةِ رَسُولِهِ،**
- **وَلَا تُقْبَلُ الصَّلَاةُ إِلَّا بِأَدَاءِ الزَّكَاةِ،**
- **وَلَا يَقْبَلُ اللهُ شُكْرَهُ إِلَّا بِشُكْرِ الْوَالِدَيْنِ".**

فَالزَّكَاةُ **دَعَامَةٌ أَسَاسِيَّةٌ مِنْ دَعَائِمِ الإِسْلَامِ الْعَظِيمَةِ، قَرَنَهَا اللهُ بِالصَّلَاةِ فِي عَشَرَاتِ الْمَوَاضِعِ.**

هِيَ فَرِيضَةٌ لَازِمَةٌ،
يَكْفُرُ مَنْ جَحَدَهَا،
وَيَفْسُقُ مَنْ مَنَعَهَا،
وَيُقَاتَلُ مَنْ تَحَدَّى جَمْعَةَ الْمُسْلِمِينَ بِتَرْكِهَا.

وَقَدْ قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:
"وَاللَّهِ، لَأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ".

وَبِذَلِكَ عَلِمَ النَّاسُ – وَإِلَى الْأَبَدِ – أَنَّ:

إِسْلَامًا بِلا إِنْفَاقٍ، رِدَّةٌ وَنِفَاقٌ.

وَالزَّكَاةُ **لَيْسَتْ تَبَرُّعًا يَتَفَضَّلُ بِهِ غَنِيٌّ عَلَى فَقِيرٍ، وَلَا كَبِيرٌ عَلَى صَغِيرٍ،**

وَإِنَّمَا هِيَ **حَقٌّ فِي أَمْوَالِ الْأَغْنِيَاءِ، يُدْفَعُ لِأَصْحَابِهِ الْمُسْتَحِقِّينَ عَلَى وَجْهِ الإِلْزَامِ.**

قال تعالى:

"خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا " *التوبة: ١٠٣*

وَاعْلَمُوا عِبَادَ اللهِ:

أَنَّهُ مَا تَلِفَ مَالٌ فِي بَرٍّ وَلَا بَحْرٍ إِلَّا بِحَبْسِ الزَّكَاةِ.

قِصَّةُ الصَّحَابَةِ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ آثَرُوا غَيْرَهُمْ بِالطَّعَامِ وَهُمْ صَائِمُونَ

رُوِيَ أَنَّ رَجُلًا جاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَقَالَ:
"يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي مَجْهُودٌ (أي شَدِيدُ الجُوعِ)"،
فَأَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى بَعْضِ نِسَائِهِ يَسْأَلُهُنَّ عَنْ طَعَامٍ، فَقُلْنَ" :**مَا عِنْدَنَا إِلَّا الْمَاءُ."**

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَصْحَابِهِ:
"مَنْ يُضِيفُ هَذَا اللَّيْلَةَ يَرْحَمُهُ اللَّهُ؟"

فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ، وَقَالَ" :**أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ."**

فَذَهَبَ بِهِ إِلَى بَيْتِهِ، وَقَالَ لِزَوْجَتِهِ:
"أَكْرِمِي ضَيْفَ رَسُولِ اللَّهِ، لَيْسَ عِنْدَنَا إِلَّا قُوتُ الصِّبْيَانِ."

فَقَالَتْ" :**نَعَمْ."**

قَالَ" :**فَنَوِّمِي الصِّبْيَانَ، وَأَطْفِئِي السِّرَاجَ، وَقَدِّمِي الطَّعَامَ، وَنَتَظَاهَرُ أَنَّنَا نَأْكُلُ مَعَهُ."**

فَفَعَلا ذَلِكَ، وَجَلَسَ الضَّيْفُ يَأْكُلُ، وَهُمْ لَا يُشَارِكُوهُ، كَيْ لَا يَشْعُرَ بِالْحَرَجِ، وَبَاتَا جَائِعَيْنِ.

فَلَمَّا أَصْبَحَا، ذَهَبَ الرَّجُلُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ لَهُ:
"قَدْ عَجِبَ اللَّهُ مِنْ صُنْعِكُمَا بِضَيْفِكُمَا الْبَارِحَةَ". *صحيح ابن حبان*

ثُمَّ نَزَلَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:
﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ *الحشر: ٩*

وَلَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ،
حَيْثُ كَانَ أَجْوَدَ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ،

فَشَهْرُ رَمَضَانَ مَوْسِمٌ لِلْمُتَصَدِّقِينَ وَفُرْصَةٌ سَانِحَةٌ لِلْبَاذِلِينَ وَالْمُعْطِينَ.

فَالصَّالِحُونَ يَزِيدُ كَرَمُهُمْ فِي رَمَضَانَ، فَيَبْذُلُونَ وَيُعْطُونَ وَيَنْفِقُونَ.

فَلَا يَحْفَظُ الْمَالَ مِثْلُ الصَّدَقَةِ، وَلَا يَزْكِي الْمَالَ مِثْلُ الزَّكَاةِ.

وقد حَثَّ النَّبِيُّ ﷺ على إِفْطَارِ الصَّائِمِ، فقال:

"مَنْ فَطَّرَ صَائِمًا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ، غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِ الصَّائِمِ شَيْءٌ". الترمذي

والهَدَفُ الأَسْمَى مِنْ هَذَا الحَدِيثِ هُوَ تَشْجِيعُ النَّاسِ عَلَى إِطْعَامِ الفُقَرَاءِ وَالمُحْتَاجِينَ، لَا مُجَرَّدَ إِكْرَامِ الأَغْنِيَاءِ وَالأَصْدِقَاءِ.
فَرِسَالَةُ الحَدِيثِ هِيَ: الاِهْتِمَامُ بِالفُقَرَاءِ فِي رَمَضَانَ، لَا التَّفَاخُرُ بِالْكَرَمِ مَعَ مَنْ لَا يَحْتَاجُ، وَتَرْكُ الجَائِعِ المُحْتَاجِ.

وقد نَبَّهَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى خَطَرِ تَجَاهُلِ الجَارِ الجَائِعِ، فَقَالَ:

"مَا آمَنَ بِي مَن بَاتَ شَبْعَانًا وَجَارُهُ جَائِعٌ إِلَى جَنْبِهِ وَهُوَ يَعْلَمُ بِهِ". أبو يعلى والبيهقي
صَدَقْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ.

فَلَيْسَ مِنَ الإِسْلَامِ أَنْ تَأْكُلَ مِلءَ بَطْنِكَ، وَتَضْحَكَ مِلءَ سِنِّكَ، وَتَنَامَ مِلءَ جَفْنِكَ، وَتَجْمَعَ عَلَى الْمَوَائِدِ مَا لَذَّ وَطَابَ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، وَبِجَوَارِكَ مَن لَا يَجِدُ مَا يَسُدُّ الرَّمَقَ.

وَلَيْسَ الْمَقْصُودُ بِالتَّفْطِيرِ تَقْدِيمَ الْوَلَائِمِ الْفَاخِرَةِ، بَلْ يَتَحَقَّقُ الْأَجْرُ حَتَّى بِالتَّمْرَةِ، أَوْ شَرْبَةِ مَاءٍ، أَوْ لُقْمَةِ طَعَامٍ.

وَتَتَنَوَّعُ سُبُلُ تَفْطِيرِ الصَّائِمِينَ خِلَالَ الشَّهْرِ الْفَضِيلِ، بِالتَّبَرُّعِ الْمَالِيّ: لِلْجِهَاتِ الْمَعْنِيَّةِ بِتَفْطِيرِ صَائِمٍ، أَوْ إِعْدَادِ الْوَجَبَاتِ الْمَنْزِلِيَّةِ: وَتَوْزِيعِهَا عَلَى الجِيرَانِ أَوِ الْأُسَرِ الْمُتَعَفِّفَةِ فِي الحَيِّ. أَوِ الْمُشَارَكَةِ التَّطَوُّعِيَّةِ.

"وَاللَّهُ فِي عَوْنِ العَبْدِ، مَا كَانَ العَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ" رواه مسلم

ٱلْقُرْآنُ فِي رَمَضَانَ: هَدْيُ السَّلَفِ وَأَثَرُهُ

كَانَ السَّلَفُ الصَّالِحُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ يَخْتَلِفُونَ فِي مِقْدَارِ مَا يَخْتِمُونَهُ مِنَ الْقُرْآنِ فِي رَمَضَانَ:

فَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ يَخْتِمُ كُلَّ خَمْسِ لَيَالٍ، وَمِنْهُمْ كُلَّ أَرْبَعٍ، وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فِي ثَلَاثٍ، وَبَعْضُهُمْ فِي لَيْلَتَيْنِ،

وَمِنْهُمْ مَنْ يَخْتِمُ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، وَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ يَخْتِمُ خَتْمَتَيْنِ فِي الْيَوْمِ،

وَبَلَغَ بَعْضُهُمْ أَنْ خَتَمَ ثَمَانِيَ خَتَمَاتٍ: أَرْبَعًا بِالنَّهَارِ، وَأَرْبَعًا بِاللَّيْلِ. الإِمَامُ النَّوَوِيُّ فِي "التِّبْيَان"

وَقَدْ ذَكَرَ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ أَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَانُوا يَخْتِمُونَ خَتْمَةً فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ:
عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ، وَتَمِيمُ الدَّارِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَمُجَاهِدٌ، وَالْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ، وَغَيْرُهُمْ.
وَمِنَ الَّذِينَ كَانُوا يَخْتِمُونَ ثَلَاثَ خَتَمَاتٍ :**سُلَيْمُ بْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.**

وَقَالَ **ابْنُ رَجَبٍ الْحَنْبَلِيُّ** رَحِمَهُ اللهُ:

"وَإِنَّمَا وَرَدَ النَّهْيُ عَنْ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ فِي أَقَلَّ مِنْ ثَلَاثٍ عَلَى الْمُدَاوَمَةِ عَلَى ذَلِكَ، فَأَمَّا فِي الْأَوْقَاتِ الْمُفَضَّلَةِ كَشَهْرِ رَمَضَانَ، أَوْ الْأَمَاكِنِ الْمُفَضَّلَةِ كَمَكَّةَ، فَيُسْتَحَبُّ الْإِكْثَارُ مِنْ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ اغْتِنَامًا لِلزَّمَانِ وَالْمَكَانِ" لَطَائِفُ الْمَعَارِفِ،

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

"الصِّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَقُولُ الصِّيَامُ: أَيْ رَبِّ، مَنَعْتُهُ الطَّعَامَ وَالشَّهَوَاتِ بِالنَّهَارِ، فَشَفِّعْنِي فِيهِ. وَيَقُولُ الْقُرْآنُ: مَنَعْتُهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ، فَشَفِّعْنِي فِيهِ. قَالَ: فَيُشَفَّعَانِ". رَوَاهُ أَحْمَدُ

فَٱلْقُرْآنُ فِي رَمَضَانَ هُوَ رَوْضَةُ ٱلصَّائِمِينَ، وَغِذَاءُ أَرْوَاحِ الْمُؤْمِنِينَ.
وَقَدْ نَزَلَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، جُمْلَةً وَاحِدَةً مِنَ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ إِلَى بَيْتِ الْعِزَّةِ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا،
ثُمَّ نَزَلَ مُنَجَّمًا عَلَى قَلْبِ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى مَدَارِ ٢٣ سَنَةً.

قَالَ تَعَالَى: ﴿**شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْآنُ**﴾ *البَقَرَة: ١٨٥*

وٱلْغَايَةُ مِنَ ٱلتِّلَاوَةِ: ٱلتَّدبُّرُ وَٱلْعَمَلُ، لَا مُجَرَّدُ ٱلتَّرْدِيدِ

فأَهْلُ الْقُرْآنِ الْحَقِيقِيُّونَ هُمُ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ بِهِ، يُحَرِّمُونَ حَرَامَهُ، وَيُحَلِّلُونَ حَلَالَهُ، وَيَجْعَلُونَهُ مَنْهَجًا لِحَيَاتِهِمْ.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

"اقْرَأِ الْقُرْآنَ مَا نَهَاكَ، فَإِذَا لَمْ يَنْهَكَ فَلَسْتَ تَقْرَأُهُ". *رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ وَالْبَيْهَقِيُّ*

فَالْمَطْلُوبُ مِنَ الْمُسْلِمِ أَلَّا تَكُونَ قِرَاءَتُهُ لِلْقُرْآنِ مُجَرَّدَ تِلَاوَةِ لِسَانٍ، بَلْ يَجِبُ أَنْ تُثْمِرَ أَثَرًا فِي قَلْبِهِ وَسُلُوكِهِ،
وَإِلَّا، فَكَيْفَ يَكُونُ الْقُرْآنُ شَفِيعًا لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟

هَدْيُ السَّلَفِ فِي رَمَضَانَ

لَقَدْ كانَ السَّلَفُ الصَّالِحُ فِي رَمَضَانَ يُمْسِكُونَ عَنْ تَعَاطِي جَمِيعِ الْمُفَطِّرَاتِ الْحِسِّيَّةِ وَالْمَعْنَوِيَّةِ، وَيَحْرِصُونَ عَلَى فِعْلِ مَا يُرْضِي اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، يَحْتَسِبُونَ نَوْمَتَهُمْ كَمَا يَحْتَسِبُونَ قَوْمَتَهُمْ، وَيَتَنَافَسُونَ فِي الطَّاعَاتِ وَالْقُرُبَاتِ، وَيَفِرُّونَ مِنْ مُقَارَبَةِ الْمَعَاصِي وَالسَّيِّئَاتِ.

كانُوا يَحْفَظُونَ صِيَامَهُمْ مِنْ جَمِيعِ الْمُفَطِّرَاتِ، وَيَعْمَلُونَ بِكِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ، وَيُوصِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِأَلَّا يَكُونَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِهِمْ كَيَوْمِ فِطْرِهِ.

فَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ:

"إِذَا صُمْتَ، فَلْيَصُمْ سَمْعُكَ وَبَصَرُكَ وَلِسَانُكَ عَنِ الْكَذِبِ وَالْمَحَارِمِ، وَدَعْ أَذَى الْجَارِ، وَلْيَكُنْ عَلَيْكَ وَقَارٌ وَسَكِينَةٌ يَوْمَ صَوْمِكَ، وَلَا تَجْعَلْ يَوْمَ صَوْمِكَ وَيَوْمَ فِطْرِكَ سَوَاءً" *رواه ابن أبي شيبة*

فلا بُدَّ، أن يَظهَرَ على الصّائِمِ آثارُ الصّيامِ في قولِهِ وعَمَلِهِ.

قالَ رسولُ اللهِ ﷺ:

"إذا كانَ يَومُ صَومِ أحدِكم، فلا يَرفُثْ، ولا يَصخَبْ، ولا يَفسُقْ، فإن سابَّهُ أحدٌ أو قاتلَهُ، فليَقُل: إِنّي امرُؤٌ صائِمٌ" *رواه البخاري، ومسلم*

- **الصَّخَبُ** :رَفعُ الصّوتِ بالكلامِ السّيِّئِ.
- **الرَّفَثُ** :الكلامُ في العَوراتِ، وما يتعلّقُ بالنِّساءِ.
- **الفُسُوقُ** :الكلامُ السَّيِّئُ الذي فيه عِصيانٌ للهِ، أو استِهزاءٌ بالدِّينِ.

فالصّومُ الصّحيحُ يُربّي صاحبَهُ على تَركِ المحرَّماتِ، وكُلّما نَسِيَ أو أخطأَ، كانَ الصّومُ مُذَكِّرًا لهُ بتقوى اللهِ، كما قالَ تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ *البقرة: ١٨٣*

فَرَمَضانُ **مَحطَّةٌ لِتَهذِيبِ الأخلاقِ والسُّلوكِ**، ومَدرَسَةٌ عظيمةٌ لِتَجديدِ الإيمانِ.
فعلى المسلِمِ العاقِلِ أن يَغتنِمَ هذهِ الفُرصَةَ، ويُقبِلَ على الطّاعةِ، ويتزوَّدَ منَ التّقوى، ويَجعَلَ من رَمَضانَ **مَحطَّةً إيمانيَّةً**، و**وَقفَةً لِلمُحاسبَةِ والمُراجَعَةِ**.

إنَّهُ **فُرصَةٌ لِلاستِثمارِ الحقيقيِّ**، والمستَثمِرونَ فيهِ — بإذنِ اللهِ — هُم **المُعوَّلُ عليهِم** بعدَ اللهِ في:

- صَلاحِ الأوضاعِ،
- واستِنزالِ النَّصرِ والعِزَّةِ،
- وكَسبِ الجَولاتِ،
- ومُواجَهَةِ التَّحدِّياتِ.

نَسألُ اللهَ أن يَجعلَنا مِنْ عِبادِهِ الصّادِقِين، ومِنَ الصّائمينَ حقًّا الّذينَ يَرجونَ رَحمتَهُ، ويَخشَونَ عَذابَهُ.

فِي الأَيَّامِ العَشْرِ مِن ذِي الحِجَّةِ، وَالحَجِّ، وَعَرَفَةَ، وَالأَضَاحِي

مَنْ أَرَادَ أَنْ لَا يَضِلَّ، فَلَا يَرْمِ مِيزَانَ الشَّرِيعَةِ مِنْ يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ.

فَمَنْ تَعَلَّمَ شَرْعَ اللهِ،

يُمَيِّزُ بَيْنَ الحَسَنِ وَالقَبِيحِ، وَالطَّيِّبِ وَالخَبِيثِ،

وَالحَلَالِ وَالحَرَامِ، وَالكُفْرِ وَالإِيمَانِ.

ابنُ عَرَبِيّ

نَفَحَاتُ العَشْرِ: مِن أَحوَالِ السَّلَفِ وَدَعْوَةٌ لِلاِسْتِبَاقِ فِي الخَيْرَاتِ

كَانَ **الحَسَنُ البَصْرِيُّ** رحمه الله، وَهُوَ مِن أَئِمَّةِ التَّابِعِينَ، يَقُولُ:
"العَشْرُ أَفْضَلُ مِنَ الجِهَادِ، إِلَّا مَن عُقِرَ جَوَادُهُ، وَأُهْرِيقَ دَمُهُ".

وَإِذَا دَخَلَتِ العَشْرُ مِن ذِي الحِجَّةِ، أَغْلَقَ عَلَيْهِ بَابَهُ، وَانْقَطَعَ عَنِ النَّاسِ، وَتَفَرَّغَ لِلْقُرْآنِ وَالصَّلَاةِ وَالذِّكْرِ وَالبُكَاءِ.

وَكَانَ يَقُولُ لِتَلَامِيذِهِ: **"هَذِهِ أَيَّامٌ اجْتَهِدُوا فِيهَا، فَإِنَّهَا لَا تُعَوَّضُ"**.

وَرَوَى تِلْمِيذُهُ **خَالِدُ بْنُ دُرَيْكٍ** قَائِلًا:
"رَأَيْتُ الحَسَنَ البَصْرِيَّ فِي العَشْرِ، كَأَنَّهُ لَيْسَ مِن أَهْلِ الدُّنْيَا، لَا يُرَى إِلَّا مُصَلِّيًا، أَوْ ذَاكِرًا، أَوْ بَاكِيًا".

وَكَانَ يُرَدِّدُ دَائِمًا: **"أَدْرِكُوا مَوَاسِمَ الرَّحْمَاتِ، فَإِنَّ اللهَ يُفِيضُ فِيهَا مِنْ خَيْرِهِ مَا لَا يُفِيضُ فِي غَيْرِهَا"**.

وَكَانَ يَقُولُ:
"مَا مِن يَوْمٍ يُطْوَى مِنَ العَشْرِ إِلَّا بَكَى عَلَيْهِ العَابِدُونَ، وَبَكَى عَلَيْهِ الغَافِلُونَ؛ هَذَا لِفَقْدِ بَرَكَتِهِ، وَذَاكَ لِحَسْرَتِهِ".

وَإِذَا بَلَغَ **يَوْمَ عَرَفَةَ**، بَكَى بُكَاءً شَدِيدًا، وَقَالَ:
"وَيْلٌ لِمَنْ حُرِمَ هَذَا اليَوْمَ! مَتَى يُغْفَرُ لَهُ إِذَا لَمْ يُغْفَرْ لَهُ فِي يَوْمِ عَرَفَةَ؟"

وَكَانَ **سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ** رحمه الله، وَهُوَ مِن كِبَارِ التَّابِعِينَ، يَقُولُ:
"لَا تُطْفِئُوا سُرُجَكُمْ فِي لَيَالِي العَشْرِ".
وَكَانَ يَجْتَهِدُ فِيهَا اجْتِهَادًا عَظِيمًا، حَتَّى قِيلَ:
"إِذَا دَخَلَتِ العَشْرُ، كَانَ لَا يَنَامُ مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا، وَيَتَفَرَّغُ لِلْعِبَادَةِ تَمَامًا".
وَقَالَ:
"اغْتَنِمُوهَا، فَإِنَّهَا الأَيَّامُ الَّتِي بَلَغَ فِيهَا إِبْرَاهِيمُ الخَلِيلُ تَمَامَ ابْتِلَائِهِ، فَأُكْرِمَ فِيهَا بِالفِدَاءِ".[حلية الأولياء]

قَالَ اللهُ تَعَالَى:﴿ **وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُواْ الْخَيْرَاتِ** ﴾*البقرة: ١٤٨*

قَالَ أَهْلُ التَّفْسِيرِ" :**الخَيْرَاتُ هِيَ الطَّاعَةُ وَالأَعْمَالُ الصَّالِحَةُ**".

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "**مَنْ فُتِحَ لَهُ بَابٌ مِنَ الخَيْرِ، فَلْيَنْتَهِزْهُ، فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي مَتَى يُغْلَقُ عَنْهُ**". *رواه الطبراني*
وَجَاءَ فِي الأَثَرِ: "**اطْلُبُوا الخَيْرَ دَهْرَكُمْ كُلَّهُ، وَتَعَرَّضُوا لِنَفَحَاتِ رَبِّكُمْ**".

قَالَ اللهُ تَعَالَى:﴿ **وَالْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ** ﴾*الفجر: ١-٢*
قَالَ **ابْنُ كَثِيرٍ** رحمه الله:
"**المُرَادُ بِاللَّيَالِي العَشْرِ: عَشْرُ ذِي الحِجَّةِ**".

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:
"**مَا مِنْ أَيَّامٍ العَمَلُ الصَّالِحُ فِيهِنَّ أَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنْ هَذِهِ العَشْرِ**".
قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَلَا الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ؟
قَالَ:
"**وَلَا الجِهَادُ، إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، ثُمَّ لَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ**". *رواه البخاري*

وَقَالَ أَهْلُ العِلْمِ:
"**لَيَالِي العَشْرِ الأَوَاخِرِ مِن رَمَضَانَ أَفْضَلُ اللَّيَالِي، وَأَيَّامُ عَشْرِ ذِي الحِجَّةِ أَفْضَلُ الأَيَّامِ**".

فَلْنُبَادِرْ إِلَى الفَرَائِضِ، وَلْنُكْثِرْ مِنَ النَّوَافِلِ قَبْلَ أَنْ تَنْقَضِي.

قَالَ ﷺ: "**عَلَيْكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ، فَإِنَّكَ لَا تَسْجُدُ لِلهِ سَجْدَةً إِلَّا حَطَّ اللهُ بِهَا عَنْكَ خَطِيئَةً، وَرَفَعَ لَكَ بِهَا دَرَجَةً**". *رواه مسلم*

وَمَرَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِقَبْرٍ فَقَالَ: "**مَنْ صَاحِبُ هَذَا القَبْرِ؟**"
قَالُوا: فُلَانٌ، فَقَالَ: "**رَكْعَتَانِ أَحَبُّ إِلَى هَذَا مِنْ بَقِيَّةِ دُنْيَاكُمْ**". *رواه الطبراني في الأوسط*

يَا غَافِلًا عَنِ العَمَلِ، وَغَرَّهُ طُولُ الأَمَلِ، المَوْتُ يَأْتِي بَغْتَةً، وَالقَبْرُ صُنْدُوقُ العَمَلِ.

فَضْلُ الأَعْذَارِ الشَّرْعِيَّةِ وَأَجْرُ النِّيَّةِ الصَّادِقَةِ

رَوَى ابْنُ إِسْحَاقَ فِي سِيَاقِ حَدِيثِهِ عَنْ **غَزْوَةِ تَبُوك**:

"إِنَّ رِجَالًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَتَوْا رَسُولَ اللهِ ﷺ وَهُمُ **الْبَكَّاؤُونَ**،
وَهُمْ سَبْعَةُ نَفَرٍ مِنَ الْأَنْصَارِ وَغَيْرِهِمْ،
فَاسْتَحْمَلُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ – أَيْ طَلَبُوا مِنْهُ دَابَّةً يَرْكَبُونَهَا لِلْجِهَادِ – وَكَانُوا أَهْلَ حَاجَةٍ،
فَقَالَ: لا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ،
فَتَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ". *ابن هشام في السيرة، تفسير ابن كثير*

قَالَ تَعَالَى:
﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ *التوبة: ٩١*

وَبَيَانُ ذَلِكَ:

ٱلضُّعَفَاءُ :هُمُ الَّذِينَ لَا يَمْلِكُونَ القُوَّةَ الْبَدَنِيَّةَ عَلَى الجِهَادِ، كَالشُّيُوخِ، وَالنِّسَاءِ، وَالصِّغَارِ.

ٱلْمَرْضَى :هُمُ الَّذِينَ حَالَتْ بَيْنَهُم وَبَيْنَ الجِهَادِ أَمْرَاضٌ مُؤَقَّتَةٌ، وَعُذْرُهُمْ يَزُولُ بِزَوَالِ المَرَضِ.

ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ :هُمُ الفُقَرَاءُ القَادِرُونَ بَدَنِيًّا عَلَى القِتَالِ، وَلَكِنْ لَا يَمْلِكُونَ مَالًا وَلَا وَسِيلَةَ نَقْلٍ (دَوَابَّ أَوْ زَادٍ) لِلْخُرُوجِ مَعَ الجَيْشِ.

﴿ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾
أَيْ: لَا إِثْمَ عَلَيْهِمْ **بِشَرْطِ** أَنْ يَكُونُوا مُخْلِصِينَ فِي نِيَّتِهِمْ،
صَادِقِينَ فِي وَلَائِهِمْ، مُؤْمِنِينَ بِرِسَالَةِ النَّبِيِّ ﷺ،
مُلْتَزِمِينَ بِالْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَالطَّاعَةِ لِلنَّبِيِّ ﷺ.

فَلَا حَرَجَ عَلَى مَنْ **تَخَلَّفَ لِعُذْرٍ شَرْعِيٍّ** :ضَعْفٍ، أَوْ مَرَضٍ، أَوْ فَقْرٍ، مَا دَامَ نَاصِحًا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ.

وَلَعَلَّ هَذَا **يَنْفَعُ عُمُومَ الْمُسْلِمِينَ**، وَخُصُوصًا الَّذِينَ **لَمْ يُيَسَّرْ لَهُمُ الْحَجُّ**،
فَقَدْ أَعْطَاهُمُ اللَّهُ **بَدَائِلَ** فِي نَفْسِ مَوْسِمِ الْحَجِّ،
وَلَهَا أَجْرٌ **يَقْتَرِبُ** مِنْ أَجْرِ الْحَجِّ نَفْسِهِ، بَلْ **قَدْ يَكُونُ أَعْلَى** إِذَا خَلَصَتِ النِّيَّةُ،
وَكَانَ هُنَاكَ شَوْقٌ حَقِيقِيٌّ لِلْمَغْفِرَةِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ.

فَمِنْ **فَضْلِ اللهِ وَمِنَّتِهِ** أَنْ جَعَلَ الْمُسْلِمَ **يَبْلُغُ بِحُسْنِ نِيَّتِهِ أَجْرَ مَا لَمْ يَعْمَلْ**.

وَاسْمَعُوا قَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ أَثْنَاءَ عَوْدَتِهِ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ:

"**إِنَّ بِالْمَدِينَةِ أَقْوَامًا، مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا، وَلَا قَطَعْتُمْ وَادِيًا، إِلَّا شَرَكُوكُمْ فِي الْأَجْرِ**".
قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ؟
قَالَ" :**وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ، حَبَسَهُمُ العُذْرُ**". *رواه البخاري ، ومسلم*

فَكَانَ جَزَاءُ **صِدْقِ نَوَايَاهُمْ** أَنْ **كَتَبَ اللهُ لَهُمُ الأَجْرَ كَامِلًا**.

فَمَنْ صَدَقَ اللهَ، صَدَقَهُ اللهُ.

التَّكْبِيرُ فِي عَشْرِ ذِي الْحِجَّةِ عِنْدَ السَّلَفِ

رُوِيَ فِي **سِيَرِ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ** وَغَيْرِهِ أَنَّ **ابْنَ عُمَرَ** رضي الله عنه
كان إذا دَخَلَتْ عَشْرُ ذِي الْحِجَّةِ يَخْرُجُ إِلَى السُّوقِ،
لا لِيَشْتَرِيَ وَلَا لِيَبِيعَ، بَل لِيُكَبِّرَ اللهَ وَيُذَكِّرَ النَّاسَ بِالتَّكْبِيرِ،
فَكَانَ يُكَبِّرُ وَيُكَبِّرُ النَّاسُ بِتَكْبِيرِهِ، وَكَانَ يَقُولُ:
"إِنَّمَا نَحْنُ نَشْهَدُهَا وَنَغْفَلُ عَنْهَا"!
أي: نَحْضُرُهَا لَكِنَّنَا لَا نَغْتَنِمُ فَضْلَهَا كَمَا يَنبَغِي، وَكَأَنَّهُ يَلُومُ نَفْسَهُ رَغْمَ عِبَادَتِهِ.

وكما رُوِي أَنَّ **عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ** رضي الله عنه كان إذا دَخَلَتِ العَشْرُ أَصْبَحَ يَكْثُرُ مِنَ التَّكْبِيرِ وَالتَّهْلِيلِ، حَتَّى قَالَ عَنْهُ الصَّحَابَةُ:
"لَقَدْ غَلَبَتْكَ العَشْرُ"!

يَشْرَعُ مِنَ الأَوَّلِ مِنْ ذِي الحِجَّةِ **التَّكْبِيرُ المَطْلَقُ** فِي جَمِيعِ الأَوْقَاتِ
مِن لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ لِقَوْلِ اللهِ تَعَالَى:
﴿ **وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ** ﴾ *الحج: ٢٨*

وَلِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ:
"مَا مِنْ أَيَّامٍ أَعْظَمَ عِنْدَ اللَّهِ وَلَا أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الْعَمَلِ فِي هَذِهِ الأَيَّامِ العَشْرِ،
فَأَكْثِرُوا فِيهِنَّ مِنَ التَّهْلِيلِ وَالتَّكْبِيرِ وَالتحْمِيدِ". *رواه النسائي وابن ماجه*

اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ وَلِلَّهِ الحَمْدُ.

ويشْرَعُ كَذَلِكَ التَّكْبِيرُ **الْمُقَيَّدُ،**
وَهُوَ الَّذِي يَكُونُ بَعْدَ الصَّلَوَاتِ الْمَكْتُوبَةِ الَّتِي تُصَلَّى فِي جَمَاعَةٍ.
وَأَصَحُّ مَا وَرَدَ فِي وَصْفِ وَقْتِ التَّكْبِيرِ الْمُقَيَّدِ مَا وَرَدَ مِنْ قَوْلِ **ابْنِ عَبَّاسٍ** رضي الله عنه
أَنَّهُ مِنْ صُبْحِ يَوْمِ عَرَفَةَ إِلَى الْعَصْرِ مِنْ آخِرِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ.

قال تعالى: **"وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ"** *البقرة: ٢٠٣*

وَالأَيَّامُ الْمُعَدُّودَاتُ هِيَ أَيَّامُ التَّشْرِيقِ،
وَأَيَّامُ التَّشْرِيقِ هِيَ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ بَعْدَ يَوْمِ الأَضْحَى.

أَمَّا التَّكْبِيرُ المطْلَقُ فِي جَمِيعِ الأَوْقَاتِ وَلَا يَخْتَصُّ بِمَكَانٍ، فَيُكَبَّرُ فِي السُّوقِ، وَفِي الطَّرِيقِ وَنَحْوِ ذَلِكَ،
وَزَمَنُهُ مِنْ أَوَّلِ هِلَالِ ذِي الحِجَّةِ إِلَى آخِرِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى:
﴿ **لِيَشْهَدُوا مِنَ الْمَنَافِعِ وَلِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ** ﴾الحج: ٢٨

والأَيَّامُ الْمَعْلُومَاتُ هِيَ أَيَّامُ العَشْرِ مِن ذِي الحِجَّةِ،

صِيَامُ عَشْرِ ذِي الْحِجَّةِ وَيَوْمِ عَرَفَةَ

عن **مُجَاهِدِ بْنِ جَبْرٍ** رحمه الله
وَهُوَ مِنْ كِبَارِ التَّابِعِينَ وَتِلْمِيذِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه
أَنَّهُ قَالَ:
"كَانَ بَعْضُ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ يَصُومُونَ التِّسْعَ كُلَّهَا، وَيَقُولُونَ:
هِيَ الأَيَّامُ الَّتِي عُظِّمَتْ فِي كِتَابِ اللهِ".

وَكَانَ مُجَاهِدٌ إِذَا دَخَلَتِ العَشْرُ، اعْتَزَلَ النَّاسَ، وَتَفَرَّغَ لِلصِّيَامِ وَالْعِبَادَةِ، وَيَقُولُ:
"هَذِهِ أَيَّامُ سُوقِ الآخِرَةِ، مَنْ ضَيَّعَهَا نَدِمَ".

وَإِذَا جَاءَ يَوْمُ عَرَفَةَ، لَبِسَ أَجْمَلَ ثِيَابِهِ، وَصَامَ، وَأَكْثَرَ مِنَ الدُّعَاءِ، وَقَالَ:
"يَوْمٌ يُرْجَى فِيهِ الْعِتْقُ، فَلَا تُضَيِّعُوهُ بِكَثْرَةِ غَفْلَةٍ".

وَنُقِلَ عَنْ **الأسودِ بْنِ يَزِيدَ النَّخْعِيِّ** –مِنْ كِبَارِ التَّابِعِينَ –
أَنَّهُ كَانَ يَصُومُ العَشْرَ مِنْ ذِي الحِجَّةِ، وَيَقُولُ:
"هِيَ أَيَّامٌ عَظِيمَةٌ، كَانَ السَّلَفُ يَعَظِّمُونَهَا، وَيَجْتَهِدُونَ فِيهَا بِالصِّيَامِ وَالْعِبَادَةِ".

كَمَا رَوَى الإِمَامُ **أَحْمَدُ** عَنْ **عَبْدِ اللهِ بْنِ الْمُبَارَكِ** رحمه الله،
أَنَّهُ قَالَ فِي فَضْلِ صِيَامِ يَوْمِ عَرَفَةَ:
"صَوْمُ يَوْمِ عَرَفَةَ كَفَّارَةُ سَنَتَيْنِ، وَهُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ ضَرْبِ السَّيْفِ فِي سَبِيلِ اللهِ".
أي: لِمَن لَمْ يَكُنِ الجِهَادُ فَرْضَ عَيْنٍ عَلَيْهِ

فَهَؤُلَاءِ السَّلَفُ لَمْ يَكُونُوا يَعُدُّونَ صِيَامَ عَشْرِ ذِي الحِجَّةِ نَافِلَةً عَادِيَّةً،
بَلْ كَانُوا يَرَوْنَهَا مَوْسِمًا لَا يُفَوَّتُ، وَيَعُدُّونَ يَوْمَ عَرَفَةَ فُرْصَةً لِغُفْرَانِ العُمُرِ كُلِّهِ. سير أعلام النبلاء

فَقَدْ ثَبَتَ فِي مَسْنَدِ الإِمَامِ أَحْمَدَ:
أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَصُومُ تِسْعَ ذِي الحِجَّةِ، وَيَوْمَ عَاشُورَاءَ، وَثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ.

لِذلكَ يُسَنُّ صِيَامُ التِّسْعَةِ الأَيَّامِ الأُولَى مِنْ ذِي الحِجَّةِ لِمَنْ قَدَرَ عَلَى ذَلِكَ،
وَأَفْضَلُ هَذِهِ الأَيَّامِ فِي الصِّيَامِ هُوَ:
صِيَامُ يَوْمِ عَرَفَةَ –وَهُوَ اليَوْمُ التَّاسِعُ مِنْ ذِي الحِجَّةِ – حَيْثُ قَالَ ﷺ:
"**أَحْتَسِبُ عَلَى اللهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ وَالسَّنَةَ الَّتِي بَعْدَهُ**". مسند الإمام أحمد
فَهُوَ يَوْمٌ مَشْرُوعُ الصِّيَامِ لِغَيْرِ الحَاجِّ،
وَيَوْمٌ تَعُمُّ فِيهِ البَرَكَةُ،
وَيُرْجَى فِيهِ العِتْقُ وَالمغْفِرَةُ.

قال الله تعالى:
﴿ **ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ** ﴾ الحج: ٣٢

كثرُ خيرِ ربِّنَا وطابَ... في عَشيَّةِ يومِ عرَفَةَ

عندما اقْتَرَبَتِ الشَّمْسُ مِنَ الغُرُوبِ عَشِيَّةَ عَرَفَةَ، بَسَطَ رَسُولُ اللهِ ﷺ كَفَّيْهِ دَاعِيًا اللهَ تَعَالَى بِخُشُوعٍ وَإِخْبَاتٍ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى بِلَالٍ وَقَالَ لَهُ:

"يَا بِلَالُ، اسْتَنْصِتِ النَّاسَ".

فَنَادَاهُمْ بِلَالٌ وَأَمَرَهُمْ بِالإِنْصَاتِ، فَاشْرَأَبَّتِ الأَعْنَاقُ، وَأَبْدَتِ العُيُونُ بَصرَهَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَخَاطَبَهُمْ قَائِلًا:

"إِنَّ جِبْرِيلَ أَتَانِي فَبَشَّرَنِي: أَنَّ اللهَ قَدْ قَبِلَ مِنْ مُحْسِنِكُمْ، وَتَجَاوَزَ عَنْ مُسِيئِكُمْ، وَتَحَمَّلَ عَنْكُمُ التَّبِعَاتِ". رواه البخاري ومسلم

وَهُنَا انْطَلَقَ إِلَيْهِ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَقَالَ:

"يَا رَسُولَ اللهِ، هذِهِ لَنَا خَاصَّةٌ أَمْ لِلنَّاسِ عَامَّةٌ؟"

فَقَالَ ﷺ:

"بَلْ لِلنَّاسِ عَامَّةٌ".

فَقَالَ عُمَرُ:

"كَثُرَ خَيْرُ رَبِّنَا وَطَابَ". رواه البخاري

فَيَا مَنْ بَلَّغَكُمُ اللهُ هذِهِ العَشْرَ...

أَلَا فتَعَرَّضُوا لِنَفَحَاتِ اللهِ فِي هذِهِ العَشْرِ،

وَشَمِّرُوا لِيَوْمِ عَرَفَةَ قَبْلَ مَجِيئِهِ،

وَأَبْشِرُوا، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِهِ بِهِ،

وَإِنَّهُ أَكْرَمُ مِنْ أَنْ يَحْرِمَ عَبْدًا دَعَاهُ، أَوْ يَرُدَّ مَنْ سَأَلَهُ. حديثٌ حسن

فَمِنْ فَضَائِلِ يَوْمِ عَرَفَةَ عَلَى الحَاجِّ وَغَيْرِ الحَاجِّ:

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

"أَفْضَلُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ". رواه الترمذي

وَأَفْضَلُ مَا يُقَالُ فِيهِ مَا قَالَهُ ﷺ:

"خَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي:

لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ". رواه مسلم

اللَّهُمَّ بَلِّغْنَا يَوْمَ عَرَفَةَ، وَاجْعَلْ لَنَا فِيهِ دَعْوَةً لَا تُرَدُّ.

إِنَّ يَوْمَ عَرَفَةَ هُوَ **يَوْمُ اكْتِمَالِ الدِّينِ وَإِتْمَامِ النِّعْمَةِ**، فَفِيهِ نَزَلَ قَوْلُ اللهِ تَعَالَى:

﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِينًا** ﴾ المائدة: ٣

وَهذَا النَّصُّ **صَرِيحٌ فِي أَنَّ اللهَ قَدْ أَكْمَلَ هذَا الدِّينَ**، فَلَا يُقْبَلُ بَعْدَهُ قَوْلٌ أَوْ فِعْلٌ إِلَّا بِدَلِيلٍ مِنَ الكِتَابِ أَوِ السُّنَّةِ.

قَالَ تَعَالَى:

﴿ **مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ** ﴾ الأنعام: ٣٨

﴿ **وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ** ﴾ النحل: ٨٩

﴿ **وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا** ﴾ الحشر: ٧

فَالأَصْلُ فِي أَفْعَالِ المسْلِمِ أَنْ يَتَقَيَّدَ بِالحُكْمِ الشَّرْعِيِّ قَبْلَ أَنْ يُقْدِمَ عَلَى أَيِّ فِعْلٍ.

نَسْأَلُ اللهَ:

أَنْ يَرْزُقَنَا فِي يَوْمِ عَرَفَةَ دَعْوَةً لَا تُرَدُّ، وَقَلْبًا لَا يَغْفُلُ، وَعِتْقًا مِنَ النَّارِ لَا يُرَدُّ.

لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْك
نِدَاءُ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ

قالَ ابنُ كَثيرٍ في تَفسيرِهِ:

إنَّ اللَّهَ أَمَرَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ يُؤَذِّنَ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ، قَالَ تَعَالَى:

﴿ **وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ** ﴾ سورة الحج: ٢٧

فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

"يَا رَبِّ، وَكَيْفَ أُبَلِّغُ النَّاسَ وَصَوْتِي لَا يَصِلُ إِلَيْهِمْ؟"

فَقِيلَ لَهُ:

"نَادِ، وَعَلَيْنَا البَلَاغُ".

فَوَقَفَ عَلَى مَقَامِهِ، وَنَادَى:

"يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ رَبَّكُمْ قَدِ اتَّخَذَ بَيْتًا فَحُجُّوهُ".

فَتَوَاضَعَتِ الجِبَالُ، وَبَلَغَ الصَّوْتُ كُلَّ أَرْجَاءِ الأَرْضِ،

وَأَجَابَ كُلُّ مَن كُتِبَ اللَّهُ لَهُ أَنْ يَحُجَّ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ قَائِلًا:

"لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْك".

وَمَا يَزَالُ وَعْدُ اللَّهِ يَتَحَقَّقُ، وَمَا تَزَالُ أَفْئِدَةٌ تَهْوِي إِلَى البَيْتِ العَتِيقِ،

قُلُوبٌ تَنْشَرِحُ لِرُؤْيَتِهِ، وَتَبْتَهِجُ بِالطَّوَافِ حَوْلَهُ،

وَيَأْتِيهِ النَّاسُ رِجَالًا أَيْ عَلَى أَرْجُلِهِمْ،

وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ أَيْ رَاكِبِينَ الإِبِلَ أَوْ وَسَائِلَ السَّفَرِ،

مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ، لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ:

—غُفْرَانَ ذُنُوبِهِمْ،

—إِجَابَةَ دُعَائِهِمْ،

—رِضَا رَبِّهِمْ،

—وَتَعَارُفَهُمْ وَتَعَاوُنَهُمْ عَلَى البِرِّ وَالتَّقْوَى.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

"الحُجَّاجُ وَالعُمَّارُ وَفْدُ اللَّهِ، دَعَاهُمْ فَأَجَابُوهُ، وَنَادَاهُمْ فَلَبُّوهُ، وَسَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ". رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ

ومِنْ هَدْيِ النَّبِيِّ ﷺ:

أنَّهُ كَانَ يَقُولُ لأَصْحَابِهِ: "السَّكِينَةُ السَّكِينَةُ".

وَقَالَ ﷺ:

"مَنْ حَجَّ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ". *رَوَاهُ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ*

وَقَالَ تَعَالَى:

﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ، فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ، فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴾ *البقرة: ١٩٧*

- الرَّفْثُ: الكَلامُ فِي الشَّهَوَاتِ وَالفَوَاحِشِ.
- الفُسُوقُ: المَعَاصِي وَسُوءُ الكَلامِ.
- الجِدَالُ: الخِصَامُ وَالنِّزَاعُ المؤَدِّي لِلْبُغْضَاءِ.

فَيَا مَنِ اجْتَمَعْتُمْ عَلَى طَاعَةِ اللهِ، فاجْتَهِدُوا أَنْ تَتَعَاوَنُوا عَلَى البِرِّ وَالتَّقْوَى.

يَا مَن نَوَيْتُمْ الحَجَّ وَلَبَّيْتُمْ نِدَاءَ الرَّحْمَنِ،

تَزَوَّدُوا مِنْ هَذِهِ الرِّحْلَةِ العَظِيمَةِ:

- بِالدُّعَاءِ لِأُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ.
- بِالنُّصْرَةِ لِفِلَسْطِينَ وَالمسْجِدِ الأَقْصَى.
- بِذِكْرِ مَن هُمْ فِي غَيَابِ السُّجُونِ، لَا نَاصِرَ لَهُمْ إِلَّا اللهُ.
- بِالدُّعَاءِ لِلثَّكَالَى، وَاليَتَامَى، وَالمكْلُومِينَ.

ادْعُوا وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالإِجَابَةِ، فَإِنَّ اللهَ لَا يَرُدُّ مَنْ سَأَلَهُ، وَلَا يُخَيِّبُ مَنْ دَعَاهُ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ﴾ *البقرة: ١٨٦*

﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴾
بِشَارَةٌ عَظِيمَةٌ مِنَ السَّمَاءِ

عَنْ أَنَسٍ **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** قَالَ:

بَيْنَمَا **رَسُولُ اللهِ** ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ بَيْنَ أَظْهُرِنَا، إِذْ أَغْفَى إِغْفَاءَةً، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ **مُتَبَسِّمًا**.

فَقُلْنَا:

"مَا أَضْحَكَكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟"

قَالَ:

"أُنزِلَتْ عَلَيَّ آنِفًا سُورَةٌ"،

ثُمَّ قَرَأَ:

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ * إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾ *سورة الكوثر: ١–٣*

ثُمَّ قَالَ ﷺ:

"أَتَدْرُونَ مَا الْكَوْثَرُ؟"

قُلْنَا:

"اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ".

قَالَ:

"فَإِنَّهُ نَهْرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّي، عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ، وَهُوَ حَوْضٌ تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، آنِيَتُهُ عَدَدُ النُّجُومِ".

وَيُخْتَلَجُ – أَيْ يُمْنَعُ – بَعْضُ النَّاسِ عَنْهُ،

فَيَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ:

"رَبِّ، إِنَّهُ مِنْ أُمَّتِي".

فَيُقَالُ لَهُ:

"إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثَ بَعْدَكَ ".*رواه مسلم*

فالْكَوْثَرُ خَيْرٌ عَظِيمٌ لَا يَنَالُهُ إِلَّا مَن ثَبَتَ عَلَى الإِسْلَامِ،
وَاتَّبَعَ سُنَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَتَمَسَّكَ بِالْحَقِّ دُونَ ابْتِدَاعٍ أَوْ تَحْرِيفٍ.
مَنْ الْتَزَمَ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ، نَالَ مِنْ هَذَا الْخَيْرِ.
وَمَنْ ابْتَدَعَ وَغَيَّرَ، حُرِمَ مِنَ الْوُرُودِ عَلَى الْحَوْضِ.

قَالَ **رَسُولُ اللهِ ﷺ:**
"مَنْ صَلَّى صَلَاتَنَا، وَاسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا، وَأَكَلَ ذَبِيحَتَنَا، فَذَلِكَ الْمُسْلِمُ الَّذِي لَهُ ذِمَّةُ اللهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ، فَلَا تُخْفِرُوا اللهَ فِي ذِمَّتِهِ". *رواه أبو داود والترمذي*

أي: لَا تُنقِضُوا عَهْدَ اللهِ مَعَ هَذَا الْمُسْلِمِ، وَلَا تَهْدِرُوا كَرَامَتَهُ.

وَلَمَّا أَعْطَاكَ اللهُ هذَا الْخَيْرَ الْعَظِيمَ – الْكَوْثَرَ –كَانَ الشُّكْرُ الْوَاجِبُ هُوَ:
﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴾ *سورة الكوثر: ٢*

فَمِنْ شُكْرِ نِعْمَةِ اللهِ:
–الْمُحَافَظَةُ عَلَى الصَّلَاةِ.
–وَذَبْحُ الْأَضَاحِي تَقَرُّبًا إِلَى اللهِ، لَا رِيَاءً وَلَا مُبَاهَاةً.

نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَسْقِيَنَا مِنْ حَوْضِ نَبِيِّنَا شُرْبَةً لَا نَظْمَأُ بَعْدَهَا أَبَدًا.
اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنْ أَهْلِ الْكَوْثَرِ، وَمِنْ أَهْلِ طَاعَتِكَ، وَمِنْ أَهْلِ سُنَّةِ نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ ﷺ.

مِنْ هَدْيِ السَّلَفِ فِي الأُضْحِيَّةِ وَتَعْظِيمِهَا

عَنْ نَافِعٍ – مَوْلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ – قَالَ:
كَانَ ابْنُ عُمَرَ **رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا لَا يُضَحِّي إِلَّا بِكَبْشٍ سَمِينٍ عَظِيمٍ، وَكَانَ يَشْتَرِيهِ بِأَغْلَى ثَمَنٍ،**
فَإِذَا سُئِلَ عَنْ ذَلِكَ قَالَ:
"أُهَدِّيهَا لِرَبِّي، أَفَلَا أَتَخَيَّرُ لَهَا مَا هُوَ أَنْفَسُ مَالِي؟"!
وَكَانَ يَقُولُ:
"إِنِّي لَأُحِبُّ أَنْ أُهَدِّيَ لِرَبِّي أَفْضَلَ مَا أَقْدِرُ عَلَيْهِ، عَسَى أَنْ يَتَقَبَّلَ مِنِّي".
وَكَانَ إِذَا ذَبَحَ أُضْحِيَّتَهُ، يَقُولُ وَهُوَ يَنحَرُهَا:
"اللَّهُمَّ هَذَا عَنِّي، وَعَنْ أَهْلِ بَيْتِي، تَقَبَّلْهُ مِنِّي كَمَا تَقَبَّلْتَ مِنْ عَبْدِكَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ".
حلية الأولياء

فالأُضْحِيَّةُ قُرْبَةٌ إِلَى اللَّهِ، يُحْيِي بِهَا الْمُسْلِمُ سُنَّةَ خَلِيلِ اللَّهِ إِبْرَاهِيمَ وَنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ.

قَالَ ﷺ:
"مَا عَمِلَ ابْنُ آدَمَ يَوْمَ النَّحْرِ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ مِنْ إِرَاقَةِ دَمٍ ". *الإمام مسلم*

وَقَالَ تَعَالَى:
﴿ لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَٰكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ ﴾ *الحج: ٣٧*

فَهِيَ طَاعَةٌ لِلَّهِ، وَعِبَادَةٌ يَبْتَغِي بِهَا الْمُسْلِمُ وَجْهَ اللَّهِ.
يُحْيُونَ سُنَّةَ نَبِيِّهِمْ، وَسُنَّةَ أَبِيهِمْ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.
وَلِذَٰلِكَ، فَذَبْحُهَا أَفْضَلُ مِنَ الصَّدَقَةِ بِثَمَنِهَا.

وَهِيَ سُنَّةٌ مُؤَكَّدَةٌ فِي حَقِّ الْأَغْنِيَاءِ الْقَادِرِينَ،
يَأْكُلُونَ مِنْهَا، وَيَهْدُونَ، وَيَتَصَدَّقُونَ.

قَالَ أَبُو أَيُّوبَ الأَنْصَارِيُّ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:**

"كَانَ الرَّجُلُ مِنَّا يُضَحِّي بِشَاةٍ وَاحِدَةٍ عَنْهُ وَعَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ".

وَيُقْصَدُ بِهِمْ :**الْأَحْيَاءُ وَالْأَمْوَاتُ إِنْ نَوَوْا، وَالنِّيَّةُ عَامَّةٌ.**

وَلَمْ يَثْبُتْ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ذَبَحَ عَنْ أَحَدٍ مَيِّتٍ، إِلَّا إِنْ كَانَتْ وَصِيَّةً.

وَمِنَ الْأَفْضَلِ أَنْ يَذْبَحَهَا بِنَفْسِهِ، إِنْ قَدَرَ، تَعْظِيمًا لِلشَّعِيرَةِ.

يُرْوَى أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِفَاطِمَةَ:

"قُومِي إِلَى أُضْحِيَّتِكِ، فَاشْهَدِيهَا، فَإِنَّهُ يُغْفَرُ لَكِ بِأَوَّلِ قَطْرَةٍ مِنْ دَمِهَا ". أحمد في مسنده

وَيَجُوزُ الِاشْتِرَاكُ فِي الأُضْحِيَةِ: فِي الْإِبِلِ أَوِ الْبَقَرِ فَقَطْ،

قَالَ ﷺ:

"الْجَزُورُ عَنْ سَبْعَةٍ، وَالْبَقَرَةُ عَنْ سَبْعَةٍ ". البخاري ومسلم

الْعُيُوبُ الأَرْبَعَةُ الَّتِي لَا تُجْزِئُ مُطْلَقًا:

الْعَرَجُ، وَالْعَوَرُ، وَالْمَرَضُ، وَالْهُزَالُ الشَّدِيدُ.

وَمَا كَانَ أَشَدَّ مِنْهَا، كَذَلِكَ لَا يُجْزِئُ.

وَيُكْرَهُ مَقْطُوعُ الْقَرْنِ أَوِ الأُذُنِ إِذَا كَانَ أَكْثَرَ مِنَ الثُّلُثِ.

قَالَ تَعَالَى:﴿ **ذَٰلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ** ﴾ الحج: ٣٢

قَالَ ﷺ:

إِذَا دَخَلَ الْعَشْرُ، وَأَرَادَ أَحَدُكُمْ أَنْ يُضَحِّيَ، فَلْيُمْسِكْ عَنْ شَعْرِهِ وَأَظْفَارِهِ ". البخاري ومسلم

وَيَخُصُّ هَذَا النَّهْيَ صَاحِبَ الأُضْحِيَةِ فَقَطْ، لَا مَنْ ضُحِّيَ عَنْهُمْ.

وَمَنْ نَوَى الأُضْحِيَةَ قَبْلَ الْعِيدِ بِأَيَّامٍ، فَلْيُمْسِكْ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ قَدْ أَمْسَكَ.

وَمَنْ أَخَذَ مِنْ شَعْرِهِ أَوْ أَظْفَارِهِ مُتَعَمِّدًا، فَلَا مَنْعَ مِنَ الأُضْحِيَةِ، وَلَا كَفَّارَةَ عَلَيْهِ.

قِصَّةُ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ فِي يَوْمِ النَّحْرِ

سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ – رَحِمَهُ اللَّهُ – مِنْ كِبَارِ التَّابِعِينَ، وَمِنْ أَعْظَمِ أَهْلِ العِلْمِ وَالوَرَعِ.

رُوِيَ عَنْهُ أَنَّهُ فِي **يَوْمِ النَّحْرِ، ذَبَحَ أُضْحِيَّتَهُ، ثُمَّ جَلَسَ يَبْكِي.**

فَقِيلَ لَهُ: "لِمَ تَبْكِي يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ؟! هَذَا يَوْمُ عِيدٍ وَفَرَحٍ"!

فَقَالَ – بِكَلِمَاتٍ تُكْتَبُ بِمَاءِ الذَّهَبِ:–

"إِنِّي أَرَى النَّاسَ يَقَرِّبُونَ أَضْحِيَّتَهُمْ، وَأَنَا أَتَأَمَّلُ، مَاذَا قَرَّبْتُ أَنَا إِلَى رَبِّي؟"!

ثُمَّ قَالَ: "اللَّهُمَّ إِن تَقَبَّلْتَ، فَهَذَا فَضْلُكَ، وَإِن رَدَدْتَ، فَهَذَا ذَنْبِي".

لَمْ تَكُنْ دِمَاءُ الأَضَاحِي عِنْدَهُ هِيَ الغَايَةُ، بَلْ كَانَ قَلْبُهُ مُتَعَلِّقًا بِالقَبُولِ.

يَرَى أَنَّ أَعْظَمَ القُرُبَاتِ فِي هَذَا اليَوْمِ لَيْسَتِ الذَّبْحَ فَحَسْبُ، بَلْ مَا فِي القَلْبِ مِنْ إِخْلَاصٍ، وَخَشْيَةٍ، وَتَوْبَةٍ، وَمَحَبَّةٍ لِلَّهِ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

"لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنكُمْ" سورة الحج: ٣٧

هَذَا اليَوْمُ العَظِيمُ هُوَ يَوْمُ الحَجِّ الأَكْبَرِ، وَهُوَ أَفْضَلُ أَيَّامِ السَّنَةِ كُلِّهَا.

إِنَّهُ يَوْمُ الذِّكْرِ وَالشُّكْرِ، وَيَوْمُ الذَّبْحِ وَالنَّحْرِ.

عَنْ البَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:

خَطَبَنَا النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ النَّحْرِ، فَقَالَ:

"إِنَّ أَوَّلَ مَا نَبْدَأُ بِهِ فِي يَوْمِنَا هَذَا أَنْ نُصَلِّيَ، ثُمَّ نَرْجِعَ فَنَنْحَرَ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ أَصَابَ سُنَّتَنَا". *رواه البخاري ومسلم*

شُرِعَتْ لَنَا الأَضْحِيَّةُ فِي هَذَا اليَوْمِ العَظِيمِ تَقَرُّبًا إِلَى اللَّهِ، وَإِحْيَاءً لِسُنَّةِ نَبِيِّنَا وَسُنَّةِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

قَالَ ﷺ:

"مَا عَمِلَ ابْنُ آدَمَ يَوْمَ النَّحْرِ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ مِنْ إِرَاقَةِ دَمٍ،

وَإِنَّهُ لَتَأْتِي يَوْمَ القِيَامَةِ بِقُرُونِهَا وَأَظْلَافِهَا وَأَشْعَارِهَا،
وَإِنَّ الدَّمَ لَيَقَعُ مِنَ اللَّهِ بِمَكَانٍ قَبْلَ أَنْ يَقَعَ عَلَى الأَرْضِ، فَطَيِّبُوا بِهَا نَفْسًا". *رواه البخاري ومسلم*

وَقَالَ ﷺ حِينَ سُئِلَ عَنِ الأَضَاحِي:
"سُنَّةُ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ".
قَالُوا: مَا لَنَا مِنْهَا؟
قَالَ" :**بِكُلِّ شَعْرَةٍ حَسَنَةٌ".**
قَالُوا: فَالصُّوفُ؟
قَالَ" :**وَبِكُلِّ شَعْرَةٍ مِنَ الصُّوفِ حَسَنَةٌ".** *رواه مسلم*

فَضَحُّوا تَقَبَّلَ اللَّهُ ضَحَايَاكُمْ، وَكَبِّرُوا اللَّهَ كَمَا هَدَاكُمْ، وَاشْكُرُوهُ عَلَى مَا أَعْطَاكُمْ.
وَاطْلُبُوا مَغْفِرَتَهُ، وَسَلُوهُ مِنْ فَضْلِهِ، وَأَظْهِرُوا فَقْرَكُمْ لَهُ، وَابْتَغُوا الوَسِيلَةَ إِلَيْهِ.
وَتَسَابَقُوا فِي إِطْعَامِ المُحْتَاجِينَ مِنَ الأَضَاحِي، وَتَفَقَّدُوا عَائِلَاتِ الشُّهَدَاءِ وَالأَسْرَى وَالمَسْتُورِينَ.

قَالَ ﷺ:
"أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ،
وَأَحَبُّ الأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ:
سُرُورٌ تَدْخُلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ،
أَوْ تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً،
أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا،
أَوْ تَطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا،
وَلَأَنْ أَمْشِيَ مَعَ أَخِي المُسْلِمِ فِي حَاجَةٍ،
أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي المَسْجِدِ شَهْرًا". *رواه البخاري ومسلم*

الثَّبَاتُ بَعْدَ الحَجِّ: بَدَايَةُ الطَّرِيقِ لا نِهَايَتُهُ

كَانَ الفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ – رَحِمَهُ اللهُ – مِنْ كِبَارِ العِبَادِ وَالزُّهَّادِ.
عُرِفَ بِصِدْقِ التَّوْبَةِ وَدَوَامِ الطَّاعَةِ.
رُوِيَ أَنَّهُ حَجَّ مَرَّةً. فَلَمَّا أَنْهَى مَنَاسِكَهُ جَلَسَ بَيْنَ الحُجَّاجِ. بَكَى بُكَاءً شَدِيدًا
وَقَالَ: **"وَا حَسْرَتَاهُ! قَوْمٌ رَجَعُوا وَمَا قَبِلَ اللَّهُ مِنْهُمْ! وَوَا فَرَحَتَاهُ! قَوْمٌ رَجَعُوا وَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ"!**
ثُمَّ قَالَ" :**وَاللَّهِ، مَا الحَجُّ إِلَّا بَدَايَةُ طَرِيقٍ لَا نِهَايَتَهُ"!**

سَأَلَهُ أَحَدُهُمْ: "أَلَا تَفْرَحُ أَنَّكَ حَجَجْتَ؟"
فَقَالَ" :**إِنِّي لَا أَنْظُرُ إِلَى أَنِّي حَجَجْتُ، بَلْ أَنْظُرُ هَلْ قُبِلَ مِنِّي أَمْ لَا؟ وَهَلْ سَأَثْبُتُ بَعْدَهَا عَلَى الطَّاعَةِ أَمْ أَرْجِعُ إِلَى الغَفْلَةِ؟"**

وَأَضَافَ:
"عَلَامَةُ القُبُولِ أَنْ تَكُونَ بَعْدَ الطَّاعَةِ أَحْسَنَ حَالًا مِنْكَ قَبْلَهَا، وَأَنْ تُحَبَّبَ إِلَيْكَ العِبَادَةَ، وَتُبْغِضَ إِلَيْكَ المَعْصِيَةَ". "الزهد" لابن المبارك.

قَالَ الحَسَنُ البَصْرِيُّ – رَحِمَهُ اللهُ:–
"لَيْسَ الحَجُّ أَنْ تَطُوفَ وَتَعُودَ، بَلْ أَنْ يَعُودَ قَلْبُكَ إِلَى اللَّهِ وَيَثْبُتَ عَلَى الطَّرِيقِ".

وَسُئِلَ: "مَا عَلَامَةُ الحَجِّ المَبْرُورِ؟"
فَقَالَ" :**أَنْ تَعُودَ زَاهِدًا فِي الدُّنْيَا، رَاغِبًا فِي الآخِرَةِ، مُحِبًّا لِلطَّاعَةِ، كَارِهًا لِلْمَعْصِيَةِ"**. "الزهد" لابن المبارك.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:
"مَنْ حَجَّ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ" البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ

وَقَالَ تَعَالَى:
"وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا". النَّحل: ٩٢

فَالْوَاجِبُ عَلَى مَن أَكْرَمَهُ اللَّهُ بِالحَجِّ أَلَّا يَنقُضَ عَهْدَهُ مَعَ اللَّهِ.
وَأَلَّا يَهْدِمَ مَا بَنَاهُ.
بَلْ يَسْتَمِرُّ فِي طَاعَةِ رَبِّهِ وَيَجْتَهِدُ فِي مَرْضَاتِهِ.

فَمَا أَجْمَلَ أَنْ تَتْبَعَ الحَسَنَةَ حَسَنَةً أُخْرَى.
وَمَا أَقْبَحَ أَنْ تَتْرُكَ الحَسَنَةَ وَتَأْتِيَ بِالسَّيِّئَةِ بَعْدَهَا.

الحَجُّ لَيْسَ نِهَايَةَ الطَّاعَاتِ، بَلْ بَدَايَتُهَا.
هُوَ مِيلَادٌ جَدِيدٌ لِلْمُسْلِمِ.
يَبْدَأُ صَفْحَةً نَاصِعَةً مَعَ اللهِ.
خَالِيَةً مِنَ الذُّنُوبِ.
مَلِيئَةً بِالأَمَلِ فِي الرَّحْمَةِ وَالمَغْفِرَةِ.

وَمِنْ صَدَقَ فِي حَجِّهِ، عَلَامَةُ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ أَكْثَرَ زَهْدًا فِي الدُّنْيَا.
وَأَشَدَّ رَغْبَةً فِي الآخِرَةِ.
يَبْقَى قَلْبُهُ مُتَعَلِّقًا بِاللهِ.
طَائِعًا لَهُ وَخَاشِعًا بَيْنَ يَدَيْهِ.
رَاغِبًا فِيمَا عِنْدَهُ.
رَاهِبًا مِمَّا يُبْعِدُهُ عَنْهُ.
فَإِن زَلَّ، تَابَ وَاسْتَغْفَرَ.
وَاتَّبَعَ السَّيِّئَةَ بِالحَسَنَةِ، كَمَا قَالَ ﷺ: "وَأَتْبِعَ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا". رَوَاهُ مُسْلِمٌ

وَالْأَعْمَالُ بِالْخَوَاتِيمِ.
وَمِنْ وُفِّقَ لِلثَّبَاتِ بَعْدَ الطَّاعَةِ فَقَدْ نَالَ القَبُولَ بِإِذْنِ اللهِ.

وَحْدَةُ الأُمَّةِ

كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مِنْ أَكْثَرِ الصَّحَابَةِ حِرْصًا عَلَى اتِّبَاعِ سُنَّةِ النَّبِيِّ ﷺ ،
وَكَانَ يَرَى فِي الحَجِّ مَظْهَرًا مِنْ مَظَاهِرِ وَحْدَةِ الأُمَّةِ.
رُوِيَ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ إِذَا وَقَفَ بِعَرَفَةَ، تَأَمَّلَ وُجُوهَ النَّاسِ مِنْ كُلِّ الأَلْوَانِ وَاللُّغَاتِ،
ثُمَّ يَقُولُ بَاكِيًا:
"مَا أَعْظَمَ هَذَا الجَمْعَ، وَمَا أَرْحَمَ هَذَا الرَّبَّ
الَّذِي جَمَعَهُمْ عَلَى كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ، وَلِبَاسٍ وَاحِدٍ، وَمَوْقِفٍ وَاحِدٍ،
وَكُلُّهُمْ يَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخْشَوْنَ عَذَابَهُ". رواه البيهقي في "السنن الكبرى
ثُمَّ يَقُولُ:
"هَذِهِ الأُمَّةُ لَا يُغْلِبُهَا عَدُوٌّ مِنْ خَارِجِهَا، وَلَكِنْ يُهْلِكُهَا التَّفَرُّقُ مِنْ دَاخِلِهَا".
وَكَانَ يَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ، فَيَرَى أُنَاسًا مِنْ خِرَاسَانَ وَأَفْرِيقِيَا وَالرُّومِ وَالْيَمَنِ، فَيَقُولُ:
"هَكَذَا عَلَّمَنَا مُحَمَّدٌ ﷺ، أَن لَا فَرْقَ بَيْنَ عَرَبِيٍّ وَلَا أَعْجَمِيٍّ إِلَّا بِالتَّقْوَى".

وَكَانَ يُكْثِرُ مِنَ الدُّعَاءِ فِي أَيَّامِ الحَجِّ قَائِلًا:
"اللَّهُمَّ أَلِّفْ بَيْنَ قُلُوبِ أُمَّتِكَ،
وَاهْدِهِمْ سُبُلَ السَّلَامِ،
وَاجْعَلْ هَذَا الجَمْعَ بَدَايَةَ صَلَاحٍ وَوَحْدَةٍ لَا تَفَرُّقَ بَعْدَهَا". دلائل النبوة" للقندوزي

فَكَمَا أَنَّ الحَجَّ مِيلَادٌ جَدِيدٌ لِلْمُسْلِمِ، فَهُوَ كَذَلِكَ مِيلَادٌ جَدِيدٌ لِلْأُمَّةِ،
حَيْثُ يَأْتِي لِيَجْمَعَ الأُمَّةَ بَعْدَ شَتَاتٍ، وَيُوَحِّدَهَا بَعْدَ تَفَرُّقٍ،
وَيُوقِظَهَا بَعْدَ غَفْلَةٍ.
فَالرَّبُّ وَاحِدٌ، وَالْقِبْلَةُ وَاحِدَةٌ، وَالْمَنَاسِكُ وَاحِدَةٌ. قَالَ تَعَالَى:
{إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ} الأنبياء: ٩٢
الْمَالِيزِيُّ بِجَانِبِ المِصْرِيِّ، وَالعَرَبِيُّ بِجَانِبِ الأَعْجَمِيِّ، وَالأُورُوبِيُّ بِجَانِبِ الشَّرْقِيِّ،
كُلُّهُمْ وَاقِفُونَ عَلَى صَعِيدٍ وَاحِدٍ، يَهْتِفُونَ بِلُغَةٍ وَاحِدَةٍ:
"لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ".

فَأَيْنَ الأُمَّةُ عَنْ هَذِهِ الحَقِيقَةِ؟

مَتَى تُدْرِكُ أَنَّ مَصْدَرَ قُوَّتِهَا وَعِزَّتِهَا فِي تَحْقِيقِ وَحْدَتِهَا الإِسْلَامِيَّةِ؟

الإِسْلَامُ يَحْرِصُ عَلَى وَحْدَةِ الأُمَّةِ كَحِرْصِهِ عَلَى تَوْحِيدِ الْخَالِقِ الْمَعْبُودِ.

قَالَ تَعَالَى مَرَّةً أُخْرَى:

{إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ} الأنبياء: ٩٢ ،

إِنَّهَا الْوَحْدَةُ وَالْعِبَادَةُ،

فَكَأَنَّ الْعِبَادَةَ لَا تَتِمُّ إِلَّا بِوَحْدَةِ الأُمَّةِ، عَلَى أَسَاسِ الإِسْلَامِ،

لَا عَلَى أُسُسِ الْقَوْمِيَّةِ أَوِ الْجُغْرَافِيَا.

فَقَدْ أَمَرَنَا الَّذِي خَلَقَنَا أَنْ نَتَّحِدَ عَلَى دِينِهِ، وَأَنْ نَعْتَصِمَ بِتَعَالِيمِهِ،

قَالَ تَعَالَى:

{وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا} آل عمران: ١٠٣

بِيتُ المَقْدِسِ وَالحَرَمُ: رِسَالَةُ وَحْدَةٍ وَحِمَايةٍ لِلأُمَّةِ الإسْلَامِيَّةِ

كانَ خَالِدُ بْنُ الوَلِيدِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مِنْ أَبْرَزِ القُوَّادِ الَّذِينَ شَارَكُوا فِي فَتْحِ بَيْتِ المقَدَّسِ، وقد رُوي عنه أنه لما دخل المدينة المباركة وقف على المسجد الأقصى، ثم جلس مع أصحابه يتأملون المشهد، فقال لهم:

"هَذَا المَسْجِدُ مُبَارَكٌ، وَهَذِهِ الأَرْضُ مُقَدَّسَةٌ، رُبِطْنَا بِهَا بِرَابِطٍ لَا يَنْقَطِعُ، وَرِبَاطُنَا بِهَا لَيْسَ مُجَرَّدَ أَرْضٍ، بَلْ هِيَ مَرْكَزُ إِسْلَامِنَا وَوَحْدَتِنَا".

وفي أيام الفتح، كان الصحابة يتناوبون على حراسة المسجد وأبوابه، رابطين في سبيل الله، يحرسون مكان الصلاة والعبادة، حتى لا يعود لأيدي أعداء الدين .*السيرة النبوية، وابن كثير*

وكان عُمر بن الخطاب رضي الله عنه، عند دخوله بيت المقدس، يمر على الصحابة وهم يحيطون بالمسجد، فقال:

"اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنَ الحَافِظِينَ لِهَذِهِ الأَرْضِ، وَلَا تَجْعَلْنَا مِنَ المُتَفَرِّقِينَ عَلَيْهَا".

هَذِهِ الرَّابِطَةُ بَيْنَ الصَّحَابَةِ فِي بَيْتِ المُقَدَّسِ كَانَتْ مِثَالًا حَيًّا عَلَى الوَحْدَةِ الإِسْلَامِيَّةِ وَالحِرْصِ عَلَى حِمَايةِ بَيْتِ المُقَدَّسِ، وَهِيَ رِسَالَةٌ لِلأُمَّةِ اليَوْمَ أَنْ تَظَلَّ مُوَحَّدَةً عَلَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، تَحْمِي عَقْرَ دَارِ الإِسْلَامِ.

حين تتجول بناظرك حول الحرم المكيّ الشريف، تشاهد عمارةً تضاهي السماء، وأسواقًا حديثة، وخدماتٍ متكاملةً تسهّل على الحجاج أداء مناسكهم بيسرٍ وطمأنينة.

ولكن إذا ما حاولت أن تتخيّل حال المسجد الأقصى المبارك، ترى صورةً مختلفةً تمامًا:

عَجْزٌ فِي الحِفَاظِ عَلَيْهِ، وَمُضَايَقَاتٌ مُسْتَمِرَّةٌ، وَغِيَابٌ لِلدَّعْمِ الفَعْلِيِّ مِنَ الأُمَّةِ الَّتِي يَجِبُ أَنْ تَحْمِيهِ وَتَعْتَنِي بِهِ . *تقارير دولية*

بَيْنَمَا نَرَى الحَرَمَ المَكِّيَّ يَتَسِعُ وَيَزْدَهِرُ، يَظَلُّ الأَقْصَى يَئِنُّ تَحْتَ وَطْأَةِ التَّضْيِيقِ، وَلَا يُسْمَحُ بِإِدْخَالِ أَبْسَطِ مَوَادِّ البِنَاءِ إِلَيْهِ لِتَرْمِيمِ مَا تَهَدَّمَ.

مِلْيُونَاتٌ مِنْ عُمَّارِ الحَرَمَيْنِ يَتَمَنَّوْنَ زِيَارَةَ الأَقْصَى حُرًّا كَرِيمًا، لِيَشْهَدُوا عَلَى تِلْكَ الأَرْضِ المُبَارَكَةِ الَّتِي هِيَ مِيرَاثُ الأَنْبِيَاءِ وَقِبْلَةُ المُسْلِمِينَ الأُولَى.

جاء في الحديث:

"لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: المَسْجِدُ الحَرَامُ، وَمَسْجِدِي هَذَا، وَالمَسْجِدُ الأَقْصَى ".

البخاري ومسلم

هَذَا المَكَانُ لَيْسَ مُجَرَّدَ مَسْجِدٍ، بَلْ هُوَ رَمْزُ الوَحْدَةِ الإِسْلَامِيَّةِ، وَمَرْكَزٌ يَتَقَاطَعُ فِيهِ المَاضِي العَرِيقُ بِالحَاضِرِ المَرِيرِ، وَمِفْتَاحُ مُسْتَقْبَلِ الأُمَّةِ.

وَلَا نَرَى إِلَّا أَهْلَ القُدْسِ يُحَاوِلُونَ الصُّمُودَ فِي وَجْهِ مُحَاوَلَاتِ التَّهْوِيدِ وَالتَّقْسِيمِ، وَسَطَ غِيَابِ الدَّعْمِ المُؤَسَّسِيِّ.

أَيُّهَا المُسْلِمُونَ، أَيُّهَا العَرَبُ، المَسْجِدُ الأَقْصَى وَمَا حَوْلَهُ مِنْ أَرْضٍ مُبَارَكَةٍ هُوَ مَسْؤُولِيَّتُنَا جَمِيعًا، وَكَرَامَتُهُ فَرْضٌ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنَّا أَنْ يَحْمِيهَا... فَمَاذَا أَنْتُمْ فَاعِلُونَ؟

ونذكر بقول الله تعالى:

"وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا" *آل عمران: ١٠٣*

تلك الآية تمثل نداءً للأمة بأسرها للتمسك بوحدتها وتوحيد كلمتها، خصوصًا في هذه اللحظات العصيبة التي تحيط فيها المخاطر بمقدساتنا.

فالخلافات والصراعات بين أبناء الأمة ليست إلا سببًا في ضعفها وتشتتها، وهي التي تفتح الباب أمام أعدائها ليستولوا على ما تبقى من عزتها.

رِحْلَةُ الإِسْرَاءِ وَالمِعْرَاجِ: تَجَلِّيَاتُ العُبُودِيَّةِ وَسُمُوُّ المَقَامِ

بينما رَسُولُ اللهِ ﷺ في الحِجْرِ – مُسْتَلْقِيًا على جَنْبِهِ، بين النائِمِ واليَقْظانِ – أتى جِبْرِيلُ، فشَقَّ صَدْرَهُ الشَّرِيفَ، واسْتَخرَجَ قَلْبَهُ، فغَسَلَهُ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ أعادَهُ في مَوْضِعِهِ، وحَشِيَ إِيمَانًا وحِكْمَةً البُخَارِيُّ ومُسْلِمٌ

ثُمَّ أُتِيَ بِدَابَّةٍ بَيْضاءَ، سَرِيعَةٍ، دُونَ البَغْلِ وفَوْقَ الحِمَارِ، تُسَمَّى البُرَاقَ،
فَرَكِبَهَا النَّبِيُّ ﷺ، في رِحْلَةٍ عَظِيمَةٍ
كانَتْ بِالرُّوحِ والجَسَدِ في اليَقَظَةِ، لا في المنامِ،
كما دلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى:
﴿ **سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ** ﴾ الإسراء: ١

فـ "العَبْدُ" يشملُ الجَسَدَ والرُّوحَ، لا الرُّوحَ فقط، ولو كانت منامًا لما أنكرتها قريشٌ، لأنَّ المَنَامَاتِ لا تُكذَّبُ ولا تُختَبَرُ بها العُقُولُ تَفْسِيرُ ابنِ كَثِيرٍ

انطلقَ البُرَاقُ حتى بَلَغَ المسْجِدَ الأَقْصَى، وهناك صَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ رَكْعَتَيْنِ بِالأنبياءِ إمامًا، إيذانًا بخَتْمِ النُّبُوَّةِ وانتقالِ مِيراثِ الرِّسَالَةِ إلى أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، البُخَارِيُّ ومُسْلِمٌ
وارتباطًا رُوحِيًّا ومُقَدَّسًا بِهذِهِ الأَرْضِ المبَارَكَةِ
التي سَتَكُونُ مِنْ بَعْدِ عَقَائِدًا وَفَتْحًا في حَوْزَةِ الإِسْلَامِ

ثُمَّ بَدَأَتْ رِحْلَةُ المِعْرَاجِ مِنَ المسْجِدِ الأَقْصَى إلى السَّمَاوَاتِ العُلَى، يَصْحَبُهُ جِبْرِيلُ عليه السلام، يَسْتَأْذِنُ عِنْدَ كُلِّ سَمَاءٍ، فَيُؤْذَنُ لَهُ وَيُرْحَبُ بِسَيِّدِ الخَلْقِ ﷺ رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

ورَأى النَّبِيُّ ﷺ في هذِهِ الرِّحْلَةِ الجَنَّةَ، وقَرَأَ على بابِها:
"**وَجَدْنَا ما عَمِلْنَا، وَرَبِحْنَا ما قَدَّمْنَا، وَخَسِرْنَا ما خَلَّفْنَا** "رَوَاهُ البُخَارِيُّ

ورَأى مَكْتوبًا:
"**الصَّدَقَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، والقَرْضُ بِثَمَانِيَ عَشَرَ**"، فسَأَلَ عن فَضْلِه، فَقَالَ جِبْرِيلُ:
"لِأَنَّ السَّائِلَ يَسْأَلُ وَعِنْدَهُ، وَالمسْتَقْرِضَ لا يَسْتَقْرِضُ إِلَّا مِنْ حَاجَةٍ" رَوَاهُ مُسْلِمٌ

والتقى النبي ﷺ بِإِبْرَاهِيمَ عليه السلام، في السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إلى البَيْتِ المعْمُورِ، الذي يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفًا مِنَ الملائِكَةِ لا يَعُودُونَ إِلَيْهِ أَبَدًا رَوَاهُ مُسْلِمٌ

قال له:

"يا محمدُ، أقرئ أمتكَ مني السلام، وأخبرهم أن الجَنَّةَ طَيِّبَةُ التُّرْبَةِ، عَذْبَةُ الماءِ،

أي تَصْلُحُ للزِّرَاعَةِ، **وأنها قِيعَانٌ، أي سُهُولٌ ووديانٌ غَيْرُ مَغْرُوسَةٍ،**

وأنَّ غِراسَها: سُبْحَانَ اللهِ، والحَمْدُ للهِ، ولا إِلَهَ إلا اللهُ، واللهُ أَكْبَرُ " رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ

ورأى ﷺ الجَنَّةَ وَالكَوْثَرَ، نَهْرٌ أَعْطَاهُ اللهُ لَهُ، حَافَتَاهُ مِنَ اللُّؤْلُؤِ، وتُرْبَتُهُ مِنَ المِسْكِ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ

ورأى في هذه الليلة مَشَاهِدَ منْ عَذَابِ أَهْلِ الْمَعَاصِي:

- خُطَبَاءُ الفِتْنَةِ: تُقْرِضُ أَلْسِنَتُهُمْ بِمَقَارِضٍ مِنْ نَارٍ.
- الغِيبَةُ وَالنَّمِيمَةُ: لهُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نُحاسٍ يَجْرَحُونَ بِهَا وُجُوهَهُمْ.
- تارِكُوا الصَّلَاةِ: تُرْضَخُ رُؤُوسُهُمْ بالحِجَارَةِ.
- الزُّنَاةُ: يَتَنَافَسُونَ عَلَى لَحْمٍ مُنْتِنٍ وَيَتْرُكُونَ الطِّيبَ.
- شُرَّابُ الخَمْرِ: يَشْرَبُونَ مِنْ صَدِيدِ الزُّنَاةِ.
- آكِلَةُ الرِّبَا: بُطُونُهُمْ ضَخْمَةٌ لا يَقْدِرُونَ عَلَى الحَرَكَةِ.
- نِسَاءُ الزِّنَا: مُعَلَّقَاتٌ مِنْ أَثْدَائِهِنَّ.
- آكِلَةُ أَمْوَالِ اليَتَامَى: تُقْذَفُ فِي أَفْوَاهِهِمْ قِطَعٌ مِنْ نَارٍ.
- المتَكَلِّمُ بِالكَلِمَةِ الفَاسِدَةِ: كَالثَّوْرِ يَخْرُجُ مِنْ مَنفَذٍ ضَيِّقٍ وَلا يَسْتَطِيعُ الرُّجُوعَ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ

ورأى شَجَرَةَ الزَّقُّومِ، وَمَالِكَ خَازِنَ النَّارِ، وَالدَّجَّالَ عَلَى هَيْئَتِهِ: أَعْوَرُ، ضَخْمٌ، أَحْمَرُ، مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ "كَافِرٌ" رَوَاهُ مُسْلِمٌ

ثُمَّ وَصَلَ ﷺ إلى سِدْرَةِ المنْتَهَى، شَجَرَةٍ عَظِيمَةٍ، عَظِيمَةِ الحَجْمِ، ثِمَارُهَا كَالْقِلَالِ، أي الجِرَارِ الكَبِيرَةِ، وَأَوْرَاقُهَا كآذَانِ الفِيلَةِ، وَمِنْ تَحْتِهَا تَنْفَجِرُ أَنْهَارُ الجَنَّةِ.

هُنَاكَ، تَشَرَّفَ النَّبِيُّ ﷺ بِلِقَاءِ اللهِ العَظِيمِ، فِي لَحْظَةٍ لا تُوصَفُ، وَلا يُبَلِّغُهَا بَيَانٌ،
فأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ ما أَوْحَى، وَكانَ مِمَّا أَعْطَاهُ خَوَاتِيمَ سُورَةِ البَقَرَةِ،
وَغُفْرَانَ الكَبَائِرِ لأَهْلِ التَّوْحِيدِ الذين لَمْ يُخَلِّطُوا إِيمَانَهُمْ بِشِرْكٍ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ

وفِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ فُرِضَ اللهُ الصَّلَوَاتِ الخَمْسُ، بِأَجْرِ خَمْسِينَ،
هَدِيَّةً مِنْ رَبِّ العِزَّةِ إلى عِبَادِهِ، بِدُونِ وَاسِطَةٍ،
وهذَا تَشْرِيفٌ لَمْ تَنَلْهُ عِبَادَةٌ أُخْرَى البُخَارِيُّ ومُسْلِمٌ

وَوَقَفَ النَّبِيُّ ﷺ فِي أَعْظَمِ مَقَامٍ بَشَرِيٍّ، يُنَاجِي رَبَّهُ قَائِلًا:
"التَّحِيَّاتُ للهِ، والصَّلَوَاتُ، والطَّيِّبَاتُ."
فَرَدَّ عَلَيْهِ رَبُّهُ:
"السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ."
فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ وَالكَوْنُ مَعَهُ:
"السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللهِ الصَّالِحِينَ."
فَشَهِدَتِ الأَكْوَانُ كُلُّهَا:
"أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ" البُخَارِيُّ ومُسْلِمٌ

ثُمَّ نَزَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إلى بَيْتِ المَقْدِسِ، ورَكِبَ البُرَاقَ عَائِدًا إلى مَكَّةَ،
وفِي الصَّبَاحِ حَدَّثَ النَّاسَ بِمَا رَأَى، ف
انْقَسَمُوا بَيْنَ مُصَدِّقٍ ومُكَذِّبٍ، فَسَقَطَتِ الأَقْنِعَةُ،
وَتَمَّ تَمْحِيصُ الصَّفِّ الإِسْلَامِيِّ مِنْ شَوَائِبِهِ، لِيَقُومَ الإِسْلَامُ عَلَى قُلُوبٍ ثَابِتَةٍ،
لا تَهُزُّهَا الفِتَنُ، ولا تَزَلْزِلُهَا المِحَنُ
لِيَكُونُوا بَعْدَ عَامٍ سَبَبًا فِي قِيَامِ الدَّوْلَةِ الإِسْلَامِيَّةِ،
وَالَّتِي سَتُقَامُ مَرَّةً أُخْرَى بِإِذْنِ اللهِ.

قَصَصٌ وَأَخْبَارٌ مُتَنَوِّعَةٌ

إِذَا اهْتَزَّتِ الأَرْضُ... فَرَاجِعُوا القُلُوبَ

تَزَلْزَلَتِ الْمَدِينَةُ فِي زَمَنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ،
فَسَأَلَ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا عَنْ سَبَبِ ذَلِكَ، فَقَالَتْ:
"**بِكَثْرَةِ الذُّنُوبِ**".

فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَوْلَتَهُ الْمَشْهُورَةَ:
"**وَاللهِ لَئِنْ عَادَتْ وَتَزَلْزَلَتْ، لَا أُسَاكِنُكُمْ فِيهَا أَبَدًا**".

لَمْ يَنْظُرْ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إِلَى الزَّلْزَلَةِ مِنْ مَنْظُورٍ عِلْمِيٍّ أَوْ جِيُولُوجِيٍّ،
بَلْ رَآهَا بِعَيْنٍ إِيمَانِيَّةٍ وَشَرْعِيَّةٍ، نَذِيرًا مِنَ اللهِ لِعِبَادِهِ، وَتَنْبِيهًا عَلَى مَا وَقَعَ فِيهِ النَّاسُ مِنَ الذُّنُوبِ.

وَقَدْ أَخْبَرَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي كِتَابِهِ عَنْ سُنَّتِهِ فِي مُعَاقَبَةِ الظَّالِمِينَ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ،
قَالَ تعالى:
﴿**وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ**﴾ هود: ١٠٢

فَالزَّلْزَلَةُ قَدْ تَكُونُ تَذْكِيرًا وَتَحْذِيرًا لِلْكَافِرِينَ وَالْعُصَاةِ،
وَقَدْ أَخْبَرَنَا النَّبِيُّ ﷺ عَنْ عَلَامَاتِ السَّاعَةِ، فَقَالَ:
"**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَكْثُرَ الزَّلَازِلُ**". رَوَاهُ الْبُخَارِيّ.

وَكَذَلِكَ وَرَدَ فِي الْأَحَادِيثِ ذِكْرُ الْخَسْفِ، وَانْتِشَارِ الْفَوَاحِشِ، وَظُهُورِ الْمَعَاصِي عَلَنًا.

الْفَسَادُ فِي هَذَا الزَّمَانِ بَلَغَ حَدًّا فَاقَ مَا كَانَ عِنْدَ السَّابِقِينَ،
وَلِذَلِكَ نَرَى الزَّلَازِلَ وَغَيْرَهَا مِنَ النُّذُرِ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى:
﴿**فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ...**﴾ العنكبوت: ٤٠

﴿ **فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ**﴾ العنكبوت: ٤٠

وَكُلُّ ذَلِكَ بِسَبَبِ ذُنُوبِهِمْ، وَاللهُ لَا يَظْلِمُ أَحَدًا، وَلَكِنَّ النَّاسَ هُمُ الَّذِينَ يَظْلِمُونَ أَنْفُسَهُمْ.

وَقَدْ قَالَ تَعَالَى:

﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ...﴾ الروم: ٤١

فَالذُّنُوبُ تَجْلِبُ الْمَصَائِبَ، وَتُزِيلُ النِّعَمَ، وَتُنْزِلُ النِّقَمَ،

وَمَا نَزَلَ بَلَاءٌ إِلَّا بِسَبَبِ ذَنْبٍ،

وَمَا رُفِعَ بَلَاءٌ إِلَّا بِتَوْبَةٍ. ورد في الأثر

فَيَا تُرَى:

هَلْ رَاجَعْنَا أَنْفُسَنَا؟

هَلْ عُدْنَا إِلَى اللهِ قَبْلَ أَنْ نُؤْخَذَ بِمَا اقْتَرَفَتْ أَيْدِينَا؟

مِنَ النَّكْبَةِ إِلَى النَّكْسَةِ
نِيَّةُ الْقِرَاءَةِ: اسْتِحْضَارُ الْعِبْرَةِ مِنَ الْمَاضِي، وَتَثْبِيتُ الْحَقِّ فِي الْقُلُوبِ، وَاسْتِنْهَاضُ الْوَعْيِ أَمَامَ مَشَارِيعِ النِّسْيَانِ.

يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾ الشورى: ٣٠

لَمْ تَكُنِ النَّكْبَةُ مُجَرَّدَ اِحْتِلَالٍ، بَلْ زِلْزَالٌ دَاخِلِيٌّ.

فِي عَامِ ١٩٤٨، لَمْ تُحْتَلَّ فِلَسْطِينُ فَقَطْ، بَلْ سَقَطَتْ مَعَهَا أَقْنِعَةُ أَنْظِمَةٍ رَفَعَتْ شِعَارَاتِ "الْوَحْدَةِ" وَ"التَّحْرِيرِ"، وَهِيَ تَتَحَرَّكُ تَحْتَ قِيَادَةِ جُنْرَالَاتِ الْاِحْتِلَالِ السَّابِقِ...
كُلُوبْ بَاشَا وَأَمْثَالِهِ.

كَيْفَ لَا تُغْتَصَبُ الْأَرْضُ، وَالْأَوَامِرُ الْعَسْكَرِيَّةُ كَانَتْ تُخْتَصَرُ بِجُمْلَةِ: "مَاكُو أَوَامِرَ!"

عِبَارَةٌ تَحَوَّلَتْ إِلَى رَمْزٍ لِلتَّخَاذُلِ،
تُهْمَسُ بِهَا الْأَلْسُنُ بِمَرَارَةٍ كُلَّمَا ذُكِرَتِ اللُّدُّ، وَالرَّمْلَةُ، وَالْمُثَلَّثُ.

فَكَانَ الاجْتِثَاثُ... وَكَانَتِ النَّكْبَةُ.

هُجِّرَ أَكْثَرُ مِنْ مِلْيُونِ فِلَسْطِينِيٍّ مَرْكَزُ الْمَعْلُومَاتِ الْفِلَسْطِينِيِّ

دُمِّرَتْ أَكْثَرُ مِنْ ٤٢٠ قَرْيَةً وَبَلْدَةً. UNRWA Report, ١٩٥٠

وَسُفِكَتِ الدِّمَاءُ فِي مَجَازِرَ مَرْوِعَةٍ، حَتَّى غُرِسَ الْخَوْفُ فِي قُلُوبِ الْأَطْفَالِ قَبْلَ الْكِبَارِ.

ثُمَّ جُرِّدَتِ النَّكْبَةُ مِنْ مَعَانِيهَا الْحَقِيقِيَّةِ وَالْكَارِثِيَّةِ لِتُصْبِحَ فِي عُرْفِ الْمُسْتَعْمِرِ
"مُشْكِلَةَ جِيَاعٍ وَعُرَاةٍ"،
لَا جَرِيمَةَ اقْتِلَاعٍ وَاحْتِلَالٍ وَمَجَازِرٍ.

ثُمَّ جاءَتْ نَكْسَةُ ١٩٦٧ لِتَزِيدَ الطِّينَ بِلَّةً.

فَقَدْنَا: الضِّفَّةَ الْغَرْبِيَّةَ، وَالْقُدْسَ، وَغَزَّةَ، وَصَحْرَاءَ سِينَاءَ، وَهَضَبَةَ الْجُولَانِ

وَازْدَادَ النُّزُوحُ حَتَّى صَارَ أَكْثَرُ مِنْ ثُلُثَيِ الشَّعْبِ الْفِلَسْطِينِيِّ خَارِجَ أَرْضِهِ.

لَكِنَّ الْأَخْطَرَ لَمْ يَكُنِ الْجُغْرَافِيَا، بَلِ الْعَقِيدَةَ السِّيَاسِيَّةَ:

- مِنْ شِعَارِ "تَحْرِيرِ كُلِّ فِلَسْطِينَ"
- إِلَى الْقَبُولِ بِ "دَوْلَةٍ عَلَى حُدُودِ مَا قَبْلَ ٦٧"
- ثُمَّ إِلَى الاعْتِرَافِ بِالْكِيَانِ الصَّهْيُونِيِّ
- ثُمَّ إِلَى مُفَاوَضَاتٍ وَحُلُولٍ وَهْمِيَّةٍ... لَمْ تُعِدَّ أَرْضًا، وَلَمْ تَحْفَظْ كَرَامَةً،

بَلْ كَانَتْ مُؤْتَمَرَاتٍ عَبَثِيَّةٍ تَفْقِدُ الْحُقُوقَ فَقَطْ.
حَتَّى وَصَلْنَا الْيَوْمَ إِلَى نَكْبَةٍ وَمَأْسَاةٍ أَشَدَّ وَأَمَرَّ.
فَأَيُّ انْحِدَارٍ هذَا؟

لَكِنَّ... التَّارِيخَ لَا يَنْسَى.

يَقُولُ تَعَالَى:
﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ *آل عمران: ١٤٠*

فَدَوَامُ الْحَالِ مِنَ الْمُحَالِ، وَإِنَّ لِلتَّارِيخِ دَوَرَاتٍ، وَلِلْأَيَّامِ دُوَلٍ،
وَإِنَّ مَعَ الْيَوْمِ غَدًا وَإِنَّ غَدًا لِنَاظِرِهِ قَرِيبٌ.

فَالْمَفَاتِيحُ الْعَتِيقَةُ مَا زَالَتْ مَعَلَّقَةً عَلَى جُدْرَانِ الْمَخَيِّمَاتِ،
وَمَا زَالَتِ الْقُلُوبُ تَهْتِفُ لِلْقُدْسِ وَيَافَا وَعَكَّا وَالرَّمْلَةِ وَصَدَّ وَالْجَلِيلِ.

لَمْ تُنْسَ بَعْدُ الْبِلَادُ... وَلَنْ تُنْسَى. يَقُولُ تَعَالَى:
﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾ *الحج: ٤٠*

صَلَاحُ الدِّينِ الأَيُّوبِيّ
خَادِمُ الأُمَّةِ وَنَائِبُ رَسُولِ اللهِ ﷺ

وَصَلَ نَبَأٌ أَلِيمٌ إِلَى صَلَاحِ الدِّينِ الأَيُّوبِيِّ:
القَائِدُ الإِفْرِنْجِيُّ أَرْنَاط، حَاكِمُ الْكَرَكِ فِي فِلَسْطِين،
تَجَرَّأَ عَلَى حُرُمَاتِ الإِسْلَامِ،
قَطَعَ طَرِيقَ قَوَافِلِ الحُجَّاجِ،
وَسَفَكَ دِمَاءَ الأَبْرِيَاءِ مِنَ النِّسَاءِ وَالأَطْفَالِ،
وَسَرَقَ أَمْوَالَهُمْ،
ثُمَّ تَحَدَّى قَائِلًا:
"قُولُوا لِمُحَمَّدِكُمْ أَنْ يُدَافِعَ عَنْكُمْ"!

فَمَا كَانَ مِنْ صَلَاحِ الدِّينِ إِلَّا أَنْ اعْتَزَلَ النَّاسَ، وَأَغْلَقَ بَابَهُ،
يَبْكِي وَيَتَضَرَّعُ إِلَى اللهِ يَوْمَيْنِ كَامِلَيْنِ،
يُرَدِّدُ بِكَامِلِ خُشُوعِهِ:
"يَا رَبِّ، هَلْ تَأْذَنُ لِي أَنْ أَنُوبَ عَنْ نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَأُدَافِعَ عَنْ أُمَّتِهِ؟"

ثُمَّ خَرَجَ بَعْدَهَا بِدُعَاءِ النَّصْرِ،
وَأَعَدَّ جَيْشَهُ، وَخَطَبَ فِي جُنُودِهِ بِكَلِمَاتٍ تَهُزُّ الْقُلُوبَ:

"يَا جُنْدَ مُحَمَّدٍ ﷺ... أَرْنَاطُ حَاكِمُ الْكَرَكِ قَدْ قَتَلَ الحُجَّاجَ وَسَفَكَ دِمَاءَ الأَبْرِيَاءِ،
وَقَالَ مُتَحَدِّيًا: قُولُوا لِمُحَمَّدِكُمْ أَنْ يُدَافِعَ عَنْكُمْ...
وَأَنَا – وَاللهِ – قَدْ وَهَبْتُ نَفْسِي وَرُوحِي لِأَنُوبَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي الدِّفَاعِ عَنْ أُمَّتِهِ،
فَمَنْ أَرَادَ اللِّحَاقَ بِي، فَلْيَلْحَقْنِي".

فَصَاحَ الجُنُودُ مِنْ كُلِّ الجِهَاتِ:

"كُلُّنَا فِدَاءٌ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ"!

وَانْدَلَعَتْ مَعْرَكَةُ حِطِّينَ، مَعْرَكَةُ النَّصْرِ وَالْفَخْرِ،

وَانْتَصَرَ فِيهَا صَلَاحُ الدِّينِ الأَيُّوبِيُّ انْتِصَارًا عَظِيمًا،

حَتَّى وَقَعَ أَرْنَاطُ أَسِيرًا بَيْنَ يَدَيْهِ.

قَالَ لَهُ صَلَاحُ الدِّينِ بِكِبْرِيَاءِ الْمُؤْمِنِ:

"أَأَنْتَ الَّذِي قُلْتَ: قُولُوا لِمُحَمَّدِكُمْ أَنْ يُدَافِعَ عَنْكُمْ؟"

فَأَجَابَ أَرْنَاطُ بِوَقَاحَةٍ:

"نَعَمْ".

فَرَدَّ عَلَيْهِ صَلَاحُ الدِّينِ بِقُوَّةٍ وَإِيمَانٍ:

"وَأَنَا العَبْدُ الفَقِيرُ الَّذِي تَرَاهُ، قَدْ نَابَ عَنْ مُحَمَّدٍ ﷺ فِي الدِّفَاعِ عَنْ أُمَّتِهِ".

ثُمَّ أَمْسَكَ بِسَيْفِهِ، وَقَطَعَ رَأْسَهُ جَزَاءً لِمَا اقْتَرَفَتْ يَدَاهُ. *موقع قصة الإسلام*

هَكَذَا هُم أَبْطَالُ الأُمَّةِ الحَقِيقِيُّونَ.

رِجَالٌ لَا يَنْتَظِرُونَ التَّصْفِيقَ،

بَلْ يَسِيرُونَ عَلَى نَهْجِ النُّبُوَّةِ.

رِجَالٌ قَالُوا:

"نَفْسِي دُونَ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ"،

وَأَثْبَتُوا صِدْقَهُمْ بِأَفْعَالٍ عَظِيمَةٍ، لَا بِشِعَارَاتٍ جَوْفَاء.

يَا شَبَابَ الأُمَّةِ...

غَزَّةُ الْيَوْمَ تُنَادِي أَمْثَالَ صَلَاحِ الدِّينِ،

تُمَيِّزُ بَيْنَ مَنْ يَدَّعِي نُصْرَةَ الإِسْلَامِ،

وَبَيْنَ مَنْ يُقَدِّمُ الرُّوحَ فِدَاءً لِرَسُولِ اللهِ ﷺ.

فَمَنْ أَنْتُمْ الْيَوْمَ؟ هَلْ أَنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ؟ أَمْ مِنَ الْمُتَفَرِّجِينَ؟

مَعْرَكَةُ الهُوِيَّةِ

فِي القَرْنِ الثَّانِي عَشَرَ الهِجْرِيّ،
المُوَافِقِ **لِلقَرْنِ الثَّامِنِ عَشَرَ المِيلادِيّ،**
حِينَما طَلَبَتِ **الدَّوْلَةُ العُثْمَانِيَّةُ** العَوْنَ مِنَ الدُّوَلِ الأُورُوبِيَّةِ،
اشْتَرَطَت تِلْكَ الدُّوَلُ شَرْطًا **غَرِيبًا خَبِيثًا:**
إِلْغَاءُ التَّقْوِيمِ الهِجْرِيّ.

فَمَا كَانَ مِنَ الدَّوْلَةِ العُثْمَانِيَّةِ
إِلَّا أَنْ **رَضَخَت لِذَلِكَ الضَّغْطِ السِّيَاسِيّ،**
وَتَرَاجَعَتْ عَنْ هذَا الرَّمْزِ العَظِيمِ مِنْ **رُمُوزِ حَضَارَتِهَا.**

ثُمَّ تَكَرَّرَ المَشْهَدُ فِي **القَرْنِ الثَّالِثِ عَشَرَ الهِجْرِيّ، التَّاسِعِ عَشَرَ المِيلَادِيّ،**
عِنْدَمَا أَرَادَ **خِدْوِيُّ مِصْرَ** أَنْ يَقْتَرِضَ مَالًا مِنَ الذَّهَبِ
مِنْ **إِنْجِلْتَرَا وَفَرَنْسَا،**
لِتَمْوِيلِ **مَشْرُوعِ فَتْحِ قَنَاةِ السُّوَيْسِ،**
فَكَانَ الثَّمَنُ هذِهِ المَرَّةَ هُوَ:
التَّخَلِّي عَنِ التَّقْوِيمِ الهِجْرِيّ،
وَاسْتِبْدَالُهُ **بِالتَّقْوِيمِ المِيلَادِيّ.**

وَهَكَذَا، تَمَّ إِلْغَاؤُهُ رَسْمِيًّا فِي مِصْرَ،
لِيَبْدَأَ **زَمَنُ الاغْتِرَابِ الحَضَارِيّ.**

لِمَاذَا يُحَارَبُ هذَا التَّقْوِيمُ؟

لِأَنَّهُ لَيْسَ مُجَرَّدَ وَسِيلَةٍ لِحِسَابِ الزَّمَنِ،
بَلْ هُوَ تَأْرِيخٌ شَرِيفٌ لِهذِهِ الأُمَّةِ، يُذَكِّرُهَا:

•**بِعِبَادَاتِهَا وَمَوَاسِمِهَا** مِنْ صِيَامٍ وَحَجٍّ وَزَكَاةٍ وَعِيدٍ.
•**وَبِأَمْجَادِهَا الكُبْرَى وَانْتِصَارَاتِهَا الأُولَى.**
•**وَبِصَفَحَاتِهَا الْمُشْرِقَةِ** فِي صَدْرِ الإِسْلَامِ.

إِنَّهُ **وِعَاءُ الهُوِيَّةِ الإِسْلَامِيَّةِ**، فَإِذَا غَابَ،
غَابَ مَعَهُ مَعَالِمُ كَثِيرَةٌ
مِنَ **الدِّينِ** وَ**التَّارِيخِ** وَ**الانْتِمَاءِ**.

إِنَّ تَطْبِيقَ **التَّقْوِيمِ الهِجْرِيِّ**
لَا يَتَحَقَّقُ **بِصُورَةٍ شَامِلَةٍ**
إِلَّا بِعَوْدَةِ دَوْلَةِ الإِسْلَامِ القَائِدَةِ،
الَّتِي تُقَدِّمُ نَمُوذَجَهَا لِلْعَالَمِ
وَتَعْتَزُّ **بِتَقْوِيمِهَا**، كَمَا تَعْتَزُّ **بِرِسَالَتِهَا**.

فَهُوَ **مِرْآةُ سِيَادَةِ الأُمَّةِ،**
وَعَلَامَةٌ عَلَى **تَمْكِينِ شَرِيعَتِهَا،**
فَلَا تَهْمِلُوا هذَا التَّقْوِيمَ،
وَلَا تَسْتَبْدِلُوهُ،
بَلِ ارْفَعُوهُ رَمْزًا وَرَايَةً.

فَفِيهِ **تَذْكِيرٌ**،
وَفِيهِ **وُفَاءٌ**،
وَفِيهِ **عِزٌّ لِمَن أَرَادَ العِزَّةَ.**

قَالَ تَعَالَى: ﴿ **وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ** ﴾[المنافقون: ٨]

القوميَّاتُ والعَصَبيَّاتُ في ميزانِ الإسلامِ

قالَ رسولُ اللهِ ﷺ:

"إِنَّكُمْ سَتَفْتَحُونَ مِصْرَ، وَهِيَ أَرْضٌ يُسَمَّى فِيهَا الْقِيرَاطُ، فَإِذَا فَتَحْتُمُوهَا فَأَحْسِنُوا إِلَى أَهْلِهَا، فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحِمًا "رواه مسلم

أوصى النَّبِيُّ ﷺ بأهلِ **مِصرَ**، رغمَ كونِهم من غيرِ العربِ، وبيَّنَ أنَّ لهُم **حَقَّينِ**:
حَقَّ **العَهْدِ** وحَقَّ **القَرَابَةِ** .هذِه وصيَّةٌ واضحةٌ بالإِحْسَانِ، لا الاستعلاءِ.

وقالَ رسولُ اللهِ ﷺ:

"الإِيمَانُ يَمَانٍ، وَالفِقْهُ يَمَانٍ، وَالحِكْمَةُ يَمَانِيَّةٌ".

وهنا مدحَ النبيُّ ﷺ **أهلَ اليمنِ**، لا على أصلِهم أو عِرقِهم، بل على ما تميَّزُوا به من **إيمانٍ** و**فِقهٍ** و**حِكمةٍ** .هذا يُوَجِّهُنَا إلى أنَّ الفضائلَ لا تُقاسُ بالدماءِ بل بالصفاتِ.

وقالَ ﷺ: "**طُوبَى لِلشَّامِ**".
قُلنا: "لِأَيِّ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟"
قالَ" :**لِأَنَّ مَلَائِكَةَ الرَّحْمَنِ بَاسِطَةٌ أَجْنِحَتَهَا عَلَيْهَا**".

ففضلُ **الشامِ** لا يعودُ إلى قوميَّتِها، بل لبركةٍ ربَّانيَّةٍ جعلت من أرضِها محلَّ حمايةٍ مَلَكِيَّةٍ.
ما أجملَ أن يُقَاسَ الفضلُ بهذا الميزانِ الرَّبَّانِيِّ!

وقالَ ﷺ:

"وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ كَانَ الإِيمَانُ مُنُوطًا بِالثُّرَيَّا لَتَنَاوَلَهُ رِجَالٌ مِنْ فَارِسَ".

وهذه إشادةٌ ب**فُرْسٍ مُسْلِمِينَ** سيأتون لاحقًا، سيبلغون **الإيمانَ** و**العلمَ** ولو كانَ بعيدًا، في السَّماءِ**!**
هذه دعوةٌ لنبذِ **التَّحقيرِ العِرْقِيِّ**، وتأكيدٌ على أنَّ طلبَ الحقِّ لا يعرفُ جنسيَّةً.

لكنَّ النبيَّ ﷺ، وهو **الرَّحمةُ المُهداةُ،** لم يتركنا دون تحذيرٍ من العصبيَّةِ. فقد قالَ:
"لَيْسَ مِنَّا مَنْ دَعَا إِلَى عَصَبِيَّةٍ، وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ قَاتَلَ عَلَى عَصَبِيَّةٍ،
وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ مَاتَ عَلَى عَصَبِيَّةٍ".

كم هو شديدٌ هذا التحذيرُ **!ثلاثُ مرَّاتٍ** ينفي الانتسابَ إليه ﷺ،
للدلالةِ على خطرِ العصبيَّةِ، التي تهدمُ ما يبنيه الدِّينُ من وحدةٍ ورحمةٍ.
العصبيَّةُ تُعيدُنا إلى الجاهليَّةِ، وتُلبِسُنا ثوبًا من الكِبْرِ والتنازعِ.

ثمَّ جاءت الآيةُ التي جمعت كلَّ هذه المعاني:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى، وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا،
إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ *الحجرات:١٣*

ليس في هذه الآيةِ فضلٌ **لعربيٍّ** على **أعجميٍّ**، ولا لغنيٍّ على فقيرٍ، ولا لقوميَّةٍ على أُخرى.
بل الكرامةُ عند اللهِ **لِمَنِ اتَّقَاهُ،** لا لِمَنِ انتسبَ.

فواللهِ ما اجتمعت أُمَّةٌ إلَّا على التَّقوَى،
وما تمزَّقت إلَّا حينَ عَلَتْ فيها **راياتُ العصبيَّةِ** والجهلِ.

لقد علَّمنا نبيُّنا ﷺ أنَّ كلَّ أُمَّةٍ فيها خيرٌ، وكلَّ شعبٍ يُمكن أن يحملَ مشعلَ الهدايةِ.

"إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ"

وليس" :**أشرفَكُم نسبًا، أو أعظمَكُم قومًا"**.

المولدُ النبويّ

في صَبيحةِ يَومِ الإثنين، الثّاني عَشرَ مِن شَهرِ رَبيعِ الأوَّل،

الموافِقِ لِعامِ خَمسِمِئَةٍ وَواحِدٍ وَسَبعينَ لِلميلاد،

وَلَدَتِ السَّيِّدَةُ **آمِنَةُ بِنْتُ وَهْبٍ** غُلامًا جَميلًا، مُشرِقَ الوَجهِ،

وَخَرَجَت **ثُوَيبَةُ الأَسْلَمِيَّةُ**، خادِمَةُ **أبي لَهَبٍ** —عَمِّ النَّبيِّ ﷺ— تَهرُولُ إلى سَيِّدِها،

وَجهُها يَنطِقُ بِالسَّعادَةِ، فَما كادَت تَصِلُ إليهِ حتّى هَمَسَت لَهُ بِالبُشرى،

فَتَهَلَّلَ وَجهُه، وَمِن فَرطِ سُرورِهِ قالَ لَها :**اذهَبي فَأَنتِ حُرَّةٌ.!**

وَسُرعانَ ما أَسرَعَ **عَبدُ المُطَّلِبِ** إلى بَيتِ ابنِهِ **عبدِ اللهِ**، لِيَحتَضِنَ المولودَ الجَديدَ،

وَيَحمِلَهُ بَينَ يَدَيهِ، وَيَدخلَ بِهِ إلى **الكَعبَةِ**،

يَشكُرُ اللهَ، وَيَدعُوهُ، وَيَضُمُّهُ إلى صَدرِهِ كَما لو كانَ يَحمِلُ الدُّنيا كُلَّها بَينَ ذِراعَيهِ.

وَأَلهَمَهُ اللهُ أَن يُطلِقَ على حَفيدِهِ اسمَ **مُحَمَّدٍ**،

وأحسنُ منك لم ترَ قطُّ عيني

وأجملُ منك لم تَلِدِ النساءُ

اللهمَّ صَلِّ على سيِّدِنا مُحَمَّدٍ، أفضَلِ أَنبيائِكَ، وَخاتِمِ رُسُلِكَ، شَفيعِ المذنِبينَ،

وَسَيِّدِ وَلَدِ آدَمَ أجمَعينَ، **البَشيرِ النَّذيرِ، السِّراجِ المُنيرِ، الصَّادِقِ الأَمينِ،**

وُلِدَ الهُدى فالكائِناتُ ضِياءُ

وَفَمُ الزَّمانِ تَبَسُّمٌ وَثَناءُ

وُلِدَ مُحَمَّدٌ ﷺ مِن أُسرَةٍ كَريمَةِ المعدِنِ، نَبيلَةِ النَّسَبِ، جَمَعَت في دِمائِها أَتقى فَضائِلِ العَرَبِ.

قالَ عن نَفسِهِ: "**إنَّ اللهَ اصطفى كِنانةَ مِن وَلَدِ إسماعيلَ، واصطفى قُرَيشًا مِن كِنانةَ، واصطفى مِن قُرَيشٍ بَني هاشِمٍ، واصطفاني مِن بَني هاشِم**" رواه مسلم

هُو **مُحَمَّدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ عبدِ المُطَّلِبِ بنِ هاشِمِ بنِ عبدِ مَناف،**

يَمتَدُّ نَسَبُهُ المبارَكُ إلى **إسماعيلَ بنِ إبراهيمَ عليهِما السَّلام** .

قال ﷺ:

"أنا دعوةُ أبي إبراهيمَ، وبُشرى أخي عيسى، ورأت أمِّي حينَ حملت بي أنَّه خرجَ منها نورٌ أضاءَ لها قُصورُ الشام، واستُرضعتُ في بني سعدٍ" *أحمد والطبراني*

إنَّ **بَهجَتَنا بِمولِدِهِ الشَّريف** ليست بَهجَةَ لَحَظاتٍ، بَل هِيَ **عَزمٌ وَإصرارٌ** على نُصرَتِهِ **بِالاقتِداءِ**، وَالتَّمسُّكِ بِدينِهِ. فـ **مُحَمَّدٌ** ﷺ هُوَ **الصُّورَةُ التَّطبيقيَّةُ لِهَذا الدِّين،**

وَهوَ المِفتاحُ الوَحيدُ لِفَهمِ الإِسلامِ على حَقيقَتِهِ.

لا طَريقَ إلى اللهِ إلّا مِن خِلالِ طَريقِهِ، وَلا فَلاحَ في الدُّنيا وَلا في الآخِرَةِ إلّا بِهَديِهِ،

فَلا نَعرِفُ كَيفَ نُصَلِّي أَو نُزَكِّي، وَلا كَيفَ نَحيَا أَو نَتَعامَل، إلّا مِن خِلالِ **سُنَّتِهِ،**

فَالإسلامُ لَهُ طَريقَةٌ واحِدَةٌ في العَمَلِ، هِيَ **طَريقَةُ اتِّباعِ الرَّسولِ** ﷺ، لِذلِكَ قالَ تَعالى:

﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ، فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ *آل عمران: ٣٢*

وَلِذلِكَ، وَجَبَ عَلَينا **الاقتِداءُ بِهِ**، وَالتَّأَسِّي بِهِ في أَفعالِهِ وَأَحوالِهِ،

ما لَم يَكُن مِن خَصائِصِهِ أو مِمّا لا نُطيق.

قال ﷺ:

"ما نَهيتُكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتُكم به فأتوا منه ما استطعتم" *رواه البخاري ومسلم*

وقال أيضًا: **"خذوا من الأعمال ما تطيقون، فإن الله لا يمل حتى تملوا"** *رواه البخاري ومسلم*

اللهمَّ صلِّ وسلِّم وبارِك على سيِّدِنا مُحمَّدٍ،

عددَ ما ذَكَرَهُ الذّاكِرونَ، وَغَفَلَ عن ذِكرِهِ الغافِلُون.

الأشهرُ الحُرُمُ

في حديثٍ عنِ النَّبيِّ ﷺ، قال:

"السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ: ثَلاثَةٌ مُتَوَالِيَاتٌ:
ذُو الْقَعْدَةِ، وَذُو الحِجَّةِ، وَالْمُحَرَّمُ، وَرَجَبُ مُضَرَ الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ" *رواه البخاري*

كانَتِ **الأشهرُ الحُرُمُ** أربعةً: ثلاثةٌ مُتواليَةٌ وواحِدٌ فَرْدٌ، وذلكَ لحِكمةٍ إلهيّةٍ عظيمةٍ،
تتعلّقُ بتنظيمِ عبادةِ الحجِّ وزيارةِ البيتِ الحرامِ.
فحُرِّمَ القتالُ في **شهرِ ذي القعدةِ** ليقعدَ النّاسُ فيه عنِ النّزاعِ ويتهيّؤوا للحجِّ،
ثم **ذو الحجّةِ** لأداءِ مناسكِهم بسلامٍ،
وبعدَه **المحرَّمُ** ليعودوا آمنينَ إلى ديارِهم من غيرِ خوفٍ.
ثمَّ جاءَ **رجبٌ**، مُفرَدًا في مُنتصفِ السَّنةِ، ليُتاحَ لمن يسكُنُ في أقاصي الجزيرةِ
أن يزورَ البيتَ الحرامَ ويعودَ في أمنٍ وسلامٍ.

وقد أمرَ اللهُ تعالى بتعظيمِ هذهِ الأشهرِ، فقالَ في كتابِهِ الكريمِ:

﴿**فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ**﴾ *التوبة: ٣٦*

فالظُّلمُ في الأشهُرِ الحُرُمِ أعظمُ وِزرًا وأشدُّ خَطَرًا من غيرِها، لأنَّ اللهَ عظَّمَها.
وظُلمُ النفسِ لا يقتصرُ على العُدوانِ على الآخَرينَ، بل هو أنواعٌ:

- **ظُلمُها بالمعصيةِ**، فهي تخسرُ في الدُّنيا والآخرةِ وتبتعدُ عن نورِ اللهِ.
- **وظُلمُها بالتكاسُلِ عنِ الطّاعاتِ**، إذ يُفوّتُ الإنسانُ على نفسِه كنوزَ الحسناتِ، ويقصّرُ في حقِّ نفسِه الذي أوجبهُ عليهِ ربُّه.

فيا أيُّها المسلمُ، **عظِّمْ ما عظَّمهُ اللهُ**، واحذرْ من ظُلمِ نفسِك في أيّامٍ عظَّمها اللهُ،
فإنّها أيّامُ **فُرصةٍ ومغفرةٍ ورحمةٍ**.

ويقولُ الحقُّ سبحانه:﴿**الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ**﴾ *سورة الرحمن: ٥*

أيْ: إنَّ اللهَ جعلَ في الشمسِ والقمرِ نظامًا دقيقًا، وبهِما تُعرَفُ الأوقاتُ والمواقيتُ.

وقدِ اعتمدَ **النَّصارى** التَّقويمَ الشَّمسيَّ، وربطوهُ **بميلادِ المسيحِ** عليهِ السَّلامُ،
بينما اعتمدَ **المسلمونَ** التَّقويمَ القمريَّ، وربطوهُ **بأعظمِ حدثٍ غيَّرَ مجرى التاريخِ** :
هجرةُ النَّبيِّ ﷺ من مكةَ إلى المدينةِ.

وجعلَ اللهُ من عباداتِنا ما يتعلَّقُ بالشمسِ:
كأوقاتِ الصَّلاةِ، والصيامِ من الفجرِ حتى غروبِ الشمسِ،
وجعلَ منها ما يتعلّقُ بالقمرِ:
كرمضانَ، والحجِّ، والزكاةِ، والعيدينِ.

وعلى الرّغمِ من جوازِ التعاملِ بالتقويمينِ في الحسابِ وتنظيمِ الحياةِ،
إلا أنَّ **التقويمَ القمريَّ هو المعتمدُ شرعًا** عندَ اللهِ عزَّ وجلَّ، كما قالَ:

﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ... ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ *التوبة: ٣٦*

فهذا هو **الدِّينُ القويمُ**، وهذا هو **التقويمُ المُعتَبرُ**،
لأنَّه يُذكّرُ الأُمَّةَ بأيّامِها العظيمةِ، ومواسمِها المباركةِ، ويُعيدُ لها هُويتَها،
ويُحيي فيها ارتباطَها بالشّريعةِ والتّاريخِ.

والعملُ بهِ لا يكتملُ إلا في ظلِّ **قوّةٍ وهيبةٍ وسيادةٍ** لهذهِ الأُمَّةِ،
إذ لا تقويمَ يزدهرُ إلا حينَ **تزدهرَ رايةُ الإسلامِ وتعلو كلمتُه**.

عاشوراء

عنِ ابنِ عبّاسٍ رضيَ اللهُ عنهما قالَ:
لما قَدِمَ النّبيُّ ﷺ المدينةَ، رأى اليهودَ يصومونَ يومَ عاشوراءَ (وهو العاشرُ من شهرِ اللهِ المحرَّم)،
فسألَهم ﷺ: ما هذا؟
قالوا: هذا يومٌ صالحٌ، هذا يومٌ نَجّى اللهُ فيه بني إسرائيلَ من عدوِّهم، فصامَه موسى شكرًا.
فقال ﷺ:
فأنا أحقُّ بموسى منكم.
فصامَه، وأمَرَ بصيامِه. البخاري، ومسلم

وروى الإمامُ أحمدُ **في المسند**، زيادةً على ذلك:
أنّه اليومُ الذي استوَت فيه سفينةُ نوحٍ على جبلِ الجوديّ، فصامَه نوحٌ شكرًا لله تعالى.

ومن هديِ النبيّ ﷺ في ذلك: أنَّ صيامَ عاشوراءَ له مراتب، وأفضلُها أن يُصامَ معه اليومُ التاسعُ،
لما رواه الإمامُ الشافعيُّ وأحمدُ وغيرُهما:
أنّ النبيَّ ﷺ صامَ يومَ العاشرِ، وقالَ:
»لَئِن بقيتُ إلى قابلٍ، لأصومَنَّ التاسعَ«

وعليه، فإنَّ مراتبَ الصيامِ في يومِ عاشوراءَ:

- أَدْناها: أن يُصامَ يومُ العاشرِ وحدَه.
- وأفضلُها: أن يُصامَ التاسعُ مع العاشرِ.

ولِأجرِه العظيم، قال النبيُّ ﷺ:
صيامُ يومِ عاشوراءَ، إني أحتسبُ على اللهِ أن يُكفِّرَ السنةَ التي قبلَه. رواه مسلم

فهو يومُ نَجاةٍ، ويومُ شكرٍ، ويومُ سنّةٍ نبويةٍ عظيمة،
يُستحبُّ فيه للمسلمِ أن يُجدِّدَ صلتَه باللهِ، بالصيامِ، والنيةِ الطيبةِ،
والتأمُّلِ في المعاني العظيمةِ التي يحملُها.

فهو ليس مجردَ يومٍ في التقويمِ الهجري،
بل هو يومٌ تُذكِّرُ فيه البشريةُ أنَّ الحقَّ منصورٌ مهما طالَ الطريق،
وأنَّ الصبرَ مع الإيمانِ هو طريقُ النجاة، مهما اشتدّتِ المحن.

في هذا اليومِ علّمَنا التاريخُ أنَّ البحرَ إنِ انشقَّ للمؤمنِ، فإنّه ينطبِقُ على الظالم،
وأنَّ عصا الطاعةِ التي في يدِ الصادقين، أقوى من كلِّ سلاحٍ في يدِ المتجبّرين.

عاشوراء ليست لحظةَ احتفال،
بل وقفةٌ قلبيةٌ، يتأمّلُ فيها المؤمنُ:

- أنَّ الفرجَ قريبٌ وإن طالَ الظلام.
- أنَّ النصرَ حليفُ الصابرين، وإن بدا الميزانُ في كفّةِ الطغاة.
- أنَّ السُّننَ الإلهيةَ لا تتغيّر، والظُّلمَ زائلٌ مهما طال.

فالمعركةُ بين موسى وفرعونَ لا تزالُ قائمةً، تتّخذُ أشكالًا جديدةً في كلِّ زمان،
لكنّ الثابتَ فيها أنَّ:

لكلِّ طاغيةٍ نهاية،
ولكلِّ صادقٍ نَجاة.

ذِكرى الهِجرةِ النَّبَويَّة

يقولُ الحقُّ سبحانه وتعالى:

"إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ، إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ، إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ، إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا، فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ، وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا..." *التوبة: ٤٠*

هذه الآيةُ العظيمةُ نزلت في غزوةِ تبوك، بعد تسعِ سنواتٍ من الهجرةِ، لتكونَ عتابًا رقيقًا من اللهِ تعالى لمن تخلّف عن نصرةِ النبيّ ﷺ. وفيها تذكيرٌ أنَّ النصرَ من عندِ اللهِ وحدَه، لا يتوقّف على دعمِ الناسِ، وإن قعدوا أو خذلوا، فإن نصرَ اللهِ لرسولِه ﷺ ثابتٌ لا يتخلّف.

قال ابنُ جريرٍ الطَّبريُّ رحمه الله:

"هذا إعلامٌ من اللهِ لأصحابِ رسولِه ﷺ أنَّ اللهَ هو المتوكّلُ بنصرِ رسولِه على أعداءِ دينِه، أعانوه أم لم يُعينوه". *تفسير الطبري،*

نزلتِ الآيةُ لتقولَ لهم:

إنْ أنتم تخلَّيتم عن الجهاد، فاذكروا كيف نصرهُ اللهُ "**ثانيَ اثنين** "في الغار،

وكيف أنزلَ سكينتَه عليه،

وأيَّده بجنودٍ لا تُرى.

نصرُ اللهِ فوقَ كلِّ نصرٍ، وقدرتُه فوقَ كلِّ قدرةٍ، وأمرُه لا يُرد.

وكما نصرَ نبيَّه ﷺ في أحلكِ المواقفِ، فلن يخذُلَه في المستقبل،

ولن يخذلَ أمتَه من بعدِه إذا ساروا على نهجِه.

فأبشِروا يا مَن تطاولتُم على مقامِ رسولِ الله ﷺ،

فإنَّ اللهَ ناصرُه، والتاريخُ له دَوَرات، والأيّامُ دُوَل،

وسَتأتي ساعةُ النَّدم على الإساءةِ لهذا الدِّين،

فالإسلامُ قادمٌ، والنصرُ وعدُ الله.

قال النبيُّ ﷺ:

"ليبلُغَنَّ هذا الأمرُ ما بلغَ الليلُ والنهارُ، ولا يتركُ اللهُ بيتَ مدرٍ ولا وبرٍ إلا أدخلَه اللهُ هذا الدِّين، بعزِّ عزيزٍ أو بذلِّ ذليلٍ؛ عزًّا يُعِزُّ اللهُ به الإسلامَ، وذلًّا يُذِلُّ اللهُ به الكفرَ" أحمد في المسند

وخروجُه ﷺ من مكّةَ لم يكنْ فرارًا،
بل كانَ إيذانًا بسقوطِ صَولةِ الباطل،
وبدءَ مرحلةٍ جديدةٍ للحقِّ.

تحوّلتِ الهجرةُ إلى انطلاقةِ أمّةٍ،
وإلى تحوّلٍ من الضَّعفِ إلى التَّمكين،
ومن الاضطهادِ إلى القوّةِ والرِّسالة،
ولهذا جعلَها الصحابةُ رضي الله عنهم بدايةَ التَّقويمِ الإسلاميِّ.

وبابُ الهجرةِ لا يزالُ مفتوحًا، قال ﷺ:
لا هِجرةَ بعدَ الفتحِ، ولكن جِهادٌ ونِيّة"رواه البخاري

فقد أُغلقَ بابُ الهجرةِ إلى المدينةِ، لكنَّه فتحَ بابَ الهجرةِ القلبيّةِ إلى اللهِ،
وبقي مفتوحًا إلى يومِ القيامةِ.

قال ﷺ: **"والمُهاجِرُ مَن هَجَرَ ما نَهى اللهُ عنه"** رواه البخاري

تاريخُ الأمّةِ الحقيقيُّ يصنعُه المهاجرونَ إلى اللهِ، الذينَ يتركونَ الذنوبَ،
ويُهاجرونَ من التّقصيرِ إلى الطّاعةِ، ومن الغفلةِ إلى الذّكرِ،
ومن الشّهواتِ إلى الصّبرِ.

فمَن هَجرَ الخطايا اليومَ، يكونُ مُهَيّئًا لأعظمِ مراحلِ هجرتِه:
حينَ يُغادِرُ الدنيا، فيموتُ على ما عاشَ عليه، ويُحشَرُ على ما ماتَ عليه،
فَيَرِدُ على اللهِ، واللهُ راضٍ عنه.

الابْتِلَاءاتُ الكُبْرَى فِي تَارِيخِ الأُمَّةِ: غَزْوُ التَّتَارِ

من أعْظَمِ المِحَنِ الَّتي مَرَّتْ بِهَا أُمَّتُنا الإِسْلَامِيَّةِ :**غَزْوُ التَّتَارِ (المَغُولِ)،**
ذَلِكَ البَلَاءُ الَّذِي هَزَّ أَرْكَانَ الأُمَّةِ، وَزَلْزَلَ وِجْدَانَهَا، وَأَفْجَعَ القُلُوبَ قَبْلَ أَنْ يَفْتِكَ بِالأَبْدَانِ.

يقولُ العلّامةُ **ابنُ الأثير الجزريُّ – رَحِمَهُ اللهُ –** واصفًا هَولَ الفاجعةِ:
"لقد بقيتُ عدّةَ سنينَ أُعرِضُ عن ذِكرِ هذه الحادثةِ استعظامًا لها، كارهًا لذِكرِها، فأنا أقدّمُ رجلًا وأؤخّرُ أُخرى، فمَن الّذي يسهُلُ عليه نعيُ الإسلامِ والمسلمين؟ ومَن الذي يهونُ عليه ذكرُ ذلك؟ فيا ليتَ أُمّي لم تلدْني، ويا ليتَني متُّ قبلَ حدوثِها وكنتُ نسيًا منسيًّا"... الكامل في التاريخ

لقد كانت كارثةُ التّتارِ خارجةً عن التصوّرِ، حيثُ **لم يتركوا خلفهم حيًّا يُذكَر،** قَتلوا الرّجالَ والنّساءَ والأطفالَ، **شقّوا بطونَ الحواملِ وقتلوا الأجنّةَ،** لم تُرعَ فيهم حرمةٌ ولا إنسانيّةٌ.

ولم يكن **ابنُ الأثيرِ** قد شهدَ ما جرى لاحقًا في بلادِ الشّامِ من فظائعَ، حيثُ وصفها **شيخُ الإسلامِ ابن تيميّة – رحمه الله –** بأنّها:
"قيامةٌ مصغّرةٌ، فرَّ فيها الرّجلُ من أخيهِ وأمّهِ وأبيهِ"... مجموع الفتاوى،

لقد بلغ الهَولُ مُنتهاه، حتّى ظنَّ كثيرون أنَّ هذه الأمّةَ **لا تقومُ لها قائمةٌ** بعدَ ذلك.

لكن...

"وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ، وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ " الأنفال: ٣٠

رغم كُلِّ ما جرى، **لم تمضِ سوى نحو ٣٨ سنة،** حتّى دخلَ المغولُ في دينِ اللهِ أفواجًا،
بل وأصبح **ملوكُهم من حُماةِ الإسلامِ ودُعاتِه،**
فشجّعوا شعوبَهم على الدّخولِ في الإسلام، وتحوّلوا من **عَدُوٍّ هادمٍ** إلى **ناصرٍ حامٍ.**

إنّها **سُنَنُ اللهِ فِي الأُمَمِ:** إنّ الأُمّةَ قد تمرُّ بنكباتٍ، وتتعرضُ لابتلاءاتٍ قاسيةٍ،
تضعُفُ وتُنهَكُ، لكنها لا تموتُ.

تبقى **جَذوةُ الإيمانِ** مُشتعلةً في القلوب، وإن أطفأتها العواصفُ مؤقّتًا.
وما يلبثُ أن ينقشِعَ الظّلام، وتُشرِقَ شمسُ الدِّينِ من جديدٍ.

وقد بَشّرنا النبيُّ ﷺ بذلك، فقال:

"بَشِّرْ هذه الأُمّةَ بالسَّناءِ، والرِّفعةِ، والدِّينِ، والنّصرِ، والتّمكينِ في الأرضِ." أحمد في "المسند"

ورغمَ **وحشيّةِ التّتارِ**، وعِظَمِ المصيبةِ، إِلَّا أَنَّ هذه الأُمّةَ:
أُمّةٌ لا تموتُ، تتعثّرُ لكنها تقومُ، تمرضُ لكنها لا تُقبرُ،
لأنَّ **وَعْدَ اللهِ لها بالنّصرِ والتّمكينِ** حقٌّ لا يَتبدّل.

صَخْرَةُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ: مُنْطَلَقُ النِّدَاءِ وَبَوَّابَةُ الْمَحْشَرِ

قال **قتادةُ رَحِمَهُ اللهُ** : قال **كعبُ الأحبارِ رَحِمَهُ اللهُ:** استمعْ أيُّها العاقلُ لما سيُخبِرُكَ اللهُ بهِ من أهوالِ يومِ القيامةِ. قال تعالى: ﴿ **وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ** ﴾ *سورة ق: ٤١*

قال المفسِّرون: إنّ المنادي هو **إسرافيل عليه السلام**، والمكان القريب هو **صخرةُ بيتِ المقدسِ،** ومنها يكون **النداء لفصل القضاء.**
فيأمرُ اللهُ ملكًا من ملائكتِه أن يُنادي على صخرةِ بيتِ المقدس:

"أيتها العِظامُ الباليةُ، والأوصالُ المتقطّعةُ، إنّ اللهَ يأمركُنَّ أن تجتمِعنَ لفصلِ القضاء"! *الطبري، وابن كثير*

الأَرْضُ الَّتِي بَارَكَ اللهُ فِيهَا لِلْعَالَمِينَ

- هي أرضُ الخيرِ والبركةِ،
- أوّلُى القبلتين، وثالثُ الحرمين،
- مِسرى خاتمِ الأنبياءِ ﷺ،
- بوابةُ الأرضِ إلى السماءِ في **رِحلةِ المعراجِ،**
- أرضُ النبواتِ ومَهْبِطُ الرسالات،
- موطنُ :**إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب، ويوسف، ولوط، وداود، وسليمان، وزكريا، ويحيى، وعيسى – عليهم السلام**.—

وفيها يكون:

- **نهايةُ المسيحِ الدجّالِ،**
- **وهلاكُ يأجوجَ ومأجوجَ،**
- **ونهايةُ عُلوِّ بني إسرائيل،**
- ومنها يشعُّ **نورُ الخلافةِ في آخر الزمان.** *ابن كثير*

- صرخَ على أرضِها **سيفُ الدين قُطُز**" :*وا إسلاماه"!*
- وشمخَ فيها **صلاحُ الدين الأيوبيُّ** بأنفه عاليًا، بعد أن طهّرَها من رجسِ الصليبيّين.

- ورفضَ من أجلها **السلطانُ عبدُ الحميد الثاني** بيعَ شِبرٍ منها،
وقال" :*لن أفرّط في أرضٍ رُويت بدماءِ الشهداءِ"* .

هي الأرضُ التي عاشت عليها أقدامُ الصحابةِ والتابعين، ومنهم:

- **عبادةُ بنُ الصّامت، وشدادُ بنُ أوس، وأُسامةُ بنُ زيد، ودِحيةُ الكلبيّ** رضي الله عنهم.

وقال رسولُ اللهِ ﷺ:

"لا تزالُ طائفةٌ من أمّتي ظاهرينَ على الحقِّ، لا يضرُّهم من خذلَهم ولا من خالفَهم، حتّى يأتي أمرُ الله"

قيل :*أين هم يا رسولَ الله؟*

قال: "**في بيتِ المقدسِ وأكنافِ بيتِ المقدسِ**"*رواه أحمد*

أيّها المسلمون في كلِّ مكان:

- اصبروا على البلاء،
- وصابروا أعداء الله،
- ورابطوا على الثغور،
- واتقوا اللهَ لعلكم تُفلحون.

ف**بيتُ المقدس** ليس مجرّد مكانٍ، بل هو **وعدٌ من الله بالنصر والثبات** للمؤمنين،
وهو **خطُّ الدفاعِ الأوّل** عن **هُويّةِ الأُمّةِ** ودينها.

شَهَادَةُ الْحَقِّ وَبِشَارَةُ الْإِيمَانِ

قَالَ **الْكَلْبِيُّ** رحمه الله:

لَمَّا ظَهَرَ النَّبِيُّ ﷺ فِي **الْمَدِينَةِ**، قَدِمَ **حَبرَانِ** مِنْ أَحْبَارِ **أَهْلِ الشَّامِ**، وَكَانَا مِنْ **عُلَمَاءِ أَهْلِ الْكِتَابِ**.

فَلَمَّا أَبْصَرَا الْمَدِينَةَ، قَالَ أَحَدُهُمَا لِلآخَرِ:

"مَا أَشْبَهَ هَذِهِ الْمَدِينَةَ بِصِفَةِ مَدِينَةِ النَّبِيِّ الَّذِي يَخْرُجُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ"!

فَدَخَلَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا نَظَرَا إِلَيْهِ، **عَرَفَاهُ بِالنَّعْتِ وَالصِّفَةِ** الَّتِي كَانَتْ فِي كُتُبِهِمَا،

فَقَالَا لَهُ:

"أَأَنْتَ مُحَمَّدٌ؟"

فَقَالَ" :**نَعَمْ**".

قَالَا" :**وَأَنْتَ أَحْمَدُ؟**"

فَقَالَ" :**نَعَمْ**".

قَالَا لَهُ" :**نَسْأَلُكَ عَنْ شَيْءٍ، فَإِنْ أَخْبَرْتَنَا بِهِ آمَنَّا بِكَ وَصَدَّقْنَاكَ**".

فَقَالَ ﷺ بِثِقَةِ النُّبُوَّةِ" :**سَلَانِي**".

فَسَأَلَاهُ عَنْ **أَعْظَمِ الشَّهَادَةِ،**

فَنَزَلَ **جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ** بِآيَةٍ مِنْ فَوْقِ **سَبْعِ سَمَاوَاتٍ،**

هِيَ خُلَاصَةُ التَّوْحِيدِ، وَعُنْوَانُ الرِّسَالَةِ، وَسَنَامُ الْعِلْمِ:

﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ
لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ *آل عمران: ١٨*

فَقَالَ الْحَبْرَانِ" :**صَدَقْتَ، هَذِهِ الشَّهَادَةُ فِي كِتَابِنَا كَمَا هِيَ عِنْدَكُمْ**".

فَأَسْلَمَا لِلَّهِ، وَصَدَّقَا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، بَعْدَ أَنْ رَأَيَا الْحَقَّ فِي قَوْلِهِ، وَوَجَدَاهُ فِي كِتَابِ اللَّهِ كَمَا عَهِدَهُ عُلَمَاؤُهُمَا.

لَوْ أَنَّ **كُتُبَ اللَّهِ** ظَلَّتْ سَلِيمَةً، لَمْ تَعْبَثْ بِهَا **يَدُ التَّحْرِيفِ**، لَكَانَ أَهْلُ الْكِتَابِ مِنْ **أَسْرَعِ النَّاسِ** إِلَى **الإِيمَانِ بِرَسُولِ اللَّهِ** ﷺ.

فَهُوَ **الدِّينُ الأَزَلِيُّ الْخَالِدُ**، وَالدَّعْوَةُ الَّتِي لَمْ تَنْقَطِعْ، سِلْسِلَةٌ **مُتَمَاسِكَةُ الْحَلَقَاتِ**،
أَمْسَكَ بِطَرَفِهَا الأَوَّلِ **آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ** أَبُو الْبَشَرِ وَأَوَّلُ الأَنْبِيَاءِ،
وَأَمْسَكَ بِطَرَفِهَا الآخِرِ **مُحَمَّدٌ** ﷺ خَاتَمُ الْمُرْسَلِينَ.

وَقَامَ **الأَنْبِيَاءُ وَالْمُرْسَلُونَ** بَيْنَهُمَا، يُمْسِكُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بِـ **حَلَقَةٍ** مِنْ حَلَقَاتِ السِّلْسِلَةِ،
يُوصِي أَوَّلُهُمْ بِاتِّبَاعِ آخِرِهِمْ، وَيَدْعُو سَابِقُهُمْ إِلَى طَاعَةِ لَاحِقِهِمْ.

فَالدِّينُ وَاحِدٌ، وَالْمَصْدَرُ وَاحِدٌ، وَالْغَايَةُ وَاحِدَةٌ.

وَصَارَ كُلُّ نَبِيٍّ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ يُضِيفُ **لَبِنَةً** فِي بِنَاءِ هٰذَا **الصَّرْحِ الْإِيمَانِيِّ**،
حَتَّى جَاءَ **مُحَمَّدٌ** ﷺ، فَأَكْمَلَ الْبِنَاءَ، وَزَيَّنَهُ، وَجَمَّلَهُ، وَسَدَّ كُلَّ ثُغْرَةٍ، وَأَتَمَّ كُلَّ نَقْصٍ،
حَتَّى اسْتَقَرَّتْ **أَرْكَانُ الرِّسَالَةِ**، وَظَهَرَ **تَمَامُ النِّعْمَةِ**، وَصَدَقَ وَعْدُ اللَّهِ تَعَالَى:

﴿ **ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ، وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي، وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا** ﴾ *المائدة: ٣*

وَجَاءَ **الْحَدِيثُ الشَّرِيفُ** لِيُؤَكِّدَ هٰذَا الْمَعْنَى الْعَظِيمَ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

"إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي، كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا، فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ، إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ،
فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ وَيُعْجَبُونَ لَهُ، وَيَقُولُونَ: هَلَّا وُضِعَتْ هٰذِهِ اللَّبِنَةُ؟
قَالَ: فَأَنَا اللَّبِنَةُ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ". *رواه البخاري ومسلم*

عِلْمٌ سَابِقٌ، وَإِيمَانٌ لَاحِقٌ

كان **عبدُ اللهِ بنُ سَلامٍ** –رضي الله عنه– عَالِمًا من أَحْبَارِ الْيَهُودِ، خَبِيرًا بِالتَّوْرَاةِ، صَادِقَ الطَّلَبِ، يَنْتَظِرُ النَّبِيَّ الَّذِي بَشَّرَتْ بِهِ الْكُتُبُ، لَا تَأْخُذُهُ الْعَصَبِيَّةُ، وَلَا يُضِلُّهُ الْهَوَى.

فَلَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ الْمَدِينَةَ، أَسْرَعَ عبد الله بن سَلَامٍ لِلِّقَائِهِ، وَقَالَ لَهُ:
"**إِنِّي سَائِلُكَ عَنْ ثَلَاثٍ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا نَبِيٌّ**"...

وَكَانَ هَذَا مِنْهُ اخْتِبَارًا نَبِيلًا صَادِقًا، لَا تَعَنُّتَ فِيهِ وَلَا جَدَلَ، بَلْ طَلَبٌ لِلْحَقِّ.

فَسَأَلَ عَنْ:
أَوَّلِ عَلَامَاتِ السَّاعَةِ الْكُبْرَىٰ.
وعن أَوَّلِ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ.
ومَا الَّذِي يَجْعَلُ الْوَلَدَ يُشْبِهُ أَبَاهُ، أَوْ يُشْبِهُ أَخْوَالَهُ؟

فَأَجَابَهُ النَّبِيُّ ﷺ:
أَمَّا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ: فَهِيَ نَارٌ تُحْشَرُ النَّاسُ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ،
تُرَحِّلُهُمْ مِنْ مَكَانِهِمْ حَتَّىٰ يُجْمَعُوا،
وَفِي رِوَايَةٍ: "تَخْرُجُ نَارٌ مِنْ قَعْرِ عَدْنٍ، تَسُوقُ النَّاسَ إِلَىٰ مَحْشَرِهِمْ" رَوَاهُ مُسْلِمٌ

وَأَمَّا أَوَّلُ طَعَامِ أَهْلِ الْجَنَّةِ: فَهُوَ "زِيَادَةُ كَبِدِ الْحُوتِ"، وَهِيَ أَطْيَبُ مَا فِي الْكَبِدِ.

وَأَمَّا الشَّبَهُ فِي الْوَلَدِ: فَإِنْ غَلَبَ مَاءُ الرَّجُلِ، كَانَ الشَّبْهُ لَهُ،
وَإِنْ غَلَبَ مَاءُ الْمَرْأَةِ، كَانَ الشَّبْهُ لَهَا وَلِأَخْوَالِهِ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ

وَهُنَا كَانَتِ الْمُفَاجَأَةُ:

قَالَ عبد الله بن سَلَامٍ: هَذَا جِبْرِيلُ؟! ذَاكَ عَدُوُّ الْيَهُودِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ"!
فَقَدْ زَعَمَتِ الْيَهُودُ أَنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَنْزِلُ بِالْحَرْبِ وَالشِّدَّةِ،
وَزَعَمُوا أَنَّ مِيكَائِيلَ يَنْزِلُ بِالْخَيْرِ وَالْمَطَرِ،

فَاخْتَارُوا مِيكَائِيلَ وَبَغَضُوا جِبْرِيلَ، فَقَالَ تَعَالَىٰ:

﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ *البقرة: ٩٧*

فَلَمَّا سَمِعَ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلَامٍ تِلْكَ الْإِجَابَاتِ الصَّادِقَةَ الْمُطَابِقَةَ لِمَا فِي التَّوْرَاةِ،
قَالَ بِشَهَادَةٍ خَالِدَةٍ:
"أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّكَ رَسُولُ اللهِ".

وَصَدَقَ اللهُ إِذْ قَالَ:

﴿ ٱلَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ ٱلْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ﴾ *البقرة: ١٤٦*

وَرُوِيَ عَنْ صَفِيَّةَ بِنْتِ حُيَيِّ بْنِ أَخْطَبَ —رَضِيَ اللهُ عَنْهَا— قَالَتْ:
بَعْدَ أَنْ ذَهَبَ أَبِي **حُيَيُّ بْنُ أَخْطَبَ** وَعَمِّي **أَبُو يَاسِرَ** إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَجَلَسَا إِلَيْهِ وَسَمِعَا مِنْهُ،
سَمِعْتُ عَمِّي أَبَا يَاسِرَ وَهُوَ يَقُولُ لِأَبِي:

"أَهُوَ هُوَ؟" قَالَ :**نَعَمْ، وَاللهِ.**
قَالَ :**أَتَعْرِفُهُ وَتُثْبِتُهُ؟** قَالَ :**نَعَمْ.**
قَالَ :**فَمَا فِي نَفْسِكَ مِنْهُ؟** قَالَ :**عَدَاوَتُهُ، وَاللهِ، مَا بَقِيتُ.**

وَبِالفِعْلِ، كَانَ حُيَيُّ وَأَخُوهُ مِنْ أَشَدِّ الْيَهُودِ عَدَاوَةً وَحِقْدًا،
وَكَانَا جَاهِدَيْنِ فِي صَدِّ النَّاسِ عَنِ الْإِسْلَامِ،
وَذَلِكَ مِصْدَاقًا لِقَوْلِهِ تَعَالَى:

﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ﴾ *المائدة: ٨٢*

فَالْهِدَايَةُ لَيْسَتْ مُجَرَّدَ عِلْمٍ أَوْ مَعْرِفَةٍ،
بَلْ هِيَ **نُورٌ يَقْذِفُهُ اللهُ فِي الْقَلْبِ** لِمَنْ صَدَقَ فِي الطَّلَبِ، وَتَجَرَّدَ مِنَ الْهَوَى.

قَالَ تَعَالَى:

﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ *الصَّف: ٥*

إِبْرَاهِيمُ عليه السلام.. أَبُو الْمُوَحِّدِينَ

جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ:
"يَا خَيْرَ الْبَرِيَّةِ"،
فَأَجَابَهُ النَّبِيُّ ﷺ بِتَوَاضُعٍ عَظِيمٍ:
"ذَاكَ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام". رَوَاهُ مُسْلِم

وَهَذَا لَيْسَ إِنْكَارًا لِفَضْلِهِ، بَلِ اعْتِرَافٌ بِمَقَامِ خَلِيلِ اللهِ إِبْرَاهِيمَ، الَّذِي كَانَ قُدْوَةً فِي التَّوْحِيدِ، وَالطَّاعَةِ، وَالْخُضُوعِ لِلَّهِ.

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِي الحَدِيثِ الصَّحِيحِ:
"أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ، وَلَا فَخْرَ". رَوَاهُ مُسْلِم

فَهُوَ ﷺ أَشْرَفُ الخَلْقِ، لَكِنَّهُ عَلَّمَنَا التَّوَاضُعَ وَرَدَّ الفَضْلِ لِأَهْلِهِ.

وفِي قِصَّةٍ مَشْهُورَةٍ اجْتَمَعَتْ نَصَارَى نَجْرَانَ وَأَحْبَارُ يَهُودٍ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَتَنَازَعُوا حَوْلَ نَسَبِ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام:
قَالَتِ الأَحْبَارُ: "كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا"،
وَقَالَ النَّصَارَى: "كَانَ إِبْرَاهِيمُ نَصْرَانِيًّا."

فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى فِيهِمْ قَوْلَهُ:
﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾
آلِ عِمْرَانَ: ٦٥

فِي تَبْيِينٍ جَلِيٍّ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ قَبْلَ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ وَالإِنْجِيلُ بِآلَافِ السِّنِينَ، فَلَا يَصِحُّ نَسْبَتُهُ إِلَى الْيَهُودِيَّةِ أَوِ النَّصْرَانِيَّةِ.

وَقَالَ تَعَالَى:
﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ آلِ عِمْرَانَ: ٦٨

أي: مَن آمَنَ بِهِ مِنْ أُمَّتِهِ، وأتباعُ محمدٍ ﷺ هُمْ أَوْلَى بِهِ، وَلَيْسَ مَنْ نَبَذَ مِلَّتَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ كَالْيَهُودِ وَالنَّصَارَى.

فَالْأَوْلَى بِالإِبْرَاهِيمِيَّةِ هُمُ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَلَيْسَ مَنْ تَخَلَّى عَنْ مِلَّتِهِ كَمَا فَعَلَ بَعْضُ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى.

وَالْقَوْلُ بِأَنَّ إِبْرَاهِيمَ يَجْمَعُ بَيْنَ الأَدْيَانِ الثَّلَاثَةِ بَاطِلٌ مِنْ وَجْهَيْنِ:

الأَوَّلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى:
﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ آلِ عِمْرَانَ: ٨٥

فَالْإِسْلَامُ هُوَ دِينُ جَمِيعِ الأَنْبِيَاءِ، وَمِلَّةُ إِبْرَاهِيمَ هِيَ الإِسْلَامُ، لَا خَلِيطَ مُشْتَرَكًا بَيْنَ الدِّيَانَاتِ.

الثَّانِي: لأَنَّ مِنْ شُرُوطِ "الدِّيَانَةِ الإِبْرَاهِيمِيَّةِ" عِنْدَهُمْ: الصَّلَاةُ فِي "جَبَلِ الهَيْكَلِ"، أَيْ الْمَسْجِدِ الأَقْصَى، بِاعْتِبَارِهِ مَوْقِعًا مُشْتَرَكًا!

وَهَذَا اعْتِدَاءٌ عَلَى خُصُوصِيَّةِ الإِسْلَامِ،
إِنَّ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ لَيْسَتْ شِعَارًا مُشْتَرَكًا، بَلْ هِيَ التَّوْحِيدُ الْخَالِصُ،
جَاءَ بِهَا كُلُّ الأَنْبِيَاءِ، وَخُتِمَتْ بِمُحَمَّدٍ ﷺ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ.

الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ

كَانَ سُلَيْمَانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مُحِبًّا لِلْخَيْلِ،
لَا لَهْوًا وَلَا تَبَاهِيًا، بَلْ لِأَجْلِ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ.

وَكَانَ لَهُ مِنَ الْخُيُولِ مَا يُسَمَّىٰ بِـ"الصَّافِنَاتِ:"
وَهِيَ الْخُيُولُ الَّتِي تَقِفُ عَلَىٰ ثَلَاثِ أَرْجُلٍ،
وَتَرْفَعُ الرَّابِعَةَ عَلَىٰ طَرَفِ حَافِرِهَا،
دَلِيلًا عَلَىٰ شِدَّةِ الْحَمَاسَةِ وَالِاسْتِعْدَادِ.
وَإِنْ أُطْلِقَتْ، كَانَتْ جِيَادًا سَرِيعَةً، خَفِيفَةً، لَا يُلْحَقُ بِهَا.

فِي أَحَدِ الْأَيَّامِ،
عُرِضَتْ عَلَيْهِ هَذِهِ الْخُيُولُ الْمُبَارَكَةُ فِي آخِرِ النَّهَارِ،
فَوَقَفَ يَسْتَعْرِضُهَا، يَتَأَمَّلُهَا، يُعِدُّهَا، وَيَفْحَصُهَا بِنَفْسِهِ.

﴿ **إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي** ﴾ ص، ٣٢
أي: إِنِّي مَا أَحْبَبْتُهَا إِلَّا لِذِكْرِ رَبِّي،
وَلِطَاعَتِهِ، وَإِعْلَاءِ كَلِمَتِهِ فِي الْأَرْضِ.
فَمَضَىٰ فِي عَرْضِهَا حَتَّىٰ غَابَتِ الشَّمْسُ وَاخْتَفَىٰ ضَوْؤُهَا،
فَقَالَ:
﴿ **رُدُّوهَا عَلَيَّ** ﴾ ص، ٣٣
لِكَيْ يُتِمَّ فَحْصَهَا وَيَتَأَمَّلَهَا مِنْ جَدِيدٍ،
وَيَزْدَادَ عِلْمًا بِهَا وَمَعْرِفَةً بِأَحْوَالِهَا.

ثُمَّ طَفِقَ يَمْسَحُ بِسُوقِهَا وَأَعْنَاقِهَا،
مُعْجَبًا بِهَا، شَاكِرًا لِلَّهِ قُوَّتَهَا وَسُرْعَتَهَا،
مُسْتَبْشِرًا بِمَا أَعَدَّهُ لِلْجِهَادِ.

وَلَمْ تَكُنْ هَذِهِ الْخُيُولُ شَغَلَتْهُ عَنِ الصَّلَاةِ،
وَلَمْ يُذْبِحْهَا كَمَا تَوَهَّمَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ.

بَلْ بَعْدَ أَنْ اِنْتَهَىٰ مِنْ عَمَلِهِ، أَحَسَّ بِالتَّعَبِ وَالْإِعْيَاءِ،
فَجَلَسَ عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ، جَسَدًا بِلَا حَرَاكٍ،
﴿ **وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا** ﴾ ص، ٣٤
ثُمَّ لَمَّا أَفَاقَ، لَمْ يَنْسَ فَضْلَ رَبِّهِ،
فَدَعَا بِدُعَاءٍ عَظِيمٍ يُخَلَّدُ فِي صَحَائِفِ الْعَابِدِينَ:
﴿ **رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ** ﴾ ص، ٣٥

فَاسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ، وَسَخَّرَ لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ،
تَارَةً لِينَةً رَحِيمَةً، وَتَارَةً عَاصِفَةً جَبَّارَةً،
وَسَخَّرَ لَهُ الشَّيَاطِينَ، يَبْنُونَ، وَيَغُوصُونَ، وَيُقَيَّدُ مَن يَعْصِي مِنْهُمْ.

فَسُلَيْمَانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

- **لَمْ يَتَكِئْ عَلَىٰ إِرْثِ النُّبُوَّةِ، بَلْ جَدَّ فِي الْأَسْبَابِ.**
- **وَلَمْ يَنْسَ الْغَايَةَ مِنَ الْإِمْكَانَاتِ: الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ.**
- **وَلَمْ يَغْتَرَّ بِالْمُلْكِ، بَلْ قَالَ: "رَبِّ اغْفِرْ لِي."**

لا تَغْتَرُّوا بزِيفِ القُوَّةِ... فَقَدْ دارَتِ الدَّائِرَةُ

حين عادَ رسولُ اللهِ ﷺ مُنتَصِرًا من غَزْوَةِ بَدْرٍ، بعد أن أذاقَ قُرَيْشًا مَرَارَةَ الهَزِيمَةِ، جَمَعَ يَهُودَ بَنِي قَيْنَقَاعٍ فِي سُوقِهِم، وَوَجَّهَ إليهم تَحْذِيرًا رَبَّانِيًّا:

"يا مَعْشَرَ اليَهُودِ، احْذَرُوا مِنَ اللهِ مِثْلَ ما نَزَلَ بِقُرَيْشٍ يَوْمَ بَدْرٍ،
قَبْلَ أَنْ يَنْزِلَ بِكُمْ ما نَزَلَ بِهِم،
فَقَدْ عَرَفْتُمْ أني نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، تَجِدُونَ ذلِكَ فِي كِتَابِكُمْ، وَعَهْدِ اللهِ إِلَيْكُمْ".

فلم يكن تَحْذِيرُه ﷺ تَهْدِيدًا، بَل دَعْوَةً أخيرَةً إلى الإيمانِ، قَبْلَ أن تُغْلَقَ الأَبْوَابُ، وَتَنْزِلَ السُّنَنُ الَّتِي لا تُبَدَّلُ.

لَكِنَّهُمْ تَكَبَّرُوا، وَتَبَجَّحُوا، وَقالُوا:

"يا مُحَمَّدُ، لا يَغُرَّنَكَ أنك قَتَلْتَ نَفَرًا مِنْ قُرَيْشٍ كَانُوا أَغْمَارًا،
لا عِلْمَ لَهُمْ بِالحَرْبِ، فَأَصَبْتَ فيهم فُرْصَةً.
أَمَّا نَحْنُ، فَلَوْ قَاتَلْتَنا لَعَرَفْنَا أنَّا النَّاسُ"!

هكذا هو غُرُورُ البَاطِلِ فِي كُلِّ زَمَانٍ، يَغْتَرُّ بِالقُوَّةِ، وَيَزْهُو بِالسِّلَاحِ، وَيَنْسَى أن القُوَّةَ الحَقَّةَ مِنْ عِنْدِ اللهِ.

فجاءَهُم الرَّدُّ مِنَ السَّمَاءِ، وَوَعْدُ اللهِ الَّذِي لا يُخْلِفُ:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَادُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡأَذَلِّينَ﴾ المجادلة: ٢٠

وما هِيَ إِلَّا سَنَوَاتٌ قَلِيلَةٌ، حَتَّى دَارَتِ الدَّائِرَةُ عَلَى بَنِي قَيْنَقَاعٍ،
ثُمَّ عَلَى بَنِي النَّضِيرِ وَبَنِي قُرَيْظَةَ،
وَفُتِحَتْ مَكَّةُ، وَانْدَحَرَ البَاطِلُ، وَظَهَرَتْ شَوْكَةُ الحَقِّ.

فَلا تَغْتَرُّوا اليَوْمَ بِالحَضَارَةِ المادِّيَّةِ،
لا تَخْدَعُكُمْ وُفْرَةُ الأَمْوَالِ، وَلا هَيْبَةُ الجُيُوشِ، وَلا نَاطِحَاتُ السَّحَابِ...
فَإِنَّهَا سُنَّةُ اللهِ فِي خَلْقِهِ،
يُمَهِّلُ وَلا يُهْمِلُ، وَيَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ.

قال تعالى:
﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ القلم: ٤٤

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه:
"إِنَّ اللهَ يُعْطِي الدُّنْيَا مَن يُحِبُّ وَمَن لا يُحِبُّ،
وَلا يُعْطِي الدِّينَ إِلَّا مَن أَحَبَّ".

وقال ابن القيم رحمه الله:
"مَن ظَنَّ انْتِصَارَ البَاطِلِ عَلَى الحَقِّ، فَقَدْ أَسَاءَ الظَّنَّ بِرَبِّهِ".

إِنَّ النِّعَمَ الَّتِي تَتَوَالَى عَلَى أَهْلِ البَاطِلِ لَيْسَت كَرَامَةً، بَل اسْتِدْرَاجٌ،
وَكُلَّمَا أَحْدَثُوا ذَنْبًا، جَدَّدَ اللهُ لَهُمْ نِعْمَةً، حَتَّى يَنْسَوْا التَّوْبَةَ، وَيَظُنُّوا أَنَّهُمْ مَرْضِيُّونَ...

﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ ﴾
﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾ الأنعام: ٤٤-٤٥

وَعْدُ اللهِ... بَيْنَ "وَعْدِ بَلْفُور" وَ"وَعْدِ الْآخِرَةِ"

لقد تُوِّجَتْ جُهُودُ **الحركةِ الصهيونيّةِ** في عامِ **١٩١٧م** بما عُرِفَ بـ **"وَعْدِ بَلْفُور"**، الذي فتحَ شهيّتَهم على فلسطين، ظنًّا منهم أنّه **وعدُ انتصار**، ولكنَّ الحقيقةَ أعمقُ من ذلك:

إنّه **وعدُ اللهِ لنا، لا لهم**؛ وعدٌ بالنّصر، لا بالهزيمة، وعدٌ بأن **يجتمعوا ليتحقّق "وَعْدُ الآخِرَةِ."**

قال تعالى: ﴿ **فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا** ﴾ *الإسراء: ١٠٤*

أي :**جمعناكم جمعًا من أطرافِ الأرضِ إلى ميدانِ القضاءِ الإلهي**، إلى **فلسطين**، لتكونَ نهايةُ الغطرسةِ وموعدُ الانكسار.

يبدأ هذا الحشرُ –كما أخبرَ **القرآنُ** –منذُ يومِ أُخرجَ **بنو النضير** من **المدينة المنوّرة**، حيث قال الله تعالى:

﴿ **هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ** ﴾ *الحشر: ٢*

فكان **إخراجُهم بدايةَ الحشرِ**، وقد اتجهوا إلى **الشام**، ثم بدأوا التسلل إلى **أريحا** و**القدس**.

وقد ورد أن **النبيَّ** ﷺ قال عند إخراجهم:

"امضُوا لأوّلِ الحشر، وإنّا على الأثر" *ابن أبي شيبة والطبري في التفسير*

وها هو الحشرُ يوشك أن يكتملَ، **مصداقًا لقوله تعالى:**

﴿ **فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا** ﴾

وَلِمَاذَا هَذَا الْحَشْرُ؟

قال تعالى:

﴿ **لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ، وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ، وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا** ﴾ *الإسراء: ٧*

إنّه **وعدٌ بالفتحِ الثاني**، دخولٌ جديدٌ إلى **المسجد الأقصى**، وتدميرٌ لكلِّ ما علا به **الظالمون**.

فَلَنْ نَقِفَ صَاغِرِينَ...

لأنّنا نحن **أتباعُ الرُّسُلِ**، نؤمنُ بربِّهم، ونسيرُ على طريقتِهم، نردِّد مع المؤمنين الصادقين قولهم:

﴿ **وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا** ﴾ *إبراهيم: ١٢*

أي: ما عذرُنا في تركِ التوكّل عليه، وقد هدانا سواء السبيل؟

نحمدُ اللهَ على **نعمةِ الإسلام**، وكفى بها نعمة، ونقول كما قالوا:

﴿ **وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا، وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ** ﴾ *إبراهيم: ١٢*

فكيدوا كما شئتم، **لا تظنّوا** أنّ عدّتكم ترهبُنا، ولا أنَّ إعلامكم يغسلُ وعينا، فقد قال تعالى:

﴿ **فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ** ﴾ *هود: ٥٥*

فحاربونا بمالِكم، بقنواتِكم، بقوانينِكم،

لن نتراجع؛ **فلسطينُ** ليست مجرّدَ أرض، بل هي **هُويّة**.

والقدسُ ليست مجرّدَ مدينة، بل **عقيدة**.

لسنا مَن يخشى هبّةَ ريح، ولا نهابُ عاصفةً هوجاء،

بل نحن الذين نعلم أن **وَعْدَ اللهِ حقٌّ**، **ونصره قريب**.

فَطُوبَى لِفِلَسْطِين... وطُوبى لأرضِها الطاهرة، وشعبِها الصابر، وطائفتِها الظاهرة،

الذين قال عنهم رسولُ الله ﷺ:

"لا تزالُ عصابةٌ من أُمّتي يُقاتلون على أبوابِ دمشقَ وما حولها، وعلى أبوابِ بيتِ المقدسِ وما حولَه، لا يضرّهم من خذلَهم، ظاهرين على الحقِّ إلى أن تقومَ الساعة" *الطبراني وابن عساكر*

حين عُرِضَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ... فَأَبَوْا الطَّاعَةَ

عَقْبَ غَرَقِ فِرْعَوْنَ أَمَامَ أَعْيُنِ بَنِي إِسْرَائِيلَ،
سَارُوا مَعَ نَبِيِّهِمْ **مُوسَى عليه السلام** تِجَاهَ بِلَادِ الشَّامِ،
فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَىٰ مُوسَى أَنْ يَخْتَارَ مِنْ قَوْمِهِ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا، [ابْنُ كَثِيرٍ]

وَالنَّقِيبُ :كَبِيرُ القَوْمِ. [لِسَانُ العَرَبِ]

وَأَمَرَهُ أَنْ يُرْسِلَهُمْ إِلَى الأَرْضِ المقَدَّسَةِ لِيَتَحَسَّسُوا أَحْوَالَ سُكَّانِهَا،
وَقَالَ لَهُمْ: "**لَا تُخْبِرُوا أَحَدًا سِوَايَ عَمَّا تَرَوْنَهُ**"

فَلَمَّا عَادَ النُّقَبَاءُ، قَالُوا لَهُ وَهُوَ فِي جَمَاعَةٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ:
"جِئْنَا إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَعَثْتَنَا إِلَيْهَا، فَإِذَا هِيَ فِي الحَقِيقَةِ تَدُرُّ لَبَنًا وَعَسَلًا،
غَيْرَ أَنَّ السَّاكِنِينَ فِيهَا أَقْوِيَاءُ، وَمَدِينَتُهُمْ حَصِينَةٌ"
وَأَخَذَ كُلُّ نَقِيبٍ مِنْهُمْ يَنْهَىٰ أَحْفَادَهُ وَقَبِيلَتَهُ عَنِ القِتَالِ،
إِلَّا اثْنَيْنِ مِنْهُمْ، فَإِنَّهُمَا نَصَحَا القَوْمَ بِطَاعَةِ نَبِيِّهِمْ، وَقَالَا لَهُمْ مُشَجِّعَيْنِ:
"ادْخُلُوا عَلَىٰ أَعْدَائِكُمْ بَابَ مَدِينَتِهِمْ، وَبَاغِتُوهُمْ بِقِتَالِهِمْ،
فَإِذَا فَعَلْتُمْ ذَٰلِكَ أَحْرَزْتُمُ النَّصْرَ عَلَيْهِمْ،
فَإِنَّهُ مَا غُزِيَ قَوْمٌ فِي عُقْرِ دَارِهِمْ إِلَّا ذُلُّوا"
وَلَكِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَصَرُّوا عَلَىٰ العِصْيَانِ، وَتَطَاوَلُوا عَلَىٰ نَبِيِّهِمْ،
فَقَالُوا:
"فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا، أَمَّا نَحْنُ فَلَنْ نَدْخُلَ الأَرْضَ المقَدَّسَةَ فِي حَالٍ مِنَ الأَحْوَالِ،
مَا دَامَ الجَبَّارُونَ عَلَىٰ قَيْدِ الحَيَاةِ وَيَسْكُنُونَ فِيهَا، إِنَّا هَا هُنَا قَاعِدُونَ"
فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَىٰ إِلَىٰ مُوسَى أَن:
الأَرْضَ المُقَدَّسَةَ مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ، وَيَتِيهُونَ أَرْبَعِينَ سَنَةً فِي الأَرْضِ،
جَزَاءً لِعِصْيَانِهِمْ وَجُبْنِهِمْ
لِأَنَّ مُوسَى عليه السلام قَالَ لَهُمْ:

"ادْخُلُوا الأَرْضَ المقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ"
أي :فُرِضَ وَأُمِرَ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى:
"كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ"
أي: فُرِضَ عَلَيْكُمْ، وَلَيْسَ مَعْنَاهُ أَنَّ مِلَّكَهَا لَهُمْ.

أي كَتَبَ عَلَيْكُمْ سُبْحَانَهُ وَفَرَضَ أَنْ تَدْخُلُوهَا مُجَاهِدِينَ، مُطِيعِينَ لِنَبِيِّكُمْ، فَإِذَا خَالَفْتُمْ ذَٰلِكَ، حَقَّ عَلَيْكُمُ العُقُوبَةُ.
وَهُمْ خَالَفُوا وَعَصَوْا،
لِذَٰلِكَ فَإِنَّ دَعْوَىٰ اليَهُودِ أَنَّ الأَرْضَ المقَدَّسَةَ مِلْكٌ لَهُمْ لِقَوْلِهِ تَعَالَى:
"**كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ**"، لَا صِحَّةَ لَهَا

وَيَظْهَرُ أَنَّ الأَرْبَعِينَ سَنَةً مِنَ التَّيْهِ، إِنَّمَا هِيَ لِضَمَانِ فَنَاءِ جِيلِ الجُبْنِ وَالذِّلَّةِ، وَنَشْأَةِ جِيلٍ جَدِيدٍ يَحْمِلُ العَقِيدَةَ وَالعَصَبِيَّةَ وَالقُدْرَةَ عَلَى النَّصْرِ.

فَالطَّاعَةُ شَرْطُ التَّمْكِينِ، وَالخَوْفُ وَالجُبْنُ قَدْ يَحْرِمَانِ الأُمَمَ مِنَ البَرَكَاتِ، وَأَنَّ الجيلَ لَا يُبْنَى إِلَّا عَلَى الإِيمَانِ وَالعَمَلِ، لَا عَلَى الأَنسَابِ وَالدَّعَوَىٰ.

القرآن الكريم، سورة المائدة، سورة المائدة: ٢١-٢٦ وَكُتُب التفسير.

عَنْ بِدَايَةِ الفِتْنَةِ فِي الأَرْضِ... وَعَنْ أَوَّلِ دَمٍ سُفِكَ ظُلْمًا

كَانَتْ أُمُّنَا حَوَّاءُ تَلِدُ فِي كُلِّ بَطْنٍ ذَكَرًا وَأُنْثَىٰ،
وَكَانَ آدَمُ يُزَوِّجُ ذَكَرَ هَذَا الْبَطْنِ أُنْثَى الْبَطْنِ الْآخَرِ،
وَلَا يَحِلُّ لِلذَّكَرِ نِكَاحُ تُؤَامَتِهِ.

فَوَلَدَ مَعَ قَابِيلَ أُخْتٌ جَمِيلَةٌ،
وَوَلَدَ مَعَ هَابِيلَ أُخْتٌ دُونَ ذَلِكَ،
فَأَبَىٰ قَابِيلُ إِلَّا أَنْ يَتَزَوَّجَ تُؤَامَتَهُ لا تُؤَامُ هَابِيلَ.

وَتَنَازَعَ قَابِيلُ وَهَابِيلُ فِي ذَلِكَ، فَاتَّفَقَا أَنْ يُقَدِّمَا قُرْبَانًا، فَأَيُّهُمَا قُبِلَ قُرْبَانُهُ تَزَوَّجَهَا.

وَالْقُرْبَانُ الَّذِي قَرَّبَاهُ هُوَ زَرْعٌ لِقَابِيلَ وَكَبْشٌ لِهَابِيلَ، فَتَقَبَّلَ مِنْ هَابِيلَ وَلَمْ يَتَقَبَّلْ قَابِيلَ.

وَكَانَتْ عَلَامَةُ التَّقَبُّلِ أَنْ تَأْكُلَ نَارٌ نَازِلَةٌ مِنَ السَّمَاءِ الْقُرْبَانَ الْمُتَقَبَّلَ وَتَتْرُكَ غَيْرَ الْمُتَقَبَّلِ.

فَقَالَ قَابِيلُ مُتَوَعِّدًا هَابِيلَ: "لَأَقْتُلَنَّكَ بِسَبَبِ قُبُولِ قُرْبَانِكَ".

فَقَالَ لَهُ نَاصِحًا وَمُرْشِدًا:
"إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ، إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ الْأَعْمَالَ مِنْ عِبَادِهِ الْمُتَّقِينَ،
وَلَيْسَ مِنَ الْحَاسِدِينَ. فَلِمَ تَقْتُلُنِي؟
"لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي، مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ، إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ".

فَزَيَّنَ لِقَابِيلَ نَفْسُهُ أَنْ يَقْتُلَ أَخَاهُ، فَقَتَلَهُ، وَلَمْ يَدْرِ كَيْفَ يَصْنَعُ بِهِ،
لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَيِّتٍ مَاتَ مِنْ بَنِي آدَمَ.
فَأَرْسَلَ اللَّهُ غُرَابًا يَحْفِرُ حُفْرَةً فِي الْأَرْضِ لِيَدْفِنَ فِيهَا غُرَابًا مَيِّتًا، لِيَدُلَّ قَابِيلَ كَيْفَ يَدْفِنُ جُثْثَ أَخِيهِ.

فَقَالَ:
"يَا وَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ".

فَدَفَنَ قَابِيلُ أَخَاهُ، وَعَاقَبَهُ اللَّهُ بِالنَّدَمِ.
قِيلَ: إِنَّهُ النَّدَمُ الَّذِي يَعْرِضُ لِكُلِّ إِنْسَانٍ يَرْتَكِبُ خَطَأً، وَلَيْسَ نَدَمَ التَّوْبَةِ.

وَلِأَنَّ الْأَسْبَابَ الَّتِي أَدَّتْ إِلَىٰ قَتْلِ قَابِيلَ لِهَابِيلَ مِنْ أَهَمِّهَا الْحَسَدُ،
وَهُوَ رَذِيلَةٌ مَعْرُوفَةٌ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، أَتْبَعَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قِصَّةَ قَابِيلَ وَهَابِيلَ بِقَوْلِهِ:
﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ
أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ المائدة: ٣٢
وَفِي كُلِّ ذَلِكَ تَنْبِيهٌ لَنَا حَتَّى لَا نَسْتَغْرِبَ مَا نَرَاهُ مِنْ عِنَادٍ، وَمَكْرٍ، وَأَذًى، وَسَفْكٍ لِلدِّمَاءِ عَلَى أَيْدِي الْيَهُودِ الْمُعَاصِرِينَ.
فَقَدْ كَانَ الْحَسَدُ هُوَ الَّذِي مَنَعَ أَسْلَافَهُمْ مِنِ اتِّبَاعِ النَّبِيِّ ﷺ،
رَغْمَ أَنَّهُمْ يَعْرِفُونَ صِدْقَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ، وَمَعَ ذَلِكَ كَفَرُوا بِهِ، وَجَحَدُوا رِسَالَتَهُ.

وَهَا هُمْ أَحْفَادُهُمْ الْيَوْمَ، لَا يَزَالُونَ عَلَى ذَاتِ الطَّرِيقِ:
عِنَادٌ، وَمَكْرٌ، وَعَدَاوَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ،
رَغْمَ مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ ضَعْفٍ، وَتَفَرُّقٍ، وَتَشَتُّتٍ،
إِلَّا أَنَّهُ شَقَّ عَلَيْهِمْ أَنْ يَرَوْا فِي هَذَا الْعَالَمِ أُنَاسًا مُتَمَسِّكِينَ بِعَقِيدَتِهِمْ، ثَابِتِينَ عَلَى تَوْحِيدِهِمْ.

فَهُمْ – وَقَدْ غَرِقُوا فِي مَفَاسِدِهِمْ، وَاتَّبَعَهُمْ أَكْثَرُ النَّاسِ–
لَمْ يَبْقَ فِي وَجْهِهِمْ إِلَّا الْمُسْلِمُونَ الَّذِينَ ثَبَتُوا عَلَى الْحَقِّ،
فَكَانَ حِقْدُهُمْ عَلَى الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ عَظِيمًا،
يُحْرِقُونَ الْمَسَاجِدَ، وَيَعْتَدُونَ عَلَى الْمُقَدَّسَاتِ،
وَيَتَمَنَّوْنَ لَوِ اسْتَطَاعُوا أَنْ يُخْرِجُونَا مِنْ دِينِنَا.
قَالَ تَعَالَى:
﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا
حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ البقرة: ١٠٩

وَعْدُ الفَتْحِ وَتَحْقِيقُ مُلْكِ فَارِسَ وَالرُّومِ

لَمَّا فَتَحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَكَّةَ المكَرَّمَةَ، وَرَفْرَفَتْ رَايَاتُ النُّورِ فِي أَرْجَاءِ الجَزِيرَةِ، وَعَدَ أُمَّتَهُ وَعْدًا عَظِيمًا:
"إِنَّ اللهَ سَيَفْتَحُ عَلَيْكُمْ مُلْكَ فَارِسَ وَالرُّومِ". *المستدرك*

فَمَا كَانَ مِنَ المنَافِقِينَ وَاليَهُودِ إِلَّا أَنْ اسْتَهْزَؤُوا، وَقَالُوا بِاسْتِهْزَاءٍ وَتَكْذِيبٍ:
"هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ! مِنْ أَيْنَ لِمُحَمَّدٍ مُلْكُ فَارِسَ وَالرُّومِ؟! هُمْ أَعَزُّ وَأَمْنَعُ. أَلَمْ يَكْفِهِ مَكَّةُ وَالمدِينَةُ، حَتَّى يَطْمَعَ فِي مُلْكِ فَارِسَ وَالرُّومِ؟"!

فَنَزَلَ قَوْلُ اللهِ تَعَالَى رَدًّا عَلَى تَكْذِيبِهِمْ، وَتَثْبِيتًا لِوَعْدِ نَبِيِّهِ ﷺ، وَدَحْرًا لِشُكُوكِهِمْ:
﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَالِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَاءُ ﴾ *آل عمران: ٢٦ تفسير ابن كثير*
وَقَالَ تَعَالَى:
﴿ هُوَ ٱلَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾
التوبة: ٣٣

وَلَمْ تَكُنْ إِلَّا بَضْعَ سِنِينَ حَتَّى فُتِحَتِ اليَمَنُ وَالشَّامُ وَمِصْرُ وَالعِرَاقُ وَفَارِسُ وَالرُّومُ،
وَدَانَتْ لِلْمُسْلِمِينَ الأَرْضُ وَأَهْلُهَا، وَأَتَتْهُمُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ.

وَعِنْدَمَا نَرْجِعُ لِتَارِيخِ الإِسْلَامِ، نَرَى أَنَّ المسْلِمِينَ قَدْ هُزِمُوا فِي بَعْضِ المعَارِكِ،
وَلَكِنَّ أَحْكَامَ دِينِهِمْ لَمْ تُهْزَمْ وَلَمْ تُكْسَرْ.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:
"إِنَّ اللهَ زَوَى لِي الأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا".
رواه مسلم

فَسَتَعْلُو حَقَائِقُ الإِسْلَامِ وَتَسْقُطُ كُلُّ الأَكَاذِيبِ،
فَصَوْلَةُ البَاطِلِ مَهْمَا عَظُمَتْ، وَقُوَّتُهُ، مَهْمَا بَلَغَتْ، مَصِيرُهَا الزَّوَالُ وَالفَشَلُ وَالبَوَارُ.

وَإِنَّ الحَقَّ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ يَوْمٍ تَعْلُو فِيهِ رَايَتُهُ، وَتَرْتَفِعُ كَلِمَتُهُ، وَتُقَامُ دَوْلَتُهُ العَظِيمَةُ،
كَمَا قَالَ ﷺ:
"بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ، عِزًّا يُعِزُّ اللهُ بِهِ الإِسْلَامَ، وَذُلًّا يُذِلُّ اللهُ بِهِ الكُفْرَ". رَوَاهُ أَحْمَد

عَنْ عَمْرِو بْنِ العَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ:
سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ:
"تَقُومُ السَّاعَةُ وَالرُّومُ أَكْثَرُ النَّاسِ".
قَالَ الرَّاوِي: فَقُلْتُ لَهُ: أَبْصِرْ مَا تَقُولُ!
قَالَ: أَقُولُ مَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، ثُمَّ قَالَ:
"إِنَّ فِيهِمْ لَخِصَالًا أَرْبَعًا:
أَحْلَمُ النَّاسِ عِنْدَ فِتْنَةٍ، وَأَسْرَعُهُمْ إِفَاقَةً بَعْدَ مُصِيبَةٍ،
وَأَوْشَكُهُمْ كَرَّةً بَعْدَ فَرَّةٍ، وَخَيْرُهُمْ لِمِسْكِينٍ وَيَتِيمٍ وَضَعِيفٍ،
وَخَصْلَتُهُمُ الخَامِسَةُ: وَأَمْنَعُهُمْ مِنْ ظُلْمِ المُلُوكِ". رَوَاهُ مُسْلِم

وَقَدِ اسْتَنْبَطَ العُلَمَاءُ مِنْ هَذَا الحَدِيثِ أَنَّ الرُّومَ يُسْلِمُونَ فِي آخِرِ الزَّمَانِ، لِمَا فِيهِمْ مِنْ صِفَاتٍ لَا تَكَادُ تَجْتَمِعُ إِلَّا فِي أَهْلِ الإِيمَانِ الصَّادِقِ.
وَيُؤَيِّدُهُ قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ:
"وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! لَوْ كَانَ الإِيمَانُ عِنْدَ الثُّرَيَّا، لَتَنَاوَلَهُ رِجَالٌ مِنْ هَؤُلَاءِ". رَوَاهُ البُخَارِيُّ
يَعْنِي: فَارِسَ وَالرُّومَ.

فَالزَّمَنُ القَادِمُ يَحْمِلُ مُتَغَيِّرَاتٍ عَظِيمَةً،
لَكِنَّ ذَلِكَ لَنْ يَكُونَ إِلَّا بَعْدَ الفِتَنِ وَالِابْتِلَاءَاتِ الَّتِي تُمَحِّصُ الأُمَّةَ،
لِيُعْرَفَ فِيهَا الصَّادِقُ مِنَ الكَاذِبِ، وَالمُتَمَسِّكُ بِالوَحْيِ مِنَ المُفَرِّطِ.

﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ يُوسُف: ٢١

مَجْدُنَا حِينَ كُنَّا لِلَّهِ

حينَ انتَصَرَ المُسلِمُونَ على الرُّومِ في وَقْعَةِ اليرموكِ،
وَقَفَ **مَلِكُ الرُّومِ** يَتَأَمَّلُ بِمَرَارَةِ هَزِيمَتِهِ المنكَرَةِ،
وَقَدْ عَصَرَتْ قَلْبَهُ الحَسْرَةُ، وَمَلَأَ صَدْرَهُ الغَيْظُ.

صَاحَ فِي فُلُولِ جَيْشِهِ المهْزُومِ:

"وَيْلَكُمْ! أَخْبِرُونِي عَنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ،
أَلَيْسُوا بَشَرًا مِثْلَكُمْ؟"!

قَالُوا: بَلَى، أَيُّهَا المِلِكُ.
قَالَ: أَأَنْتُمْ أَكْثَرُ، أَمْ هُمْ؟
قَالُوا: نَحْنُ أَكْثَرُ مِنْهُمْ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ.
قَالَ: فَمَا بَالُكُمْ تَنْهَزِمُونَ؟!

فَقَالَ أَحَدُ عُظَمَائِهِمْ كَاشِفًا **الحَقِيقَةَ المُرَّةَ:**

"**إِنَّهُمْ يَهْزِمُونَنَا، لأَنَّهُمْ:**
- **يَقُومُونَ اللَّيْلَ،**
- **وَيَصُومُونَ النَّهَارَ،**
- **وَيُوفُّونَ بِالعَهْدِ،**
- **وَيَتَنَاصَفُونَ بَيْنَهُمْ**". *"تَارِيخ الأُمَمِ وَالمُلُوكِ*

هَكَذَا كَانُوا...
بِتِلْكَ **السّجَايَا العظِيمَةِ، وَالخِصَالِ الكَرِيمَةِ،**
رُسِمَتْ **أَقْوَاسُ النَّصْرِ،**
وَأَقَامُوا **حَضَارَةَ الإِسْلَامِ العَالَمِيَّةَ،**

وَدَانَتْ لَهُمُ **الأَرْضُ وَأَهْلُهَا**،
وَأَتَتْهُمُ **الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ!**

نُشَاهِدُ الأَتْرَاكَ كُلَّ عَامٍ يُنْثِرُونَ **بُذُورَ القَمْحِ عَلَى رُؤُوسِ الجِبَالِ**،
عَادَةً تَوَارَثُوهَا مُنْذُ عَهْدِ **الخَلِيفَةِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ العَزِيزِ** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ،
لِئَلَّا تَجُوعَ **الطُّيُورُ!**

فَبِاللهِ عَلَيْكُمْ...

- هَلْ هُنَاكَ دَوْلَةٌ **نَثَرَتْ رِزْقَهَا عَلَى رُؤُوسِ الجِبَالِ** رَحْمَةً بِمَخْلُوقَاتِ اللهِ؟
- وَهَلْ وَجَدْتُمْ دَوْلَةً **بَحَثَتْ عَنْ فُقَرَائِهَا فَلَمْ تَجِدْهُمْ**، فَوَضَعَتِ الأَمْوَالَ فِي الطُّرُقَاتِ؟
- وَهَلْ سَمِعْتُمْ عَنْ **حَاكِمٍ نَامَ فِي الطُّرُقَاتِ** دُونَ حُرَّاسٍ؟

ثُمَّ نَسْأَلُ أَنفُسَنَا:

هَلْ سَجَّلْنَا نَصْرًا وَاحِدًا مُنْذُ ابْتَعَدْنَا عَنْ الدِّينِ؟

قَالَ **عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

"**نَحْنُ قَوْمٌ أَعَزَّنَا اللهُ بِالإِسْلَامِ،**
فَمَهْمَا ابْتَغَيْنَا العِزَّةَ بِغَيْرِهِ، أَذَلَّنَا اللهُ".

الطَّرِيقُ وَاضِحٌ...
العِزَّةُ لِمَن أَطَاعَ اللهَ،
وَالذِّلُّ لِمَن بَاعَ دِينَهُ بِدُنْيَا غَيْرِهِ...

فَمَتَى نَعُودُ؟ فَمَتَى نَصْرُنَا؟
حِينَ **صَمْنَا وَقُمْنَا، وَصَدَقْنَا وَعُدْنَا**...

حَرَسَكَ اللهُ يا أَبَا أَيُّوب

فِي لَيْلَةٍ هادِئَةٍ مِنْ لَيَالِي المدِينَةِ، **لَيْلَةَ زَوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ السَّيِّدَةِ صَفِيَّةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا**، وَكَانَتْ قَدْ أَسْلَمَتْ حَدِيثًا بَعْدَ أَنْ فَقَدَتْ أَهْلَهَا فِي غَزْوَةِ خَيْبَر...

وَقَفَ سَيِّدُنَا **أَبُو أَيُّوبَ الأَنْصَارِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَاهِرًا، حَارِسًا عِنْدَ بَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ**، دُونَ أَنْ يُطْلَبَ مِنْهُ ذَلِكَ، وَلَا عِلْمَ لِلنَّبِيِّ ﷺ بِهِ.

خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ فِي اللَّيْلِ وَقَدْ أَحَسَّ بِشَيْءٍ، فَإِذَا بِأَبِي أَيُّوب وَاقِفًا يَحْمِلُ سِلَاحَهُ، فَقَالَ لَهُ:

"مَا الَّذِي تَفْعَلُهُ يَا أَبَا أَيُّوبَ؟"

قَالَ:

"يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّهَا حَدِيثَةُ عَهْدٍ بِكَفْرٍ، وَقَدْ قُتِلَ أَهْلُهَا، فَأَشْفَقْتُ أَنْ يُصِيبَكَ مِنْهَا سُوءٌ، فَوَقَفْتُ أُحْرِسُكَ".

فَقَالَ لَهُ ﷺ:

"حَرَسَكَ اللَّهُ يَا أَبَا أَيُّوب حَيًّا وَمَيِّتًا". *رَوَاهُ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ*

تَمُرُّ السِّنَوَاتُ، وَيَخْرُجُ أَبُو أَيُّوبَ الأَنْصَارِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **مُجَاهِدًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ**، يُشَارِكُ فِي **حَمْلَةٍ لِفَتْحِ القُسْطَنْطِينِيَّةِ** تَحْتَ رَايَةِ الإِسْلَامِ، وَيُصَابُ فِي المعْرَكَةِ، وَيَمُوتُ **شَهِيدًا** عِنْدَ أَسْوَارِ المدِينَةِ الَّتِي **بَشَّرَ النَّبِيُّ ﷺ بِفَتْحِهَا**.

فَقَالَ قَبْلَ وَفَاتِهِ:

"إِذَا أَنَا مِتُّ، فَاحْمِلُونِي، فَإِذَا بَلَغْتُمْ أَسْوَارَ القُسْطَنْطِينِيَّةِ فَادْفِنُونِي تَحْتَ أَقْدَامِهَا".

فَكَانَ لَهُ مَا أَرَادَ، وَدُفِنَ عَلَى مُشَارِفِهَا، وَفِي أَرْضِ الرُّومِ.

ثُمَّ جَاءَ التَّهْدِيدُ...

أَرْسَلَ قَيْصَرُ الرُّومِ إِلَى الخَلِيفَةِ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ:

"قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ صَاحِبَكُمْ دُفِنَ عِنْدَ أَسْوَارِنَا، وَلَئِنْ لَمْ تُبْعِدُوهُ، لَأَنْبُشَنَّ قَبْرَهُ، وَلَأُلْقِيَنَّ بِجَسَدِهِ لِلْكِلَابِ".

فَرَدَّ عَلَيْهِ يَزِيدُ بِحَزْمٍ وَعِزَّةٍ:

"وَاللَّهِ لَئِنْ مَسَسْتُمْ قَبْرَهُ، لَأَنْبُشَنَّ قُبُورَ مُلُوكِكُمْ، قَبْرًا قَبْرًا، وَلَأُبْعَثَنَّ إِلَيْكُمْ جَيْشًا يَأْتِينِي بِرَأْسِكَ".

فَارْتَعَدَ القَيْصَرُ، وَأَرْسَلَ مُعْتَذِرًا:

"بَلْ نَجْعَلُ عَلَى قَبْرِهِ حَارِسًا يَحْرُسُهُ"!

وَمِنْ يَوْمِهَا...

وُضِعَ حَارِسٌ عَلَى قَبْرِ أَبِي أَيُّوبَ الأَنْصَارِيِّ،

وَبُنِيَ لَهُ ضَرِيحٌ وَمَسْجِدٌ يُعْرَفُ اليَوْمَ فِي إِسْطَنْبُولَ، يُعَظِّمُهُ المُسْلِمُونَ، وَيُوَقِّرُهُ الحُكَّامُ،

تَحْقِيقًا لِبُشْرَى النَّبِيِّ ﷺ:

"حَرَسَكَ اللَّهُ حَيًّا وَمَيِّتًا".

وَالْيَوْمَ، كَمَا أُقِيمَ الحَارِسُ عَلَى قَبْرِ أَبِي أَيُّوبَ،

فَقَدْ بَشَّرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِبُشْرَى أَعْظَم...

بِأَنَّ اللَّهَ **سَيُقِيمُ عَلَى بَيْتِ المَقْدِسِ وَأَكْنَافِهِ مَنْ يَحْرُسُهُ وَيُرَابِطُ فِيهِ.**

قَالَ ﷺ:

"لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الحَقِّ ظَاهِرِينَ، لِعَدُوِّهِمْ قَاهِرِينَ، لَا يَضُرُّهُمْ مِنْ خَذَلَهُمْ، وَلَا مَا أَصَابَهُمْ مِنْ لَأْوَاءٍ – أَيْ: جُوعٍ أَوْ بَلَاءٍ – حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ".

قِيلَ: أَيْنَ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟

قَالَ:

"بِبَيْتِ المَقْدِسِ وَأَكْنَافِ بَيْتِ المَقْدِسِ". رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ وَغَيْرُهُ

فَيَا أَبْنَاءَ فِلَسْطِينَ، وَيَا أَهْلَ الأَقْصَى، وَيَا مَنْ فِي الأَكْنَافِ:

اصْبِرُوا، وَصَابِرُوا، وَرَابِطُوا، وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ.

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، هُوَ مَوْلَانَا، وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ.

عامُ الرَّمَادَةِ... وَعَامُ الضَّمِيرِ

في عامِ الرَّمَادَةِ...
حَلَّ الجَفَافُ بِالأَرْضِ،
وَجَفَّتِ العُيُونُ مِنَ الدَّمْعِ،
وَجَاعَ النَّاسُ حَتَّى **اسْوَدَّتِ الأَرْضُ** مِنَ الجَدْبِ،
فَشُبِّهَتْ بِالرَّمَادِ.

كان ذلك **زمنَ خِلَافَةِ الفَارُوقِ عُمَرَ** رضي الله عنه،
وَكَانَتِ **المَدِينَةُ تَئِنُّ بِالجُوعِ وَالعَطَشِ،**
نَفَدَ مَا فِي بَيْتِ المَالِ،
وَخَلَت بُيُوتُ النَّاسِ مِن الزَّادِ.

فَمَاذَا فَعَلَ **أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ؟**
رَكَعَ؟ اسْتَسْلَمَ؟
لَا وَاللَّهِ!
بل كَتَبَ إلى عُمَّالِهِ فِي الأَمْصَارِ يَسْتَغِيثُ: "**يَا غَوْثًا لِأُمَّةِ مُحَمَّدٍ**"!

فَجَاءَ **الرِّجَالُ،**
وَجَاءَ **أَبُو عُبَيْدَةَ** فِي أَرْبَعَةِ آلَافِ رَاحِلَةٍ،
وَتَدَافَعَتِ الأَمْصَارُ بِالقَمْحِ وَالطَّعَامِ،
فَاسْتَفَاقَتِ المَدِينَةُ، وَنَهَضَتِ الأُمَّةُ. موسوعة *"الأخلاق والسياسة"*

هَكَذَا كَانُوا...
إِذَا اشْتَكَى عُضْوٌ، **تَدَاعَى لَهُ الجَسَدُ كُلُّهُ،**
كَمَا قَالَ **رَسُولُ اللهِ** ﷺ:

"**ما آمَنَ بِي مَن بَاتَ شَبْعَانًا، وَجارُهُ جَائِعٌ إِلَى جَنْبِهِ، وَهُوَ يَعْلَمُ بِهِ**". *رواه الطبراني*

فَهَلْ **نُؤْمِنُ كَمَا آمَنُوا**؟ هَلْ نَشْعُرُ بِغَيْرِنَا كَمَا شَعَرُوا؟
فَالْيَوْمَ...
عَامُ رَمَادَةٍ جَدِيدٌ!
نَعَم، فِي المسْتَشْفَيَاتِ:
مَرْضَى **فُقَرَاءُ** لَا يَجِدُونَ ثَمَنَ الدَّوَاءِ.

فِي الجَامِعَاتِ:
طُلَّابُ عِلْمٍ يَهْدِّدُهُمُ الفَقْرُ، فَلَا شَهَادَةَ، وَلَا مُسْتَقْبَلَ.

فِي الحَارَاتِ:
أَرَامِلُ وَأَيْتَامٌ،
تَرْتَفِعُ أَبْصَارُهُمْ نَحْوَ قُلُوبٍ تَرَاكَمَتْ فِيهَا الأَمْوَالُ ...**لَكِنْ قَسَتْ.**

فَمَتَى نَفِيقُ؟
وَمَتَى نَعُودُ إِلَى صَوَابِنَا؟
وَمَتَى نَتَصَالَحُ مَعَ الزَّكَاةِ؟
وَمَتَى نُعِيدُ لِلصَّدَقَةِ وَهْجَهَا الرَّحِيمَ؟

لِنُشْعِرَ **كُلَّ مَنْكُوبٍ، كُلَّ فَقِيرٍ، كُلَّ أَرْمَلَةٍ، كُلَّ يَتِيمٍ...**
أَنَّهُ **لَيْسَ** مَنْسِيًّا **فِي أُمَّةِ التَّرَاحُمِ،**
أَنَّهُ **جُزْءٌ مِنَ الجَسَدِ، لَا خَارِجَ السُّورِ.**

"**وَلَنْ تَجُوعَ أُمَّةٌ شِعَارُهَا التَّرَاحُمُ، وَدِينُهَا دِينُ مُحَمَّدٍ ﷺ**".
فَهَذَا **وَعْدٌ لَا يَتَخَلَّفُ.**

ثلاثةُ أَحْداثٍ مُتلاحِقة... وَبِشارةُ الخِلافةِ

عن **جابرٍ رضي الله عنه** قال:

"يُوشكُ أهلُ العراقِ أن لا يُجبى إليهم قَفِيزٌ ولا دِرهمٌ".

قلنا: من أين ذلك؟ قال" :**من قِبَلِ العجمِ يمنعونَ ذلك"**.

ثم قال: "**ويُوشكُ أهلُ الشامِ أن لا يُجبى إليهم مُدِيٌّ ولا دينارٌ**".

قلنا: من أين ذلك؟ قال" :**من قِبَلِ الرومِ**".

ثم سكتَ هُنَيْهَةً، ثم قال:

"**يكونُ في آخرِ أُمَّتي خليفةٌ يَحثو المالَ حَثْوًا، لا يَعُدُّهُ عَدًّا**".*رواه مسلم*

هذا الحديثُ الشريفُ يرسمُ **ثلاثَ محطّاتٍ تاريخيّةٍ كبرى:**

حصارُ العراق: وقد وقع فعلاً، وتمثّل في **الحصارِ الاقتصاديّ والسياسيّ والعسكريّ** الذي طالَ البلادَ عقودًا.

حصارُ الشام: وهو واقعٌ اليومَ، يشمل **سوريا ولبنان وفلسطين**، ويزدادُ تضييقًا وفتكًا يومًا بعد يوم.

ثم الخِلافة: وهي البِشارةُ العُظمى :**خليفةٌ يحثو المالَ حثوًا** من وفرةٍ وعدل، **لا يَعُدُّه عَدًّا** من كثرةِ الخيراتِ، وانهيارِ نظامِ الجورِ العالمي.

إنها إشارةٌ إلى **زوال الطغيان**، وسُقوط **النظام العالمي الظالم**، وزوال الأكاذيب التي رُوِّج لها، وقيام **دولة العدل على منهاج النبوة**، التي تعلن في أرجاء الأرض قول الله تعالى:

﴿ **وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ۚ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا** ﴾*الإسراء: ٨١*

عن **عمرو بن العاص رضي الله عنه** قال:

سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: "**تقومُ الساعةُ والرومُ أكثرُ الناسِ**".

قال الراوي: قلتُ: أبصرْ ما تقول؟

قال: "**أقولُ ما سمعتُ من رسولِ الله ﷺ، لَئِن قلتُ ذلك، فإنَّ فيهم لَخِصالًا أربعًا:**

إنهم لَأحلمُ الناسِ عند فتنة، وأسرعُهم إفاقةً بعد مصيبة، .وأوشكُهم كَرَّةً بعد فَرَّة، .وخيرُهم لمسكينٍ ويتيمٍ وضعيف، .وخامسةٌ: وأمنعُهم من ظُلمِ الملوك". *رواه مسلم*

استنبط العلماء من هذا الحديث أنّ **الروم (أوروبا وأمريكا)** سيُسلِمون في آخر الزمان،
لما فيهم من صفاتٍ أخلاقيّةٍ **لا تجتمع إلا في أهلِ الإيمان الحقيقي**، وهذا يتوافق مع قوله ﷺ:

"والذي نفسي بيده! لو كان الإيمان عند الثُّريّا لتناولَه رجالٌ من هؤلاء". *رواه البخاري ومسلم*
يعني: من فارسَ والروم
فالدنيا لا تدوم على حال، ولا خلودَ لدولةٍ، ولا بقاءَ لهيمنةٍ،
فكما زالتْ **دول الظلم القديمة**، ستزول **أنظمة الطغيان المعاصرة**. وسينقلب ميزانُ القوّة، ويعود النور إلى الأمّة،

فَالدُّوَلُ كَالبَشَرِ... لَهَا أَجَلٌ وَمَصِير قالَ تعالى:﴿ **وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ** ﴾ *الأعراف: ٣٤*
تُولَدُ، ثم تَنمُو، ثم تَهرمُ وتَفنَى...و**دولةُ يَهود** لَها أجلٌ، وستفنى كما فَنِيَ غيرُها،
بل حتّى **دولةُ المصطفى** ﷺ مرّت بمراحلها وأطوارها. عن النبي ﷺ قال:
"تكونُ النبوّةُ فيكم ما شاء اللهُ أن تكون، ثم يرفعُها إذا شاء أن يرفعها،
ثم تكونُ خلافةً على منهاج النبوّة، ثم تكونُ مُلكًا عاضًّا،
ثم تكونُ مُلكًا جبريًّا، ثم تكونُ خلافةً على منهاج النبوّة. ثم سَكَتَ". *رواه أحمد*

هذا الحديثُ فيه: **بِشارةٌ عظيمة** بعودة **الخلافة الراشدة** على منهاج النبوّة.
و**زوالُ الملكِ الجَبري** (الطغيان الحديث)، و**انتصارُ الحقّ** في نهاية المِطاف.
لَكِنَّكُم تَسْتَعْجِلُون. فكلُّ هذه الابتلاءاتِ ليست عشوائيّة، بل هي:
تمهيدٌ للفَتْحِ، وتهيئةٌ للتمكين، وتطهيرٌ للأرضِ من رِجسِ الكفرِ، والنفاقِ، والفساد.

قال الله تعالى
:﴿ **أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم** ﴾ *البقرة: ٢١٤*

قِصَّةُ الأوسِ والخزرجِ: مِن العَدَاوَةِ إِلَى الأُخُوَّةِ

فِي الجاهِلِيَّةِ، **كانَ بَيْنَ قَبِيلَتَيْ الأوسِ والخَزْرَجِ** قِتَالٌ شَدِيدٌ وَعَدَاوَةٌ مُسْتَحْكَمَةٌ، كانَتِ الدِمَاءُ تُرَاقُ، وَالأَحْقَادُ تَتَعَمَّقُ، حَتَّى جَاءَ الإِسْلَامُ يَنْشُرُ السَّلَامَ، وَيُبَدِّدُ الكَرَاهِيَةَ، فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ، وَصَارُوا إِخْوَةً بَعْدَ أَنْ كَانُوا أَعْدَاءً.

فِي ذَاتِ يَوْمٍ، جَلَسَ يَهُودِيٌّ خَبِيثٌ يُدْعَى شَاسُ بْنُ قَيْسٍ،
يَرَى هَذَا الجَمْعَ وَالمحَبَّةَ الَّتِي أَضَاءَتِ المدِينَةَ،
فَتَغَيَّظَ قَلْبُهُ، وَقالَ فِي سِرِّهِ:
"وَاللَّهِ ما لنا مَعَهُمْ إِذَا اجْتَمَعُوا مِنْ قَرَارٍ"!

فَأَرْسَلَ فَتًى يَهُودِيًّا لِيَنْدَسَّ بَيْنَهُمْ، لِيُوقِظَ ذِكْرَيَاتِ الجَاهِلِيَّةِ،
وَيُعِيدَ نَارَ الفِتْنَةِ إِلَى القُلُوبِ،
فَأَنْشَدَ فِي يَوْمِ بُعَاثِ شِعْرًا يَسْتَفِزُّ بِهِ الأوسَ وَالخَزْرَجَ،

حَتَّى اشْتَدَّتِ العَدَاوَةُ، وَتَفَاخَرَ كُلٌّ مِنْهُمْ بِأَيَّامِهِ وَبُطُولَاتِهِ، وَارْتَفَعَتِ الأَصْوَاتُ:
"تَعَالَوْا نُعِيدُ الحَرْبَ كَمَا كَانَتْ"!

فَجَاءَ النِدَاءُ:
"يَا آلَ أوس! يَا آلَ خَزْرَج"!

واجْتَمَعُوا، وَأَخَذُوا السِّلَاحَ، وَاصْطَفُّوا لِلْقِتَالِ!

وَصَلَ ذَلِكَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَخَرَجَ مُسْرِعًا بَيْنَهُمْ، وَاقِفًا فِي وَسَطِهِمْ،
يَرْفَعُ صَوْتَهُ بِأَعْلَى نَبْرَةِ حُبٍّ وَعِظَةٍ:

﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾. آل عمران: ١٠٣

فَلَمَّا سَمِعُوا كَلَامَهُ، سَكَنَت نُفُوسُهُمْ، وَأَلْقَوْا السِّلَاحَ، وَجَثَوْا يَبْكُونَ، وَعَانَقَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا. ابن كثير

وهَذِهِ الآيَةُ لَيْسَت حِكَايَةً مَاضِيَةً فَحَسْبُ، بَلْ هِيَ رِسَالَةٌ لِكُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ، لِكُلِّ أُمَّةٍ مُمَزَّقَةٍ، وَأَرْضٍ نَازِفَةٍ، وَأُمَّةٍ جَرِيحَةٍ:

- إِلَى العِرَاقِ الممَزَّقِ
- إِلَى الشَّامِ النَّازِفِ
- إِلَى الْيَمَنِ المتَأَلِّمِ
- إِلَى فِلَسْطِينَ المذْبُوحَةِ
- إِلَى البَيْتِ العَتِيقِ الَّذِي أَحَاطَت بِهِ الأَخْطَارُ

أَيْنَ أَنتُمْ مِن قَوْلِ اللهِ تَعَالَى؟

﴿ **وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا** ﴾ *آل عمران: ١٠٣*

وَأَيْنَ أَنتُمْ مِن قَوْلِهِ؟

﴿ **إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ** ﴾ *الأنبياء: ٩٢*

الوَحْدَةُ وَالعِبَادَةُ وَجْهَانِ لِعُمْلَةٍ وَاحِدَةٍ،
فَكَأَنَّ عِبَادَةَ اللهِ لَا تَتِمُّ إِلَّا بِوَحْدَةِ الأُمَّةِ،
فَمَن يُرِدْ أَنْ يَعْبُدَ اللهَ حَقَّ العِبَادَةِ،
عَلَيْهِ أَوَّلًا أَنْ يُسْقِطَ رَايَاتِ التَّفَرُّقَةِ،
وَيَشُدَّ عَلَى حَبْلِ اللهِ مَعَ جَمَاعَةِ المؤْمِنِينَ.

فَالوَحْدَةُ سَبِيلُ النَّصْرِ، وَالتَّفَرُّقُ سَبَبُ الهَزِيمَةِ،
وَالْإِيمَانُ الحَقِيقِيُّ هُوَ الَّذِي يَجْمَعُ وَلَا يُفَرِّقُ.

دَرْسٌ مِنْ غَزْوَةِ أُحُدٍ: النَّصْرُ بَيْنَ الطَّاعَةِ وَالانْصِرَافِ

بَعْدَ أَنْ عَادَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ غَزْوَةِ أُحُدٍ، وَقَدْ أُصِيبَ الْمُسْلِمُونَ بِجُرْحٍ نَفْسِيٍّ وَجَسَدِيٍّ، تَسَاءَلَ بَعْضُ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ:

مِنْ أَيْنَ أَصَابَنَا هَذَا؟
وَقَدْ وَعَدَنَا اللهُ بِالنَّصْرِ، وَنَحْنُ عَلَى الْحَقِّ؟

فَكَانَ الْجَوَابُ الإِلَهِيُّ مِنَ السَّمَاءِ، آيَةً خَالِدَةً تُتْلَى إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ:
﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ ﴾
﴿ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ ﴾ آل عمران: ١٥٢

أَي إِنَّ اللهَ أَنْجَزَ وَعْدَهُ بِالنَّصْرِ،
وَجَعَلَ الْمُسْلِمِينَ يُحَقِّقُونَ تَقَدُّمًا سَاحِقًا فِي بَدَايَةِ الْمَعْرَكَةِ، وَكَانُوا يَقْتُلُونَ الْمُشْرِكِينَ بِقُوَّةٍ وَعَزِيمَةٍ، بِإِذْنِ اللهِ وَتَأْيِيدِهِ.

وَلَكِنْ...
﴿ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ ﴾ آل عمران: ١٥٢

أَي حَتَّى إِذَا:

- **ضَعُفْتُمْ أَمَامَ الشَّهَوَاتِ**
- **تَنَازَعْتُمْ عَلَى الْغَنَائِمِ**
- **وَعَصَيْتُمْ أَمْرَ النَّبِيِّ ﷺ بِتَرْكِ الْمَوَاقِعِ الدِّفَاعِيَّةِ الَّتِي حَدَّدَهَا لَكُمْ**

وَقَعَ الانْكِسَارُ بَعْدَ النَّصْرِ!
فَالنَّصْرُ لَا يُحْفَظُ مَعَ الْمَعْصِيَةِ.
وَلَا يَأْتِي مِنَ الْعُدَّةِ وَالْعَدَدِ فَقَطْ،

بَلْ مِنْ طَاعَةِ اللهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ.
وَالْخِلَافُ وَاتِّبَاعُ الْهَوَى سَبَبٌ لِلْهَزِيمَةِ، حَتَّى وَلَوْ كُنْتُمْ عَلَى الْحَقِّ.

وَالْمُتَأَمِّلُ يَرَى أَنَّ ذُنُوبَنَا الْيَوْمَ أَضْعَافٌ مِمَّا جَرَى فِي أُحُدٍ،
فَكَيْفَ نَطْمَعُ فِي نَصْرٍ لَمْ نَدْفَعْ ثَمَنَهُ؟

بِذَنْبٍ وَاحِدٍ —وَهُوَ مُخَالَفَةُ أَمْرِ النَّبِيِّ ﷺ—
تَأَخَّرَ النَّصْرُ عَنْ خِيَارِ الْأُمَّةِ، وَصَفْوَتِهَا مِنَ الصَّحَابَةِ،
فَكَيْفَ بِحَالِنَا الْيَوْمَ، وَقَدْ كَثُرَتِ الذُّنُوبُ، وَتَفَشَّتِ الْمَعَاصِي، وَتَهَاوَنَّا بِالطَّاعَاتِ؟

فَالنَّصْرُ الْحَقِيقِيُّ لَا يُمْنَحُ بِالْقُوَّةِ، بَلْ بِالطَّاعَةِ،
وَالْهَزِيمَةُ لَا تَقَعُ مِنْ ضَعْفِ الْعَتَادِ، بَلْ مِنْ ضَعْفِ الْالْتِزَامِ.

لِذَلِكَ، إِنْ كُنْتَ تَشْكُو:
تَأَخُّرَ النَّصْرِ،
كَثْرَةَ الْبَلَاءِ،
غَلَبَةَ الْأَعْدَاءِ،

فَفَتِّشْ قَلْبَكَ، وَتَفَقَّدْ طَاعَتَكَ، وَاسْأَلْ نَفْسَكَ:
هَلْ أَنَا مِنْ أَنْصَارِ اللهِ؟

قَالَ تَعَالَى:
﴿ إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ ﴾ محمد: ٧

اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لَنَا أَحْوَالَنَا، فَإِنَّا لَا نَقْوَى عَلَى الضَّيَاعِ.

النُّعَاسُ فِي أَشُدِّ المَعارِكِ

لَمَّا وَقَعَتِ الهَزِيمَةُ فِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمَ أُحُد، وَكَثُرَ القَتْلُ فِيهِم، اشْتَدَّ الخَوْفُ، وَقَوِيَ الغَمُّ، وَضَاقَتِ الصُّدُورُ، وَسَادَ الحُزْنُ أَرْضَ المِعْرَكَةِ.

وَفِي ذَاكَ المِشْهَدِ الرَّهِيبِ، حَيْثُ القَتْلُ وَالدِّمَاءُ، وَالأَعْدَاءُ يَتَرَبَّصُونَ، وَالقُلُوبُ تَرْتَعِدُ...

أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ بِأَعْجَبِ نِعْمَةٍ:
أَنْزَلَ عَلَيْهِم نُعَاسًا وَأَمَانًا!

قال تعالى:
﴿ **ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ** ﴾ *آل عمران: ١٥٤*

سُبْحَانَ اللهِ!
نُعَاسٌ فِي قَلْبِ المَعْرَكَةِ؟!
سُكُونٌ وَطُمَأْنِينَةٌ فِي لَحْظَةِ المَوْتِ؟!

إِنَّهُ لُطْفُ اللهِ العَجِيبُ، وَرَحْمَةُ اللهِ بِعِبَادِهِ الصَّادِقِينَ.

قال **أبو طلحة الأنصاري** —رضي الله عنه — وكان ممّن شَهِدَ المِعْرَكَةَ:

"كُنْتُ فِيمَن تَغَشَّاهُمُ النُّعَاسُ يَوْمَ أُحُد، حَتَّى سَقَطَ سَيْفِي مِن يَدِي مِرَارًا، يَسْقُطُ وَآخُذُهُ، وَيَسْقُطُ وَآخُذُهُ". *رواه البخاري ومسلم*

إِنَّهَا **رَاحَةٌ رَبَّانِيَّةٌ** تَنْزِلُ عَلَى القُلُوبِ المؤْمِنَةِ، لِتَسْكُنَ وَتَثْبُتَ، وَتَسْتَعِيدَ قُوَّتَهَا بَعْدَ الغَمِّ وَالرَّجْفَةِ.

وَقَدِ اخْتَصَّ اللهُ بِهَذَا النُّعَاسِ **طَائِفَةً صَادِقَةً** مِنَ المجَاهِدِينَ، أَخْلَصُوا نِيَّتَهُمْ، وَصَدَقُوا اللهَ، وَأَرَادُوا وَجْهَهُ وَحْدَهُ،
فَأَكْرَمَهُمُ اللهُ بِالسَّكِينَةِ، وَجَعَلَهُم **آيَةً لِلطُّمَأْنِينَةِ فِي قَلْبِ الخَوْفِ**.

وَالطَّائِفَةُ الأُخْرَى...

﴿ **وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ** ﴾آل عمران: ١٥٤

هَؤُلَاءِ لَمْ تُغْشِهِمُ السَّكِينَةُ، وَلَا أَذَاقَهُمُ اللهُ النُّعَاسَ...

لِأَنَّهُمْ لَمْ يُخْلِصُوا، وَلَمْ يَكُنْ هَمُّهُمْ نُصْرَةَ الدِّينِ،
بَلْ كَانَ **الطَّمَعُ فِي الغَنَائِمِ، وَسُوءُ الظَّنِّ بِاللهِ** هُوَ المحَرِّكُ لَهُمْ.

قال تعالى:
﴿ **يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ** ﴾آل عمران: ١٥٤

تَوَهَّمُوا أَنَّ اللهَ لَنْ يَنْصُرَ نَبِيَّهُ، وَلَنْ تَعُودَ الغَلَبَةُ لِلْمُؤْمِنِينَ...
كَمَا كَانَ **أَهْلُ الجَاهِلِيَّةِ** يَظُنُّونَ.

نَعَم، قَدْ يُغْلَبُ المُؤْمِنُونَ أَحْيَانًا، وَيُصَابُوا بِالهَزِيمَةِ، وَقَدْ يُقْتَلُ الصَّادِقُونَ، وَتَضْطَرِبُ الأَحْوَالُ،
وَلَكِن:

﴿ **فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ** ﴾إبراهيم: ٤٧

التَّمْكِينُ وَعْد، وَالنَّصْرُ قَادِم، وَالعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ.

وَمَا **النُّعَاسُ** الَّذِي نَزَلَ فِي أَرْضِ المعْرَكَةِ، **إِلَّا آيَةٌ مِنْ آيَاتِ اللهِ،**
وتثبيتُ اللهِ لِعِبَادِهِ المُؤْمِنِينَ فِي أَحْلَكِ اللَّحَظَاتِ.
وأَنَّ **النَّصْرَ يَبْدَأُ مِنَ القَلْبِ،** قَبْلَ أَنْ يُكْتَبَ فِي الأَرْضِ.

الشِّفَاءُ بِالعَسَلِ: وَعْدُ اللهِ فِي القُرآنِ

يُخبرُ الصَّحابيُّ أَبُو سَعِيدِ الخُدْرِيّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَقَالَ لَهُ:
"يَا رَسُولَ اللهِ، أَخِي يَشْتَكِي مِنْ أَلَمٍ فِي بَطْنِهِ".
فَأَرْشَدَهُ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى أَنْ يَسْقِيهِ عَسَلًا، لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ عَنِ العَسَلِ:
﴿ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ ﴾ *النّحل: ٦٩*

فَأَعْطَى الرَّجُلُ أَخَاهُ العَسَلَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، لَكِنَّ أَخَاهُ لَمْ يَتَحَسَّنْ،
فَعَادَ الرَّجُلُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَكَأَنَّهُ بَدَأَ يَشُكُّ فِي فَائِدَةِ العَسَلِ، وَقَالَ:
"يَا رَسُولَ اللهِ، سَقَيْتُهُ وَلَمْ يَبْرَأْ".

فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ:
"صَدَقَ اللهُ، وَكَذَبَ بَطْنُ أَخِيكَ".
بَلْ فِي أَنَّ بَطْنَ أَخِيكَ لَمْ يَتَجَاوَبْ مَعَ العِلَاجِ بَعْدُ، وَقَدْ يَحْتَاجُ إِلَى جُرْعَةٍ إِضَافِيَّةٍ.

ثُمَّ قَالَ لَهُ:
"اسْقِهِ عَسَلًا مَرَّةً أُخْرَى".
فَسَقَاهُ، فَشَفَاهُ اللهُ. " *تفسير ابن كثير وغيره...*

فَالْعَسَلُ فِيهِ شِفَاءٌ حَقِيقِيٌّ، كَمَا أَخْبَرَ اللهُ تَعَالَى.
أَحْيَانًا لَا يَكْفِي عِلَاجُ المرِيضِ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ، بَلْ يَحْتَاجُ إِلَى تِكْرَارِ العِلَاجِ حَتَّى يَظْهَرَ أَثَرُهُ.
الدَّوَاءُ نَافِعٌ بِلَا شَكٍّ، **وَلَكِنْ أَحْيَانًا المرَضُ يَحْتَاجُ وَقْتًا أَوْ جُرَعًا أَكْثَرَ.**
وَهَذَا **يُعَلِّمُنَا** الصَّبْرَ وَعَدَمَ التَّسَرُّعِ فِي الحُكْمِ عَلَى العِلَاجِ إِذَا لَمْ تَظْهَرِ النَّتِيجَةُ مِنْ أَوَّلِ مَرَّةٍ.

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ:
الشِّفَاءُ فِي ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ: شِرْطَةُ مُحْجِمٍ (أَي: الحِجَامَةُ)، شُرْبَةُ عَسَلٍ، كَيَّةٌ بِالنَّارِ (أَي: حَرْقُ جُزْءٍ مِنَ الجِلْدِ بِالكَيِّ).
وَلَكِنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَى أُمَّتَهُ عَنِ الكَيِّ وَقَالَ:

"وَمَا أَحَبُّ أَنْ أُكْتَى" *(رَوَاهُ البُخَارِيُّ)*

وَهَذَا النَّهْيُ يَعْنِي أَنَّ الكَيَّ مَكْرُوهٌ وَلَيْسَ مُسْتَحَبًّا،
لِأَنَّ بَعْضَ النَّاسِ كَانُوا يَظُنُّونَ أَنَّ الكَيَّ هُوَ الشِّفَاءُ المؤَكَّدُ وَالنِّهَائِيُّ.

الخِلَاصَةُ:

يَجِبُ أَنْ نُؤْمِنَ إِيمَانًا جَازِمًا بِأَنَّ العَسَلَ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ كَمَا أَخْبَرَ اللهُ تَعَالَى.
نَتْرُكُ أَمْرَ الشِّفَاءِ إِلَى عِلْمِ اللهِ وَقُدْرَتِهِ وَحِكْمَتِهِ،
فَلَا نَحْكُمُ بِأَنَّ الدَّوَاءَ يَشْفِي فَوْرًا أَوْ فِي كُلِّ الحَالَاتِ،
بَلْ نَثِقُ بِاللهِ وَبِفَعَّالِيَّةِ العِلَاجِ بِإِذْنِهِ.

صُولَةُ البَاطِلِ وَضَرْبَةُ الحَقِّ

لَمَّا رَأَى فِرْعَوْنُ مِنْ آيَةِ العَصَا مَا رَأَى، فُتِنَ بِهَذَا المَشْهَدِ،
وَلَكِنَّهُ لَمْ يُسَلِّمْ لِلْحَقِّ، بَلِ اسْتَكْبَرَ وَقَالَ:
"لَن نَغْلِبَ مُوسَى إِلَّا بِمَنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنْهُ".

فَلَمْ يَدَعْ سَاحِرًا فِي سُلْطَانِهِ إِلَّا اسْتَحْضَرَهُ،
جَمَعَ الِاحْتِرَافَ وَالتَّضْلِيلَ، وَأَعَدَّ الْعِدَّةَ لِلْغَلَبَةِ لَا لِلْحَقِّ.

دَخَلَ السَّحَرَةُ إِلَى الْمَيْدَانِ بِلِسَانِ الْمُحْتَرِفِ، لَا بِلُغَةِ طَالِبِ الْحَقِيقَةِ، وَقَالُوا:
﴿أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَالِبِينَ﴾ الشعراء: ٤١

إِنَّهُمْ يَسْتَوْثِقُونَ مِنَ الْأَجْرِ قَبْلَ أَنْ يُلْقُوا الْعُصِيَّ،
فَهَدَفُهُمْ الْمَالُ وَالْمَنزِلَةُ، لَا النُّبُوَّةُ وَلَا التَّوْبَةُ.

قَالَ لَهُمْ فِرْعَوْنُ:
﴿نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ الشعراء: ٤٢

فَأَغْرَاهُمْ بِالْأَجْرِ الْمَادِّيِّ، وَزَادَهُمْ وَعْدًا بِالْقُرْبِ وَالرِّفْعَةِ، كَأَنَّمَا اشْتَرَى وَلَاءَهُمْ عَلَى الْبَاطِلِ.

أَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ فَإِذَا هِيَ فِي أَعْيُنِ النَّاسِ تَتَحَرَّكُ كَالْحَيَّاتِ، تَرْتَفِعُ وَتَزْحَفُ،
حَتَّىٰ قِيلَ إِنَّهُمْ مَلَؤُوهَا زِئْبَقًا، وَجَعَلُوا تَحْتَهَا نِيرَانًا،
فَاضْطَرَبَ الزِّئْبَقُ وَتَحَرَّكَ، فَخَيَّلَ لِلنَّاسِ أَنَّهَا تَسْعَى.

لِأَنَّ الزِّئْبَقَ إِذَا أَصَابَتْهُ النَّارُ يَطِيرُ، فَإِذَا هِيَ حَيَاتٌ كَأَمْثَالِ الْجِبَالِ
قَدْ مَلَأَتِ الْوَادِي يَرْكَبُ بَعْضُهَا بَعْضًا.

قَالَ تَعَالَىٰ:
﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ طه: ٦٦

وَهُنَا أَوْجَسَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ خِيفَةً،
فَالْمَشْهَدُ مُرَوِّعٌ، وَالسِّحْرُ اسْتَرْهَبَ النَّاسَ. فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ:
﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَىٰ * وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ طه: ٦٨-٦٩

فَأَلْقَى مُوسَى الْعَصَا فَإِذَا بِهَا تَلْتَهِمُ كُلَّ مَا أَلْقَوْا، حَبْلًا حَبْلًا، وَعَصًا عَصًا، حَتَّى ابْتَلَعَتْهَا كُلَّهَا.
ثُمَّ عَادَتِ الْعَصَا بِيَدِ مُوسَى،
فَإِذَا بِهَذَا السِّحْرِ الْعَظِيمِ الَّذِي اسْتَرْهَبَ النَّاسَ وَسَحَرَ أَعْيُنَهُمْ قَدْ تَهَاوَى فِي لَحْظَةٍ، بَعْدَ أَنْ قَذَفَهُ مُوسَى بِسِلَاحِ الْحَقِّ الَّذِي سَلَّحَهُ بِهِ رَبُّهُ. ابن كثير وغيره

فَالْبَاطِلُ قَدْ يَسْحَرُ أَعْيُنَ النَّاسِ بِبَرِيقِهِ وَيَسْتَرْهِبُهُمْ لِفَتْرَةٍ مِنَ الْوَقْتِ،
وَلَكِنْ مَا إِنْ يُوَاجِهُهُ الْحَقُّ حَتَّى يَزْهَقَ وَيَزُولَ،
فَصُولَةُ الْبَاطِلِ مَهْمَا عَظُمَتْ فَمَصِيرُهَا إِلَى الزَّوَالِ، وَنِهَايَتُهَا إِلَى الْفَشَلِ وَالْبَوَارِ.
وَإِنَّ الْحَقَّ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ يَوْمٍ تَعْلُو فِيهِ رَايَتُهُ.

فَانْكَشَفَ زَيْفُ السِّحْرِ، وَسَقَطَتْ صُولَتُهُ، وَبَقِيَ وَجْهُ الْحَقِّ سَاطِعًا.

قَالَ اللهُ:
﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ الأنبياء: ١٨

بُعَاثٌ... يَوْمٌ هَيَّأَ اللهُ بِهِ الْمَدِينَةَ لِاسْتِقْبَالِ النُّورِ

قَبْلَ الْهِجْرَةِ بِخَمْسِ سَنَوَاتٍ،
انْدَلَعَتْ بَيْنَ قَبِيلَتَيِ **الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ** فِي يَثْرِبَ حَرْبٌ طَاحِنَةٌ عُرِفَتْ بِاسْمِ مَعْرَكَةِ بُعَاثٍ.
دَارَتْ رِحَاهَا بَيْنَ أَبْنَاءِ الْبَلَدِ الْوَاحِدِ،
وَقُتِلَ فِيهَا عَدَدٌ كَبِيرٌ مِنْ سَدَاتِ الْقَوْمِ،
وَتَكَاثَرَتِ الْأَحْقَادُ، وَذَاقَ النَّاسُ مَرَارَةَ التَّفَرُّقِ وَالدَّمِ.

لَكِنَّ تِلْكَ الْحَرْبَ لَمْ تَكُنْ عَبَثًا...
بَلْ كَانَتْ يَدَ الْعِنَايَةِ الْإِلَهِيَّةِ تَعْمَلُ فِي الْخَفَاءِ، تُمَهِّدُ الطَّرِيقَ لِبَعْثَةٍ تُغَيِّرُ وَجْهَ الْعَالَمِ.

تَقُولُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا:
"**كَانَ يَوْمُ بُعَاثٍ يَوْمًا قَدَّمَهُ اللهُ لِرَسُولِهِ ﷺ، فَقَبِلُوا مَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ عَلَى عِلْمٍ مِنْهُمْ، فَكَانَ يَوْمُ بُعَاثٍ فِي سَبِيلِ اللهِ.**" رَوَاهُ أَحْمَدُ وَابْنُ سَعْدٍ

فَمَا حَسَبَهُ النَّاسُ يَوْمًا أَسْوَدَ،
كَانَ عِنْدَ اللهِ نُورَ فَجْرٍ يُهَيِّئُ قُلُوبَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لِقُبُولِ النُّبُوَّةِ،
بَعْدَ أَنْ كَلُّوا مِنْ صِرَاعَاتِ الْجَاهِلِيَّةِ وَسَئِمُوا دَمَارَ الانْقِسَامِ.

فَعَلَى أَقَلِّ تَقْدِيرٍ،
فَإِنَّ مَا يَجْرِي فِي هَذَا الْعَالَمِ الْمُضْطَرِبِ،
مِنْ انْهِيَارَاتٍ فِي الْقِيَمِ، وَاضْطِرَابَاتٍ فِي الْمَوَازِينِ، وَظُلْمٍ مُسْتَشْرٍ،
سَيَجْعَلُ مِنَ الْإِسْلَامِ مَطْلَبًا عَالَمِيًّا أَكْثَرَ فَأَكْثَرَ.

إِنَّهُمْ يَبْحَثُونَ عَنِ الْإِسْلَامِ،
حَتَّى لَوْ لَمْ يَعْرِفُوا اسْمَهُ!
• **يَبْحَثُونَ عَنِ الطُّمَأْنِينَةِ،** وَلَنْ يَجِدُوهَا إِلَّا فِي الصَّلَاةِ.
• **يَبْحَثُونَ عَنِ الْعَدَالَةِ،** وَلَنْ يَجِدُوهَا إِلَّا فِي شَرِيعَةِ الْإِسْلَامِ.

•**يَبْحَثُونَ عَنِ الرَّحْمَةِ**، وَلَنْ يَجِدُوهَا إِلَّا فِي سِيرَةِ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ ﷺ.
•**يَبْحَثُونَ عَنِ التَّوَازُنِ**، وَلَنْ يَجِدُوهُ إِلَّا فِي مَنْهَجِ الْإِسْلَامِ، فَلَا رَهْبَانِيَّةَ وَلَا مَادِّيَّةَ مُطْلَقَةً.

فَالْإِسْلَامُ دَعْوَةٌ عَالَمِيَّةٌ لِلْبَشَرِ كَافَّةٍ،
مِنْ كُلِّ لَوْنٍ وَعِرْقٍ وَلِسَانٍ.
وَسَيَظَلُّ الْإِسْلَامُ مَطْلُوبًا لِكُلِّ مَنْ يَبْحَثُ عَنِ الْحَقِّ، مَهْمَا طَالَ الزَّمَانُ.

وَالتَّحَدِّي الْأَعْظَمُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ
سَيَكُونُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ،
وَسَيَنْتَهِي بِانْتِصَارِ الْحَقِّ، وَتَمْكِينِ الدِّينِ،
كَمَا وَعَدَنَا النَّبِيُّ ﷺ حِينَ قَالَ:
"**لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ،**
وَلَا يَتْرُكُ اللهُ بَيْتًا مُدَرٌّ وَلَا وَبَرٌ، إِلَّا أَدْخَلَهُ اللهُ هَذَا الدِّينَ،
بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ،
عِزًّا يَعِزُّ اللهُ بِهِ الْإِسْلَامَ، وَذُلًّا يَذِلُّ اللهُ بِهِ الْكُفْرَ." رَوَاهُ أَحْمَدُ

فَكَمَا كَانَ بُعَاثٌ فَتْحًا لِقُلُوبِ الْأَنْصَارِ،
سَتَكُونُ أَزَمَاتُ الْعَالَمِ فَتْحًا لِلْبَشَرِيَّةِ نَحْوَ الْإِسْلَامِ، بِإِذْنِ اللهِ.

قَالَ تَعَالَى:
﴿**وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ**﴾ يوسف: ٢١

قالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ

عِنْدَمَا كَبُرَ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَأَصْبَحَ قَوِيًّا وَعَاقِلًا،
دَخَلَ فِي يَوْمٍ مِنَ الأَيَّامِ، مَدِينَةَ فِرْعَوْنَ فِي وَقْتٍ كَانَ أَهْلُهَا مُسْتَرْخِينَ وَغَافِلِينَ، مِثْلَ وَقْتِ القَيْلُولَةِ.
فِي المدِينَةِ، **وَجَدَ مُوسَىٰ رَجُلَيْنِ يَتَشَاجَرَانِ وَيَتَقَاتَلَانِ.**

كَانَ أَحَدُهُمَا مِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ (بَنِي إِسْرَائِيلَ)، وَالآخَرُ مِنْ أَعْدَائِهِمْ (القِبْطِ).
طَلَبَ الرَّجُلُ مِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ المسَاعَدَةَ، فَقَرَّرَ مُوسَىٰ أَنْ يَنْصُرَ الرَّجُلَ المظْلُومَ.
فَضَرَبَ الرَّجُلَ الآخَرَ ضَرْبَةً بِيَدِهِ، لَكِنَّهَا أَدَّتْ إِلَى مَوْتِهِ مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ.

فَلَمَّا رَأَىٰ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّ الرَّجُلَ قَدْ مَاتَ، **نَدِمَ نَدَمًا شَدِيدًا،**
وَطَلَبَ مِنَ اللهِ المغْفِرَةَ، لِمَا كَانَ مِنْ ظُلْمٍ لِلنَّفْسِ بِسَبَبِ تِلْكَ الضَّرْبَةِ،
فَغَفَرَ اللهُ لَهُ، لأَنَّهُ سُبْحَانَهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ . *تفسير ابن كثير*

وَفِي القُرْآنِ الكَرِيمِ، قَالَ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعْدَ ذَلِكَ:
﴿ **قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ** ﴾ *القَصَص: ١٧*
أَي: أَقْسَمْتُ يَا رَبِّ، بَعْدَ نِعَمِكَ عَلَيَّ بِالمغْفِرَةِ، أَنَّنِي لَنْ أَكُونَ مُعِينًا أَوْ نَاصِرًا لِلْمُجْرِمِينَ.
وَالْمَقْصُودُ إِمَّا صُحْبَةُ فِرْعَوْنَ،
حَيْثُ كَانَ يُرَبَّى فِي قَصْرِهِ وَكَانَ يُلَقَّبُ بِ "ابْنِ فِرْعَوْنَ"،
أَوْ مُنَاصَرَةُ أَيِّ ظَالِمٍ،
كَمَا فِي مُنَاصَرَةِ الإِسْرَائِيلِيِّ الَّتِي أَدَّتْ إِلَى القَتْلِ،
وَإِنْ كَانَتْ نِيَّتُهُ النُّصْرَةَ لا القَتْلَ.

وَهَذِهِ الضَّرَاعَةُ المُتَكَرِّرَةُ إِلَى اللهِ تَعَالَى مِنْ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ تَدُلُّ عَلَى نَقَاءِ رُوحِهِ،
وَشِدَّةِ صِلَتِهِ بِرَبِّهِ، وَخَوْفِهِ مِنْهُ، وَمُرَاقَبَتِهِ لَهُ سُبْحَانَهُ.
فَإِنَّ مِنْ شَأْنِ الأَخْيَارِ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ،

أَنَّهُمْ لَا يُعِينُونَ الظَّالِمِينَ، وَلَا يَقِفُونَ إِلَى جَانِبِهِمْ.

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

"مَن مَشَىٰ مَعَ مَظْلُومٍ لِيُعِينَهُ عَلَى مَظْلَمَتِهِ،

ثَبَّتَ اللهُ قَدَمَيْهِ عَلَى الصِّرَاطِ يَوْمَ تَزِلُّ الأَقْدَامُ،

وَمَن مَشَىٰ مَعَ ظَالِمٍ لِيُعِينَهُ عَلَى ظُلْمِهِ،

أَزَلَّ اللهُ قَدَمَيْهِ عَلَى الصِّرَاطِ يَوْمَ تَدْحَضُ فِيهِ الأَقْدَامُ." (رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ)

التثبُّتُ من الأخبارِ وتحرِّي الحقيقة

عن **ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما** قال:
كان رسولُ اللهِ ﷺ قد بعث **الوليدَ بنَ عُقبة** إلى **بني المُصطلِق** ليأخذَ منهم **الصدقات،**
فلمّا سمعوا بقدومه فرِحوا وخرجوا لاستقباله، إذ اعتقدوا أن هذا من كرامةِ اللهِ لهم.

لكن **الوليد،** ظنًّا منه أنهم يريدون أذيّته، رجع مسرعًا إلى النبي ﷺ وقال:
"يا رسولَ الله، إنَّ بني المصطلق قد منَعوا الصدقة".
فغضب النبي ﷺ غضبًا شديدًا، وهمَّ بأن **يغزوهم.**

وبينما هو ﷺ يفكّر بذلك، جاءه **وفدٌ من بني المصطلق،** فقالوا:
"يا رسولَ الله، بلغنا أن رسولك رجع من منتصف الطريق،
وخشينا أن يكون قد وصله كتاب من عندك فيه غضب علينا،
وإنا نعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله". *تفسير القرطبي وابن كثير*
فأنزل اللهُ تعالى:
﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا** ﴾ *الحُجرات: ٦*

قال **الإمام القرطبي** رحمه الله:
"في هذه الآيةِ دليلٌ على **قبولِ خبرِ الواحدِ إذا كان عدلًا،**
لأنّ الأمرَ فيها جاء بالتثبّت فقط عند **خبر الفاسق،** لا العدل".

فهذه الآية **قاعدة قرآنيّة عظيمة،** تُرشد المؤمنين في كلِّ زمانٍ ومكانٍ
إلى **وجوب التثبّت من الأخبار** قبل تصديقها أو العمل بها،
حفاظًا على **وحدة المجتمع،** وأمنه، و**استقراره.**

فالتبيُّنُ والتثبّتُ **واجبٌ على المسلم** في أيِّ قضيّة كانت.

قال تعالى:﴿ **وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ** ﴾ *الإسراء: ٣٦*

قال القرطبي: لا تَتَّبِعْ ما لا تعلمه من قولٍ أو فعلٍ".

وقال **قتادة** رضي الله عنه:
"لا تقل رأيتَ وأنت لم ترَ، وسمعتَ وأنت لم تسمع، وعلمتَ وأنت لم تعلم".

والمراد هنا: النهيُ عن أن **يقول الإنسانُ ما لا يعلم**، وأن **يعملَ بما لا يعلم**.

ويندرج تحت هذا أيضًا :**النهيُ عن التقليد الأعمى**، أي: اتباعُ ما لا يُعلَمُ صحّتُه أو فساده.

ويزيد ذلك وضوحًا قولُ الله تعالى:
﴿ **إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا** ﴾ *الإسراء: ٣٦*

قال العلماء: اختلفوا في تفسير "السؤال" هل هو عن الإنسان نفسِه أو عن أعضائه،
إلا أن **التحذير ثابتٌ على كلا القولين**،
وهو نهيٌ شديد عن أن يقول المرء ما لا يعلم، أو يُصدر حكمًا دون دليلٍ أو تحقيق.

فالتحقّقُ والتثبّتُ من كلِّ خبر، ومن كلِّ ظاهرة، ومن كلِّ حركةٍ قبل الحكم عليها،
هو **دعوةُ القرآن الكريم**، **ومنهجُ الإسلام الدقيق**.

المَلَائِكَةُ: جُندُ اللهِ المُكْرَمُونَ وَحِكْمَتُهُ فِي خَلْقِ آدَمَ

حينَ أرادَ اللهُ تعالى **خَلْقَ آدَمَ عليه السَّلام**، أخبرَ الملائكةَ بذلك، وأنَّهُ سيجعَلُهُ **خَلِيفَةً فِي الأرض**، كما قال:

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ *البقرة: ٣٠*

والمقصودُ بالخليفة هنا :**آدم وذريّته**، لأنَّهُم **يخلُفُ بعضُهُم بعضًا** في عمارةِ الأرض.

وقد جاء خطابُ اللهِ تعالى **للمَلائكةِ** لا على وجهِ المشورة،
ولكن **لِتعظيمِ شأنِ آدمَ ورفْعِ مكانتِهِ.**

فقالت الملائكة:

﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ، وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ؟ ﴾*البقرة: ٣٠*

ولأنَّ الملائكةَ **لا يعلمون الغيب**، فلابدَّ أنَّهُم علموا ذلك **بإعلامٍ مِنَ اللهِ تعالى**، أو **بقياسٍ على مخلوقاتٍ سابقة**، أو **بما أطلعَهُم اللهُ عليه من حكمتِهِ.**

وقولُهُم هذا **لم يكن اعتراضًا**، ولا حسدًا لبني آدم، وإنّما كان **سُؤالًا استيضاحيًّا** عن **الحكمةِ** في جعْلِ خليفةٍ في الأرض.

فأجابَهُم اللهُ تعالى بقوله:

﴿ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾
البقرة: ٣٠

أي: أنَّ في **ذُرِّيَّةِ آدم** من سيكون من:

الأنبياء، والرسل، والصِّدِّيقين، والشُّهداء، والصالحين،
والعابدين، والزُّهاد، والعلماء، والمحبين لله، المتبعين لرسلِهِ.

قال بعضُ العلماء: "إذا كان **الملأ الأعلى** –أي :**الملائكة** –قد طلبوا **الاستيضاح والبيان** فيما لا يعلمون،
فالأجدرُ بالبشر أن يُعذروا **في تعاملهم مع الرُّسُل والدُّعاة،**
وأن يُرشدوا **بالحكمة والموعظة الحسنة**".

فعلى الداعية أن:
يَصْبِرَ على المكذِّبين، **ويُرشدَ** المسترشدين، ويأتي أهل الدعوة **بسُلطانٍ مبينٍ**.

والمَلَائِكَةُ هُم جُندٌ مِن خَلْقِ اللهِ، رَكَّزَ فِيهِمُ العَقلَ والفَهمَ، وفَطَرَهُم على الطَّاعَةِ، وأقدَرَهُم على التشكُّلِ بأشكالٍ مُختَلِفَةٍ، والقِيَامِ بالأعمالِ العظِيمَةِ الشَّاقَّةِ.

وقد وصَفَهُمُ اللهُ تعالى في القُرآنِ الكريمِ بأوصافٍ عَديدة، منها:

أَنَّهُم **يُسَبِّحُونَ اللهَ لَيْلًا وَنَهَارًا لا يَفْتُرُونَ**، كما قال تعالى:

﴿ **يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ** ﴾ الأنبياء: ٢٠

وأَنَّهُم **لا يَعصُونَ اللهَ ما أمرَهُم ويفعَلونَ ما يُؤمَرونَ**، كما قال:

﴿ **لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ** ﴾ التحريم: ٦

ومن صفاتِهِم أيضًا: أَنَّهُم **رُسُلٌ من عندِ اللهِ**، يبعثُهُم **بأوامرِهِ**، ومنهُم من هُم **رُسُلٌ للوَحي** إلى من اصطفاهم من عبادِهِ للنبوّةِ والرِّسالة، كما قال تعالى:

﴿ **جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا** ﴾ فاطر: ١

﴿ **اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ** ﴾ الحج: ٧٥

﴿ **يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ** ﴾ النحل: ٢

رِسَالَةٌ عَمِيقَة

جاءَ أُناسٌ يَسألونَ النَّبيَّ ﷺ عنِ الحِكْمَةِ مِن خَلقِ **الأهِلَّة**، أي: عن سببِ **ظُهورِ القمرِ هلالًا**،
ثم ازديادِه تدريجيًّا حتى **يَبلُغَ البَدرَ**، ثم **يتناقصُ** في آخرِ الشَّهر.
وكانت أسئلتُهُم **لا تتعلّقُ بالنُّبُوَّةِ والوَحي**، بل تتعلّقُ **بعلومِ الفَلَكِ والسُّنَنِ الكَونيَّة**.

فأمَرَ اللهُ نبيَّهُ أن يُجيبَهُم قائلًا: ﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ** ﴾ *البقرة: ١٨٩*

أي: إنَّ اللهَ – سبحانهُ وتعالى – قد خلقَ **الأهِلَّةَ** لتكون **وسيلةً لتحديدِ الأوقاتِ والمواعيد**
التي يحتاجُ إليها النّاسُ في شُؤُونِ حياتِهِم المختَلِفَة؛
فهي **عَلاماتٌ واضِحةٌ** يَعتمِدُونَ عليها في:

- تَحديدِ **بدايةِ الشُّهور**،
- ومواقيتِ **العبادات** كالصيامِ، والزكاةِ، والحجِّ،
- **وعِدَّةِ النساء**،
- **والمعاملاتِ الماليَّة**،
- وسائرِ ما يتعلَّقُ بأمورِهم الدينيَّةِ والدُّنيويَّة.

ومن هنا، كان الأَولى بمَن سأل أن يستفسِر عن **الحِكمَة والفائِدة العمليَّة** مِن خَلقِ الأهِلَّة،
لا أن ينشغلَ **بتفاصيلِها الفَلَكيَّة** الَّتي لا تَمَسُّ حاجَتَهُ المباشِرَة،
ولا تدخل في اختصاصِ النُّبُوَّةِ والرِّسالة.

وقد قال بعضُ العُلماءِ في ذلك:

إنَّ العِلمَ نَوعَان:

عِلمٌ دنيويّ :يتعلّقُ بأُمُورِ المعاش، كمعرفةِ الصِّناعات، وحركاتِ الكَواكب، واستخراجِ المعادن، وأنواعِ النباتات.

وقد جعلَ اللهُ للناسِ سبيلًا لمعرفتهِ **عن طريقِ العقلِ والتجرِبة**، دون الحاجةِ إلى وحيٍ أو رسالة.

وعِلمٌ شرعيّ :يتعلّقُ بالعقيدةِ، والعباداتِ، والمعاملاتِ، والأخلاق، ولا سبيلَ إلى معرفتِه **إلَّا عن طريقِ النبيّ الصادقِ المصدوق** ﷺ، لأنَّهُ عِلمٌ يتوقّفُ على الوحي، ولا يُنالُ بالعقلِ وحده".

فلما جاء هؤلاءِ **يَسألونَ النبيَّ** ﷺ عمّا يمكنُهم معرفتُه **بالعقلِ والتجربة،** أجابَهُم ﷺ **بما يُوَجِّهُهُم إلى المنفعةِ الحقيقيَّة** من خَلقِ الأهِلَّة، ويصرِفُهُم عن التَّساؤُلِ **في غيرِ موضِعِه.**

ثم بيَّنَ اللهُ تعالى أنَّ **البِرَّ الحقيقيَّ** لا يكونُ **بالطُّقوسِ الشكليَّة** أو العاداتِ الخاطئةِ التي لا أصلَ لها، فقال:

﴿ وَلَيْسَ الْبِرَّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا
وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى ۗ وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا ﴾ *البقرة: ١٨٩*

والمقصودُ: أنَّ ما كان يفعلهُ بعضُ العربِ **في الجاهليَّة** —من دُخولِ بُيُوتِهِم **من ظُهُورِها** عند الإحرامِ أو عند العودةِ من الحجّ — **ليس مِن البِرِّ** في شيء، بل هو **خِلافُ الفِطرَةِ والعقل.**

فالبِرُّ الحَقّ يكون في **تَقوى اللهِ**، والالتزامِ **بما شرَعهُ،**
لا في اتّباعِ عاداتٍ لا أصلَ لها.

ومغزَى هذهِ الآياتِ الكريمةِ يحملُ رِسالةً عَميقَة:

أنَّ على المسلمِ أن يسأَلَ **عمّا ينفعُه** في دِينِهِ ودُنياه،
وأن يتجنّبَ **التَّكَلُّفَ** فيما لا يعنيه،
فمَن يَسألُ عن الأمورِ الخارجةِ عن نطاقِ الوحيِ والنُّبوَّة،
يُشبه مَن يتركُ بابَ البيتِ ويدخُلُه من ظَهرِهِ!

ف **المعرفةُ النافعةُ** هي التي تقودُ إلى:**العملِ الصالح**، **والتقوى،**
لا مجرّد **التَّساؤلاتِ النَّظرية** الَّتي لا ثمرةَ لها.

قِصَّةُ الَّذِي رَقَى الرَّجُلَ اللَّدِيغَ بِالفَاتِحَةِ فَبَرِئَ

روى البخاري ومسلم –رحمهم الله – في *صحيحيهما*، عن **أبي سعيدٍ الخُدريِّ** رضي الله عنه، أنَّهُ قال:

كنَّا في سَفَرٍ، فنَزَلْنا في مَكانٍ مِن الأرض، فجاءتْنا **جارِيَةٌ** من أهلِ الحيّ تقول:
"إنَّ سيِّدَ الحيِّ قد لَدَغَتْهُ حَيَّةٌ أو عَقْرَبٌ، وليس عندَنا شيءٌ يَنفَعُه، فهل فيكم مَن يَرقيه؟"

فذهبَ إليه **رَجُلٌ منّا** –وكان **يَعرفُ الرُّقيَة** –فقرأَ عليهِ **فاتحةَ الكتابِ سبعَ مرَّاتٍ،**
فـ **قامَ الرَّجُلُ كأنَّهُ لم يُصبْ بشيء!**

فأعطَوا الراقي **قطيعًا من الغنم** مكافأةً له.

فلمَّا **رَجَعَ الصحابةُ** قالوا له:

"هل كنتَ تُحسنُ الرُّقيَةَ؟"

قال" :**ما رقيتُهُ إلَّا بفاتحةِ الكتابِ**".

فتعجَّبُوا وقالوا:

"لا تفعلْ شيئًا حتَّى نأتيَ بالنبيِّ ﷺ".

فلمَّا وصلُوا إلى النبيِّ ﷺ، وذكروا لهُ الخبر، قال:

"وما يُدريكَ أنها رُقية؟"

قالوا :**يا رسولَ الله، شيءٌ أُلقيَ في رُوعي.**

فقال النبيُّ ﷺ: **أصبْتُم، اقسِموا، واضرِبوا لي معكم سهمًا"**. رواه البخاري ومسلم

قال اللهُ تعالى: ﴿ **وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ** ﴾الإسراء: ٨٢

فالقرآنُ كُلُّهُ **شفاءٌ ورحمةٌ للمؤمنين،**
فالطُّمأنينةُ التي يَبعَثُها في النَّفس، و**الالتزامُ بتوجيهاتِهِ،** كلها تُؤدِّي – بإذن الله – إلى:
شفاء أمراض القلوب :مثل الشكّ، والنِّفاق، والحسد، والطَّمع.
وشفاء النفوس :من الوسوسة، والقلق، والحيرة، والرذائل.
بل ويكون **شفاءً من الأمراضِ الجسديَّة** أيضًا، **عند الرُّقيَة به،**
كما في **قِصَّةِ الذي رقى الرجلَ اللديغَ بالفاتحةِ فبرِئَ.**

و**فلسفةُ الرُّقيَةِ** وحكمتُها أنَّها **دعاءٌ يُقال** من أيِّ إنسانٍ،
والبابُ **مفتوحٌ للتَّجرِبة** طالما كانت من **كلامِ اللهِ،**
لأنَّه **فَضْلُ كلامِ اللهِ** على كلامِ البشر،
كما **فَضَّلَ اللهُ على خلقهِ.**

ومن **السُّنَّة** أيضًا أن يَضَعَ المريضُ يدهُ على صدرِهِ ويقول:

"اللَّهُمَّ ربَّ الناس، أَذهِبِ البَاس، اشفِ، أنتَ الشَّافِي، لا شِفاءَ إلَّا شِفاؤُك، شِفاءً لا يُغادِرُ سَقَمًا، إنَّكَ على كلِّ شيءٍ قدير". رواه البخاري ومسلم

وقال اللهُ تعالى:
﴿ **قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ** ﴾ فصّلت: ٤٤

فالرُّقيةُ الشّرعيَّة ليست خُرافةً، بل **علاجٌ مشروع** إذا أُخِذَ بما جاء في الكتاب والسُّنَّة.
والفاتحةُ من أعظم سور القرآن، وقد جعلها الله سببًا في **شفاءِ اللديغِ** بغير دواء.
ومن بركةِ القرآن أنَّ **الشفاء به ممكنٌ** للأبدانِ كما هو **شفاءٌ للقلوبِ والنُّفوس.**
عِندما يكون الدُّعاء صادقًا، ويقترن **بإيمانٍ** وتوكلٍ على الله،
فإنّه يكون **سببًا في الشِّفاء العاجل** بإذن الله.

قِصَّةُ التَّثْبِيتِ: حِينَ خَاطَبَ اللهُ نَبِيَّهُ بِكَلِمَاتٍ مِن نُّور

في **لَحظةٍ فارقةٍ** من مَسِيرةِ الدَّعوة، اشتدَّ أذى المشركين على النبيِّ ﷺ،
وراحوا يُخَوِّفونه، ويُهَدِّدونه، ويحيكون له المؤامرات، ويُخطِّطون لإيذائِه جسديًّا ونفسيًّا،
لِيَثنُوه عن تبليغِ رسالةِ ربِّه.

بلغتِ **الحربُ النفسيَّةُ** مداها، واشتدَّتِ الغربة، وتكالبتِ **الوجوهُ العابسةُ** و**القلوبُ المريضةُ**.

وفي خِضمِّ هذا الظلام، وفي ذروة التهديد، **خاطَبَهُ ربُّه** بكلماتٍ **ليست ككُلِّ الكلمات**...
كلماتٌ تُثبِّتُ الجَنان، وتزرعُ في القلب يقينًا لا يتزعزع.

قال تعالى:

﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ *الأنعام: ١٧–١٨*

كأنَّ اللهَ يقولُ له:
يا محمَّد، لا تَخفْ منهم، ولا تَرْهَبْ كيدَهم، فإنهم لا يَملكونَ لك نفعًا ولا ضرًّا.

في هاتين الآيتين، يُبيِّنُ الحقُّ سبحانه أنَّ **الأمرَ كلَّه بيده،**
فهو وحدَه سبحانه **المُتصرِّفُ** في شؤونِ خلقِه، لا معقِّبَ لحكمِه، ولا رادَّ لقضائه.

فالناسُ جميعًا تحت **سُلطانِ اللهِ** وقدرته، فما يُصيبهم من **ضُرٍّ** كمرضٍ أو حُزنٍ أو فَقْدٍ،
فإنما هو **بسُنَّة الله في الابتلاء**، ولا كاشفَ له إلا هو.

وما يُصيبهم من **خيرٍ** كصحةٍ أو غِنًى أو جَاه، فهو أيضًا من عنده،
وهو وحده القادرُ على **حفظه أو سلبه**، لأنَّه **على كلِّ شيءٍ قدير**.

فإذا **أعطى الله عبدًا مالًا** أو مُلكًا، فهو القادرُ على أن **يَسلبَه** في لحظة.
وإذا **ابتُلِيَ الإنسان** بمرضٍ أو فَقْد، فلن يُعينه أحدٌ إلّا بإذن الله.

ذاك هو الله...

المُعطي المانع، القادِر على كُلِّ شيء، الحَكيم، الخبير.

فكان رسولُ اللهِ ﷺ يقول في دعائه:

"اللَّهُمَّ لا مانِعَ لما أَعطَيْتَ، ولا مُعطِيَ لما مَنَعْتَ، ولا يَنفَعُ ذا الجَدِّ مِنْكَ الجَدُّ". *البخاري ومسلم*

والمعنى:

لا أحدَ يستطيع أن يمنع ما **أعطاه الله،**

ولا أحد يُعطي ما **منعه الله،**

ولا **يغني الغِنى** أو الجاه عن أحدٍ شيئًا إذا لم يُرِد الله ذلك.

فالأمر كلَّه بيدِ الله،

وأن لا أحد يَملِكُ لك **نفعًا أو ضُرًّا** إلا هو.

قال تعالى:

﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ *التوبة: ٥١*

فلا تَجزَع إن تأخَّر الفَرَج، فإنَّ المِلك لله، وهو أرحم بك من نفسِك.

ولا تَخَفْ من مكرِ الماكرين، فالله القاهرُ فوق عباده.

وادع اللهَ يُثبتك بالقرآن، كما ثبّت نبيَّه، ويَهديك بنوره كما هدى المرسلين.

﴿ وَكَذَٰلِكَ نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴾ *الفرقان: ٣٢*

لا تَنتَظِرُوا الطَّيرَ الأبابِيل!

يقول تعالى: ﴿ **وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ** ﴾ يس: ١٣

قال الإمام **القرطبي** –ما مُلَخَّصه:–

إنها **أنطاكية**، في قولِ جَمعٍ من المفسِّرين، وقيل: إن **عيسى عليه السلام** بعثهم للدعوة إلى الله تعالى.

لكن **ابن كثير** لم يرتضِ هذا القول، لأن **ظاهرَ القصة يدلُّ على أن هؤلاء كانوا رُسُلَ الله عزَّ وجلَّ،**
وليسوا مرسلين من جهة عيسى عليه السلام،
كما قال تعالى:
﴿ **إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ** ﴾ يس: ١٤

وقد علَّل **ابن كثير** رفضه لذلك بثلاثة أمور:

١. **أن أنطاكية كانت أوَّلَ مدينةٍ آمنت بالمسيح عليه السلام،** ولهذا كانت عند النصارى من المدن التي فيها البتارِكَة (العلماء ورجال الكنيسة).
٢. **أن القصة بحسب السياق القرآني** تتحدث عن **رُسُلٍ أرسلهم الله،** لا عن **حوارِيِّي عيسى عليه السلام.**
٣. **والأهم** :أن **قصة أنطاكية والحواريين كانت بعد نزول التوراة،** وقد ذكر **أبو سعيد الخدري** وغيرُه، أن الله تعالى **بعد إنزال التوراة لم يُهلك أمّةً عن آخرها بعذابٍ عام،** كالخسف أو الغرق أو الريح، بل **جعل أمرَ النصرِ والهلاك إلى قتال المؤمنين للكافرين.**

فلا تَنتَظِرُوا أن يعملَ الله مكانكم!

ومن هنا،
فَوَيلٌ لهذه الأمة من تقاعسها عن نُصرة غزَّة، وفلسطين، وكل قضايا المسلمين.
إنَّ نُصرةَ هذه القضايا **ليست تبرعًا ولا فضلًا،** بل هي:
مسؤولية شرعيَّة، وواجبٌ عظيم، وأمانةٌ في أعناق الأمة عليها أن تقوم بها بنفسها،

وتأخذ بالأسباب، وتُعدّ العدَّة، وتتوكَّل على عون الله وتأييده
لا أن تنتظر معجزةً من السماء، أو طيرًا أبابيل يهزم العدو دون جهد!

لقد كانت **السُّنن الإلهيَّة قبل بعثة أمة الإسلام** أن يتدخَّل الله:

- فيُرسل **الطير الأبابيل**
- أو يُهلك الظالمين بصيحةٍ أو ريحٍ
- أو يخسف الأرض بمن يشاء

لكن، **بعد أن اصطفى الله هذه الأمة**، وشرَّفها بحمل رسالته،
فقد أوكَل إليها **واجِبَ النُّهوض، والجهاد، والعمل.**

قال تعالى:و﴿ **وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ** ﴾الأنفال: ٦٠

وقال عزّ وجل: ﴿ **إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ** ﴾ محمد: ٧

أيها المسلمون، أيها العرب، يا أحرار:
أنتم المسؤولون عن نصرة فلسطين، عن تحرير المقدسات، عن ردّ العدوان.

وبوحدة الأمة تحفظ الحرمات، **وبالقيادة الراشدة** تُنجَزُ المهمات
ولا أمةَ بلا وحدة، ولا وحدةَ بلا إمام، ولا إمام إلا بطاعة

اللهم هيِّئ لنا إمامًا عادلًا،
يقود هذه الأمة، وينصر هذا الدين، ويأخذ بكتابك العزيز.
اللهم اجعلنا ممن ينصرونك في الأرض، لِتَنصرَنا في السماء.
ولا تكلنا إلى تقاعس، ولا إلى ضعف، ولا إلى مخلوق.

عندما يُصبِحُ الحُكمُ عَلَى القُلوبِ خَطَرًا يُمزِّقُ الأُمَمَ

خَرَجَت فِرْقَةُ الخَوَارِجِ فِي عَهْدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،
بَعْدَ أَنْ كَفَّرُوهُ وَمَن مَعَهُ مِنَ الصَّحَابَةِ الْكِرَامِ،
بِسَبَبِ قَضِيَّةِ التَّحْكِيمِ الَّتِي جَرَت بَيْنَهُ وَبَيْنَ مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي مَعْرَكَةِ صِفِينَ.
وَقَد تَمَّ اخْتِيَارُ حَكَمَيْنِ، هُمَا:
أَبُو مُوسَى الأَشْعَرِيُّ وَعَمْرُو بْنُ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا،
لِحَلِّ النِّزَاعِ سِلْمِيًّا، لَكِنَّ مَا جَرَى أَثَارَ الْفِتْنَةَ، وَفَرَّقَ الصَّفَّ، وَزَرَعَ بُذُورَ الْغُلُوِّ.
وَهَكَذَا، كَفَّرَ الْخَوَارِجُ عَلِيًّا وَأَصْحَابَهُ،
فَالْتَقَاهُمْ فِي مِنْطَقَةِ النَّهْرَوَانِ، وَوَقَعَت مَعْرَكَةُ النَّهْرَوَانِ الَّتِي انْتَصَرَ فِيهَا عَلِيٌّ،

لَكِنَّ الْخَطَرَ لَمْ يَنْتَهِ... بَلِ اسْتَمَرَّ فِكْرُ التَّكْفِيرِ وَالتَمَرُّدِ عَلَى الْجَمَاعَةِ،
وَبَقِيَتْ بُذُورُ هَذِهِ الْفِتْنَةِ تَنْبُتُ فِي جَسَدِ الأُمَّةِ قُرَابَةَ قَرْنَيْنِ،
تَحْصُدُ الدِّمَاءَ، وَتُعَطِّلُ الْجِهَادَ، وَتُفَرِّقُ الصُّفُوفَ، وَتُجْمِدُ الْفُتُوحَ.
لَمْ تَكُنْ فِتْنَةُ التَّكْفِيرِ مُجَرَّدَ خِلَافٍ عَقْدِيٍّ أَوْ فِقْهِيٍّ،
بَلْ كَانَت سُلُوكًا مُنْحَرِفًا وَعُدْوَانًا خَطِيرًا، **مَزَّقَ وَحْدَةَ الْمُسْلِمِينَ،**
وَسَفَكَ دِمَاءَ الْأَبْرِيَاءِ، وَاسْتَحَلَّ مَا حَرَّمَهُ اللَّهُ.

وَقَدْ وَقَفَتِ النُّصُوصُ الشَّرْعِيَّةُ مِنَ التَّكْفِيرِ الْجَائِرِ مَوْقِفًا حَازِمًا
قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "**وَمَن رَمَى مُؤْمِنًا بِكُفْرٍ، فَهُوَ كَقَتْلِهِ.**" رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ
وَقَالَ ﷺ:
"أَيُّمَا رَجُلٍ قَالَ لأَخِيهِ: يَا كَافِرُ، فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا، إِنْ كَانَ كَمَا قَالَ وَإِلَّا رَجَعَتْ عَلَيْهِ." رَوَاهُ مُسْلِمٌ
وَعَنْ الإِمَامِ الْغَزَالِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ:
"الْخَطَأُ فِي تَرْكِ أَلْفِ كَافِرٍ فِي الْحَيَاةِ، أَهْوَنُ مِنَ الْخَطَأِ فِي سَفْكِ دَمٍ لِمُسْلِمٍ وَاحِدٍ".
وَقَالَ الإِمَامُ الشُّوكَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:
"اعْلَمْ أَنَّ الْحُكْمَ عَلَى الْمُسْلِمِ بِالْكُفْرِ، لَا يَجُوزُ لِمُسْلِمٍ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أَنْ يُقْدِمَ عَلَيْهِ إِلَّا بِبُرْهَانٍ أَوْضَحَ مِنَ الشَّمْسِ".

وَكَمَا أَنَّ عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَنْكُرَ الْمُنْكَرَ وَالْفُسُوقَ وَالْكُفْرَ وَالْعِصْيَانَ مِنْ حَوْلِهِ،

لَكِنَّ الْحُكْمَ بِالْكُفْرِ عَلَى الْأَعْيَانِ وَالنَّاسِ، لَيْسَ مِنْ شَأْنِ كُلِّ أَحَدٍ،

بَلْ هُوَ مِنْ صَلَاحِيَّاتِ الْعُلَمَاءِ الرَّاسِخِينَ،

وَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ عَبْرَ الْقَضَاءِ الشَّرْعِيِّ، بَعْدَ تَحَقُّقِ الشُّرُوطِ وَانْتِفَاءِ الْمَوَانِعِ.

قَالَ الْعُلَمَاءُ:

"**لَيْسَ كُلُّ مَنْ وَقَعَ فِي الْكُفْرِ وَقَعَ الْكُفْرُ عَلَيْهِ**".

فَكُنْ حَذِرًا... فَالْكَلِمَةُ قَدْ تَقْتُلُ قَبْلَ السِّلَاحِ

عَلَيْكَ أَنْ تَنْكُرَ الْمُنْكَرَ،

لَكِنْ لَا تُكَفِّرِ الْعَاصِي،

وَلَا تَسْتَعْجِلْ فِي الْحُكْمِ،

وَاتْرُكِ الْقَضَاءَ لِعُلَمَاءٍ خَافُوا اللَّهَ فِي دِمَاءِ عِبَادِهِ.

قَالَ تَعَالَى:

﴿ **وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ** ﴾. الإسراء: ٣٦

قِصَّةُ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ... وَالرَّجُلُ الَّذِي قَالَ "لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ" تَحْتَ السَّيْفِ

فِي إِحْدَى الْغَزَوَاتِ، كَانَ الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي سَاحَةِ الْمَعْرَكَةِ، فَلَاقَى رَجُلًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَدَارَ بَيْنَهُمَا قِتَالٌ.

فَلَمَّا تَمَكَّنَ مِنْهُ أُسَامَةُ، وَرَفَعَ سَيْفَهُ لِيُجَهِّزَ عَلَيْهِ،
قَالَ الرَّجُلُ فَجْأَةً: "**أَشْهَدُ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، إِنِّي مُسْلِمٌ**"!

لَكِنَّ أُسَامَةَ ظَنَّ أَنَّهُ قَالَهَا خَوْفًا مِنَ السَّيْفِ، لَا إِيمَانًا بِاللهِ... فَطَعَنَهُ فَقَتَلَهُ.

فَلَمَّا عَادَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ وَالنَّدَمُ يَمْلَأُ قَلْبَهُ:
"**يَا رَسُولَ اللهِ، هَلَكْتُ**"!

فَسَأَلَهُ النَّبِيُّ ﷺ: "**وَمَا الَّذِي صَنَعْتَ؟**"!

فَأَخْبَرَهُ بِمَا جَرَى، فَقَالَ لَهُ ﷺ، وَهُوَ يُكَرِّرُهَا فِي وَجْهِهِ بِلَهْجَةٍ غَاضِبَةٍ مُؤَنِّبَةٍ:
"**أَقْتَلْتَهُ بَعْدَ أَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؟**"!

قَالَ أُسَامَةُ: "**يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّمَا قَالَهَا خَوْفًا مِنَ السَّيْفِ**".

فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ قَوْلَتَهُ الْخَالِدَةَ: "**أَفَلَا شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ؟**"!

فَقَالَ أُسَامَةُ: "**يَا رَسُولَ اللهِ، لَوْ شَقَقْتَ بَطْنَهُ، أَكُنْتَ أَعْلَمُ مَا فِي قَلْبِهِ؟**"!

قَالَ لَهُ ﷺ: "**لَا. فَلَا أَنْتَ قَبِلْتَ مَا نَطَقَ بِهِ، وَلَا أَنْتَ تَعْلَمُ مَا فِي قَلْبِهِ**"!

ثُمَّ قَالَ لَهُ: **فَكَيْفَ لَكَ بِ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ) إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟**"!

وَظَلَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُكَرِّرُ هَذَا السُّؤَالَ الْمُؤْلِمَ مِرَارًا عَلَى أُسَامَةَ،
حَتَّى قَالَ أُسَامَةُ فِي حَسْرَةٍ شَدِيدَةٍ:
"**وَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَسْلَمْتُ قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ**"! *رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ*

بَعْدَ هَذِهِ الْحَادِثَةِ، نَزَلَ قَوْلُ اللهِ تَعَالَى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا،
وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا ﴾ النِّسَاء: ٩٤

فالْكَافِرُ إِذَا نَطَقَ بِالشَّهَادَتَيْنِ عُصِمَ دَمُهُ،
فَكَيْفَ بِمَنْ وُلِدَ عَلَيْها، وَنَشَأَ مُسْلِمًا؟!

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

"مَن صَلَّى صَلَاتَنا، وَاسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنا، وَأَكَلَ ذَبِيحَتَنا، فَذَلِكَ الْمُسْلِمُ الَّذِي لَهُ ذِمَّةُ اللهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ، فَلَا تُخْفِرُوا اللهَ فِي ذِمَّتِهِ". رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ

فاحْذَرُوا أَنْ تَنْقُضُوا عَهْدَ اللهِ فِيمَنْ هُوَ فِي ذِمَّةِ اللهِ! بأنْ تَنْتَهِكُوا حُقُوقَهُ،
أو تُهْدِرُوا كَرَامَتَهُ، أو تَتَسَرَّعُوا فِي إِصْدَارِ الْأَحْكَامِ عَلَيْهِ!

وَلَوْ كَانَ أَجْرَبَ...فَلَا تُحَقِّرْهُ لِحُرْمَةِ **"لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ "**فِي قَلْبِهِ،
وَحَسِّنْ ظَنَّكَ بِكُلِّ أَحَدٍ... تُفْلِحْ.

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

"مَن قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ، حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللهِ". رَوَاهُ مُسْلِمٌ

وَصَدَقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

"مَن قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ، دَخَلَ الْجَنَّةَ". مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ

ٱلأَخْنَسُ بْنُ شُرَيْقٍ وَٱلْعُدْوَانُ عَلَى ثَقِيفَ

ذُكِرَ أَنَّ ٱلأَخْنَسَ بْنَ شُرَيْقٍ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ ثَقِيفَ خُصُومَةٌ،
فَمَا كَانَ مِنْهُ إِلَّا أَنْ بَيَّتَهُمْ لَيْلًا، فَأَحْرَقَ زُرُوعَهُمْ، وَأَهْلَكَ مَوَاشِيَهُمْ،
فِي عُدْوَانٍ آثِمٍ، لَا يُرَاعِي حُرْمَةَ ٱلزَّرْعِ وَلَا نَسْلَ ٱلْحَيَوَانِ،
وَلَا يَسْتَبْقِي فِي ٱلْأَرْضِ خَيْرًا يُرْجَى.

وَقَالَ مُقَاتِلُ بْنُ سُلَيْمَانَ:
خَرَجَ ٱلْأَخْنَسُ إِلَى ٱلطَّائِفِ يَطْلُبُ غَرِيمًا لَهُ بِمَالٍ،
فَأَحْرَقَ لَهُ كُدْسًا (مَخْزَنَ زَرْعٍ)، وَعَقَرَ لَهُ أَتَانًا (أُنْثَى ٱلْحِمَارِ)،
دَلَالَةً عَلَىٰ عُتُوِّهِ وَتَجَبُّرِهِ، وَعُدْوَانِهِ عَلَىٰ خَلْقِ ٱللَّهِ.

وَقَدْ فُسِّرَتْ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ **عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ** ﴾ ٱلْقَلَم: ١٣

بِأَنَّهُ إِشَارَةٌ إِلَىٰ رَجُلٍ غَلِيظِ ٱلطَّبْعِ، شَدِيدِ ٱلظُّلْمِ، يَعْتَدِي عَلَى ٱلْحُرُمَاتِ،
وَقَدْ قِيلَ: إِنَّهُ ٱلْأَخْنَسُ بْنُ شُرَيْقٍ، وَإِنْ لَمْ يَجْزِمْ بِذَلِكَ أَحَدٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلتَّحْقِيقِ.

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَى: ﴿ **وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ** ﴾ ٱلْبَقَرَة: ٢٠٥
وَمَنْ يُهْلِكُ ٱلزَّرْعَ أَوِ ٱلْحَيَوَانَ، أَوْ يَقْتُلُ ٱلنَّفْسَ بِغَيْرِ حَقٍّ، فَقَدْ أَهْلَكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ،
وَذَٰلِكَ هُوَ قِمَّةُ ٱلْفَسَادِ، ٱلَّذِي لَا يُحِبُّهُ ٱللَّهُ، بَلْ يُبْغِضُهُ وَيُبْغِضُ فَاعِلَهُ.

فَٱلْفَسَادُ... لَيْسَ مُجَرَّدَ جَرِيمَةٍ مَادِّيَّةٍ! بَلْ هُوَ كُلُّ مُخَالَفَةٍ لِشَرْعِ ٱللَّهِ، فالفسادُ هو:
عَدَمُ ٱلْحُكْمِ بِمَا أَنْزَلَ ٱللَّهُ. هو ٱلظُّلْمُ، وٱلشِّرْكُ، وَٱنْحِلَالُ ٱلْأَخْلَاقِ.
الفسادُ هوَ سَفْكُ ٱلدِّمَاءِ، نَشْرُ ٱلْأَحْقَادِ، ٱلْعُدْوَانُ. هو ٱلْإِهْمَالُ فِي ٱلْمَسْؤُولِيَّاتِ،
وَٱلتَّقْصِيرُ فِي ٱلْأَمَانَاتِ. ه ٱلسَّرِقَةُ، ٱلِٱخْتِلَاسُ، ٱلرَّشْوَةُ، ٱلْمَحْسُوبِيَّةُ.
هو خِيَانَةُ ٱلْمَالِ ٱلْعَامِّ، ٱلتَّبْذِيرُ، ٱلْغِشُّ هو .قَهْرُ ٱلشُّعُوبِ، وَأَكْلُ ٱلْحُقُوقِ، وَٱلْعُقُوقُ.

قَالَ تَعَالَى:﴿ **وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ** ﴾ ٱلْبَقَرَة: ٢٠٥

وَكُلُّ مَنْ عَصَى ٱللَّهَ فِي ٱلْأَرْضِ، فَقَدْ أَفْسَدَ فِيهَا،
وَإِنَّ صَلَاحَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَاءِ لَا يَكُونُ إِلَّا بِطَاعَةِ ٱللَّهِ.

قَالَ رَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ: **إِنَّ ٱلْفَاجِرَ إِذَا مَاتَ،** ٱسْتَرَاحَ مِنْهُ ٱلْعِبَادُ وَٱلْبِلَادُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَابُّ". رَوَاهُ ٱلْبُخَارِيُّ

وَقَالَ ﷺ: "لَحَدٌّ يُقَامُ فِي ٱلْأَرْضِ، أَحَبُّ إِلَىٰ أَهْلِهَا **مِنْ أَنْ يُمْطَرُوا أَرْبَعِينَ صَبَاحًا**". رَوَاهُ ٱبْنُ مَاجَه

قَالَ تَعَالَىٰ: "﴿ **وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُوْلِي ٱلْأَلْبَابِ** ﴾ ٱلْبَقَرَة: ١٧٩

لِأَنَّ ٱلْقِصَاصَ يُرْدِعُ ٱلظَّالِمَ، وَيُقِيمُ مِيزَانَ ٱلْعَدْلِ، وَيُحْفَظُ بِهِ ٱلْمُجْتَمَعُ.

واعلموا أنَّ ٱنْتِشَارُ ٱلْفَسَادِ: عَاقِبَةٌ حَتْمِيَّةٌ لِلذُّنُوبِ قَالَ ٱللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:
﴿ **وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ** ﴾ ٱلشُّورَىٰ: ٣٠

وَجَاءَ فِي ٱلْحَدِيثِ:

"وَمَا ظَهَرَ ٱلْغُلُولُ وَأَكْلُ ٱلْمَالِ بِغَيْرِ حَقٍّ فِي قَوْمٍ، إِلَّا أَوْقَعَ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ وَٱبْتَلَاهُم بِٱلذُّلِّ".
"وَمَا نَقَصَ قَوْمٌ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ، إِلَّا قُطِعَ عَنْهُمُ ٱلرِّزْقُ".
"وَمَا نَكَثَ قَوْمٌ ٱلْعَهْدَ، إِلَّا سُلِّطَ عَلَيْهِمُ ٱلْعَدُوُّ".
"وَمَا فَشَا ٱلزِّنَا، إِلَّا كَثُرَ فِيهِمُ ٱلْوَبَاءُ وَٱلْمَوْتُ".
"وَمَا حَكَمَ قَوْمٌ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ ٱللَّهُ، إِلَّا جَعَلَ ٱللَّهُ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ".
"وَمَا مَنَعُوا ٱلزَّكَاةَ، إِلَّا مُنِعُوا ٱلْقَطْرَ مِنَ ٱلسَّمَاءِ، وَلَوْلَا ٱلْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا".

فَٱلفَسادُ إِذَا سَادَ... دَمَّرَ ٱلْبِلَادَ، قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:
﴿ **وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَاصَّةً** ﴾ ٱلْأَنْفَال: ٢٥

إِنَّ ٱلْفِتْنَةَ إِذَا نَزَلَتْ، لَا تُفَرِّقُ بَيْنَ ظَالِمٍ وَبَرِيءٍ،
وَإِنَّمَا تَعُمُّ ٱلْجَمِيعَ إِذَا سَكَتُوا عَنِ ٱلظَّالِمِ، أَوْ أَعَانُوهُ، أَوْ تَهَاوَنُوا فِي مُوَاجَهَتِهِ.

الظُّلْمُ دَائِرَةٌ.. يَبْدَأُ فِي الدُّنْيَا وَيُخْتَمُ فِي الآخِرَةِ

فِي ذَٰلِكَ الْيَوْمِ الْعَظِيمِ، يَوْمِ الْقِيَامَةِ، يُحْشَرُ الْخَلْقُ جَمِيعًا، الْإِنْسُ وَالْجِنُّ، لَا يُغَادِرُ مِنْهُمْ أَحَدٌ.
وَتُسَاقُ جُمُوعُ الْكَافِرِينَ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ إِلَى سَاحَةِ الْحِسَابِ،
وُجُوهُهُمْ خَاشِعَةٌ، وَقُلُوبُهُمْ وَاجِفَةٌ،
وَقَدِ انْكَشَفَتْ لَهُمُ الْحَقِيقَةُ الَّتِي أَعْرَضُوا عَنْهَا فِي دُنْيَاهُمْ.

ثُمَّ يَأْتِي النِّدَاءُ الْإِلَهِيُّ الْجَلِيلُ، بِصَوْتٍ يَمْلَأُ الْكَوْنَ رَهْبَةً وَجَلَالًا:
﴿**يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الْإِنسِ**﴾ (سورة الأنعام: ١٢٨)
فَيَتَقَدَّمُ أَوْلِيَاؤُهُم مِّنَ الْإِنسِ، أُولَٰئِكَ الَّذِينَ سَارُوا خَلْفَ وَسَاوِسِ الشَّيَاطِينِ، وَاتَّبَعُوا خُطُوَاتِهِمْ،
وَقَالُوا فِي خُضُوعٍ وَاسْتِسْلَامٍ:
﴿**رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ، وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا**﴾ (سورة الأنعام: ١٢٨)
فَقَالُوا: نَحْنُ مِنَ الْإِنسِ اتَّبَعْنَا شَيَاطِينَ الْجِنِّ، وَوَجَدْنَا فِي غِوَايَتِهِمْ مَا يُوَافِقُ أَهْوَاءَنَا،
وَهُمْ بِدَوْرِهِمِ اسْتَمْتَعُوا بِإِضْلَالِنَا، فَاشْتَرَكْنَا جَمِيعًا فِي طَرِيقِ الْغَيِّ وَالْفَسَادِ،
حَتَّىٰ إِذَا انْقَضَتْ أَعْمَارُنَا، انْتَهَىٰ بِنَا الْمَطَافُ إِلَىٰ هَٰذَا الْمَوْقِفِ الْمَهِيبِ.

فَيَأْتِيهِمُ الْجَوَابُ الْإِلَهِيُّ الْحَاسِمُ، الَّذِي لَا رُجُوعَ بَعْدَهُ:
﴿**النَّارُ مَثْوَاكُمْ، خَالِدِينَ فِيهَا، إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ**﴾ (سورة الأنعام: ١٢٨)
فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ، تُدْرِكُ النُّفُوسُ الْهَالِكَةُ أَنَّ لَا تَوْبَةَ بَعْدَ الْيَوْمِ، وَلَا فُرْصَةَ لِلْعَوْدَةِ أَوِ التَّصْحِيحِ،
فَقَدِ انْتَهَىٰ زَمَنُ الْعَمَلِ، وَحَانَ وَقْتُ الْجَزَاءِ.

ثُمَّ يَكْشِفُ اللَّهُ لَهُمْ سِرَّ مَا كَانَ يَجْرِي فِي دُنْيَاهُمْ مِنْ تَسَلُّطِ الظَّالِمِينَ بَعْضِهِمْ عَلَىٰ بَعْضٍ،
فَيَقُولُ جَلَّ وَعَلَا:
﴿**وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾ (سورة الأنعام: ١٢٩)
أَيْ كَمَا وَلَّيْنَا شَيَاطِينَ الْجِنِّ عَلَى الْكَافِرِينَ، كَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا فِي الدُّنْيَا...

وَهُنَا تَبْرُزُ حَقِيقَةٌ اجْتِمَاعِيَّةٌ كُبْرَىٰ، **وَهِيَ أَنَّ الظَّالِمِينَ يَتَلَاقَوْنَ وَيَتَنَاصَرُونَ،**
لَا حُبًّا وَلَا إِخْلَاصًا، بَلْ لِأَنَّ الطَّبْعَ يَجْذِبُ الشَّبِيهَ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:
"الأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف "*رواه البخاري ومسلم*

وَإِذَا سَادَ الظُّلْمُ فِي أُمَّةٍ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُبْقِيهَا...
"إذا ساد الظلم في بلد، حلقه الله كما يُحلق الشعر "*أثر مرويّ عن بعض السلف،*

إِنَّ مَنْ يَظُنُّ أَنَّ الْحَاكِمَ الظَّالِمَ تَسَلَّطَ عَلَى النَّاسِ بِذَكَائِهِ أَوْ قُوَّتِهِ فَهُوَ وَاهِمٌ،
فَقَدْ جَاءَ بِهِ اللَّهُ لِيُؤَدِّبَ بِهِ الظَّالِمِينَ، كَمَا قِيلَ:
"وما من يدٍ إلا يدُ الله فوقها، ولا ظالم إلا سيُبتلى بظالم "*الإمام ابن الجوزي*

فَالظَّالِمُ سَيْفُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ، يَنْتَقِمُ بِهِ مِنَ الظَّالِمِينَ، ثُمَّ يَنْتَقِمُ مِنْهُ، لِأَنَّ قُلُوبَ الْمُؤْمِنِينَ لَا تَحْمِلُ الْقَسْوَةَ الَّتِي يَحْمِلُهَا الظَّالِمُونَ. *ابن تيمية*

وَلَوْ أُجِّلَتْ جَمِيعُ قَضَايَا الْمَظْلُومِينَ إِلَى الْآخِرَةِ،
لَعَاثَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا.

فَانْظُرْ إِلَىٰ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَىٰ:
﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا﴾ *سورة النمل: ٥٢*
تَأَمَّلْ كَيْفَ تَرَكُوا خَلْفَهُمُ الْخَرَابَ وَالدَّمَارَ،
بَعْدَمَا أَغْرَاهُمُ الظُّلْمُ،
وَأَغْفَلَهُمُ الْأَمَلُ الْكَاذِبُ فِي الْبَقَاءِ.

مَوْعِظَةٌ تَهُزُّ القُلُوبَ.. لَا تُهَيِّجُ الأَجْسَادَ

عِنْدَمَا كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَعِظُ النَّاسَ، كَانَتْ كَلِمَاتُهُ تَخْرُجُ مِنْ قَلْبٍ صَادِقٍ مُتَّصِلٍ بِاللهِ، فَتَهُزُّ الأَرْوَاحَ وَتُذِيبُ القُلُوبَ، وَتَغْمُرُ النُّفُوسَ بِخَشْيَةٍ عَظِيمَةٍ، كَمَا وَصَفَ الصَّحَابَةُ:
"ذَرَفَتْ مِنْهَا العُيُونُ، وَوَجِلَتْ مِنْهَا القُلُوبُ". رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ

لَمْ يَكُنْ مِنْ هَدْيِهِ ﷺ أَنْ يَزْعَقَ، أَوْ يُثِيرَ الجُمُوعَ بِصَوْتٍ صَاخِبٍ، أَوْ حَرَكَاتٍ مُبْتَدَعَةٍ، أَوْ رَقْصٍ وَتَمْيِيلٍ، كَمَا نَرَى فِي بَعْضِ المجَالِسِ اليَوْمَ.
مَوْعِظَتُهُ ﷺ كَانَتْ مِنْ نُورٍ، لَا مِنْ صَخَبٍ؛ مِنْ صِدْقٍ، لَا مِنْ مُؤَثِّرَاتٍ.
قَالَ أَنَسٌ:
"سَأَلَ النَّاسُ رَسُولَ اللهِ ﷺ حَتَّى أَحْفَوْهُ فِي المَسْأَلَةِ، فَخَرَجَ ذَاتَ يَوْمٍ فَصَعِدَ المِنْبَرَ، فَقَالَ: سَلُونِي، لَا تَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ إِلَّا بَيَّنْتُهُ لَكُمْ مَا دُمْتُ فِي مَقَامِي هَذَا". رَوَاهُ مُسْلِم

فَلَمَّا سَمِعَ النَّاسُ ذَلِكَ، خَافُوا وَأَطْرَقُوا رُءُوسَهُمْ، وَأَخَذُوا يَبْكُونَ،
رَهْبَةً مِنْ أَنْ يَكُونَ هَذَا نَذِيرَ قُرْبِ الفِرَاقِ، أَوْ وُقُوعِ أَمْرٍ عَظِيمٍ.
لَمْ يُزْعِقْ فِيهِمْ، وَلَمْ يَطْلُبْ مِنْهُمْ تَفَاعُلًا جَسَدِيًّا، بَلْ قَلْبٌ صَادِقٌ وَنُطْقٌ صَادِقٌ،
فَأَيْنَعَتِ المَوْعِظَةُ ثَمَرَتَهَا :**بُكَاءٌ وَخُشُوعٌ وَخَشْيَةٌ.**
وَلَمْ يُذْكَرْ أَنَّ أَحَدًا رَقَصَ أَوْ صَاحَ أَوْ قَامَ، بَلْ كَانَتْ مَوْعِظَةً تَفْتَحُ أَبْوَابَ القُلُوبِ، لَا تُحَرِّكُ الأَجْسَادَ فَقَطْ.

قَالَ تَعَالَىٰ:
﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ، وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا، وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ الأنفال: ٢

المؤْمِنُ الصَّادِقُ هُوَ مَنْ إِذَا سَمِعَ اسْمَ اللهِ، ارْتَجَفَ قَلْبُهُ، وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِ آيَاتُ اللهِ، اهْتَزَّ وِجْدَانُهُ، وَارْتَفَعَتْ دَرَجَاتُ إِيمَانِهِ. يَخْشَعُ، يَتَأَمَّلُ، يَبْكِي، وَلَا يَصْرُخُ أَوْ يَرْقُصُ.

وَقَالَ تَعَالَىٰ:

﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ، ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ *الزمر: ٢٣*

فالقُرْآنُ يَهُزُّ الجَبَلَ لَوْ أُنْزِلَ عَلَيْهِ، فَكَيْفَ بِقَلْبِ الإِنْسَانِ؟ قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ *الحشر: ٢١*

فَمَا بَالُ قُلُوبِنَا اليَوْمَ؟ !

قَاسِيَةٌ جَامِدَةٌ، لَا تَرِقُّ إِلَّا لِصَوْتِ مُوسِيقَىٰ أَوْ مُؤَثِّرَاتٍ صَوْتِيَّةٍ،

لَا تَدْمَعُ إِلَّا فِي لَحْظَةِ انْفِعَالٍ وَقْتِيٍّ، ثُمَّ تَعُودُ كَأَنَّهَا لَمْ تُذَكَّرْ بِشَيْءٍ!

يَا مَنْ قَسَا قَلْبُكَ، **جَرِّبْ دَمْعَةً مِنْ خَشْيَةِ اللهِ، لَا صَرْخَةً فِي حَفْلَةِ وَعْظٍ.**

يَا مَنْ تَطْلُبُ الإِيمَانَ، **اطْلُبْهُ مِنَ القُرْآنِ وَمِنْ سُنَّةِ نَبِيِّكَ، لَا مِنَ الأَجْسَادِ المُتَمَايِلَةِ.**

"ذَرَفَتْ مِنْهَا العُيُونُ، وَوَجِلَتْ مِنْهَا القُلُوبُ"...

هَكَذَا كَانَتْ مَوْعِظَةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

الشِّتَاءُ بَيْنَ الحَذَرِ وَالرَّحْمَةِ وَاغْتِنَامِ الأَجْرِ

فِي أَحَدِ لَيَالِي المدِينَةِ، احْتَرَقَ بَيْتٌ بِأَهْلِهِ، فَبَلَغَ الخَبَرُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ نَاصِحًا وَمُوَجِّهًا:
"إِنَّ هَذِهِ النَّارَ إِنَّمَا هِيَ عَدُوٌّ لَكُمْ، فَإِذَا نِمْتُمْ فَأَطْفِئُوهَا عَنْكُمْ". رواه البخاري،

وَفِي هَذَا الحَدِيثِ الشَّرِيفِ تَنْبِيهٌ مُهِمٌّ إِلَى خَطَرِ النَّارِ، وَضَرُورَةِ الحَذَرِ مِنْهَا، خَاصَّةً عِنْدَ النَّوْمِ أَوِ الغَفْلَةِ، فَهِيَ قَدْ تَأْتِي عَلَى الأَرْوَاحِ وَالممْتَلَكَاتِ دُونَ رَحْمَةٍ.

وَاليَوْمَ، وَمَعَ وُجُودِ وَسَائِلِ التَّدْفِئَةِ الحَدِيثَةِ، فَإِنَّ الأَخْذَ بِالأَسْبَابِ وَالِاحْتِيَاطَاتِ وَاجِبٌ، كَفَحْصِ صَمَّامَاتِ الغَازِ، وَأَفْيَاشِ الكَهْرَبَاءِ، وَالتَّوْصِيلَاتِ، وَالِابْتِعَادِ عَنْ وَضْعِ الموَادِّ القَابِلَةِ لِلِاشْتِعَالِ بِالقُرْبِ مِنَ الأَجْهِزَةِ.
وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى:
﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ سورة النساء: الآية ٢٩

فَالمسْلِمُ مَأْمُورٌ بِالحِفَاظِ عَلَى نَفْسِهِ وَالحِرْصِ عَلَى سَلَامَةِ مَنْ حَوْلَهُ.

وَمِنْ صُوَرِ الرَّحْمَةِ وَالرَّأْفَةِ مَا وَرَدَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ:
"إِنَّ امْرَأَةً بَغِيًّا رَأَتْ كَلْبًا يُطِيفُ بِبِئْرٍ يَوْمًا حَارًّا قَدْ أَخْرَجَ لِسَانَهُ مِنَ العَطَشِ، فَنَزَعَتْ لَهُ بِخُفِّهَا، فَغَفَرَ اللهُ لَهَا". رواه البخاري، ومسلم،

فَمَا أَعْظَمَ أَجْرَ الرَّحْمَةِ، حَتَّى مَعَ الحَيَوَانِ! فَمَا أَجْمَلَ أَنْ نَرْحَمَ الطُّيُورَ فِي أَيَّامِ البَرْدِ وَالعَوَاصِفِ، فَنَضَعَ لَهَا شَيْئًا مِنَ الطَّعَامِ عَلَى الأَسْطُحِ أَوِ الشُّرُفَاتِ،
فَقَدْ قَالَ ﷺ:
"فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ". رواه البخاري، ومسلم،

وَفِي فَضْلِ أَيَّامِ الشِّتَاءِ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:
"الغَنِيمَةُ البَارِدَةُ: الصَّوْمُ فِي الشِّتَاءِ".رواه أحمد

أَيْ: صِيَامُ الشِّتَاءِ فُرْصَةٌ عَظِيمَةٌ فِيهَا أَجْرٌ بِلَا مَشَقَّةٍ، إِذْ يَقْصُرُ النَّهَارُ وَيَبْرُدُ الجَوُّ، مِمَّا يُخَفِّفُ مِنْ تَعَبِ الصَّائِمِ.

وَقَدْ قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:
"مَرْحَبًا بِالشِّتَاءِ، تَنْزِلُ فِيهِ البَرَكَةُ، وَيَطُولُ فِيهِ اللَّيْلُ لِلْقِيَامِ، وَيَقْصُرُ فِيهِ النَّهَارُ لِلصِّيَامِ". *رواه ابن المبارك في "الزهد*

فَهَكَذَا يُعَلِّمُنَا الإِسْلَامُ أَنْ نَحْذَرَ مِنَ الأَخْطَارِ، وَنَرْحَمَ الضُّعَفَاءَ، وَنَغْتَنِمَ الأَوْقَاتِ، لِنَعِيشَ فِي أَمَانٍ، وَنَنَالَ الأَجْرَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ.

المُرَابَطَةُ فِي بَيْتِ المَقْدِسِ: رِسَالَةُ صَبْرٍ وَإِخْلَاصٍ عَبْرَ الأَجْيَالِ

عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: تَذَاكَرْنَا عِندَ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَيُّهُمَا أَفْضَلُ: مَسْجِدُ رَسُولِ اللهِ أَمْ بَيْتُ الْمَقْدِسِ؟

فَقَالَ ﷺ:

"صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي أَفْضَلُ مِنْ أَرْبَعِ صَلَوَاتٍ فِيهِ، وَلَنِعْمَ الْمُصَلَّى هُوَ". رواه أحمد

ثُمَّ أَضَافَ النَّبِيُّ ﷺ بِمَشَاعِرَ عَمِيقَةٍ، وَبِقَلْبٍ مُعَلَّقٍ بِتِلْكَ الأَرْضِ الْمُبَارَكَةِ — وَقَدْ كَشَفَ اللهُ لَهُ حُجُبَ الغَيْبِ وَرَأَى حَالَنَا وَحَالَ أَقْصَانَا الجَرِيحِ — فَقَالَ ﷺ:

"وَلَيُوشِكَنَّ أَنْ يَكُونَ لِلرَّجُلِ مِثْلُ شَطَنِ فَرَسِهِ مِنَ الأَرْضِ — أَيْ: مِتْرٌ مِنَ الأَرْضِ، حَيْثُ يُرَى مِنْهُ بَيْتُ الْمَقْدِسِ — خَيْرٌ لَهُ مِنَ الدُّنْيَا جَمِيعِهَا". رواه الحاكم في المستدرك

إِنَّهَا نِعْمَةُ الرِّبَاطِ عَلَى هَذِهِ الأَرْضِ الْمُبَارَكَةِ، الَّتِي اخْتَارَهَا اللهُ، وَجَعَلَهَا مَهْبِطَ الْوَحْيِ وَمَسْرَى نَبِيِّهِ.

لِذَا، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ اصْطَفَاهُمُ اللهُ لِيَكُونُوا فِي هَذِهِ الْبِلَادِ، فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَأَكْنَافِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، اصْبِرُوا عَلَى طَاعَةِ اللهِ، وَتَحَمَّلُوا الْمَكَارِهَ وَالآلَامَ.

وصَابِرُوا :أَيْ قَابِلُوا صَبْرَ أَعْدَائِكُمْ بِمُصَابَرَةٍ أَشَدَّ وَأَقْوَى، فِي كُلِّ مَكَانٍ يَسْتَلْزِمُ الصَّبْرَ، وَلَا تَكُونُوا أَقَلَّ مِنْهُمْ صَبْرًا وَثَبَاتًا، خَاصَّةً عِنْدَ شَدَائِدِ الْقِتَالِ، وَالْمُوَاجَهَاتِ، وَفِي الوُصُولِ إِلَى الأَقْصَى، وَتَحَمُّلِ الْجِرَاحَاتِ، وَظُلْمَةِ السِّجْنِ، وَالوُصُولِ إِلَى مَا تُرِيدُونَ.

وَارْبِطُوا :أَيْ كُونُوا دَائِمًا عَلَى حَذَرٍ مِنْ عَدُوِّكُمْ حَتَّى لَا يُفَاجِئَكُمْ بِمَا تَكْرَهُونَ.

قَالَ تَعَالَى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ آل عمران: ٢٠٠

وَلَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُوصِي أَصْحَابَهُ وَالمسْلِمِينَ بَعْدَهُ بِالمرَابَطَةِ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

فَقَدْ سَأَلَهُ الصَّحَابِيُّ الجَلِيلُ ذُو الأَصَابِعِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

"يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِ ابْتُلِينَا بِالبَقَاءِ بَعْدَكَ، فَمَا تَأْمُرُنَا؟"

فَأَجَابَهُ النَّبِيُّ ﷺ:
"عَلَيْكَ بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ، لَعَلَّ اللهَ أَنْ يَرْزُقَكَ ذُرِّيَّةً تَغْدُو إِلَيْهِ وَتَرُوحُ". *رواه الطبراني والهيثمي*

وَنَحْنُ مِنْ هَذِهِ الذُّرِّيَّةِ بِفَضْلِ اللهِ وَمِنَّتِهِ، وَقَدْ سَارَ عَلَى هَذَا الطَّرِيقِ كِبَارُ الصَّحَابَةِ: كَعُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، وَشَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ، وَأُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، وَدِحْيَةَ الْكَلْبِيِّ، وَغَيْرِهِمْ.

فَإِنَّ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ يَجْتَمِعُ لَهُ عِنْدَ اللهِ فَضَائِلُ عَدِيدَةٌ:
فَضِيلَةُ الرِّبَاطِ، وَفَضِيلَةُ شَدِّ الرِّحَالِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى،
وَفَضِيلَةُ مُضَاعَفَةِ أَجْرِ الصَّلَاةِ فِيهِ، وَفَضِيلَةُ الصَّبْرِ عَلَى أَذَى الأَعْدَاءِ.

وَاعْلَمُوا، عِبَادَ اللهِ، أَنَّ كُلَّ عَمَلٍ يَحْفَظُ ثَبَاتَكَ وَرِبَاطَكَ، وَثَبَاتَ شَعْبِنَا، فَهُوَ مِنَ الرِّبَاطِ.
وَالْقَاعِدَةُ الشَّرْعِيَّةُ تَقُولُ:
"مَا لَا يَتِمُّ الوَاجِبُ إِلَّا بِهِ فَهُوَ وَاجِبٌ". المستصفى *للغزالي* والموافقات *للشاطبي*

فَالمدَاوَمَةُ عَلَى العِبَادَاتِ رِبَاطٌ،
وَالصُّلْحُ بَيْنَ المتَخَاصِمِينَ رِبَاطٌ،
وَرَصُّ الصُّفُوفِ وَجَمْعُ الكَلِمَةِ رِبَاطٌ،
وَالتَّعَلُّمُ وَالتَّعْلِيمُ رِبَاطٌ،
وَأَنْ نُحِبَّ بَعْضَنَا بَعْضًا رِبَاطٌ،
وَأَنْ نَأْمَنَ بَوَائِقَ بَعْضِنَا رِبَاطٌ،
وَكُلُّ مَا تَعْرِفُونَهُ مِنَ الخَيْرِ رِبَاطٌ.

فَارْبِطُوا قُلُوبَكُمْ وَأَنْفُسَكُمْ وَجَوَارِحَكُمْ عَلَى ذَلِكَ الخَيْرِ وَأَنْتُمْ فِي أَرْضِ الرِّبَاطِ.

وَلَقَدْ تَعَلَّمْنَا مُنْذُ النَّكْبَةِ أَنْ لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الهِجْرَةِ،
وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ صَادِقَةٌ،
وَبِإِرَادَتِنَا الرَّاسِخَةِ الَّتِي تَمْتَدُّ لِآلَافِ السِّنِينَ،
لَا نَقْبَلُ الاسْتِسْلَامَ.

بَيْنَ فِقْهِ الصَّدَقَةِ وَسُنَّةِ الاِخْتِلَافِ

كانَ المسْلِمُونَ يَتَصَدَّقُونَ عَلَى فُقَرَاءِ أَهْلِ الذِّمَّةِ مِنْ غَيْرِ المسْلِمِينَ، مُنْطَلِقِينَ مِنْ رُوحِ التَّرَاحُمِ وَالإِنْسَانِيَّةِ، دُونَ تَمْيِيزٍ بَيْنَ مُسْلِمٍ وَغَيْرِهِ فِي سَدِّ الحَاجَةِ وَدَفْعِ الفَقْرِ.

لَكِنْ مَعَ مُرُورِ الزَّمَنِ، ازْدَادَتْ حَاجَةُ المسْلِمِينَ، وَكَثُرَ الفُقَرَاءُ فِي صُفُوفِهِمْ،

فَوَجَّهَ النَّبِيُّ ﷺ أَصْحَابَهُ فَقَالَ:

"لَا تَتَصَدَّقُوا إِلَّا عَلَى أَهْلِ دِينِكُمْ".

غَيْرَ أَنَّ الرَّحْمَةَ الإِلَهِيَّةَ لَمْ تُغْلِقْ بَابَ البِرِّ عَلَى غَيْرِ المسْلِمِينَ،

فَجَاءَ التَّوْجِيهُ الرَّبَّانِيُّ وَاضِحًا، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:

﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ البقرة: ٢٧٢، ابن كثير في تفسيره

لِيُبَيِّنَ أَنَّ الهِدَايَةَ لَيْسَتْ بِيَدِ أَحَدٍ، وَإِنَّمَا بِيَدِ اللهِ وَحْدَهُ، وَأَنَّ عَلَى المسْلِمِ أَنْ يُحْسِنَ لِلنَّاسِ، دُونَ أَنْ يَشْتَرِطَ عَلَيْهِمُ الدُّخُولَ فِي الإِسْلَامِ مُقَابِلَ الإِحْسَانِ.

فَقَدْ رَوَى ابْنُ عَبَّاسٍ أَنَّ بَعْضَ الأَنْصَارِ كَانَ لَهُمْ قَرَابَةٌ مِنْ يَهُودِ بَنِي قُرَيْظَةَ وَالنَّضِيرِ، وَكَانُوا يَمْتَنِعُونَ عَنِ التَّصَدُّقِ عَلَيْهِمْ، رَجَاءً أَنْ يَحْمِلَهُمُ الفَقْرُ عَلَى الإِسْلَامِ.

فَنَزَلَتِ الآيَةُ تَأْكِيدًا عَلَى جَوَازِ البِرِّ حَتَّى مَعَ غَيْرِ المُسْلِمِينَ مِنَ الأَقَارِبِ،

دُونَ اشْتِرَاطِ تَغَيُّرِ دِينِهِمْ.

وَمِنْ هُنَا، فَهِمَ العُلَمَاءُ أَنَّ الصَّدَقَةَ الجَائِزَةَ لِغَيْرِ المسْلِمِينَ هِيَ **صَدَقَةُ التَّطَوُّعِ،**

الَّتِي تُعْطَى لِلْمُحْتَاجِ كَنَوْعٍ مِنَ البِرِّ وَالرَّحْمَةِ،

بَيْنَمَا الزَّكَاةُ المَفْرُوضَةُ لَا تُعْطَى إِلَّا لِلْمُسْلِمِينَ، فَفِي الحَدِيثِ: أَنَّ اللهَ قَدِ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً فِي أَمْوَالِهِمْ، **تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ، فَتُرَدُّ فِي فُقَرَائِهِمْ** . مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ

وَلَقَدْ قَرَّرَ القُرْآنُ الكَرِيمُ مَبْدَأَ **الاِخْتِلَافِ وَالتَّنَوُّعِ** بَيْنَ البَشَرِ، فَقَالَ تَعَالَى:

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً، وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ، إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ، وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ هود: ١١٨-١١٩

فالاِخْتِلَافُ سُنَّةٌ كَوْنِيَّةٌ، لِحِكْمَةٍ أَرَادَهَا اللهُ، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَتَّفِقَ النَّاسُ جَمِيعًا فِي الدِّينِ

أَوِ الفِكْرِ أَوِ التَّصَوُّرَاتِ. وَمَا دَامَ الأَمْرُ كَذَلِكَ،
فَلَا يَنْبَغِي لِمُسْلِمٍ أَنْ يَتَوَهَّمَ أَنَّهُ مَسْؤُولٌ عَنْ هِدَايَةِ النَّاسِ، لِأَنَّ الهِدَايَةَ بِيَدِ اللهِ وَحْدَهُ.
قَالَ تَعَالَى:
﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا، إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ الشورى: ٤٨
فَمُهِمَّةُ المسْلِمِ هِيَ **البَلَاغُ وَالدَّعْوَةُ بِالحِكْمَةِ وَالمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ**، لَا الحُكْمُ عَلَى النَّاسِ،
وَلَا إِكْرَاهُهُمْ عَلَى مَا لَا يُرِيدُونَ.

وَبِنَاءً عَلَى ذَلِكَ، فَلَيْسَ مِنْ حَقِّ أَحَدٍ أَنْ يُنَصِّبَ نَفْسَهُ وَصِيًّا عَلَى النَّاسِ،
أَوْ أَنْ يُصْدِرَ الأَحْكَامَ عَلَى مَنْ خَالَفَهُ،
أَوْ أَنْ يَسْتَبِيحَ دِمَاءَ الأَبْرِيَاءِ بِحُجَجٍ دِينِيَّةٍ،
تُوَظَّفُ غَالِبًا لِتَحْقِيقِ **مَكَاسِبَ سِيَاسِيَّةٍ أَوْ حِزْبِيَّةٍ ضَيِّقَةٍ.**

فَفِي الحَدِيثِ:
"مَنْ صَلَّى صَلَاتَنَا، وَاسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا، وَأَكَلَ ذَبِيحَتَنَا، فَذَلِكَ المُسْلِمُ الَّذِي لَهُ ذِمَّةُ اللهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ، فَلَا تُخْفِرُوا اللهَ فِي ذِمَّتِهِ". رواه البخاري ومسلم

أَيْ: لَا تَنْقُضُوا عَهْدَ اللهِ فِيهِ، وَلَا تَنْتَهِكُوا كَرَامَتَهُ وَحُقُوقَهُ.
ثُمَّ خَتَمَ النَّبِيُّ ﷺ الأَمْرَ بِمُنْتَهَى التَّوَاضُعِ وَالتَّوَازُنِ، فَقَالَ:
"لَنْ يُدْخِلَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ الجَنَّةَ".
قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ؟
قَالَ: **"وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللهُ مِنْهُ بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ"**. رواه البخاري ومسلم

لِهَذَا، يَجِبُ أَنْ يَبْقَى الإِسْلَامُ **دِينًا جَامِعًا** لِكُلِّ الأُمَّةِ،
لَا أَنْ يُحَجَّمَ ضِمْنَ جَمَاعَةٍ أَوْ تَيَّارٍ أَوْ حِزْبٍ،
يَسْتَعْمِلُ الدِّينَ لِتَرْهِيبِ المسْلِمِينَ المخَالِفِينَ،
أَوْ لِفَرْضِ رُؤًى ضَيِّقَةٍ، **تَزْرَعُ الفُرْقَةَ وَتُثِيرُ الأَحْقَادَ،**
وَتُنَفِّرُ النَّاسَ مِنْ شَعَائِرِ الدِّينِ، بَدَلَ أَنْ تُقَرِّبَهُمْ إِلَيْهِ.

العَدْلُ أَسَاسُ العُمْرَانِ: رِسَالَةُ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ العَزِيزِ وَآيَةٌ جَمَعَتِ الخَيْرَ كُلَّهُ

حَكَمَ الخَلِيفَةُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ العَزِيزِ عَامَيْنِ وَخَمْسَةَ أَشْهُرٍ فَقَطْ،
لَكِنَّهُ اسْتَطَاعَ أَنْ يَنْقُلَ الأُمَّةَ مِنْ بَحْرِ الضَّيَاعِ إِلَى يَابِسَةِ الاسْتِقْرَارِ وَالتَّقَدُّمِ،
بِمَا أَقَامَهُ مِنْ عَدْلٍ، وَبِمَا بَعَثَهُ فِي الأُمَّةِ مِنْ رُوحِ الإِصْلَاحِ وَالرَّحْمَةِ.
وَمِنْ مَوَاقِفِهِ المِضِيئَةِ أَنَّ أَحَدَ وُلَاتِهِ كَتَبَ إِلَيْهِ يَشْكُو خَرَابَ مَدِينَتِهِ،
وَيَسْأَلُهُ مَالًا لِتَحْصِينِهَا،
فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُمَرُ رَدًّا خَالِدًا، يُلَخِّصُ مَنْهَجَهُ فِي الحُكْمِ وَبِنَاءِ الدَّوْلَةِ:
"فَهِمْتُ كِتَابَكَ. فَإِذَا قَرَأْتَ كِتَابِي، فَحَصِّنْ مَدِينَتَكَ بِالعَدْلِ، وَوَثِّقْ طُرُقَهَا مِنَ الظُّلْمِ، فَإِنَّ ذَلِكَ حَرَّمْتَهَا. وَالسَّلَامُ".

فَقَدْ أَدْرَكَ عُمَرُ أَنَّ العَدْلَ هُوَ الحِصْنُ الحَقِيقِيُّ،
وَأَنَّ رَفْعَ الظُّلْمِ هُوَ السُّورُ الَّذِي يَصُونُ المدُنَ وَالأُمَمَ.
وَكَانَ عُمَرُ يَأْمُرُ الخُطَبَاءَ أَنْ يُخْتِمُوا خُطْبَةَ الجُمُعَةِ بِقَوْلِ اللهِ تَعَالَى:
﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى،
وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ، يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ *النحل: ٩٠*

وَمَا زَالَ المسْلِمُونَ يَسْمَعُونَ هَذِهِ الآيَةَ تُتْلَى عَلَى المنَابِرِ حَتَّى يَوْمِنَا هذَا.
فَقَدْ جَمَعَ اللهُ فِيهَا الخَيْرَ كُلَّهُ فَأَمَرَّ بِهِ، وَالشَّرَّ كُلَّهُ فَنَهَى عَنْهُ،
حَتَّى قَالَ فِيهَا الصَّحَابِيُّ الجَلِيلُ ابْنُ مَسْعُودٍ:
"إِنَّهَا أَجْمَعُ آيَةٍ فِي كِتَابِ اللهِ لِلْخَيْرِ وَالشَّرِّ".

وَالْمَعْنَى أَنَّ اللهَ تَعَالَى يَأْمُرُنَا بِ:

- **العَدْلِ** :فِي الأَقْوَالِ وَالأَفْعَالِ، فِي الحُكْمِ وَالمعَامَلَةِ، فَهُوَ الَّذِي تَحْفَظُ بِهِ الحُقُوقَ.
- **الإِحْسَانِ** :فِي الأَقْوَالِ وَالموَاقِفِ، لِأَنَّهُ يَزْرَعُ المحَبَّةَ وَيُنَشِّرُ الرَّحْمَةَ.
- **إِيتَاءَ ذِي القُرْبَى** :لِأَنَّ صِلَةَ الرَّحِمِ تَخْلُقُ مُجْتَمَعًا مُتَكَافِلًا مُتَرَابِطًا.

وَيَنْهَانَا عَنْ:

- **الفَحْشَاءِ** :كُلُّ قَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ قَبِيحٍ.
- **المُنْكَرِ** :مَا أَنْكَرَهُ الشَّرْعُ وَالعَقْلُ.
- **البَغْيِ** :الظُّلْمُ وَالتَّعَدِّي وَتَجَاوُزُ حُدُودِ اللهِ.

ثُمَّ تُخْتَمُ الآيَةُ بِقَوْلِهِ:
"يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ"
أي أَنَّ فِي هَذِهِ الكَلِمَاتِ تَذْكِرَةً وَمَوْعِظَةً، لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ.

إِنَّهَا مَنْظُومَةٌ أَخْلَاقِيَّةٌ وَتَشْرِيعِيَّةٌ مُتَكَامِلَةٌ،
تَصْلُحُ لِتَكُونَ دُسْتُورًا لِلمُجْتَمَعِ، وَمِيزَانًا لِلْعِمَارَانِ،
وَسِلَاحًا فِي وَجْهِ الفَسَادِ وَالانْحِرَافِ.

رِزْقٌ يَسْعَى خَلْفَ صَاحِبِهِ: قِصَّةُ الصَّحَابِيِّ سَلْمَةَ بْنِ الأَكْعَوْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

خَرَجَ سَلْمَةُ بْنُ الأَكوَعِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَجُوبُ الصَّحْرَاءَ وَحْدَهُ، حَامِلًا قَوْسَهُ وَنَبْلَهُ.
كَانَ مِنْ أَمْهَرِ الرِّمَاةِ فِي العَرَبِ، يَجْرِي عَلَى قَدَمَيْهِ بِخِفَّةٍ لا تُجَارَى، حَتَّى قِيلَ: لا يَسْبِقُهُ فَرَسٌ.
وَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ، لَمَحَ مِنْ بَعِيدٍ عِيَيْنَةَ بْنَ حِصْنٍ الفِزَارِيِّ وَقَدْ أَغَارَ مَعَ جَمَاعَةٍ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى المدِينَةِ، وَسَرَقُوا إِبْلَ النَّبِيِّ ﷺ، وَكَانَ مَعَهُمْ عَبْدُ أَسْوَدٍ يَقُودُ الإِبْلَ.
حِينَئِذٍ لَمْ يَتَرَدَّدْ سَلْمَةُ لَحْظَةً، فَانْطَلَقَ يَرْكُضُ عَلَى قَدَمَيْهِ خَلْفَ السَّرَّاقِ
دُونَ فَرَسٍ أَوْ سِلَاحٍ ثَقِيلٍ، وَهُوَ يَصْرُخُ:
"**يَا صَبَاحَاهُ! يَا صَبَاحَاهُ**"!
نِدَاءً لِلاسْتِغَاثَةِ، لِيُنَبِّهَ أَهْلَ المدِينَةِ بِمَا جَرَى.
وَحْدَهُ، وَاصَلَ سَلْمَةُ المطَارَدَةَ، وَكَانَ يَرْمِي السَّارِقِينَ بِسَهْمٍ بَعْدَ سَهْمٍ، يُصِيبُ وَيُصِيبُ،
حَتَّى تَرَاجَعَ القَوْمُ وَقَالُوا:
"**لا نُقَاتِلَنَّ رَجُلًا وَحْدَهُ**"!
فَتَرَكُوا الغَنَائِمَ، وَوَلُّوا هَارِبِينَ. اسْتَرَدَّ سَلْمَةُ الإِبْلَ جَمِيعَهَا وَحْدَهُ، وَسَارَ بِهَا نَحْوَ المدِينَةِ،
حَتَّى لَقِيهِ فُرْسَانُ المسْلِمِينَ يَتَقَدَّمُهُمْ المقَدَّادُ بْنُ عَمْرٍو، فَسَأَلُوهُ:
ـ مَن أَنْتَ؟
قَالَ: أَنَا ابْنُ الأَكوَعِ ، وَاللَّهِ مَا بَرَحُوا حَتَّى لَقَّنْتُهُمْ دَرْسًا،
وَهَذِهِ إِبْلُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَدِ اسْتَرْجَعْتُهَا.
فَلَمَّا أُخْبِرَ النَّبِيُّ ﷺ بِذَلِكَ، قَالَ:
"**خَيْرُ فُرْسَانِنَا اليَوْمَ أَبُو قَتَادَةَ، وَخَيْرُ رِجَالِنَا سَلْمَةُ بْنُ** الأَكوَعِ". رَوَاهُ مُسْلِمٌ.
ثُمَّ أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ تُمْنَحَ سَلْمَةُ غَنَائِمَ كَثِيرَةً مِنْ تِلْكَ الغَزْوَةِ،
رَغْمَ أَنَّهُ لَمْ يَرْكَبْ فَرَسًا، وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُ جَيْشٌ.
بَلْ كَانَ وَحْدَهُ، اسْتَعَانَ بِاللَّهِ، وَسَعَى، فَجَاءَهُ الرِّزْقُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ.
وَقَالَ سَلْمَةُ عَنْ ذَلِكَ اليَوْمِ:
"**مَا أَحَبُّ أَنْ لِي بِهِ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا**".

فرِزْقُكَ لَن يَفُوتَكَ وَلَوْ كُنْتَ وَحْدَكَ فِي الصَّحْرَاءِ وَفِي الحَدِيثِ الصَّحِيحِ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ:
"**إِنَّ رُوحَ القُدُسِ نَفَثَ فِي رُوعِي أَنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَكْمِلَ رِزْقَهَا وَأَجَلَهَا، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ**". *رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ وَغَيْرُهُ.*

أَي: اطْلُبُوا الرِّزْقَ بِطُرُقٍ جَمِيلَةٍ، مِنْ غَيْرِ كَدٍّ وَلَا حِرْصٍ وَلَا تَهَاوُنٍ عَلَى الحَرَامِ.
فَإِنَّ رِزْقَكَ مَكْتُوبٌ مَعْلُومٌ، لا يَزِيدُ بِخَوْفِكَ، وَلَا يَنْقُصُ بِتَأَخُّرِكَ.
وَيَكْفِيكَ قَوْلُ اللهِ تَعَالَى:
"**وَكَأَيِّن مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا، اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ**". *العنكبوت: ٦٠*
"**وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ**"
"**فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ، مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تنطِقُونَ**". *الذاريات ٢٢،٢٣*

قَالُوا: **المُقَدَّرُ بِالْمَلْفُوظِ**، أَي بِحَسَبِ نُطْقِكَ يَكُونُ حَالُكَ
وقِيلَ: "**وَكُلُّ مَا فِيكَ مِنْ فِيكَ**"، أَي بِحَسَبِ نُطْقِكَ يَكُونُ حَالُكَ،

فَمَن قَالَ:
"**وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ**" *الطلاق: ٢*
نَالَ المخْرَجَ وَالرِّزْقَ.
وَمَن قَالَ:
"**حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ**"
فَتَحَ اللَّهُ لَهُ مِنْ خَزَائِنِ رَحْمَتِهِ.

وفِي الحديثِ القُدُسي، "**أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، فَلْيَظُنَّ بِي مَا شَاءَ**".
مَعْنَاهُ أَنَّ اللهَ تَعَالَى يُعَامِلُ عَبْدَهُ بِنَاءً عَلَى نَظْرَةِ العَبْدِ لَهُ.
إِذَا ظَنَّ العَبْدُ بِاللَّهِ خَيْرًا، كَانَ اللهُ عِنْدَهُ بِهَذَا الظَّنِّ،
وَإِذَا ظَنَّ سُوءًا، كَانَ اللهُ عِنْدَهُ بِهَذَا الظَّنِّ.
فَأَحْسِنِ الظَّنَّ بِرَبِّكَ، وَقُلْ كَمَا قَالَ الصَّالِحُونَ:
"**الحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ، وَحَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ**".

الأَخْذُ بِالأَسْبَابِ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ ﷺ

كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَغْمَ يَقِينِهِ الْكَامِلِ بِأَنَّ النَّصْرَ وَالرِّزْقَ وَالتَّوْفِيقَ مِنْ عِندِ اللهِ، لَا يَتَوَانَى عَنِ الْعَمَلِ، وَالتَّخْطِيطِ، وَالِاسْتِعْدَادِ، وَأَخْذِ كُلِّ الْوَسَائِلِ الْمُمْكِنَةِ لِتَحْقِيقِ الْأَهْدَافِ، ثُمَّ التَّوَكُّلِ عَلَى اللهِ بَعْدَهَا. فَأَخْذُ الْأَسْبَابِ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ ﷺ كَانَ سُلُوكًا وَاضِحًا وَمَنْهَجِيًّا.

فِي الْهِجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ:

- اخْتَارَ الوَقْتَ الْمُنَاسِبَ لِلْهِجْرَةِ، فِي اللَّيْلِ.
- غَادَرَ مِنْ بَابٍ غَيْرِ مُعْتَادٍ حَتَّى لَا يُلْحِظَهُ أَحَدٌ.
- نَامَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فِي فِرَاشِهِ تَضْلِيلًا لِلْمُشْرِكِينَ.
- اسْتَأْجَرَ دَلِيلًا مُشْرِكًا مَاهِرًا فِي الطُّرُقِ، وَهُوَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُرَيْقِط، لِأَنَّهُ كَانَ أَمِينًا خَبِيرًا.
- سَلَكَ طَرِيقًا غَيْرَ مَأْلُوفٍ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ.
- اخْتَبَأَ فِي غَارِ ثَوْرٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ اللهَ مَعَهُ، وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ يُوَاجِهِ الْخَطَرَ مُبَاشَرَةً، بَلِ اتَّخَذَ السَّبَبَ فِي الْحِمَايَةِ وَالِاخْتِفَاءِ.

وَمَعَ ذَلِكَ يَقُولُ لَهُ اللهُ تَعَالَى:

﴿ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾ *التوبة: ٤٠*

وَفِي غَزْوَةِ بَدْرٍ، رَغْمَ أَنَّ اللهَ وَعَدَهُمْ بِإِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ (إِمَّا الْعِيرُ أَوِ النَّفِيرُ):

- اسْتَشَارَ النَّبِيُّ ﷺ الصَّحَابَةَ، وَأَخَذَ آرَاءَهُمْ.
- رَتَّبَ الْجَيْشَ، وَنَظَّمَ الصُّفُوفَ، وَجَهَّزَ الْعُدَّةَ الْمُتَاحَةَ، مَعَ قِلَّةِ الْعَدَدِ.
- اخْتَارَ مَوْقِعًا اسْتِرَاتِيجِيًّا قُرْبَ الْمَاءِ، وَحَفَرُوا حُفَرًا.
- دَعَا اللهَ طَوِيلًا حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ مِنْ شِدَّةِ الدُّعَاءِ.

قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ:

"لَيْسَ التَّوَكُّلُ أَنْ تُلْقِيَ جَمَلَكَ فِي الصَّحْرَاءِ وَتَقُولَ: تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ، وَلَكِنِ التَّوَكُّلُ أَنْ تُعْقِلَهَا، ثُمَّ تَتَوَكَّلَ".

فَالْمُؤْمِنُ الْعَاقِلُ الْمُتَوَكِّلُ عَلَى اللهِ هُوَ الَّذِي يُبَاشِرُ الْأَسْبَابَ الَّتِي شَرَعَهَا اللهُ لِبُلُوغِ الْأَهْدَافِ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ يَتْرُكُ النَّتَائِجَ لِلهِ سُبْحَانَهُ يُسَيِّرُهَا كَيْفَ يَشَاءُ.

فَلَا يَكْفِي أَنْ نَعْقِدَ مُؤْتَمَرَاتٍ، وَنُسَيِّرَ مَسِيرَاتٍ، وَنَقِفَ عَلَى الْمَنَابِرِ وَنَقُولَ:

اللَّهُمَّ انْصُرْنَا عَلَى الْأَعْدَاءِ!

فِي الْوَقْتِ الَّذِي لَا نُحَرِّكُ سَاكِنًا، وَلَا جَيْشًا، وَلَا رِمْشًا،

وَلَا نَقُومُ بِالْأَعْمَالِ الَّتِي تَنْصُرُنَا عَلَيْهِمْ.

فَمَا مِنْ نَتِيجَةٍ تَتَحَقَّقُ عَلَى أَرْضِ الْوَاقِعِ إِلَّا وَلَهَا أَسْبَابٌ،

فَإِنَّ اللهَ الَّذِي تَكَفَّلَ لِلْمُؤْمِنِينَ بِالنَّصْرِ،

أَمَرَهُمْ أَنْ يُعِدُّوا كُلَّ مَا يَسْتَطِيعُونَ مِنْ قُوَّةٍ:

﴿ **وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ** ﴾ الأنفال: ٦٠

وَرَغْمَ أَنَّ الطَّرِيقَ إِلَى النَّصْرِ: وَعْدٌ إِلَهِيٌّ، فَإِنَّهُ لَا طَرِيقَ لِلنَّصْرِ إِلَّا:

بِالْعَوْدَةِ الصَّادِقَةِ إِلَى اللهِ، وَبِالْإِنَابَةِ إِلَيْهِ، وَبِالِابْتِعَادِ عَنْ كُلِّ مَا يُغْضِبُهُ سُبْحَانَهُ.

قَالَ تَعَالَى :﴿ وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ ﴾

هَذَا وَعْدُ اللهِ، فَلَا تَقُلْ: "كَيْفَ نَنْتَصِرُ؟"

بَلْ قُلْ: "مَتَى نَسْتَحِقُّ النَّصْرَ؟"

قَالَ ﷺ: "لَنْ يُغْلَبَ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا مِنْ قِلَّةٍ ". رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ

فَتَأَخُّرُ النَّصْرِ... مَسْؤُولِيَّتُنَا

فَيَا أَيُّهَا الْمُقَصِّرُ فِي حَقِّ اللهِ: **أَنْتَ سَبَبٌ فِي تَأَخُّرِ النَّصْرِ.**

جَاءَ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ:

"هَلْ تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ إِلَّا بِضُعَفَائِكُمْ؟"

فَنَسْأَلُ اللهَ أَنْ لَا يَكُونَ ضُعَفَاؤُنَا مُهْمِلِينَ،

وَأَنْ يَجْعَلَنَا مِنْ جُنُودِ هَذَا الدِّينِ،

وَأَنْ يَرْزُقَنَا عِزَّةَ الطَّاعَةِ، وَثَبَاتَ الْمَوْقِفِ، وَيَقِينَ النَّصْرِ.

رِفْقَةُ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْجَنَّةِ: أَمَلُ الْمُحِبِّينَ

جاءَ رَجُلٌ مِنَ الأَنصارِ إِلى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ مَحزُونٌ،
فَقالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ:
"يا فُلانُ، ما لي أَراكَ مَحزُونًا؟"
فَقالَ الرَّجُلُ:
"يا نَبِيَّ اللهِ، شَيءٌ فَكَّرتُ فيهِ".
قالَ:
"ما هُوَ؟"
قالَ:
"**نَحنُ نَغدو عَلَيكَ وَنَروحُ، نَنظُرُ إِلى وَجهِكَ، وَنُجالِسُكَ، وَغَدًا تُرفَعُ مَعَ النَّبِيِّينَ فَلا نَصِلُ إِلَيكَ**".
فَلَم يَرُدَّ النَّبِيُّ ﷺ شَيئًا، حَتّى جاءَهُ جِبرِيلُ عَلَيهِ السَّلامُ بِهذِهِ الآيَةِ العَظيمَةِ:
﴿**وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا**﴾ النساء: ٦٩
فَبَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيهِ، فَبَشَّرَهُ.
فَالمطيعُونَ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ سَيَكُونُونَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيهِم،
بِرِفقَةٍ لا تُقَدَّرُ بِثَمَنٍ، وَصُحبَةٍ تَقصُرُ العِبارَاتُ عَن وَصفِهَا.
﴿**وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا**﴾
إِنَّهَا رِفقَةٌ تَشرَحُ الصُّدُورَ، وَتُبهِجُ النُّفُوسَ.

سَأَلَ كَعبُ بْنُ عُجرَةَ رَسُولَ اللهِ ﷺ:
"**أَسأَلُكَ مُرافَقَتَكَ فِي الجَنَّةِ**".
فَقالَ ﷺ: "**فَأَعِنِّي عَلَى نَفسِكَ بِكَثرَةِ السُّجُودِ.**" رواهُ مُسلِم
فَالطَّرِيقُ إِلَى الرِّفقَةِ العَالِيَةِ يَبدَأُ مِنَ السُّجُودِ الخَاشِعِ، وَالعِبادَةِ الصَّادِقَةِ.

وَأَعظَمُ مِن كُلِّ مَا مَضَى، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بُشِّرَ بِأَحِبَّابِهِ مِمَّن لَم يُدرِكُوهُ،
فَسُئِلَ عَن رَجُلٍ يُحِبُّ القَومَ وَلَم يَعمَلْ بِعَمَلِهِم؟
فَقالَ: "**المَرءُ مَعَ مَن أَحَبَّ**." *مُتَّفَقٌ عَلَيهِ*
قالَ أَنَسٌ رَضِيَ اللهُ عَنهُ:
"**فما فَرِحَ المُسلِمُونَ بَعدَ الإِسلَامِ بِشَيءٍ فَرَحَهُم بِهذَا الحَدِيثِ**".

وَالْمُرَادُ بِالمَحَبَّةِ: **المَحَبَّةُ الإِيمَانِيَّةُ،**
أَي أَن تُحِبَّ العَبدَ لِطَاعَتِهِ، وَبِرِّهِ، وَإِيمَانِهِ، وَتُبغِضَ العَاصِيَ لِكُفرِهِ أَو فُجُورِهِ.

وَقَد قالَ بَعضُ الصَّحَابَةِ:
"**اللَّهُمَّ إِنَّا نُحِبُّ مُحَمَّدًا ﷺ، وَأَبَا بَكرٍ، وَعُمَرَ، وَنَرجُو أَن نَكُونَ مَعَهُم بِحُبِّنَا إِيَّاهُم، وَإِن لَم نَعمَلْ بِأَعمَالِهِم**".

اللَّهُمَّ ارزُقنَا رِفقَتَهُم، وَمَحَبَّتَهُم، وَاتِّبَاعَهُم،
وَاجعَلنَا مِمَّن أَطَاعَكَ، وَأَحَبَّكَ، وَأَحَبَّ نَبِيَّكَ ﷺ.
اللَّهُمَّ اجعَلنَا مِنَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِم، غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِم وَلا الضَّالِّينَ.

مُؤْمِنُ آلِ فِرْعَوْنَ: رَمْزُ الثِّقَةِ وَالتَّفْوِيضِ إِلَى اللهِ

مُؤْمِنُ آلِ فِرْعَوْنَ هوَ رَجُلٌ صالِحٌ وَرَدَ ذِكرُهُ فِي القُرآنِ الكَرِيمِ فِي سُورَةِ "غافِر"،
وَكانَ يَكتُمُ إِيمَانَهُ فِي بِدايَةِ الأَمرِ، ثُمَّ جَهَرَ بِهِ فِي لَحظَةٍ مَصِيرِيَّةٍ،
وَوَقَفَ مُدافِعًا عَن نَبِيِّ اللهِ مُوسىٰ عَلَيهِ السَّلامُ أَمامَ طُغيانِ فِرعَونَ وَمَلَئِهِ.
وَرَغمَ أَنَّهُ لَم يَكُن يَستَطِيعُ أَن يَأخُذَ بِالأَسبَابِ الظَّاهِرَةِ – لِكَوْنِهِ فِي بِيئَةٍ مُعَادِيَةٍ لِلإِيمَانِ–
فَقَدِ انتَقَلَ مِنَ الإِيمَانِ إِلَى التَّفْوِيضِ مُبَاشَرَةً، وَاستَسلَمَ لِلثِّقَةِ بِاللهِ.

قالَ اللهُ تَعالىٰ حَاكِيًا عَنهُ:
﴿**وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى ٱللَّهِ**﴾ غافر: ٤٤
فَكانَ الجَزَاءُ فَورًا:
﴿**فَوَقَاهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْ**﴾ غافر: ٤٥

التَّفْوِيضُ إِلَى اللهِ هُوَ **قِمَّةُ التَّوَكُّلِ وَخُلاصَةُ الإِيمَانِ**،
فَالمسلِمُ الوَاثِقُ بِاللهِ يُوقِنُ بِأَنَّ اللهَ لَن يَترُكَهُ، وَلَن يُضَيِّعَهُ،
حَتَّىٰ لَو خَذَلَهُ أَهلُ الأَرضِ كُلُّهُم.

وَمِن صِفَاتِ الوَاثِقِينَ بِاللهِ:

- سُكُونُ النَّفسِ وَطُمَأنِينَةُ القَلبِ رَغمَ الشَّدَائِدِ.
- الرِّضَى بِالقَضَاءِ: يَعلَمُ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَم يَكُن لِيُخطِئَهُ، وَمَا أَخطَأَهُ لَم يَكُن لِيُصِيبَهُ.
- **ثِقَةٌ مُطلَقَةٌ فِي رَبِّ الأَسبَابِ حَتَّىٰ عِندَ غِيَابِ الأَسبَابِ.**

قالَ تَعالىٰ:
﴿**قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ**﴾ التوبة: ٥١

وَإِذَا فُقِدَتِ الأَسبَابُ...
فَلا نَيْأَسْ مِن رَبِّ الأَسبَابِ، بَل نَزدَادُ تَعَلُّقًا بِهِ،
وَهَا هُوَ النَّبِيُّ ﷺ يُعَلِّمُنَا الثِّقَةَ بِاللهِ فِي وَصِيَّتِهِ لابْنِ عَبَّاسٍ:

"احفَظِ اللهَ يحفَظْكَ، احفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ،
إذَا سَأَلتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنتَ فَاسْتَعِنْ بِالله،
وَاعلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجتَمَعَتْ عَلَىٰ أَنْ يَنفَعُوكَ بِشَيءٍ، لَمْ يَنفَعُوكَ إِلَّا بِشَيءٍ قَدكَتَبَهُ اللهُ لَكَ،
وَإِنِ اجتَمَعُوا عَلَىٰ أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيءٍ، لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيءٍ قَدكَتَبَهُ اللهُ عَلَيكَ،
رُفِعَتِ الأَقْلَامُ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ ".رواهُ التِرمِذِي.

قال تعالى عنهم أنهم قالوا "وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا، وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونا، وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ"إبراهيم: ١٢

عَلَى الْعَبْدِ أَنْ يَعْتَمِدَ عَلَى رَبِّهِ،
وَيَعْلَمَ أَنَّهُ فِي كُلِّ أَحْوَالِهِ،
عَلَيْهِ أَنْ يَقِفَ فِي وَجْهِ الطُّغَاةِ كَالطَّوْدِ الْأَشَمِّ،
دُونَ مُبَالَاةٍ بِتَهْدِيدٍ أَوْ وَعِيدٍ،
لِأَنَّهُ قَدْ آوَى إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ.

فَالْمُؤْمِنُ الْمُتَوَكِّلُ عَلَى اللَّهِ:

- قَوِيٌّ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي يَدِهِ سِلَاحٌ.
- غَنِيٌّ، وَإِنْ لَمْ تُمْتَلِئْ خَزَائِنُهُ بِالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ.
- عَزِيزٌ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ وَرَاءَهُ عَشِيرَةٌ وَأَتْبَاعٌ.

فَهُوَ سُبْحَانَهُ وَحْدَهُ الَّذِي سَيَجْعَلُ لِأُمَّتِنَا، وَشَعْبِنَا، وَقُدْسِنَا، وَأَسْرَانَا، مِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجًا.

اللهمَّ إنّا نَبْرَأُ إليكَ من حَولِنا وقوَّتِنا، إلى حَولِكَ وقوَّتِكَ.

كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ...

لَمَّا نَزَلَ قَوْلُ اللهِ تَعَالَى:
﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ (الرحمن: ٢٦)،
قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: "هَلَكَ أَهْلُ الْأَرْضِ"!
فَأَنْزَلَ اللهُ بَعْدَهَا:
﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ (القصص: ٨٨)،
فَعَلِمَتِ الْمَلَائِكَةُ أَنَّ الْفَنَاءَ سَيَعُمُّهُمْ أَيْضًا،
وَأَنَّ الْبَقَاءَ لِلَّهِ وَحْدَهُ، الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ.

فَكُلُّ مَنْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مِنْ إِنْسَانٍ أَوْ حَيَوَانٍ، صَغِيرٍ أَوْ كَبِيرٍ، غَنِيٍّ أَوْ فَقِيرٍ، سَائِرٌ إِلَى الزَّوَالِ، فَلَا بَقَاءَ إِلَّا لِلَّهِ.

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:
"مُثِّلَ ابْنُ آدَمَ وَإِلَى جَنْبِهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ مَنِيَّةً؛ إِنْ أَخْطَأَتْهُ الْمَنَايَا، وَقَعَ فِي الْهَرَمِ". رَوَاهُ التِّرْمِذِي

قَالَ أَحَدُ السَّلَفِ:
"إِنَّمَا اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ مَرَاحِلُ يُنَزِّلُهَا النَّاسُ مَرْحَلَةً مَرْحَلَةً، حَتَّى يُنْتَهَى بِهِمُ السَّفَرُ إِلَى آخِرِهِ.
وَإِنَّ انْقِطَاعَ السَّفَرِ عَنْ قَرِيبٍ، وَالْأَمْرَ أَعْجَلُ مِنْ ذَلِكَ".

فَيَا ابْنَ آدَمَ، تَزَوَّدْ لِسَفَرِكَ، وَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ مِنْ أَمْرِكَ، فَإِنَّ الْأَجَلَ آتٍ لَا مَحَالَةَ.

قِيلَ لِلْحَسَنِ البَصْرِيِّ:
"إِنَّ فُلَانًا مَاتَ بَغْتَةً"!
فَقَالَ:
"وَمَا يُعْجِبُكُمْ مِنْ ذَلِكَ؟ لَوْ لَمْ يَمُتْ بَغْتَةً، مَرِضَ بَغْتَةً، ثُمَّ مَاتَ"!

قَالَ اللهُ تَعَالَى:
﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا، وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ لُقْمَان: ٣٣

فحَامِلُ الْجَنَازَةِ الْيَوْمَ، مَحْمُولٌ غَدًا.
ومَنْ عَادَ مِنَ الْمَقْبَرَةِ إِلَى بَيْتِهِ، سَيَعُودُ إِلَيْهَا غَدًا،
ويُتْرَكُ وَحِيدًا، مُرْتَهَنًا بِعَمَلِهِ، لَا أَنِيسَ لَهُ إِلَّا مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ.

تَذَكَّرْ مَنْ سَبَقَكَ مِنَ الْأَهْلِ وَالْأَصْحَابِ...
كَانُوا مِثْلَكَ يَحْرِصُونَ، وَيَتَمَنَّوْنَ، وَيَعْمَلُونَ...
حَتَّى جَاءَهُمُ الْأَجَلُ، فَفَارَقُوا الدُّنْيَا، وَصَارُوا إِلَى قُبُورٍ مُوحِشَةٍ،
فَعُدَّ نَفْسَكَ مِنْهُمْ.

قَالَ الفَارُوقُ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

"حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا، وَزِنُوا أَعْمَالَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُوزَنَ عَلَيْكُمْ".
"وَاعْلَمُوا أَنَّ مَلَكَ الْمَوْتِ قَدْ تَخَطَّانَا إِلَى غَيْرِنَا، وَسَيَتَخَطَّى غَيْرَنَا إِلَيْنَا، فَلْنَتَّخِذْ حِذْرَنَا".

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:
"الْكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ، وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا، وَتَمَنَّى عَلَى اللهِ الْأَمَانِيَّ". رَوَاهُ التِّرْمِذِي

وَقَالَ ﷺ:
"يَهْرَمُ ابْنُ آدَمَ، وَيَشِبُّ فِيهِ اثْنَتَانِ: الحِرْصُ عَلَى الْمَالِ، وَالْحِرْصُ عَلَى الْعُمُرِ". رَوَاهُ البُخَارِي

فالحِرْيصُ لَا يَشْبَعُ.

الصِّيغَةُ المُخْتَارَةُ لِلتَّشَهُّدِ وَالصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

جاءَ في حديثِ ابنِ مسعودٍ رضيَ اللهُ عنه:

كُنَّا نَقُولُ قَبْلَ أَنْ يُفْرَضَ التَّشَهُّدُ:

"السَّلَامُ عَلَى اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَى جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ"،

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

"لَا تَقُولُوا هَكَذَا، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ هُوَ السَّلَامُ، أَيْ مِنْهُ يُطْلَبُ السَّلَامُ،

وَلَكِنْ قُولُوا:

ٱلتَّحِيَّاتُ لِلَّهِ وَٱلصَّلَوَاتُ وَٱلطَّيِّبَاتُ،

ٱلسَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ، وَرَحْمَةُ ٱللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ،

ٱلسَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَىٰ عِبَادِ ٱللَّهِ ٱلصَّالِحِينَ،

أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ،

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

وَلْيَتَخَيَّرْ أَحَدُكُمْ مِنَ ٱلدُّعَاءِ أَعْجَبَهُ إِلَيْهِ، فَلْيَدْعُ ٱللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ". رواه البخاري ومسلم

وَقيلَ إنَّ معنى التَّحِيَّاتِ وَالصَّلَوَاتِ وَالطَّيِّبَاتِ:

- التحياتُ: العباداتُ القوليةُ،
- والصلواتُ: العباداتُ الفعليةُ،
- والطيباتُ: العباداتُ الماليةُ.

ثم قالوا يا رسول الله،

قد عَلِمْنَا كَيْفَ نُسَلِّمُ عَلَيْكَ، فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟

فقال:

"قُولُوا:

ٱللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِ مُحَمَّدٍ،

كَمَا صَلَّيْتَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَعَلَىٰ آلِ إِبْرَاهِيمَ،

إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ،
ٱللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِ مُحَمَّدٍ،
كَمَا بَارَكْتَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَعَلَىٰ آلِ إِبْرَاهِيمَ،
إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ". رواه البخاري ومسلم

وهذه أشرف الصيغ في الصلاة والسلام عليه.

قالَ العُلَماءُ:

إنَّ في قَولِهِ تَعالىٰ:

"وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا " الأحزاب: ٥٦

أفادَ الطَّلَبَ بِتَحسِينِ وَتَجوِيدِ السَّلامِ عَلَيهِ،
فَأَشرَفُ الصِّيَغِ بِالصَّلاةِ وَالسَّلامِ عَلَيهِ، وَالَّتي اختارَها لِنَفسِهِ، هِيَ:

**"التَّحِيَّاتُ للهِ، وَالصَّلَوَاتُ، وَالطَّيِّبَاتُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ، وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ،
السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَىٰ عِبَادِ اللهِ الصَّالِحِينَ،
أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ:**

ثم يقول بعد التشهد:

**"اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَىٰ آلِ إِبْرَاهِيمَ،
إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ،
اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَىٰ آلِ إِبْرَاهِيمَ،
إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ"** رواه البخاري ومسلم

الإِيمَانُ نُورٌ وَالذُّنُوبُ ظِلَامٌ

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ:
"إِنَّ الْيَهُودَ كَانُوا يَقُولُونَ إِنَّ هَذِهِ الدُّنْيَا سَبْعَةُ آلَافِ سَنَةٍ،
وَإِنَّمَا نُعَذَّبُ بِكُلِّ أَلْفِ سَنَةٍ يَوْمًا فِي النَّارِ،
وَإِنَّمَا هِيَ سَبْعَةُ أَيَّامٍ مَعْدُودَةٍ." رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ

فَأَبْطَلَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ دَعْوَاهُمْ بِأَصْلٍ عَامٍّ يَشْمَلُهُمْ وَيَشْمَلُ غَيْرَهُمْ، فَقَالَ تَعَالَى:

"بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ
أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ" البقرة: ٨١

أَي: لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا يَدَّعُونَ،
بَلِ الْحَقُّ أَنَّهُ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ،
وَمَاتَ عَلَيْهَا دُونَ أَنْ يَتُوبَ إِلَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنْهَا،
فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ.

وأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ أَي كَثُرَتِ الْمَعَاصِي وَالذُّنُوبُ،
فَأَحَاطَتْ بِقُلُوبِهِمْ، **فَذَلِكَ هُوَ الرَّانُ.**
قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

"إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً"
يَعْنِي إِذَا وَقَعَ فِي ذَنْبٍ كَبِيرٍ،
وَالْخَطِيئَةُ لَا تُقَالُ لِصِغَارِ الذُّنُوبِ وَإِنَّمَا لِلْكِبَارِ،
"نُكِتَ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ". رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ

وَالنُّكْتَةُ السَّوْدَاءُ لَا يُمْكِنُ أَنْ تَجْتَمِعَ مَعَ الْإِيمَانِ،
لِأَنَّ الْإِيمَانَ نُورٌ فِي الْقَلْبِ يُبْصِرُ بِهِ الْعَبْدُ طَرِيقَهُ.
فَإِذَا خَالَفَ هَذَا الطَّرِيقَ وَارْتَكَبَ الذَّنْبَ،

نُكِتَ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ.
وَهَذِهِ النُّكْتَةُ السَّوْدَاءُ تَنْزَعُ مِنْ مَكَانِهَا نُورَ الْإِيمَانِ الَّذِي كَانَ.

"**فَإِنْ هُوَ نَزَعَ**" (أَي نَزَعَ نَفْسَهُ عَنْ ارْتِكَابِ الْمَعَاصِي) وَاسْتَغْفَرَ وَتَابَ،
"**صُقِلَتْ**" — يَعْنِي أَنَّ هَذِهِ النُّقْطَةَ السَّوْدَاءَ تُمْحَى.
"**وَإِنْ عَادَ زَادَ فِيهَا** "
بَعْدَ أَنْ كَانَتْ نُكْتَةً صَغِيرَةً تُصْبِحُ نُكْتَةً كَبِيرَةً.
"**وَإِنْ عَادَ زَادَ فِيهَا حَتَّى يَعْلُو قَلْبُهُ الرَّانُ الَّذي ذَكَرَ اللَّه** ".

قَالَ تَعَالَى:

"**كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ**" *الْمُطَفِّفِينَ: ١٤*

فَالَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ،
كَلَّا، لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا زَعَمُوا،
بَلْ هُوَ كَلَامُ اللَّهِ وَوَحْيُهُ،
وَمَعَ ذَلِكَ حُجِبَتْ قُلُوبُهُمْ عَنِ الْإِيمَانِ بِهِ بِسَبَبِ ذُنُوبِهِمْ،
فَأَسْوَدَّتْ قُلُوبُهُمْ وَنُزِعَ مِنْهُمُ الْإِيمَانُ.

فَعِنْدَمَا تَغْطِي الذُّنُوبُ الْقَلْب،
لَا يَسْتَطِيعُ الْإِنْسَانُ أَنْ يَسْتَشْعِرَ الْحَقَّ أَوْ يَقْبَلَهُ بِسُهُولَةٍ.
فَالرَّانُ يَمْنَعُ الْقَلْبَ مِنَ الاسْتِجَابَةِ لِلْهِدَايَةِ.

لَكِنَّ الدُّنْيَا فُرْصَةٌ لِلتَّوْبَةِ وَالرُّجُوعِ،
فَكَمَا أَبْطَلَ اللَّهُ دَعْوَى الْيَهُودِ،
فَالْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَيْسَتْ مَحْصُورَةً بِوَقْتٍ مُعَيَّنٍ،
بَلْ هِيَ فُرْصَةٌ مُسْتَمِرَّةٌ لِلتَّوْبَةِ وَتَرْكِ الذُّنُوبِ.

دُعَاءُ النَّصْرِ

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، ولا عُدوانَ إلَّا على الظالمين.

لا إلهَ إلَّا اللهُ ربُّ الأوَّلينَ والآخِرين، قَهَرَ الخَلْقَ بجَبَروتِهِ، وبَسَطَ الخَيْرَ بمَلَكُوتِهِ، عَزَّ وَلِيُّهُ، وذَلَّ عَدُوُّهُ، تَعَطَّفَ بالكِبْرِياءِ ثَوبًا، وبالعِزَّةِ إزارًا، **لا يُعْجِزُهُ شيءٌ في الأرضِ ولا في السَّماءِ، فأمرُهُ إذا أرادَ شيئًا أن يقولَ لهُ كُنْ فَيَكُون.**

مَن لاذَ بهِ عَصَمَهُ، ومَن عاداهُ قَصَمَهُ.

أيُّها الباغي علينا، تدورُ الدَّوائرُ، فاذكُرْ فِرْعَوْنَ حينَ قال: "أنا رَبُّكُمُ الأعلى"، فأَخَذَهُ اللهُ نَكالَ الآخِرَةِ والأُولَى.

بَطْشُهُ شَديدٌ، فَعَّالٌ لما يُريد، جَبَّارٌ قَهَّار، وعَزِيزٌ في عَليائِهِ، حَلِيمٌ فلا يُستَعْجَلُ غَضَبُهُ، ومُنتَقِمٌ فلا يُستَبْطَأُ عَذابُهُ.

بِكَ اللهمَّ نَصُولُ ونَجُولُ، وبِحَوْلِكَ وقُوَّتِكَ نَلْقى أعداءَنا.

سَيْفُنا سَيَكْفِينَا اللهُ، ورُكْنُنا "لا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلَّا باللهِ"، وغارَتُنا: يا الله، يا الله.

نَتَقَرَّبُ إليكَ رَبَّنا بأنفُسٍ أَحَبَّتْ لِقَاءَكَ، ونَسْتَنْصِرُكَ بكَفِّ محمَّدٍ ﷺ تَرْفَعُ إليكَ، **فإنَّها كَريمةٌ عليك لا تُرَدّ.**

يا ربِّ مَدَدَكَ، مَدَدَكَ، فهذا عَدُوُّنَا بنا قد أَحاط، آمَنَّا بكَ وكَفر، وأَطَعْنَا واستَكْبَر.

فَشَتِّتْ جَمْعَهُمْ، وأَذْهِبْ سَكِينَتَهُم، ورَوِّعْ آمِنَهُم، واكْفِنا ما أَهَمَّنَا من أَمْرِهِم.

اللهمَّ إنَّا مَظْلُومُونَ فانْتَصِر، يا مَن نَصَرْتَ نُوحًا في العالمين، وسَمِعْتَ أَنِينَ يُونُسَ في الظُّلُمات، ورَحِمْتَ ضَعْفَ أَيُّوبَ وعَجْزَ زَكَرِيَّا، فَلَبَّيْتَ دُعَاءَهُمْ، وكَشَفْتَ غُمَّتَهُم.

رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا العَذَابَ إنَّا مُؤْمِنُون.

أَنْتَ مَوْلانَا ولا مَوْلَى لَهُمْ، وأَنْتَ حَسْبُنَا ولا حَسْبَ لَهُمْ، فَأَرْسِلْ جُنْدَكَ ومَلَائِكَتَكَ بالنَّصْر.

اللهمَّ يا مُرْسِلَ السَّحاب، ومُنْزِلَ الكِتاب، وهازِمَ الأحزاب، انصُرْنا، وشَتِّتْ أعداءَنا، وثَبِّتْ أقدامَنا، وزَلْزِلِ الأرضَ تحت أقدامِ أعدائِنا بِحَوْلِكَ وقُوَّتِكَ، يا الله.

يا غَارَةَ اللهِ وغيْرَتَهُ أَدْرِكِينا.

يا ربَّ بالفَجْرِ، وَلَيَالٍ عَشْر، وبالشَّفْعِ والوَتْر، وباللَّيْلِ إذا يَسْرِ، كما أَهْلَكْتَ عادًا، وإرَمَ ذاتَ العِمَاد، وفِرْعَوْنَ ذي الأوتاد...

اللهمَّ فَصُبَّ على أعدائِنا سَوْطَ عَذاب، وأَسْقِهِم كَأْسَ الفَناء، وأَلْبِسْهُم ثَوْبَ الشَّقَاءِ، وأَوْرِدْهُم مَوَارِدَ الهَلَاك، يا عَزِيز، يا جَبَّار، يا قَهَّار، يا مُنْتَقِم، يا شَدِيدَ العِقَاب، يا الله.

اللهمَّ اغْفِرْ لنا ذُنُوبَنَا، وثَبِّتْ أَقْدَامَنَا، وانْصُرْنَا على القَومِ الكَافِرِينَ.

وآخر دعوانا أنِ الحمدُ للهِ ربِّ العالمين.

قائمة المراجع

الطبري، محمد بن جرير.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري).

تحقيق: أحمد شاكر وآخرين.

بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١، ٢٠٠٠م.

القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري.

الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي).

تحقيق: أحمد البردوني وآخرين.

بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٣م.

ابن كثير، إسماعيل بن عمر.

تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير).

تحقيق: سامي السلامة.

الرياض: دار طيبة، ط٢، ١٩٩٩م.

السعدي، عبد الرحمن بن ناصر.

تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (تفسير السعدي).

تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق.

الرياض: دار السلام، ط١، ٢٠٠٠م.

البخاري، محمد بن إسماعيل.

صحيح البخاري.

تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر.

الرياض: دار طوق النجاة، ط١، ٢٠٠١م.

مسلم بن الحجاج.
صحيح مسلم.
تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.
بيروت: دار إحياء التراث العربي، بدون تاريخ.

الترمذي، محمد بن عيسى.
سنن الترمذي.
تحقيق: بشار عواد معروف.
بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٩٩٦م.

أبو داود، سليمان بن الأشعث.
سنن أبي داود.
تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد.
بيروت: المكتبة العصرية، بدون تاريخ.

البيهقي:

البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي.
السنن الكبرى.
تحقيق: محمد عبد القادر عطا.
بيروت: دار الكتب العلمية، ط٣، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م.

ابن حبان:

ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد البُستي.
صحيح ابن حبان المسمى :*التقاسيم والأنواع* أو *الجامع الصحيح*.

تحقيق: شعيب الأرناؤوط.
بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م.

الجزيري، عبد الرحمن.
الفقه على المذاهب الأربعة.
بيروت: دار الكتب العلمية، ط٥، ٢٠٠٣م.

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت.
الموسوعة الفقهية الكويتية.
الكويت: وزارة الأوقاف، ١٩٨٣م—٢٠٠٧م.

ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر.
الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب.
تحقيق: بشير عيون.
بيروت: دار الكتاب العربي، ط٢، ١٩٩٥م.

أبو نُعيم الأصفهاني.
حلية الأولياء وطبقات الأصفياء.
بيروت: دار الكتاب العربي، ط٤، ٢٠٠٧م.

النووي، يحيي بن شرف.
الأذكار من كلام سيد الأبرار.
تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط.
بيروت: دار ابن كثير، ط٣، ١٩٩٠م.

الذهبي، محمد بن أحمد.
سير أعلام النبلاء.
تحقيق: شعيب الأرناؤوط.
بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٩، ٢٠٠٧م.

أحمد بن حنبل.
الزهد.
تحقيق: عبد الرحمن عميرة.
القاهرة: دار الحديث، ط١، ٢٠٠٥م.

ابن المبارك، عبد الله.
الزهد.
تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي.
بيروت: دار الكتب العلمية، ط٢، ١٩٩٨م.

الغزالي، أبو حامد.
إحياء علوم الدين.
تحقيق: أحمد شمس الدين.
بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠٠٥م.

ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر.
مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين.
تحقيق: محمد حامد الفقي.
القاهرة: مكتبة دار التراث، بدون تاريخ.

ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع البصري.
الطبقات الكبرى ويُعرف أيضًا بـ :**كتاب الطبقات**.
تحقيق: إحسان عباس.
بيروت: دار صادر، ط١، ١٩٩٨م.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

"إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا."

"اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ،
اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ."

اللَّهُمَّ اشْرَحْ بِالصَّلَاةِ عَلَيْهِ صُدُورَنَا، وَيَسِّرْ بِهَا أُمُورَنَا، وَفَرِّجْ بِهَا هُمُومَنَا، وَاكْشِفْ بِهَا غُمُومَنَا، وَاغْفِرْ بِهَا ذُنُوبَنَا،
وَاقْضِ بِهَا دُيُونَنَا، وَأَصْلِحْ بِهَا أَحْوَالَنَا، وَبَلِّغْ بِهَا آمَالَنَا، وَطَهِّرْ بِهَا أَلْسِنَتَنَا، وَآنِسْ بِهَا وَحْشَتَنَا، وَارْحَمْ بِهَا غُرْبَتَنَا،
وَاجْعَلْهَا نُورًا بَيْنَ أَيْدِينَا، وَمِنْ خَلْفِنَا، وَعَنْ أَيْمَانِنَا، وَعَنْ شَمَائِلِنَا، وَمِنْ فَوْقِنَا، وَمِنْ تَحْتِنَا، وَفِي حَيَاتِنَا وَمَوْتِنَا،
وَأَدِمْ بَرَكَاتِهَا عَلَيْنَا حَتَّى نَلْقَى نَبِيَّنَا وَسَيِّدَنَا مُحَمَّدًا ﷺ وَنَحْنُ آمِنُونَ مُطْمَئِنُّونَ، فَرِحُونَ مُسْتَبْشِرُونَ.

الفِهْرِسُ